

المختار من

تاريخ الجبيري

محرر قسطنطين القيساري

دار الكتب

اسلامبول . وأما محمد باشا (١) المهزوم ، فإنه لم يزل في سيره حتى وصل الى المنصورة ، وفرد على أهلها تسعين ألف ريال ، وكذلك فرد على ما أمكنه من بلاد الدقهلية والغربية فردا ومظالم وكلفا وصادف في طريقه بعض المعينين حاضرين بمبالغ الفردة السابقة فأخذها منهم .

الثلاثاء ١٨ منه (١٠ مايو ١٨٠٣ م) :

أرسل طاهر باشا عدة من العسكر ، فقبضوا على جماعة من بيوتهم وهم : أغات الانكشارية ، ومصطفى كتخدا الرزاز ، ومصطفى آغا الوكيل ، وأيوب كتخدا الفلاح ، وأحمد كتخدا على ، والسيد أحمد المحروقي ، و خليل افندي كاتب خزنة محمد باشا . وأطلعوهم الى القلعة ، وأصبح الناس يتحدثون بذلك .

ثم ان جماعة من الفقهاء سعوا الى السيد أحمد المحروقي ، فأزلوه الى بيته في ثاني يوم ، وعملوا عليه ستمائة كيس ، ولزم العسكر بيته ، وكذلك بقية الجماعة ، منهم من عمل عليه مائتا كيس وأقل وأكثر . وأقاموا في الترسيم .

الجمعة ٢١ منه (١٣ مايو ١٨٠٣ م) :

ركب طاهر باشا بالوكب والملازمين ، وصلى الجمعة بجامع الحسين .

وفيه : وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية رجعوا الى قبلى ، ووصلوا الى قرب بنى سويف . وفيه : تشفع الشيخ السادات في مصطفى آغا

(١) لم يسع خسرو باشا الا ان يلوذ بالهرب . وفر هو وعائلته وحاشيته وبقية من جنوده ، وخرج من المدينة ، ونصد الى قليبوا بالمنصورة فدمياط ، واستقر بها ، واخذ يستعد لاسترجاع ولايته . ومن غريب امره أنه - وهو في محنة وفي فراخه - ضرب الضرائب على البلاد التي مر بها ، واخذ من الاموال ما استطاع نهيه .

وبلغار خسرو باشا انتهت ولايته القبلية ، فكانت نهايتها سنة وثلاثة عشر واربعة وعشرين يوما .

(عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ٢٣٧)

وأخذ ذلك المكتوب طاهر باشا (١) ، وأودعه في جيبه . ثم قال الحاضرون : « فما يكون الجواب ؟ » . قال : « حتى تروى في ذلك » . ثم كتب لهم جوابا يخبرهم فيه بما وقع ، ويأمرهم بأنهم يحضرون بالقرب من مصر لربما اقتضى الحال الى المعاونة .

الاثنين ١٧ منه (٩ مايو ١٨٠٣ م) :

كتبوا العرض المحضر بصورة ما وقع ، وختم عليه المشايخ والوجاقلية ، وأرسلوه الى

(١) انتهر طاهر باشا هذه الفرصة لجلب اليه المال ، وكتب لهم يدعوهم الى الحضور والافتراق من القاهرة . . . وظهرت للمشايخ في هذا التعيين سلطة رسمية ، وان كانت في الإقاص اسمية ، لان طاهر باشا انما وصل الى قائمقاميته بحد السيف . . . لكن مجرد استنشاره بضرورة اتفاق العلماء على اختياره ، هو تسليم منه بان لهم شأنا في حل الأزمات . كما ان تدخلهم في الوساطة بين البكوات الماليك والوالى اكسبهم نفوذا على الفريقين ، ومساميحهم في رفع المظالم املت مكانتهم ، وزادت في التفاف الناس حولهم .

وقد كان للعلماء مقام محمود في مقاومة المظالم التي ارتكبها طاهر باشا . فان اول عمل له ان القى القبض على جماعة من كبار الموظفين والاعيان بحجة انهم من انصار خسرو باشا ، منهم : السيد أحمد المحروقي كبير التجار ، ورئيس الانكشارية ، وكاتب خزنة خسرو باشا ، ومصطفى الوكيل وغيرهم . . . وسجنهم في القلعة . فتدخل المشايخ ووصلوا الى طاهر باشا ، وسأوا السيد أحمد المحروقي . فنزل من القلعة في اليوم التالي . ودخل السادات للانفراج عن مصطفى الوكيل ، اخذه معه الى بيته ، وكان ذلك يوم الجمعة ٢١ من مايو ١٨٠٣ .

فلما كان يوم الأحد أرسل طاهر باشا مصطفى الوكيل من عند الشيخ السادات ، فذهب معه السادات الى طاهر باشا ليحمله من بطنه . فلما رآه الجنود حملوا القبض عليه ثانية ، وأحذوه الى القلعة . فحنق السيد السادات على هذا الظلم ، ودخل على طاهر باشا ، واعترضه اعتراضا شديدا . فاطلعه طاهر باشا على خطاب مرسل الى مصطفى الوكيل من خسرو باشا ليرهن له على أنه موال لخسرو ، وان اعتقاله واجب . فقال السادات : ان هذا لا يؤخذ به وانما يؤخذ اذا كان المكتوب منه الى خسرو باشا . وكان طاهر باشا مصمما على قتله ، فانهى الامر على الا يقتله ، وان يبقى بيت السادات مشغولا بحمايته . وخشى طاهر باشا من تغير خاطر السادات بسبب هذه الحادثة فذهب اليه في بيته يسترضيه .

ومن مظالم طاهر باشا انه امر بقتل المعلم سلطى من كبار الكتبة الإنباط - وهو الذى كان متوليا القضاء في زمن الفرنسيين - وامر كذلك بقتل المعلم حنا الصباحاني أحد التجار السوريين ، (وبلا نزاع أن سبب قتلها الطمع في أموالهما)

على ان طاهر باشا لم يدم له الامر . فقد اشتهر بالظلم والجبروت ، وأطلق لجنوده الابانيين مغان السلب والنهب ، وضرب الغرامات الفادحة على التجار .

(عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ٢٣٧)

رقم النسخة

رقم التسجيل

٥/٢٢٢٨٥

وكلما طلب الانكشارية شيئا من جمالكهم ، قال لهم : « ليس لكم عندى شيء ، ولا أعطيكم الا من وقت ولا تى .. فان كان لكم شيء ، فاذهبوا وخذوه من محمد باشا » . فضاق خناقهم وأوغر صدورهم ، وبيتوا أمرهم مع أحمد باشا والى المدنسة .

فلما كان فى هذا اليوم : ركب الجماعة المذكورون من جامع الظاهر ، وهم نحو المائتين وخمسين نفرا ، بعددهم وأسلحتهم — كما هى عادتهم — وخلفهم كبراؤهم وهم : اسماعيل أغا ومعه آخر يقال له موسى أغا وآخر . فذهبوا على طاهر باشا ، وسألوه فى جمالكهم فقال لهم : « ليس لكم عندى الا من وقت ولا تى ، وان كان لكم شيء مكسور فهو مطلوب لكم من باشتكم محمد باشا » . فالتحوا عليه .. ففتر فيهم .. فعاجلوه بالحسام ، وضربه أحدهم ، فطير رأسه ، ورماها من الشباك الى الحوش !

وسحبت طوائفهم الأسلحة ، وهاجوا فى أتباعه . فقتل منهم جماعة ، واشتعلت النار فى الأسلحة والبارود الذى فى أماكن أتباعه . فوقع الحريق والنهب فى الدار ، ووقع فى الناس كرشات . وخرجت العساكر الانكشارية وبأيدى السيوف المسلحة ، ومعهم ما خطفوه من النهب !

فانزعجت الناس ، وأغلقوا الأسواق والدكاكين ، وهربوا الى الدور ، وأغلقوا الأبواب ، وهم لا يعلمون ما الخبر !

وبعد ساعة ، شاع الخبر ، وشق الوالى والأغا ينادون بالأمن والأمان حسب ما رسم أحمد باشا ، وكرروا المناداة بذلك .

ثم نادوا باجتماع الانكشارية البلدية وخلافهم عند أحمد باشا على طائفة الأرئوود ، وقتلهم واخراجهم من المدينة . فتحزبوا أحزابا ، ومشوا

طوائف طوائف . وتجمع الأرئوود جهة الأزبكية وفى بيوتهم الساكنين فيها . وصار الانكشارية اذا ظفروا بأحد من الأرئوود ، أخذوا سلاحه ، وربما قتلوه . وكذلك الأرئوود يفعلون معهم مثل ذلك . هذا .. والنهب والحريق عمال فى بيت طاهر باشا ، وفرج الله عن المعتقلين والمحبوسين ، على المغارم والمصادرات .

وبقيت جثة طاهر باشا مرمية لم يلتفت اليها أحد ، ولم يجسر أحد من أتباعه على الدخول الى البيت واخراجها ودفنها . وزالت دولته ، واقتضت سلطنته فى لحظة !

فكانت مدة غلبته ستة وعشرين يوما . ولو طال عمره زيادة على ذلك ، لأهلك الحرث والنسل ! وكان صفته : أسمر اللون ، نحيف البدن ، أسود اللحية ، قليل الكلام بالتركى ... فضلا عن العربى ، ويغلب عليه لغة الأرئوودية ، وفيه هوس وانسلا ب ، ويميل للمسلوين والمجاذيب والدرائش . وعمل له خلوة بالشيخونية ، وكان يبيت فيها كثيرا ، ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردى الى السطح فى الليل ، ويذكر معه . ثم مكن هناك بحريمه . وقد كان تزوج بامرأة من نساء الأمراء ، وكان يجتمع عنده أشكال مختلفة الصور ... فيذكر معهم ، ويجالسهم ، ويظهر الاعتقاد فيهم . ولما رأوا منه ذلك ، خرج الكثير من الأوباش ، وتزيا بما سولت له نفسه وشيطانه ، وليس له طرطورا طويلا ، ومرقعة ودلعا ، وعلق له خلجل وبهرجان وعصا مصبوغة وفيها شخاشيخ وشراريب ، وطبلة يدق عليها ، ويصرخ ويزعق ، ويتكلم بكلمات مستهجنة ، وألفاظ موهمة ، بأنه من أرباب الأحوال .. ونحو ذلك !

ولما قتل ، أقام مرميا الى ثالى يوم لم يدفن . ثم دفنوه من غير رأس بقبة عند بركة الفيل .

وأخذ بعض النيكجيرية رأسه وذهبوا بها ليوصلوها الى محمد باشا ، ويأخذوا منه البقيش . فلحقهم جماعة من الأرثوود ، فقتلوه ، وأخذوا الرأس منهم ورجعوا بها ودفنوها مع جثته .

وكتب أحمد باشا مكتوباً الى محمد باشا يعلمه بصورة الواقعة ، ويستعجله للحضور .

وكذلك المحروقي وسعيد أغا ، أرسل كل واحد مكتوباً بمعنى ذلك ، وظنوا تمام النصف !

ولما نهبوا بيته ، نهبوا ما جاوره من دور الناس من الجبانية الى ضلع السمكة الى درب الجمايز . ثم ان أحمد باشا أحضر المشايخ ، وأعلمهم بما وقع ، وأمرهم بالذهاب الى محمد على ، ويخطبوه بأن يدعن الى الطاعة .

فلما ذهبوا اليه وخطبوه في ذلك ، أجاب بأن أحمد باشا لم يكن والياً على مصر .. بل انما هو والى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وليس له علاقة بمصر . وأنا كنت الذى وليت طاهر باشا لكونه محافظ الديار المصرية من طرف الدولة ، وله شبهة في الجملة . وأما أحمد باشا فليس له جرة ولا شبهة .. فهو يخرج خارج البلد ، ويأخذ معه الانكشارية ، ونجهزه ويسافر الى ولايته . فقاموا من عنده على ذلك ، واستمر الانكشارية على ما هم عليه من النهب ، وتتبع الأرثوود ، وتحزبوا وتسلاحوا ، وعملوا متاريس علو جهاتهم ونواحيهم الى آخر النهار .

فنادوا على الناس بالسهر والتحفظ ، والدكاكين تفتح ، والقناديل تعلق . وبات الناس على تحوف .

٥ منه (٢٧ مايو ١٨٠٣ م)

مر الوالى والأغا بنادون بالأمان برسم حكم أحمد باشا . ثم ان أحمد باشا أرسل أوراكا الى المشايخ بالحضور . فذهبوا اليه ، فقال لهم :

« أريد منكم أن تجمعوا الناس والرعية ، وتأمرهم بالخروج على الأرثوود وقتلهم ! » . فقالوا : « سمعنا وطاعة » . وأخذوا في القيام . فقال لهم : « لا تذهبوا ، وكونوا عندى ، وأرسلوا للناس كما أمرتكم » . فقالوا له : « ان عادتنا أن يكون جلوسنا في المهمات بالجامع الأزهر ، ونجتمع به ، ونرسل الى الرعية . فانهم عند ذلك لا يخالفون » . وكان مصطفى أغا الوكيل حاضراً ، فراددهم في ذلك ، وعرف منهم الانفكاك ... فلم يزالوا حتى تخلصوا وخرجوا .

وكان أحمد باشا أرسل أحضر الدفتردار ويوسف كتحدا الباشا ، وعبد الله أفندى رامز الروزنامجى ، وغالب أكابر العثمانية .

ومصطفى أغا الوكيل كان مرهوناً عند شيخ السادات — كما تقدم — فعندما سمع بقتل طاهر باشا ، ركب بجياعته وأهفته ، وأخذ معه عدة من الانكشارية وذهب الى عند أحمد باشا ، ووقف بين يديه يعاضده وبقويه .

وأما محمد على والأرثوود ، فانهم مالكون القلعة الكبيرة ، ويجمعون أمرهم ، ويراسلون الأمراء .

فلما أصبح ذلك اليوم ، عدى الكثير من الممالك والكشاف الى بر مصر ، ومروا في الأسواق . وعدى أيضاً محمد على وقابلهم في بر الجيزة ورجع ، وعدى الكثير منهم من ناحية آبابة ، ومعهم عربان كثيرة ، وساروا الى جهة خارج باب النصر وباب الفتوح ، وأقاموا هناك .

وأرسل ابراهيم بيك ورقة الى أحمد باشا يقول فيها : « انه بلغنا موت المرحوم طاهر باشا ، عليه الرحمة والرضوان . فاتمم تكونون مع أتباعكم الأرثوود حالا واحداً ، ولا تتدخلوا مع الانكشارية » .

فلما كانت ضحوة النهار ، ذهب جماعة من الانكشارية الى جهة الرميّة . فضربوا عليهم من القلعة مدافع ... فولوا ، وذهبوا . ثم بعد حصّة ضربوا أيضا عدة مدافع متراصة على جهة بيت أحمد باشا — وكان ساكنا في بيت على بيك الكبير بالداودية — فعند ذلك أخذ أمره في الانحلال ، وتفرق عنه غالب الانكشارية البلدية .

ووافق أن المشايخ لما خرجوا من عنده وركبوا ، لم يزلوا سائرين الى أن وصلوا جامع الغورية ، فنزلوا به وجلسوا ، وهم في حيرة متفكرين فيما يصنعون . فعند ما سمعوا صوت المدافع ، قاموا وتفرقوا وذهبوا الى بيوتهم .

ثم ان ابراهيم بيك أرسل ورقة الى أحمد باشا — قبيل العصر — يأمره فيها بتسليم الذين قتلوا طاهر باشا ، وبخرج الى خارج البلد ، ومعه مهلة الى حادى عشر ساعة من النهار ، ولا يقيم الى الليل .. وان خالف فلا يلومن الا نفسه !

فلما رأى حال نفسه مضحلا ، لم يجد بدا من الامتثال .. الا أنه لم يجد جمالا يحمل عليها أثقاله ، فقال للرسول : « سلم عليه ، وقل له يرسل لى جمالا ، وأنا أخرج . وأما تسليم القتالين . فلا يمكن » فقال له : « أما حضور الحال .. فغير متيسر في هذا الوقت لبعده المسافة » فقال له : « وكف بكون العمل ؟ » . فقال : « بركب حضرتكم .. ويخرج . ووقت ما حضرت الجمال الليلة أو غدا ... حملت الأثقال ولحقتكم خارج البلد » .

فعند ذلك قام ، وركب وقت العصر ، وتفرق من كان معه من أعيان العثمانية مثل : الدفتردار ، وكتخدا بيك ، والروزنامجى ، وذهبوا الى محمد على والتجأوا اليه . فأظهر لهم البشر والقبول : وخرج أحمد باشا في حالة شنيعة ، وأتباعه

مشاة بين يديه ... وهم يعدون في مشيهم ، وعلى اكتافهم وسائد وأمتعة خفيفة . فعند ما خرج من البيت ، دخل الأرثوود ونهبوا جميع مافيه ولم يزل سائرا حتى خرج من المدينة من باب الفتوح ، فوجد العسكر والعربان وبعض كشاف وممالك مصرية محدقة بالطرق ، فدخل مع الانكشارية الى قلعة الظاهر ، وأغلقوها عليهم . وخرج خلفهم عدة وافرة من الأرثوود والكشاف المصرية والعرب والغز ، وأحاطوا بهم ، وأقاموا على ذلك تلك الليلة .

وبعد العشاء ، مر الوالى وأمامه المناداة بالأمان حسب ما رسم ابراهيم بيك حاكم الولاية وأفندينا محمد على .

فكانت مدة الولاية لأحمد باشا يوما وليلة لا غير !

وفى ذلك اليوم : نهبوا بيت يوسف كتخدا بيك ، وأخرجوا منه أشياء كثيرة ... أخذ ذلك جميعه الأرثوود .

٦ منه (٢٨ مايو ١٨٠٣ م) :

ركب المشايخ والأعيان ، وعدوا الى بر الجيزة ، وسلموا على ابراهيم بيك والأمراء .

وفيه : استأذن الدفتردار وكتخدا بيك ، محمد على في الإقامة عنده أو الذهاب . فأذن لهما بالتوجه الى بيوتهما . فركبا قبيل الظهر ، وسارا الى بيت الدفتردار — وهو بيت البارودى — فدخل كتخدا بيك مع الدفتردار لعلمه بنه بيته . فنزلا وجلسا مقدار ساعة ... واذا بجماعة من كبار الأرثوود ، ومعهم عدة من العسكر ، وصلوا اليهما . وعند دخولهم طلبوا المشاعلى من بيت على أغا الشعراوى — وهو تجاه بيت البارودى — فلم يجدوه فذهب معهم رفيق له ، وليس معه سلاح ، فدخلوا الدار وأغلقوا الباب . وعلم أهل الخطة

مرادهم ، فاجتمع الكثير من الأوباش والجميعة
والعسكر خارج الدار يريدون النهب !

ولما دخلوا عليهما ، قبضوا أولا على الدفتردار
وشلحوه من ثيابه وهو يقول : « عيتر ! » .
وأصابه بعضهم بضربة على يده اليمنى ، وأخرجوه
الى فسحة المكان ، وقطعوا رأسه بعد ضربات ،
وهو يصيح مع كل ضربة ، لكون المشاعلى لا يحسن
الضرب ولم يكن معه سلاح ! بل ضربه بسلاح
بعض العسكر الحاضرين . ثم فعلوا ذلك بيوسف
كتخدأ بيك — وهو ساكت لم يتكلم ! — وأخذوا
الرأسين وتركوهما مرميين ، وخرجوا بعد ما نهبوا
ما وجدوه من الثياب والأمتعة بالمكان ، وكذلك
ثياب أتباعهم . وخرج أتباعهم فى أسوأ حال يطلبون
النجاة بأرواحهم ، ومنهم من هرب وطلع الى حريم
البارودى الساكنات فى البيت . وصرخ النساء
وانزعجن . وكانت الست نفيسة المرادية فى ذلك
المنزل أيضا فى تلك الأيام ... فعندما رأت وصول
الجماعة ، أرسلت الى سليم كاشف المحرمجى ،
فحضر فى ذلك الوقت . فكلمته فى أن يتلافى الأمر ،
فوجده قد تم . فخرج بعد خروجهم بالرأسين ،
فظن الناس أنها فعلته .

ثم حضر محمد على فى أثر ذلك ، وطرد الناس
المجتمعين للنهب ، وختم على المكان ، وركب الى
داره .

ثم ان على أغا الشعراوى استأذن محمد على
فى دفنهما .. فأذن له ، فأعطى شخصا ستمائة نصف
فضة لتجهيزهما وتكفينهما ، فأخذها وأعطى منها
لآخر مائتين نصف لا غير . فأخذها وذهب فوضعهما
فى تابوت واحد من غير رؤوس — وكانوا ذهبوا
برؤوسهما الى الأمراء بالجيزة ، ولم يردوهما ، ولم
يدفنا معهما — ثم رفعهما بالتابوت الى مiazza جامع
السلطان شاه المجاور للمكان — وهو مكان قدر

— فغسلهما وكفنهما فى كفن حقير ، ودفنهما فى
حفرة تحت حائط بتربة الأربكية من غير رؤوس ..
فهذا ما كان من أمرهما .

وأما الذين فى قلعة الظاهر . فانهم انحصروا ،
وأحاط بهم الأرثوود والغز والعربان ، وليس عندهم
ما يأكلون ، ولا ما يشربون . فصاروا يرمون
عليهم من السور ، القرايين والبارود ، وهم كذلك
يرمون عليهم من أسفل ، وجمعوا أتربة وعملوها
كيمافا عالية ، وصاروا يرمون عليهم منها كذلك
بقية نهار الجمعة . وليلة السبت اشتد الحرب
بينهم بطول الليل .

وفى الصباح ، أنزلوا من القلعة مدافع كبارا
وبنية وجبخانة وأسدوها على التاول ، وضربوا
عليهم الى قبيل العصر . فعند ذلك طلبوا الأمان ،
وفتحوا باب القلعة . وخرج أحمد باشا وصحبته
شخصان ، وهما اللذان قتلا طاهر باشا ، فأخذوهم
وعدوا بهم الى الجيزة .. وبطل الحرب والرمى ،
وبقى طائفة الانكشارية داخل القلعة وحولهم
العساكر .

فلما ذهبوا بهم الى الجيزة ، أرسلوا أحمد باشا
الى قصر العينى ، وأبقوا الاثنين — وهما : اسماعيل
أغا ، وموسى أغا — بالقصر الذى بالجيزة .

وفودى بالأمان للرعية حسب ما رسم ابراهيم
بيك وعثمان بيك البرديسى ومحمد على .

٧ منه (٢٩ مايو ١٨٠٣ م) :

حضر أحمد بيك أخو محمد على الى جهة خان
الخليلى لاجراء التفتيش على منهوبات الأرثوود
التي نهبا الانكشارية ، وأودعوها عند أصحابهم
الأتراك . وفتحوا عدة حوانيت وقهاوى وأماكن ،
وأخذوا ما فيها ، وأجلسوا طوائف من عسكر
الأرثوود على الخانات والوكائل والأماكن ، وشلحو
ناسا كثيرة من ثيابهم ، وربما قتلوا من عصى عليهم .

وقلدوه والى الشرطة . ولبسوا محمد المعروف بالبرديسى كتحدا قائد أغا ، وجعلوه محتسبا . وشق كل منهم بالمدينة وأمامه المناداة بالأمن والأمان ، والبيع والشراء .

وفيه : أخرجوا الانكشارية الذين بقلعة الظاهر ، وسفروهم الى جهة الصالحية ، وصنحتهم كاشفان وطائفة من العرب ، بعدما أخذوا سلاحهم ومتاعهم ، بل وشملحوهم ثيابهم ، والذي بقى لهم بعد ذلك ، أخذته العرب . وذهبوا فى أسوأ حال ، وأنحس بال ، وهم نحو الخمسمائة انسان . ومنهم من التجأ الى بعض الممالك والغز . فستر عليه ، وغير هيئته ، وجعله من أتباعه . وكذلك الانكشارية الذين كانوا مخفيين ، التجأوا الى الممالك ، واتموا اليهم وخدموهم ... فسبحان بقلب الأحوال !

وحضر سليم كاشف المحرمجى ، وسكن بقلعة الظاهر ، وكتب الى اقليم القليوبية أوراقا ، وقرر على كل بلد ألف ريال ، ومن كل صنف من الأصناف سبعين ، مثل : سبعين خاروف ، وسبعين رطل سمن ، وسبعين رطل بن ، وسبعين فرخة .. وهكذا ! وحق طريق المعين لقبض ذلك ، خمسة وعشرين ألف فضة من كل بلد .

١١ منه (٢ يونية ١٨٠٣ م) :

حضر محمد على ، وعبد الله افندى رامز الروزنامجى ، ورضوان كتحدا ابراهيم بيك ، الى بيت الذفتردار المقتول ، وضبطوا تركته . فوجد عنده نقود ثلثمائة كيس ، وقيمة عروض وجواهر وغيرها نحو ألف كيس .

وفية : أرسل ابراهيم بيك فجمع الأعيان والوجاقلية ، وأبرز لهم فرمانات وجدوها عند الذفتردار المقتول ... مضمونها تقاريرات مثالم ، منها : أن الممالك المصرية كانوا أحدثوا على الفلال التى تباع الى بحر برا عن كل أردب

فتخوف أهل خان الخليلي ومن جاورهم . واستمر الأرثوود كلما مرت بهم طائفة ، ووجدوا شخصا فى أى جهة فيه شبه ما بالأتراك ... قبضوا عليه وأخذوا ثيابه ، وخصوصا ان وجدوا شيئا معه من السلاح أو سكين . فتوقى أكثر الناس ، وانكفوا عن المرور فى أسواق المدينة . فضلا عن الجهات البرائية .

وفيه : كثر مرور الغز والكشاف المصرية ، وترددوا الى المدينة وعلى أكتافهم البنادق والقراييز ، وخلفهم الممالك والعربان . فيذهبون الى بيوتهم ويبيتون بها . ويدخلون الحمامات ، ويغيرون ثيابهم ، ويعودون الى بر الجيزة . وبعضهم أمامه المناداة بالأمان عند مروره بوسط المدينة .

وفيه : كتبت أوراق بطلب دراهم فردة على البلاد المنوفية والغربية ، كل بلد ألف ريال ، وذلك خلاف مضاف العرب وكلفهم .

٩ منه (٣١ مايو ١٨٠٣ م) :

قتلوا شخصا بباب الخرق ، يقال انه كان من أكبر المتحزين على الأرثوود ، وجمع منهوبات كثيرة .

وفيه أيضا : قتلوا اسماعيل أغا وموسى أغا ، وهما اللذان كانا قتلا طاهر باشا . وتقدم أنهم كانوا أخذوهما بالأمان صحبة أحمد باشا فأرسلوا أحمد باشا الى قصر العيني ، وبقي الاثنان بقصر الجيزة فأخذوهما وعدوا بهما الى البر الآخر ، وقطعوا رأسيهما عند الناصرية ، وأخذوا الرأسين وذهبوا بهما الى زوجة طاهر باشا بالشيخونية . ثم طلعهما الى أخى طاهر باشا بالقلعة .

وفيه : تقلد سليم أغا — أغات مستحفظان سابقا — الأغاوية كما كان . وركب وشق المدينة بأعوانه ، وأمامه جماعة من العسكر الأرثوود . ولبسوا أيضا حسين أغا أمين خزنة مراد بيك ،

أكابر الأرثوود وأعيانهم وعساكرهم بعزالهم ومتاعهم وما جمعوه من المنهوبات ، وهو شئ كثير جدا ، وسلموا القلعة الى الأمراء المصرية . وطلع أحمد بيك الكلارجى الى باب الانكشارية ، وأقام به ، وعبد الرحمن بيك ابراهيم الى باب العزب ، وسليم أغا مستحفظان الى القصر .

فعند ذلك اطمأن الناس بنزولهم من القلعة . فانهم كانوا على تخوف من اقامتهم بها ، وكثر فيهم اللغظ بسبب ذلك .

فلم يزل الأمراء يدبرون أمرهم حتى أنزلوهم منها ، وبقي بها طائفة من الأرثوود ، وعليهم كبير يقال له : حسين قبطان .

وفيه : ورد الخبر أن محمد باشا لما قربت منه العساكر التى كان أرسلها له طاهر باشا ، ارتحل الى دمياط كما تقدم .

محبوب . فيقرر ذلك ، بحيث يتحصل من ذلك للخبزينة العامرة عشرة آلاف كيس فى السنة . فان نقصت عن ذلك القدر ، أضر ذلك بالخبزينة

ومنها : تقرير المليون الذى كان قرره الفرنسيين على أهالى مصر فى آخر مدتهم ، ويوزع ذلك على الرؤوس والدور والعقار والأملأك .

ومنها : أن الحلوان عن المحلول ثلاث سنوات . ومنها : أنه يحسب المضاف والبرانى الى ميرى البلاد .. وغير ذلك .

١٢ منه (٣ يونية ١٨٠٣ م) :

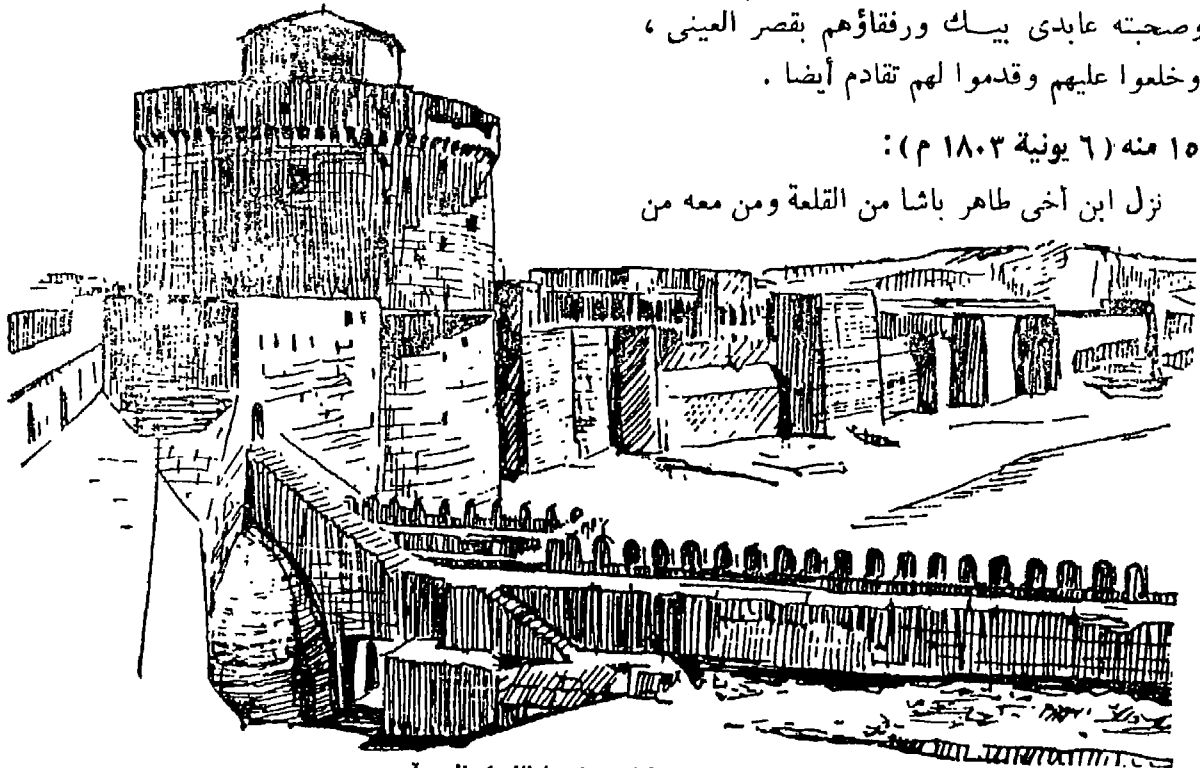
عمل عثمان بيك البرديسى عزومة بقصر العينى ، وحضر ابراهيم بيك والأمراء ومحمد على ورفقاؤه . وبعد انقضاء العزومة ، ألبسوا محمد على ورفقاه خلعا ، وقدموا لهم تقادم .

١٣ منه (٤ يونية ١٨٠٣ م) :

عملوا عزومة لابن أخى طاهر باشا المقيم بالقلعة ، وصحبته عابدى بيك ورفقاؤهم بقصر العينى ، وخلصوا عليهم وقدموا لهم تقادم أيضا .

١٥ منه (٦ يونية ١٨٠٣ م) :

نزل ابن أخى طاهر باشا من القلعة ومن معه من



القلعة بعد اخلائها وتسليمها للأمراء المصرية

١٦ منه (٧ يونية ١٨٠٣ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية مؤرخة في منتصف محرم ، وفيها الأخبار باستيلاء الوهابيين على مكة في يوم عاشوراء ، وأن الشريف غالب أحرق داره وارتحل الى جدة ، وأن الحجاج أقاموا بمكة ثمانية أيام زيادة عن المعتاد بسبب الارتباك قبل حصول الوهابيين بمكة ، ومراعاة للشريف ، حتى نقل متاعه الى جدة . ثم ارتحل الحجاج ، وخرجوا من مكة طالين زيارة المدينة . فدخل الوهابيون بعد ارتحال الحج بيومين .

١٨ منه (٩ يونية ١٨٠٣ م) :

أخرجوا باقى الانكشارية والدلاة والسجبان ، وكانوا مجتمعين بمصر القديمة ، فتضرر منهم المارة وأهل تلك الجهة بسبب قبائحهم وخطفهم أمتعة الناس بل وقتلهم . وكان تجمعهم على أن يذهبوا الى جهة الصعيد ، ويلتفون على حسن باشا بجرجا ، وينضمون اليه والى من بناحية الصعيد من أجناسهم . فذهب منهم من أخبر الأمراء المصرية بذلك ، فضبطوا عليهم الطرق .

واتفق أن جماعة منهم وقفوا لبعض الفلاحين المارين بالبطيخ والخضار ، فحجزوهم ، وطلبوا منهم دراهم . فمر بهم بعض ممالك من أتباع البرديسى ، فاستجار بهم الفلاحون ، فكلموهم .. فتشاحنوا معهم ، وسحبوا على بعضهم السلاح ، فقتل ملوك منهم . فذهبوا الى سيدهم وأعلموه . فأرسل الى ابراهيم بك . فركب الى العرضى ناحية بولاق التكرور ، وترك مكانه بقصر الجيرة محمد بك بشتك وكيل الألفى . وشركوا عليهم الطرق ، وأمرهم بالركوب والخروج من مصر الى جهة الشام والحق بجماعتهم فركبوا من هناك ، ومروا على ناحية الجبل من خلف القلعة الى جهة العادلية ، وأمامهم وخلفهم بعض الأمراء المصرية ،

ومعهم مدفعان وهم نحو ألف وخمسمائة وأزيد . فلما خرجوا وتوسطوا البرية عروا الكثير منهم ومن المتخلفين والمتأخرين عنهم ، وأخذوا أسلحتهم ، وقتلوا كثيرا منهم . ورجع الممالك ومعهم الكثير من بنادقهم وسلاحهم ، يحملونه معهم ومع خدامهم . فلما رجع الممالك بهذه الصورة ، ووقف العسكر الأرثوودية على أبواب المدينة ... انزعج الناس كعادتهم في كرشاتهم ، وأغلقوا الدكاكين . وعين للسفر معهم حسين كاشف الألفى ، يذهب معهم الى القنطرة . ونودى في عصرته بالأمان ، وخروج من تخلف من الانكشارية ، وكل من وجد منهم بعد ثلاثة أيام ... فدمه وماله هدر .

٢١ منه (١٢ يونية ١٨٠٣ م) :

مر الوالى والمناداة أمامه على الأتراك الانكشارية والبشناق والسجبان بالخروج من مصر ، والتحذير لمن آواهم أو ثاواهم . وكلما صادف في طريقه شخصا من الأتراك قبض عليه ، وسأله عن تخلفه ، فيقول : « أنا من المتسبين والمتأهلين من زمان بمصر » . فيطلب منه بيعة على ذلك ، ويستلمه عسكر الأرثوود ، فيودعونه في مكان مع أمثاله ، حتى تحققوا أمره .

وفيه : مر بعض الممالك بجهة الميدان ناحية باب الشعرية ، فصادفوا جماعة من العسكر المذكورين يحملون متاعا لهم . فاشتبكوا بهم ، وأرادوا أخذ سلاحهم ومتاعهم ... فمانعهم ، وتضاربوا معهم ، فقتل بينهم شخصان من الانكشارية ، وشخصان من الممالك : أحدهما فرنساوى .

وفيه : حضر أيضا ثلاثة من الممالك الى وكالة الصاغة الى رجل رومى طبرى وسأله عن جوارى سود عنده لمحمد باشا ، وأنهم يطلبونهن لعثمان بك البرديسى . فأنكر ذلك ، وشهد جيرانه أنهم

٢١ منه (١٢ يونية ١٨٠٣ م) :

حضر الشريف عبدالله بن سرور ، وصحبته بعض أقاربه من شرفاء مكة وأتباعهم نحو ستين نفرا ، وأخبروا أنهم خرجوا من مكة مع الحجاج ، وأن عبد العزيز بن سعود الوهابي دخل الى مكة من غير حرب ، وولى الشريف عبد المعين أميرا على مكة والشيخ عقيل قاضيا ، وأنه هدم قبة زمزم والقباب التي حول الكعبة والأبنية التي أعلى من الكعبة .. وذلك بعد أن عقد مجلسا بالحرم ، وبأحتمهم على ما الناس عليه من البدع والمحرمات المخالفة للكتاب والسنة . وأخبروا أن الشريف غالب وشريف باشا ذهبا الى جدة وتحصنا بها ، وأنهم فارقوا الحجاج في الجديدة .

وفيه : كتبوا عرضحالين : أحدهما بصورة ما وقع لمحمد باشا مع العساكر ، ثم قيام الانكشارية وقتلهم لطاهر باشا ، ثم كرة الأرثوود على الانكشارية لما أثاروا الفتنة مع أحمد باشا ، حتى اختلت أحوال المدينة ، وكاد يعمها الخراب ... لولا قرب الأمراء المصرية وحضورهم . فسكنوا الفتنة ، وكفوا أبدي المعتدين . والثاني يتضمن رفع الاحداثات التي في ضمن الأوامر التي كانت مع الدفتردار ، التي تقدمت الاشارة اليها .

وفيه : عزم الأمراء على التوجه الى جهة بحرى . فقصد البرديسى ، وصحبته محمد ييك — تابع محمد ييك المنفوخ — جهة دمياط ومعهم محمد على وعلى ييك أيوب وغيرهم ، وصحبتهم الجم الكثير من العساكر والعربان ، ولم يتخلف الا ابراهيم ييك وأتباعه والحكام . وسافر سليمان كاشف البواب الى جهة رشيد وصحته عساكر أيضا .

٢٣ منه (١٤ يونية ١٨٠٣ م) :

فيه عدى الكثير الى البر الشرقى .



... فزعوا عليه وطرذوه ، وذهبوا بالجوارى

ملكه ، واشتراهن ليتجر فيهن . فلم يزلوا حتى أخذوا منه ثلاثا على سوم الشراء ، وذهب معهم . فلما بعدوا عن الجهة .. فزعوا عليه وطرذوه . وذهبوا بالجوارى !

فذهب ذلك الططرى الى محمد على ، فأرسل الى البرديسى ورقة بطلب الجوارى أو ثمنهن . ففحص عنهن حتى ردهن الى صاحبهن .

وفيه : حضر أيضا جماعة من الممالك الى بيت عثمان أفندى بجوار ضريح الشيخ الشعرائى — وهو من كتبة ديوان محمد باشا — فأخذوا خيله وسلاحه ومتاعه التي بأسفل الدار .

١٩ منه (١٠ يونية ١٨٠٣ م) :

نهبوا أيضا دار أحمد أفندى الذى كان شهر حوالة وكاشف الشرقية في العام الماضى . فأخذوا بجميع ما عنده حتى ثيابه التي على بدنه ، وقتلوا خادمه على باب داره ... قتله الوالى ، زاعما أنه هو الذى دل عليه !

٢٠ منه (١١ يونية ١٨٠٣ م) :

مر سليم أغا وأمامه المنادة على الأغراب الشوام والخلبية والرومية يجتمعون بالجمالية يوم تاريخه . فلم يجتمع منهم أحد .

٢٥ منه (١٦ يونية ١٨٠٢ م) :

قدم جاويز الحجاج بمكاتيب العقبة ، وأخبروا بموت الكثير من الناس بالحمى والاسهال ، وحصل لهم تعب شديد من الغلاء أيضا ، ذهابا وإيابا . ومات الشيخ أحمد العرشي الحنفى ودفن بنبط ، ومات أيضا محمد افندى باش جاجرت ودفن بالينبع . والشيخ على الخياط الشافعى .

وفيه : عدى ابراهيم بيك الى قصر العينى ، وركب مع البرديسى الى جهة الحلى ، وودعه ، ورجع الى قصر العينى فأقام به ، وجلس ابنه مرزوق بيك فى مضرب النشاب . واستمر وكيل الألفى مقيما بقصر الجيزة .

وفيه : وردت الأخبار بأن محمد باشا لما ارتحل من المنصورة الى دمياط ، أبقى بفارسكور ابراهيم باشا ومملوكه سليم ، كاشف المنوفية ، بعدة من المسكر ، فتحصنوا بها . فلما حضر اليهم حسن بيك أخو طاهر باشا بالعساكر ، تحاربوا معهم وملكوا منهم فارسكور ، فنهبوا وأحرقوها ، وفسقوا بنسائها ، وفعلوا ما لا خير فيه . وقتل سليم كاشف المنوفية المذكور أيضا .

ثم ان بعض أكابر المسكر المنهزمين أرسل الى حسن بيك يطلب منه أمانا - وكان ذلك خديعة منهم - فأرسل لهم أمانا . فحضروا اليه وانضموا لمسكره ، وسهلوا له أمر محمد باشا ، وأنه فى قلة وضعف ... وهم مع ذلك يرسلون أصحابهم ، ويشيرون عليهم بالعودة والتثبت ... الى أن عادوا وتأهبوا للحرب ثانيا . وخرج اليهم حسن بيك بعساكره ، وخلفه المنضافون اليه من أولئك ، فلما أن نشبت الحرب بينهم ، أخذوهم بواسطة ... فأخذوهم . ووقعت فيهم مقتلة عظيمة ، وانهزموا الى فارسكور ، فتلقاهم أهل البلدة ، وكمّلوا قتلهم ، ونزلوا عليهم بالنبايت والمساوق والحجارة .. جزاء لما فعلوه معهم ، حتى اشتقوا

منهم . ولم ينج منهم الا من كان فى عزوة أو هرب الى جهة أخرى . وحضر الكثير منهم الى مصر فى أسوأ حال .

وفى يوم الجمعة والسبت حضر الكثير من حجاج المغاربة ، وصحبهم مصاروة وفلاحون كثيرة .

٢٨ منه (١٩ يونية ١٨٠٢ م) :

فيه : حضرت مكاتبة من الديار الرومية على يد شخص يسمى صالح أفندى الى سكندرية . فأرسل خورشيد أفندى حاكم الاسكندرية يستأذن فى حضوره بمكاتبة على يد راشته (١) فنصل النيسا . فذهب راشته الى ابراهيم بيك ، وأخبره وأطلعته على المکتوب الذى حضر له . فبعد ساعة وصل الخبر بوصول صالح افندى المذكور الى بولاق فأرسل ابراهيم بيك رضوان كتحدا وأحمد بيك الأرثوودى ، وأمرهما بأن يأخذا ما معه من الأوراق ويأمرآ بالرجوع بغير مهلة ، ولا يدعاه يطلع الى البر .. ففعل ذلك .

ومضمون مافى تلك الأوراق خطاب لطاهر باشا « وأنه بلغنا ما حصل من محمد باشا من الجور والظلم وقطع علوفات المسكر ، وأنهم قاموا عليه وأخرجوه ... وهذه عادة العساكر اذا انقطعت علوفاتهم . وأنا وجهنا له ولاية سنانيك (٢) ، وأن طاهر باشا يستمر على المحافظة ، وأحمد باشا قائمقام الى أن يأتى المتولى » . وخطاب لمحمد باشا بمعنى ذلك .

والسر فى تقليد أحمد باشا قائمقام - دون طاهر باشا - أن طاهر باشا أرثوودى وليس له الاطوخان . ومن قواعدهم القديمة أنهم لا يقلدون الأرثوود ثلاثة أطواخ أبدا .

(١) Rossetti كان هو والحرونى من اصحاب النفوذ فى القاهرة بعد خسرو باشا ، وكانا بكرهان فرنسا ، والمداء - مع ذلك - مستحكم بينهما
(٢) دكتور فؤاد عسكر - مصر فى القرن التاسع عشر - ص ١٤١
(٣) سلونيك .

وفيه : دخل الكثير من الحجاج آخر النهار
وفي الليل .

٢٩ منه (٢٠ يونية ١٨٠٣ م) :

دخل الجَم الغفير من الحجاج ، ومات الكثير
من الداخلين في ذلك اليوم ، وكثير مرضى . وحصل
لهم مشقة عظيمة ، وشوب وغلاء . وخصوصا بعد
مجاوزتهم العقبة . وبلغت الشربة الماء ديناراً ،
والبطيخة دينارين !

وكان حجاج كثير ، وأكثرهم أوباش الناس من
الفلاحين والنساء وغير ذلك !

وخرج سليم أغا مستحفظان ، وصحبته جماعة
من الانكشارية والكشاف والأجناد والعسكر ،
فاستلموا المحمل من أمير الحج ، وأمره بأن
لا يدخل المدينة ، بل يقيم بالبركة حتى يحاسبوه .
ويسافر بمن معه من العسكر الى جهة الشام .
ثم رجعوا بالمحمل ودخلوا به المدينة وقت الظهر
على خلاف العادة .

وحضر صحبة الحجاج كثير من أهل مكة ،
هروبا من الوهابي . ولغظ الناس في خبر الوهابي ،
واختلفوا فيه . فمنهم من يجعله خارجياً وكافراً
— وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم —
ومنهم من يقول بخلاف ذلك ، لخلو غرضه .

وأرسل الى شيخ الركب المغربي كتاباً ، ومعه
وراق تتضمن دعوته وعقيدته ، وصورتها :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين . الحمد لله
نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ... من يهده الله فلا
مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن
لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله . من يطع الله ورسوله فقد رشد ،
ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولا يضر الا
نفسه ، ولن يضر الله شيئاً . وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .
» أما بعد . فقد قال الله تعالى : « قل هذه
سبيلي : أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ،
وسبحان الله وما أنا من المشركين » . وقال تعالى :
« قل ان كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم » . وقال تعالى : « وما آتاكم
الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال
تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم
نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً » . فأخبر
سبحانه أنه أكمل الدين ، وأتمه على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من
ربنا ، وترك البدع والتفرق والاختلاف . وقال
تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا
تبعوا من دونه أولياء .. قليلاً ما تذكرون » . وقال
تعالى : « وان هذا صراطي مستقيماً ، فاتبعوه ،
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ... ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون » . والرسول صلى الله عليه
وسلم قد أخبرنا أن أمته تأخذ ما أخذ القرون
قبلها : شبراً بشير ، وذراعاً بذراع .

« وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « لتبعن منن من كان قبلكم ،
حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه » ، قالوا : « يا رسول الله ... اليهود
والنصارى ؟ » . قال : « فمن ؟ » .

« وأخبر في الحديث الآخر ، أن أمته ستفترق
على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار الا واحدة .
قالوا : « من هي يا رسول الله ؟ » قال : « من
كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

« اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عنت به البلوى من
حوادث الأمور التي أعظمها : الاشرار بالله ، والتوجه
الى الموتى ، وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء
الحاجيات ، وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها
الا رب الأرض والسماوات ... وكذلك التقرب

« فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه — لا يشفع الا بأذن الله... لا يشفع ابتداء ، بل يأتي فيخر الله ساجدا ، فيحمده بحماد يعلمه اياها ، ثم يقال : « ارفع رأسك ، وسل ... تعط ، واشفع ... تشفع . ثم يجد له حدا فيدخلهم الجنة ... فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء ؟ »

« وهذا الذي ذكرناه ... لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين . بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ... ممن سلك سبيلهم ، ودرج على منهاجهم .

« وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها ، واسراجها ، والصلاة عندها ، واتخاذها أعيادا ، وجعل السدنة والنذور لها... فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته ، وحذر منها ... كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركون ، وحتى تعبد قنাম من أمتي الأولئان » .

« وهو — صلى الله عليه وسلم — حمى جناب التوحيد أعظم حماية ، وسد كل طريق يؤدي الى الشرك . فنهى أن يحصص القبر ، وأن يبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر . وثبت فيه أيضا : أنه بعث على ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وأمره لا يدع قبراً مشرفاً الا سواه ، ولا تمثالا الا طمسه . ولهذا قال غير واحد من العلماء : « يجب هدم القباب المبنية على القبور ، لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم » .

« فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل بهم الأمر الى أن

اليهم بالنذور وذبح القرбан ، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد ، وجلب الفوائد .. الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله . وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها . لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك ، ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا . كما قال تعالى : « فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار » . فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين الا ما كان خالصا لوجهه ، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ، ويشفعوا لهم عنده . وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار .

وقال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » . فأخبر أنه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة ، فقد عبدتهم واشرك به . وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه » . وقال تعالى : « فيومئذ لا نفع للذين ظلموا معذرتهم » . وقال تعالى : « يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » . وهو سبحانه وتعالى لا يرضى الا التوحيد ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون » .

« فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله . كما قال تعالى : « وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحدا » . وقال تعالى : « ولا تدع من دون الله مالا بنفك ولا يضرك ... فان فعلت ، فأنك اذا من الظالمين » .

عباد ، وكتاب « جمع الفضائل وقمع الرذائل » ،
وكتاب « مصايد الشيطان » .. وغير ذلك .

وفي ذلك اليوم : نودى على المتخلفين من
الانكشارية بالسفر صحبة أمير الحج ، وقبضوا
على أنفار منهم وأخرجوهم . ومنعوا أيضا حجاج
المغاربة من الدخول الى المدينة ، ومن دخل منهم
لأجل حاجة ، فليدخل من غير سلاح . فذهبوا الى
بولاق ، وأقاموا هناك .

٣٠ منه (٢١ يونية ١٨٠٣ م) :

مر الوالى بناحية الجمالية ، فوجد انسانا من
أكابر غزة ، يسمى على أغا شعبان ، حضر الى مصر
من جملة من حضر مع العرضى ، وكان مهندسا في
عمارة الباشا ، ثم عين لسد ترعة الفرعونية لمعرفته
بأمور الهندسة . فوجده جالسا على دكان يتنزّه
حصّة ، وفرسه وخدمه وقوف أمامه . فطلبه وأمره
بالركوب معه . فركب وذهب صحبته .. فكان آخر
العهد به !

وكان في جيبه ألف دينار ذهباً ... بإخبار أخيه ،
خلاف الورق ، فأخذ ثيابه وفرسه وما معه ، وخنقه
وأخفى أمره وأنكره . وكان رجلا لا بأس به .

ربيع الأول

السبت ٥ منه (٢٥ يونية ١٨٠٣ م) :

سافر أحمد باشا والعساكر الانكشارية الذين
جمعوهم من المدينة ، وسافر صحبتهم من العساكر
الذين كانوا صحبة أمير الحج ، والجميع كانوا
نحو ألفين وخمسمائة . وأما أمير الحج فانهم غفوا
عنه من السفر ، ودخل المدينة بخاصته .

وفي هذا اليوم : حضر على كئندا من جهة
قبلى — وهو كئندا حسن باشا والى جرجا —
ومعه مكاتبة الى الأمراء المصرية ، وأنه وصل الى
أسيوط . فكتبوا له أمانا بالحضور الى مصر بمن

كثرونا وقاتلونا ، واستحلوا دماءنا وأموالنا ..
حتى نصرنا الله عليهم وظفروا بهم . وهو الذى
ندعو الناس اليه ، ونقاتلهم عليه بعد ما تقيم عليهم
الحجة من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم ، واجماع السلف الصالح من الأمة ... ممثلين
لقوله سبحانه وتعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ، ويكون الدين لله » .

« فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان ، قاتلناه
بالسيف والسنان ، كما قال تعالى : « لقد أرسلنا
رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس
شديد ومنافع للناس » .

« وندعو الناس الى اقامة الصلوات فى الجماعات
على الوجه المشروع ، وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر
رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف
وننهى عن المنكر . كما قال تعالى : « الذين ان
مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،
وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر . والله عاقبة
الأمور » .. فهذا هو الذى نعتقده وندين الله به .
فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم ... له ما لنا
وعليه ما علينا .

« ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،
المتبعين للسنة ، لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لا تزال
طائفة من أمته على الحق منصوره ، لا يضرهم من
خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على
ذلك » .

أقول : ان كان كذلك .. فهذا ماندين الله به
نحن أيضا ، وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا
من المارقين والمتعصبين . فقد بسط الكلام فى ذلك
ابن القيم فى كتابه « اغاثة اللفهان » ، والحافظ
المقريزى فى « تجريد التوحيد » ، والامام البوسى
فى « شرح الكبرى » ، و « شرح الحكم » لابن

معه من العسكر ، ورجع على كتحدا بذلك في ثالى يومه فقط .

وفيه : ورد الخبر بوصول أنجد بيك الى ثغر دمياط بالريالة الى محمد باشا .

الأربعاء ٩ منه (٢٩ يونية ١٨٠٣ م) :

سافر الشريف عبد الله بن سرور الى سكندرية متوجها الى اسلامبول . وأنعم عليه ابراهيم بيك بخمسين ألف قضة .

الجمعة ١١ منه (اول يولية ١٨٠٣ م)

كان المولد النبوى ، ونادوا بفتح للدكاكين ووقود القناديل . فأوقدت الأسواق تلك الليلة ، واللييلة التى قبلها .. ولكن دون ذلك . وأما الأزبكية فلم يعمل بها وقدة الا قبالة بيت البكرى ، لاستيلاء الخراب عليها .

السبت ١٢ منه (٢ يولية ١٨٠٣ م)

سفروا جبخانه وجللا وبارودا الى جهة بحرى . وأشيع بأن كثيرا من العسكر المصحوبين بالتجريدة ذهبوا الى محمد باشا ، وكذلك طائفة من الانكشارية المطرودين الذين خلاصوا الى طريق دمياط .

الاثنين ١٤ منه (٤ يولية ١٨٠٣ م) :

وقع بين عثمان بيك البرديسى ومحمد باشا وعساكره مقتلة عظيمة ، وكانوا ملكوا منه متاريس



من المعركة

القنطرة البيضاء قبل ذلك ، ثم هجم المصريون في ذلك اليوم عليهم هجمة عظيمة ، وكبسوا على دمياط بمخامرة بعض رؤساء عساكر الباشا ، وفتكوا في عسكر الباشا بالقتل ، وقتلت خواصه وأتباعه ، وقتل حسين كتحدا شنن ومصطفى أغات التبديل ، ونهبوا دمياط ، وأسروا النساء ، واقتضوا الأبنكار ، وأخذوهن أسرى ، وصاروا يبيعونهن على بعضهم ، وفعلوا أفعالا شنيعة من الفسق والفجور ، وأخذوا حتى ما على أجساد الناس من الثياب ، ونهبوا الخانات والبيوت والوكائل وجميع أسباب التجار التى بها من أصناف البضائع الشامية والرومية والمصرية — وكان شيئا كثيرا يفوق الحصر — وما بالمراكب . حتى بيع الفرد الأرز الذى هو نصف أردب بثلاثة عشر نصفا ، وقيمته ألف نصف ، والكيس الحرير الذى قيمته خمسمائة ريال ، بريالين .. الى غير ذلك ، والأمر لله وحده .

والتجأ الباشا الى القرية ، وتترس بها . فأحاطوا به من كل جهة ، فطلب الأمان ، فأنموه . فنزل من القرية وحضر الى البرديسى وخطف عمامته ببعض العسكر . ولما رآه البرديسى ترجل عن مركوبه اليه ، وتمنى بالسلام عليه ، وألبسه عمامة ، وأنزله في خيمة بجانب خيمته متحفظا به . ولما وصل الخبر بذلك الى مصر ، ضربوا مدافع كثيرة من قصر العينى والقلعة والجيزة ومصر العتيقة . واستمر ذلك ثلاثة أيام بلياليها في كل وقت .

وفى عصريتها حضر «جوخدار» البرديسى — وهو الذى قتل حسين أغا شنن — وحكى بصورة الحال . فألبسه ابراهيم بيك فروة ، وأنعم عليه ببلاد المقتول وبيته وزوجته وأملاكه ، وجعله كاشف الغريبة . وذهب الى وكيل الألفى أيضا فخلع عليه فروة سمور ، وصار يدر الذهب في حال ركوبه .

الأربعاء ١٦ منه (٦ يولية ١٨٠٣ م) :

وردت مكاتبات من عثمان بك البرديسي بالخبر
بوقوع الحرب بينهم وبين محمد باشا وعساكره .

الجمعة ١٨ منه (٨ يولية ١٨٠٣ م) :

ذهب الجوخدار الي مقام الامام الشافعي ،
وأرخصي لحيته على عادتهم الي سنه البدينة ليغفيها
بعد ذلك من الحلق .

وفي ذلك اليوم : عمل ابراهيم بك ديوانا ببيت
ابنته بدرب الجماميز ، وحضر القاضي والمشايع ،
ولبس خلعة وتولى قائمقام مصر ، وضربت في بيته
النوبة التركية .

الاحد ٢٠ منه (١٠ يولية ١٨٠٣ م) :

ورد الخبر بوصول على باشا الطرابلسي الي
سكندرية واليا على مصر ، عوضا عن محمد باشا .
وحضر منه فرمان خطابا للامراء يعلمهم بوصوله ،
ويذكر لهم « أنه متولي على الأقطار المصرية عوضا
عن محمد باشا ، من اسكندرية الي أسوان . ولم
يلغ الدولة موت طاهر باشا ولا دخولكم الي
مصر ، ومعنا أوامر لطاهر باشا وأحمد باشا : أنهم
يتوجهون بالعساكر الي الحجاز بسبب الوهابيين .
فلما وصلنا الي سكندرية ، بلغنا موت طاهر باشا
وحضوركم الي المدينة بمعاونة الأرثوودية ، وقتل
رجال الدولة والانكشارية وقتل من معهم ، واخراج
من بقي على غير صورة ، الي غير ذلك .

« وهذا غير مناسب ، ولا نرضى لكم بهذا على
هذا الوجه ... فاننا نحب لكم الخير ، ولنا معكم
عشرة سابقة ومحبة أكيدة ، ونطلب راحتكم في
أوطالكم ، ونسعى لكم فيها على وجه جميل . وكان
المناسب أن لا تدخلوا المدينة الا باذن من الدولة .
فان تظاهركم بالخلاف والعصيان مما يوجب لكم
عدم الراحة ، فان سيف السلطنة طويل .. فربما
استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين
لا ملاقة لكم بهم » .

ثم قال لهم في ضمن ذلك : « ان لنا معكم بعض
كلام لا يحتمله الكتاب .. وعن قريب يأتيكم اثنان
من طرفنا عاقلان ، تعملون معهما مشاورة » .

فكتبوا له جوابا حاصله : أن محمد باشا لما كان
متوليا .. لم نزل نترجى مراحمه ، وهو لا يزداد
الا قسوة معنا ، ولا يسمح لنا بالاقامة بالقطر
المصري جملة . وجرّد علينا التجاريد والعساكر من
كل جهة ، وبنصرنا الله عليه في كل مرة ... الي أن
حصل بينه وبين عساكره وحشة بسبب جماكهم
وعلوفاتهم . فقاموا عليه وحاربوه ، وأخرجوه من
مصر بمعونة طاهر باشا . ثم قامت الانكشارية على
طاهر باشا وقتلوه ظلما ، وقامت
العساكر بعضهم على بعض .

وكنا حضرنا الي جهة الجيزة
باستدعاء طاهر باشا . فلما



منظر لفساطح دساح

قتل طاهر باشا ، بقيت المدينة رعية من غير راع ، وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم . فحضر اليها المشايخ والعلماء واختيارية الوجأقلية واستغاثوا بآء فأرسلنا من عندنا من ضبط العساكر وأمن المدينة والرعية . وأما محمد باشا ، فانه نزل الى دمياط ، وظلم البلاد والعباد ، وفرد عليها القرد الشاقة ، وحرقتها . فتوجه عثمان بك البرديسى لتأمين أهالى القرى ، الى أن وصل الى ظاهر دمياط فأقام بمن معه خارج المدينة .. فما يشعر الا ومحمد باشا صدمهم ليلا وحاربهم فحاربوه ، فنصرهم الله عليه ، وانهزمت عساكره وقبض عليه . وهو الآن عندنا فى الاعزاز والاكرام ، ونحن الآن على ذلك حتى يأتينا العفو !

وأما قولكم أننا نخرج من مصر .. فهذا لا يمكن ، ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من أوطانهم بعد استقرارهم فيها . وأما قولكم ان حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين . فأننا لا نستعين الا بالله ، وأنا أرسلنا عرضحال نطلب العفو ، وترجى الرضا .. ومنتظرون الجواب .

الثلاثاء ٢٢ منه (١٢ يولية ١٨٠٣ م) :

حضر واحد أغا ومعه آخر . فضربوا له مدافع ، وعملوا ديوانا ، وتكلم معهم ، وتكلم المشايخ الحاضرون فى ظلم العثمانيين وما أحدثوه من المظالم والمكوس ، واتفقوا على كتابة عرضحال الى الباشا . فكتبوا ذلك ، وأمضوا عليه ، ونادوا فى الأسواق برفع ما أحدثه الفرنساوية والعثمانية من المظالم وزيادة المكوس ودفعوا الى الأغا الواصل ألف ريال ... حق طريقه ، وسافر .

وفيه : وصل الخبر بأن سليمان كاشف لما وصل الى رشيد ، وبها جماعة من العثمانية . وحاكمها ابراهيم أفندى ، فلما بلغه وصول سليمان كاشف ،

أخلى له البلد ، وتحصن فى برج مغيزل . فعبر سليمان كاشف الى البلد ، وخرج يحاصر ابراهيم أفندى . فهم على ذلك .. واذا بالسيد على باشا القبطان وصل الى رشيد وأرسل الى سليمان كاشف يعلمه بحضوره وحضور على باشا والى مصر ، ويقول : « ما هذا الحصار ؟ » فقال له : « نحن نقاتل كل من كان من طرف حسين قبطان باشا .. وأما ماكان من طرف الوزير يوسف باشا فلا نقاتله » . وارتحل من رشيد الى الرحمانية ، ودخل السيد على القبطان الى رشيد .

الأربعاء ٢٣ منه (١٣ يولية ١٨٠٣ م) :

سافر جوخدار البرديسى الى ولاية الغربية ، وكان شاهين كاشف المرادى هناك يجمع الفرقة ، وتوجه الى طنتدا ، وعمل على أولاد الخادم ثمانين ألف ريال . فحضروا الى مصر — ومعهم مفاتيح مقام سيدى أحمد البدوى — هاربين ، وتشكوا وتظلموا ، وقالوا لابراهيم بك : « لم يبق عندنا شئ ، فان الفرنساوية نهبونا وأخذوا أموالنا ، ثم ان محمد باشا أرسل المحروقى فحفر دارنا ، وأخذ منا نحو ثلثمائة ألف ريال ، ولم يبق عندنا شئ ... جملة كافية » .

الثلاثاء ٢٩ منه (١٩ يولية ١٨٠٣ م) :

وصل محمد باشا الى ساحل بولاق وصحبته المحافظون عليه — وهم جماعة من عسكر الأرثوود الذين كانوا سابقا فى خدمته ، وجماعة من الأجناد المصرية — ولم يكن معه من أتباعه الا ستة ممالك فقط ... فان ممالكه المختصين به اختار منهم البرديسى من اختاره ، واقتسم باقيهم الأرثوود . ومنهم من يخدم الأرثوود المحافظين عليه .

ووافق أن ذلك اليوم كان جمع سيدى أحمد البدوى ببولاق على العادة ، فنصبوا له خيمة لطيفة بساحل البحر ، وطلع اليها فرأى جمع الناس فظن

هناك وسلم عليه . وحضر الألفى وباقي الأمراء
بجمعهم وخيولهم فترامحوا تحت القصر وتسابقوا
ولعبوا بالجريد . ثم طلع أكابرهم الى أعلى القصر
فصاروا يقبأون يد ابراهيم بيك فقط ، والباشا
جالس ، حتى تحلقوا حوالهما . ثم ان ابراهيم
بيك قدم له حصانا وقام وركب مع المحرمجي الى
بيت حسن كاشف بالناصرية . فسبحان المعز المذل
القهار !

الأربعاء غايته (٢٠ يولية ١٨٠٣ م) :
ركب ابراهيم بيك والألفى وذهبا الى الباشا
وسلما عليه في بيت البرديسى ، وهادياه بثياب
وأمتعة . وبعد أن كانوا يترجون عفوه ، ويتمنون
الرضا منه ، ويكونوا تحت حكمه .. صاز هو
يترجى عفوه ، ويؤمل رفدهم واحسانهم ، وبقي
تحت حكمهم ..

فالعياذ بالله من زوال النعم وقهر الرجال .

ربيع الآخر

٢ منه (٢٢ يولية ١٨٠٢ م) :
ضربت مدافع كثيرة بسبب اقامة بنديرة الانجليز
بمصر .

وفيه : عدى البرديسى من المنصورة الى البر
الغربى متوجها الى جهة رشيد .

٤ منه (٢٤ يولية ١٨٠٣ م) :
وردت هجانة من ناحية ينبع ، وأخبروا أن
الزهايين جلوا عن جدة ومكة بسبب أنهم جاءتهم
أخبار بأن العجم زحفوا على ابلادهم الدرعية ،
وملكوا بعضها والأوراق فيها خطاب من شريف
باشا وشريف مكة ... لظاهر باشا ، على ظن حياته .

٦ منه (٢٦ يولية ١٨٠٣ م) :
نادى الأغا والوالى بالأسواق على العشمانية



الخيمة اللطيفة ..

أنهم اجتمعوا للفرجة عليه فقال : « ما هذا ؟ »
فأخبروه بصورة الحال .

وكان ابراهيم بيك في ذلك اليوم حضر الى
بولاق ، ودخل الى بيت السيد عمر تقيب الأشراف
باستدعاء ، فجلس عنده ساعة ، ثم ركب الى ديوان
بولاق ، فنزل هناك ساعة أيضا ، ثم ركب الى بيته
بحارة عابدين .

فلما وصل الباشا ، كما ذكر ، حضر اليه سليم
كاشف، المحرمجي وأركبه حصانا ، وركب مماليكه
حميرا ، وذهبوا به الى بيت ابراهيم بيك بحارة
عابدين ، فوجدوا ابراهيم بيك طلع الى الحريم ،
فلم نزل اليه ولم تقابله فرجع به سليم كاشف
الى بيت حسن كاشف جركس - وهو بيت
البرديسى - فبات به .

فلما كان في الصباح ، ركب ابراهيم بيك الى
قصر العيني ، فركب المحرمجي وأخذ معه الباشا ،
وذهب به الى قصر العيني ، فقابل ابراهيم بيك

والأتراك والأغراب من الشوام والحلبية بالسفر والخروج من مصر ، فكل من وجد بعد ثلاثة أيام قدمه هدر . وأمروا عثمان بيك أمير الحاج بالسفر على جهة الشام من البر ، ويسافر المنادى عليهم صحبته ، وكذلك ابراهيم باشا .

٨ منه (٢٨ يولية ١٨٠٣ م) :

خرج عثمان بيك الى جهة المصادلية ، وخرج الكثير من أعيان العثمانية معه ، وتتابع خروجهم في كل يوم ، وصاروا يبيعون متاعهم وثيابهم .. وهم خزايا حيارى .. في أسوأ حال ، وأكثرهم متأهل ومتزوج . ومنهم من نهب وسلب ، وصار لا يملك شيئا !

فلما تكامل خروجهم وسافروا في عاشره ، وهم زيادة عن ألفين ، وبقي منهم أناس التجأوا الى بعض المصرية والانجليز . واتموا اليهم .

وفيه : وصلت الأخبار بأن البرديسى وصل الى رشيد ، وأن السيد على باشا ريس القبطانية تحصن ببرج مغيزل ، وغالب أهلها جلا عنها خوفا من مثل حادثة دمياط . ولما دخل عثمان بيك البرديسى الى رشيد ، فرد على أهلها مبلغ دراهم ، يقال ثمانين ألف ريال .

١٣ منه (٢ اغسطس ١٨٠٣ م) :

حضر قنصل الفرنسي ، فعملوا له شنكا ومدافع ، وأركبوه من بولاق بموكب جليل ، وقدمه أغاث الانكشارية والوالى وأكابر الكشاف وحسين كاشف المعروف بالأفرنجى وعساكره الذين مثل عسكر الفرنسيين ، وهيئته لم يتقدم مثلها بين المسلمين . ونصب بنديرته في بركة الأزبكية من ناحية قنطرة الدكة ، على صارى طويل مرتفع في الهواء .

واجتمع اليه كثير من النصارى الشوام والأقباط

وعملوا جمعيات وولائم ، وازدحموا على بابه . وحضر صحبته كثير من الذين هربوا عند دخول المسلمين مع الوزير ، وكان المحتفل بذلك حسين كاشف الأفرنجى .

١٨ منه (٧ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصلت مكاتبة من البرديسى الى ابراهيم بيك يخبر فيها : « أنه لما وصل الى رشيد وتحصن السيد على باشا بالبرج... أرسل اليه ، فبعث له حسن بيك — قرابة على باشا الطرابلسى الوالى — فتكلم معه وقال له : « ما المراد ؟ ان كان حضرة الباشا واليا على مصر فليأت على الشرط والقانون القديم ، ويقم معنا على الرحب والسعة ، وان كان خلاف ذلك فأخبرونا به .. الى أن انتهى الكلام بيننا وبينه على مهلة ثلاثة أيام ... ورجع . وانتظرنا بعد مضى الميعاد بساعتين ، فلم يأتنا منهم جواب . فضربنا عليهم في يوم واحد مائة وخسين قنطارا من البارود . وأنكم ترسلون لنا أعظم ما يكون عندكم في البنب والمدافع والبارود » .

فسهلوا المطلوب ، وأرسلوه في ثانى يوم صحبة حسين الأفرنجى ، وتراسل الطلب خلفه ، ولحقوا به عدة أيام .

٢٠ منه (٩ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصل حسن باشا — الذى كان والى جرجا — الى مصر العتيقة . فركب ابراهيم بيك للسلام عليه ، وحضر الطبقية الى جيخاته ، فأخذوها وطلعوا بها الى القلعة ، وكذلك الجمال أخذها الجمالة ، والعسكر ذهبوا الى رفقائهم الذين بمصر . وطولب بالمال ، واستمر بمصر العتيقة مستحفظا به من كل ناحية .

٢٥ منه (١٤ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وقعت نادرة ، وهى أن محمد باشا طلب من

الممالك المصرية أيقنوا ذلك ، وطلع الكثير منهم الى القلعة .

ولما دخل محمد باشا عند أحمد بيك ومن معه من أكابر الأرثوود ... قاموا في وجهه ، ووبخوه بالكلام ، وقبضوا عليه وعلى مماليكه ، وأخذوا ما وجدوه معهم من الدراهم . وكان في جيب الباشا خاصة ألف وخمسمائة دينار . وحضر سليم كاشف المجرمجي عند ذلك ، فسلموه له ، فأركبه الباشا أكديشا لأن فرسه أصيب بيارودة من بعض الممالك اللاحقين به وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بيك . وركب معه أحمد بيك أيضا ، وأخذوه الى عند ابراهيم بيك بقصر العيسى . فخلع ابراهيم بيك على أحمد بيك فروة سمور وقدم له حصانا بسرجه ، وسكنت الفتنة .. ونعوذ بالله من الغدلاى ومعاداة الزمان .

٢٦ منه (١٥ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وردت الأخبار ومكاتبة من البرديسى بنصرتهم على العثمانية ، واستيلائهم على برج رشيد بعد أن حاربوا عليه نيفا وعشرين يوما ، وأسروا السيد على القبطان وآخرين معه وعدة كثيرة من العسكر ، وأرسلوهم الى جهة الشرقية ليذهبوا على ناحية الشام ، بعد أن قتل منهم من قتل . فعند ذلك عملوا شنكا وضربوا مدافع كثيرة ، وكذلك فى ثانى يوم وثالث يوم .

سليم كاشف المجرمجي أن يأذن له فى أن يركب الى خارج الناصرية لقصد التفسح . فأرسل سليم كاشف يستأذن ابراهيم بيك فى ذلك ، فأذن له بأن يركب ويعمل رماحة ، ثم يأتى اليه بقصر العيسى فيتغدى عنده ثم يعود . وأوصى على ذبح أغنام ، ويعملون له كبابا وشواء .

فأركبه سليم كاشف بمماليكه وعدة من ممالك المجرمجي ، وصحبته ابراهيم باشا . فلما ركب وخرج الى خارج الناصرية ، أرسل جواده ورمحه ، وتبعه مماليكه من خلفه . فظن الممالك المصرية أنهم يعملون رماحة ومسابقة . فلما غابوا عن أعينهم ، ساقوا خلفهم .. ولم يزالوا سائقين الى الأزيكية وهو شاهر سيفه ، وكذلك بقية الطاردين والمطرودين . فدخل الى أحمد بيك الأرثوودى وضرب بعض الممالك فرسه بيارودة فسقط ، وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بيك المذكور ..

ووصل الخبر الى سليم كاشف ، فركب على مثل ذلك بياقى أتباعه ، وهم شاهرون السيوف ورامحون الخيول . واتصل الخبر بابراهيم بيك ، فأمر الكشاف بالركوب ، وأرسل الى البواقى بالطلوع الى القلعة وحفظ أطراف البلد .

فركب الجميع ، وتفرقوا رامحين وبأيديهم السيوف والبنادق . فانزعجت الناس ، وثرامحوا ، وأغلقوا الحوانيت ، واختلفت رواياتهم ، وظنوا وقوع الشقاق بين الأرثوود والمصرية . وكذلك



بعض أعوان ابراهيم بيك يرمحون شاهرى السيوف

٢٩ منه (١٨ اغسطس ١٨٠٣ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة ، وكان المنكسف تسعة أصابع - وهو نحو الثلثين - وأظلم الجو . وابتدأؤه الساعة واحدة وثمانى دقائق ونصف ، وتنام الانجلاء فى ثالث ساعة وست عشرة دقيقة . وكان ذلك فى أيام زيادة النيل . نسأل الله العفو والعافية ، فى الدين والدنيا والآخرة .

جمادى الأولى

السبت ٢ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٣ م الموافق ١٥ مسرى ١٥١٩ ق) :

وفى النيل سبعة عشر ذراعا ، وكسر سد الحليج صبحها بحضرة ابراهيم بك قائمقام والقاضى . وجرى الماء فى الحليج على العادة

وفيه : وردت الأخبار بأن على باشا كسر السد الذى ناحية أبى قير الحاجز على البحر المالح . وهذا السد من قديم الزمان من السدود العظام المتينة السلطانية . وتتفقد الدول على مر الأيام بالمرمة والعمارة اذا حصل به أدنى خلل فلما اختلفت الأحوال ، وأهمل غالب الأمور وأسباب العمارات ، انشرم منه شرم فسالت المياه المالحة على الأراضى والقرى التى بين رشيد وسكندرية ، وذلك فى نحو ستة عشر عاما . فلم يتدارك أمره واستمر حاله بزيد ، وخرقه يتسع ، حتى انقطعت الطرق . واستمر ذلك الى واقعة الفرنسيين .

فلما حضرت الانكليز والعثمانية شرموه أيضا من الناحية البحرية لأجل قطع الطرق على الفرنسيين فسالت المياه المالحة على الأراضى الى قريب دمنهور ، واختلطت بخليج الأشرفية . وشرقت الأراضى ، وخربت القرى والبلاد ، وتلفت المزارع ، وانقطعت الطرق حول الاسكندرية من البر ، وامتنع وصول ماء النيل الى أهل الاسكندرية . فلم يصل اليهم الا ما يصلهم من جهة البحر فى

التقاير ، أو ما خزنوه من مياه الأمطار بالصهاريج وبعض العيون المستعذبة .

فلما استقر العثمانيون بمصر ، حضر شخص من طرف الدولة يسمى صالح أفندى معين لخصوص السد ، وأحضر معه عدة مراكب بها أخشاب وآلات ، وبذل الهمة والاجتهاد فى سد الجسر . فأقام العمل فى ذلك نحو سنة ونصف حتى قارب الاتمام ، وفرح الناس بذلك غاية الفرح ، واستبشر أهل القرى والنواحى .

فما هو الا وقد حصلت هذه الحوادث ، وحضر على باشا الى الثغر ، وخرج الأجناد المصرية وحاربوا السيد على باشا القبطان على برج رشيد . فخاف حضورهم الى الاسكندرية ، ففتحه ثانيا ورجع التلف كما كان ، وذهب ما صنعه صالح أفندى المذكور فى الفارغ ... بعدما صرف عليه أموالا عظيمة !

وأما أهل سكندرية ، فانهم جلوا عنها ، ونزل البعض فى المراكب وسافر الى أزمير ، وبعضهم الى قبرص ورودس والأضات . وبعضهم اكرى بالأيام وأقاموا بها على الثغر ، ولم يبق بالبلدة الا الفقراء والمواجز ، والذين لا يجدون ما ينفقونه على الرحلة ، وهم أيضا مستوفزون . وعم بها الغلاء لعدم الوارد ، وانقطاع الطرق .

وقيل ان على باشا المذكور فرد عليهم مالا ، وقبض على ستة أنفار من أغنياء المغاربة ، واتهمهم أنهم كتبوا كتابا للبرديسى يعدونه انه اذا حضر يدلونه على جهة ملك منها البلد بمعونة عسكري المغاربة . فأخذ منهم مائة وخمسين كيسا بشفاعة القبطان الذى فى البيليك بالثغر .

واجتهد فى حفر خندق حول البلد واستعملهم فى ذلك الحفر .. وفى غزمه أن يطلق فيه ماء البحر المالح . فان فعل ذلك ، حصل به ضرر عظيم . فقد

أخبر من له معرفة ودراية بالأمور ، أنه ربما خرب اقليم البحيرة بسبب ذلك !

واجتهدوا أيضا في تحصين المدينة زيادة عن فعل الفرنسيين والانكليز .

السبت ٩ منه (٢٧ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصل السيد على القبطان الى مصر ، وطلع الى قصر العيني ، وقابل ابراهيم بيك . فخلع عليه فروة سمور ، وقدم له حصانا معددا وأكرمه وعظمه . وأنزلوه عند على بيك أيوب ، وأعطوه سرية بيضاء وجارية حبشية وجاريتين سوداوين للخدمة ! وربتوا له ما يليق به . وهو رجل جليل من عظماء الناس وعقلائهم .

وأخبر القادموون أن البرديسي والأجناد المصريين ارتحلوا من رشيد الى دمنهور قاصدين الذهب الى سكندرية . وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبجخانة ومماليك وعساكر .

وفيه : أرادوا عمل فردة . وأشيع بين الناس ذلك ، فانزعجوا منه . واستمر الرجاء والخوف أياما . ثم انحط الرأي على قبض مال الجهات ، ورفع المظالم والتحرير من البلاد والميرى عن سنة تاريخه من الملتزمين . ويؤخذ من القبط ألف وأربعمائة كيس ، هذا مع توالى وتتابع الفرد والكلف على البلاد ... حتى خرب الكثير من القرى والبلاد ، وجلا أهلها عنها ، خصوصا اقليم البحيرة فانه خرب عن آخره . ثم ان البرديسي استقر بدمنهور بعد ما أبقي برشيد مملوكه يحيى بيك ومعه جملة من العساكر ، وكذلك بناحية البغاز . وهم كانوا من وقت محاصرة البرج حتى منعوا عنه الامداد الذى أتاه من البحر ، وكان ما كان .

وشحن البرديسي برج مفيضل بالذخيرة والجبجخانة . وأنزلوا برشيد عدة فرد ومغارم ، وفتحوا بيوت الراحلين عنها ونهبوها ، وأخذوا

أموالهم من الشوارد والحواصل والأخشاب والأحطاب والبن والأرز . وقلت الأقوات فيهم والعليق ، فعلقوا الدواب بشعير الأرز ... بل والأرز المبيض .. وغير ذلك مما لا تضبطه الأقلام ، ولا تحيط به الأوهام !

الجمعة منتصفه (٢ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

في أيام النسيء : تقص النيل نقصا فاحشا ، وانحدر من على الأراضى . فانزعج الناس وازدحموا على مشترى الغلال ، وزاد سعرها . ثم استمر يزيد قيراطا وينقص قيراطين الى أيام الصليب .

وانكبت الخلائق على شراء الغلال ، ومنع الغنى من شراء ما زاد على الارذب ونصف أردب ، والفقير لا يأخذ الا وية فأقل ، ويمنعون الكيل بعد ساعتين . فتذهب الناس الى ساحل بولاق ومصر القديمة ويرجعون من غير شئ .

واستمر سليم أغا مستحفظان ينزل الى بولاق في كل يوم ، وصار الأمراء يأخذون الغلال القادمة بمرآكبها قهرا عن أصحابها ويخزنونها لأنفسهم ... حتى قلت الغلة ، وعز وجنودها في العرصات والسواحل ، وقل الخبز من الأسواق والطواين ، ودخل الناس وهم عظيم .. وخصوصا مع خراب البلاد بتوالى الفرد والمغارم .

وعز وجود الشعير والتبن ، وبيعت الدواب والبهاائم بالسعر الرخيص بسبب قلة العلف .

واجتمع بعض المشايخ ، وتشاوروا في الخروج الى الاستسقاء ... فلم يمكنهم ذلك لفقد شروطها . وذهبوا الى ابراهيم بيك وتكلموا معه في ذلك . فقال لهم : « وأنا أجب ذلك .. ! » فقالوا له : « وأين الشروط التى من جملتها رفع المظالم وردھا ، والتوبة والاقلاع عن الذنوب ، وغير ذلك » . فقال لهم : « هذا أمر لا يمكن .. ولا

يتصور .. ولا أقدر عليه .. ولا أحكم الا على
نفسى ا . فقالوا : « اذن . نهاجر من مصر » ،
فقال : « وأنا معكم ا » . ثم قاموا وذهبوا .

فى اواخره (حوالى منتصف سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وردت الأخبار برجوع البرديسى ومن معه من
العساكر . وقد كان أشيع أنهم متوجهون الى
الاسكندرية ، ثم ثنى عزمه عن ذلك لأمور ...
الأول وجود القحط فيهم وعدم الذخيرة والعلف .
والثانى : الحاح العسكر بطلب جماكيهم المنكسرة
وما يأخذونه من المنهوبات لا يدخل فى حساب
جماكيهم . والثالث : العجز عن أخذ الاسكندرية
لوعر الطريق ، وانقطاع الطرق بالمياه المالحة . فلو
وصلوها ، وطال عليهم الحصار .. لا يجدون
ما يأكلون ولا ما يشربون .

جمادى الآخرة

الاحد غرته (١٨ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

نقص ماء النيل ، ووقف ماء الخليج ، وازدحم
السقاءون على نقل الماء الى الصهاريج والأسبله ليلا
ونهارا من الخليج ، وقد تغير ماؤه بما يصب فيه
من الخرات والمراحيض !

ولم ينزل بالأراضى التى بين بولاق والقاهرة
قطرة ماء . وزاد ضجيج الناس ، وارتفعت الغلات
من السواحل والعرضات بالكلية . فكانت الفقراء
من الرجال والنساء يذهبون بملقائهم الى السواحل
ويرجعون بلا شئ ، وهم ييكون ويولولون !

الجمعة ٦ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وصل البرديسى ومن معه من العساكر الى بر
الجيزة ، وخرج الأمراء وغيرهم وعدوا للملاقاتهم .
فلما أصبح يوم السبت ، عدى محمد على
والعساكر الأرثوذية الى بسر مصر . وكذلك

البرديسى .. فخرجت اليهم الفقراء بمقائهم
وغلقاتهم ، وعيطوا فى وجوهمهم ... فوعدهم بخير
وأصبح البرديسى مجتهدا فى ذلك ، وأرسل محمد
على وخازن داره ، ففتحوا الحواصل التى
بيولاق ومصر العتيقة ، وأخرجوا منها الغلال
الى السواحل . واجتمع العالم الكثير من الرجال
والنساء ، فأذنوا لكل شخص من الفقراء بويبة غلة
لا غير . فكان الذى يريد الشراء يذهب الى
خازن دار البرديسى يأخذ منه ورقة بمعد المشقة
والمزاحمة ، ويذهب بها . فيكيلون له ويدفع ثمنها
لصاحب الغلة ، وما رتبوه عليها . فحصل للناس
اطمنسان . واشترى الخبازون أيضا ، وفتحوا
الطواين والمخابز ، وخبزوا وباعوا ، فكثر الخبز
والكعك بالأسواق . وجعلوا سعر القمح ستة
ريال الأردب ، والفول خمسة ريال ، وكذلك
الشعير ان وجد . وكان السعر لا ضابط له : منهم
من كان يشتريه بثمانية وتسعة وسبعة خفية ،
ومن توجد عنده الغلة فى مصر أو الأرياف . فعند
ذلك سكن روع الناس ، واطمأنت نفوسهم ،
وشبعت عيونهم ، ودعوا لعثمان بيك البرديسى ا
وفى هذا الشهر تحققت الخبر بجلاء الوهابى عن
جدة ومكة ورجوعه الى بلاده . وذلك بعد أن حاصر
جدة وحاربها تسعة أيام ، وقطع عنها الماء . ثم رحل
عنها وعن مكة ، ورجع الشريف غالب الى مكة
وصحبته الشريف باشا ، ورجع كل شئ الى حاله
الأول .. ورد المكوس والمظالم !

الاحد ٨ منه (٢٥ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وصل البرديسى الى بيته بالناصرية — وهو
بيت حسن كاشف جركس وبيت قاسم بيك —
وقد فرشا له ، ونقلوا محمد باشا من بيت جركس
الى دار صغيرة بجواره وعليه الحرس .

الاثنين ٩ منه (٢٦ سبتمبر ١٨٠٣) :

الى الساحل الى قريب الظهر ، فيذهب الناس
والفقراء ليمتظروا . واذا حضر ازدحموا عليه ،
وتقدم ارباب المصانع والوسائط فيؤذن لهم ،
ويؤخذ منهم عن كل ارب ريال ... يأخذها القيم
لنفسه زيادة عن الثمن وعن الكلفة — وهى نحو
الخمسين فضة — خلاف الأجرة ! ويرجع الفقراء
من غير شئ .

وأطلقوا للمحتسب أن يأخذ في كل يوم أربعمئة
أردب : منها مائتان للخبازين ، ومائتان توضع
بالعرصات داخل البلد . فكان يأخذ ذلك الى
داره ، ولا يفسعون بالعرصات شيئا ، ويعطى
للخبازين من المائتين ، خمسين أردب أو ستين !
ويبيع الباقي بأغراضه بما أحب من الثمن ليلا .
فضج الناس ، وشح الخبز من الأسواق ، وخاطب
بعض الناس الأمراء الكبار في شأن ذلك . واستمر
الحال على ذلك الى آخر الشهر .. والأمر في
شدة . وتسلبت العسكر والماليك على خطف
ما يصادفونه من الغلة أو الثن أو السمن فلا
يقدرون على شئ من ذلك أن يمر به ، ولو قل ،
حتى يكتري واحدا عسكريا ، أو مملوكا يحرسه
حتى يوصله الى داره .

وان حضرت مركب بها غلال وسمن وغنم من
قبلى أو بحرى ، أخذوها ونهبوا ما فيها جملة ،
فكان ذلك من أعظم أسباب القحط والبلاء !

الجمعة ٢٠ منه (٧ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

مات محمد بك الشرقاوى ، وهو الذى كان
عوض سيده عثمان بك الشرقاوى .

رجب

في غرته (١٧ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

رفعوا خازن دار البرديسى من الساحل ، وقلدوا
محمد كاشف — تابع سليمان بك الأغا — أمين

عملوا ديوانا عند ابراهيم بك . فاجتمع فيه
هو والبرديسى والألفى وتفاوضوا فى أمر جامكية
العسكر ، فوزعوا على أنفسهم قدرا ، وكذلك
على باقى الأمراء والكشاف والأجناد ... كل منهم
على قدر حاله فى الإيراد والمراعاة : فمنهم من
وزع عليه عشرون كيسا ، ومنهم عشرة ، وخمسة ،
واثنان ، وواحد ، ونصف واحد .

وطلبوا من جبرك البهار قدرا كبيرا ، فعملوا
على كل فرقتين مائة ريال ، وفتحوا الحواصل
وأخرجوا منها متاع الناس ، وباعوه بالبخس على
ذلك الحساب ... وأصحابه ينظرون !
وأخذوا بن الحضارمة والينبعاوية ، بحيث
وقف الفرق البن بستة ريال على صاحبه ، وأخذوا
من ذلك الأصل ألف فرق بن ، وأخرجت من
الحواصل وحملت .

السبت ١٤ منه (أول أكتوبر ١٨٠٣ م) :

أنزلوا فردة أيضا على أهل البلد ، ووزعوها
على التجار وأرباب الحرف ... كل طائفة قدرا من
الأكياس : خمسين فما دونها ، الى عشرة وخمسة
وبشت الأعوان للمطالبة . فضج الناس ، وأغلقت
حوالياتهم ، وطلبوا التخفيف بالشفاعات والرشوات
للسوايط والنصارى ، فخفف عن البعض . وبعد
منتصف الشهر انقلب الوضع المشروع فى الغلة ،
والعكس الحال الى أمر شنيع . وهو أنهم سعروها
كل أردب بستة ريال بظاهر الحال ، ولا يبيع
صاحب الغلة غلته الا بأذن من القيم بعد ما يأخذ
منه نصف الغلة أو الثلث أو الربع — على حسب
ضعفه وقوته — من غير ثمن . واذا أراد ذو الجاه
الشراء ذهب أولا سرا وقدم المصلحة والهدية الى
بيت القيم ، فعند ذلك يؤذن له فى مطلوبه ،
فيكيلون له الغلة ليلا . وصار يتأخر فى حضوره



قبط مصر

هو عبارة عن عقد النكاح ... فأنكرت ذلك .
فأرسل الفرنسيين يستخبرون من قبط مصر عن
حقيقة ذلك . فكتبوا لهم جوابا بأنها لم تكن
زوجته على مقتضى شرعهم وملتهم ، ولم يعمل
بينهم الاكليل ، فيكون الحق في تركته لأخيه ..
لا لها .

وفيه : ورد الخبر بوقوع حادثة بالاسكندرية
بين عساكر العثمانية وأجناس الأفرنج المقيمين بها .
واختلفت الرواة في ذلك . وبعد أيام وصل من
أخبر بحقيقة الواقعة ، وهى : أن على باشا رتب
عنده طائفة من عسكره على طريقة الأفرنج . فكان
يخرج بهم في كل يوم الى جهة المنشية ويصطفون
ويعملون مرش وارديوش ثم يعودون ، وذلك
مع انحراف طبيعتهم عن الوضع في كل شيء .
فخرجوا في بعض الأيام ثم عادوا فحروا بمساكن
الأفرنج ووكالة القنصل ، فأخرج الأفرنج رؤسهم
من الطيقان ، نساء ورجال ، بنظرون ركبهم ،
وينتفجون عليهم كما جرت به العادة فضربوا عليهم
من أسفل بالبنادق ، فضرب الأفرنج عليهم أيضا ...
فلم يكن الا أن هجموا عليهم ، ودخلوا يحاربونهم
في أماكنهم ، والأفرنج في قلة . فخرج القناصل
السة ومن تبهم ، ونزلوا الى البحر ، وطلعوا
غليون الریالة ، وكتبوا كتابا بصورة الواقعة ،
وأرسلوه الى اسلامبول والى بلادهم .

البحرين والساحل . ورفق بالأمر ، واستقر سعر
الغلة بألف ومائتين نصف فصة ..الأردب ، فتواجلت
بالرقع والساحل ، وقل الخطف . وأما السمن فقل
وجوده جدا ، حتى بيع الرطل بستة وثلاثين نصفاً ،
فيكون القنطار بأربعين ريالاً . وأما التبن فصار
يباع بالقدح ان وجد ، وسرب الناس بهائمهم من
عدم العلف .

وفيه : حضر واحد انكليزى وصحبته مملوك
الألفى وبعض من الفرنسيين ، فعملوا لهم شنكا
ومدافع . وأشيع حضور الألفى الى اسكندرية ، ثم
تبين أن هذا الانكليزى أتى بمكاتبات . فلما مر على
مالطة وجد ذلك المملوك ، وكان قد تخلف عن
سيده لمرض اعتراه ، فحضر صحبته الى مصر .
فأشيع في الناس أن الألفى حضر الى الاسكندرية ،
وأن هذا خازن داره سبقه بالحضور .. الى غير
ذلك .

وفيه : حضر أيضا بعض الفرنسيين بمكاتبة
الى القنصل بمصر ، وفيها الطلب بياقى الفردة التى
بذمة الوجاقلية . فخاطب القنصل الأمراء في ذلك ،
فعملوا جمعية ، وحضر المشايخ وتكلموا في شأن
ذلك ، ثم قالوا : « ان الوجاقلية الذين كانت
طرفهم تلك الفردة ... مات بعضهم ، وهو يوسف
باشجاووش ، ومصطفى كتخدا الرزاز — وهم
عظماؤهم — ومن بقى منهم لا يملك شيئا » . فلم
يقبلوا هذا القول ، ثم اتفق الأمر على تأخير هذه
القضية الى حضور الباشا ويرى رأيه في ذلك .

وحضر أيضا صحبة أولئك الفرنسيين الخبر
بموت يعقوب القبطى ، فطلب أخوه الاستيلاء على
مخلفاته ، فدافته زوجته ، وأرادت أخذ ذلك على
مقتضى شريعة الفرنسيين . فقال أخوه : « انها
ليست زوجته حقيقة ، بل هى معشوقته ، ولم يتزوج
بها على ملة القبط ، ولم يعمل لها الاكليل الذى

وفي هذه الأيام : كثرت الغلال بالساحل
والعرصات ، ووصلت مراكب كثيرة ، وكثر الخبز
بالأسواق ، وشبعت عيون الناس ، ونزل السعر
الى ثمانية ريال وسبعة . وانكفوا عن الخطف الا
في التبن .

١٥ منه (٣١ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

فتحوا طلب مال الميرى ومال الجهات ، ورفع
المظالم عن سنة تاريخه . وعين لطلبها من البلاد
أمراء كبار ، ووجهت الغرية والمنوفية لعسكر
الأرنؤود ، فزاد على ذلك حق الطرق للمعينين
لطلب والاستعجالات ، وتكثير المغارم والمعينين
وكلفهم على من يتوانى في الدفع . هذا وطلب
الفردة مستمر حتى على أعيان الملتزمين ، ومن
تأخر عن الدفع ضبطوا حصته وأخذوها وأعطوها
لمن يدفع ما عليها من مياسير الممالك . فربما صالح
صاحبها بعد ذلك عليها ، واستخلصها من واضع
اليد ... ان أمكنه ذلك .

في أواخره (حوالى منتصف نوفمبر ١٨٠٣ م) :

نهبوا على تعمير الدور التي أخبرها الفرنسيين .
فشرع الناس في ذلك ، وفردوا كلفها على الدور
والحوانيت والرباع والوكائل . وأحدثوا على
الشوارع السالكة دروبا كثيرة لم تكن قبل ذلك .
وزاد الحال ، وقلد أهل الأخطاء بعضهم كما هو
طبيعة أهل مصر في التقليد في كل شيء حتى عملوا
في الخطة الواحدة دربين وثلاثة . واهتموا لذلك
اهتماما عظيما ، وظنوا ظنونا بعيدة ، وأنشأوا
بذات وأكتافا من أحجار منحوتة ، وبوابات
عظيمة . ولزم لبعضها هدم حوانيت اشتروها من
أصحابها . وفردوا أثمانها على أهل الخطة .

وفي أواخره أيضا : لجزت عمارة عثمان بيك
البرديسى في الأبراج والبوابات التي أنشأها
بالناصرية . فإنه أنشأ بوابتين عظيمتين بالرجبة

وأما العسكر أتباع الباشا فانه لما خرج الأفرنج
وتركوا أماكنهم ، دخلوا اليها ، ونهبوا متاعهم
وما أمكنهم . وأرسل الى القناصل خورشيد باشا
فصالحهم وأخذ بخواطيرهم ، واعتذر اليهم وضمن
لهم ما أخذ منهم ، فرجعوا بعد علاج كبير .

وجمع الباشا علماء البلدة وأعيانها وطلب منهم
كتابة عرض محضر على ما يمليه ، على غير صورة
الحال . فامتنعوا عن الكتابة الا بصورة الواقع .
وكان المتصدر للرد الشيخ محمد المسيرى المالكى ،
فمقتته ووبخه . ومن ذلك الوقت صار يتكلم في
حقه ويزدريه اذا حضر مجلسه . وسكنت على ذلك .

٤ منه (٢٠ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

اجتمع المشايخ وذهبوا الى ابراهيم بيك ،
وكلموه بسبب ما أخذوه من حصاة الالتزام
بالحلوان أيام العثمانيين . ثم استولى على ذلك
جماعتهم وأمرأؤهم . فطمنهم بالكلام اللين على
عادته ، وكلموه أيضا على خبز الجراية المرتبة
لفقراء الأزهر ؛ فأطلق لهم دراهم تعطى للخباز
يعمل بها خبزا .

٨ منه (٢٤ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

كتبوا مراسلة على لسان المشايخ ، وأرسلوها
الى على باشا باسكندرية ، مضمونها : طلبه
لمنصبه ، والحضور الى مصر ليحصل الاطمئنان
والسكون وتأمين الطرقات ، ويبطل أمر الاهتمام
بالعساكر والتجاريه ، ولأجل الأخذ في تشهيل أمور
الحج . وان تأخر عن الحضور ربما تعطل الحج
في هذه السنة ، ويكون هو السبب في ذلك ..
الى غير ذلك من الكلام .

١٠ منه (٢٦ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

سافر جعفر كاشف الابراهيمى رسولا الى
أحمد باشا الجزائر بعكا ، لغرض باطنى لم يظهر .

وأرسلوه ليلة الاثنين ثانيه ، صحة رضوان
كتخدا ابراهيم بيك ، ومحمود باشجاويش
الانكشارية ، وصحبتها من الفقهاء السيد محمد
ابن الدواخلي من طرف الشيخ الشرقاوى .

وفي هذه الأيام : كثر عبث العسكر وعربدتهم
فى الناس ، فخطفوا عمائم وثيابا ، وقبضوا على
بعض أفراد ، وأخذوا ثيابهم وما فى جيوبهم من
الدراهم .

وفيه : وصل قاضى عسكر مصر ، وكان معوفا
بالاسكندرية من جملة المحجوز عليهم .

الأربعاء ٨ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

حضر الوالى الى قصر الشوك ، ونزل عند رجل
من تجار خان الخليلى يسمى عثمان كجك . فتعنى
عنده ، ثم قبض عليه وختم على بيته ، وأخذته
صحبه ، وخفقه تلك الليلة ورماه فى بئر . فاستمر
بها أياما حتى اتنفخ . فأخرجوه وأخذته زوجته
فدفنته !

وسببه : أنه كان يجتمع بالعثمانيين ، ويفريهم
بنساء الأمراء ، وأن بعضهم اشترى منه أوانى
نحاسا ولم يدفع له الثمن . فطالب حريمه فى أيام
محمد باشا . فلم تدفع له ، فعين عليها جماعة من
عسكر محمد باشا ، ودخل بهم الى دارها وطالبها ،
فقالت : ليس عندى شيء . فطلع الى داخل الحريم
وصحبه العسكر ، ودخل الى المطبخ ، وأخذ قدور
الطعام من فوق الكوانين ، وقلب ما فيها من
الطعام ، وأخذها وخرج .

الجمعة ١٠ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

وقف جماعة من العسكر فى خط الجامع
الأزهر ، فى طلوع النهار ، وشلحوا عدة أناس
وأخذوا ثيابهم وعمائمهم . فانزعج الناس ، ووقعت
فيهم كرشة ، وصلت الى بولاق ومصر العتيقة ،

المستطيلة خارج بيته .. الذى هو بيت حسن كاشف
جر كس : احدهما عند قناطر السباع ، والأخرى
عند المزار المعروف بكعب الأحبار . وبني حولهما
أبراجا عظيمة ، وبها طيقان بداخلها مدافع أفواهما
بارزة تضرب الى الخارج ، وتقل اليها مدافع الباشا
التي كانت بالأزبكية .. فسبحان مقلب الأحوال .

وفيه : نزل ابراهيم بيك والبرديسى وحسين
بيك اليهودى الى بولاق ، وأخذوا ما وجدوه
بساحل الغلة ، وأرسلوه الى بحرئى . فارتج الناس
من ذلك ، وعزت الغلال ، وزاد سعرها بعد الانحلال .

شعبان

الأربعاء غرته (١٦ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

وصل كاتب ديوان على باشا — الذى يقال
له ديوان أفندى — وعلى يديه مكاتبة وهى صورة
خط شريف وصل من الدولة مضمونه : الرضا عن
الأمراء المصرية بشفاعة صاحب الدولة الصدر
الأعظم يوسف باشا ، وشفاعة على باشا والى
مصر ، وأن يقيموا بأرض مصر . ولكل أمير فائظ
خمس عشرة كيسا لاغير ، وحلوان المحلول ثمانى
سنوات ، وأن الأوسية والمضاف والبرانى يضم
الى الميرى ، وأن الكلام فى الميرى والأحكام
والثغور ... الى الباشا ، والروزنامجى الذى يأتى
صحبة الباشا . والجمارك والمقاطعات ، على النظام
الجديد ، للدفتردار الذى يحضر أيضا .

فلما قرئ ذلك بحضرة الجمع من الأمراء
والمشايخ ، أظهروا البشر ، وضربوا مدافع . ثم
اتفق الرأى على ارسال جواب ذلك الفرمان .
فكتبوا جوابا مضمونه مختصرا « أنه وصل الينا
صورة الخط الشريف ، وحصل لنا بوروده السرور
بالفوق والرضا . وتام السرور حضوركم لتنظيم
الأحوال ، وأعظمها تشهيل الحج الشريف » .



لبيب من الأمراء والصناجق

الكبار ، وممالكك مراد بيك ، وآخرون من طبقتهم ، وخرجوا غضابا نواحي الآثار ، ثم اصطلحوا على تلبيس خمسة عشر صنجقا .

الأحد ١٩ منه (٤ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

عملوا ديوانا بالقلعة ، وألبسوا فيه خمسة عشر صنجقا ، وهم أربعة من طرف إبراهيم بيك الكبير ، وهم صهراء : سليمان زوج عذيلة هانم ابنة الأمير إبراهيم بيك الكبير عوضا عن سيده ، واسماعيل كاشف مملوك رشوان بيك الذي تزوج بزوجة سيده زينب هانم ابنة الأمير إبراهيم بيك أيضا ، ومحمد كاشف الغربية ، وعمر تابع عثمان كاشف الأشقر الذي تزوج بامرأته ، و خليل أغا كتخد إبراهيم .

ومن طرف البرديسي : حسين أغا الوالي ، وسليمان خازندار مراد بيك ، وشاهين كاشف مراد ، ومحمد تابع محمد بيك المنفوخ المرادي ، ورستم تابع عثمان بيك الشرقاوي ، وعبد الرحمن كاشف تابع عثمان بيك الطنبرجي ... الذي تزوج بامرأته .

وأغلقوا الدكاكين . واجتمع أناس وذهبوا الى الشيخ الشرقاوي والسيد عمر النقيب والشيخ الأمير . فركبوا الى الأمراء ، وعملوا جمعية ، وأحضروا كبار العساكر وتكلموا معهم .

ثم ركب الأغا والوالي وأمامه عدة كبيرة من عسكر الأرثوود وخلافهم . والمنادى ينادى بالأمن والأمان للرعية . وإن وقع من العسكر أو الممالك خطف شيء ... يضربوه ، وإن لم يقدروا عليه فليأخذوه الى حاكمه .. ومثل هذا الكلام الفارغ ! وبعد مرور الحكام بالمناداة ... خطفوا عتائم ونساء !

الأحد ١٢ منه (٢٧ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

نبه القاضي الجديد على أن نصف شعبان ليلة الثلاثاء ، وأخبر أن أتباعه شاهدوا الهلال ليلة الثلاثاء وهم عند البغاز . على أن الهلال كان ليلة الأربعاء عسر الرؤية جدا . فكان هذا أول أحكامه الفاسدة !

الأربعاء ١٥ منه (٣٠ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

أشيع أن الأمراء في صباحها ، قاصدون عمل ديوان بيت إبراهيم بيك ليلبسوا ستة من الكشاف ، ويقلدوهم صناجق عوضا عن هلك منهم . وهم : سليمان كاشف مملوك إبراهيم بيك الوالي ، الذي تزوج عذيلة بنت إبراهيم بيك الكبير عوضا عن سيده ، وعبد الرحمن كاشف مملوك عثمان بيك المرادي الذي قتل بأبي قير ، الذي تزوج امرأة سيده أيضا ، وعمر كاشف مملوك عثمان بيك الأشقر الذي تزوج امرأة سيده أيضا ، ومحمد كاشف مملوك المنفوخ ، ورستم كاشف مملوك عثمان بيك الشرقاوي ، ومحمد كاشف مملوك سليمان بيك الأغا ، وتزوج ابنته أيضا .

فلما وقع الاتفاق على ذلك . تجمع الكشاف

وخرجوا من المجلس . وبلغ سليمان بيك الخبر ، فذهب الى البرديسى وأعلمه . فأرسل البرديسى يطلب حسين بيك . فامتنع من الخضوع ، والتجأ الى الألفى .

فأرسل البرديسى خيرا الى الألفى بعزل حسين بيك عن قبطانية البحر ، وتولية خلافة . فلم يرض الألفى بعزله ، وقال : « لا يذهب .. ولا يعزل » ، وترددت بينهم الرسل ، وكادت تكون فتنة . ثم انخط الأمر على أن حسين بيك يطلع الى القلعة يقيم بها يومين أو ثلاثة تطيبا لخاطر سليمان بيك واخمادا للفتنة . فكان كذلك ، واستمر على ما هو عليه .

الأحد ٢٦ منه (١١ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ألبس ابراهيم بيك عثمان كاشف تابع على أغا كتحدا جاويشان ، واستقروا به كتحدا جاويشان عوضا عن سيده . وكان شاغرا من مدة حلول انفرنساوية .

الثلاثاء ٢٨ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ركب حسن بيك أخو طاهر باشا في عدة وافرة ، وحضر الى بيت عثمان بيك البرديسى بعد العصر على حين غفلة . وكان عند الحريم ، فانزعج من ذلك ، ولم يكن عنده في تلك الساعة الا أناس قليلة . فأرسل الى مماليكه . فلبسوا أسلحتهم وأرسلوا الى الأمراء والكشاف والإجناد بالحضور . وتوانى في النزول حتى اجتمع الكثير منهم ، وصعد بعض الأمراء الى القلعة ، وحصل بعض قلقه . ثم نزل الى التتمة وأذن لأخى طاهر باشا بالدخول اليه في قلة من أتباعه ، وسأله عن سبب حضوره على هـ . الصورة . فقال : « نطلب العلوفة » . ووقع بينهما بعض كلام . وقام وركب ولم يتمكن من غرضه .

ومن طرف الألفى : عثمان أغا الخازندار ، وحسين كاشف المعروف بالوشاش ، وصالح كاشف ، وعباس كاشف تابع سليمان بيك الأغا . ولبسوا حسن أغا مراد والى عوضا عن حسين المذكور ،

وفيه : ورد الخبر بوصول طائفة من الانكليز الى القصير ، وهم يريدون على الألفين .

الاثنين ٢٠ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

حضر مكتوب من رضوان كتحدا ابراهيم بيك من اسكندرية ، يخبر فيه : أنه وصل الى اسكندرية ، وقابل الباشا ، ووعد بالحضور الى مصر ، وأنه يأمر بتشهيل أدوات الحج ولوازمه . وأطلق أربعة وأربعين فقيرة حضرت الى رشيد بفضائع للتجار .

وفيه : حضر جعفر كاشف الابراهيمى من الديار الشامية ، وقد قابل أحمد باشا الجزار وأكرمه ، ورجع بجواب الرسالة . وسافر ثانيا بعد أيام .

وفيه : قلدوا سليمان بيك الخازندار ولاية جرجا ، وخرج بعسكره الى مصر القديمة ، وجلس هناك بقصر المحرمجى . فاتفق أن جماعة من عسكره الأتراك الذين انصموا اليهم من العثمانية ، تشاجروا مع العساكر البحرية جماعة حسين بيك اليهودى بسبب امرأة رقاصة في قهوة . فقتل من الأتراك ثلاثة ، ومن البحرية أربعة ، وانفجر منهم كذلك جماعة . فحقق حسين بيك وترس بالمقياس وبالمراكب ، ووجه المدافع الى القصر وضرب بها عليه .

وكان سليمان بيك غائبا عن القصر . فدخلت جلة داخل القصر من الشباك بين جماعة من الأمراء كانوا جالسين هناك ينتظرون رب المكان ، ففزعوا

وأرسل البردبسى الى محمد على ، فحضر اليه
وافوضه فى ذلك . ثم ركب من عنده بعد المغرب .

وفى تلك الليلة : نادوا بعمل الرؤية . فاجتمع
المشايع عند القاضى وكلموه فى ذلك ، فرجع عما
كان عزم عليه . ونادوا بها ليلة الخميس . فعملت
الرؤية تلك الليلة ، وركب المحتسب بموكبه على
العاده الى بيت القاضى . فلم يثبت الهلال تلك
الليلة .

ونودى بأنه من شعبان ، وأصبح الناس
مفطرين . فلما كان فى صبحها حضر بعض المغاربة
وشهدوا برؤيته . فنودى بالامساك وقت الضحى
وترقب الناس الهلال ليلة الجمعة . فلم يره الا
القليل من الناس بغاية العسر ، وهو فى غاية
الدقة والحفاء .

رمضان

٢ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

فرروا فردة على البلاد برسم نفقة العسكر ،
أعلى وأوسط وأدنى : ستين ألفا ، وعشرين ألفا ،
وعشرة ... مع ما الناس فيه من الشراقي والغلاء
والكلف والتعابين وعبت العسكر ، وخصوصا
بالأرباب .

وفيه : نزلت الكشف الى الأقاليم . وسافر
سليمان بك الحازندار الى جرجا واليا على
الصعيد . وصالح بك الألفى الى الشرقية .

٨ منه (٢٢ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

وصل الى ساحل بولاق عدة مراكب بها بضائع
رومية ويميش ، وهى التى كان أطلقها الباشا .
وفيهما حجاج وفرمان .

وفيه : حضر ساع من سكندرية وعلى يده
مكتوب من رضوان كئخدا ومن بصحبته ، يخبرون

بأن الباشا كان وعدهم بالسفر يوم الاثنين ، وبرز
خيامة وخازنداره الى خارج البلد . فورد عليه
مكاتبة من أمراء مصر يأمرونه بأن يحضر من طريق
البر على دمنهور ، ولا يذهب الى رشيد .

فانحرف مزاجه من ذلك ، وأحضر الرسل
الذين هم : رضوان كئخدا ومن معه ، وأطلعهم
على المكاتبة ، وقال لهم : « كيف تقولون
انى حاكمكم وواليككم ، ثم يرسلون تحكمون
على أنى لا أذهب الى مصر على هذا الوجه ؟ » ،
فأرسلوا بخبر ذلك .

١٢ منه (٢٧ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

غيمت السماء غيما مطبقا ، وأمطرت مطرا
عظيما متتابعا ... من آخر ليلة الأربعاء الى سادس
ساعة من ليلة الخميس .

وسقط بسببها عدة أماكن قديمة فى عدة
جهات ، وبعضها على سكانها ، وماتوا تحت
الردم . وزاد منها بحر النيل وتغير لونه حتى صار
لونه أصفر ، مما صال فيه من جبل الطفل ، وبقي
على ذلك التغير أياما ، الا أنه حصل بها النفع
فى الأراضى والمزارع .

١٥ منه (٢٩ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ورد الخبر بحروج الباشا من الاسكندرية ،
وتوجهه الى الحضور الى مصر على طريق البر .
وشرعوا فى عمل المركب التى تسمى بالعقبة
لخصوص ركوب الباشا ، وهى عبارة عن مركب
كبير قشاشى ... يأخذونها من أربابها قهرا ،
وينقشونها بأنواع الأصباغ والزينة والألوان ،
ويركبون عليها مقعدا مصنوعا من الخشب المصنع ،
وله شباييك وطيقان من الخرط ، وعليه ييارق ملونة
وشراريب مزينة ، وهو مصفح بالنحاس الأصفر ،

ومزين بأنواع الزينة والستائر ... والمتكفل بذلك
أغات الرسالة .

فلما خرج الباشا من الاسكندرية ، أرسل
محمود جاويش والسيد محمد الدواخلى الى
يحيى بيك ، قولان له : « ان حضرة الباشا يريد
الحضور الى رفد في قلة .. وأما المساكين فلا
يستغل أحد منهم الى البلد .. بل يتركهم خارجا .. »
فلما وصلوا الى يحيى بيك ، وأراهوا قولان له
ذلك ، وجيؤه جالسا مع عمر بيك كبير الأرثود
الذى عنده ، وهم قرأون جوابا أرسله الباشا الى
عمر بيك المذكور ، يطلبه لمساعدته والخروج معه ،
مسكه بعض أتباع يحيى بيك مع الساعى .

فلما سمعوا ذلك قالوا لبعضهم : « أى شيء
هذا ؟ » ، وتركوا ما معهم من الكلام ، وحضروا
الى مصر صحبة رضوان كتحدا .

١٦ منه (٣٠ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها ، لورود
الخير بموت حسين قبطان باشا ، وثولية خلافه .

٢٠ منه (٣ يناير ١٨٠٤ م) :

أنشع سفر الألفى لملاقاة الباشا وضحته أربعة
من الصناجق وأبرز الحيام من الجيزة الى جهة
انبابة ، وأخذوا فى تشهيل ذخيرة وبقسماط
وجبخانة وغير ذلك .

٢٤ منه (٧ يناير ١٨٠٤ م) :

عدى الألفى ومن معه الى البر الشرقى . وأشيع
تعدية الباشا الى البر المتوفية . فلما عدوا الى البر
الشرقى ، انتقلوا بمريضهم وخيامهم الى جهة
شبرا ، وشرعوا فى عمل مخايز الميش فى شلقان .
وفيه : حضر واحد بيان آغا ، يسمى صالح

أفندى ، وعلى يده فرمان . فأنزلوه بيت رضوان
كتبخدا ابراهيم بيك ، ولا يجتمع به أحد .

في غايته (١٣ يناير ١٨٠٤ م) :

وصل الباشا الى ناحية منوف ، وفردوا له فردا
على البلاد ، وأكلوا الزروعات وما أنبتت الأرض ا
واقضى هذا الشهر وما حصل به من عربة
الأرثود ، وخطفهم عائم الناس ، وخصوصا
بالليل . حتى كان الانسان اذا مشى يربط عمامته
خوفا عليها ا واذا تمكنوا من أحد ، شلحوا ثيابه
وأخذوا ما معه من الدراهم ا

ويرصدون لمن يذهب الى الأسواق — مثل
سوق انبابة فى يوم السبت — لشراء الجبن والزبد
والأغنام والأبقار . فأخذون مامعهم من الدراهم ،
ثم يذهبون الى السوق وينهبون ما يجلبه الفلاحون
من ذلك للبيع

فامتنع الفلاحون عن ذلك ، الا فى الصاد ..

خفية . وقل وجوده ، وغلا السمن حتى وصل الى
ثلثمائة وخمسين نصف فضة العشرة أرتال قباني .

وأما التبن فصار أعز من التبر ، ويبيع قنطاره بألف
نصف فضة .. ان وجد ، وعز وجود الحطب
الرومى ، حتى بلغ سعر الحملة ثلثمائة فضة ،
وكذا غلا سعر باقى الأحطاب ، وباقى الأمور المعدة
للقود ، مثل البقعة وجلة البهائم وحطب الذرة .

ووقعت الأرثود لخطف ذلك من الفلاحين ا
فكانوا يأتون بذلك فى آخر الليل ، وقت الغفلة ،
ويبيعونه بأعلى الأثمان . وعلم الأرثود ذلك ..

فرصدوهم ، وخطفوههم ، ووقع منهم القتل فى
كثير من الناس .. حتى فى بعضهم البعض . وغالبهم
لم يصم رمضان .. ولم يعرف لهم دين يتدينون
به ، ولا مذهب ، ولا طريقة يشنون عليها ...
إباحية .. أسهل ما عليهم قتل النفس ، وأخذ مال

الاثنين ٢ منه (١٦ يناير ١٨٠٤ م) :

أوقفوا على أبواب المدينة جماعة من العسكر بأسلحتهم . فانزعج الناس ، وارتاعوا من ذلك ، وأغلقوا الدروب والبوابات ، وقللوا أمتعتهم وبضائهم من الدكاكين ، وأكثروا من اللفظ . وصار العسكر الواقفون بالأبواب يأخذون من الداخل والخارج دراهم ، ويفتشون جيوبهم ويقولون لهم : « معكم أوراق » . فيأخذون بحجة ذلك ما في جيوبهم .

الثلاثاء ٤ منه (١٧ يناير ١٨٠٤ م) :

غيروا العسكر بأجناد من الفر المصرية ، فجلس على كل باب كاشف ومعه جماعة من العسكر . فكان الكاشف الذي على باب القنوج يأخذ ممن يمر به دراهم . فان كان يرى الفلاحين بأن كان لابس جبة صوف أو زعبوط ، أخذ منه ما في جيبه ، أو عشرة أنصاف ان كان فقيرا . وان



جنديان من الفر المصرية

الغير ، وعدم الطاعة لكبيرهم وأميرهم ... وهم أخبث منهم . فقطع الله دابر الجميع !

وأما ما فعله كشاف الأقاليم في القرى القبلية والبحرية من المظالم والمغارم وأنواع الفرد والتساويف .. فشيء لا تدركه الأفهام ، ولا تحيط به الأقلام . وخصوصا سليمان كاشف البواب بالمنوفية .. فنسأل الله العفو والمغفرة ، وحسن العاقبة في الدين والدنيا والآخرة !

شمال

الأحد ٢ منه (١٥ يناير ١٨٠٤ م) :

تبع رجلا تاجرا من وكالة التفاح ثلاثة من العسكر ، فهرب منهم الى حمام الطنبدي . فدخلوا خلفه وقتلوه داخل الحمام ، وأخذوا ما في جيبه من الدراهم وغيرها ، وذهبوا .

وحضر أهله وأخذوه في تابوت ، ودفنوه . ولم ينتطح فيه شاتان .

وقتل في ذلك اليوم أيضا ، رجل عند حمام القيسرلي ، وغير ذلك .

وفيه : وصل الباشا الى ناحية شلقان ، وصحبته عساكر كثيرة انكشارية وغيرها . وأكثرهم من الذين خرجوا مطرودين من مصر ، وصحبته نحو ستين مركبا في البحر ، بها أثقاله ومتاعه وعساكر أيضا .

وفيه : ركب الأتلي والأمراء ، ما غدا ابراهيم بيك والبرديسي ، فانهما لم يخرجوا من بيوتهما . وذهبوا الى مخيمهم بشبرا .

وخرج أيضا محمد علي وأحمد بيك وأتباعهم ، وأبقوا عند بيوتهم طوائف منهم .

وفيه : وقعت مشاجرة بين الأرثوودية جهة بيوت سوارى العساكر بسبب امرأة ... قتل فيها نحو خمسة أنفار بالأزبكية .

كان من أولاد البلد ومجمل الصورة ، أو لابس
چوخة ، ولو قديسة ، طالبه بألف نصف فضة أو
حبسه حتى يسعى عليه أهله ، ويدفعوها عنه ،
ويطلقه .

وسدوا باب الوزير وباب المحروق ، ووقفوا
باب البرقية المعروف بالغرب ... بعد أن كانوا
عزموا على سده بالبناء ، ثم تركوه بسبب خروج
الأموات .

وفيه : نودى بوقود القناديل ليلا على البيوت
والوكائل ، وكل ثلاثة دكاكين قنديل .

الأربعاء ٥ منه (١٨ يناير ١٨٠٤ م) :

في صباحها . شق الوالى وسمر عدة حوائث
بسبب القناديل ، وشدد في ذلك .

وفيه : انتقل الألفى ومن معه من الأمراء الى
ناحية شلقان ، ونصبوا خيامهم قبال عرضى الباشا .
فحضر اليه بعض أتباع الباشا وكلموه عن نزوله
في ذلك المكان ، ونصب الخيام في داخل الخيام ،
ودوسهم لهم .

فقال لهم : « هذه منزلتنا ومحطتنا » ، فلم
يسع الباشا وأتباعه الا قلعهم الخيام والتأخر .
فهذه كانت أول حقارة فعلها المصرية في العثمانية .

ونصب محمد على وأحمد بيك وعساكرهم
جهة البحر . ثم ان خدم الألفى أخذوا جمالا



معسكر الألفى ناحية شلقان

ليحملوا عليها البرسيم ، فنزلوا بها الى بعض
الغيطان . فحضر أمير آخور الباشا بالجمال لأخذ
البرسيم أيضا ، فوجدوا جمال الألفى وأتباعه ،
فنهزهم وطردوهم ، فرجعوا الى سيدهم وأخبروه
فأمر بعض كشافه بالركوب اليهم . فركب رامحا
الى الغيط ، وأحضر أمير آخور الباشا ، وقطع
رأسه قبالة صيوان الباشا ، ورجع الى سيده
بالجمال ورأس أمير آخور !

فذهب أتباع الباشا وأخبروه بقتل أمير آخور
وأخذ الجمال . فحنق وأحضر رضوان ، كتخدا
ابراهيم بيك ، وتكلم معه . ومن جملة كلامه : « أنا
فعلت معكم ما فعلت ، وصالحت عليكم الدولة .
ولسم تزل تضحك على دقنى .. وأنا أطاوعك ،
وأصدق تمويهاتك الى أن سرت الى ها هنا ..
فأخذتم تفعلون معى هذه الفعالة ، وتقتلون
أتباعى ، وترذلونى ، وتأخذون حملتى وجمالى » .
فلاطفه رضوان كتخدا فى الجواب ، واعتذر اليه
وقال له : « هؤلاء صغار العقول .. ولا يتدبرون
فى الأمور .. وحضرة أفندى شأنه العفو
والمسامحة ! » . ثم خرج من بين يديه ، وأرسل
الى أتباع الألفى ، فأحضر منهم الجمال وردها
الى وطاق الباشا .

وحضر اليه عثمان بيك يوسف ، المعروف
بالخازندار ، وأحمد أغا شويكار ، فقابلاه وأخذوا
بخطاره . ولم يخرج اليه أحد من الأمراء سواهما .
وفيه : نادوا بخروج العساكر الأرثوودية الى
العرضى . وكل من بقى منهم ، ولم يكن معه ورقة
من كبيره ... قدمه هدر . وصار الوالى بعد ذلك
كلما صادف شخصا عسكريا من غير ورقة قبض
عليه وغيبه .

واستمر يفتش عليهم ، ويتجسس على أماكنهم
ليلا ونهارا ، ويقبض على من يجده متخلفا .

والقصد من ذلك ، تمييز الأرثوذكسية من غيرهم المتداخلين فيهم ، وكذلك كل من مر على المتقدين بآبواب المدينة ، وذلك باتفاق بين المصرية والأرثوذكسية لأجل تمييزهم من بعضهم ، وخروج غيرهم .

وفيه : أطفوا السيد على القبطان أخا على باشا إلى القلعة .

الخميس ٩ منه (١٩ يناير ١٨٠٤ م) :

خرج البرديسي إلى جهة شلقان ، ولم يخرج إبراهيم بك ، ولم ينتقل من بيته . فنصب خيامه على موازاة خيام الألفى ، وباقي الأمراء كذلك إلى الجبل ، والأرثوذكسية جهة البحر .

وقد كان الباشا أرسل إلى محمد على وكبار الأرثوذكسية وغيرهم من قبائل العربان ومشايخ البلاد المشهورين ، مكاتبات قبل خروجه من الاسكندرية يستميلهم إليه ، ويعلمهم وينبئهم أن قاموا بنصرته ، ويحذرهم ويخوفهم أن استمروا على الخلاف وموافقة القضاة المتغلبين .

فنقل الأرثوذكسية ذلك إلى المصرية ، وأطلقوهم على المكاتبات سرا فيما بينهم . واتفقوا على رد جواب المراسلة من الأرثوذكسية بالموافقة على القيام معه إذا حضر إلى مصر . وخرج الأمراء للملاقاة والسلام عليه ، فيكون هو وعساكره من أمامهم ، والأرثوذكسية المصرية من خلفهم . فباخذوهم بواسطة ، فيستأصلوهم .. والموعود بشلقان .

وسهلوا له أمر الأمراء المصرية ، وأنهم في قلة لا يبلغون ألفا .. ولو بلغوا ذلك ، فمن المتضمن اليهم من خلاف قبيلتهم ، هم أيضا معنا في الباطن . وديروا له تدابير ومنه نجات تروج على الأباليس .. منها : أن ينتار من عسكره قدر كذا من الموصوفين بالشجاعة والمعرفة بالسباحة والقتال في البحر ، ويجعلهم في السفن قبالة في البحر ، وأن

يذهبوا بالعساكر البرية إلى البر الشرقي من مكان كذا ، ويجعل الخيالة والرجالة معه .. على صفة ذكرها له .

ولما وصل إلى الرحمانية ، أرسل له الأرثوذكس مكاتبة سرا بأن يمدى إلى البر الشرقي ، وينبئوا له صواب ذلك ... وهو يعتقد نصحتهم فعمدى إلى البر الشرقي . فلما حضر إلى شلقان ، رغب عساكره ، وجعلهم طواير ، وجعل كل بينا في طابور . وغملوا متاريس ، ونصبوا المدافع ، وأوقفوا المراكب بما فيها من العساكر والمدافع بالبحر على موازاة العرضي .

فخرج الألفى ، كما ذكر ، بمن معه من الأمراء المصرية والعساكر الأرثوذكسية ، وأرسل إلى الباشا بالانتقال والتأخر . فلم يجد بدا من ذلك فتأخر إلى زفينة ، ونزل ونصب هناك وطاقه ومتاريسه . وفي وقت تلك الحركة ، تسلل حسين بك الافرنجى ومن معه من العساكر بالغلابين والمراكب ، واستلعلوا على مراكب الباشا ، واحتاطوا بها ، وضربوا عليهم بالبنادق والمدافع ، وساقوهم إلى جهة مصر ، وأخذوهم أسرى ، وذهبوا بهم إلى الجيزة ... بعدما قتلوا من كان فيهم من العساكر المحارين ، وكبيرهم يسمى مصطفى باشا ، أخذوه أسيرا أيضا .

وكان بالمراكب أناس كثيرة من التجار وصحبهم بضائع وأسباب رومية — كان الباشا عوقهم بسكندرية — فنزلوا في المراكب ليصلوا ببضائعهم ، وطمعا في عدم دفعهم الجمر في ... فوقعوا أيضا في الشرك ، وارتبكوا فيمن ارتبك .

ولما تأخر الباشا عن منزلته ، واستقر بأراضى زفينة ... أحاطت به المصريون والعربان ، وتحلقوا حوله ، ووقفوا لعرضيه بالرصد . فكل من خرج من الدائرة خطفوه ، ومن الحياة أعدموه .

وأرسل اليه الألفى على كاشف الكبير ، فقال له : « حضرة ولدكم الألفى يسلم عليكم ، ويسأل عن هذه العساكر المصحوبين بركابكم ... وما الموجب لكثرتها ؟ وهذه هيئة المنابذين ... لا المسالين . والعادة القديمة أن الولاة لا يأتون إلا بأتباعهم وخدمهم المختصين بخدمتهم ، وقد ذكروا لكم ذلك وأتم بسكندرية ا » فقال : « نعم . وإنما هذه العساكر متوجهة الى الحجاز بقوة لشريف باشا على الخارجى . وعندما نستقر بالقلعة نعطيهم جماكيهم ، ونشعلهم ونرسلهم » . فقال : « انهم أعدوا لكم قصر الفينى تقيسون به .. فان القلعة خربها الفرنسييس ، وغيروا أوضاعها ، فلا تصلح لسكنائكم ... كما لا يخفاكم ذلك . وأما العسكر فلا يدخلون معكم بل ينفصلون عنكم ، ويذهبون الى بركة الحج ، فيكثون هناك حتى نشغل لهم احتياجاتهم ونرسلهم . ولسنا نقول ذلك خوفا منهم ، وإنما البلدة فى قحط وغلاء ، والعساكر العثمانية منحرفو الطباع ، ولا يستقيم حالهم مع الأرثوودية ، ويقع بينهم ما يوجب الفشل والتعب لنا ولكم » .

فقال : « اذن أرحل وأرجع الى سكندرية حيثما كنت » . فقال له : « هذا لا يكون .. وان فعلتم ذلك حصل لكم الضرر » ، فقال : « ان العسكر لهم عندى أربعمائة وثمانون كيسا ، أحضروها من حسابى معكم .. ندفعها لهم . وينتقلون الى البركة كما قلت » .

ورجع على كاشف الى الأمراء بذلك الجواب . وحضر عابدى بيك من طرف الباشا الى الأمراء — وهو كبير العساكر الانكشارية — فكلّمه وكلمهم ، وميلوه وخدموه . وذهب الى الباشا ، وعاد اليهم . فكان آخر كلامهم له : « ان يئسنا

وبينه فى غد : اما أن الباشا يحضر عندنا فى جماعته المختصين به ، وينزل بمخينا ، واما الحرب يئسنا وبينه » .

واتنظروا عابدى بيك . فلم يرجع لهم بجواب ، وهى العلامة بينهم وبينه ا

واشتغل هو تلك الليلة مع أصحابه وثبطهم وحل عزائمهم .

فلما أصبح الصباح ، ركب الأمراء المصرية بساكرهم ، وجعلوها طواير ، وزحفوا الى عرضى الباشا من كل جهة . فأمر عساكره بالركوب والمخاربة ... فلم يتحركوا ، وقالوا : « لم تأمر بالمخاربة ؟ وليس معك فرمان بذلك ، واخواننا البحريون أخذوا عن آخرهم ، ولم تعطنا جامكية ولا نفقة ، ولا طاقة لنا بحرب المصريين على هذا الوجه » .

فلما تحقق خذلانهم له فى ذلك الوقت الضيق ، ركب فى خاصته ، وذهب الى الأمراء ، وترك خيامه وأثقاله . فاستقبلوه وأرسلوه — صحة عثمان بيك الخازندار ورضوان كتخدا البرديسى وأحمد أغا شويكار — الى خيام أعدوها له عند خيام البرديسى .

وحضر اليه كتخدا الجاوشية وكاتب حوالة والوالى وباقى أرباب خدم الديوان . وذهب بعض خدمه وفراشينه الى قصر العينى ليفرشوه ويرتبوه وينظموه .

وأحضروا مصطفى باشا الذى كان فى المراكب ، وما كان بصحبته من لوازم الباشا الى القصر المذكور . وأشيع صلح الأمراء مع الباشا . ثم ان الألفى أرسل الى كبار عسكر الباشا ، فطلبهم ليعطيهم جماكيهم . فلما حضروا عنده — وعدتهم سبعة — عرف منهم ستة من المطرودين فى القن السابقة ، داروا ورجعوا الى اسكندرية لما سمعوا بعلى باشا..

فوبخهم ولعنهم ، وقال لهم : « أطلقناكم ، وعتقناكم
وغفونا عنكم ، وسفرناكم ، وكأنكم عدتم لتأخذوا
بثأركم » . ثم أمر بضرب أعناقهم... ففعل بهم ذلك ،
ورموا في البحر ، ماعدا سابعهم ، فانه لم يكن من
الذين حضروا الى مصر ، وتعارف محمد على معه
فشنع فيه ، وتركوه مع الأرثوود !

وأحضروا متاع الباشا وحملته وطلباخته من
عرضيه الى عرضى الأمراء ، وأمروا أولئك العساكر
بالرحيل . فرحلوا مع حسين بيك الوشاش الألفى
وصالح بيك الألفى . وقد كان نزل الى الشرقية ،
وحضر عند وصول الباشا وصحبته جملة من
العربان . ثم رجع مع خشدائنيه ، مع العسكر الى
شرقية بلبس ، ليوصلوهم الى الصالحية .. والله
أعلم ماذا فعل بهم . وعدتهم ألفان وخمسمائة .

السبت ٨ منه (٢١ يناير ١٨٠٤ م) :

انتقل الأمراء والباشا الى منية السيرج .

الاثنين ١٠ منه (٢٣ يناير ١٨٠٤ م) :

أشيع ركوب الباشا بالموكب الى قصر العيني
على طريق بولاق . وجمع المحتسب خيول الطواحين .
وخرج كثير من الناس في ذلك اليوم الى جهة بولاق
لأجل الفرجة ، وانتظروا ذلك ... فلم يحصل . وقبل
انهم أخروه الى يوم الأربعاء ثانی عشرة .

الأربعاء ١٢ منه (٢٥ يناير ١٨٠٤ م) :

وصل في صباحها التنايه لاختيارية الوجاقات
بالحضور والركوب مع الباشا . فلما كان وقت
الضحوة الكبرى ، تواترت الأخبار أنهم أركبوا
الباشا وسفروه الى جهة بلبس والصالحية .

وكان من خبره أنه لما حضر الى مخيم الأمراء ،
أرسل اليه عثمان بيك البرديسى كتحذاه رضوان
كاشف — المعروف بالغرباوى — بهدية وألف نصفية

ذهب ، وبلغه السلام ولاطفه ، وقال الباشا له ولن
حضر من الأمراء : « أنا عندما قلدوني ولاية مصر ،
قلت للدولة ان أول حوائجى العفو والرضا عن
الأمراء المصرية ، لأن لهم فى عتقى جيلا عندما
حضرت اليهم هاربا من طرابلس ، فأوونى
وأكرمونى ، وأقمت معهم مدة طويلة فى غاية الحظ
والاكرام .. ولا أنسى معرفهم » .

فأجابوه بأنهم أيضا يراعون له ذلك ، ولا
ينسون عشتهم معه ، وخصوصا صداقته لسيدهم
مراد بيك ، فانه كان معه كالأخوين ، ولا يأتس الا
بجبالسته وركوبه معه الى الصيد وغيره ... ولو وقع
منه ما وقع بمكاتبة الأرثوود والعربان وغيرهم .
فقال : « هذا شئ قد كان ، ونحن أولاد
اليوم ! » .

وأقام ثلاثة أيام بالخيام التى أجلسوه بها فى
عرضى البرديسى ، ورتب له طعاما فى الغداء والعشاء
من طعامه . ولم يجتمع به أحد من الأمراء الكبار
سوى عثمان بيك يوسف المعروف بالخازندار ،
وأحمد أغا شويكار ، وأرباب الخدم .

وأما الذنب الذى تقموه عليه ، فهو أنهم ذكروا
أن فى الليلة التى بات بها فى عرضى البرديسى ، كان
خرج من خيامه فارس على فرس يعدو بسرعة ،
فصهلت الخيل ، وانزعج العرضى ، وجروا خلفه
فلم يلحقوه . فسألوا الباشا عن ذلك ، فقال :
« لعله حرامى أراد أن يسرق شيئا وخرج هاربا ! » .
فلما حصل ذلك ، أجلسوا حوله عدة من المماليك
المسلحين . فسأل عنهم ، فقيل له : « انهم جلوس
بقصد المحافظة من السراق ! » . ثم انهم قبضوا
على هجان بناحية البساتين مسافر الى قبلى ، زعموا
أنهم وجدوا معه مكاتبات من الباشا خطابا الى
عثمان بيك حسن بقنا ، يطلبه للحضور الى مصر
ليكون معيننا له ، ويعده بامارة مصر .. ونحو ذلك .

ومسك كل طحان في فرسه أو أفراسه ، وأنزل عنها راكبها ، وأخذوها ورجعوا مسرورين بخيولهم . ولم يقدرُوا على منعهم ، لأنهم صاروا أذلاء مقهورين !

وركبوا بدلها جمالا ، وحجز البرديسي طبلخانة الباشا ومهاترته وطقمه وغالب متاعه . وأشيع ركوبه وذهابه .

الخميس ١٣ منه (٢٦ يناير ١٨٠٤ م) :

دخل الأمراء والعساكر الأرثوذية وأكابرهم ، وهم فرحون مسرورون ، وخلفهم الطبول والزمر . وركب حسين بيك الأفرجي المعروف باليهودي ، وأمامه العسكر المختصون به ، بطبلهم مثل طبل الفرنسيين ، وعلى رؤوسهم برانيط من نحاس أصفر ، وهم نصارى وأروام وتكرور . وخلف البرديسي نوبة الباشا ومهاترته بعينهم يطلبون ويزمرون . ولم يدخل الألفى معهم ، بل ركب من عرضيه بأمرائه وكشافه ، فذهب إلى عرب بلى بالجزيرة ... فطرقهم على حين غفلة ، وقتل منهم أناسا ، ونهب مواشيهم ونجمهم . وضرب أيضا زفينة وأجهور ونحو عشرين بلدا ، وحرقوا أكثرهم ، وأخذوا زرعهم ومتاعهم . بسبب أنه لما كان الباشا كاتب مشايخ البلاد والعربان ، اغتروا به ، وعندما حل بالقرب منهم قبجوا في حق المصرية وأتباعهم ، وطردهم وأسمعهم أفحش الكلام . وقامت عربان الشرقية ، وتعصبوا على صالح بيك الألفى ، فأوجب تحامل المصرية عليهم ، حتى جازوهم به عندما فرغوا من أمر الباشا

وفي تلك الليلة — أغنى ليلة الجمعة رابع عشره — حصل خسوف للقمر جزئي بعد رابع ساعة من الليل ، ومقدار المنخسف أربع أصابع وثلاث ، وانجلى في سابع ساعة ... الا شيئا يسيرا .

فلما كان يوم الأربعاء المذكور ، حضر إليه الجماعة فسلموا عليه ، وأذن لهم بالجلوس فجلسوا وهم سكوت ينظرون إلى بعضهم . فنظر لهم الباشا وقال : « خيرا » . فتكلم رضوان كتخدا البرديسي وقليل : « ألسنا اصطلمنا مع حضرة أفندينا ، وصلا خاطره معنا ؟ » . قال : « نعم .. » . قال له : « هل وقع من حضرتكم لأحد مكاتبة قبل ذلك ؟ » . قال : « لا » . قال : « لعلكم أرسلتم مكاتبة إلى قبلى ؟ » ، قال : « لم يكن ذلك أبدا » ، فأخرج له مكتوبا وناول له إياه .. فلما رآه قال : « نعم .. هذا مما كنا كتبناه بسكندرية » . فقالوا له : « انا وجدناه أمس مع الهجان المسافر به إلى جهة البساتين ، قبض عليه المحافظون بتلك الجهة في ساعته ، وتاريخه قرب » . فسكت متفكرا . فقاموا على أقدامهم وقالوا : « بيرون » .. يعنى تفضلوا . فقال : « إلى أين ؟ » فقالوا : « إلى غزة .. فانه لا أمان لنا معك بعد ذلك » .

ولم يملوه لكلام يقوله ، ولا عذر يديه . حتى انهم لم يسهلوه لمجيء مركوبه المختص به ، بل قدموا له فرسا لبعض الممالك ، وأركبوه له . وفي حال ركوبه ، رأى الأمراء المستعدين للذهاب معه وقوا في انتظاره . فقال لهم : « ان صحبني أحد منكم فقولوا لهم يكونون متباعدين عنى في الحط والترحال » . فأجابوه إلى ذلك .

وسار معه محمد بيك المنفوخ ، وسليمان بيك صهر ابراهيم بيك ... على الشرط وركب أتباعه خيول الطواحين ، التي كانوا أعدوها للركوب . وكان الطحانون ينتظرون متى تنقضى الركوب ، ويأخذون خيولهم . فلما تحقق سفرهم ، طارت عقول الطحانين ، وذهبوا إلى صبيوان البرديسي يشكون إليه عطل مطاحن البلد . فقال لهم : « دونكم .. ها هي أمامكم اذهبوا فخذوها » . فجزوا خلفهم ،

عمل المغاربة مع الخدم مشاجرة ، وجسموها الى أن تفساربوا بالسلاح . فقامت الأجناد المصرية من خلفهم ، فصار الباشا ومن معه في الوسط ، والتحموا عليهم بالقتال . ففر من أتباعه أربعة عشر نفسا الى الوادى ، وثلاثة عشر رموا بأنفسهم في ساقية قريبة منهم ... من حلاوة الروح .

وضرب الباشا بعض الممالك منهم بقرابينه ، فأصابته ، وقتل معه ابن أخته حسن بيك ، وكثدها ، وباقي الثمانية عشر .

فلما سقط الباشا — وبه رمق — رأى أحد الأميرين فقال له : « في عرضك يا فلان .. ان معى كفنا بداخل الخرج . فكفنى فيه ، وادفنى ، ولا تتركنى مرميا » ! فلما انقضى ذلك ، أعطى ذلك الأمير لبعض العرب دنائير ، وأعطاه الكفن الذى أوصاه عليه ، وقال له : « اذهب الى مقتلهم ، وخذ الباشا .. فكفنه وادفنه فى تربة » . فقال : « أنا لا أعرفه » . فقال : « هو الذى لحيته عظيمة من دونهم » ، ففعل كما أمره .

وحفروا لباقيهم حفرا وواروهم فيها ، وانقضى أمرهم .

هذا اخبار بعض أهل تلك البلاد المشاهدين للواقعة . وكل ذلك وبال فعله ، وسوء سريره ، وخبت ضميره . فلقد بلغنا أنه قال لمسكره : « ان بلغت مرادى من الأمراء المصريين ، وظفرت بهم وبالأرتود ، أبحث لكم المدينة والرعية ثلاثة أيام ... تفعلون بها ما شئتم » . والدليل على ذلك ما فعله بالاسكندرية مدة اقامته بها ، من الجور والظلم ، ومصادرات الناس فى أموالهم وبضائعهم ، وتسلب عساكره عليهم بالجور والخطف والفسق ، وترذيله لأهل العلم واهاتته لهم ... حتى أنه كان يسمى الشيخ محمد المسيرى — الذى هو أجل مذكور فى الشعر — « بالمزور » . واذا دخل عليه

وفى ذلك اليوم : أرسل البرديسى الى شيخ السادات تذكرة صحبة واحد كاشف من أتباعه ، يطلب عشرين ألف ريال سلفة ، فلافه وردده بلطف . فرجع الى مخدومه وأبقى بيت الشيخ جماعة من العسكر . فوبخه على الرجوع من غير قضاء حاجة ، وأمره بالعود ثانيا . فعاد اليه فى خامس ساعة من الليل وصحبته جماعة أخرى من العسكر ، فأزعجوا أهل البيت . وأرسلت عديلة هانم ابنة ابراهيم بيك الى المعينين تأمرهم أن لا يعملوا قلة أدب ، وأرسلت الى أيها لأن منزلها بجواره ، فاهتم لذلك وأرسل خليل بيك الى البرديسى فكفه عن ذلك بعد علاج وسعى ، ورفع المعينين .

الخميس ٢٠ منه (٢ فبراير ١٨٠٤ م) :

وصلت أخبار ومكاتبات من الأمراء الذين ذهبوا بصحبة الباشا يخبرون فيها بسوت الباشا بالقرين ، فضربوا مدافع كثيرة بعد العشاء ونصف الليل . ومضمون ما ذكروه فى المراسلة « أن الباشا أراد أن يكبسهم بمن معه ليلا ، وكان معهم سائس يعرف بالتركى ، فحضر اليهم وأخبرهم ، فتحذروا منه . فلما كبسهم وقعت محاربة بينهم وقتل منهم عدة من الممالك وخازندار محمد بيك المنفوخ ، وانجرح المنفوخ أيضا جرحا بليغا ، وأصيب الباشا وصاحبه من غير قصد — والليل ليس له صاحب — ففقدى عليه ، وكان ذلك مقدورا ، وفى الكتاب مسطورا : وانكم ترسلون لنا أمانا بالحضور الى مصر ، والا ذهبنا الى الصعيد » . هذا ما قالوه .

والواقع أنهم لما سافروا معه ، كان بصحبته خمسة وأربعون نفسا لا غير . والعساكر التى كانت سافرت قبله نجعت الى الصالحية ، أو ذهبت حيث شاء الله . وكان أمامه عسكر المغاربة وخلفه الأمراء المصرية .

فلما وصلوا الى أراضى القرين ، ونزلوا هناك ،

مع أمثاله — وكان جالسا — اتكأ ، ومد رجله
أقصدا لاهاتهم .

وخبر على باشا المترجم المذكور مختصرا : أنه
كان أصله من الجزائر مملوك محمد باشا حاكم
الجزائر . فلما مات محمد باشا ، وتولى مكانه
صهره ... أرسله بمراسلة الى حسين قبطان باشا .
وكان أخوه ، المعروف بالسيد على ، مملوكا للدولة
بمذكورا عند قبطان باشا ، ومتولى الزبالة ...
فتوه بذكره . فقلده قبطان باشا ولاية طرابلس
وأعطاه فرماتات ويرق . فذهب إليها ، وجيش له
جيوشا ومراكب ، وأغار على متوليها — وهو أخو
حمودة باشا صاحب تونس — وحارب عدة شهور
حتى ملكها بمخامرة أهلها ... لعلهم أنه متوليها
من طرف الدولة .

وهرب أخو حمودة باشا عند أخيه بتونس . فلما
استولى على باشا المذكور على طرابلس ... أباحها
لمسكركه ففعلوا بها أشنع وأقبح من التمرلنكية :
من النهب ، وهتك النساء ، والفسق والفجور ،
وسبى حريم متوليها ، وأخذهن أسرى ، وفضحن
بين عسكره .

ثم طالبهم بالأموال ، وأخذ أموال التجار ،
وفرد على أهل البلد ، وأخذ أموالهم . ثم ان
المنفصل حشد وجمع جموعا ، ورجع الى طرابلس
وحاصره أشد المحاصرة .

وقام معه المفرضون له من أهل البلدة ،
والمقروصون من على باشا . فلما رأى الغلبة على
نفسه ، نزل الى المراكب بما جمعه من الأموال
والنخائر ، وأخذ معه غلامين جميلين من أولاد
الأعيان شبه الرهائن ، وهرب الى اسكندرية ،
وحضر الى مصر ، والتجأ الى مراد بيك ... فأكرمه ،
وأنزله منزلا حسنا عنده بالجزيرة . وصار
خصيما به .

وسبب مجيئه الى مصر ، ولم يرجع الى القبطان ...
علمه أنه صار مقبوتا في الدولة . لأن من قواعد
دولة العثمانيين ، أنهم اذا أمروا أميرا في ولاية ، ولم
يفلح .. مقتوه وسلبوه ، وربما قتلوه . وخصوصا
اذا كان ذا مال !

ثم حج المترجم في سنة سبع ومائتين وألف من
القلزم ، وأودع ذخائره عند رشوان كاشف ،
المعروف بكاشف الفيوم ، لقراءة بينهما من بلادهما .
ولما كان بالحجاز ، ووصل الحجاج الطرابلسية ،
ورأوه وصحبته الغلامان ... ذهبوا الى أمير الحج
الشامي ، وعرفوه عنه وعن الغلامين ، وأنه يفصل
بهما الفاحشة . فأرسل معهم جماعة من أتباعه في
حصة مهمة ، وكبسوا عليه — على حين غفلة —
فوجدوه كما قالوا . فلعنوه وقطعوا لحيته ، وضربوه
بالسلاح ، وجرحوه جرحا بالغا ، وأهانوه ، وأخذوا
منه الغلامين . وكادوا يقتلونه .. لولا جماعة من
جماعة أمير الحج . ثم رجع الى مصر من البحر
أيضا . وأقام في منزلته — عند مراد بيك — زيادة
عن ست سنوات ... الى أن حضر الفرنسيين الى
الديار المصرية . فقاتل مع الأمراء ، وتغرب معهم في
قبلى وغيره . ثم انفصل عنهم ، وذهب من خلف
الجبل ، وسار الى الشام . فأرسله الوزير يوسف
باشا — بعد الكسرة — بمكاتبات الى الدولة . فلم
يزل حتى وقعت هذه الحوادث . وقامت العسكرة
على محمد باشا وأخرجوه .

ووصل الخبر الى اسلامبول ، فطلب ولاية مصر
على ظن بقاء حبل الدولة العثمانية وأوامرها بمصر ..
وليس بها الا طاهر باشا والأرتوود . وجعل على
نفسه قدرا عظيما من المال ، ووصل الى اسكندرية
وبلغه انعكاس الأمر ، وموت طاهر باشا وطرد
الينكجيرية . وانضمام طائفة الأرتوود للمصرية ،
وتمكنهم من البلدة .

وفيه : وصل الألفى من سرحته الى مصر القديمة . فأقام في قصره الذى عمره هناك — وهو قصر البارودى — يومين . ثم عدى الى الجيزة ، ودخل أتباعه بالمنهوبات من الجمال والأبقار والأغنام ، ومعهم الجمال محملة بالقمح الأخضر والفول والشعير لعدم البرسيم ، فانهم رعوا ما وجدوه في حال ذهابهم ، وفي رجوعهم لم يجدوا خلاف الغلة ، فرعوها وحملوا باقيها على الجمال . ولو شاء ربك ما فعلوه .

السبت ٢٢ منه (٤ فبراير ١٨٠٤ م) :

وقعت معركة بين الأرنؤودية وعسكر التكرور بالقرب من الناصرية بسبب حمل برسيم ، وضربوا على بعضهم بنادق رصاص ، وقتل بينهم أنفار ، واستمروا على مضاربة بعضهم البعض نحو سبعة أيام ، وهم يترصدون لبعضهم في الطرقات .

الثلاثاء ٢٥ منه (٧ فبراير ١٨٠٤ م) :

عملوا ديوانا وقرأوا فرمانا وصل من الدولة مع الططر ... خطابا لعلى باشا والأمراء بتشهيل أربعة آلاف عسكرى وسفرهم الى الحجاز لمحاربة الوهابيين ، وارسل ثلاثين ألف أردب غلال الى الحرمين ، وأنهم وجهوا أربع باشات من جهة بغداد بعساكر ... وكذلك أحمد باشا الجزار ، أرسلوا له فرمانا بالاستعداد والتوجه لذلك . فان ذلك من أعظم ماتتوجه اليه الهمم الاسلامية . وأمثال ذلك من الكلام ، والترفق . وفيه بعض القول بالحسب والمروءة بتنجز المطلوب من الغلال ، وان لم تكن متيسرة عندكم ، تبذلوا الهمة في تحصلها من النواحي والجهات بأثمانها على طرف الميرى بالسعر الواقع .

وفيه : تقيد لضبط مخلفات على باشا : صالح أفندى ، ورضوان كئخدا ، ونائب القاضى ، وباشكاتب .

فأراد أن يدبر أمرا ، ويصطاد العقاب بالغراب ، فيحوز بذلك سلطنة مجددة ، ومنقبة مؤيدة ... فلم تنفعه التدابير ، ولم تسعفها المقادير . فكان كالباحث على حتفه بظلفه ، والجادع بيده مارن أنفه . ولم يعلم أنها القاهرة ، كم قهرت جابرة ، وكادت فراعنة

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجنى عليه اجتهداه

وكان صفته : أبيض اللون ، عظيم اللحية والشوارب ، أشقرهما ، قليل الكلام بالعربى ، يحب اللهو والخلاعة !

ولما انقضى أمره ، وأرسل سليمان بيك ومحمد بيك مكاتبات الى شاهين بيك ونظرائه بما ذكروا ، وأن يأخذوا لهم أمانا من ابراهيم بيك والبردىسى . فكتبوا لهم أمانا ... بعد امتناع منها ، وازهار التغير والغضب والتأسف على التفريط منها في قتله .

وفيه : عملوا ديوانا ، وأحضروا صالح أنغا قابجى باشا ، الذى حضر أولا ونزل ببيت رضوان كئخدا ابراهيم بيك ، وقرأوا فرمان الذى معه وهو يتضمن ولاية على باشا والأوامر المعتادة لا غير . وليس فيها ما كان ذكره على باشا من الجمارك والالتزام وغيره . وتكلم الشيخ الأمير فى ذلك المجلس ، وذكر بعض كلمات ونصائح فى اتباع العدل ، وترك الظلم ، وما يترتب عليه من الدمار والخراب . وشكا الأمراء المتأمرين من أفعال بعضهم البعض ، وتعدى الكشاف النازلين فى الأقاليم وجورهم على البلاد ، وأنه لا يتحصل لهم من التزامهم وحصصهم ما يقوم بنفقاتهم .

فاتفق الحال على ارسال مكاتبات للكشاف بالحضور والكف عن البلاد . وأما مصطفى باشا ، فانهم أنزلوه فى مركب مع أتباع الباشا الذين كانوا بقصر العينى ، وسفروهم الى حيث شاء الله !

الأرتوود من القلعة ، وكانوا نحو الأربعمائة ، فذهبوا الى بولاق وسكنوا بها ، بعدما أخرجوا السكان من دورهم بالقهر عنهم . ولم يبق بالقلعة من أجناسهم سوى الطوبجية .. المتقيدين بخدمة المصرية .

وفيه : ألبس ابراهيم بك كتخدها رضوان خلعة . وأشيع أنه قلده دفتردارية مصر . وذهب الى البرديسى فخلع عليه أيضا ، وكذلك الألفى . وذلك اكراما له وتنويها بذكره ، جزاء فعله ومجيشه بالباشا ، وتحيله عليه .

• منه (١٦ فبراير ١٨٠٤ م) :

وصلت مكاتبات من يحيى بك البرديسى حاكم رشيد ، يخبر فيها بوصول محمد بك الألفى الكبير الى ثغر رشيد يوم الأربعاء ثالثه . وقد طلع على أبى قير ، وحضر الى ادكو ثم الى رشيد فى يوم الأربعاء المذكور ... وقصده الإقامة برشيد سنة أيام .

فلما وصلت تلك الأخبار ، عملوا شنكا ، وضربوا مدافع كثيرة بعد الغروب ، وكذلك بعد العشاء ، وفى طلوع النهار ، من جميع الجهات : من الجيزة ومصر القديمة وبيت البرديسى والقلعة ، وأظهروا البشر والفرح . وشرعوا فى تشهيل الهدايا والتقدم ، وأضمرؤا فى نفوسهم سوء له ولجماعته المتأمرين . حسدا لرياسته عليهم ، وخمولهم بحضوره . فهاجت حفائظهم ، وكنموا حقدهم ، وتناجوا فيما بينهم ، وبيتوا أمرهم مع كبار العسكر . وأرسل البرديسى كتابا الى مملوكه يحيى بك تابعه حاكم رشيد ، يأمره فيه بقتل الألفى هناك . وركب هو الى المنيل ، وعدى شاهين بك ، ومحمد بك المنفوخ ، واسماعيل بك صهر ابراهيم بك ، وعمر بك الابراهيمى الى بر الجيزة ليلة الأحد .

وفيه : حضر الأمراء الذين توجهوا بصحبة الباشا الى الشرقية .

وفى هذا اليوم : حضر عثمان كاشف البواب الذى كان بالمنوفية ، وترك خيامه وأثقاله وأعوانه على ما هم عليه ، وحضر فى قلة من أتباعه .

وفيه : نقلوا عسكر التكرور من ناحية قناطر السباع الى جهة أخرى . وأخرجوا سكانا كثيرة من دورهم جهة الناصرية ، وأزعجهم من مواطنهم ، وأسكنوا بها عساكر وطبجية .

وفيه : أنزلوا السيد على القبطان من القلعة الى بيت على بك أيوب كما كان . وهذا السيد على هو أخو على باشا المقتول كما ذكر . وأصله مملوك ، وليس بشريف كما يتبادر الى الفهم من لفظة سيد أنها وصف خاص للشريف ، بل هى منقولة من لغة المغاربة ، فانهم يعبرون عن الأمير بالسيد ... بمعنى المالك وصاحب السيادة .

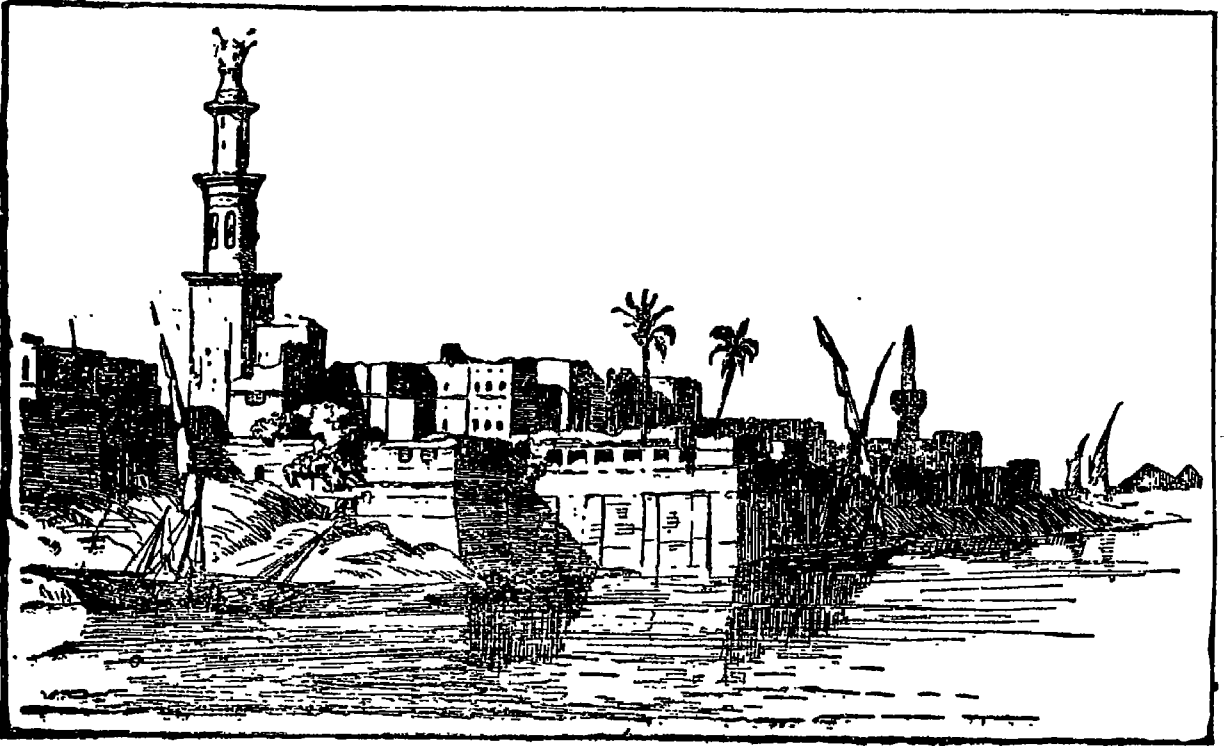
الأربعاء ٢٦ منه (٨ فبراير ١٨٠٤ م) :

أنزلوا محمل الحاج من القلعة مطويا من غير هيئة . وأشيع فى الناس دورانه الى بيت ابراهيم بك صحبة أحد الكشاف وطائفة من المماليك . واتفق رأى على سفره من طريق بحر القلزم صحبة محمود جاويش مستحفظان ، ومعه الكسوة والصرة . وكان حضر الكثير من الحجاج بالجهة القبلية بجمالهم ودوابهم ومتاعهم .. فلما تحققوا عدم السفر — حكم المعتاد — باعوا جمالهم ودوابهم بالرميلة بأبخس الأثمان ، لعدم العلف بعدما كلفوها بطول السنة ، وما قاسوه أيضا فى الأيام التى أقاموها بمصر فى الانتظار والتوهم .

ذوالقعدة

غرة (١٢ فبراير ١٨٠٤ م) :

أنزلوا حسين قبطان ومن معه من عسكر



الجيزة

وكان محمد على وأحمد بيك والأرثوذكسية
عدوا قبلى الجيزة ليلا ، وكنوا بمكان ينتظرون
الاشارة ، ويتحققون وقوع الدم بينهم . فلما
علموا ذلك ، حضروا الى القصر ، وأحاطوا به .
وكان طبجى الألفى مخامرا أيضا ، فعطل « فوانى »
المدافع . واستمروا فى ترتيب الأمراء على القصر
الى آخر الليل . فحضر الى الألفى من أيقظه
وأعلنه بقتل حسين بيك ، واحاطتهم بالقصر . فأراد
الاستعداد للحرب ، وطلب الطبجى فلم يجده ،
وأعلموه بما فعل بالمدافع . فأمر بالتحميل ، وركب
فى جماعته الحاضرين ، وخرج من الباب الغربى ،
وصار مقبلا . فركب خلفه الأمراء المذكورون ،
وساروا مقدار ملقتين حتى تعبت خيولهم ... ولم
يكن معهم خيول كثيرة ، لأنهم لم يكونوا يظنون
خروجهم من القصر .

واشتغل أكثر أتباعهم بالنهب ، لأنه عند ماركب

ولصبوا خيامهم ليستعدوا الى السفر من آخر
الليل ، صحبة الألفى الصغير .

وعدى أيضا قبلهم حسين بيك الوشاش الألفى ،
ونصب خيامه بحرى منهم .

فلما كان فى خامس ساعة من الليل ، أرسلوا
الى حسين بيك يطلبونه اليهم . فحضر مع مماليكه ،
وقد رتبوا جماعة منهم تأتى بخيول ومشاعل من
جهة القصر . فقالوا له : « أين الخيول .. فاننا
زاكبون فى هذا الوقت للملاقاة ، وها هو أخوك
الألفى قد ركب .. وهو مقبل ا » ، فنظر فرأى
المشاعل والخيول ، فلم يشك فى صحة ذلك ، ولم
يخطر بباله خيانتهم له . فأمر مماليكه أن يذهبوا
الى خيولهم ويركبوا ، ويأتوه بفرسه . فأمرعوا
الى ذلك ، وبقي هو وحده ينتظر فرسه . فعاجلوه ،
وغدروه وقتلوه بينهم ، وأرسلوا الى
البرديسى بالخبر .

الألفى وخرج من القصر .. دخله العسكر والأجناد ونهبوا مافيه من الأثقال والأمتعة والفرش وغيرها . وكان كاتبه المعلم غالى ساكنا بالجيزة ، وكذلك كثير من أتباعه ومقدميه . فذهبوا الى دورهم .. فنهبوها ، وأخذوا ما عند كاتبه المذكور من الأموال . ثم نهبوا دور الجيزة عن آخرها ، ولم يتركوا بها جليلا ولا حقيرا حتى عروا ثياب النساء ، وفعلوا بها مثل ما فعلوا بدمياط .

وأصبح الناس بالمدينة يوم الأحد لا يعلمون شيئا من ذلك ... الا أنهم سمعوا الصراخ بيت حسين بيك جهة التبانة . وقيل انه قتل ببر الجيزة . فصار الناس في تعجب وحيرة ، واختلفت رواياتهم ولم يفتحوا دكاكينهم ، وقللوا أسبابهم منها ... وظلوا غالب اليوم لم يعلموا سر قتل حسين بيك الا من صراخ أهل بيته . وكل ذلك وقع و ابراهيم بيك جالس في بيته ويسأل ممن يدخل اليه عن الخبر . وأحضر محمود جاويش المعين للسفر بالمحمل وصير في الصرة والكتبة ، واشتغل معهم ذلك اليوم في عدد مال الصرة وحسابها ولوازم ذلك .

وبعد العصر ، أشيع المرور بالمحمل . فاجتمع الناس للفرجة ، فمروا به من الجمالية الى قراميدان قبل الغروب .

٨٠ - (١٩ فبراير ١٨٠٤ م) :

ركب ابراهيم بيك وأمرأؤه الى قراميدان ، وسلم المحمل . واجتمع الناس للفرجة على العادة ، فمروا به من الشارع الأعظم الى العادلية ، وأمامه الكسوة في أناس قليلة وطبل وأشايير . وعينوا للذهاب معه أربعمائة مغربي من الحجاج ، رتبوا لهم جامكية ثلاثين نفرا من عسكر الأرتوود .

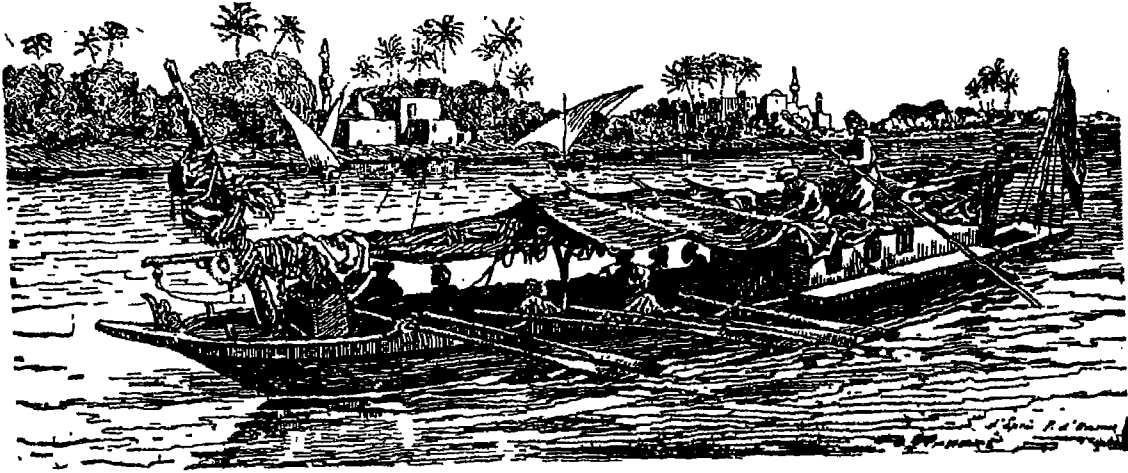
هذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من أمر الألفى الكبير ... فانه لما حضر الى رشيد يوم الأربعاء ثالثه ، كما تقدم ، قابله يحيى بيك ، وعمل

له شنكا وطعاما ، وما يليق به ، وسأله عن مدة اقامته في رشيد ، فقال له : « أريد الاقامة ستة أيام حتى نستريح » . ونزل بيت مصطفى عبد الله التاجر ، ولم يكن معه الا خاصة ماليكه وجوخداره تنمة ستة عشر ... فاستأذنه يحيى بيك في ارسال الخبر الى مصر ، ليأتى الأمراء الى ملاقاته .. فلم يرض بذلك . ثم انه لم يقيم برشيد الا ليلة واحدة . وأنزل أمتعته في أربع مراكب من الرواحل ، وانتقل آخر الليل الى بيت البطروشى (١) القنصل . وأمر بتنقيل المتاع الى مراكب النيل ، وأهدى له البطروشى غرابا من صناعة الانجليز مليح الشكل .. نزل هو به ، وصار الى مصر . وكان قصده الحضور بغتة فعندما يصلهم الخبر ، يصبحون يجدونه في الجيزة .. ويأبى الله الا ما يريد . فلم يسعفه الريح ، وكان تأخير سببا لنجاته .

ولما وصل الخبر بحضوره ، وعملوا الشنك ... جهز له الألفى الصغير بعض الاحتياجات ، وأرسلها في الذهبية والقنجة صحبة الخواجا محمود حسن وخلافه . فنزلوا من بولاق ، وانحدروا بعد الظهر من يوم السبت . فاجتمعوا به عند « نادر » نصف الليل .

فلما أصبح الصباح ، حضر اليه سليمان كاشف البواب وقابله ورجع معه الى منوف العلى . فأقام هناك يوم الأحد وبات هناك ، ودخل الحمام ، وسار منها بعد طلوع النهار ، وهم يسحبون المراكب باللبان لمخالفة الريح . فلم يزل سائرا الى الظهر ، فلاقاه سدة من عسكر الأرتوود الموجهة اليه في أربع مراب ، في مضيق الترعة . فسلم عليهم ، فردوا عليه السلام . فسألهم بعض أتباعه بالتركي ، فقال لهم : « أين تريدون .. ؟ » . قالوا : « نريد الألفى » ، فقال لهم : « هاهو الألفى » . فسكتوا ، ثم

(١) Petrucci نائب قنصل الانجليز في رشيد .



القنجة

فعند ذلك تحقق الخبر ، وطلع الى البر ، وأمر بتفريق القنجة ، ومضى مع الممالك على أقدامهم ، وتخلف عنه الخواجا محمود حسن بشيرا . فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى ناحية قرنفيل ، ودخل الى نجع عرب الحويطات ، والتجأ الى امرأة منهم ، فأجارته ولبت دعوته ، وأركبته فرسا وأصحبته معه شخصين هجانين . وركب معهما وسار الى قرب الخانكة ليلا والممالك معه مشاة . فقابلهم جماعة من عرب بلى — وكبيرهم يقال له سعد ابراهيم — فاحتاطوا به ، فاشتغل الممالك بحريهم ، فتركهم وسار مع الهجانة الى ناحية الجبل ، ومضى . فسمع الأجناد القريبون منهم — وفيهم البرديسي — صوت البنادق بين العرب والممالك ، فأسرعوا اليهم وسألوهم عن سيدهم . فقالوا : « انه كان معنا .. وفارقنا الساعة » .

فأمر البرديسي من معه من الممالك والأجناد أن يسرعوا خلفه ويتفرقوا في الطرق ، وكل من أدركه فليقتله في الحال . فذهبوا خلفه ، فلم يعثر به أحد منهم ، وخرم عليه سعد ابراهيم بجماعة قليلة من طريق يعرفها ، فرمى لهم مائة من الذهب

تلاغى الملاحون مع بعضهم ، فأعلموهم الخبر ، فنقلوه الى الألفى .. فكذب ذلك ، وقال : « هذا شيء لا يكون .. ولا يصح أن اخواننا يفعلون ذلك معي ، وأنا سافرت وتغربت سنة لأجل راحتنا ، ولعلها حادثة بينهم وبين العسكر » . ثم ان طائفة منهم أدركت الغراب الذي قدمه له البطروشي ، وكان متأخرا عن المراكب ، فصعدوا اليه ، وأخذوا مافيه من المتاع . فأخبروه بذلك .. ونظر ، فرآهم يفعلون ذلك . فأرسل اليهم بعض من معه من الأتراك ليستخبر عن شأنهم وأمرهم . ولم ينتظر رجوعه بالجواب ، ولكنه أخذ بالحزم ، ونزل في الحال الى القنجة مع الممالك ... وصحبته الخواجا محمود حسن ، وأمرهم أن يسكوا المقاذيف ... ففعلوا ذلك ، وهو يستحثهم ، حتى خرجوا من التربة الى البحر . فلاقاهم طائفة أخرى في سفينتين ، وفيهم سراج باشا تابع البرديسي — وكان بعيدا عنهم — فأعماههم الله عنه ، وكأنهم لم يظنوه اياه . ولم يزل يجد في السير حتى وصل الى شبرا الشهاية . فنظر الى رجل ساع ، وأعلمه أنه مرسل من بيت سليمان كاشف البواب بخبر الواقع .

والجوهر والكرك الذى على ظهره ... فاشتغلوا به ، وتركهم وسار وغاب أمره .

وفى حال جلوسه عند العرب ، مر عليهم طائفة من الأجناد سائرين ... لأنهم لما فعلوا فعلتهم فى الجيزة ، لم يبق لهم شغل ... الا هو . وأخذوا فى الاحتياط عليه ما أمكن . فأرسلوا عسكريا فى المراكب ، واثبت طوائفهم فى الجهات البحرية شرقا وغربا . فذهبت طائفة منهم الى الشرقية ، وطائفة الى القليوبية ، وكذلك المنوفية والغربية والبحيرة ، وسلكوا طريق الجبل الموصلة الى قبلى .

وذهب حسين بيك ، ورستم بيك ، الى صالح بيك الألفى الذى بالشرقية ، وذهب شاهين بيك الى سليمان كاشف البواب من البر الغربى ، ليقطع عليه الطريق . وذهب على بيك أيوب ومحمد على ... على جهة القليوبية ليلحقه بمنوف

فلما وصل الى دجوة ، تعوق بسبب قلة المعادى . فلما وصل الى منوف ، فوجدوه عدى الى الجهة الأخرى ، فأخذوا متروكاته التى تركها — وهى بعض خيول وجمال ، وخمسين زلعة سمن مسلى — وعملوا على أهل البلد أربعة آلاف ربال قبضوها منهم ورجعوا . وكان عندما بلغه الخبر الاجالى ... لم يكذب المخبر — وذلك بعد مفارقة الألفى له بنحو ثلاث ساعات — فعدى فى الحال الى الجهة الغربية بأثقاله وعساكره ، فوجد أمامه شاهين بيك فأرسل يطلب منه أمانا ، فأحابه الى ذلك . وأرسل الى مصر من يأتى بالأمان ، واطمان شاهين بيك . فارتحل سليمان كاشف ليلا .

فلما أصبح شاهين بيك وجدته قد ارتحل ، فرجع بخفى حنين ، وعدى الى القليوبية ، فبلغه خبر الألفى وما وقع له مع العرب فطلبهم ،

فأخبروه أنه غاب عنهم فى الجبل من الطريق الفلانى ، فقبض عليهم ، وأحضرهم صحبته مشنوقين فى عمائمهم . ووجد الممالك ، فقبض عليهم وأرسلهم الى البرديسى . وأما مراكبه ، فانه عندما نزل الى القنجة وفارقها ، أدركها العسكر الذين قابلوه فى المراكب ونهبوا مافيها ، وكان بها شئ كثير من الأموال وطرائف الانكليز ، والأمتعة والجوخ ، والأسلحة والجواهر . فانه لما وصل الى القرالى أكرمه اكراما كثيرا ، وأهدى اليه تحفا غريبة ، وكذلك آكابره ، وأعطاه جملة كافية من المال على سبيل الأمانة ، يرسل له بها غلالا وأشياء من مصر . واشترى هو لنفسه أشياء بأربعة آلاف كيس ، يلغعها الى القنصل بمصر ، وأرسل له بها القرالى بولصة ، وأهدى له صورة نفسه من جوهر ، ونظارات وآلات وغير ذلك .

وأما الألفى الصغير ، فانه ذهب الى جهة قبلى ، وفرد الفرد والكلف على البلاد ، ومن عصى عليه أو توانى فى دفع المطلوب ، نهبهم وحرقهم .

وأما صالح بيك الألفى ، فانه لما وصل اليه الخبر ، وفدوم الموجهين اليه ... رك فى الحال من زنكلون ، وترك حملته وأثقاله ، فلم يدركوه أيضا .

٩ منه (٢٠ فبراير ١٨٠٤ م) :

أحضروا ممالك الألفى الكبير وجوخداره الى بيت البرديسى وأرسل ابراهيم بيك والبرديسى مكاتبات الى الأمراء بقبلى ، وهم : سليمان بيك الخازندار ، حاكم جرجا ، وعثمان بيك حسن بقنا ، ومحمد بيك ، المعروف بالغربية الابراهيمى ... يوصونهم ويحذرونهم من التفريط فى الألفى الصغير والكبير ان وردا عليهم .

وأما شاهين بيك ، فانه عدى الى الشرقية ، واجتهد فى التفطيش . ثم رجع فى يوم الثلاثاء المذكور وأمامه العرب المتهمون بأنهم يعرفون

طريقه ، وأنهم أدركوه ... فأعطاهم جوهرا كثيرا وتركوه . وأحضروا صحبتهم حقا من خشب وجدوه مرميا في بعض الطرق . فأحضر البرديسي ممالك الألفى وأراهم ذلك الحق ، فقالوا : « نعم .. كان مع استاذنا ، وفي داخله جواهر ثمين » .

وأرسلوا عدة من الممالك والهجانة الى الطريق التي ذكرها العرب . وأحضر البرديسي ابن شديد وسأله ، فأخبره أنه لم يكن حاضرا في نجعه وأن أمه أو خالته هي التي أعطته الفرس والهجانة ، فوبخه ولامه . فقال له : « هذه عادة العرب من قديم الزمان .. يجيرون طنيهم ، ولا يخفرون ذمتهم » . فحبسه أياما ثم أطلقه . وقيل انه مر عليه على بيك أيوب ومحمد على ومن معهم من العسكر ، وهو في خيش العرب ، وهو يراهم . وأعماهم الله عن تفتيش النجع ، وعن السؤال أيضا !

وفي ذلك اليوم : خرج عثمان بيك يوسف وحسين بيك الوالى وأحمد أغا شويكار الى جهة الشرقية ، ومرزوق بيك الى القليوبية ... يفتشون على الألفى .

وفيه : شرعوا في تشهيل تجريدة الى الألفى الصغير . وأميرها شاهين بيك ، وصحبته محمد بيك المنفوخ ، وعمر بيك ، وإبراهيم كاشف .

١٢ منه (٢٣ فبراير ١٨٠٤ م) :

سافرت قافلة الحج بالمحمل الى السويس .

١٣ منه (٢٤ فبراير ١٨٠٤ م) :

حضر على بيك أيوب ومحمد على من سرحتهما على غير طائل .

وفيه : سافر قنصل الانكليز من مصر بسبب هذه الحادثة . فانه لما وقع ذلك .. اجتمع بإبراهيم بيك والبرديسي ، وتكلم معهما ، ولامهما على هذه الفعلة ، وكلمهما كلاما كثيرا ... منه أنه قال لهما :

« هذا الذي فعلتماه لأجل نهب مال القرالى . ومطلوب منى أربعة آلاف كيس .. وهى البوليصة الموجهة على الألفى » وغير ذلك . فلاطفاه وأرادا منعه من السفر ، فقال : « لا يمكن أنى أقيم ببلدة هذا شأنها ، وطريقتنا .. لا نقيم الا فى البلدة المستقيمة الحال ! » . ثم نزل مغضبا وسافر ، وأراد أيضا قنصل الفرنسيين السفر فمنعاه .

وفيه : طلب العسكر جماكيهم من الأمراء ، وشددوا فى الطلب ، واستقلوا الأمراء فى أعينهم ، وتكلموا مع محمد على وأحمد بيك وصادق أغا كلاما كثيرا . فسعوا فى الكلام مع الأمراء المصرية ، فوعدهم الى يوم الثلاثاء . ومات بقطر المحاسب كاتب البرديسي يوم الأحد .

١٦ منه (٢٧ فبراير ١٨٠٤ م) :

اجتمع العسكر ببيت محمد على ، وحصل بعض قلقة ، فحولهم على القبط بمائتى ألف ريال منها : خمسون على غالى كاتب الألفى ، وثلاثون على تركة بقطر المحاسب ، والمائة والعشرون موزعة عليهم . فسكن الاضطراب قليلا . وفيه : رجع مرزوق بيك من القليوبية .

١٧ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٤ م) :

توفى إبراهيم أفندى الروزنامجى . وفيه : حصلت رجاء وقلقات بسبب العسكر وجماكيهم ، وأرادوا أخذ القلعة فلم يتمكنوا من ذلك . وقتل الناس دكاكينهم . وقتلوا رجلا نصرانيا عند حارة الروم ، وخطفوا بعض النساء وأمتعة وغير ذلك .

وركب محمد على ونادى بالأمان .

٢٠ منه (٢ مارس ١٨٠٤ م) :

حضر سليمان كاشف البواب بالأمان ، ودخل الى مصر .

٢١ منه (٢ مارس ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن كشف الألفى المحبوسين .

وفيه : حضر عثمان بيك يوسف من ناحية الشرقية واستمر هناك حسين بيك الوالى ورستم بيك وذهب المنفوخ واسماعيل بيك الى ناحية شرق اطيح ، لأنه أشيع أن الألفى ذهب عند عرب المعازة . فقبضوا على جماعة منهم وجبسهم ، وأرسلوا مائة هجان الى جميع النواحي ، وأعطوهم دراهم يقتشون على الألفى .

وفيه : شرعوا فى عمل فردة على أهل البلد ، وتصدى لذلك المحروقى . وشرعوا فى كتب قوائم لذلك ، ووزعوها على العقار والأملاك . أجرة سنة . قوم بدفع نصفها المستأجر ، والنصف الثانى يدفعه صاحب الملك .

٢٤ منه (٦ مارس ١٨٠٤ م) :

مرح كتاب الفردة والمهندسون ، ومع كل جماعة شخص من الأجناد، وطافوا بالأخطاط يكتبون قوائم الأملاك ، ويصقون الأجر . فنزل بالناس ما لا يوصف من الكدر مع ما هم فيه من الغلاء ووقف الحال . وذلك خلاف ماقرروه على قرى الأرياف . فلما كان فى عصر ذلك اليوم ، تطلت أفواه الناس بقولهم : « الفردة بطالة .. » وباتوا على ذلك ، وهم ما بين مصدق ومكذب !

٢٥ منه (٧ مارس ١٨٠٤ م) :

أشيع ابطال الفردة مع سعى الكتبة والمهندسين فى التصقيع والكتابة ، وذهبوا الى نواحي باب الشمرية ، ودخلوا درب مصطفى . فضج الفقراء والعامة والنساء ، وخرجوا طوائف يصرخون ... وبأيديهم دفوف يضربون عليها ويثدبن وينعين ، ويقلن كلاما على الأمراء ، مثل قولهم : « ايش تاخذ من تعليمى .. يا برديسى ! » ، وصبغن أيديهن

بالنيلة .. وغير ذلك . فاقصدى بهن خلافن ، وخرجوا أيضا ومعهم طبول وبيارق ، وأغلقت الدكاكين . وحضر الجمع الكثير الى الجامع الأزهر ، وذهبوا الى المشايخ ، فركبوا معهم الى الأمراء ، ورجعوا ينادون بإبطالها . وسر الناس بذلك ، وسكن اضطرابهم .

وفى وقت قيام العامة ، كان كثير من العسكر منتشرين فى الأسواق . فداخلهم الخوف ، وصاروا يقولون لهم : « نحن معكم .. سوا .. سوا .. أنتم رعية .. ونحن عسكر . ولم نرض بهذه الفردة . وعلوفاتنا على الميرى ، ليست عليكم .. أنتم أناس فقراء ! » فلم يتعرض لهم أحد .

وحضر كنتخدا محمد على مرسولا من جهته الى الجامع الأزهر ، وقال مثل ذلك ، ونادى به فى الأسواق ففرح الناس ، وانحرفت طباعهم عن الأمراء ، ومالوا الى العسكر . وكانت هذه الفعل من جملة الدسائس الشيطانية !

فان محمد على لما حرش العساكر على محمد باشا خسرو وأزال دولته ، وأوقع به ما تقدم ذكره ، بمعونة طاهر باشا والأرتوود ، ثم بالأتراك عليه ... حتى أوقع به أيضا . وظهر أمر أحمد باشا ، وعرف أنه ان تم له الأمر ، ونما أمر الأتراك .. لايقون عليه . فعاجله وأزاله بمعونة الأمراء المصرية . واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتردار والكتخدا . ثم محاربة محمد باشا بدمياط ، حتى أخذوه أسيرا . ثم التحيل على على باشا الطرابلسى حتى أوقعوه فى فخهم وقتلوه ونهبوه .. كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين ، وخصوصا البرديسى ... فانه تأخى معه ، وجرح كل منهما نفسه ، ولحق من دم الآخر ! واعتبر به البرديسى ، وراج سوقه عليه ، وصدقه وتعاضد به ، واصطفاه دون خشداشيينه ، وتحصن بعساكره ، وأقامهم حوله فى الأبراج ، وفعل بمعوتتهم ما فعله بالألفى وأتباعه ،

٢٨ منه (١٠ مارس ١٨٠٤ م) :

علم الأرثوودية منهم ذلك ... فبادروا واجتمعوا بالأزبكية ، فارتاع الناس وأغلقوا الحوانيت والدروب . وذهب جمع من العسكر الى ابراهيم بيك ، واحتاطوا بمهمات بيته بالدواذية ، وكذلك بيت البرديسي بالناصرة . وتفرقوا على بيوت باقى الأمراء والكشاف والأجناد .

وكان ذلك وقت العصر ، والبرديسي عنده عدة كبيرة من العسكر المختصين به ، ينفق عليهم ويدر عليهم الأرزاق والجماكى والعلوفات ، ومنهم الطبية وغيرهم . وعمر قلعة الفرنسيين التى فوق تل العقارب بالناصرة ، وجدها بعد تخريبها ، ووسعها ، وأنشأ بها أماكن ، وشحنها بالآلات الحرب والذخيرة والجبخانه . وقيد بها طبية وعساكر من الأرثوودية .. وذلك خلاف المتقيدون بالأبراج والبوابات التى أنشأها قبالة بيته بالناصرة جهة قناطر السباع والجهة الأخرى كما سبق ذكر ذلك .

فلما علم بوصول العساكر حول دائرته — وكان جالسا صحبة عثمان بيك يوسف — فقام وقال له : « كن أنت فى مكانى هنا ، حتى أخرج وأرتب الأمر وأرجع اليك » . وتركه وركب الى خارج فضربوا عليه بالرصاص ، فخرج على وجهه بخاصته وهجنه ولوازمه الخفيفة ، وذهب الى ناحية مصر القديمة .. وذلك فى وقت الغروب .

وكان العسكر تقبوا تقبا من الجنينة التى خلف داره ودخلوا منه ، وحصلوا بالدار ، فوجدوه قد خرج بمن معه من المماليك والأجناد . فقاتلوا من وجدوه ، وأوقعوا النهب فى الدار ، وانضم اليهم أجناسهم المتقيدون بالدار ، وقبضوا على عثمان بيك يوسف ومماليكه ، وفسلحوهم ثيابهم ، وسحبوهم بينهم عرايا مكشوفى الرؤوس . وتسلمهم طائفة منهم على تلك الصورة ، وذهبوا

وشردهم ، وقص جناحه بيده ، وشتت البواقى ، وفرقهم بالنواحي فى طلبهم . فعند ذلك استقلوهم فى أعينهم ، وزالت هيبتهم من قلوبهم ، وعلموا خيانتهم ، وسفها رأيتهم ، واستضعفوا جانبهم ، وشمخوا عليهم ، وفتحوا باب الشر بطلب العلوفة... مع الاحجام — خوفا من قيام أهل البلد معهم ، ولعلمهم بميلهم الباطنى اليهم . فأضطروهم الى عمل هذه الفردة ، ونسب فعلها للبرديسي ... فثارت العامة ، وحصل ما حصل وعند ذلك تبرأ محمد على والعسكر من ذلك ، وساعدوهم فى رفعها عنهم . فمالت قلوبهم اليهم ، ونسوا قبائحهم ، وابتهلوا الى الله فى ازالة الأمراء ، وكرهوهم ، وجهروا بالدعاء عليهم . وتحقق العسكر منهم ذلك ..

وانحرف الأمراء على الرعية باطنا ... بل أظهر البرديسي الغيظ والانحراف من أهل مصر . وخرج من بيته مغضبا الى جهة مصر القديمة ، وهو يلعن أهل مصر ويقول : « لا بد من تقريرها عليهم ثلاث سنوات . وأفعل بهم وأفعل ... حيث لم يمتثلوا لأوامرنا » . ثم أخذوا يديرون على العسكر ، وأرسلوا الى جماعتهم المتفرقين فى الجهات القبلية والبحرية يطلبونهم للحضور .

فأرسلوا الى حسين بيك الوالى ورستم بيك من الشرقية ، واسماعيل بيك صهر ابراهيم بيك ومحمد بيك المنفوخ ... ليأتيا من شرق أطيح . والفرقان كانوا لرصد الألفى وانتظاره .

وأرسلوا الى سليمان بيك حاكم الصعيد بالحضور من أسيوط بمن حوله من الكشاف والأمراء . والى يحيى بيك حاكم رشيد ، وأحمد بيك حاكم دمياط . وأصعدوا محمد باشا المحبوس الى القلعة .

بهم الى جهة الصليبية ، فأودعهم بدار هناك .

وفي سابع ساعة من الليل ، أرسل محمد على جماعة من العسكر ومعهم فرمان وصل من أحمد باشا خورشيد حاكم الاسكندرية بولايته على مصر . فذهبوا به الى القاضى ، وأطلعوه عليه ، وأمره أن يجمع المشايخ فى الصباح ويقرأ عليهم ليحيط علم الناس بذلك .

فلما أصبح ، أرسل اليهم فقالوا : « لاتصح الجمعية فى مثل هذا اليوم ... مع قيام الفتنة » . فأرسله اليهم واطلعوا عليه . وأشيع ذلك بين الناس .

وأما ابراهيم بيك ، فانه استمر مقيما ببيته بالداودية ، وأمر ممالিকে وأتباعه أن يجلسوا برءوس الطرق الموصلة اليه . فجلس منهم جماعة — وفيهم عمر بيك تابعه — بسبيل الدهيشة المقابل لباب زويلة ، وكذلك ناحية تحت الربع والقرية وجهة سوقة لاجين والداودية وصار العسكر يضربون عليهم وهم كذلك ، ودخل عليهم الليل . فلم يزلوا على ذلك الى الصباح ، واضمحل حالهم ، وقتل الكثير من الممالك والأجناد ، ووصل اليهم خبر خروج البرديسى . فعند ذلك طلبوا الفرار والنجاة بأرواحهم .

وعلم ابراهيم بيك بخروج البرديسى ، وأنه ان استمر على حاله أخذ . فركب فى جماعته فى ثانى ساعة من النهار ، وخرجوا على وجوههم ... والرصاص يأخذهم من كل ناحية . فلم يزل سائرا حتى خرج الى الرملة ، وهدم فى طريقه أربعة متاريس ، وأصيب بعض مماليكه وخيول وخدامين ، وأصيب رضوان كتخداه وطلعت روحه عند الرملة ، فأنزله عند باب العزب ، وأخذوا مآعه من جيوبه ، ثم شالوه الى داره ودفنوه .

وقبضوا على عمر بيك تابع الأشقر الابراهيمى

من سبيل الدهيشة هو ومماليكه . وأما الذين بالقلعة من الأمراء فانهم أصبحوا يضربون بالمدافع والقنابر على بيوت الأرثوود بالأزبكية الى الضحوة الكبرى .

فلما تحققوا خروج ابراهيم بيك والبرديسى ومن أمكنه الهروب ... لم يسمعهم الا أنهم أبطلوا الرمى ، ونهأوا للفرار ، ونزلوا من باب الجبل ، ولحقوا بابراهيم بيك . وعند نزولهم أرادوا أخذ محمد باشا وعلى باشا القبطان وابراهيم بيك ، فقام عليهم عسكر المغاربة ومنعهم من أخذهم . ونهب المغاربة الضربخانة وما فيها من الذهب والفضة والسبائك .. حتى العدد والمطارق .

ونسلم العسكر القلعة من غير مانع ، ولم تثبت المصرية للحرب نصف يوم فى القلعة ، ولم ينفع اهتمامهم بها طول السنة من التعمير والاستعداد ، وما شخنوه بها من الذخيرة والجبنانة وآلات الحرب ، وملأوا ما بها من الصهاريج بالماء الحلو . وقام أحمد بيك الكلارجى وعبد الرحمن بيك الابراهيمى وسليم أغا مستحفظان من وقت مجيئهم الى مصر متقيدين ومرتبطين بها ليلا ونهارا ... لا ينزلون الى بيوتهم الا ليلة فى الجمعة بالنوبة ، اذا نزل أحدهم أقام الآخران .

وطلع محمد على اليها ، ونزل وبجانبه محمد باشا خسرو اورفقاؤه ، وأمامهم المنادى ينادى بالأمان ... حكم مارسم محمد باشا ومحمد على . وأشيع فى الناس رجوع محمد باشا الى ولاية مصر ، فبادر المحروقى الى المشايخ ، فركبوا الى بيت محمد على يهتفون بالبasha بالسلامة والولاية . وقدم له المحروقى هدبة . وأقام على ذلك بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء .

فكان مدة حبسه ثمانية أشهر كاملة . فانه حضر الى مصر بعد كسرتة بدمياط فى آخر ربيع .



محمد علی

الأول ، وهو آخر يوم منه ، وأطلق في آخر يوم من ذى القعدة .

وخرج الأمراء على أسوأ حال من مصر ، ولم يأخذوا شيئا مما جمعوه وكزوه من المال وغيره ... إلا ما كان في جيوبهم ، أو كان منهم خارج البلد ، مثل سليم كاشف أبي دياب ، فانه كان مقيما بقصر العيني ، أو الغائبين منهم جهة قبلى وبحرى ، وأما من كان داخل البلد فانه لم يخلص له سوى ما كان في جيبه فقط .

ونهب العسكر أموالهم وبيوتهم وذخائرهم وأمتعتهم وفرشهم ، وسبوا حريمهم وسرايهم وجواريتهم ، وسحبوه من بينهم من شعورهن ، وتسلطوا على بعض بيتوت الأعيان من الناس المجاورين لهم ، ومن لهم بهم أدنى نسبة أو شبهة ، بل وبعض الرعية ... إلا من تداركه الله برحمته ، أو التجأ الى بعض منهم ، أو صالح على بيته بدراهم يدفعها لمن التجأ اليه منهم !

ووقع في تلك الليلة واليومين بعدها ما لا يوصف من تلك الأمور ، وخربوا أكثر البيوت ، وأخذوا أخشابها ، ونهبوا ما كان بحواصلهم من الغلال والسمن والأدهان ، وكان شيئا كثيرا ، وصاروا يبيعونه على من يشتره من الناس . ولولا اشتغالهم بذلك لما نجح من الأمراء المصرين الذين كانوا بالبلدة أحد . ولو رجع الأمراء عليهم ، وهم مشغولون بالنهب ، لتمكنوا منهم ، ولكن غلب عليهم الخوف والحرص على الحياة والجبن ، وخابت فيهم الظنون ، وذهبت نفختهم في الفارغ ، وجازاهم الله ببنغيهم وظلمهم وغرورهم . وخصوصا ما فعلوه مع على باشا من الحيل حتى وقع في أيديهم ، ثم ردلوه وأهانوه وقتلوا عسكره ونهبوا أمواله ، ثم طردوه وقتلوه . فانه ، وإن كان خبيثا ، لم يعمل معهم ما يستحق ذلك كله . وأعظم منه ما فعلوه مع

أخيهم الألفى الكبير بعدما سافر لحاجتهم وراحتهم . وصالح عليهم ، ورتب لهم ما فيه راحتهم وراحة الدولة معهم بواسطة الانكليز ، وغاب في البحر المحيط سنة ، وقاسى هول الأسفار ، والفراطين في البحار ... فجازوه بالتشريد والتشتيت والنهب ، وقتل أتباعه وحبسهم وبلصهم ، واتخذوهم أعداء وأخصاما من غير جرم ولا سابقة عداوة معهم ... إلا الحسد والحقد ، وحذرا من رياسته عليهم . وكانت هذه الفعلة سببا لنفور قلوب العسكر منهم ، واعتقادهم خيانتهم وقتلهم في أعينهم .

فإن الألفى وأتباعه كانوا مقدار النصف منهم ، ونصف النصف متفرق في الأقاليم ، مغمورون في غفلتهم ، ومشتغلون بما هم فيه من معارم الفلاحين وطلب الكلف . فلما أرسلوا لهم بالحضور ، لم يسهل بهم ترك ذلك ، ولم يستعجلوا الحركة حتى يستوفوا مطلوباتهم من القرى ... الى أن حصل ما حصل ، ونزل بهم ما نزل . ولم يقع لهم . منذ ظهورهم أشنع من هذه الحادثة ، وخصوصا كونها على يد هؤلاء ، وكانوا يرون في أنفسهم أن الشخص منهم يدوس برجله الجماعة من العسكر وأحسنوا ظنهم فيهم ، واعتقدوا انهم صاروا أتباعهم وجندهم ... مع أنهم كانوا قادرين على ازالته من الاقليم ، وخصوصا عندما خرجوا من المدينة لملاقاة على باشا ، وأخرجوا جميع العسكر وحازوهم الى جهة البحر ، وحصنوا أبواب البلد بمن يثقون به من أجنادهم ، ورسوموا لهم رسوما امتثلوها . فلو أرسلوا لهم بعد ايقاعهم بعلى باشا أقل أتباعهم وأمروهم بالرحلة لما وسعتهم المخالفة ، حتى ظن كثير ممن له أدنى فطنة حصول ذلك ... فكان الأمر بخلاف ذلك ، ودخلوا بعد ذلك ، وهم بصحبتهم ، ضاحكين من غفلة القوم ، ومستبشرين برجعهم ودخولهم الى المدينة ثانيا .

بولاق ، وسفروهما الى بحرى ومعهما جماعة من
العسكر .

وكانت ولايته — هذه الولاية الكذابة —
شبيهة بولاية أحمد باشا الذى تولى بعد قتل
طاهر باشا يوما ونصفا . وكان قد اعتقد فى نفسه
رجوعه لولاية مصر ، حتى أنه لما نزل من القلعة
الى بيت محمد على ، نظر الى بيته من الشباك
مهدوما متخربا ، فطلب فى ذلك الوقت المهندسين
وأمرهم بالبناء ، وذلك من وساوسه . ويقال ان
السبب فى سفره اخوة طاهر باشا ، فانهم داخلهم
غيظ شديد . ورأى محمد على نفرتهم واتقباضهم
من ذلك ، وعلم أنه لا يستقيم حاله معهم ، وربما
تولد بذلك شر ... فعجل بسفره وذهابه .

ومن الاتفاقات العجيبة أيضا ، أن طاهر باشا
لما غدر بمحمد باشا ، أقام بعده اثنين وعشرين
يوما ، وكذلك لما غدر المصرية بالأنلى ، لم
يقوموا بعد ذلك الا مثل ذلك .

وفيه : سعد عابدى بيك أخو طاهر باشا
بالقلعة ، وأقام بها .

الخميس ٣ منه (١٥ مارس ١٨٠٤ م) :
أطلقوا عثمان بيك يوسف ، وسافر الى جماعته

وعند ذلك تحقق لذوى الفطن سوء رأيهم وعدم
فلاحهم .

وزادوا فى الطنبور نغمه ما صنعوه مع
الأنلى ... وكان العسكر يهابون جانبه ، ويخافون
أتباعه ويخشونهم . وخصوصا لما سمعوا بوصوله
على الهيئة المجهولة لهم ... داخلهم من ذلك أمر
عظيم استمر فى أخلاطهم يوما وليلة الى أن جلده
الرديسى ومن معه بشؤم رأيهم وفساد تدبيرهم ،
وفرقوا جمعهم فى النواحي حرصا على قتل الأنلى
وأتباعه .

فعند ذلك ، زالت هيبتهم من قلوب العسكر
وأوقعوا بهم ما أوقعوه ... ولا يحق المكر السيئ
الا بأهله !

ذو الحجة

الثلاثاء غرته (١٣ مارس ١٨٠٤ م) :

قلدوا على أغا الشعراوى واليا على مصر .
وفيه : نهبوا بيت محمد أغا المحتسب ،
وقضوا عليه وجسوه .

الأربعاء ٢ منه (١٤ مارس ١٨٠٤ م) :

أنزلوا محمد باشا خسرو وإبراهيم باشا الى



جانب من بيوت بعض الأعيان ... فى القاهرة

الاثنين ٧ منه (١٩ مارس ١٨٠٤ م) :

ظهر محمد بيك الألفى الكبير من اختفائه ... وكان متواريا بشرقية بليس برأس الوادى عند شخص من العربان يسمى عشية . فأقام عنده مدة هذه الأيام ، وخلص اليه صالح تابعه بما معه من المال . وكان البرديسى استدل على مكانه ، وأحضر أناسا من العرب ، وجعل لهم مالا كثيرا عليه ، وأخذوا فى التحيل عليه ... فحصلت هذه الحوادث وجوزى البرديسى بنيته ، وخرج من مصر كما ذكر . وكانوا فى تلك المدة شيعون عليه اشاعات : مرة بموته ، ومرة بالقبض عليه ، وغير ذلك .

فلما حصل ما حصل ، وانجلى الطرق من المراقدين ... اطمأن حينئذ ، وركب فى عدة من الهجانة ، وصحبته صالح بيك تابعه ، ومروا من خلف الجبل ، وذهب الى شرق أطفيج ، ونزل عند عرب المعازة ، وتواتر الخبر بذلك .

الاثنين ٩ منه (٢١ مارس ١٨٠٤ م) :

وصل أحمد باشا خورشيد الى منف ، فتقيد السيد أحمد المحرقى وجرجس الجوهري بتصليح بيت ابراهيم بيك بالدواوية وفرشه .

الاثنين ١٤ منه (٢٦ مارس ١٨٠٤ م) :

وصل الباشا الى نغر يولاق ، فضرىوا شنكا ومدافع . وخرج العساكر فى صباحها والوجاقلية ، وركب ودخل من باب النصر ، وأمامه كبار العساكر بزيئتهم ، ولم يلبس الشعار القديم .. بل ركب بالتخفية ، وعليه قبوط مجرور ، وخلفه النسوبة التركية ، ودخل الى الدار التى أعدت له بالدواوية . وقدموا له التقادم ، وعملوا بها تلك الليلة شنكا وسوارىخ .

الثلاثاء ١٥ منه (٢٧ مارس ١٨٠٤ م) :

مر الوالى وأمامه المنادى ، وييده فرمان من

جهه بلى . ويقال انه اقتدى نفسه منهم بنال ، وأطلقوه ومعه خمسة منماليك ، وأعطوه خمسة جمال وأربعة هجن وخيلا .

وفيه : أفرجوا عن محمد آغا المحتسب وأبقوه فى الحسبة على مصلحة عملوها عليه . وقام بدفعها ، وركب وشق فى المدينة ، وعمل تسعيرة ، ونادى بها فى الشوارع والأسواق .

وأما الأمراء ، فانهم باتوا أول ليلة جهة البساتين . وفى ثانى يوم ، ذهبوا الى حلوان . وحضر اليهم حسين بيك الوالى ورستم بيك من الشرقية . ومروا من تحت القلعة ، وانفصلوا من العسكر الذين كانوا معهم فى المطربة ، وتركوا لهم الحملة . ووصل اليهم أيضا يحيى بيك من ناحية رشيد ، وأحمد بيك من دمياط ، وذهبوا اليهم . ووصل يحيى بيك من ناحية الجيزة ، وأحضر معه عربانا كثيرة من الهنادى وبنى على وغبرهم ، ونزلوا بأقليم الجيزة ، ونهبوا البلاد ، وأكلوا اللزوعات ، واستمروا على ذلك ، وانتشروا الى أن صارت أوائلهم بزواية المصلوب وأواخرهم بالجيزة .

وفيه : كتبوا مكاتبات من نساء الأمراء المصرية بأنهم لا تعرضون لأحد من العساكر الكائنة بقبلى ، وإن قتل منهم أحد ... اقتصوا من حريمهم وأولادهم بمصر .

الجمعة ٤ منه (١٦ مارس ١٨٠٤ م) :

حضر محمد بيك المبدول بأمان ودخل الى مصر .

الأحد ٦ منه (١٨ مارس ١٨٠٤ م) :

أصعدوا عمر بيك ، وبقية الكشاف ، وبعض الأجناد المصرية ... الى القلعة .

وفيه : عدى كثير من العسكر الى بر الجيزة ، ووقع بينهم وبين العرب بعض مناوشات ، وقتل أناس كثيرة من الفريقين .

الباشا ، ينادى به على الرعية بالأمن والأمان والبيع والشراء .

وفيه : حضر عبد الرحمن بيك الابراهيمى ، وكان فى بشيش بناحية بحرى ، فطلب أمانا وحضر الى مصر .

الجمعة ١٨ منه (٣٠ مارس ١٨٠٤ م) :

تحول الباشا من الداودية الى الأزيكية ، وسكن بيت البكرى ، حيث كان حريم محمد باشا ، فركب قبل الظهر فى موكب وذهب الى المشهد الحسينى ، وصلى الجمعة هناك ، ورجع الى الأزيكية .

وفيه : فتحوا طلب مال الميرى من السنة القابلة لضرورة النفقة . فاغتم الملتزمون لذلك ... لضيق الحال ، وتعطل الأسباب ، وعدم الأمن ، وتوالى طلب الفرد من البلاد ، فلو فضل للملتزم شيء .. لا يصل اليه الا بغاية المشقة وركوب الضرر ، لو ثوب الخلائق من العزبان والفلاحين والأجناد والعساكر على بعضهم البعض ، من جميع النواحي القبلية والبحرية . ثم ان الوجاقلية وبعض المشايخ راجعوا فى ذلك . فانحط الأمر بعد ذلك على طلب نصف مال الميرى من سنة تسعة عشر ، وبواقى سنة سبعة عشر وثمانية عشر ، وكذلك باقى الحلوان الذى تأخر على المفلسين . وكتبوا التنايه بذلك ، وقالوا : « من لم يقدر على الدفع .. فليعرض تقسيطه على المزداد » . هذا والأجناد والعرب محيطة ببر الجيزة ، والعسكر من داخل الأسوار لا يجسرون على الخروج اليهم .

وحجزوا المراكب الواردة بالغالل وغيرها ، حتى لم يبق بالسواحل شيء من تلك الغلة أبدا . ووصل سعر الأردب القمح — ان وجد — خمسة عشر ريالا .

الأحد ٢٠ منه (أول ابريل ١٨٠٤ م) :

وصل العسكر الذين كانوا صحبة سليمان بيك حاكم الصعيد ، فدخلوا الى البلدة ، وأزعجوا كثيرا من الناس ، وسكنوا البيوت بمصر القديمة بعدما أخرجوهم منها ، وأخذوا فرشهم ومتاعهم .. وكذلك فعلوا ببولاق ومصر عندما حضر الذين كانوا يبحرى . وفيه : قلدوا الحسبة لشخص عثمانلى من طرف الباشا ، وعزلوا محمد أغا المحتسب . وكذلك عزلوا على أغا الشعراوى ، وقلدوا الزعامة لشخص آخر من أتباء الباشا ، وقلدوا آخر أغات مستحفظان .

الثلاثاء ٢٢ منه (٣ ابريل ١٨٠٤ م) :

خرجت عساكر كثيرة وعدت الى البحر الغربى . ووفعت فى صبحها حروب بينهم وبين المصرية والعربان . وكذلك فى ثانى يوم ، ودخلت عساكر جرحى كثيرة ، وعملوا لهم متاريس عند ترسة والمعتمدية وترسوا بها . والمصرية والعربان يرمحون من خارج ، وهم لا يخرجون اليهم من المتاريس . واستمروا على ذلك الى يوم الأحد ٢٧ منه (٨ ابريل) .

وفى ذلك اليوم : ضربوا مدافع ورجع محمد على والكثير من العساكر . وأشيع ترفع المصرية الى فوق ، ووقع بين العربان اختلاف ، وأشاعوا نصرتهم على المصرية ، وأنهم قتلوا منهم أمراء وكشافا ومدايك وغير ذلك .

وفى ذلك اليوم : شتقوا شخصا بباب زويلة وآخر بالجبانة ، وهما من الفلاحين ، ولم يكن لهما ذنب . قيل انه وجد معهما بارود اشترياه لمنع الصائلين عليهم من العرب . فقالوا : انكم تأخذونه الى المحاربين لنا . وكان شيئا قليلا .

وفيه : نزل جماعة من العسكر جهة قبة الغورى ، ومعهم نحو ثلاثين نفرا بجمالهم ، فقرطوا القمح المزروع — وكان قد بدا صلاحه — فطارت عقول

الفلاحين ، واجتمعوا وتكاثروا عليهم ، وقبضوا على ثلاثة أشخاص منهم ، وهرب الباقيون . فدخلوا بهم المدينة ، ومعهم الأحمال وصحبهم طبل وأطفال ونساء ، وذهبوا تحت بيت الباشا . فأمر بقتل شخص منهم ... لأنه شامى وليس بأرتوودى ولا انكشارى ! فقتلوه بالأربكية ، فوجدوا على وسطه ستمائة بندقى ذهب وثلثمائة محبوب ذهب .. والله أعلم .

واقضت السنة وما حصل بها من الحوادث .

وأما من مات فيها ممن له ذكر ...

فمات الفقيه العلامة ، والنخري الفهامة ، الشيخ أحمد اللحام اليوسى ، المعروف بالعرشى الحنفى . حضر من بلدته خان يونس فى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف ، وحضر أشياخ الوقت ، وآكب على حضور الدروس ، وأخذ المقول على مثل الشيخ أحمد البيلى ، والشيخ محمد الجناحى والصبان والفرماوى وغيرهم .

وتفقه على الشيخ عبد الرحمن العرشى ولازمه وبه تخرج ، وحضر على الشيخ الوالد فى الدر المختار ، من أول كتاب البيوع الى كتاب الاجارة بقراءته ... وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف . ولم يزل ملازماً للشيخ عبد الرحمن ملازمة كلية ، وسافر صحبته الى اسلامبول فى سنة تسعين لبعض مقتضيات . وقرأ هناك الشفاء والحكم بقراءة المترجم ، وعاد صحبته الى مصر . ولم يزل ملازماً له حتى حصل للعرشى ما حصل ، ودنت وفاته . فأوصى اليه بجميع كتبه ، واستنقر عوضه فى مشيخة رواق الشوام ، وقرأ الدروس فى محله . وكان فصيحاً مستحضراً ، متضلعا من المعقولات والمنقولات ، وقصدته الناس فى الافتاء ، واعتمدوا أجوبته .

وتداخل فى القضايا والدعاوى ، واشتهر ذكره .

واشترى دارا واسعة فى سوق الزلط بحارة المقس خارج باب الشمرية ، وتجمل بالملابس ، وركب البغال ، وصار له أتباع وخدم . وهرعت الناس العامة والخاصة فى دعاويهم وقضاياهم وشكاويهم .. اليه .

وتقلد نيابة القضاء لبعض قضاة العساكر أشهراً . ولما حضرت الفرنساوية الى مصر ، وهرب القاضى الرومى بصحبة كتخدا الباشا — كما تقدم — تعيين المترجم للقضاء بالمحكمة الكبيرة ، وألبسه كلهر سارى عسكر الفرنساوية خلعة مشنة ، وركب بصحبة قائمقام فى موكب الى المحكمة ، وفوضوا اليه أمر النواب بالأقاليم .

ولما قتل كلهر ، انحرف عليه الفرنساوية ، لتكون القاتل ظهر من رواق الشوام ... وعزلوه . ثم تبينت براءته من ذلك ... الى أن رتبوا الدبوان فى آخر مدتهم . ورسم عبد الله جاك منو باختيار قاض بالقرعة ، فلم تقم الا على المترجم ، فتولاه أيضا . وخلصوا عليه ، وركب مثل الأول الى المحكمة ، واستمر بها الى أن حضرت العشمايون وقاضيههم ، فانفصل عن ذلك ولازم بيته ، مع مخالطة فصل الخصومات والحكومات والافتاء .

ثم قصد الحج فى هذه السنة ، فخرج مع الركب ، وتعرض فى حال رجوعه ، وتوفى ودفن بنبط .. رحمه الله .

ومات الشيخ الامام ، العمدة الفقيه ، الصالح المحقق ، الشيخ على المعروف بالحياط الشافعى حضر أشياخ الوقت ، وتفقه على الشيخ عيسى البراوى ولازم دروسه وبه تخرج ، واشتهر بالعلم والصلاح ، وأقرأ الدروس الفقهية والمقبولة ، وانتفع به الطلبة ، وانقطع للعلم والافادة .

ولما وردت ولاية جدة لمحمد باشا توسون ، طلب انسانا معروفا بالعلم والصلاح ، فذكر له

الحنان ... قلبه ، مع نحافة جسمه ، أعظم من جبل لبنان : لا يهاب كثرة الجنود ، وتخشى سطونه الأسود .

ولا أجمعوا على خيانة الألفى وأتباعه ، قال لهم ابراهيم بيك الكبير — على ما بلغنا — لا تقيم مرامكم بدون البداة بالترجم . فإن امكنكم ذلك .. والا فلا تفعلوا شيئا . فلم يزالوا يدبرون عليه ، ويتملقون له ، ويظهرون له خلاف ما يظنون حتى تمكنوا من غدره على الصورة المتقدمة .

وسبب تلقيه بالوشاش ، أنه كان طلع لملاقاة الحجاج بمنزلة « الوش » في سنة ورود الفرنساوية . فلما لاقى الحجاج ، وأمير الحج صالح بيك ، رجع صحبتهم الى الشام ، وحصل منه بعد ذلك المواقف الهائلة مع الفرنساوية ، مع أستاذه ومنفردا ، في الجهات القبلية والشامية .

ولما انجلت الحوادث ، وارتحلت الفرنساوية من الديار المصرية ، واستقرت المصريون — بعد حوادث العثمانية — تأمر المترجم في ستة عشر صنجقا المتأمرين ، وظهر شأنه ، واشتهر ذكره فيما بينهم ، ونفذت أوامره فيهم ، ونقص عليهم ، وناكدهم وعاندهم ، وغار على ما بأيديهم ... حتى نقلت وطأته عليهم .

فلم يزالوا يختالون عليه ، حتى أوقعوه في حبال صيدهم ، وهو لا يخطر بباله خيانتهم ، وعدروه بينهم كما ذكر .

ومات الأمير رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، وهو أغنى مماليكه ... رباه واعتقه ، وجعله جوخداره .

وكان يعرف أولا برضوان الجوخدار ، واستمر في الجوخدارية مدة طويلة .

ولما رجع مع أستاذه — في أواخر سنة خمس

الشيخ المترجم ، فدعاه اليه وأكرمه وواماه وأحبه ، وأخذته صحبتته الى الحجاز ، وتوفي هناك .. رحمه الله .

ومات الرئيس المبجل المذهب ، صاحبنا محمد أفندي باش جاجرت الروزنامة . وأصله تربية محمد أفندي كاتب كبير الهندكجيرية ، وتمهر في صناعة الكتابة وقوانين الروزنامة .

وكان لطيف الطبع ، سليم الصدر ، محبوبا للناس ، مشهورا بالذوق وحسن الأخلاق ، مهذبا في نفسه متواضعا ... يسعى في حوائج اخوانه ، وقضاء مصالحهم المتعلقة بدفاترهم ، قانعا بحاله ، مترفها في مأكله وملبسه .

واقتنى كتباً نفيسة ومصاحف . وتجتمع بيته الأجناب ، ويدير عليهم سلاف أنسه المستطاب ... مع الحشمة والوقار ، وعدم الملل والنظار .

ولما اختلفت الأحوال ، وترادفت الفتن ... ضاق صدره من ذلك ، واستتوحش من مصر وأحوالها . فقصده الهجرة بأهله وعياله الى الحرمين ، وعزم على الإقامة هناك .

فلما حصل هناك ، رأى فيها الاختلاف والخلل كذلك ، بسبب ظلم الشريف غالب وأتباعه ، واغارة الوهابيين على الحرمين ، وقتل العربان . فلم يستحسن الإقامة هناك ، واشتاق لوطنه ، فعزم على العود الى مصر ، فمرض بالطريق ، وتوفي ودفن بالينبع .. رحمه الله .

ومات الأمير حسين بك ، الذي عرف بالوشاش ، وهو من ممالك محمد بيك الألفى ، وكان يعرف أولا بكاشف الشرقية ، لأنه كان تولى كشفيتها . وكان صعب المراس ، شديد البأس ، قوى

وكفنوه ودفنوه بالقرافة .. سامحه الله ، فانه كان
من خيار جنسه ... لولا طمع فيه !
ولقد بلوته سفرا وحضرا ، يافعا وكهلا ... فلم
أر ما يشينه في دينه : عفوا ، طاهر الذيل ، وقورا
محتشما ، فصيح اللسان ، حسن الرأي ، قليل
الفضول ، جيد النظر .

ومات الأجل العمدة ، الشريف السيد ابراهيم
أفندي الروزنامجي . وهو ابن أخى السيد محمد
الكماحى الروزنامجي ، المتوفى سنة سبع ومائتين
وألف .. وأصلهم روميون الجنس .

وكان فى الأصل جربجيا ، ثم عمل كاتب كشيدة
وكان يسكن دارا صغيرة بجوار دار عمه ، واستمر
على ذلك خامل الذكر .

فلما توفى عمه السيد محمد ، انتبذ عثمان أفندي
العباسى المنفصل عن الروزنامة سابقا ، يريد العود
اليها عن شوق وتطلع لها ، وظنه شعور المنصب
عن المتأهل اليه سواه . فلم تساعده الأقدار
لشدة مراسه .

وسأل ابراهيم بيك عن شخص من أهل بيت
المتوفى ، فذكر له السيد ابراهيم المرقوم وخموله ،
وعدم تحمله لأعباء ذلك المنصب ، فقال : « لا بد
من ذلك : قطعاً لطمع المتطلعين » . والتزم بمراعته
ومساعدته ، وطلبه ونقله من حضيض الخمول
الى أوج السعادة والقبول .

فتقلد ذلك ، وساس الأمور بالرفق والسير
الحسن ، واشترى دارا عظيمة بدرب الأغوات
وسكنها . واستمر على ذلك الى أن ورد الفرنساوية
الى مصر ، فخرج مع من خرج هاربا الى الشام .
ثم رجع مع من رجع ، ولم يزل حتى تمرض وتوفى
فى يوم الأربعاء سادس عشرة القعدة من السنة .
رحمه الله تعالى .

ومائتين وألف ، بعد موت اسماعيل بيك وأتباعه —
الى مصر ، أرخى لحيته ، وتقلد كتخدائية أستاذه ،
وتزوج ببعض سراريه ، وسكن دار عابدى بيك
بناحية سوق العزى ، ثم انتقل منها الى دار ملكه
على بركة القيل تجاه بيت شكرفره ... وعمرها .

وصارت له وجاهة بين الأمراء والأعيان ، وباشر
فصل الخصومات والدعاوى . وازدحم الناس
بيته ، واشتهر ذكره ، وعظم شأنه ، وقصدته
أرباب الحاجات ... وأخذ الرشوات والجمالات !
وكان يقرأ ويكتب ، ويناقش ويحاجج ، ويعاشر
الفقهاء ، ويباحثهم ، ويميل بطبعه اليهم ، ويحب
مجالستهم ولا يمل منهم .

وعنده حلم وسعة صدر وتؤدة وتأن فى الأمور .
وإذا ظهر له الحق لا يعدل عنه ، وعنده
مداينة وقوة حزم .

ولما حضر على باشا الطرابلسى — على الصورة
المتقدمة — كان المترجم هو المتعين فى الارسال
اليه . فلم يزل يتحيل عليه حتى انخدع له ، وأدخل
رأسه الجراب ، وصدق تمويهاته ، وحضر به الى
مصر ، وأوردوه بعد الموارد . وحاز بذلك منقبة بين
أقرانه . ونوه بعد بشأنه ، وخلصوا عليه الخلع ،
وعرضوا عليه الامارة ... فأبأها ، واستمر على حالته
معدودا فى أرباب الرئاسة ، وتأتى الأمراء الى داره .

ولم يزل حتى ثارت العسكر على من بالبلدة
من الأمراء ، وحسروا ابراهيم بيك بيته ، وخرج
فى ثانى يوم هاربا والمترجم خلفه ، والرصاص
يأخذهم من كل ناحية . فأصيب فى دماغه ، فمال عن
جواده واستند على الخدم ، وذلك جهة الدرب
الأحمر . فلم يزل فى غشوته حتى خرجت روحه
بالرميلة . فأنزلوه عند باب العزب ، واحتاط به
المتقيدون بالبواب ، وأخذوا ما فى جيوبه . ثم
أحضره له تابوتا وحملوه فيه الى داره ، ففصلوه

الجمعة ٢ منه (١٤ أبريل ١٨٠٤ م) :

سافر السيد على القبطان الى جهة رشيد ،
وخرج بصحبته جماعة كثيرة من العساكر الذين
غنموا الأموال من المنهوبات ، فاشترى بضائع
وأسابيا ومتاجر ونزلوا بها صحبتهم ، وتبعهم غيرهم
من الذين يريدون الخلاص والخروج من مصر .

فركب محمد على الى وداع السيد على المذكور ،
ورد كثيرا من العساكر المذكورة ، ومنعهم عن
السفر .

الثلاثاء ٦ منه (١٨ أبريل ١٨٠٤ م) :

خرج محمد على وآكابر العسكر بعساكرهم ،
وعدوا الى بر انبابة ، ووصلوا ونصوا وطاقهم ،
وعملوا لهم عدة متاريس ، وركبوا عليها المدافع
واستعدوا للحرب .

الأحد ١١ منه (٢٣ أبريل ١٨٠٤ م) :

كسب الماليك والعربان — وقت الغلس —
على متاريس العسكر ، وحملوا على متراس حملة
واحدة ، فقتلوا منهم وهرب من بقى ، وألقوا
بأنفسهم فى البحر . فاستعد من كان بالمتاريس
الأخر ، وتابعوا رعى المدافع ، وخرجوا للحرب .
ووقع بينهم مقتلة عظيمة أبلى فيها الفريقان نحو
أربع ساعات ، ثم انجلت الحرب بينهم ، وترفع
المصرية والعربان ، وانكفوا عن بعضهم .

وفى وقت الظهر ، أرسلوا سبعة رهوس من
الذين قتلوا من المصرية فى المعركة ، وشقوا بهم
المدينة ثم علقوهم بباب زويلة . وفيهم رأس حسين

المجتم

الخميس غرته (١٣ أبريل ١٨٠٤ م) :

ركب الوالى العثملى ، وشق من وسط المدينة ،
فمر على سوق الغورية ، فأنزل شخصا من أبناء
التجار المحتشمين — وكان يتلو فى القرآن — فأمر
الأعوان فسحبوه من حانوته وبطحوه على الأرض ،
وضربوه عدة عصى من غير جرم ولا ذنب وقع منه .
ثم تركه وسار الى الأشرية ، فأنزل شخصا من
حانوته وفعل به مثل ذلك . فأنزعج أهل الأسواق ،
وأغلقت حوانيتهم ، واجتمع الكثير منهم ، وذهبوا
الى بيت الباشا يشكون فعل الوالى . وسمع
المشايع بذلك فركبوا أيضا الى بيت الباشا
وكلموه ، فأظهر الحق والغيظ على الوالى .

ثم قاموا وخرجوا من عنده ، فتبعهم بعض
المتكلمين فى بيت الباشا ، وقال لهم : « ان الباشا
يريد قتل الوالى ، والمناسب منكم الشفاعة .. »
فرجعوا الى الباشا ، وشفعوا فى الوالى .

وأرسل سعيد أغا الوكيل ، وأحضروا له المضروب
وأخذ بخاظره ، وطيب نفسه بكلمات . ورجع
الجميع كما ذهبوا ، وظنوا عزل الوالى ... فلم
يعزل .

وفيه : رجع المصرية والعربان ، وانتشروا
بأقليم الجيزة حتى وصلوا الى انبابة ، وضربوها
ونهبوها ، وخرج أهلها على وجوههم ، وعدوا الى
البر الشرقى . وأخذ العسكر فى أهبة التشهيل
والخروج لمحاربتهم .

الاثنين ١٩ منه (أول مايو ١٨٠٤ م) :

ورد ططرى وعلى يده بشارة للبasha ... بتقلبه ولاية مصر ، ووصول القابجى الذى معه التقليد والطوخ الثالث الى رشيد ، وطوخان لمحمد على وحسن بيك أخى طاهر باشا وأحمد بيك فضربوا عدة مدافع ، وذهب المشايخ والأعيان للتهنئة .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢ مايو ١٨٠٤ م) :

قتل البasha ثلاثة أشخاص ، أحدهم رجل سروجى . وسبب ذلك أن الرجل السروجى له أخ أجير عند بعض الأجناد المصرية ، فأرسل لأخيه فاشترى له بعض ثياب ونعالات وأرسلها مع ذلك الرجل ، فقبضوا عليه وسألوه ... فأخبرهم . فأحضروا ذلك الرجل السروجى ، وأحضروا أيضا رجلا يبطارا متوجها الى بولاق معه مسامير ونعالات ، فقبضوا عليه واتهموه أنه يعدى الى البر الآخر ليغسل لأخصامهم نعالات للخليل فأمر البasha بقتله وقتل السروجى والرجل الذى معه الثياب ، فقتلهم ظلما !

الأربعاء ٢١ منه (٣ مايو ١٨٠٤ م) :

حضر القابجى الذى على يده البشرى ، وهو خازن دار البasha ، وكان أرسله حين كان بسكندرية ويسمونها « المجدة » . ولم يحضر معه أطواخ ولا غير ذلك . فضربوا له شنكا ومدافع .

وفيه : خلع البasha على السيد أحمد المحروقى فروة سمور ، وأقره على ما هو عليه ... أمين الضربحانة وشاه بندر . وكذلك خلع على جرجس الجوهري ، وأقره باش مباشر الأقباط على ما هو عليه .

وفيه : رجع على كاشف الشغب بجواب الرسالة الى الألفى .

وفيه : تحقق الخبر بموت يحيى بيك . وكان مجروحا من المعركة السابقة .

بيك الوالى وكاشفين ، ومنهم حسن كاشف الساكن بحارة عابدين ، وملوكان .

وعلقوا عند رأس حسين بيك الوالى المذكور صليبا من جلد ، زعموا أنهم وجدوه معه .

وأصيب اسماعيل بيك صهر ابراهيم بيك ، ومات بعد ذلك ودفن بأبى صير .

الاثنين ١٢ منه (٢٤ ابريل ١٨٠٤ م) :

حصلت أعجوبة بيت بالقريية به بغلة تدور بالطاحون ، فزلقوها بالادارة ، فأسقطت حملا ليس فيه روح ، فوضعوه فى مقطف ، ومروا به من وسط المدينة ، وذهبوا به الى بيت القاضى . وأشيع ذلك بين الناس وعابنوه !

السبت ١٧ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٤ م) :

حضر على كاشف المعروف بالشغب (بثلاث معجمات وتشديد الشين وفتح العين وسكون الباء) رسولا من جهة الألفى ، ووصل الى جهة البساتين ، وأرسل الى المشايخ يعلمهم بحضوره لبعض أشغال . فركب المشايخ الى البasha وأخبروه بذلك . فأذن بحضوره ، فحضر ليلا ، ودخل الى بيت الشيخ الشرقاوى .

فلما أصبح النهار ، أشيع ذلك ، وركب معه المشايخ والسيد عمر النقيب ، وذهبوا به الى بيت البasha ، فوجدوه راكبا فى بولاق ، فانتظروه حصة الى أن حضر ، فتركوا عنده على كاشف المذكور ، ورجعوا الى بيوتهم . واختلى به البasha حصة ، وقابله بالبشر ، ثم خلع عليه فروة سمور ، وقدم له مركوبا بمدة كاملة ، وركب الى بيته وأمامه جملة من المسكر مشاة . وقدم له محمد على أيضا حصانا .

وفيه : شرعوا فى عمل شركمك للحرب بالأزبكية .

الخميس ٢٢ منه (٤ مايو ١٨٠٤ م) :

عمل الباشا الديوان ، وحضر المشايخ والوجاقلية ، وقرأوا المرسوم بحضرة الجمع ومضونه : « أننا كنا صفحنا ورضينا عن الأمراء المصرية على موجب الشروط التي شرطناها عليهم بشفاعة على باشا والصدر الأعظم ، فخانوا العهود ، ونقضوا الشروط ، وطغوا وبغوا ، وظلموا وقتلوا الحجاج ، وغدروا على باشا المولى عليهم ، وقتلوه ونهبوا أمواله ومتاعه ... فوجهنا عليهم العساكر في ثمانين مركبا بحرية . وكذلك أحمد باشا الجزائر بساكر برية للاتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم لهم ، وقتلهم واخراجهم . فعند ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الأول ، وصفحنا عنهم صفحا كليا ، وأطلقنا لهم السفر والاقامة متى شاءوا وأيضا أرادوا من غير حرج عليهم ... »

« وولنا حضرة أحمد باشا خورشيد ، كامل الديار المصرية ، لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ، ووفور العقل والرياسة » .. الى غير ذلك .

وعملوا شنكا وحراقة وسواربخ بالأزبكية ثلاث ليال ، ومدافع تضرب في كل وقت من الأوقات الخمسة من القلعة وغيرها .

وفيه : تواترت الأخبار بأن الأمراء القبالي عملوا وحسات ، وقصدهم التعدية الى البر الشرقي .

الاحد ٢٥ منه (٧ مايو ١٨٠٤ م) :

على الكثير منهم على جهة حلوان ، وانتقل الكثير من العسكر من بر الجيزة الى بر مصر . فخاف أهل المطرية وغيرها ، وجلوا عنها ، وهربوا

الى البلاد ، وحضر كثير منهم الى مصر خوفا من وصول القبالي .

الاثنين ٢٦ منه (٨ مايو ١٨٠٤ م) :

سافر الشيخ الشرقاوى الى مولد سيدي أحمد البدوي ، واقتدى به كثير من العامة وسخاف العقول . وكان المحروقي وجرجس الجوهري مسافرين أيضا ، وشهروا احتياجاتهم ، واستأذنوا الباشا ... فأذن لهم .

فلما تبين لهم تعدية المصرية الى الجهة الشرقية ، امتنعوا من السفر ، ولم يتمتع الشيخ الشرقاوى ومن تابعه .

الثلاثاء ٢٧ منه (٩ مايو ١٨٠٤ م) :

وصل فريق منهم الى جهة قبة باب النصر والعدلية — من خلف الجبل — ورمحوا خلف باب النصر من خارج ، وباب القنوج ، ونواحي الشيخ قمر والدمرداش ، ونهبوا الوايلي وماجاوره ، وعبروا الدور ، وغروا النساء ، وأخذوا دسوتهم وغلالهم وزروعهم . وخرج أهل تلك القرى على وجوههم ومعهم بعض شوالى وقصاع ، ودخل الكثير منهم الى مصر .

الأربعاء ٢٨ منه (١٠ مايو ١٨٠٤ م) :

جمع الباشا ومحمد على العسكر ، واتفقوا على الخروج والمحاربة وأخرجوا المدافع والشركتلكات الى خارج باب النصر ، وشرعوا في عمل متاريس . وفي آخر النهار ، ترفع المصرية والعرب وتفرقوا في اقليم الشرقية والقلوبية ... وهم يسعون في الفساد ، ويهلكون الحصاد . فما وجدوه مدروسا من البيادر أخذوه ، أو قائما على ساقه رعوه ، أو غير مدروس أحرقوه ، أو كان من المتاع نهبوه ، أو من المواشى ذبحوه وأكلوه ! وذهب منهم طائفة الى بلييس ، فحاصروا بها

البحر ، ونزل في قارب وحضر الى مصر . وأخذوا حملته ومتاعه وجبخته ، وطلبوا مشايخ النواحي مثل : شيخ الزوامل والعائد وقلوب ، وألزمهم بالكلف ، وفردوا على القرى الفرد والكلف الشاقة مثل ألف ريال وألفين وثلاثة ، وعينوا بطلبها العرب ، وعينوا لهم خدما وحق طرق ، خلافا المقرر ، عشرين ألف فضة وأزيد . ومن استعظم شيئا من ذلك أو عصى عليهم ، حاربوا القرية ونهبوها ، وسبوا نساءها ، وقتلوا أهلها ، وحرقوا جرونها . وقل الوردون الى المدينة بالغالل وغيرها ، فقلت من الرقع ، وازدحم الناس على ما يوجد من القليل فيها . واحتاج العسكر الى الغلال لأخبازهم ، لأنهم لم يكن عندهم شيء مدخر ، فأخذوا ما وجدوه في العرصات ... فزاد الكرب ، ومنعوا من يشتري زيادة على ربع ... من الكيل ، ولا يدركه الا بعد مشقة بستين نصفا . وإذا حضر للبعض من الناس غلة من مزرعته القريبة ، لا يمكنه ايصالها الى داره الا بالتجوه والمصانعة والمغرم لقلقات الأبواب وأتباعهم .

فيحجزون ما يرونه داخل البلد من الغلة متعللين بأنهم يريدون وضعها في العرصات القريبة منهم ، فيعطونها للفقراء بالبيع ، فيعطونهم دراهم ويطلقونهم .

وفيه : طلبوا جملة أكياس لنفقة العسكر ، فوزعوا جملة أكياس على الأقباط ، والسيد أحمد المحروقي ، وتجار البهار ، ومياسير التجار والملمزمين ... وطلبوا أيضا مال الجهات والتحرير ، وباقي مسميات المظالم عن سنة تاريخه معجلة .

الخميس ٢٩ منه (١١ مايو ١٨٠٤ م) :

خرج الكثير من العسكر ، ورتبوا أنفسهم ثلاث فرق في ثلاث جهات ، وردوا الخيول .. الا القليل . ووقع بينهم مناوشات قتل فيها أنفار من الفريقين .



احد الامراء

كاشف الشرقية يومين ، وتقبوا عليه الحيطان حتى غلبوه ، وقتلوا من معه من العسكر . وأخذوه أسيرا ومعه اثنان من كبار العسكر ، ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المائتين .

وحضر أبو طويلة شيخ العائد عند الأمراء ولائهم ، وكلهم على هذا النهب ، وقال لهم : « هذه الزروع غلبها للعرب ، والذي زرعه الفلاح في بلاد الشرق شركة مع العرب ، وأن هبود العرب المصاحبين لكم .. ليس لهم رأس مال في ذلك ، فكفوههم وامنعوهم ، ويأتيكم كصايتكم . وأما النهب فانه يذهب هدرا » . فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من الهناذى وغيرهم قوله : « هبود العرب » اغتاظوا منه ، وكادوا يقتلونه .

ووقع بين العربان منافسة واختلاف . وكذلك حصروا كاشف القليوبيه ، فدخل بمن معه جامع قلوب وترس به ، وحارب ثلاث ليال ، وأصيب كثير من المخاربين له . ثم تركوه ففر بمن بقي معه الى

صفر

٣ ليرته (١٢ مايو ١٨٠٤ م) :

نادوا على الفلاحين والخدامين البطالين بالخروج من مصر . وكل من وجد بعد ثلاثة أيام ، وليس بيده ورقة من سيده ، يستأهل الذي يجرى عليه .

٢ منه (١٣ مايو ١٨٠٤ م) :

طاف الأعوان ، وجمعوا عدة من الناس العتالين وغيرهم ، ليسخروهم في عمل المتاريس وجسر المدافع .

٥ منه (١٦ مايو ١٨٠٤ م) :

قبض الوالى على شخص يشتري طربوشا غثيقا من سوق العصر بسوق لاجين ، واتهمه أنه يشتري الطرايش للاخصام ... من غير حجة ولا بيان ، ورمى رقبته عند باب الخرق ظلما !

٧ منه (١٨ مايو ١٨٠٤ م) :

نزل الأرثوود من القلعة ، وتسلمها الباشا وطلع اليها . وضربوا لطلوعه عدة مدافع ، ورجع الى داره آخر النهار .

وفيه : أشيع قدوم سليمان بيك حاكم جرجا ، ووصله الى بنى سويف ، وفي عقبه الألفى الصغير أيضا .

وفيه : هجم طائفة من الخيالة — فى طلوع الفجر — على المذبح السلطاني ، وأخذوا ثورين : أحدهما من المذبح ، والآخر من بعض الفيطان ، وهرب الجزارون .

٩ منه (٢٠ مايو ١٨٠٤ م) :

طلع الباشا الى القلعة وسكن بها ، وضربوا له عدة مدافع .

وفيه : حضر كاشف الشرقية المقبوض عليه ببلبيس ، ومعه اثنان . وقد أفرج عنهم الأمراء

المصرية وأطلقوهم . فلما وصلوا الى الباشا ، خلع عليهم ، وألبسهم فراوى جبرا لخاطرهم .

وفيه : وصل الخبر بوقوع حرب بين العسكر المصرية والعربان ، وحضر عدة جرحى . وكانت الواقعة عند الخصوص وبهيم . وجلا أهل تلك القرى وخرجوا منها ، وحضروا الى مصر بأولادهم وقصاعهم ... فلم يجدوا لهم مأوى ، ونزل الكثير منهم بالرميلة .

وفيه : حضر أناس من الذين ذهبوا الى مولد السيد البدوى ، وفيهم عرايا ومجاريح وقتلى . وقد وققت لهم العرب ، وقطعت عليهم الطرق ، فتفرقوا فرقا في البر والبحر ، وحصر العرب طائفة كبيرة منهم بالقرطيين ، وحصل لهم ما لا خير فيه .
وأما الشيخ الشرقاوى ، فانه ذهب الى المحلة الكبيرة وأقام بها أياما ، ثم ذهب مشرقا الى بلده القرين .

وفيه : حضر مصطفى أغا الأرثوودى هجانا برسالة من عند الألفى ، وفيها طلب أتباعه الذين بمصر ، فلم يأذنوا لهم فى الذهاب اليه ، واحتجوا بعدم تحقق صداقته للعثمانية .

وفيه : ورد الخبر بتوجه سليمان بيك الخازندار حاكم جرجا الى جهة بحرى ، وأنه وصل الى بنى سويف ، وأن الألفى الصغير فى أثره بحرى منية ابن خصيب ، والألفى الكبير مستقر بأسوط يقبض فى الأموال الديوانية والغلال . وأشيع صلحه مع عشيرته سرا ، ومظهر خلاف ذلك مع العثمانية .

١٠ منه (٢١ مايو ١٨٠٤ م) :

أحضروا جماعة من الوجاقلة عند كتخدا الباشا . فلما استقروا فى الجلوس ، كلموهم ، وطلبوا منهم سلفة ، وحبسوا رضوان كاشف الذى بباب الشرعية وطلبوا منه عشرين كيسا ، وكذلك طلبوا من باقى الأعيان مثل : مصطفى أغا الوكيل وحسن أغا محرم

ومحمد أفندى سليم ، وابراهيم كئخذ الرزاز وخلافهم ... مبالغ مختلفة المقادير . وعملوا على الأقباط ألف كيس ، وحلف الباشا أنها لاتنقص عن ذلك . وفردوا على البنادر مثل دمياط ورشيد وفوة ودمهور والمنصورة وخلافها ... مبالغ أكياس : مابين ثمانين كيسا ، ومائة كيس ، وخمسين كيسا . وغير ذلك ، لنفقة العسكر . وأحضر الباشا الروزنامجى واتهمه فى التقصير .

١١ منه (٢٢ مايو ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا الوالى والمحاسب الى بيت الست نفيسة زوجة مراد بك وطلبها ، فركبت معها وصحبها امرأتان ، فطلعا بهن الى القلعة . وكذلك ارسلوا بالتفتيش على باقى نساء الأمراء فاخفى غالبن ، وقبضوا على بعضهن ، وذلك كله بعد عصر ذلك اليوم .

فلما حصلت الست نفيسة بين يديه ، قام اليها وأجلها ، ثم أمرها بالجلوس ، وقال لها على طريق اللوم : « يصح أن جارتك منور تتكلم مع صادق أغا ، وتقول له يسعى فى أمر الممالك العصاة ، وتلتزم له بالمكسور من جامكية العسكر » . فأجابته : « ان ثبت أن جارتى قالت ذلك ، فأنا المأخوذة به دونها » . فأخرج من جيبه ورقة وقال لها : « وهذه ؟ » وأشار الى الورقة ، فقالت : « وما هذه الورقة ؟ أرنيها ، فانى أعرف أن أقرأ ، لأنظر ماهى ؟ » فأدخلها ثانيا فى جيبه ، ثم قالت له : « أنا بطول ماعشت بمصر ... وقدرى معلوم عند الإكابر وخلافهم . والسلطان ورجال الدولة وحریمهم يعرفونى أكثر من معرفتى بك . ولقد مرت بنا دولة الفرنسيين الذين هم أعداء الدين فما رأيت منهم الا التكریم ، وكذلك سيدى محمد باشا كان يعرفنى ويعرف قدرى ، ولم نر منه الا المعروف . وأما أنت .. فلم يوافق فعلك فعل أهل دولتك ولا

غيرهم ! » فقال : « ونحن أيضا لاتفعل غير المناسب » . فقالت له : « وأى مناسبة فى أخذك لى من بيتى بالوالى مثل أرباب الجرائم ؟ » . فقال : « أنا أرسلته لكونه أكبر أتباعى . فارساله من باب التعظيم » . ثم اعتذر اليها ، وأمرها بالتوجه الى بيت الشيخ السحيمى بالقلعة ، وأجلسوها عنده بجماعة من العسكر .

وأصبح الخبر شائعا بذلك ، فتكدت خواطر الناس لذلك ، وركب القاضى وتقيب الأشراف والشيخ السادات والشيخ الأمير ، وطلعوا الى الباشا وكلموه فى أمرها . فقال : « لا بأس عليها . وانى أنزلتها ببيت الشيخ السحيمى مكرمة حسنا للفتنة ، لأنها حصل منها مايوجب الحجز عليها » . فقالوا : « نريد بيان الذنب . وبعد ذلك : اما العفو أو الانتقام » . فقال : « انها سعت مع بعض كبار العسكر تستميلهم الى الممالك العصاة ، ووعدتهم بدفع علوفاتهم . وحيث أنها تقدر على دفع العلوفة ، فينبغى أنها تدفع العلوفة ا » .

فقالوا له : « ان ثبت عليها ذلك ، فانها تستحق ما تأمرون به ، فيحتاج أن تتفحص على ذلك » . فقام اليها الفيومى والمهدى ، وخطبها فى ذلك . فقالت : « هذا كلام لا أصل له . وليس لى فى المصرية زوج حتى انى أخاطر بسببه ، فان كان قصده مصادرتى ، فلم يبق عندى شىء ، وعلى ديون كثيرة » .

فعادوا اليه ، وتكلموا معه .. وراددهم . فقال الشيخ الأمير للترجمان : « قل لأفندينا .. هذا أمر غير مناسب ، ويترتب عليه مفسد . وبعد ذلك يتوجه علينا اللوم . فان كان كذلك ، فلا علاقة لنا بشىء من هذا الوقت ، أو نخرج من هذه البلدة » . وقام قائما على حيله يريد الذهاب . فمسكه مصطفى أغا الوكيل وخلافه ، وكلموا الباشا فى اطلاقها ،

وأنها تقيم بيت الشيخ السادات .. فرضى بذلك ، وأنزلوها بيت الشيخ السادات .

وكانت عدلة هانم ابنة ابراهيم بك ، عندما وصلها الخبر ، ذهبت الى بيته أيضا .

وفيه . شنقوا شخصا على السبيل بباب الشعرية ، شكوا منه أهل حارته ، وأنه يتعاطى القيادة ويجمع بين الرجال والنساء وغير ذلك .

١٤ منه (٢٥ مايو ١٨٠٤ م) :

كتبوا أوراقا وألقوها بالأسواق بطلب ميرى سنة تاريخه المعجلة بالكامل — وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها ثم اضطربهم الحال بطلب الباقي — وعملوا قوائم بتوزيع خمسة آلاف كيس . استقر منها على طائفة القبطة خمسمائة كيس بعد الألف ، وجبلة على الملتزمين ، خلاف ما أخذ منهم قبل ذلك ، وعلى الست نفيسة وبقية نساء الأمراء ثمانمائة كيس .

وفيه : خطف العرب جرابة العسكر من عند الزاوية الحمراء .

وفيه : وصل سليمان بك الخازندار ، وعدى الى جهة طرا . فخرج عدة من العسكر — خلاف المرابطين هناك قبل ذلك من العسكر والمغاربة — فقصد المرور من خلف الجبل واللحوق بجماعته جهة الشرق في آخر الليل . فوقف له العسكر

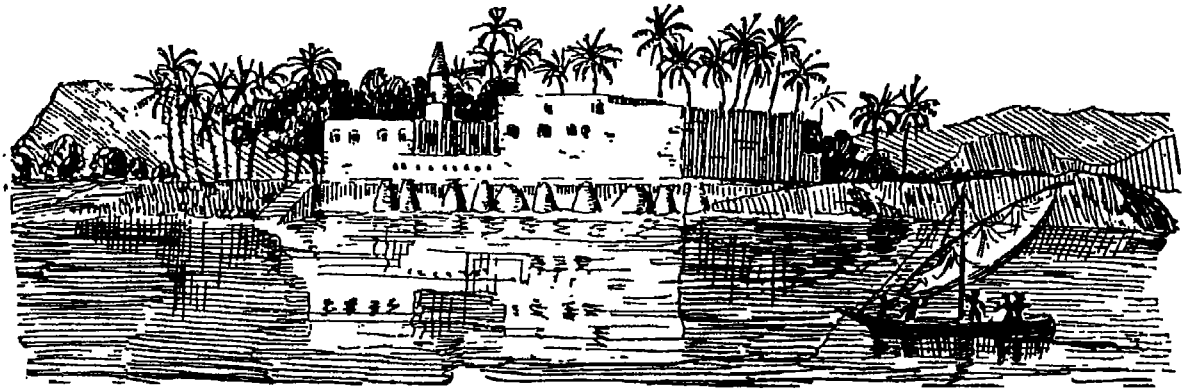
وضربوا عليه بالمدافع الكثيرة ، واستمر الضرب من فجر الى عصر يوم الجمعة ، وتقذ بمن معه على حماية ، وقتلوا منه مملوكا واحدا ، وحضروا برأسه الى تحت القلعة .

وفيه : رجع الكثير من عسكر الأرثوود وغيرهم ، ودخلوا الى المدينة يطلبون العلوفة ، واستمر من بقى منهم يهتيم وبلقس ومسطرد .. وقد أخرجوا أهاليها منها ونهبوها ، واستولوا على ما فيها من غلال وأتبان وغير ذلك . وكرنكوا فيها وتقبوا الحيطان لرمى بنادق الرصاص من الثقوب ، وهم مسترون من داخلها ، ونصبوا خيامهم في أسطحه الدور ، وجعلوا المتاريس من خارج البلدة ، وعليها المدافع . فلا يخرجون الى خارج ، ولا يبرزون الى ميدان الحرب . وكل من قرب منهم من الخيالة المقاتلين ، رموا عليه بالمدافع والرصاص ، ومنعوا عن أنفسهم واستمروا على ذلك .

وفيه : وردت مكاتبات الى التجار من الحجاز ، وأخبروا بأن الحجاج أدركوا الحج والوقوف بعرفة ، ودخلوا قبل الوقوف بيومين .

وأخبروا أيضا بوفاة شريف باشا الى رحمة الله تعالى ، وكان من خيار دولة العثمانيين .

ووردت أخبار أيضا من البلاد الشامية بوفاة أحمد باشا الجزائر في سادس عشرين المحرم .



طرا

١٦ منه (٢٧ مايو ١٨٠٤ م) :

أرسلوا تناييه الى أرباب الحرف والصنائع بطلب دراهم وزعت عليهم ... مجموعها خمسمائة كيس . فضج الناس وتكبدوا ، مع ما هم فيه من وقف الحال ، وغلاء الاسعار في كل شيء .

وأصبحوا على ذلك يوم الأحد ، فلم يفتحوا الحوانيت ، وانتظروا مايفعل بهم .

وحضر منهم طائفة الى الجامع الأزهر ، ومر الأغا والوالى ينادون بالأمان وفتح الدكاكين . فلم يفتح منهم الا القليل .

وفيه : سرح سليم كاشف المحرمجى الى جهة بحرى ، وأشيع وصول الألفى الصغير الى المنية .

١٨ منه (٢٩ مايو ١٨٠٤ م) :

اجتمع الكثير من غوغاء العامة والأطفال بالجامع الأزهر ، ومعهم طبول ، وصعدوا الى المنارات يصرخون ويطلبون ، وتحلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويتضرعون ويقولون : « يا لطيف .. » وأغلقت الأسواق والدكاكين .

ووصل الخبر الى الباشا ، بل سمعهم من القلعة ، فأرسل قاصدا الى السيد عمر النقيب يقول : « اننا رفعنا عن الفقراء » . فقال له : « ان هؤلاء الناس وأرباب الحرف والصنائع كلهم فقراء ، وما كفاهم ما هم فيه من القحط والكساد ووقف الحال حتى تطلبوا منهم مغارم لجوامك العسكر ! وما علاقتهم بذلك ؟ » . فرجع الرسول بذلك .

وحضر الأغا ومعه عدة من العسكر ، وجلس بالغورية وهو يأمر الناس بفتح الحوانيت ، ويتوعد من يتخلف . فلم يحضر أحد ، ولم يسمعوا لقوله ! وفي وقت العصر ، رجع القاصد ومعه فرمان برفع الغرامة عن المذكورين ، ونادى المنادى بذلك .

فاطمان الناس وتفرقوا ، وذهبوا الى بيوتهم ، وخرج الأطفال يرمحون ويصرخون ويفرحون .

وفي ذلك اليوم ، عدى محمد على وجمع كثير من العسكر والمغاربة الى بر الجيزة ، وبرزوا الى خارج . فنزل عليهم جملة من العرب فحاربوهم ، فقتل بينهم أنفار وانجرح منهم كذلك ، ثم ترفعوا عنهم فرجعوا ومعهم رأس من العرب ، ومع المغاربة قتل منهم فى تابوت ، وهم يقولون : « طردناهم » . وخطفوا بعض مواش وأغنام فى طريقهم من الرعيان ، فقتلوهم وأخذوها منهم .

١٩ منه (٣٠ مايو ١٨٠٤ م) :

أحضر كنتخدا الباشا كاتب البهار وأمره باحضار ستمائة فرق بن ، فاعتذر اليه بعدم وجود ذلك ، فقال : « انما نأخذها بأمانها » . فقال له : « ليس على الا التعريف . وقد عرفت ان هذا القدر لا يوجد ، وان أردت فأرسل معى من تريد ونكشف على حواصل التجار والخانات » . فطافوا على الخانات ، وفتحوا الحواصل فلم يجدوا الا سبعين فرقا ، وأكثرها عليه نشانات كبار العسكر من مشترواتهم ، فرجعوا من غير شيء . ثم نودى فى أثر ذلك بالأمان .

وفيه : وقعت معركة بسوق الصاغة بين بعض العسكر الذين يتحشرون فى أيام الأسواق فى الدالين والباعة ، ويعطلون عليهم دلالتهم وصناعتهم ومعايشهم ، وضربوا على بعضهم بالرصاص . ففرع الناس ، وحصلت كرشة ، وظن من لا يعلم الحقيقة من العسكر أنها قومة ، فهربوا يمينا وشمالا وطلبوا النجاة والتوارى . ووافق مرور أغاة الانكشارية فى ذلك الوقت .. فانزعج هو ومن معه وطلب الهرب ! ثم انكشف الغبار ، وظهر شخص عسكرى مطروح وبه رمق وآخر مجروح ، فرجع الأغا وأمر بحمله فى تابوت ، ونادى بالأمان .

٢٢ منه (٢ يونية ١٨٠٤ م) :

قبل المغرب ... ضربوا مدافع كثيرة من القلعة ، وكذلك في صباحها يوم السبت . ولم يظهر لذلك سبب سوى مايقولونه من التموينات من وصول الأطواخ وعساكر ودلاة برية تارة وبحرية أخرى . وفيه : أشيع وقوع معركة بين المصرية والعثمانية وأخذوا منهم متاريس بلقس ومدافع ، ووصل منهم جرحى دخلوا ليلا . وحضر من المصرية طائفة ناحية شلقان وقطعوا الطريق على السفر في البحر ، وأخذوا مركبين ، وأحرقوا مراكب . وامتنع الواصلون والذاهبون ، وارتفعت الغلال من الرقع والعرصات ، وغلا سعرها . فخرج البهم مراكب يقال لها « الثلنبات » ، وضربوا عليهم بالمدافع ، وأجلوهم عن ذلك الموضع . ووصل بعض مراكب من المعوقين .

٢٦ منه (٦ يونية ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا الى المشايخ . فذهبوا اليه ، فاستشارهم في خروجه الى الحرب وخروجهم صحبتته مع الرعية ... فلم يصوبوا رأيه في ذلك . وقالوا له : « اذا انهزم العسكر ، تأمر غيرهم بالخروج واذا كانت الهزيمة علينا ، وأنت معنا ، من يخرج بعد ذلك ؟ » وانفض المجلس على غير طائل .

في اواخره (٨ ، ٩ يونية ١٨٠٤ م) :

وقع بينهم مساجلات ومحاربات ومغالبات ، واحترقت جبجخانة العثمانيين ... وقيل أخذ باقيها . ورجع منهم قتلى ومجاريح ، وانجرح عابدى بيك أخو طاهر باشا ، واحترق أشخاص من الطبجية ، ودخل سلجدار الباشا والوالى وأمامهما رأس واحدة بشوارب كأنه من الماليك .

وفي عصرية ذلك اليوم : أخرجوا عساكر ومعهم

مدافع وجبجخانة أيضا ... محملة على ليف وثلاثين جملا .

وفيه : ضيقوا على نساء الأمراء في طلب الغرامة ، وألزموا بقبضها وتحصيلها الست نفيسة وعديلة هانم ابنة ابراهيم بيك . فؤزعتها بمعرفتهما على باقى النساء . وأرسلوا عساكر يلزمون بيوتهن حتى يدفعن ما التزمن به ، فاضطر أكثرهن لبيع متاعهن ، فلم يجدن من يشتري لعموم المضايقة والكساد !

وانقضى هذا الشهر ... والحال على ما هو عليه من استمرار الحروب ، والمحاصرات بين الفريقين ، وانقطاع الطرق برا وبحرا ، وتسلبت العربان واستغنمهم تفاشل الحكام ، وانفكك الأحكام . وكذلك تسلط الفلاحين المقاومين من سعد وحرام على بعضهم البعض بحسب المقدرة والقوة والضعف ، وجهل القائمين المتأمرين بطرائق سياسة الاقليم ، ولا يعرفون من الأحكام الا أخذ الدراهم بأى وجه كان .

وتماذى قبائح العسكر بما لاتحيط به الأوراق والدفاتر ... بحيث أنه لا يخلو يوم من زعجات ورجفات وكرشات في غالب الجهات : اما لأجل امرأة أو أمرد ، أو خطف شيء ، أو تنازع وطلب شر بأدنى سبب مع العامة والباعة ، أو مشاحنة مع السوق والمتسبيين بسبب ابدال دنانير ذهب ناقص بدراهم فضة كاملة المصارفة من صيارف أو باعة أو غير ذلك !

وتعطل أسباب المعاش ، وغلو الأسعار في كل شيء ، وقلة المجلوب ، ومنع السبل . ووصل سعر الأردب القمح ستة عشر ربالا ، والفول والشعير أكثر من ذلك ... لقلته وعزته . واذا حنر منه شيء ، أخذوه لاحتياج العليق .. فهرا بأبئس الثمن عند وصوله المأمن . وأجرة طحين الويبة من القمح

الرطل — من وقت طلوعه الى أن بلغ حد الكثرة —
وبقى بحال لا تقبله الطبيعة البشرية ، فعند ذلك بيع
بنصفين !

وأما الناكهة ، فلا يشتريها الا أفراد الأغنياء ،
أو مريض يشتهيها ، أو امرأة وحمى ... لعلوها . فان
رطل الخوخ بخمسة عشر نصفا ، والتفاح الأخضر
كذلك . وقس على ذلك .

وذلك لقلة المجلوب وخراب البساتين ، وغلو
علف البهائم ، وخوز المتسبين ، وأخذ الرشوات
منهم وتركهم وما يدينون . وأما الأتبان فانها كثرت
وانحل سعرها عما كانت .

ربيع الأول

في غرته (١٠ يونية ١٨٠٤ م) :

وقع هرج ومرج واشاعات ، ثم تبين أن طائفة
من العربان والممالك وصلوا الى خارج باب النصر
وظاهر الحسينية وناحية الزاوية الحمراء وجزيرة
بدران جهة الحلبي ، ورمحوا على من صادفوه بتلك
النواحي ، وحالوا بين العسكر الخارجين وبين
عرضهم ، وأخذوا مامعهم من الجزاية والعليق
والجبخانة .

فنزول الباشا ومعه عساكر ، وذهب الى
جهة بولاق ، ثم الى ناحية الزاوية الحمراء ،
وأغلقوا أبواب المدينة . ثم رجع الباشا بعد العصر ،
ودخل من باب العدوى ، وطلع الى القلعة وهو
لابس برنسا . ثم تكرر بينهم وقائع وخروج عساكر
ودخول خلافهم ، ونزول الباشا وطلوعه .

٤ منه (١٣ يونية ١٨٠٤ م) :

حضر الشيخ عبد الله الشرقاوى من غيبته
بالقرين بعد ذهابه الى المحلة من طنطا .

٦ منه (١٥ يونية ١٨٠٤ م) :

حضر هجانة بمكاتبة من عند الألفى الكبير

مئة وأربعون نصفا ... مع ما سرقه الطحانون
منها ويخلطونه فيها . وأجرة خبزها عشرون
نصفا ... بحيث حسب ثمن الأردب بعد
غربلته وأجرته ومكسه وكلفته وطحنه وخبزه الى
أن يصير خبزا : أربعة وعشرين ريالاً ! فسبحان
اللطيف الخبير المدبر . ومن خفى لطفه ، كثرة
الخبز وأصناف الكعك والفطير في الأسواق .

وسعر الرطل من اللحم الجفيف ، بما فيه من العظم
والكبد : تسعة أنصاف ، والجاموس : سبعة أنصاف
الرطل ، والراوية الماء : ثلاثون نصفا ، والسمن
القنطار بألفين وأربعمائة نصف . وشح الأرز ، وقل
وجوده ، وغلا ثمنه . ووصل سعر الأردب الى
خمسة وعشرين ريالاً . والجن القريش ثمانية عشر
نصفا الرطل .

وأما الخضارات ففز وجودها وغلا ثمنها ... بحيث
أن الرطل من البامية — بما فيها من الخشب الذى
يرمى من وقت طلوعها الى أن بلغت حد الكثرة ...
ثمانية أنصاف كل رطل . والرطل قباني اثنتا عشرة
أوقية . وعز وجود البن وغلا سعره ، حتى بلغ في
هذا الشهر الرطل سبعين نصفا ، والسكر العادة
الصعيدى خمسة وأربعون نصفا الرطل الواحد ،
والعسل الأبيض الغير الجيد ثلاثون نصفا ، والعسل
الأسود خمسة عشر نصفا ، والعسل القطر عشرون
نصفا الرطل ، والصابون أربعة وعشرون نصفا .

كل ذلك بالرطل القباني الذى عمله محمد
باشا ... فلا جزاء الله خيرا ! والشيرج بألفين فضة
القنطار . وورد الكثير من الحطب الرومى ورخص
سعره الى مائة وعشرين نصفا الحملة بعد ثلاثمائة
نصف .

وأما أنواع البطيخ والعبدلاوى فلم يشتريه
أكثر الناس لقلته وغلو ثمنه ، فانه بيعت الواحدة
بعشرين نصفا فأقل فأكثر ، والخيار بخمسة أنصاف

بناحية طرا ، وكذلك بالجيزة . وأرسلوا هناك
مراكب حربية يسمونها « الشلنبات » .

١١ منه (٢٠ يونية ١٨٠٤ م) :

خرج محمد على وحسن بيك أخو طاهر باشا
الى جهة القليوبية ، وصحبهم عساكر كثيرة
وأدوات ، وعدى طائفة من الأمراء الى بر المنوفية ،
وهرب حاكم المنوفية من منوف .

١٣ منه (٢٢ يونية ١٨٠٤ م) :

ورد الخبر بوصول مراكب وأدوات من القلزم
الى السويس ، وفيها حجاج والمحمل ، وأخبروا
بمحاصرة الوهابيين لمكة والمدينة وجدة ، وأن أكثر
أهل المدينة ماتوا جوعا لعزلة الأقوات .. والأردب
القمح بخمسين فرانسا ان وجد ، والأردب الأرز
بمائة فرانسا . وقس على ذلك .

١٥ منه (٢٤ يونية ١٨٠٤ م) :

وصلت مراكب وفيها طائفة من العسكر ، وهم
الذين يسمونهم النظام الجديد الذين بقلدون محاربة
الافرنج . وأشاعوا أنهم خمسة آلاف وعشرة
آلاف . ووصل صحبتهم الأغا الذي كان حضر
بالمجدة والبشارة للباشا بالتقليد والأطواخ ورجع
الى اسكندرية . فحضر أيضا وضربوا لوصوله
مدافع وشنكا جهة بولاق ، وأرسلوا له خيولا
ويرقا وطبلخانات ، وأركبوه من بولاق . وشنق

خطابا للباشا ، وفيها الاخبار بعزمه على الحضور
الى مصر هو وعثمان بيك حسن ، ويلتمس أن
يخلو له الجيزة وقصر العيني لينظر في هذا الأمر
والفساد الواقع بمصر .

فكتب له الباشا جوابا ملخصه — على ما نقل
الينا — « أنك في السابق عرقتنا أنك مذعن للطاعة ،
وأرسلنا لك بالأذن والاقامة بجرجا ... وما عرفنا
موجب هذا الحضور ؟ فإن كنت طائعا وممثلا
فارجع الى جرجا موضع ما كنت ، ولك الولاية
والحكم بالأقليم القبلى ، وأرسل المال والغلال »
ونحو ذلك من الكلام . وسافروا بالجواب يوم
السبت ثامنه .

٨ منه (١٧ يونية ١٨٠٤ م) :

ترفع الأمراء المصرية الى ناحية مشتهر وبناها ،
وانتقلوا من منزلتهم . وأشاع العسكر ذهابهم
وهروبهم .

وفيه : وردت مكاتبات من الحجاز ، وأخبروا
فيها بموت محمود جاويش الذى سافر بالمحمل ،
وكذلك الحاج يوسف صيرفى الصرة . وأن طائفة
من الوهابيين حاصروا جندة ولم يملكوها ، وأن
بيلاد الحجاز غلاء شديدا ... لمنع الوارد عنهم ،
والأردب القمح بثلاثين ريالاً فرانساً ، عنها من
الفضة العددية خمسة آلاف وأربعمائة .
وفيه : أرسلوا فعلة وعمالا لعمل متاريس وأبنية



موكب الانا

من وسط المدينة ، وأمامه وخلفه أتباع الباشا والوالى والجنيات وعسكر النظام الجديد — وهم دون المائة شخص — والأغا المذكور ، ومعه أوراق في أكياس حرير ملون ، وخلفه آخر راكب ومعه بقجة تظل ان بداخلها خلعة يرسم الباشا ، وآخر معه صندوق صغير وعليه دواة كتابة منقوشة بالفضة ، وخلفهم الطبلخانات .

فلما وصلوا الى القلعة ، ضربوا لوصولهم مدافع كثيرة من القلعة ، وعمل الباشا ديوانا في ذلك الوقت بعد العصر ، وقرأوا التقليد المذكور .

وفيه : وصلت طائفة من الغربان الى جهة بولاق وجزيرة بدران وناحية المذبح ، وخطفوا ما خطفوه ، وذهبوا بما أخذوه !

وفيه : ورد الخبر بوصول الألفى الكبير الى ناحية بنى سويف ، وعثمان بيك حسن في مقابلته بالبر الشرقى .

١٧ منه (٢٦ يونية ١٨٠٤ م) :

وصل قاصد من الألفى بمكتوب ، خطابا للمشايخ العلماء ، مضمونه : أنه لا يخفاكم أننا كنا سافرا سابقا اقصد راحتنا وراحة البلاد ، ورجعنا بأوامر ، وحصل لنا ما حصل . ثم توجهنا الى جهة قبلى واستقرنا بأسىوط بعد حصول الحادث بين اخواننا الأمراء والعسكر ولحروجهم من مصر .

وأرسلنا الى أفندينا الباشا بذلك ، فأنعم علينا بولانة جرجا ونكون تحت الطاعة ، فامتنلنا ذلك وعزمنا على التوجه حسب الأمر . فبلغنا مصادرة الحرم ، والتعرض لهم بما لا يليق من الفرائم ، وتسلبت العساكر عليهم ولزومهم لهم . فشنينا العزم واستخرنا الله تعالى فى الحضور الى مصر لننظر فى هذه الأحوال . فان التعرض للحريم والعرض لاتهضمه النفوس .. وكلام كثير من هذا المعنى .

فلما وصلتهم المكتابة ، أخذوها الى الباشا وأطلعوه عليها ، فقال فى الجواب : « انه تقدم أنهم تركوا نساءهم للفرنسيين ، وأخذوا منهم أموالا . وانى كنت أعطيت له جرجا ، ولعثمان بيك قنا وما فوق ذلك من البلاد ، وكان فى عزمى أن أكتب الدولة وأطلب لهم أوامر ومراسيم بما فعلته لهم وبراحتهم .. فحيث أنهم لم يرضوا بفعلى ، وغرتهم أمانيتهم ، فليأخذوا على نواصيهم ! »

وفيه : شرعوا فى حفر خندق قبلى الامام الليث ابن سعد ومتاريس .

وفيه : أرسل محمد على الى مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى . فلما حضرا اليه ... عوقهما الى الليل ، ثم أرسلهما الى القلعة بعد العشاء مائتين ، ومعهما عدة من العسكر ... فعجبا بها

٢٠ منه (٢٩ يونية ١٨٠٤ م) :

عمل الباشا ديوانا وحضر المشايخ والوجاقلية ، وأظهر زينته وتفاخره فى ذلك الديوان ، وأوقف خيوله المسومة بالحوش ، وخيول شجر الدر واصطفت العساكر بالأبواب والحوش والديوان ، ووقفت أصناف الديوان باختلاف أشكالهم ، والسعاة بالطاسات المذهبة على رؤوسهم . وخرج الباشا بالشعار والهيئة ، وعلى رأسه الطبلخان بالطراز ، الى الديوان الكبير المعروف بديوان الغورى . وقد أعدوا له كرسيًا بقاشية جوخ أحمر وبساط مفروش ، خلاف الموضع القديم . فجلس عليه ، وزعقت الجاويشية ، وأحضر التقليد .. فقرأ ديوان أفندى بحضور الجمع الكبير ، ثم قرأ فرمانين آخرين مضمون أحدهما أكثر كلاما من الثانى .. ملخصه : الولاية وحكاية الحال الماضية من ولاية على باشا وشفاعته فى الأمراء المصرية



أحمد شوبار جرجا

بشرط توبتهم ورجوعهم ، ثم عودهم الى البنى والفجور ، وغدر على باشا المذكور ، وظلمهم الرعية بمعونة المسكر ، ثم قيام الرعية والمسكر عليهم حتى قتلوه وأخرجوهم من مصر . فعند ذلك صفحنا عن المسكر ، وعفونا عما تقدم منهم ، وأمرناهم بأن يلازموا الطاعة ويكولوا مع أحمد باشا خورشيد بالحفظ والصيانة ، والرعاية لكافة الرعية والعلماء ، وإبعاد أهل الفساد والمعتدين وطردهم ، وتفصيل لوازم الحج والحرمين من البصرة والغلال ، ونحو ذلك من الكلام المحفوظ المعتاد المنطق

ولما انقضى أمر قراءة الأوراق ، قام الباشا الى مجلسه الداخل ، ودخل اليه المشايخ ، فخلع عليهم فراوى سمور ، وكذلك الوجاقلية والكتبة والسيد أحمد المحروقي . ثم عملوا شنكا ومدافع كثيرة وطبولا

وأحضر في ذلك الوقت المعلم جرجس وكبار الكتبة — وعدتهم اثنان وعشرون قبطيا ، ولم تجر عادة باحضارهم — فخلع عليهم أيضا ، ثم نزلوا الى بيت المحروقي فقتلوه عنده ، ثم عوقبهم الى العصر ، ثم طلبهم الباشا الى القلعة فحبسهم تلك الليلة ، واستمروا في الترسيم ، وطلب منهم ألف كيس .

٢٢ منه (أول يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي على ثلثمائة كيس .

وفيه : حضر محمد علي وحسن بيك أخو طاهر باشا ، وطلعا الى القلعة . فخلع عليهما الباشا ، وهناه بالولاية . واستقر بمحمد علي والى جرجا ، وحسن بيك والى القرية . وضربوا لذلك مدافع كثيرة وشنكا ، وعملوا تلك الليلة حراقة وسواريح

من الأزيكية وجهة الموسيقى . والحال أنهم لا يقدرون أن يتعدوا بر الجيزة ولا شلقان . فان طوائف عسكر الألف وصلوا الى بر الجيزة ، وأخذوا منها الكلف ، والأمراء البحرية منتشرون ببر الغربية والمنوفية .

وفيه : هرب شخص من كبار الأرثوود يقال له ادريس أغا ، كان بجماعته جهة برشوم التين ، فركب الى المصرية ولحق بهم ، وتبعه جماعته وهم نحو المسائة وخمسين شخصا .

وفيه : أرسل الباشا أغاة الانكشارية ليقبض على على كاشف من أتباع الألف من بيته بسوق المساطين . فأرسل الى الأرثوود ، فأرسلوا له جماعة منعوا الأغا من أخذه ، وجلسوا عنده . فأرسل الباشا من طرفه جماعة أقاموا محافظين عليه في بيته . ثم ان سليمان أغا كبير الأرثوود ، الذى التجأ اليه المذكور ، حضر اليه وأخذه الى داره

بالأزبكية ، وصحبه الأمير مصطفى البردقجي
الألفى أيضا .

٢٤ منه (٢ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل شخص رومى بمراسلة من عند الألفى الى
الباشا . فعندما قرأ الباشا المراسلة ، أمر بقتله
حالا . فرموا عنقه برحبة القلعة !

وحضر أيضا مملوك بمراسلة من عند عثمان
بيك حسن ، يذكر فيها حضوره مع الألفى ، وأنه
اغتر بكلامه وتوبيهاته عليه ، وأن بيده أوامر شرفية
من الدولة ومن حضرة الباشا بالحضور . ثم ظهر
أنه لم يكن بيده شيء ، وأن عثمان بيك ممثل لما
يأمره به الباشا ، وأمثال ذلك .

فكتب له جوابا ، وخلع على ذلك المملوك
ورجع سالما !

٢٦ منه (٥ يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن النصارى الأقباط ، بعدما قرروا
عليهم ألف كيس ... خلاف البرانى وقدره مائتان
 وخمسون كيسا . ونزلوا الى بيوتهم بعد العشاء
الآخيرة فى الفوانيس .

وفيه : وصل الألفى الصغير ، وانتشرت خيوله
الى بر انبابة . فرموا عليهم مدافع من المراكب
وبولاق ، ورفعوا الغلة من الرقع . وأشيع أن
الألفى الكبير وصل الى الشوبك ، وعثمان بيك
حسن وصل الى حلوات ، ورجع ابراهيم بيك
والبرديسى وباقى الأمراء الى ناحية بنها ، بعدما
طافوا بالمنوفية والعربية ، وقبضوا الكلف والفرد .
وخرج كثير من العسكر الى معسكرهم ناحية
شلقان وما وازاها الى الشرق ، وخرج أيضا عدة
من العسكر الى ناحية طرا والجيزة .

وفيه : أرسل الألفى الصغير ورقة لشخص من

كبار العسكر مقطوع الأنف ، كان من أتباعه حين
كان بمصر ، يطلبه للحضور اليه ويعدده بالأكرام ،
وأن يكون كما كان فى منزلته عنده .

فأخذ الورقة والرسول الى الباشا ، فأمر بقتل
المرسال — وهو رجل فلاح — فقطعوا رأسه
بالرميلة ، وأنعم على مقطوع الأنف بعشرين ألفا
نصف فضة ، وشكره .

وقبل ذلك بأيام ، وصلت هجانة من العريش ،
وأخبروا بورود عساكر من الدلاة وغيرهم معونة
لمن بمصر . واختلفت الروايات فى عدتهم .. فالكثير
من كذابى العشمانية يقولون : عشرة آلاف ، والمقل
من غيرهم يقولون : ألفان أو ثلاثة .

وفيه : تواترت الأخبار بقربهم من الصالحية ،
وانتقل الأمراء البحرية الى بليس ، وركب منهم
عدة وافرة لملاقاة العسكر الواردين . وخرج محمد
على وحسن بيك فى جمع كثير من العسكر الخيالة
والرجالة الى جهة الشرقية ببليس ، ونقلوا عرضهم
من ناحية البحر ، وردوا الكثير من أثقالهم الى
المدنة .

٢٧ منه (٦ يولية ١٨٠٤ م) :

أحضر الباشا طائفة اليهود وجسهم وطلب منهم
ألف كيس ، واستمروا فى الحبس .

وفيه : رجع الألفى الصغير من ناحية انبابة الى
جهة الشيمى باستدعاء من سيده . وأشاع العشمانية
أنهم ذهبوا ورجعوا من حيث أتوا ، لعجزهم وعدم
قدرتهم عليهم . وكان فى ظنهم أمور لا تتم لهم كما
ظنوا . ولحققتهم جميع العساكر من الجهة الشامية .

وفيه : أرسلوا ملاقة للعساكر الواردين وفيها
قومانى وجبخانه ولوازم على ستين جملا ومعهم
هجانة . فعندما توسطوا البرية ، أحاط بهم العربان
وأخذوهم .

وفيه : تسحب أشخاص من كبار العسكر
بأتباعهم ، وذهبوا الى المصريين وانضموا اليهم :
فمنهم من ذهب الى قبلى ، ومنهم من ذهب الى
بحرى .

وفيه : عدى الألفى الكبير والصغير الى البر
الشرقى عند عثمان بك ، وترفعت مراكبهم الى
قبلى .

وفيه : حضر عابدى بك وحسن بك من البحر
الى بولاق ، واتبع محمد على الى طنطجة برائهم
التي ، بعد مقتلة وقعت بينهم وبين المصرية ،
وانهزموا وذهبوا الى تلك الجهة .

غايته (٩ يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن طائفة اليهود بعد أن قرروا عليهم
مائتى كيس خلاف البرانى .

وفيه : حضر خازندار الباشا من الديار الرومية
الى ساحل بولاق ، وصحبته أمتعة ولوازم للباشا .
وأشياء فى صناديق .

ريش الآفتر

غرته (١٠ يولية ١٨٠٤ م) :

ركب الخازندار المذكور ، وطلع الى القلعة من
وسط المدينة ، ونزل للملاقاة أغوات الباشا
والجاويشية والشفاسية . وحضر صحبته نحو
خمس مائة ، ومشوا أمامه وخلفه ، والصناديق
التي حضرت معه خلفه محملة على الجمال ،
والجاويشية أمامه يضربون على طبالات حكم العادة
فى ركوباتهم ، ومعه عدة كبيرة من أتباع الباشا ،
وأمامه الجنيتات والخيول .

وفيه : وصلت مراكب من الديار الحجازية الى
السويس ، وفيها حجاج ومفاربة . ولم يصل منهم
الا القليل ، وأكثرهم قتله المبكر الذى بقى بمكة

بعد موت شريف باشا ومن انضم اليهم من أجناسهم .
وقد حصل منهم غاية الضرر والفساد والقتل ، حتى
فى داخل الحرم ، لأن الشرف غالبا ضمهم اليه ،
ورتب لهم جامكية . واستمروا معه على هذا
الحال القطيع !

وفيه : انهم أمر العسكر الدلاة القادمين من
الجهة الشامية ، واضطربت الروايات عن أخبارهم :
فمنهم من قال : ان المصرية وقفوا لهم بالطرق
وقاتلوهم ، ورجع من نجا منهم بنفسه . ومنهم
من قال : انهم لما بلغهم قطع الطريق عليهم ..
رجعوا من حيث أتوا ، وبعضهم طلب الأمان ،
وانضم اليهم . ومنهم من قال ان فرقة منهم ذهبت
من قم الرمانة من طريق دمياط ، وقيل انهم حضروا
بشائين رأسا منهم الى بليس .

٣ منه (١٢ يولية ١٨٠٤ م) :

خرج الوالى بعلبة من العسكر وصحبته مدافع
وجبضانة ، واستقر بزاوية الدمرداش .

٤ منه (١٣ يولية ١٨٠٤ م) :

هجم الأمراء القبالي — وهم : الألفى وأتباعه
وعثمان بك حسن ومن انضم اليهم — على طرا
وملكوا منها البرج الذى من ناحية الجبل ، بعد
ما ضربوا عليه من أعلى الجبل ، وتمعدوا الى ناحية
البساتين ، وتركوا طرا ومن فيها خلف ظهورهم ،
وتحاربوا مع طواوير العسكر — وكانوا أنفارا
قليلة — ونظرهم الباشا من قلعته ، فزقق على
السلحدار ، فركب فى عدة من الشفاسية وخرج
اليهم . فعندما واجهوهم .. لم يثبتوا ، وولوا
بعدما سقط منهم أنفار .

وفيه : وصل جواب من الأمراء القبالي الى
المشايع يذكرون فيه : أنهم يخاطبون الباشا فى اخاد
الحرب ، وصلحه معهم ... فان ذلك أصلح له ،

كثيرة طلعوا بطائفة منهم الى القلعة ، ودخل الباقون الى المدينة ، وطلبوا طائفة المزينين لمداواة الجرحى بالقلعة . وأخذوا في ذلك اليوم برج الدير الذى كان يأيدى العسكر جهة البحر بطرا ، وقتلوا من به من العسكر ، وأعطوا لمن بقى الأمان ... دهم نحو الثلاثين شخصا .

٨ منه (١٧ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل المصرية الذين كانوا جهة الشرق ، ووصلت مقدماتهم الى جهة العادلية وناحية الشيخ قمر... بل وعند الكيمان خارج باب النصر . فأغلقوا باب النصر وباب الفتوح والعدوى ، وهربت سكان الحسينية ، وحصلت كرشة بالجمالية . ولم يخرج اليهم أحد من العسكر ، بل أخذوا يضربون المدافع من أعلى السور . ودخل محمد بيك المنفوخ الى الحسينية ، وجلس بمسجد اليسوى ، وانتشر الممالك والأتباع على الدكاكين والقهاوى ، واستمر ضرب المدافع الى بعد الظهر . ثم ان المصرية ترفعوا عن الحسينية الى الشيبكية .. فبطل الرمي ، ودخل الوالى وأمامه ثلاثة رؤوس تبين أنها رؤوس مغاربة من مقاطيع الحجاج المرضى كانوا مطروحين خارج القاهرة .

وفيه : طلب جماعة من الممالك السيد بدر المقدسى ، فخرج اليهم من داره خارج باب الفتوح ، فأخذوه عند البرديسى وإبراهيم بيك ، فأمر اليه إبراهيم بيك بأن يكون سفيرا بينهم وبين الباشا فى الصلح معهم ، وأنه لا يستقيم حاله مع العسكر ، ولا يرتاح معهم ، وليعتبر بما فعلوه مع محمد باشا . وأما نحن فنكون معه على ما ينبغي من الطاعة والخدمة ، وحضر فى أواخر النهار .

٩ منه (١٨ يولية ١٨٠٤ م) :

ركب وطلع الى الباشا وبلغه ذلك ، فقال له الباشا على سبيل الاختبار والمسايرة : « قولك

ويكونون معه على ما يجب وما يأمر به ، ويرتاح من علوفة العسكر التى أوجبت له المصادرات وسلب الأموال وخراب الاقليم ، وأن يختار من العسكر طائفة معلومة معدودة يقيمون بمصر ، ويأمر الباقى بالسفر الى بلادهم .

فلما خاطبوه بذلك ، وأطلعوه على المكاتبه ، أبى وقال : « ليس لهم عندى الا الحرب » .

٥ منه (١٤ يولية ١٨٠٤ م) :

حصلت أيضا بينهم محاربة ، وأصيب من المراكب الحربية ، التى يسمونها الشلنبات ، اثنتان : غرقت احدهما ، وأحرقت الثانية . واتهم باشا الطبخية فقتل منهم خمسة : اثنان بالقلعة ، وثلاثة بالرماية .

٦ منه (١٥ يولية ١٨٠٤ م) :

حضر محمد على من بحرى وذهب الى جهة القرافة فأقام بمقام عقبة بن عامر الجهنى . ووقع فى ذلك اليوم محاربات أيضا .

٧ منه (١٦ يولية ١٨٠٤ م) :

أشيع حضور الأمراء القبالي الى ناحية بهتيم ، وأنهم أرسلوا الى المطرية بالجلاء عنها ، ورمحت العرب نواحي بولاق والجهات البرانية ، وضربوا عليهم مدافع .

وفى ذلك اليوم : نظر الباشا وكبار العسكر الى جهة البساتين ، فلم يروا أحدا من المصرية . فركب محمد على وأخذ معه عدة وافرة ودخلوا تلك الجهة فلم يروا أمامهم أحدا . فلم يزالوا سائرين ، وإذا بكمين خرج عليهم من جانب الجبل ، فأوقع معهم وقعة قوية حتى أئخنوهم ، وقتل منهم من قتل ، حتى لحقوا بالمشاة الرجالة ، فضربوا عليهم طلقا وولوا مدبرين . فصار محمد على يستحثهم ويردهم ويحرضهم ، فلم يسمعوا له ، ورجعوا وفيهم جرحى

صحيح .. ومن يرجع اليهم بالجواب ؟ » . فقال :
« أنا » فحقدها عليه ، ثم قام من عنده ، فأرسل
خلفه وعوقه عند الخازندار .

فذهب اليه في ثاني يوم شيخ السادات والسيد
عمر النقيب ، وترجوا في اطلاقه ، فامتنع وقال :
« أخاف عليه أن يقتله العسكر ، ولا بأس عليه .
ولا يصلح اطلاقه في هذا الوقت ، وبعد خمسة
أيام يكون خيرا ، فانه مقيم عند الخازندار في اكرام
وفي مكان أحسن من داره .. وهذا رجل اختيار
يفعل هذه الفعال : يخرج الى المخالفين متسكرا ،
ويرجع من عندهم بكلام ، ثم يطلب العود اليهم
ثانيا » .

وفيه : حضر محمد على عند الباشا بعد الغروب
وقبض منه خمسين كيسا ، وقيل ثمانين ورجع
الى معسكره ، فجمع العسكر وتكلم معهم وفرق
عليهم الدراهم ، واتفق معهم على الركوب والهجوم
على من بطرا في تلك الليلة على حين غفلة . وكان
كاتبهم قبل ذلك يلاطفهم ويظهر العجز ويطلب معهم
الصلح وأمثال ذلك . وفي ظن أولئك صدقه ، وعدم
قدرتهم على مقاومتهم وملاقاتهم . فلما مضى نحو خمس
ساعات من الليل ، ركب محمد على في نحو أربعة

آلاف .. فرسانا ورجالا . فلما قربوا من الحرس في
آخر السادسة ، ترجلوا وقسموا أنفسهم ثلاثة
طواير : ذهب قسم منهم جهة الدير ، والثاني جهة
المتاريس ، والثالث جهة الخيل ... والجماعة وهم :
صالح بيك الألفى ومن معه في غفلتهم ونومهم
مطمئنون ، وكذلك حرسهم ، فلم يشعروا الا وقد
صدموهم ، فاستيقظ القوم وبادروا الى الهرب
والنجاة ، فملكوا منهم الدير وأبراج طرا — وكان
بها عسكر العثمانيين الى هذا الوقت محصورين ،
وقد أشرفوا على طلب الأمان — وأخذوا مدفعين
كانوا بالمتراس وبعض أمتعة ، وثمانى هجن ،
وثلاثة عشر فرسا . وقتل بينهم بعض أشخاص
وانجرح كذلك ، ورجع محمد على والعسكر
على الفور من آخر الليل ، ومنعه خمسة
رؤوس : فيها رأس واحدة لم يعلم رأس من هى ،
والباقي رؤوس عربان أو سياس أو غير ذلك .
وزعموا أن تلك الرأس هى رأس صالح بيك ،
وأرسلوا المبشرين آخر الليل الى الأعيان ليأخذوا
البقاشيش . وأشاعوا أنهم قبضوا على الألفى
الصغير ، وأحضروه معهم حيا ، والباقي رموا
بأنفسهم الى البحر .

ولما طلع محمد على الى الباشا ، خلع عليه القفوة
التي حضرت له من الدولة ، وعلقوا تلك الرؤوس
على السبيل بالرميطة ، وضربوا شنكا من القلعة



برج الدير .. في طرا

ربعا بمائة نصف فضة . فبكوا الإردب على ذلك
الحساب بألفين وأربعمائة نصف ١

وخرج عساكر كثيرة ، ووقعت حروب بين
الفرقتين ، ورجع القليلون الى طرا وحاربوا عليها ،
وكانوا شرعوا في عمارة ما تهدم من أبراجها ، ونقلوا
اليها الذخيرة والقومانية والجبجانة والعسكر ،
وأخذوا جمال السقائين لنقل الماء الى الصمريج
الذي ببرج طرا .

وذا را الأغا والوالى على المخازن ببولاق ومصر ،
وأخذوا منها ما وجدوه من الغلة ، وأمرؤا ببيعها
على الناس بخمسين نصفا .. الربع . وأخذوا
لأنفسهم ما وجدوه من الشعير والفول .

١٢ منه (٢٢ يولية ١٨٠٤ م) :

فلدوا حسن أغا نجاشى الحسبة ، فخافته
السوقة ، واجتهدوا في تكثير العيش والكمك
والماكولات بقدر امكانهم . واجتهد هو أيضا في
الفحص على الغلال المخزونة وبيعها للخبازين . وأما
اللحم الضانى ، فانه انعدم بالكلية لعدم ورود
الأغنام .

وفيه : شح ورود الغلة في العرصات ، وذهب
أناس الى بر انبابة ، فاشتروا الربع بشالين نصفا
وأزيد من ذلك ، والفول بمائة وعشرين . وعلق
أكثر الناس على بهائمهم ما وجدوه من أصناف
الحبوب مثل : الحمص والعدس — وهم المياسين
من الناس — وأما غيرهم فاقترضوا على التبن .

وأما العنب والتين — في وقت وفرتها — فلم
يظهر منهما الا القليل . وبيع الرطل من العنب
بأربعة عشر نصفا ، والتين بسبعة أنصاف ، وذلك
بعد سلوك الطريق ومشى السفن .

١٤ منه (٢٣ يولية ١٨٠٤ م) :

اجتمعت العساكر الكثيرة للحرب عند شبرا ،

ومدافع ، وأظهروا السرور ، وداروا بالأسواق
يضربون بالطناير ، وشمخ المغرضون بأنافهم على
المغرضين للمصرية . ثم تبين عدم صحة تلك الاشاعة
وأن تلك الرأس رأس بعض الأجناد ، ولم يمك
الألفى كما قالوا .

١٠ منه (١٩ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل من بحرى ثلاث شلنبات ، كان الباشا
أرسل يطلبها عوضا عما تلف . فعند ما وصلوا الى
جهة باسوس — وهناك مركز للمصرية على جرف
عال ، أقعدوا به طيحية ، لينموا من ير بالمرابك —
فضربوا عليهم ، وضرب من في المراكب الحربية أيضا على
من في البر ، فكان ضرب من في البر يصيب من في
البحر ، وضربهم لا يصيبهم لعلو الجرف عليهم .
فاحترقت جبجانة احدى الشلنبات ، واحترق ما فيها
بها ، وغرقت الثانية ، ويقال ان الثالثة لم تكن من
المراكب الحربية ، بل هى مركب معاش .

وكان حضر في خسارتهم عدة من المراكب
المسافرين ، فخافوا ورجعوا ، وقبضوا على بعض
قواويس بها غلال ، فأخذوا ما فيها . فلما شاع ذلك
بالمدينة ، رفعوا ما كان موجودا من الغلة بالعرصات
وشخت الغلال ، وعدم الفول والشعير ، وبيع ربع
الوية من الفول بتسعين نصفا ، وقل وجود الخبز
من الأسواق ، وخطف بعض العسكر ما وجدوه
من الخبز ببعض الأفران ، وأخذوا الدقيق من
الطواجين ١

وصار بعض العسكر يدخل بعض البيوت ،
ويطلبون منهم الأكل واليليقي لدوابهم .

وفي يوم الخميس والجمعة : اشتد الحال ،
وبيع ربع الوية من القمح بثمانين نصفا وثمانين
نصفا ، وعدم الفول ، واشترى بعض من وجده

الخبر الى الباشا ، فأحضر عبد الرحمن بيك والمزين الذى كان يحلق له ، لمعرفتهما به وآخرين ، وطلب الرأس فأحضروها وتأملوها . فمنهم من اشتبهت عليه ، ومنهم من أنكرها لعلامات يعرفها به ، وهى : الصلع ، وسقوط بعض الأسنان . ثم أعيدت الى مكانها على ذلك الاشتباه . ثم انهم عملوا شنكا ومدافع لذلك .

ثم طلبها محمد على أيضا ، وفعل مثل ذلك ، وردھا أيضا ، ثم رفعوها فى الليل . واستمر الفرح والشك يومين .. والناس بين ناف ومثبت ، ومسلم ومنكر ، ومعاند ومكابر .. حتى وردت خدم من معسكرهم ، وأخبروا بحياة ابراهيم بيك ، وأنه بوطاقه جهة الشرق . فزال الشك وأرسل المصريون الى بيوتهم أوراقا .

١٥ منه (٢٤ يولية ١٨٠٤ م) :

وقع خسوف قبرى . وطلع من الشرق منخفضا آخذا فى الانجلاء ، ومقدار المنخسف منه عشرة أصابع ، وتم انجلاؤه فى ثانى ساعة من الليل ، وكان بأول برج الدلو .

١٧ منه (٢٦ يولية ١٨٠٤ م) :

ركب الأمراء المصرية وانتقلوا من الخانكة ، ومروا من خلف الجبل بخملاتهم وأثقالهم ، وذهبوا الى جهة قبلى ، وخاب سعيهم ، ولم ينالوا غرضهم . وكان فى ظنهم أنهم اذا حصلوا بالقرب من المدينة خرج اليهم الكثير من العسكر ، وانضم اليهم ... لمقدمات سبقت منهم ، ومراسلات وكلام وقع بينهم وبين أتباعهم ومماليكهم المجتمعين عند آكابرههم ، وذهب عنهم وعن بيوتهم وحريمهم ، بل واخراج بعض

ورموا على بعضهم بالمدافع والقرايين والبنادق من ضحوة النهار . ثم التحم الحرب بين الفريقين ، واثتد الجلاذ بينهما الى بعد منتصف النهار . وصبر الفريقان ، وقتل بينهما عدة كبيرة من العسكر الأرثوود ، وطائفة المماليك والعربان : فقتل من أكابر العسكر أربعة أو خمسة ، ودخلوا بهم المدينة ، وانكف الفتنان ، وانحازا الى معسكرهما .

وبعد هجمة من الليل ، اجتمع العسكر من الانكشارية والأرثوودية وغيرهم ، وكبسوا على متاريس شبرا — وبها حسين بيك المعروف بالأفرنجى ، وعلى بيك أيوب ، ومعهما عسكر من الأرثوود الذين انضموا اليهما ... ومنهم الرماة والطبيجية — فأجلوهم عن المتاريس ، وملكوها منهم ، ووقع بينهم قتلى كثيرة .. وقتل من عسكر حسين بيك المذكور نحو مائة وستين قبرا ، وعدة من مماليك على بيك أيوب خلاف الجرحى . وزحفوا على باقى المتاريس ، فملكوا منهم متاريس شلقان وباسوس ، وانهزم المصرية الى جهة الشرق بالخانكة وأبى زعبل .

وقيل ان العسكر المنضمين اليهم المتقنين بالمتاريس ، هم الذين خامزوا عليهم ، وانهزموا عن المتاريس ، حتى كانوا هم السبب فى هزيمتهم .

فلما أصبح النهار ، حضروا بسبعة رؤوس فيها ثلاثة من الأجناد الملتحين ، وثلاثة بشوارب ، ورأس أسود ، فعلقوها بباب زويلة . ومن الثلاثة أجناد رأس له لحية طويلة شائبة شبيهة بلحية ابراهيم بيك الكبير . فقال بنض الناس : « هذه رأس ابراهيم بيك بلا شك » . وأشيع ذلك بينهم . فاجتمع الناس من كل ناحية للنظر اليه ، ووصل

الأنباع والممالك بمطلوبات الى أسيادهم خفية
وليلة ، حتى استقر في أذهان كثير من العقلاء
ممالآت كثير من البشاشيات ورؤساء العسكر مع
المصرية .

وعندما تحقق العسكر ذهابهم ، دخلوا الى
المدنة بأثقالهم وحمولهم ، وانتشروا بها حتى
ملأوا الأزقة والطرق والبيوت .

وقدمت السفن المعوقة ، وتواجدت الغلال
بالرقع . وتخلف عنهم أناس كانوا منضمين اليهم ...
طلبوا أمانا بعد ذلك ، وحضروا بعد ذلك الى مصر .

وقدمت عساكر ودلاة في المراكب ، ودخلوا
البيوت بمصر وبولاق ، وأخرجوا منها أهلها
وسكنوها . واذا سكنوا دارا أخربوها ، وكسروا
أخشابها وأحرقوها لوقودهم . فاذا صارت خرابا
تركوها ، وطلبوا غيرها... ففعلوا بها كذلك . وهذا
دأبهم من حين قدومهم الى مصر ا حتى عم الخراب
سائر النواحي ، وخصوصا بيوت الأمراء والأعيان ،
وبواقى دور بركة الفيل وما حولها من بيوت
الأكابر والقصور التى كانت بضرب بأدناها المثل .
وفى ذلك يقول صاحبنا العلامة ، الشيخ حسن
العتار :

« وأما بركة الفيل ، فقد رميت بكل خطب جليل ،
وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويلا ، والقلب
بذكر ماسلف من مباهجها حزنا طويلا . تبدلت
مفردات أطيافها بنواعب الغربان ، ومجاسن
غزلانها بكل غلج تقذى به العينان ، وممشيد
قصورها بخرائب وتلال ، وأكابر أمرائها بصعاليك
وأردال . ولقد تذكرت ماضى عيش بها سلف ،

ومعهد أنس كأن الكآبة بعده خلف . فقلت متذكرا
أولئك الأيام ، التى مرت كأضغاث أحلام :

عللانى بذكر خشف رخيم
واسقيانى فى الروض بنت الكروم

وصفا لى زمان أنس صفا لى
بحبيب غرض وراح قديم

حيثما الدهر طوعنا والأمانى
فى قياد ، والوهم فى تهويم

والربا فى نضارة وزهو
حل فيه من الغمام السجيم

خافضات به الفصون رؤوسا
مقلات من در ظل نظيم

ولصفو الغدير فيها ولوع
يرقب الوصل من مرور النسيم

وترى الورد كالمليك لديه
كل غصن يهوى بقدر قويم

بسط الروض نحوه وشى بسط
حاكاها الطل فى ابتداع وسيم

للجين النهور فيها طراز
ولدر الزهور رقص الرسوم

وبكاء الحمام هيج عندى
فرط شوق الى الزمان القديم

زمن بالسرور لسم يك الا
حلما مر أو تفاضى حلیم

فيه كانت تجلى بدور جمال
أشرقت عن نجوم ليل بهيم

من بنى الترك ذى الجمال المفدى
أيضا هى فى الحسن ريم الروم

كلّ ظمّي تراه يزهو ويرنو
بقوام القنا وطرف الريم
برهة باجتلا المدام يحييك
ويحييك بعد بالتكليم
أسروني وأطلقوا دمع جفني
وأثاروا في القلب نار الجحيم
يا زمانا ببركة الفيل ولي
فيه قد كنت ثاويًا في نعيم
لا عدمنالك من زمان تقضى

بين ماق وصادق ونعيم
قلت وهكذا الدنيا طبع على هذا الشأن ،
من سره زمان ، ساءته أزمان . وللعامل في تقلبات
الأيام عبر : ماشوهد منها وما غير !

١٨ منه (٢٧ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل أمير أخور الصغير من الديار الرومية ،
وطلع الى بولاق في صباحها ، وركب الى القلعة .
فألزله الباشا بييت رضوان كتحدا ابراهيم بيك
بدرج الجماميز . ولم يعلم مايبده من الأوامر ، ثم
تبين أن من الأوامر التي معه ، اخراج خمسمائة
من العسكر الى بندر ينبع البحر ، يقيمون بها
محافظين لها من الوهابيين ، ويدفع لهم جامكية
بينة كاملة و ذخيرتها وما يحتاجون اليه من مؤنة
و غلال وجبخانه .

٢٢ منه (اول اغسطس ١٨٠٤ م) :

قرأوا تلك الأوامر . وفيها أنه تعين محمد باشا
أبو مرق بعساكر الشام الى الججاز . فأحضر
الباشا كبار العسكر ، وعرض عليهم ذلك الأمر ،
وقال لهم : « انه ورد لى اذن عام في تقليد من

أقلده .. فمن أحب منكم قلده امرية طوخ أو
طوخين » . فامتنعوا من ذلك ، وقالوا : « نحن
لا نخرج من مصر ، ولا نتقلد منصبا خارجا عنها » .
ووصلت الأخبار في هذه الأيام ، أن الوهابيين
ملكوا ينبع .

وفيه : وردت الأخبار بأن الألفى عدى الى
البر الشرقى . وكان قبل ذلك عدى الى البر
الغربى ، وانتشرت عساكره الى الجسر الأسود ،
ثم رجعوا وعدوا الى البر الشرقى .

وفيه : طلع المشايخ عند الباشا ، وشفعوا في
السيد بدر المقدسى ، فأطلقه ونزل الى داره .

٢٥ منه (٢ اغسطس ١٨٠٤ م) :

قلدوا على آغا الوالى على العسكر المعين الى
الينبع أميرا ، وضربوا له مدافع . وفرح الناس
بعزله من الولاية . فانه كان أخبث من تقلد الولاية
من العثمانية ، وكان الباشا يراعى خطره ، ولا
يقبل فيه شكوى .

وتعين للسفر معه عدة من العسكر من خلط
مصر البطالين : أروام وخلافهم .

وفيه : قلدوا مناصب كشوفية الأقاليم لأشخاص
من العثمانية .

٢٨ منه (٦ اغسطس ١٨٠٤ م) :

تشاجر شخص من العسكر مع شخص حكيم
فرنساوى عند حارة الافرنج بالموسكى ، فأراد
العسكرى قتل فرنساوى ، فعاجله فرنساوى
فضربم فقتله وفر هاربا . فاجتمع العسكر وأرادوا
نهب الحارة ، فوصل الخبر الى محمد على فركب
في الوقت ، ومنع العسكر من النهب ، وأغلق باب



السقاةون يجلبون الماء من البحر الى القلعة

واستمر عثمان بيبك حسن والبردى وأتباعهما
بالبر الشرقى ، وشرعوا فى بناء متاريس وقلاع
بساحل البحر من الجهتين .

وأرسل الباشا الى جهة دمياط ورشيد يطلب
عدة مراكب وشلنبات ، لاستعداد الحروب .
واجتهد فى ملء صهاريج القلعة ، وطلبوا السقائين
والزموهم بذلك فشح الماء بالمدينة ، وغلا
سعره لذلك ، ولغلو العليق ، حتى بلغ ثمن الراوية
أربعين نصفاً بعد المشقة فى تحصيله . لأنه لم يبق
الا الروايا اللاكى لأكابر الناس ، فيمنعها العطاش
عند مرورها قهراً ، ويدفعون ثمنها بالزيادة . واتفق
شدة الحر ، وتوالى هبوب الرياح الحارة ، وجفاف
الجو ، وتأخير زيادة النيل .

الحارة ، وقبض على وكيل قنصل الفرنساوية ،
واخذه معه ، وجبسه عنده ... حتى سكن العسكر .
وفى تلك الليلة أيضاً ، مر جماعة من العسكر
بخط الدرب الأحمر ، فأرادوا أخذ قندل من
قناديل السوق . فقام عليهم الخفير يريد منعهم ...
فدبحوه ، وأخذوا القندل . فأصبح الناس ... فرأوا
الخفير مذبحوا ، وسمعوا القصة من سكان الدور
بالخطة . ووجدوا أيضاً عسكرياً مقتولاً جهة
الموسكى . وغير ذلك حوادث كثيرة فى كل يوم ...
من أخذ النساء والمردان والأمتعة والمبيعات من غير
ثمن !

واقضى الشهر ، وفيه استقر الأمراء المصرية
جهة صول والبرنبل وما قابلهما من البر الغربى .

جمادى الأولى

في غرته (٨ أغسطس ١٨٠٤ م) :

كان مولد المشهد الحسيني ، ونزل الباشا وزار المشهد ، ودخل عند شيخ السادات باستدعاء ، وتغدى عنده ، ثم ركب راجعا قبل الظهر الى القلعة . ولم يقع في ليالى المولد حظ للناس ، ولا انشراح صدور كالعادة ، بسبب اذية العسكر واختلاطهم بهم ، وتكديرهم عليهم في الحوانيت والأسواق . حتى انهم في آخر الليلة — التي كان من عادتهم يسهرونها مع ليال قبلها الى الصباح — أغلقوا الحوانيت ، وأطفأوا القناديل من بعد أذان العشاء ، وذهبوا الى دورهم .

وفيه : قرروا فردة غلال على البلاد : قمح وشعير وتبن ... أعلى وأوسط وأدنى : الأعلى خمسة عشر أردبا .. وخمسة عشر حمل تبن ، والأوسط عشرة ، والأدنى خمسة . على أن اقليم القليوبية لم يبق به الا خمسة وعشرون قرية فيها بعض سكان . والباقي خراب ليس فيها ديار ، ولا نافخ نار !

ومجموع المطلوب ثمانية آلاف أردب ، خلاف التبن ، وذلك برسم ترحيلة على باشا الى ينبع . ثم قرروا فردة أخرى كذلك أيضا وقدرها ألف وخمسمائة كيس رومية .

٤ منه (١١ أغسطس ١٨٠٤ م) :

جمع الباشا المشايخ في ديوان خاص ، بسبب مكتوب حضر من الأمراء المصريين ، خطابا للمشايخ

مضمونه : « أنهم يسعون بينهم وبين الباشا فيما يكون فيه الراحة للبلاد والعباد ، وأنه يخرج هذه العساكر ... فانهم ان داموا بالاقليم كملوا خرابه وهتكوه بأفاعيلهم وظلمهم وفسقتهم ، وطلب العلوفات التي لا يفي ببعضها خراب الاقليم .

« وأما نحن .. فاننا مطيعون السلطنة وخدامون بلا جامكية ولا علوفة ، وان لم يفعل ذلك يعطينا جهة قبلى تتعيش فيها . وان أرادوا الحرب .. فليخرجوا لنا بعيدا عن الأبنية ، ويحاربونا في الميدان . والله يعطى النصر لمن يشاء » .. الى آخر ما قالوه

فقال الباشا للمشايخ : « اكتبوا لهم .. يأخذوا جهة اسنا ومقبلا » ، فقالوا : « نحن لانكتب شيئا اكتبوا لهم مثل ما تعرفون » . وانقض المجلس . وفيه : عزم جماعة من أكابر العسكر على السفر الى بلادهم ، وهم : أحمد بيك رفيق محمد على ، وصادق أغا وخلافهما . وأخذوا في تشهيل أنفسهم وبيع متاعهم ، ونزلوا الى بولاق عند عمر أغا ونزل محمد على لوداعهم ببيت عمر أغا .

فاجتمع العسكر وأحاطوا بهم ، ومنعوه من السفر قائلين لهم : « أعطونا علوفاتنا المنكسرة .. والا عطلناكم ، ولا ندعكم تسافرون بأموال مصر ومنهوباتها » . فأخذوا خواطرهم ووعدوهم على أيام ، وامتنعوا من السفر .

٨ منه (١٥ أغسطس ١٨٠٤ م) :

تقلد شخص من العثمانيين الزعامة عوضا عن على أغا الذى تولى باشة السفر للينبع

١٠ منه (١٧ اغسطس ١٨٠٤ م) :

اجتمع العسكر وطلبوا علوفاتهم من الباشا ،
فدفعوا للأرتوود جامكية شهر .

١١ منه (١٨ اغسطس ١٨٠٤ م - ١٢ مسرى
١٥٢٠ ق) :

أوفى النيل المبارك سبعة عشر ذراعا ، وكسر سد
الخليج في صبح يوم السبت ... بحضرة الباشا
والقاضي ومحمد على وباقي كبار العسكر وجميع
العسكر ... وكان جمعا مهولا . وضرب الجميع
بنادقهم ، وجرى الماء بالخليج ، وركبوا القوارب
والمراكب ، ودخلوا فيه وهم يضربون بالبنادق .
وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت .
وكان الموسم خاصا بهم دون أولاد البلد
وخلافهم . وكذلك سكنوا بيوت الخليج مع
قحابهم من النساء .

ومات في ذلك اليوم عدة أشخاص — نساء
ورجالا — أصيبوا من بنادقهم . ومما وقع : أنه
أصيب شخص من أولاد البلد برصاصة منهم ومات ،
وحضر أهله بصرخون ، وأرادوا أخذه ليواروه ،
فمنعهم الوالى ، وطلب منهم ثلاثة آلاف درهم
فضة . ولم يمكنهم من شيله حتى صالحوه على
ألف وخمسمائة !

وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت ،
أذن لهم في أخذه ومواراته . ونظر بعضهم الى
أعلى بيوت الخليج فرأى امرأة جالسة في الطاقة ،
فضربها برصاصة فأصابها في دماغها وماتت من
ساعتها ، وغير ذلك مما لم نتحقق أخباره .

١٣ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٤ م) :

خرج على باشا الوالى المسافر الى ينبع خارج
البلد ، وأقام جهة العادلية ، وارتحل يوم السبت
تاسع عشره ، ومعه مائة عسكرى لا غير ، وذهب
الى جهة السويس .

وفيه : أرسل الباشا الى المشايخ والوجاقلية
وتكلم معهم في توزيع فردة على أهل مصر ، لغلاق
جامكية العسكر . فدافعوا بما أمكنهم من المدافعة ،
فقال : « هذا الذى نطلبه ، انما نأخذه على سبيل
القرض ، ثم نرده اليهم ! » . فقالوا له : « لم يبق
بأيدي الناس ما يقرضونه ، ويكفى الناس ما هم
فيه من الغلاء ووقف الحال . وغير ذلك » .
فالتفت الى الوجاقلية ، وقال : « كيف يكون
العمل ؟ » . فقال أيوب كتحدا : « نعمل جمعة مع
السيد أحمد المحرقى ، ويحصل خير » . فركن
الباشا على ذلك . ثم اجتمعوا مع المذكور ، واتفقوا
أنهم يطلبونها بكيفية ليس فيها شناعة ولا بشاعة .
وهى : أنهم قرروا على الوجاقلية قدرا من
الأكياس ، وكتبوا بها تنايه بأسماء أشخاص . منها
ما جعلوا عليه عشرين كيسا ، وعشرة ، وخمسة
وأقل وأكثر . وكذلك وزعوا على أشخاص من
تجار البن وخان الخليلي ، ومغاربة أغراب ، وأهل
الغورية وخلافهم . ومن تراخى في الدفع ، قبضوا
عليه وأودعوه في أضييق الحبوس ، ووضعوا
الحديد في يديه ورجليه ورقبته .

ومنهم من يوقفونه على قدميه والجنزير مربوط
بالسقف !

وأرسلوا العسكر الى بيوتهم ، فجلسوا بها
يأكلون ويسكرون ، ويطلبون من النساء
المصروف .. خلاف الأكل الذى يطلبونه ويشتهونه
— وهو ثمن الشراب والدخان والفاكمة — بل
ويأتون بالقحباب معهم ، ويضربون بالبندق
والرصاص بطول الليل والنهار .. وأمثال ذلك .

٢٤ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا عسكرا ، فقبض على الأمير على
المدنى صهر ابن الشيخ الجوهري ، وحبس .
فركب اليه المشايخ ، وكلمه في شأنه ، وقالوا :

« انه رجل وجاقل من خيار الناس .. وما السبب في القبض عليه ، وما ذنبه الموجب لذلك ؟ » ، فقال : « انه رجل قبيح . ولى عليه دعوى شرعية . واذا كان من خيار الناس ومن الوجاقلية .. لآى شىء يعمل كتخدأ عند صالح بيك الألفى ، وأنه عند هروب مخدومه من الشرقية .. أخذ ما كان معه من المال على أربعة جمال ، ودخل بها الى داره . وعندى بيته تشهد عليه بذلك ، فأنا أطلبه بالمال الذى عنده » . وقاموا ونزلوا من غير طائل .

٢٦ منه (٢ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

توفى الشيخ موسى الشرقاوى الشافعى ، وكان من أعيان العلماء الشافعية .

٢٨ منه (٤ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

أحضروا المحمل من السويس ، فنزل كتخدأ الباشا والأغا والوالى وأكابر العسكر ، وعدة كبيرة من العسكر ، وعملوا له الموكب ، وشقوا به البلد .. وخلفه الطبل والزمر .

في اواخره (اوائل سبتمبر ١٨٠٤ م) :

وصلت قوافل البن من السويس ، فحجزها الباشا وأخذها ، وأعطى أصحاب البن وثائق بئمن البن لأجل ، ووكل فى بيعه ، وحول به العسكر ، يأخذونه من أصل علوفاتهم . فبلغ ثمن المحجوز تسعمائة كيس . وانهمك المشترون على الشراء ، ومنعوا القباية من الوزن .. الا بحضور المقيدين لذلك .

وانقضى هذا الشهر وحوادثه ، وما وقع فيه من عكوسات العسكر : من الخطف ، والقتل ، واندعاوى الكذب ، وشهاداتهم الزور لبعضهم فيما يدعونه ، وتواطؤهم على ذلك .. فيذهب الخبيث منهم ، فيكتب له عرض حال ، ويشكو من بعض مساير الناس أنه غصبه فى مدة سابقة قبل

ذلك ، وطلق منه زوجته قهرا ، بعد أن كان صرف عليها مبلغ دراهم كثيرة فى المهر والنفقة والكسوة ، ويكتبون له عليه علامة الباشا ، ويأخذ صحبته أشخاصا معينين من أقرانه ، فيسحبون المدعى عليه الى المحكمة ، فلا يثبت عليه ذلك ، فيكتب له القاضى اعلاما بعدم صحة الدعوى بدراهم يدفعها على ذلك الاعلام . فيذهبون الى ديوان الباشا ، ويخبرون الكتخدأ بطلان الدعوى ، ويطلعون على الاعلام بحضرة الخصم — وهو يظن البراح والخلاص من تلك الدعوى الباطلة — فيقول الكتخدأ للخصم : « أعط المباشرين خدمتهم خمسة أكياس .. واذهب » . وأمثال ذلك !

فان وجد شافعا أو مخيضا-توسط له ، أو تشفع فى تخفيف ذلك قليلا ، أو ضمنه ، أو دفع عنه وأنقذه..والا حبس كغيره ، وذاق فى الحبس أنواع العذاب حتى يدفع مآقرره عليه الكتخدأ .

وأتفق أن جماعة من سكان الحجر شكوا نظار جامع وسبيل ومدرسة متخرجة من أيام الفرنسيس ، ومعضلة الشعائر والاياد . فأمر الكتخدأ باحضار النظار — وهم ناس فقراء وعواجز — وسألهم ، فأخبروا بتعطيل الايراد ، فأحضروا مباشرين الأوقاف فحاسبوه ، فلم يطلع عليهم شىء . فقال الكتخدأ : « أعطوا المباشرين خدمتهم » . فلما فرغوا من ذلك بعد مشقة عظيمة ، قالوا : « هاتوا محصول الخزينة » . فقالوا : « وما يكون محصول الخزينة ؟ » . قالوا : « ثلاثون كيسا : على كل ناظر عشرة أكياس » . فبهت الجماعة وتحيروا فى أمرهم ، ولم يعلموا مايقولون . وفى الحال ، جذبوهم الى الحبس ، وفيهم رجل من جماعة المشهدية ، عاجز لايقدر على القيام .. فسعى عليه حريمه وخشداشينه ، وصالحوا عليه بكيسين ، وخلصوه .

وأما الاثنان الآخران ، فاستمرا في الحبس والحديد مدة طويلة . وأمثال ذلك !

وفي أواخره : أفرجوا عن السيد على المدني بعدما قرروا عليه أربعة آلاف ريال .. خلاف البراني . وأمثال ذلك كثير .

جداى الآخرة

غرقه (٧ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

حضر القاضى الجديد الى جهة بولاق

٢ منه (٨ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

ركب القاضى الجديد ، وطلع الى القلعة ، وسلم على الباشا ، ورجع الى المحكمة . وكان عندما وصل الى رشيد ، أرسل الى الباشا ليأمر له بعمارة المحكمة . فألزم الباشا أصحابها بالعمارة ، وأمرهم بالاجتهاد في ذلك .

وفيه : فقد اللحم وشح وجوده ، وكذلك السكر والعسل . وأما العسل الأبيض ، فبلغ الرطل خمسين نصفا — ان وجد — لعدم الوارد من ناحية قبلى ، وقلة المرمى بالجهة البحرية .

واستقر الألفى الكبير جهة اللاهون ، وبقية الجماعة جهة المنية وأسيوط ، وعثمان بيك حسن بجبل الطير بالبر الشرقى .

٥ منه (١١ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

أشيع سفر محمد على الى بلاده ، وكذلك أحمد بيك وغيرهم من أكابرهم . وشرعوا في بيع جمالهم وبلادهم ومتاعهم . وكثر لفظ الناس بسبب ذلك ، وكثر افساد العساكر وخطفهم . وأغلق أهل الأسواق الدكاكين ، وخاف الناس المرور ، وتطيروا منهم .. خصوصا الانكشارية .

٦ منه (١٢ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

مر محمد على وخلفه عدة كبيرة من العسكر ،

وهو ماش على أقدامه ، وكذلك حسن بيك اخو طاهر باشا ، وعابدى بيك ، وأغاة الانكشارية والوالى . وجلس منهم جماعة جهة الغورية وخان الخليلى ساعة ، ثم ذهبوا وكأنهم يطمنون الناس . وأمام بعضهم المناداة بالتركى : بالأمن والأمان ، وفتح الدكاكين ، وكل من تعرض لكم اقتلوه . وفي أثر مرورهم ، وقع الخطف والتعرية !

وفي ذلك اليوم — أواخر النهار — مرت مركبان فيهما عسكر أرثوود بالخليج المرخم ، ومعهم امرأة — وبذلك الجهة عسكر انكشارية ساكنون بيوت المجنون — فضربوا عليهم رصاصا من الشبايك ، فقتل منهم جماعة ، وهرب من بجا أو عرف العوم .

فتحزب الأرثوود ، وجاء منهم طائفة لذلك البيت ، فلم يجدوا به أحدا . فأرسل محمد على الى حسن بيك ، وتكلم معه في شأن ذلك .

٧ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

قتلوا ثلاثة ، وقيل خمسة ، ناحية الموسكى . يقال انه بسبب تلك الحادثة . وقيل بسبب آخر . وفيه : سافر جماعة من العسكر ، وأخذوا المراكب ، وأرسلوا الى سكندرية ودمياط ورشيد وغيرها بطلب المراكب . فشحت المراكب ، ووقف حال المسافرين وتعطلوا عن الرواح والمجيء ، وغلا سعر القمح والسمن ، وعدم اللحم . وكذلك باقى الأسباب والماكولات .. زيادة عن الواقع .

واذا وصلت مراكب ، نزل في المركب الكبيرة الخمسة أنفار أو العشرة ، والحال أنها تسع المائة ، وصاروا ينهبون في طريقهم ما يصادفونه من المسافرين ، ويقتلونهم ، ويطلبون من البلاد الكلف والماكل . وغير ذلك .

١٧ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

سافر أحمد بيك وعلى بيك أخو طاهر باشا .

الى التجريدة ، وكل من كان مسافرا الى بلاده ..
فليسافر .

وفيه : هريت زوجة عثمان بيك البرديسى مع
العرب الى زوجها بقبلى . فلما بلغ الخبر الباشا
أحضر أخاها والمحرقى وسألها عنها ، فقالا :
« لم تعلم بهروبها » . فعوق أخاها عنده ، ثم أطلقه
بشفاعة المحرقى .

رجب

السبت غرته (٦ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

انتقل العسكر المسافرون من دير العدوية الى
باحية طرا ، وسافر منهم عدة مراكب . وسافر قبل
ذلك بأيام كاشف بنى سويف ، ويقال له محمد
افندى ..

الاثنين والثلاثاء ٣ ، ٤ منه (٨ ، ٩ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

نادى الأغا وأغات التبديل بخروج العسكر
المسافرين . وكثر أذى العسكر للناس ، وخطفوا
الحمير ، وتعطلت أشغال الناس فى السعى الى
مصالحتهم وتقبل بضائعهم .

الأربعاء ٥ منه (١٠ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

سافرت التجريدة برا وبحرا ، وتأخر محمد على
عن السفر الى بلاده — كما كان أشيع ذلك —
واشتهر أنه مسافر الى جهة قبلى . وورد الخبر
باستقرار كاشف بنى سويف بها . ولم يكن بها
أحد من المصرية .

الأحد ٩ منه (١٤ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الباشا الى وليمة عرس مدعوا بيت السيد
محمد بن الدواخلى — بحارة الجعيدية وكفر
الطماعين — ونزل فى حال مروره ببيت السيد عمر
افندى تقيب الأشراف ، فجلس عنده ساعة ،
وقدم له حصانين .



جهة الموسيقى ..

وفيه : قلد الباشا سلحداره ولاية جرجا ، وبرز
خيامه جهة دير العدوية .

٢٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

وصلت مراكب من الشلنبات الحربية ، فضربوا
لها مدافع من القلعة .

٢٥ منه (اول أكتوبر ١٨٠٤ م) :

تمسدى جماعة من العسكر ، وخطفوا عمائم
الناس . واتفق أن الشيخ ابراهيم السجيني مر من
جهة الداودية ، وهوراكب بهيته ، فأخذوا طيلسانه
من على كتفه وعمامة تابعه . وقتلوا من بعضهم
أنفارا .

٢٦ منه (٢ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الأغا ونادى على العسكر بالخروج والسفر

الثلاثة ١١ منه (١٦ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الباشا في التبديل ، ومر من مسوق السمكية ، فرأى عسكريا يشتري كوز صفيح ، فأعطاه خمسة أنصاف .. فأبى العسكري الا بعشرة .. فأبى ولم يدفع له الا خمسة ، فرآه الباشا فقال له : « أعطه ثمنه » فقال له : « وايش علاقتك ؟ » — وهو لم يعرفه — فقال له : « أما تخاف من الباشا ؟ » . فقال : « الباشا على ... » . فضربه الباشا وقتله ومضى .

الاثنين ١٧ منه (٢٢ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

أحضروا أربعة رؤوس ، ووضعوها تجاه باب زويلة ، وأشاعوا أنهم من مقتلة وقعت بينهم وبين القبالي ، وأشاعوا أنه بعد يومين تصل رؤوس كثيرة . ووصل أيضا جملة أسرى طلعوا بهم الى القلعة .

الأربعاء ١٩ منه (٢٤ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

طلع محمد على الى القلعة ، فخلع عليه الباشا فروة سمور على سفره الى قبلى ، وبرز بوطاقه الى خارج .

الأربعاء ٢٦ منه (٣١ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

اتهموا قادري أغا بأنه يكاتب الأمراء المصرية القبالي ، ومنعوه من السفر الى قبلى ، وأمره بأن يسافر الى بلاده . فركب في عسكره وذهب الى بولاق ، وفتح وكالة على بيك الجديدة ، ودخل فيها بعسكره ، وامتنع بها ، وانضم اليه كثير من العسكر . فحضر اليه محمد على وكلمهم ، وكذلك حضر اليهم الباشا ببولاق . فلم يمثلوا وقالوا : « لا نسافر ولا نذهب الا بإمرادنا .. وأعطينا المنكسر من علوفاتنا » . فتركوهم ونادوا على خبازين بولاق لا يبيعون عليهم الخبز ولا المأكولات . فأرسل قادري أغا الى المحتسب وقال له : « نحن

نأخذ العيش بشمنه .. فان منعموه من الأسواق طلعنا الى البيوت وأخذنا ما فيها من الخبز ، ويطرب على ذلك ما يترتب من الافساد » . فأخبروا الباشا بذلك ، فأطلقوا لهم بيع الخبز وغيره . واستمر على ذلك أياما .

وفيه : شرعوا في تحرير فردة على البلاد ، وكتبوا دفاترها .. الأعلى ثمانون ألف فضة ودون ذلك . ويتبعها على كل بلد جملان وسمن وأغنام وقمح وتبن وشعير .

في اواخره (اوائل نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حصلت نوة ، وتتابع مرور الغيوم ، وأحصل رعد هائل ، ودخل الليل فكثر الرعد والبرق وتبعه المطر . ثم حضر أناس بعد أيام من جهة شرقية بلييس ، وأخبروا أنه نزل بناحية مشتول صواعق أهلكت نحو العشرين من بنى آدم وأبقارا وأغناما ، وعميت أعين أشخاص من الناس . وفي هذا الشهر : شرعوا في عمل كسوة الكعبة بيد السيد أحمد المحروقي ، فقيدها وكيهه بذلك . وشرعوا في عملها في بيت الملا بحارة المقاصيص .

شعبان

٤ منه (٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حضر لحسن بيك طوخان ، وطلع الى القلعة ، ونزل الى الباشا . ولبس خلعة من خلغ الباشا وقاووقا ، وركب ونزل من القلعة وأمامه الجاويشية والسعاة والملازمون ، وضربت له النوبة .. بمعنى أنه صار عوضا عن أخيه .

٨ منه (١٢ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

نزل قادري أغا ومن معه من العسكر في المراكب وسافر جهة بحرى ، وسافر خلفهم عدة من الدلاة . وفيه : أشيع ابطال الفردة في هذا الوقت ، ثم قرروا مطلوبات دون ذلك .

١٢ منه (١٦ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

نودى بخروج المسكر الى السفر لجهة قبلى ، ولا يتأخر منهم من كان مسافرا فشرعوا في الخروج وقضاء حوائجهم ، وصاروا يخطفون حمير الناس والجمال .

١٣ منه (١٧ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده فرمان جواب عن مراسلة للبasha .. بارسال باشة الينبع لمحافظة من الوهابيين ، وأنه أعطاء ذخيرة شهرين ... بأن يرسل اليه ما يحتاجه من الذخيرة . وكذلك محمد باشا والى جدة يعطى له ما يحتاجه من الذخيرة لأجل حفظ الحرمين ، والوصية برعية مصر ودفع المخالفين .. وأمثال ذلك فعمل البasha الديوان في ذلك اليوم ، وقرأوا فرمان ، وضربوا عدة مدافع .

وفيه : مات الشيخ حجاب .

١٤ منه (١٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

سافر محمد على .

وفيه : هرب على كاشف السلحدار الألفى ، ومن مصر من جماعته . فلما وصل الخبر الى البasha ، أرسل الى بيوتهم ، فلم يجد فيها أحدا . فسمروها ، وقبضوا على الجيران ، ونهبوا بعض البيوت .

١٧ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

سافر حسن باشا أيضا ، ونادوا على المسكر بالخروج

وفيه : عمل السيد أحمد المحروقي وليمة ، ودعا البasha الى داره . فنزل اليه وتغدى عنده ، وجلس نحو ساعتين ، ثم ركب وطلع الى القلعة . فأرسل المحروقي خلفه هدية عظيمة — وهى : بقج قماش هندي ، وتفاصيل ، ومصوغات مجوهرية ، وشمعدانات فضة ، وذهب ، وتحائف ، وخيول له

ولكبار أتباعه — صحبة ولده وترجانه وكتخداه . وخلق عليهم البasha فراوى سمور .

١٩ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حضر طائفة من الدلاة — نحو المائتين وخمسين نفرا — فأنزلهم البasha بقصر العيني

٢٢ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

توفي السيد أحمد المحروقي فجأة . وكان جالسا مع أصحابه حصاة من الليل ، فأخذته رعدة ، فدفنوه ، ومات في الحال في سادس ساعة من الليل .. فسبحان الحي الذي لا يموت ! وركب ابنه وطلع الى البasha ، فوعده البasha بخير ، وأرسل القاضي وديوان أفندي وختم على بيته وحواصله . ثم حضروا في ثاني يوم ، فضبطوا موجوداته وكتبوها في دفاتر ، وأودعوها في مكان ، وختموا عليها . وأرسلوا علم ذلك الى الدولة ... صحبة صالح أفندي . وكان على أهبة السفر ، فمقوقه حتى حرروا . ذلك ، وسافر في سابع عشرته .

٢٥ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

أحضروا احدى وعشرين رأسا لا يعلم ما هى ، وهى متغيرة بحشوة بالتبن ، وأشاعوا أنهم من ناحية المنية ، وأنهم حاربوا عليها وملكوها . ولم يظهر لذلك أثر بين .

٢٨ منه (اول ديسمبر ١٨٠٤ م) :

ألبس البasha ابن السيد أحمد المحروقي فروة سمور وقفطانا على دار الضرب ، وعلى ما كان أبوه عليه من خدمة الدولة والالتزام . ونزل من القلعة صحبة القاضي الى المحكمة ، ثم رجع الى بيته . وفى ذلك اليوم — بعد العصر — وقع ربيع بجوار حمام المصبغة جهة الكعكيين على الحمام ، فهدم ليوان المسلخ ، فمات من به من النساء

والقمح ستة عشر رطلاً ، والرطل الشمع الدهن
بأربعين نصفاً ، والشيرج بخسة وثلاثين نصفاً ،
وأما زيت الزيتون فنادر الوجود . وقس على ذلك .

رمضان

الأربعاء ٢ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

حضر صالح أغا الذي كان يحاصر قادري أغا ،
وضربوا له مدافع . وتحقق أن قادري طلب أماناً ،
فأرسلوه مع من معه الى دمياط ... وذلك بعد أن
ضيقوا عليه ، وحضر اليه كاشف البحيرة وضايقه
من الجهة الأخرى ، وفرغت ذخيرته . فعند ذلك
أرسل الى كاشف البحيرة ... فأمنه .

الاثنين ٧ منه (١٠ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

وصل جماعة من الانكليز الى مصر ، وهم نحو
سبعة عشر شخصاً ، وفيهم فسيال كبير وآخر كان
بصحبة على باشا الطرابلسي .

الخميس ١٠ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

سافر صالح أغا الى جهة بحري . قيل ليأتي
بجانم أفندي الدفتردار ، فانه لم يزل عاصياً عن
الحضور الى مصر .

وفيه : ركب الباشا في التبديل ونزل من جهة
التبانة ، فوجد في طريقه عسكرياً يأخذ حمل تبين
من صاحبه قهراً ... فكلمه — وهو لم يعرفه —
فأغلظ في الجواب ، فقتله . ثم نزل الى جهة باب
الشعرية ، وخرج على ناحية قناطر الأوز ، فوجد
جماعة من العسكر غاصبين قصعة زبدة من رجل
فلاح ... وهو يصيح . فأدركهم ، وهم سبعة ،
وفيهم شخص ابن بلد أمرد لابس ملابس العسكر .
فأمر بقتلهم ، فقبضوا على ثلاثة منهم — وفيهم ابن
البلد — وقتلوه ، وهرب الباقيون .

ثم نزل الى ناحية قنطرة الدكة ، وقتل شخصين

والأطفال والبنات : ثلاثة عشر ، وخرج الاحياء من
داخله وهن عرايا ، ينفضن غبارات الأتربة والموت .
وحضر الاغا والوالى ، ومنعوا من رفع القتلى الا
بدرهم ! ونهبوا متاع النساء وقبضوا على الشيخ
محمد العجبي مباشر وقف الغورى ليلاً وأزعجوه ،
لأن ثلث الحمام جار في الوقف ... والحال أن
الحمام لم يسقط ، وانما هدمه ما سقط عليه .
وكذلك طلبوا ملاك الربع — وهم الشيخ عمر
الغرياني وشركاؤه — فذهبوا الى بيت الشيخ
الشرقاوى والتجأوا اليه . ثم ان القاضى كلم
الباشا في أمر المردومين ، وذكر له طلب الحاكم
دراهم على رفعهم ، واجتماع مصيبتين على اهلهم .
والتمس منه ابطال ذلك الأمر . فكتب قرماناً بمنع
ذلك ، ونودى به في البلدة ، وسجل .

فايته (٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

عمل موسم الرؤية لثبوت هلال رمضان ، وركب
المحتسب ومشايخ الحرف ، على العادة ، من بيت
القاضى . ولم يثبت الهلال تلك الليلة ، ونودى أنه
من شعبان .

واقضى شهر شعبان ... وقادري أغا عاص جهة
شابور في قرية ، وصالح أغا ومن معه من العساكر
مسترون على حصاره ، وصحبتهم أخلاط من
العربان . وجلا أهل شابور عنها ، وخرجوا على
وجوههم مما نزل بهم من النهب وطلب الكلف
وغير ذلك من العاصي منهم والطائع .

فان كلا من الفريقين تسلطوا على نهب البلاد
وسلب الكلف وغيرها . واذا مزت بها مركب نهبوا
وأخذوا ما فيها . فامتنع ورود المراكب ، وزاد الغلاء
وامتنع وجود السمن . واذا وجد بيع العشرة أرطال
بخمسائة نصف فضة وستمائة ، ولا يوجد . وبيع
الرطل من البصل — في بعض الأيام — بشمائية
أنصاف ، والارديب الفول بشمانية عشر رطلاً ،

طائفة من عرب أولاد على نزلوا ناحية الأهرام بالجيزة ، وهم مارون يريدون الذهاب الى ناحية قبلى . فركب فى عسكره اليهم ، فوجدهم قد ارتحلوا ، ووجد هناك قبيلة يقال لهم « الجوايص » نازلين بنجمهم هناك — وهم جماعة مرابطون من خيار العرب ، لم يعهد منهم ضرر ولا أذية لأحد — فقتل منهم جماعة ، ونهب نجمهم وجمالهم وأغنامهم ، وأحضر صحبته عدة أشخاص منهم ، وعدى الى مصر بمنهوباتهم . وقد باع الأغنام والمعز للجزارين قهرا ، وكذلك الجمال باعوا منها جملة بالرميلة .

السبت ٢٦ منه (٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

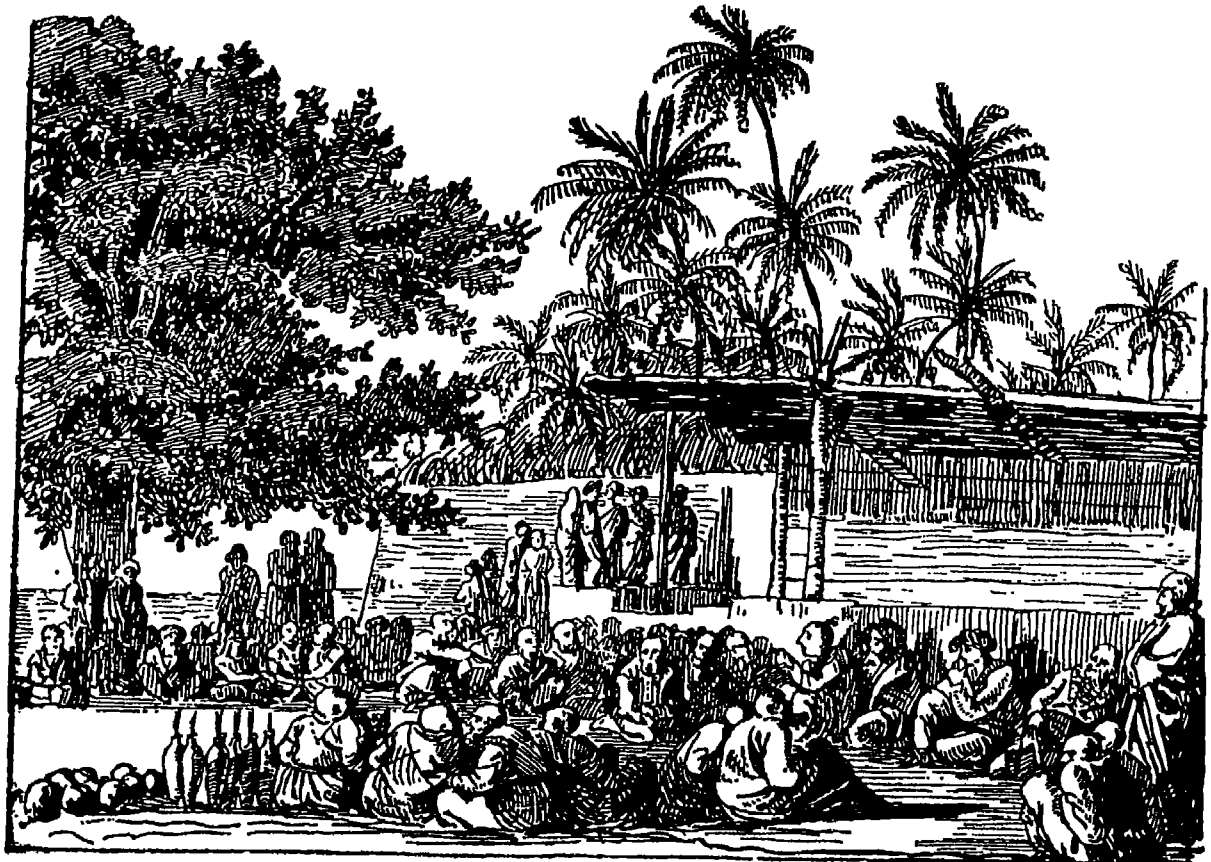
نهب العربان قافلة التجار الواصلة من السويس ، وهى نيف وأربعة آلاف جبل من البن والبهار

أيضا ، وبناحية بولاق كذلك ، وبالجملة ... فقتل فى ذلك اليوم نيفا وعشرين شخصا ، وأراد بذلك الانخافه . فأنكف العسكر عن الايذاء قليلا ، وتواجد البسن وبعض الأشياء .. مع غلو الثمن .

وفيه : تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسكر والأمراء المصريين فى المنية ، وقتل من الأمراء صالح بيك الألفى ، ومراد بيك من الصناجق الجدد المقلدين الامارة خارج مصر ، وهو زوج امرأة قاسم بيك وخازن دار البرديسى .. سابقا موسقو . ولم تزل الحرب قائمة بين الفريقين . وأرسلوا بطلب ذخيرة وعلوفة ، فأرسلوا لهم بقسماطا وغيره .

الأحد ٢٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

حضر الى الباشا بعض الرواد ، وأخبره أن



نجع احدى قبائل الاعراب

والقماش ، وأصيب فيها كثير من فقراء التجار ،
وصلبت أموالهم ، وأصبحوا لا يملكون شيئا .

وفيه : حضر صالح آغا ، وصحبته جانم أفندى
الدفتردار ، فأسكنه الباشا بالقلعة ، وذكر جانم
أفندى المذكور ومن معه للباشا أنهم رأوا هلال
رمضان ليلة الاثنين .. صاموه بالاسكندرية ذلك
اليوم ، وكذلك صاموه في رشيد وقوة وغالب
بلاد بحرى .

وحضر أيضا الشيخ سليمان الفيومى قبل ذلك
بأيام ، وحكى ذلك ... فلم يعمل به القاضى وقال :
« ان رؤى الهلال ليلة الأربعاء .. أفطرنا ، وان لم
ير .. فهو من رمضان » .

فلما كان بعد عصر ذلك اليوم ، ضربت مدافع
من القلعة ، فاشتبه على الناس الأمر ، وذهب جماعة
الى القاضى وسألوه ، فقال : « لاعلم لى بذلك » .
وأرسل فى المساء جماعة من أتباعه وباش كاتب ، الى
منارة المارستان . فصعدوا اليها ، وطلع معهم
آخرون ، وترقبوا رؤية الهلال ، فلم يروه . وأخبروا
القاضى بذلك ، فأمر بالصوم ، ونادوا به ، وأوقدوا
المنارات والقناديل ، وصلوا التراويح بالمساجد ،
وتحقق الناس الصيام من الغد .

فلما كان بعد العشاء الأخيرة ، ضربت مدافع
كثيرة من القلعة وسوارىخ وشنك . فوقع الارتباك ،
فأرسل القاضى ينادى بالصوم وذكروا أن هذا
المسموع شنك لأخبار وردت بملك المنية وحضر
المبشر بذلك لابن السيد أحمد المحرقى ، وخلع
عليه خلعة ، وكذلك بقية الأعيان .

وبعد حصة ، مر الوالى ينادى بالفطر والعيد
فزاد الارتباك ، وركب بعض المشايخ الى القاضى
وسأله ، فأخبر أنه لم يأمر بذلك ، ولم يثبت لديه
رؤية الهلال ، وأن غدا من رمضان . فخرجوا من
عندهم يقولون ذلك للناس ، ويأمرونهم بالصوم

فلما كان فى سادس ساعة من الليل ، أرسل
الباشا الى القاضى فطلبه ، فطلع اليه ، فرفه بشهادة
الجماعة الواصلين من بحرى وأحضرهم بين يديه ،
فشهدوا برؤية هلال أول الشهر ليلة الاثنين —
وهم نحو العشرين شخصا — فما سمع القاضى
الا قبول شهادتهم ... وخصوصا لكونهم أتركا !

ونزل القاضى ينادى بالفطر ، ويأمر بطفى
القناديل من المنارات ... وأصبح كثير من الناس لا
علم له بما حصل آخره فى جوف الليل . وبالجمله ..
فكانت هذه الحادثة من النوادر . وتبين أن خبر
المنية لا أصل له ، بل هو من جملة اختلاقاتهم !

واقضى شهر رمضان ، وكان لا بأس به فى قصر
النهار ، لأنه كان فى غاية الانقلاب الشتوى ،
والراحة بسبب غياب المسكر وقتلهم بالبلدة
وبعدهم ، ولم يحصل فيه من الكدورات العامة —
خصوصا على الفقراء — سوى غلاء الأسعار فى
كل شيء ، كما تقدم ذكر ذلك فى شعبان .

سؤال

٣ منه (٥ يناير ١٨٠٥ م) :

سافر السيد محمد بن المحرقى وجرجس
الجوهري ، ومعهما جملة من المسكر ، الى جهة
القليوبية بسبب القافلة المنهوبة .

٦ منه (٨ يناير ١٨٠٥ م) :

طلبوا مال الميرى عن سنة عشرين معجلة ،
بسبب تشهيل الحج ، وكتبوا التنايه بطلب النصف
حالا ، وعينوا بها عساكر عثمانية وجاوشية
وشفاسية فدهى الملتزمون بذلك — مع أن أكثرهم
أفلس ، وبقا عليهم بواق من سنة تاريخه وما
قبلها — لخراب البلاد ، وتشايع الطلب والفرد

والتعابين والشكاوى والتساويف ، ووقوف العربان بسائر النواحي ، وتعطيل المراكب عن السفر لعدم الأمن ، وغضبهم ما يرد من السفائن والمعاشات ، نيرسلوا فيها الذخيرة والعسكر والجيشانة معونة للمحاربين على المنية .

١٠ منه (١٢ يناير ١٨٠٥ م) :

طلبوا طائفة من المزيين ، وأرسلوهم الى قبلى لداواة الجرحى .

وفيه : تواترت الأخبار بحصول مقتلة عظيمة بين المتحاربين ، وأن العسكر حملوا على المنية حملة قوية من البر والبحر ، وملكوا جهة منها . وحضر المبشرون بذلك ليلة الأربعاء أواخر رمضان — كما تقدم — وعملوا الشنك لذلك . فورد الخبر ، بعد ذلك بنحو ساعتين ، يرجوع الأخصام ثانيا ومقاتلتهم حتى هزموهم ، وأجلوهم عن ذلك . وذلك هو الحامل على المغالطة والمناداة فى سابع ساعة بثبوت الميبد وافطار الناس ذلك اليوم ا

١٨ منه (٢٠ يناير ١٨٠٥ م) :

نزل الباشا الى قراميدان ، وحضر القاضى والدفتردار وأمير الحج . فسلمه الباشا المحمل ، ونزلوا بقطع الكسوة أمام أمير الحج ، وركب أمامه الأغا والوالى والمحتسب وناظر الكسوة ، بهيئة محتقرة من غير نظام ولا ترتيب ، ومن خلفهم المحمل على جبل صغير أعرج ا

وفيه : أرسل العسكر يطلبون العلوفة والمعونة . فعمل الباشا فردة على الأعيان وعلى أتباعه ، وجمع لهم خمسمائة كيس ، وعين للسفر بذلك صالح أغا وعدة عساكر وجيشانة وذخيرة .

٢٠ منه (٢٢ يناير ١٨٠٥ م) :

رجع ابن المحرقى وجرجس الجوهري ،

وأحضرا معها بعض أحمال قليلة ، بعد ماصرقا أضعافها فى مضالح وكساوى للعرب ، وغير ذلك .

وفيه : ورد الخبر بوصول دفتردار جديد الى نهر سكندرية — وهو أحمد أفندى الذى كان بمصر سابقا ، وعمل قبطانا بالسويس فى أيام محمد باشا وشريف أفندى — فكتب الباشا عرضا للدولة بأنهم راضون على جانب أفندى الدفتردار ، وأن أهل البلد ارتاحوا عليه ، وطلبوا ابقاءه دون غيره . وختم عليه القاضى والمشايع والاختيارية ، وبعثوه الى الدولة .

وأرسلوا الى الدفتردار الواصل ، بعدم المجيء ، ويذهب الى قبرص حتى يرجع الجواب . فاستمر باسكندرية .

وفى أواخره : تواترت الأخبار ، بأن جماعة من الأمراء القبالى ، ومن معهم من العربان ، حضروا الى ناحية الفشن . وحضر أيضا كاشف الفيوم مجروحا ، ومعه بعض عسكر ودلاة فى هيئة مشوهة . وتتابع ورود كثير من أفراد العسكر الى مصر . وأشيع انتقالهم من أمام المنية الى البر الشرقى ، بعد وقائع كثيرة ومحاربات .

غايته (غاية يناير ١٨٠٥ م) :

برز أمير الحج المسافر بالمحمل ، وخرج الى خارج ... ومعه الصرة ، أو ماتيصر منها ا وعين للسفر معه عثمان أغا — الذى كان كنتخدا محمد باشا — بجماعة من العسكر لأجل المحافظة ليوصلوه الى السويس ، ويسافر من القلزم مثل عام أول .

وفيه : ورد الخبر بضياح ثلاث داوات بالقلزم ، وأنها تلفت بالقرب من الحصانى ، وتلف بها كثير من أموال التجار وصرر النقود . وكان بها قاضى المدينة أحمد أفندى — المنفصل عن قضاء مصر —

١٤ منه (١٤ فبراير ١٨٠٥ م) :

وقعت حادثة . وهو أن كاشفا من أكابر الأرثوذكس سكن بيت ابن السكرى ، الذى بالقرب من الطلوجى ، ويتردد عليه رجل من المنتسبين الى الفقهاء — يسمى الشيخ أحمد البرانى ، خبيث الأفعال ، يصلى اماما بالمذكور — فرأى ما رآه منه مع فراشه ، فضربه بالخنجر والتبايت ، حتى ظن هلاكه . وأخرجه أتباعه وحملوه الى منزله فى خامس ساعة من الليل ، وبه بعض رمق ، ومات بعس ذلك .

وأخبر المشايخ بذلك ، ورفع القتل الى المحكمة ، وتغيب القاتل . فامتنع المشايخ من حضور الجامع والتدريس بسبب ذلك ، وبسبب أولاد سعد الخادم سدة ضريح سيدى أحمد البدوى ... وقد كانوا شكوا بعضهم بعضا ، وتعين بسبب ذلك كاشف على أحمد بن الخادم ، وهجم داره وقبض على بناته ونسائه ، ونبشوا داره ، وفحروا أرضها للتفتيش على المال . وطالت قصتهم من أواخر الشهر الماضى لوقت تاريخه .

وتكلم المشايخ مرارا مع الباشا فى أمرهم ... وهو يغالط طمعا فى المال . وقد كان سمع تهمتهم بكثرة المال ، وأن عند باشا خسرو أخذ منهم سابقا فى أيام ولايته — مائة وخمسة وثمانين ألف ريال خلاف حق الطريق ، وذلك من مصطفى الخادم — وهو الذى شكوا الآن قسيمة ، ويقول انه هو الذى شكائى وتسبب فى مصادرتى ، وهو مثلى فى الأيراد ، وعنده مثل ما عندى — فلما حضروا الى الدار وفتشوا وقرروا نساء وأتباعه ، فلم يظهر له شيء ... فأدرجوا هذه القضية فى دعوة المقتول ، وامتنعوا من حضورهم الأزهر ، وأشيع امتناعهم من التدريس والافتاء . فحضر اليهم سعيد أغا الوكيل ، وتلطف بهم ، وطلب منهم تسكين هذه الفتنة ، وأنه يتكفل بتمام المطلوب .

ففرق ، وطلعت أولاده ، ورجعوا الى مصر بعد أيام ، وسافروا الى بلادهم .
وورد الخبر بأن القبلين قتلوا حسين بيك ، المعروف باليهودى ، بعس أن تحققوا خيائته ومخامرته . وانقضى هذا الشهر .

ذوالقعدة

الجمعة غرته (اول فبراير ١٨٠٥ م) :

قرر الباشا فردة على البلاد ، فجعل على كل بلد من البلاد ... العال : مائة ألف فضة ، والدون : ستين ألفا . وعين لذلك ذا الفقار كتخدا الألفى على الغربية ، وعلى كاشف الصابونجى على المنوفية ، وحسن أغا نجاتى المحتسب على الدقهلية .. وذلك خلاف ماتقرر على البنادر من عشرين كيسا وثلاثين وخمسين ومائة وأقل وأكثر .

الجمعة ٨ منه (٨ فبراير ١٨٠٥) :

حضروا بعلى أغا يحيى — المعروف بالسبع قاعات — ميتا من سملوط . وقد كانوا أرسلوه ليكون كتخدا لحسن بيك أخى طاهر باشا ، وكان المحروقى أرسله الى بشيش فتوعك هناك ، فطلب الباشا رجلا من الرؤساء يجعله كتخدا لحسن بيك فأشاروا عليه بعلى أغا هذا ، فطلبه من المحروقى ، فأرسل بإحضاره ، فحضر فى اليوم الذى مات فيه المحروقى ، وسافر بعد أيام الى قبلى ، فزاد به المرض هناك ، ومات بسملوط . فأحضروه الى مصر بعد موته بخمسة أيام .
وخرجوا بجنازته فى يوم الجمعة من بيته المجاور لبيت المحروقى ، وصلوا عليه بالأزهر ، ودفن الى رحمة الله تعالى .

الثلاثاء ١٢ منه (١٢ فبراير ١٨٠٥ م) :

علقوا ثلاثة رؤوس بباب زويلة ، لا يدري أحد من هم .

عدة مراكب من مراكب العسكر وما فيها من المتاع والجبخانه ، وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانه وثياب وغير ذلك .

واتشر عسكر القبليين الى جهة بحرى حتى وصلوا الى زاوية المصلوب ، وحاصروا من في بوش والفشن وبنى سويف ، وكذلك من بالفيوم . وشرع الباشا ، واجتهد في تجهيز المطلوبات ، وتشهيل الاحتياجات .

وفيه : حضر سعاة من ثغر سكندرية ، وأخبروا بمرور عدة مراكب انجليزية الى الميناء ، وسألوا أهل الثغر عن مراكب فرليس وردت الميناء أم لا . ثم قضوا بعض أشغالهم وذهبوا .

الاحد ١٧ منه (١٧ فبراير ١٨٠٥ م) :

عزم على السفر محمد أفندى — حاكم اسنا سابقا — بمراكب الذخيرة والجبخانه واللوازم ، وصحبته عدة من العساكر لخفارتها .

ذو الحجة

السبت ٧ منه (٩ مارس ١٨٠٥ م) :

وردت أخبار بوقوع حرب بين العسكر والمصريين القبليين ، وهو أن العسكر حملوا على المنية حملة عظيمة — في غفلة — وملكوها ، فاجتمعت عليهم الغز والعربان ، وكبسوا عليهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأخرجوهم منها ، وأجلوهم عنها ثانيا ، وذلك في سابع عشرين القعدة .

الاحد ٨ منه (١٠ مارس ١٨٠٥ م) :

طلع يوسف أفندى ، الذى كان تولى تربية الأشراف في أيام محمد باشا ثم عزل عنها ، الى القلعة . فقبض عليه صالح أغاقوش ، وضربه ضربا مبرحا ، ولأهانة إهانة زائدة .. وأزلوه أواخر النهار ، وحبسوه ببيت عمر أفندى النقيب . ثم

وامتدح الحال على ذلك الى يوم الثلاثاء تاسع عشرة . فحضر كتحدا الباشا وسعيد أغا وصالح أغا الى بيت الشيخ الشرقاوى ، واجتمع هناك الكثير من المتعممين ، وتكلموا كثيرا ، ورمحوا المرتب وقالوا : « لابد من حضور الخصم القاتل والمرافعة معه الى الشرع ، ورفع الظلم عن أولاد الحادام وعن الفلاحين » . وأمثال ذلك . وهم يقولون في الجواب : « سمعا وطاعة في كل ما تأمرون به » . وانقضى المجلس على ذلك ، وذهبوا حيث أتوا .

فلما كان العصر من ذلك اليوم ، حضر سعيد أغا — وصحبته القاتل — الى المحكمة ، وأرسلوا الى المشايخ ، فحضروا بالمجلس ، وأقيمت الدعوى . وحضر ابن المقتول ، وادعى بقتل أبيه ، وذكر أنه أخبر قبل خروج روحه أن القاتل له الكاشف صاحب المنزل ، فسل ، فأنكر ذلك وقال : « انه كان اماما عنده ، يصلى به الأوقات ، وأنه لم يأت الينا تلك الليلة التى حصل له فيها هذا الحادث » . فطلب القاضى من ابن المقتول بينة تشهد بقول أبيه ، فلم يجدوا الا شخصا سمع من المقتول ذلك القول . وأفتى المالكى أنه يعتبر قول المقتول في مثل ذلك ، لأنه في حالة يستحل عليه فيها الكذب .. وذلك نص مذهبهم ، ولا بد من بينة تشهد على قوله .

فطلب القاضى الشطر الثانى ، فلم يوجد على أن هناك من كان حاضرا بالمجلس وقت الضرب ، ومشاهدا للحادثة ، وكتم الشهادة خوفا على نفسه . وانقضى المجلس ، وأهمل الأمر حتى يأتوا بالبينه .

الجمعة ١٥ منه (١٥ فبراير ١٨٠٥ م) :

تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسكر والأمراء القبالي ، وملك العسكر جهة من المنية بعدما اصطدموا عليها من البر والبحر . فوصل الأخصام وحالوا بينهم وبين عسكرهم والمتاريس ، وأجلوهم ، وقتل من قتل بين الفريقين ، واحترق

وعشرين رطل بن ، وعشرة قنابير عيش ، وربع أردب وسدس أرز أبيض ومثله برغل ، وكلفة المطبخ ألف فضة . وذلك خلاف حق الطريق والاستعمالات المتتابعة ... وكلها بمقررات وحق طرقات !

الأربعاء ١٨ منه (٢٠ مارس ١٨٠٥ م) :

حضر ططرى من ناحية قبلى ، وأخبر أن العسكر دخلوا الى المنية وملكوها . فضربوا مدافع كثيرة من القلعة ، وعملوا شنكا ، وأظهر العثمانية وأغراضهم الفرح والسرور ، وكأنهم ملكوا مالطة ! وبالغوا فى الأخبار والروايات الكذب فى القتل وغير ذلك . والحال أن الأخصام خرجوا منها وزجموها ، ولم يبقوا بها ما ينقره الطير . ولم يقع بينهم كبير قتال .. بل أن العسكر لما دهموها من الناحية القبلية — ولم يكن بها الا القليل من المصريين ، وباقيهم خارجها من الناحية الأخرى فتحاربوا مع من بها وهزموهم ، فولى أصحابهم وتركوهم بالبلدة ، فدخلوها فلم يجدوا بها شيئا .

الخميس ١٩ منه (٢١ مارس ١٨٠٥ م) :

وصل أنفا المقرر — وهو عبد أسود — وطلع الى القلعة بموكب . وعملوا له شنكا ومدافع ، وقرءوا المقرر فى ذلك اليوم بحضرة الجمع .

الاحد ٢٢ منه (٢٤ مارس ١٨٠٥ م) :

وصلت طائفة من العرب بناحية الجيزة ، فوصل الخبر الى الكاشف الذى بها — وهو دملى عثمان كاشف ، الذى قتل الشيخ أحمد البرالى المتقدم ذكره — فانه بعد تلك الحادثة قلدوه كشوفية الجيزة ، وذهب اليها وأقام بها . فلما بلغه ذلك ، ركب على الفور فى نحو خمسة وعشرين خيلا ، ورمحوا عليهم ، فانهزموا أمامهم ، فقطع فيهم وذهب خلفهم الى ناحية برنشت .

تشفع فيه الشيخ السادات ، فأخرجوا عنه تلك الليلة ، وذهب الى داره ليلا . وذلك بسبب دعوى تصدر فيها المذكور ، وتكلم كلاما فى حق الباشا . فحققوا عليه ذلك ، وفعلوا معه ما فعلوا ... ولم ينتطح فيها عنزان !

الجمعة ١٢ منه (١٥ مارس ١٨٠٥ م) :

طلع المشايخ الى الباشا يهنئونه بالعيد ، فأخرج لهم ورقة ، حضرت اليه من محمد أفندى حاكم اسنا سابقا — الذى سافر بالذخيرة آنفا ، واستر بينى سوف ، ولم يقدر على الذهاب الى قبلى — ومضمون تلك الورقة : أن البرديسى قتل الألفى غيلة ... ولم يكن لهذا الكلام صحة .

وفيه : وردت أخبار بقدم طائفة من الدلاة على طريق الشام ، وبالغوا فى عددهم — فيقولون اثنا عشر ألفا وأكثر — وأنهم وصلوا الى الصالحية ، وأنهم طالبون علوفة وذخيرة . فشرعوا فى تشهيل ملاقة للمذكورين ، وطلبوا من تجار البهار خمسمائة كيس ، وزعوها وشرعوا فى جمعها !

وفيه : وصلت طائفة من القبلى والعرب الى بلاد الجيزة ، وطلبوا من البلاد دراهم وكلفا . ومن عسى عليهم من البلاد .. ضربوه .

وعدى كتخدا الباشا وجيلة من العساكر الى بر الجيزة ، وشرعوا فى تحصينها وعملوا بها متاريس ، وتردد الكتخدا فى النزول والتعدية الى هناك بالرجوع .

ثم انه عدى فى رابع عشره وأقام هناك ، وأحضروا ثلاثة رؤوس من العرب فى ذلك اليوم .

وفيه : رجع الكتخدا وأشيع رجوع المذكورين .

— وفيه : قرروا فردة أخرى على البلاد لأجل عسكر الدلاة القادمين ، وجعلوا على كل بلد عشرين أردب فول ، وعشرين خروفا ، وعشرين رطل سمن ،

الذرة ، التى لم يبق بالرقع والعربات سواها . واستمرت سواحل الغلال خالية من الغلة هذا العام .. من العام الماضى ، وبطول هذه السنة . وامتنع الوارد من الجهة القبلية ، وبطلت ... (١) وقل وجودها وغلا ثمنها . ومع ذلك اللطف حاصل من المولى جل شأنه ، ولم يقع قحط ولا موت من الجوع — كما رأينا فى الغلوات السابقة — من عدم الخبز فى الأسواق ، وخطف أطباق العيش والكمك ، وأكل القشور وما يتساقط فى الطرقات من قشور الخضروات وغير ذلك .

وكان ... النيل من المعتاد ... وكثرة مجيء الغلال من جميع النواحي ، حتى من الشام والروم بخلاف هذه السنة.....الشرقى فى السنة الماضية .

ولم نر فيما رأيناه الفتن والنهب والظلم والعري واقطاع الطريق وتعطيل المتاجر ، و من قبلى وبحرى وجهات الأرزاق ، وغلو الأثمان . ومع ذلك.....الماكولات، مع شبع الأتقى ، وعدم القحط وتيسير الأمور . فسبحان المدير الفعال .

وبلغ سعر الأردب القمح الى ثمانية عشر ريالاً ، والفول مثل ذلك ، والذرة باثنى عشر ريالاً ، والسمن أربعمائة وأكثر أرطال ، والمسل النحل خمسة وثلاثين نصفاً الرطل ، والأسود عشرين نصفاً ، والأرز ستة وثلاثين ريالاً الأردب . وقس على ذلك !

وأما من مات فى هذه السنة من الأعيان :

فقد مات العملة العلامة ، والنحير الفهامة ، الفقيه النبيه ، الأصولى النحوى المنطقى : الشيخ موسى السرمي الشافعى . أصله من سرس الليانة

(١) نياض بالأمل (ص ٣٢٠ - ٣ طبعة الطبعة الخديوية سنة ١٢٩٧ هـ - ١٨٨٠ م) ، وكذلك فى سائر الوان التى وضعت بها نقط .

فخرج عليه كمين آخر ، احتاطوا به ، وقتلوه وقطعوا رأسه وستة أقطار معه ، وذهبوا برؤوسهم على مزاريق . واقتص الله منه ... فكان بينه وبين قتله للمذكور دون الشهر . وكان مشهوراً فيهم بالشجاعة والاقدام .

وفيه : اجتهدوا فى تشهيل علوفة وذخيرة وجخانة ، وسفروها مع جبلة من العسكر — نحو الخمسمائة — فى يوم الاثنين ثالث عشره .

الأربعاء ٢٥ منه (٢٧ مارس ١٨٠٥ م) :

وصل الدلاة الى الخانكة ، فحضر منهم طائفة ودخلوا الى مصر ، فردوهم الى أصحابهم حتى يكونوا بصحبتهم فى الدخول .

الخميس ٢٦ منه (٢٨ مارس ١٨٠٥ م) :

نزل كنعدا الباشا وصالح أغاقوش ، وخرجوا الى جهة العادلية للاقاة الدلاة المذكورين ، وكبيرهم يقال له ابن كور عبد الله .

الجمعة ٢٧ منه (٢٩ مارس ١٨٠٥ م) :

دخل الدلاة المذكورون ، وصحبهم الكتخدا ، وصالح أغاقوش ، وكاشف الشرقية ، وكاشف القليوبية ، وطوائف العسكر .. ومعهم نقاير وطبول — وهم نحو الألفين وخمسمائة ... أجناس مختلفة ، وأشكال مجتمعة — فذهبوا بهم الى ناحية مصر القديمة ونواحي الآثار .

واقضت السنة ، وما حصل بها من الغلاء ، وتتابع المظالم ، والفرد على البلاد ، واحداث الباشا له مرتبات وشهريات على جميع البلاد ، والقبض على أفراد الناس بأدنى شبهة ، وطلب الأموال منهم وجسمهم . واشتد الضنك فى آخر السنة ، وعدم القمح والفول والشعير ، وغلا ثمن كل شيء ... لولا اللطف على الخلائق بوجود

بالمنفوية ، وحضر الى الأزهر ، ولازم الاستفادة وحضور الأشياخ من الطبقة الثانية ... كالشيخ عطية الأجهوري ، والشيخ عيسى البراوى ، والشيخ محمد الفرماوى ، وغيرهم .

وتهم وأنجب فى المعقولات والمنقولات ، واقراء الدروس . وأفاد الطلبة ، وانطوى الى الشيخ حسن الكفراوى مدة ، ورافقه فى الافتاء والقضايا ، ثم الى شيخنا الشيخ احمد العروسى ، وصار من خاصة ملازميه ، وتخلق بأخلاقه ، وألزم أولاده بحضور دروسه المعقولة وغيرها — دون غيره — لحسن ثقائه وجودة تفهيمه وتقريره .

واشتهر ذكره ، وراش جناحه ، وراج أمره باتسابه للشيخ المذكور .

واشترى أملاكا ، واقتنى عقارا بمصر وببلده سرس ومنوف ، ومزارع وطواحين ومعاصر .

واشترى دارا قيسية بدرب عبد الحق بالأزبكية ، وعدد الأزواج ، واشترى الجوارى والعبيد والحشيات الحسان .

وكان حلو المفاكمة ، حسن المعاشرة ، عذب الكلام ، مهذب النفس ، جميل الأخلاق ، ودودا قبل الادعاء ، محبا لآخواله ، مستحضرا للفروع الفقهية .

وكان يكتب على غالب الفتاوى عن لسان الشيخ العروسى ، ويعتمده فى النقول والأجوبة عن المسائل الفاضلة ، والفروع المشككة .

وله كتابات وتحقيقات . ولم يزل مشغولا بشأنه ، حتى تعلل أياما بدار عميدان القطن ، مطلة على الخليج . وتوفى يوم السبت سادس عشرين جمادى الأولى من السنة .

ومات الجنب المكرم ، والشهير المقغم ، الوزير الكبير ، والدستور الشهير : أحمد باشا الشهير بالجزار . وأصله من بلاد البشناق ، وخدم عند

المرحوم على باشا حكيم أوغلى ، وعمل عنده شفاشيا ، وحضر صحبته الى مصر — فى ولايته الثانية سنة احدى وسبعين ومائة وألف — فتشوقت نفسه الى الحج ، واستأذن مخدمه ، فأذن له فى ذلك ، وأوصى عليه أمير الحج اذ ذاك صالح بيك القاسمى ، فأخذ صحبته وأكرمه ، وواساه رعاية لخاطر على باشا ، ورجع معه الى مصر .

فوجد مخدمه قد انفصل من ولاية مصر ، وسافر الى الديار الرومية . ووصل نعيه بعد أربعة أشهر من ذهابه . فاستمر المترجم بمصر ، وتزيرا بزي المصريين ، وخدم عند عبد الله بيك تابع على بيك بلوط قبان ، وتعلم الفروسية على طريق الأجناد المصرية . فأرسل على بيك عبد الله بيك بتجريدة الى عرب البحيرة ، فقتلوه .

فرجع المترجم مع باقى أصحابه الى مصر ، فقلده على بيك كشوفية البحيرة ، وقال له : « ارجع الى الذين قتلوا أستاذك وخلص ثأره » . فذهب اليهم وخادعهم ، واحتال عليهم ، وجمعهم فى مكان وقتلهم — وهم نيف وسبعون كيرا — وبذلك سعى الجزار ، ورجع منصورا . وأحب على بيك لنجاته وشجاعته ، وتنقل عنده فى الخدم والمناصب والأمريات ، ثم قلده الصنجدية ، وصار من جملة أشرائه .

ولما خرج على بيك منفيا ، خرج صحبته ، ورافقه فى الغربة والتنقلات والوقائع . ولم يزل حتى رجع على بيك وصحبته صالح بيك من الجهة القبيلة ، وقتل خشداشينه وغيرهم ، ثم عزم على غدر صالح بيك ، وأسر بذلك الى خاصته — ومنهم المترجم — فلم يسهل به ذلك ، وتذكر ما بينه وبين صالح بيك من المعروف السابق ، فأسر به اليه وحذره .

فلما اختلى صالح بيك بعلى بيك ، عرض له بذلك . فحلف له على بيك أنه باق على مصافاته ،

بالبقتل والعين والتمثيل ، وقطع الآناف والأذان والأطراف . ولم يفسر زلة عالم لعلمه ، أو ذى جاء لوجاهته .

وسلب النعم عن كثير جدا من ذوى النعم ، واستأصل أموالهم ، ومات في محبسه ما لا يحصى من الأعيان والعلماء وغيرهم ، ومنهم من أطلال حبسه سنين حتى مات .

واتفق أنه استراب من بعض سراريه وماليكه ، فقتل من قويت فيه الشبهة وحرقتهم ، ونفى الباقي .. الجميع ذكورا وإناثا بعد أن مثل بهم ، وقطع آنافهم وأخرجهم من عكا وطردهم وشردهم ، وسخط على من آواهم أو تاواهم... ولو في أقصى البلاد . وحضر الكثير منهم إلى مصر ، وخدموا عند الأمراء ، وانضوى نحو العشرين شخصا منهم وخدموا عند على بيك كنفخا الجاوشية .

فلما بلغ المترجم ذلك ، تغير خاطره من طرفه ، وقطع جبل وداده بعد أن كان يرسله ويواصله دون غيرة من أمراء مصر . وكان ذلك مسبب استيحاشه منه إلى أن مات .

ولما فعل بهم ذلك ، تمصب عليه مملوكاه سليم باشا الكبير وسليمان باشا الصغير — وهو الموجود الآن — وانضم اليهما المتآمرون من خشداشينهما وغيرهم... غيظا على ما فعله بخشداشينهم ، وعلمهم بوحدة وانفرادهم . وخاصة بعكا . ولم يكن معه الا القليل من المساكر البرانيين والفيلة والصيناع الذين يستعملهم في البناء ، فألبسهم طراير مثل الدلاة ، وأصعدهم إلى الأسسوار مع الرماة والطبجية ، وراهم المخالفون عليه فتعجبوا وقالوا : « انه يستخدم الجن » !

وكبس عليهم في غفلة من الليل ، وحاربهم وظهر عليهم ، وأذعنوا لطاعته ، وتفرق عنهم المساعدون لهم ، ثم تبعهم واقتص منهم ... وكاد

وكذب المخبر .. إلى أن كان ما كان من قتلهم وغدرهم لمصالح بيك ، كما تقدم ، واحتج المترجم وتأخره عن مشاركته لهم في دمه ، ومناقشتهم له بعد الانفصال . فتجسم له الأمر ، فتنكر وخرج هاربا من مصر في صورة شخص جزائري . وتقده على بيك ، وأحاط بداره — وكان يسكن بيت شكر فره بالقرب من جامع أزبك اليوسفى — فلم يجدوه .

وسار المذكور إلى سكندرية ، وسافر إلى الروم ، ثم رجع إلى البحيرة ، وأقام بمرج الهنادى ، وتزوج هناك .

ولما أرسل على بيك التجاريد إلى ابن حبيب والهنادى ، حارب المترجم معهم . ثم سار إلى بلاد الشام فاستمر هناك في هجاج وتنقلات ومحاربات . واشترى ممالك ، واجتمع لديه عصابة ، واشتهر أمره في تلك النواحي . ولم يزل على ذلك إلى أن مات الظاهر عمر في سنة تسع وثمانين ومائة وألف ، ووصل حسن باشا الجزائري إلى عكا ، فطلب من يكون كفوا للإقامة بحصنها ، فذكروا له المترجم ، فاستدعاه وقلده الوزارة ، وأعطاه الأطواخ والبيرق .

وأقام بحصن عكا ، وعمر أسوارها وقلاعها ، وأنشأ بها البستان والمسجد ، واتخذ له جندا كثيفا ، واستكثر من شراء الممالك ، وأغار على تلك النواحي ، وحارب جبل الدروز مرارا ، وغنم منهم أموالا عظيمة ، ودخلوا في طاعته ، وضرب عليهم وعلى غيرهم الضرائب ، وجيبت إليه الأموال من كل ناحية حتى ملأ الخزائن ، وكثر الكنوز ، وصار يصانع أهل الدولة ورجال السلطنة ، ويتابع إرسال الهدايا والأموال إليهم .

وتقلد ولاية بلاد الشام ، وولى على البسلاد نوابا وحكاما من طرفه ، وطلع بالحج العسماى مرارا ، وأخاف النواحي وعاقب على الذنب الصغير

البلاد ، وقهر المباد . ونصبت الدولة فخاخا لصيده مرارا فلم يتمكنوا من ذلك . فلم يسعهم بعد ذلك الا مسالته ومسايرته .

وثبت قدمه ، وطار صيته في جميع الممالك الاسلامية ، والقرايات الافرنجية ، والثغور وانشهر ذكره ، وراسله ملوك النواحي وراسلهم ، وهادوه وهابوه .

وبنى عدة صهاريج وملاها بالزيت والسمن والعسل والشيرج والأرز وأنواع الغلة .

وزرع ببستانه سائر أصناف الفواكه والنخيل والأعقاب الكثيرة ، وجدد دولته ثانيا ، واشترى ممالك وجواري بدلا عن الذين أبادهم .

وبالجملة ... فكان من غرائب الدهر ، وأخباره لا يفي القلم بتسطيرها ، ولا يسعف الفكرة بتذكراها . ولو جمع بعضها جاءت مجلدات . ولو لم يكن له من المناقب الا استظهاره على الفرساوية ، وثباته في محاربتهم له أكثر من شهرين — لم يغفل فيها لحظة — لكفاه !

وكان يقول : « ان الفرساوية لو اجتهدوا في إزالة جبل عظيم لأزالوه في أسرع وقت » وقد تقدم بعض خبر ذلك في محله .

وكان يقول : « أنا المنتظر .. وأنا أحد المذكور في الجفور ... الذي يظهر بين القصرين ا » .

واستخرج له كثير من الذين يدعون معرفة الاستخراج عبارات وتأويلات ، ورموزا وإشارات ، ويقولون : « المراد بالقصرين .. مكانان جهة الشام ... أو المحملان » .. أو نحو ذلك من الوسائس .

ولم يزل حتى توفي في آخر هذا العام على فراشه . وكان سليمان باشا تابعه غائبا بالحجاز في أمارة الحج الشامي . فلما علم أنه مفارق الدنيا ، أحضر اسماعيل باشا والي مرعش — وكان في

محبسه يتوقع منه المكروه في كل وقت — فأقامه وكبلا عنه الى حضور سليمان باشا من الحج ، وأعطاه الدفاتر ، وعرفه بملوكة المسكر ، وأوصاه .

فلما انقضى نجه ودفنوه ، صرف النفقة ، واتفق مع طه الكردي وصالح الدولة ، وتحضن بعبا وحضر سليمان باشا فامتنعا عليه ، ولم يمكنه الدخول اليها . فاستمر اسماعيل باشا الى أن أخرجه أتباع المترجم بحيلة ، وملكوا سليمان باشا — بعد أمور لم تتحقق كفيتهما — وذلك في السنة التالية .

ومات عين الأعيان ، ونادرة الزمان ، شاه بندر التجار ... والمرثى بهمه الى سنام الفخار ، النيه النجيب ، والحسيب النسيب : السيد أحمد بن أحمد الشهير بالحروقي الحريري .

كان والده حرايريا بسوق العنبريين بمصر ، وكان رجلا صالحا ، منور الشية ، معروفا بصدق اللهجة والديانة والأمانة بين أقرانه . وولد له المترجم ، فكان يدعو له كثيرا في صلاته وسائر تحركاته . فلما ترعرع ، خالط الناس وكتب وحسب ، وكان على غاية من الحذق والنباهة ، وأخذ وأعطى ، وباع واشترى ، وشارك وتداخل مع التجار ، وحاسب على الألوف ، واتحد بالسيد أحمد بن عبد السلام ، وسافر معه الى الحجاز ، وأحبه وامتزج به امتزاجا كليا ، بحيث صارا كالتوأمين ... أو روح حلت بدلين .

ومات عمدة التجار المراسي ، وهو بالحجاز ، وهو أخو السيد أحمد بن عبد السلام . في تلك السنة — فأحرز مخلفاته وأمواله ، ودفاتر شركائه . فتقيد المترجم بمحاسبة التجار والشركاء

والوكلاء ومحققتهم ، فوفر عليه لسكوكا من الأموال !

واستأنف الشركات والمعاوضات ، وعد ذلك من سعادة مقدم المترجم ، ومرافقته له ، ورجع صحبتة الى مصر ، وزادت محبته له ، ورغبته فيه . وكان لابن عبد السلام شهرة ووصلة بأكابر الأمراء كأبيه ، وخصوصا مراد بيك ، فيقضى له ولأمرائه لوازمهم اللازمة لهم ولأتباعهم ، واحتياجاتهم من التفاصيل والأقمشة الهندية وغيرها . وينوب عنه المترجم في غالب أوقاته وحركاته . ولشدة امتزاج الطبيعة بينهما ، صار يحاكيه في ألفاظه ولغته ، وجميع اصطلاحاته في الحركات والسكنات والخطرات . واشتهر ذكره به عند التجار والأعيان والأمراء . واتحدا بمحمد أغا البارودي — كخدا مراد بيك — اتحادا زائدا ، وأنحفاه بالجرارية ، وخصصاه بالمزايا ، فراج به عند مخدومه شأنهما ، وارتفع به بالزيادة قدرهما .

ولما تأمر اسماعيل بيك ، واستوزر أيضا البارودي ، استمر حالهما كذلك ، بل وأكثر . الى أن حصل الطاعون ومات به السيد أحمد بن عبد السلام في شعبان ، فاستقر المترجم في مظهره ومنصبه — شاه بندر التجار — بواسطة البارودي أيضا ، وسعايته وسعادة طالعه .

وسكن داره العظيمة التي عمرها بجوار الفحامين — محل دكة الحسبة القديم — وتزوج بزوجاته ، واستولى على حواصله ومخازنه ، واستقل بها من غير شريك ولا وارث . وعند ذلك زادت شهرته ، وعظم شأنه ووجاهته ، ونفذت كلمته على أقرانه .

ولم يزل طالعه يسمو ، وسعده يزيد وينمو . وعاد مراد بيك والأمراء المصريون — بعد موت اسماعيل بيك ، وانقلاب دولته — الى اماره مصر

فاختص بخدمته وقضاء سائر أشغاله ، وكذلك ابراهيم بيك وباقي الأمراء . وقدم لهم الهدايا والظرائف ، ووامى الجميع أعلاهم وأدونهم بحسن الصنع ، حتى جذب اليه قلوب الجميع ، ونافس الرجال ، وانعطفت اليه الآمال ، وعامل تجار النواحي والأمصار ، من سائر الجهات والأقطار . واشتهر ذكره بالأراضي الحجازية ، وكذا بالبلاد الشامية والرومية ، واعتمدوه وكتبوه ، وراسلوه وأودعوه الودائع ، وأصناف التجارات والبضائع .

وزوج ولده السيد محمد ، وعمل له مهما عظيما افتخر فيله الى الناية ، ودعا الأمراء والأكابر والأعيان . وأرسل اليه ابراهيم بيك ومراد بيك الهدايا العظيمة ، المحملة على الجمال الكثيرة . وكذلك باقى الأمراء ، ومعها الأجراس التي لها رنة تسمع من البعد ، ويقدمها جمل عليه طبل نقارية ، وذلك خلاف هدايا التجار وعظماء الناس ، والنصارى الأروام والأقباط الكتبة ، وتجار الافرنج ، والأتراك والشوام والمغاربة ، وغيرهم .

وخلع الخلع الكثيرة ، وأعطى البقاشيش والالعامات والكساوى ، ولا يشغله أمر عن أمر آخر يمضيه ، أو غرض ينفذه . ويمضيه ، كما قيل :

أخو عزيمات لا يريد على الذى

بهم به من مقطع الأمر صاحباً

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

ونكب عن ذكر العواقب جانباً

وحج في سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف ، وخرج في تجمل زائد ، وجمال كثيرة ، وتختروانات ، ومواهى ومسطحات . وفراشين وخدم ، وهجن وبغال وخيول .

وكان يوم خروجه يوماً مشهوداً . اجتمع الكثير من العامة والنساء ، وجلسوا بالطريق للفرجة عليه ، ومن خرج معه لتشيعه ووداعه من الأعيان والتجار ، الركاب والراجلين معه منهم ، وبأيديهم البنادق والأسلحة وغير ذلك .

وبعث بالبضائع والذخائر والقومانية ، والأعمال الثقيلة على طريق البحر ، لمرساة ينبع وجدة .

وعند رجوع الركب ، وصل فرنساوية الى بر مصر ، ووصلهم الخبر بذلك .

وأرسل ابراهيم بيك الى صالح بيك أمير الحج ، يطلبه مع الحجاج الى بلبس — كما تقدم — وذهب بصحبته المترجم وجرى عليه ماذكر ... من نهب العرب متاعه وحمله — وكان شيئاً كثيراً — حتى ما عليه من الثياب ، وانحصر بطريق القرين . فلم يجد عند ذلك بدا من مواجهة فرنساوية ، فذهب الى سارى عسكر بونايرته وقابله ، فرحب به ، وأكرمه ولامه على فراره وركونه للسمالك . فاعتذر اليه بجهل الحال ، فقبل عذره ، واجتهد له فى تحصيل المنهوبات ، وأرسل فى طلب المتعدين ، واستخلص ما أمكن استخلاصه له ولغيره ، وأرسلهم الى مصر ، وأصبح معهم عدة من العساكر لخفارتهم ، ويقدمهم طلبهم ، وهم مشاة بالأسلحة بين أيديهم ، حتى أدخلوهم الى بيوتهم .

ولما رجع سارى عسكر الى مصر ، تردد عليه ، وأحله محل القبول ، وارتاح اليه فى لوازمه . وتصدى للامور وقضايا التجار ، وصار مرعى الجانب عنده ، ويقبل شفاعاته ، ويفصل القوانين بين يديه ويدي أكابرهم .

ولما رتبوا الديوان ، تعين من الرؤساء فيه ، وكاتبوا التجار ، وأهل الحجاز ، وشريف مكة بواسطته . واستمر على ذلك حتى سافر بونايرته . ووصل بعد ذلك عرضى العثمانية والأمراء المصرية ،

فخرج فيمن خرج لملاقاتهم ، وحصل بعد ذلك ما حصل من نقض الصلح والحروب .

واجتهد المترجم فى أيام الحرب ، وساعد ، وتصدى بكل همته ، وصرف أموالاً جمة فى المهمات والمؤن .. الى أن كان ما كان من ظهور فرنساوية ، وخروج المحاربين من مصر ورجوعهم . فلم يسعه الا الخروج معهم ، والجللاء عن مصر . فنهب فرنساوية داره ، وما يتعلق به .

ولما استقر يوسف باشا الوزير جهة الشام آنسه المترجم وعاضده ، واجتهد فى حوائجه ، واقترض الأموال ، وكاتب التجار ، وبذل همته وساعده بما لا يدخل تحت طوق البشر . ويراسل خواصه بمصر سرا ، فيطالعونه بالأخبار والأسرار . الى أن حصل العثمانيون بمصر ، فصار المترجم هو المشار اليه فى الدولة ، والتزم بالاقطاعات والبلاد .

وحضر الوزير الى داره ، وقدم اليه التقادم والهدايا . وباشر الأمور العظيمة ، والقضايا الجسيمة ، وما يتعلق بالدول والدواوين ، والمهمات السلطانية .

وازدحم الناس ببابه ، وكثرت عليه الأتباع والأعوان ، والقواسمة والفراشون ، وعساكر رومية ، ومترجمون وكلاجية ووكلاء .

وحضرت مشايخ البلاد والفلاحون الكثيرة بالهدايا والتقادم ، والأغنام والجمال والخيول .

وضاقت داره بهم ، فاتخذ دوراً بجواره ، وأنزل بها الوافدين ، وجعل بها مضاييف وجوساً وغير ذلك .

ولما قصد يوسف باشا الوزير السفر من مصر ، وكله على تعلقاته وخصوصياته . وحضر محمد باشا خسرو ، فاخص به أيضاً اختصاصاً كلياً ، وسلم اليه المقاليد الكلية والجزئية ، وجعله أمين الضربخانة . وزادت صولته وشهرته ، وطار صيته ،

واتسعت دائرته ، وصار بمنزلة شيخ البلد .. بل أعظم .

وتفدت أوامره في الاقليم المصرى والرومى والحجازى والشامى ، وأدرك من العز والجاه والعظمة ما لم يتفق لامثاله من أولاد البلد

وكان ديوان بيته أعظم الدواوين بمصر ، وتغرب وجهاء الناس لخدمته ، والوصول لصدته .

ووهب وأعطى ، وراعى جانب كل من اتنى اليه وأغدى عليه .

وكان يرسل الكساوى في رمضان للأعيان والفقهاء والتجار ، وفيها الشالات الكشميرى ، ويهب المواهب ، ونعم الانعامات ، ويهادى أحبابه ، ويسعفهم وبواسيهم في المهمات .

وعمل عدة أعراس وولائم . وزاره محمد باشا المذكور في داره مرتين أو ثلاثا باستدعاء ، وقدم له التقادم والهدايا والتحابف ، والرخوت الممننة ، والخيول ، والتعابى من الأقمشة الهندية والمقنصات .

ولما ثارت العسكر على محمد باشا ، وخرج فارا .. كان بصحبته في ذلك الوقت ، فركب أيضا يريد الفرار معه ، واختلفت بينهما الطرق ، فصادفه طائفة من العسكر ، فقبضوا عليه ، وعروا ثيابه وثياب ولده ومن معه ، وأخذوا منه جوهرات كثيرا وتقودا ومتاعا . فلحقه عمر بيك الأرقوودى الساكن ببولاك ، وأدركه وخلصه من أيديهم ، وأخذه الى داره وحماه ، وقابل به محمد على وغيره . وذهب الى داره واستقر بها .. الى أن انقضت الفتنة ، وظهر طاهر باشا ، فساس أمره معه ، حتى قتل . وحضر الأمراء المصريون ، فتداخل معهم ، وقدم لهم ، وهاداهم واتحد بهم ، وبعثان بيك البرديسى ، فأبقوه على حالته ، ونجز مطلوبات الجميع .

ولم يتضعض للمزعجات ، ولم يتقهقر من

المفزعات ... حتى أنهم لما أرادوا تقليد الستة عشر صنيقا في يوم ، أحضره البرديسى تلك الليلة ، وأخبره بما اتفقوا عليه . ووجده مشغول البال ، متحيرا في ملزوماتهم ، فهون عليه الأمر وسهله ، وقضى له جميع المطلوبات واللوازم للستة عشر أميرا في تلك الليلة .

وما أصبح النهار الا وجميع المطلوبات ، من خيول ورخوت ، وفراوى وكساوى ومزركشات وذهب وفضة — برسم الانعامات والبقاشيش ومصروف الجيب — حاضر لديه بين يديه ، حتى تعجب هو والحاضرون من ذلك ، وقال له : « مثلك من يخدم الملوك ! » وأعطاه في ذلك اليوم فارسكور زيادة عما بيده .

ولما ثارت العسكر على الأمراء المصريين ، وأخرجوهم من مصر ، وأحضروا أحمد باشا خورشيد من سكندرية ، وقلدوه ولاية مصر — وكان كبعض الأغوات ، مختصر الحال — هيا له رقم الوزارة والرخوت والخلع واللوازم في أسرع وقت ، وأقرب مدة .

ولم يزل شأنه في الترفع والصعود ، وطالعه مقارنا للسعود ، وحاله مشهور ، وذكره منشور ، حتى فاجأته المنية ، وحالت بينه وبين الأمنية .

وذلك أنه لما دعا الباشا في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر شعبان ، نزل الى داره ، وتغدى عنده ، وأقام نحو ساعتين ، ثم ركب وطلع الى القلعة ، فأرسل في أثره هدية جليلة صحبة ولده والسيد أحمد الملا ترجمانه ، وهى : بقج قماش هندى ، وتقاصيل ، ومصوغات مجوهرات ، وشمعدانات فضة ، وتحاف وخيول مرخطة ، ويدونها برسمه ورسم كبار أتباعه .

ومضى على ذلك خمسة أيام . فلما كان ليلة الأحد ثانى عشرين شعبان المذكور ، جلس حصاة من الليل مع أصحابه يحادثهم ، ويملى الكتابة

عنده ، ويتوسط للناس عنده في القضايا والدعاوى ، واشتهر ذكره من حينئذ ، وارتاح الناس عليه في غالب المقتضيات . وبأشر فصل الحكومات بنفسه وكان قليل الطمع ، لين الجانب . ولما تقلد مخدمه الصنجدية ، بقى معه على حالته في القبول والكتخدائية ، وزادت شهرته ، وتداخل في الأمور الجسيمة عند الأمراء .

ولما حضر حسن باشا ، وخرج مخدمه من مصر — مع من خرج — وظهر شأن اسماعيل بيك والعلوين ، استوزره حسن بيك الجداوى ، وعظم أمره أيضا في أيامه ، مع مباشرته لوازم مخدمه الأول وقضاء أشغاله سرا .

واشتري دار مصطفى آغا الجراكسة — التى بجوار العربى بالقرب من الفحامين — وانتقل من السبع قاعات وسكن بها .

وسافر مرارا الى الجهة القبلية سفيرا بين الأمراء البحرية والقبلية في المراسلات والمصالحات ، وكذلك في بعض المقتضيات بالبلاد البحرية .

ولم يزل وافر الخزمة ، حتى كانت دولة العثمانيين ، ولما أمر السيد أحمد المحرقى ، فانضوى اليه — لقرب داره منه — فقيده ببعض الخدم ، وجبى الأموال من البلاد الجسيمة ، فأرسله قبل موته الى جهة بشيش ، فتمرض بها .

فلما تأمر حسن بيك — أخو طاهر باشا — على التجريدة الموجهة الى ناحية قلى ، طلبوا رجلا من المصريين يكون رئيسا عاقلا ... يكون كتخدا ، فأشاروا على المترجم . فطلبه الباشا من السيد أحمد المحرقى ، فأرسل اليه بالحضور . فوصل في اليوم الذى توفى فيه المحرقى . فأقام أياما حتى قضى أشغاله ، وسافر وهو متوعل . وتوفى بسمالوط في ثالث القعدة ، وحضروا برمته في ليلة الجمعة ثامنه ، وخرجوا بجنازته من بيته ، وصلوا عليه بالأزهر ، ودفنوه بالقرافة ... رحمه الله تعالى وغفر له .

المراسلات والحسابات ، فأخذته رعدة . وقال : « انى أجد بردا » . فدثروه ساعة ، ثم أرادوا إيقافه ليدخل الى حريمه ، فحركوه ، فوجدوه خالفا قد فارق الدنيا .. من تلك الساعة التى دثروه فيها . فكتبوا أمره ، حتى ركب ولده السيد محمد الى الباشا في طلوع النهار ، وأخبره . ثم رجع الى داره ، وحضر ديوان افندى والقاضى ، وختموا على خزائنه وحواصله ، واشهروا موته ، وجهزوه وكفنوه ، وصلوا عليه بالأزهر في مشهد حافل ، ثم رجعوا به الى زاوية العربى — تجاه داره — ودفنوه مع السيد أحمد بن عبد السلام . واتفق أمره .

ثم ان الباشا ألبس ولده السيد محمد فروة وقمطانا على الضربخانة ، وما كان عليه والده من خدمة الدولة والالتزام ، ونزل من القلعة صحبة القاضى ، ثم ذهب الى داره ... بارك الله فيه وأعانه على وقته ا

ومات الأمير المجل : على آغا يحيى . وأصله مملوك يحيى كاشف تابع أحمد بيك السكرى الذى كان كتخدا عند عثمان بيك الفقارى الكبير المتقدم ذكرهما .

ولما ظهر على بيك ، وأرسل محمد بيك ومن معه الى جهة قلى — بعد قتل صالح بيك — كان الأمير يحيى في جملة الأمراء الذين كانوا بأسىوط ووقع لهم ما تقدم ذكره من الهزيمة ، وتشتتوا في البلاد ، فذهب الأمير يحيى الى اسلامبول وصحبته مملوكه المترجم . وأقام هناك الى أن مات .

فحضر الأمير على تابعه الى مصر — في أيام محمد بيك — وتزوج بنت أستاذه ، وسكن بحارة السبع قاعات ، واشتهر بها ، وعمل كتخدا عند سليمان آغا الوالى ... الى أن تقلد سليمان آغا المذكور أغاوية مستحفظان . فصار المترجم مقبولا

المحرم

الاثنين غرته (أول ابريل ١٨٠٥ م) :

... ولما نزل الدلاة جهة البساتين وتلك النواحي، فاكلوا زروعات الناس ، ونهبوا دورا بدير الطين ، وطلبوا علوفات زائدة .. رتب لهم الباشا التجرايات والعليق والجامكية وقدرها ستمائة كيس في كل شهر .

الاثنين ٨ منه (٨ ابريل ١٨٠٥ م) :

سافر أناس كثيرة لزيارة مولد سيدنى احمد البدوى المعتاد ، وسافر أيضا الشيخ الشرقاوى وحضر هناك كاشف الغريبة ، وحصل منه قبائح كثيرة ، وقبض على خلائق كثيرة وبلصهم وحبسهم ، وخوزق أناسا كثيرة من غير ذنب ، ولا يقبل شفاعاة أحد في شيء .

وفيه : أتبع قدوم محمد على وحسن باشا الى مصر . وذلك أنهما لما سمعا بوصول طائفة الدلاة ، وأن احمد باشا أرسل اليهم وطلبهم ليتعاضد بهم ، ويقوى بهم ساعده على الأرثوودية ، عزموا على الرجوع الى مصر ليتلافوا أمرهم قبل استفعال الأمر .

الخميس ١١ منه (١١ ابريل ١٨٠٥ م) :

طلب الباشا المشايخ ، وعمر أفندى النقيب ، والوجاقلية وأرباب الديوان . فلما اجتمعوا ، قال لهم : « ان محمد على وحسن باشا راجعان من قبلى من غير اذن ، وطالبان شرا ... فاما أن يرجعا من

حيث أتيا ، ويقاتلا الممالك ... واما أن يذهبا الى بلادهما ، أو أعطيها - ولا بات ومناصب في غير أراضى مصر . ومعنى أمر من السلطان ، ووكيل مفوض ، ودستور مكرم : أعزل من أشياء ، وأولى من أشياء ، وأعطي من أشياء ، وأمنع من أشياء . ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة في كيس حرير أخضر ، وأخبرهم أنها بخط السلطان بما ذكر .. « فأتهم تكونون معى ، وتقيمون عندى صحة كبار الوجاقلية » . فقالوا له : « ان الشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ المهدي غائبون عن مصر » ، فقال : « نرسل لهم بالحضور » . فكتبوا لهم أوراقا من الباشا ، وأرسلوها اليهم مع الساعة يستعجلونهم للحضور . ثم اتفقوا على أن يبيت عنده بالقلعة في كل ليلة اثنان من المتعمين ، واثنان من الوجاقلية ، وأعدوا لهم مكانا بالضربخانة

وأمر بأن يذهب الدلاة والعسكر الباقية الى ناحية طرا والجيزة . وأخذوا مدافع وجبخانه . ووصل محمد على وحسن باشا الى ناحية طرا ومعهم عساكرهم . فلم يجسر الدلاية على منافعتهم .

وكاد لهم محمد على كيدا منها : أنه أرسل اليهم يقول : « انما جئنا في طلب العلائف ، ولسنا مخالفين ولا معاندين » . فقال الدلاية لبعضهم : « اذا كان الأمر كذلك .. فلا وجه للتعرض لهم ، واخلوا من طريقهم » .

ودخل الكثير من طوائف عساكرهم ، ورجع

الدلائية الى اماكنهم بدير الطين وقصر العيني والآثار .

ونزل كتخدا باشا وعمر بك الأرثوذكسى ، فتكلما مع الدلائية ، فقالوا : « ان القوم لم يكن عندهم خلاف ولا تعدى .. واذا كنتم تمنعون وتحاربون من يطلب حقه ، فكذلك تفعلون معنا اذا خدمناكم زمنا ثم طلبنا علائقنا » .

فرجع الكتخدا وعمر بك الأرثوذكسى ، وتتابع دخول أولئك ، فى كل يوم طائفة بعد أخرى ، وسكنوا الدور والبيوت .

الأربعاء ١٧ منه (١٧ أبريل ١٨٠٥ م) :

ذهب اليهم سعيد أغا وقابجى باشا الأسودان ، وسلمنا على محمد على وحسن باشا ثم رجعا .

الجمعة ١٩ منه (١٩ أبريل ١٨٠٥ م) :

دخل محمد على بعد العصر ، وذهب الى بيته بالأزبكية ، ودخل حسن باشا فى صبحها ، ودخلت طوائفهم ، وأخذوا الحمير والبغال وجمال السقائين لينقلوا عليها متاعهم . ودخلوا البيوت ، وأزعجوا السكان ، وأخرجوهم من مساكنهم ، وفتحو البيوت المسدودة ، وكثرت أخلاطهم بالأسواق . ومنع الباشا المشايخ والوجاقلية من الذهاب الى محمد على والسلام عليه .

واستمر الأمر على القلقة والقلق والتوحش . وأخذ محمد على فى التدبير على أحمد باشا وخلعه .

صفر

الأربعاء غرته (أول مايو ١٨٠٥ م) :

استهل والأمر على ماهو عليه ، وسعيد أغا ساع ومجتهد فى اجراء الصلح ، ويركب تارة الى الباشا ، وتارة الى محمد على والى حسن باشا . ويطلع من المشايخ فى كل ليلة اثنان ، وكذلك اثنان من

الوجاقلية يبيتون بمكان فى دار الضرب ، وينزلون فى الصباح .. ولم يعقل لذلك معنى .

وفى كل وقت يقع التشاحن بين أفراد العسكر فى الطرقات ، ويقتلون بعضهم بعضا . وحضر سليمان كاشف البواب ، ومر من خلف الحيزة ، وذهب الى جهة وردان ، وطلب الأموال من البلاد والكلف ، وعدى خازن داره الى بر المنوفية — ومعه عدة كثيرة من العربان — بطلب الأموال من البلاد . ومن عصى عليهم من البلاد ضربوهم ، ونهبوهم وحرقوا أجرائهم ، وكاشف المنوفية داخل منوف لا يقدر على الخروج الى خارج .

وحضر أيضا محمد بك الألفى الى ناحية أبو صير الملق ، وانتشرت طوائفه وعربانه بأقليم الحيزة . ومصر مشحونة بأخلاط العسكر ، وأجناسهم المختلفة ، داخل المدينة وخارجها ، والدالاتية جهة مصر القديمة وقصر العيني والآثار ودير الطين ... يأكلون الزروع ، ويخطفون ما يجدونه مع الفلاحين والمارين ، ويأخذون ما معهم ، ويخطفون النساء والأولاد .. بن و ... فى الرجال الاختيارية !

وفيه : حضر سكان مصر القديمة ، نساء ورجالا ، الى جهة الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من أفعال الدالاتية ، ويخبرون أن الدالاتية قد أخرجوهم من مساكنهم وأوطانهم قهرا عنهم ، ولم يتركوهم يأخذوا ثيابهم ومتاعهم ... بل ومنعوا النساء أيضا عندهم ، وما خلص منهم الا من تسلق ونط من الحيطان .. وحضروا على هذه الصورة . فركب المشايخ الى الباشا ، وخاطبوه فى أمرهم . فكتب فرمانا خطابا للدالاتية بالخروج من الدور ، وتركها الى أصحابها ، فلم يمتثلوا ولم يسمعوا ذلك . وخوطف الباشا ثانيا ، وأخبروه بعصيانهم ، فقال : « انهم مقيمون ثلاثة أيام ، ثم يسافرون » . وزاد الضجيج والجمع ، فاجتمع المشايخ فى

صبحها ، يوم الخميس بالأزهر ، وتركوا قراءة الدروس ، وخرجت سرية من الأولاد الصغار يصرخون بالأسواق ، ويأمرون الناس بفتح الحوانيت وحصل بالبلدة ضجة ، ووصل الخبر الى الباشا بذلك ، فأرسل كتخداه الى الأزهر فلم يجد به أحدا .

وكان المشايخ اتقلوا بعد الظهر الى بيوتهم لأغراض نفسانية ، وفشل مستمر فيهم . فلما لم ير أحدا ذهب الى بيت الشيخ الشراقوى ، وحضر هناك السيد عمر أفندى وخلافه ، فكلّموه وأوهموه ، ثم قام وانصرف . وفي حال خروجه ، رجمه الأولاد بالحجارة ، وسبوه ، وشتموه . وبقي الأمر على السكوت الى يوم الجمعة عاشره .. والمشايخ تاركون الحضور الى الأزهر . وغالب الأسواق والدكاكين مغلقة ، واللفظ والوسوسة دائران . وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة .

وفي ذلك اليوم : نزل أحمد باشا من القلعة ، ودخل بيت سعيد آغا . وذلك أنه ورد قاصد من اسلامبول وعلى يده تقليد لمحمد على بولاية جدة . فامتنع من طلوع القلعة . فوقع الاتفاق على أن الباشا ينزل الى بيت سعيد آغا ، ويخلى على محمد

على هناك . فلما حضر الباشا هناك ، وحضر محمد على وحسن باشا وأخوه عابدى بيك ، وتقلد محمد على باشا ولاية جدة ، ولبس فروة وقاووقا ، وخرج يريد الركوب ... ثارت عليه العسكر ، وطلبوا منه العلوقة . فقال لهم : « هاهو الباشا عندكم » وركب هو وذهب الى داره بالأزبكية ، وصار يفرق وينثر الذهب بطول الطريق . ثم ان العسكر ساروا الى أحمد باشا ومثعوه من الركوب . فلم يزل الى بعد الغروب . فلاطفهم حسن باشا ووعدهم . ثم ذهب مع حسن باشا الى داره وأشيع في المدينة حبسه ، وفرح الناس وباتوا مسرورين .

السبت ١١ منه (١١ مايو ١٨٠٥ م)

فلما طلع النهار — يوم السبت — تبين أنه طلع ثانيا الى القلعة في آخر الليل ، وطلع صحبته عابدى بيك ... فاغتم الناس ثانيا .

وفي ذلك اليوم : طلب الباشا من ابن المحرقى وجرجس الجوهرى ألفى كيس . وأشيع أنه عازم على عمل فرقة على أهل البلد ، وطلب أجرة الأملاك بموجب قوائم الفرنساوية .

وفيه : ركب الدلاة ، وذهبوا الى قليب ، ودخلوها واستولوا عليها وعلى دورها ، وربطوا



قليب

خيولهم على أجرانها ، وطلبوا من أهلها النفقا والكلف ، وعملوا على الدور درايم يطلبونها منهم في كل يوم ، وقرروا على دار شيخ البلد الشواربي كل يوم مائة قرش ، وحبسوا حريمهم عن الخروج — وكان الشواربي بمصر — فوصل اليه الخبر بذلك .

واستمروا على ذلك حتى أخذوا النساء والبنات والأولاد ، وصاروا يبيعونهم فيما بينهم .

وبعد أيام ، أرسل اليهم محمد على ، وقرر لهم الكلف على البلاد ، فصاروا يقبضونها ، ومن عصى عليهم ضربوه ونهبوه . وأرسلوا الى بلدة يقال لها أبو الغيط ، فامتنعت عليهم ، وخرج أهلها ودفنوا متاعهم بالجزيرة المقابلة للقرية . فركبوا عليهم وحاربوهم ، فقتل من الفلاحين زيادة عن مائة شخص . ودلهم بعض الناس من الفلاحين على خباياهم بالجزيرة ، فذهبوا اليها واستخرجوها ... وكانت أشياء كثيرة ، والأمر لله وحده لا شريك له !

والمشايخ تاركون الحضور الى الأزهر . وغالب الأسواق والدكاكين مغلوقة . وبطل طلوع المشايخ والوجاقية ومبيتهم بالقلعة . فحضر الأغا الى نواحي الأزهر ، ونادى بالأمان وفتح الدكاكين في العصر . فقال الناس : « وأى شيء حصل من الأمان .. وهو يريد سلب الفقراء ، ويأخذ أجر مساكنهم ، ويعمل عليهم غرامات ا » وباتوا في هرج ومرج .

الأحد ١٢ منه (١٢ مايو ١٨٠٥ م) :

ركب المشايخ الى بيت القاضي ، واجتمع به الكثير من التعممين والعامة والأطفال ، حتى امتلأ الحوش والمقعد بالناس ، وصرخوا بقولهم : « شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم » . ومن الأولاد من يقول : « يا لطيف .. » . ومنهم من يقول : « يارب يامتجلى .. أهلك العثملى ا » . ومنهم من

يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . وغير ذلك . وطلبوا من القاضي أن يرسل بحضار المتكلمين في الدولة لمجلس الشرع . فأرسل الى سعيد أغا الوكيل ، وبشير أغا — الذي حضر قبل تاريخه — وعثمان أغا قبي كتخدا ، والدفتردار والشمعدانجي . فحضر الجميع ، واتفقوا على كتابة عرض حال بالمطلوبات .. ففعلوا ذلك ، وذكروا فيه تعدي طوائف العسكر ، والايذاء منهم للناس ، وإخراجهم من مساكنهم ، والمظالم والفرد وقبض مال الميرى الممجل ، ونحو طرق المباشرين ، ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك . وأخذوه معهم ، ووعدوه برد الجواب في ثاني يوم .

وفي تلك الليلة : أرسل الباشا مراسلة الى القاضي يرقق فيها الجواب ، ويظهر الامتثال ، ويطلب حضوره اليه من الغد مع العلماء ليعمل معهم مشورة . فلما وصلته التذكرة ، حضر بها الى السيد عمر أفندي ، واستشاروا في الذهاب ، ثم اتفقوا على عدم التوجه اليه . وغلب على ظنهم أنها منه خديعة ، وفي عزمه شيء آخر ، لأنه حضر بعد ذلك من أخبرهم أنه كان أعد أشخاصا لاغتيالهم في الطريق ، وينسب ذلك الفعل لأوباش العسكر ... أن لو عوتب بعد ذلك !

الاثنين ١٣ منه (١٢ مايو ١٨٠٥ م) :

اجتمعوا بيت القاضي ، وكذلك اجتمع الكثير من العامة فمنعواهم من الدخول الى بيت القاضي ، وقفلوا بابيه . وحضر اليهم أيضا سعيد أغا والجماعة ، وركب الجميع وذهبوا الى محمد على وقالوا له : « انا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ، ولا بد من عزله من الولاية » . فقال : « ومن تريده يكون واليا ؟ » فقالوا له : « لا نرضى إلا بك ، وتكون واليا علينا بشروطنا لما تتوسه فيك من العدالة والخير » . فامتنع أولا ثم رضى . وأحضروا له

كركا وعليه قفطان ، وقام اليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى ، فألبساه له ... وذلك وقت العصر . ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة ، وأرسلوا الى أحمد باشا الخبر بذلك ، فقال : « انى مولى من طرف السلطان ، فلا أعزل بأمر الفلاحين ، ولا أنزل من القلعة الا بأمر من السلطنة ! » .

وأصبح الناس ، وتجمعوا أيضا .. فرك المشايخ — ومعهم الجم الغفير من العامة ، وبايديهم الأسلحة والعصى — وذهبوا الى بركة الأزيكية حتى ملأوها . وأرسل الباشا الى مصر العتيقة ، فحمل جمالا من البقسماط والخيرة والجبخانة ، وأخذ غلالا من عرصة الرميثة . وطلع عمر بيك الأرثوودى — الساكن ببولاق — عند الباشا بالقلعة . ثم ان محمد على باشا والمشايخ كتبوا مراسلة الى عمر بيك وصالح أغا قوش — المعضدين لأحمد باشا المخلوع — يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل الباشا ، ولا ينبغى مخالفتهم وعنادهم ، لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم ، وخراب الاقليم .

فأرسلا بقولان فى الجواب : « أرونا سندنا شرعيا فى ذلك » .

الخميس ١٦ منه (١٦ مايو ١٨٠٥ م) :

اجتمع المشايخ بيت القاضى ، ونظموا سؤالا ، وكتب عليه المفتون ، وأرسلوه اليهم . فلم يتعقلوا ذلك ، واستمروا على خلافهم وعنادهم ونزل كثير من أتباع الباشا بشياهم الى المدينة ، وانحل عنه طائفة ينسكجرية ، ولم يبق معه الا طوائف الأرثوود المفضون لصالح أغا قوش وعمر أغا .

وفى هذه الأيام : حضر محمد بيك الألفى ومن معه من أمرائه وعربانه ، وانتشروا جهة الجيزة ، واستقر الألفى بالمنصورة — قرب الأهرام —

واتشترت أتباعه الى الجسر الأسود ، وأرسل سكتابة الى السيد عمر أفندى والشيخ الشرقاوى ومحمد على باشا ، يطلب له جهة يستقر فيها هو وأتباعه . فكتبوا له بأن يختار له جهة يرتاح فيها ، ويتأنى حتى تسكن الفتنة القائمة بمصر .

واستمر أحمد باشا المخلوع ومن معه ، على الخلاف والعناد وعدم النزول من القلعة ، ويقول : « لا أنزل حتى يأقبنى أمر من السلطان الذى ولانى » . وأرسل تذكرة الى القاضى بذكر فيه : « أن العسكر الذين عنده بالقلعة ، لهم جامكية منكسرة فى المدة الماضية ، وأنهم كانوا محولين على مال الجهات ورفع المظالم سنة تاريخه معجلا ، فتقبضونها وترسلونها ، وتعينوا لنا ولهم خرجا ومصاريف الى حين حضور جواب من الدولة . وليس فى اقامتنا بالقلعة ضرر أو خراب على الرعية ، فاننا لا نريد اضرارهم » . فأجابه القاضى بقوله : « أما ما كان من الجامكية المحولة .. فانها لازمة عليكم من ايراد المدة التى قبضتموها فى المدة السابقة ، ومن قبيل ما ذكرتموه من عدم ضرر الرعية ، فان اقامتكم بالقلعة ... هى عين الضرر ، فانه حضر يوم تاريخه نحو الأربعين ألف (١) نفس بالمحكمة ، وطالبون نزولكم ، أو محاربتكم ، فلا يمكننا دفع قيام هذا الجمهور .. وهذا آخر المراسلات بيننا وبينكم ... والسلام » .

فأجابوه بمعنى الجواب الأول . واجتهد السيد عمر أفندى النقيب ، وحرص الناس على الاجتماع والاستعداد ، وركب هو والمشايخ الى بيت محمد على باشا ، ومعهم الكثير من المشايخ والعامة والوجاقلية ، والكل بالأسلحة والعصى والنبايت ، ولازموا السهر بالليل فى الشوارع والحارات ، ويسرحون أحزابا وطوائف ومعهم المشاعل ،

(١) من المرجح انهم « ألف » ، إذ ان من البديهي استحالة اجتماع مثل هذا العدد بالحكمة .

طاهر ومن معه من الأرثوذكس يراعون من بالقلعة من جناسهم ، لأن غالبهم منهم .

الجمعة ٢٤ منه (٢٤ مايو ١٨٠٥ م) :

طلع عابدى بيك — أخو حسن باشا — الى القلعة . ونزل عمر بيك ، وأمروا برفع المتاريس ، وتفرق من بها . وأشيع نزول الباشا من القلعة ، وبات الناس على ذلك ليلة السبت ، وهم على ما هم عليه من التجمع والسروح والحيرة .

السبت ٢٥ منه (٢٥ مايو ١٨٠٥ م) :

مر ثلاثة من العسكر السجبان بناحية مرجوش ، فصادفوا غلاما حماميا من اللاونجية ، خرج ليشتري قهوة . فأرادوا أخذه ، ففر منهم . فضربوه برصاصة وقتلوه . وذلك في صلاة الخنفي . فتبعهم الناس ، فوصلوا الى النحاسين ، وعطفوا على خان الخليلي ، وأرادوا الخلوص الى جهة المشهد الحسيني . فأغلقوا في وجوههم البوابة . فضربوا على المتبعين لهم ، فقتلوا شخصا وجرحوا آخر ، وخرجوا من القبو الى ناحية الصناديق . وفرغ ما معهم من البارود ، فطلقوا الى ربع وكالة الشبراوى (١) ، فاجتمع الناس وكسروا باب الربع ، فنزلوا يريدون الهرب فقتلهم الناس .. وذهبت أرواحهم الى النار !

وفي ذلك اليوم : ركب السيد عمر أفندى في قلة من الناس ، وذهب الى بيت حسن بيك أخى طاهر باشا . وكان هناك عمر بيك الذى نزل من القلعة ، فوقع بينه وبين السيد عمر مناقشة في الكلام طويلة . ومن جملة ما قال : « كيف تعزلون من ولاء السلطان عليكم .. وقد قال تعالى : (أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم) ؟ » . فقال له : « أولو الأمر العلماء ، وحملة الشريعة ، والسلطان العادل ... وهذا رجل ظالم . وجرت

(١) في بعض النسخ (وكالة جومر اللا) .

ويطوفون بالجهات والنواحي وجهات السور ، ثم اتفقوا على محاصرة القلعة . فأرسل محمد على باشا عساكره في جهات الرميّة والحطابة ، وسطرق النافذة مثل : باب القرافة ، والحصيرة ، وطريق الصليية ، وناحية بيت آقبردى ، وجلسوا بالحمودية والسلطان حسن ، وعملوا متاريس في تلك الجهات . وذلك في تاسع عشره .

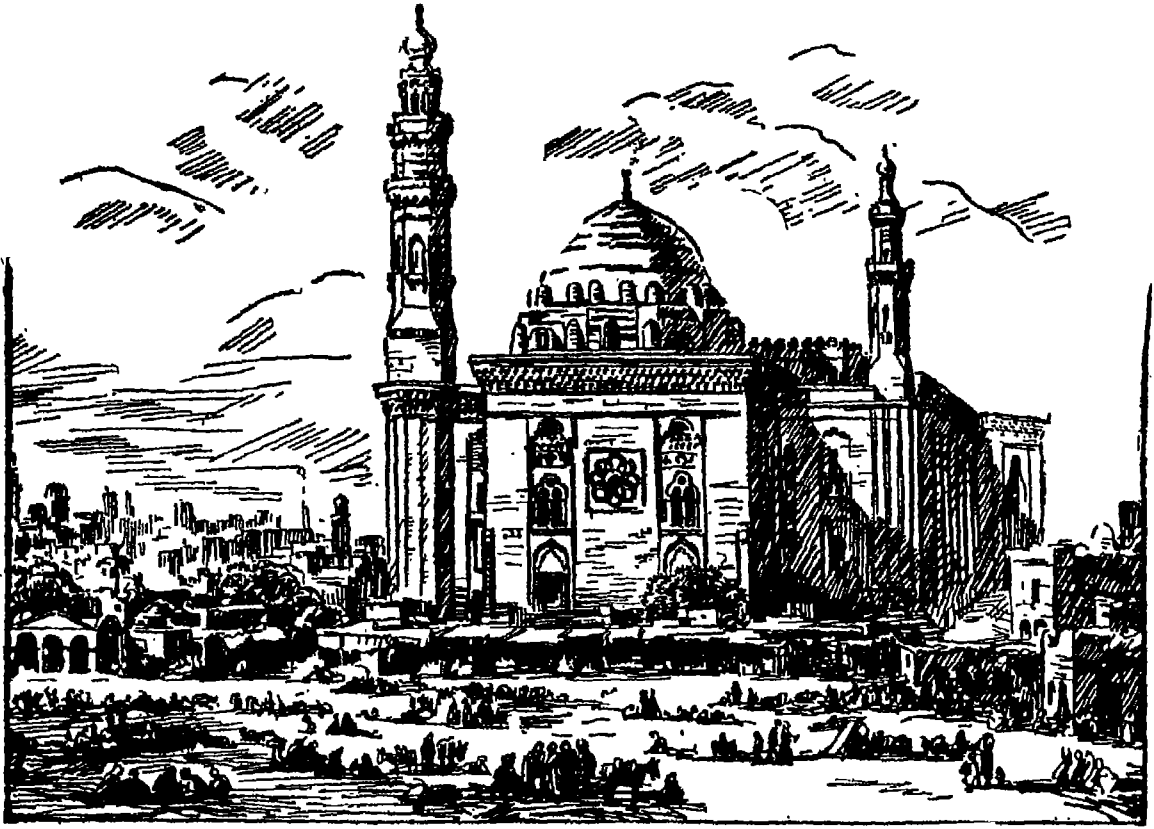
ومنعوا من يطلع ومن يهول من القلعة ، وأغلق أهل القلعة الأبواب ، ووقفوا على الأسوار يكت بعضهم بعضا بالكلام ، ويترامون بالبنادق ، وصعدوا على منارة السلطان حسن يرمون منها الى القلعة .

الأربعاء ٢٢ منه (٢٢ مايو ١٨٠٥ م)

ركب السيد عمر أفندى والمشايخ ، ومعهم جمع كثير من الناس الى الأزبكية . وبعد ركوبهم ، حضر الجمع الكثير من العامة والعصب وطوائف الأجناد والرجاقلية ، وعصب النواحي ، وأهل الحيشية ، والعطوف ، والقرافة ، والرميلة ، والحطابة ، والصليية ، وجميع الجهات — ومعهم الطبول والبيارق — حتى غصت بهم الأزقة ، فحضروا الى جهات الجامع الأزهر ، ثم رجعوا الى الأزبكية ولحقوا بالمشايخ

وخرج المشايخ من عند محمد على باشا ، وذهبوا الى حسن بيك أخى طاهر باشا ثم رجعوا . واستمر الحال على ذلك الى ليلة الجمعة . فنزل بين المغرب والعشاء عدة من العسكر كبيرة ، وفتحوا باب القلعة بالرميلة ، وأرادوا الهجوم على المتاريس . فتابعوا عليهم بالرمى . فلم يزلوا يترامون الى بعد العشاء الأخيرة ثم رجعوا .

وعند ما سمع الناس صوت الرمي ، ذهبوا أرسلوا الى الجهات المتاريس ، ثم عادوا بعد رجوع المذكورين الى القلعة . كل ذلك ، وحسن باشا



جامع السلطان حسن

من اجتماع الناس وسهرهم وطوافهم بالليل ،
واتخاذهم الأسلحة والنبايت ... حتى ان الفقير من
العامة كان يبيع ملبوسه أو يستدين ويشترى به
سلاحاً وحضرت عربان كثيرة من نواحي الشرق
وغيره .

الاثنين ٢٧ منه (٢٧ مايو ١٨٠٥ م) :

ركب السيد عمر وصحبته الوجاقلية ، وأمامه
الناس بالأسلحة والعدد والأجناد وأهل خان الخليلي
والمفارية .. شيء كثير جدا ، ومعهم ييارق ولهم
جلبة وازدهام ، بحيث كان أولهم بالموسكى
وأخبرهم جهة الأزهر . وانفصل الأمر على رجوع
عمر بيك الى القلعة ، ونزول عابدى بيك ، بعد أن
قضوا أشغالهم وعبوا ذخيرتهم واحتياجهم من الماء

العامة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون
الولاة .. وهذا شيء من زمان ، حتى الخليفة
والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونه
ويخلعونهم . ثم قال : « وكيف تحضرونا ، وتغنمون
عنا الماء والأكل وتقاتلوننا ... نحن كفره حتى تفعلوا
معنا ذلك ؟ » قال : « نعم .. قد أفتى العلماء
والقاضي بجواز قتالكم ومحاربتكم ، لأنكم
عصاة » .

فقال : « ان القاضي هذا .. كافر ا » . قال :
« اذا كان قاضيكم كافرا ، فكيف بكم ؟ ! وحاشاه
الله من ذلك . انه رجل شرعى لا يميل عن الحق » .
وانفصل المجلس على ذلك .

وخاطبه الشيخ السادات في مثل ذلك . فلم
يتحول عن الخلاف والعناد ... هذا والأمر مستمر ،

أهل الرملة ، فاجتمعوا وحضروا اليهم — وكبيرهم حجاج الخضرى واسماعيل حودة — وهجموا عليهم ، وقتلوا منهم أنفارا . وانحاز باقيهم الى الوكالة فأغلقوها عليهم فحضر ذو الفقار كتحدا ، ودافع عنهم وأخرجهم ، ثم أرسل الى محمد على ، وأمرهم بالهروب من تلك الجهة .

الجمعة ٩ منه (٧ يونية ١٨٠٥ م)

قتل العسكر شخصا بناحية المظفر ، وآخر بناحية قطرة الأمير حسن .

السبت ١٠ منه (٨ يونية ١٨٠٥ م) :

حصل من بعض أفراد العسكر قبائح ، وقتلوا بعض أنفار وحمارين وبعدين . وقبض الباعة أيضا على أشخاص منهم ، وقتلوا منهم أيضا . وحضرت طائفة من الأرثوود ، وملكوا سبيل اسكندر يباب الخرق . وحضر أيضا طائفة بيت السيد عمر أفندى النقيب ، فقام فهم الحرس الواقفون عند باب البيت فهرب منهم طائفة خالة ودخل منهم البعض ، فحجزوهم . ووقع في الناس هوزعات وكرشات ، ثم أحضر حسن أغا نجاتى المحتسب ، وأمر الأفندى بالمناداة ، فمر وأمامه المنادى يقول : « حسبما رسم السد عمر الأفندى والعلماء لجميع الرعايا ، بأن تأخذوا حذرهم وأسلحتهم ويحترسوا في أماكنهم وأخطاطهم ، وإذا تعرض لهم عسكرى بأذنة قابلوه بمثلها ، والا فلا تعرضوا له » .

وأخذ الناس يعملون متاريس في رؤوس الأخطاط ثم تركوا ذلك .

وحضر أيضا شخص من طرف محمد على ونادى بمثل ذلك ومعه أيضا شخص ينادى بالتركى بمعنى ذلك .

وفي الليلة الماضية حضر كتحدا محمد على ليلا ومعه فرمان أرسله أحمد باشا المخلوع الى الدلاة

والزاد والغنم ليلا ونهارا ، في مدة الثلاثة أيام المذكورة . وقد كانوا أشرفوا على طلب الأمان . وتبين أنهم انما فعلوا ذلك من باب المكر والخديعة . واتفق الحال على إعادة المحاصرة ، وصعد المغرضون الى القلعة ، ونزل أشخاص من المغرضين لأهل البلد اليهم . ورجع السيد عمر الى منزله . وأخذ في أسباب الاحاطة بالقلعة كالأول . وذلك بعد العشاء ليلة الثلاثاء . ووقع الاهتمام في صباحها بذلك ، وجمعوا الفعلة والعريجية ، وشرعوا في طلوع طائفة من العسكر والعرب وغيرهم الى الجبل ، وأصعدوا مدافع ، ورتبوا عدة جمال لنقل الاحتياجات والخبز ، وروابا الماء تطلع وتنزل في كل يوم مرتين . وطلع اليهم الكثير من باعة الخبز والكمك والقهاوى .. وغير ذلك .

ربيع الأول

الخميس غرته (٣٠ مايو ١٨٠٥ م) :

استهل يوم الخميس .. والأمر على ذلك مستمر من تجمع الناس وسهرهم بالليل في سائر الأخطاط .

الثلاثاء ٦ منه (٤ يونية ١٨٠٥ م) :

تجرك العسكر وطلبوا العلوفة من محمد على . فقال لهم : « ليس لكم عندى علوفة حتى ينزل أحمد باشا من القلعة ونحاسبه ، وتأخذوا علائفكم منه » . فلم يمتثلوا ، وتركوا المتاريس التى حوالى القلعة ، فتفرقوا وذهبوا . فذهب جماعة من الرعية وترسوا في مواضعهم ا

الخميس ٨ منه (٦ يونية ١٨٠٥ م) :

حضرت طائفة من العسكر الساكنين بناحية المظفر ، وقت الغروب ، وضربوا على من بالمتاريس من الأجناد والرعية على حين غفلة ، وخطفوا عمامهم وأسلحة ، وأجلوهم عن المتراس وجلسوا به فتسامع

ونحو ذلك . وبالجمله فهى قضية مشكله بين
أوباش مختلفه ، وطباع معوجه منحرفه . ومضت
ليالى المولد الشريف ولم يشعر بها أحد !

وفيه : حضر كبار الدلاة . فخلع عليهم محمد
على باشا خلعا وكساوى ، وسافروا . ثم ارتحلوا
من قليب يريدون الذهاب الى محاربة الألفى وأتباعه
ومن معهم من العرب... فانهم أفحشوا فى لهب البلاد
ونهب الأموال ما لم يسمع بمثله ولم يتقدم نظيره .
فساروا على البلاد والقسرى : يأخذون الكلفه
وينهبون ويقتلون ويفسقون فى النساء والأولاد ،
ولم يذهبوا الى ما وجهوا اليه !

الأربعاء ١٤ منه (١٢ يونيه ١٨٠٥ م) :

حضر كتخدا محمد على وجرجس الجوهري
الى بيت السيد عمر ، وحضر أيضا الشيخ
الشرقاوى والشيخ الأمير والقاضى ، وتشاوروا
على أمر ورأى رآه محمد على باشا .

وأما على باشا السلحدار — الذى جهة
مصر القديمة — فإنه أخذ فى استمالة العسكر
وفتنهم ، وانضم اليه كثير منهم ، ووعدهم
بعلائقهم ، وصار يرسل أحمد باشا سرا ، ويرسل
اليه الخبز واللحم والسكر والخيرة على الجمال
من باب صغير فتحوه من عرب اليسار من داخل .

السبت ١٧ منه (١٥ يونيه ١٨٠٥ م)

أجمع رأى على باشا السلحدار على مكيدة
يصنعها وهو أنه يركب فيمن معه ، ويهجم على
التاريس من جهة الصليية . وأرسل الى مخدومه
يعلمه بذلك ، وأنه اذا هجم من تلك الناحية يساعده
هو من القلعة برمى المدافع والقناير على البلد
والتاريس فتتزعج الناس ، ويتم لهم مأمركه .
وكتب رجب آغا وسليمان آغا — وهما كبيرا
عسكر على باشا المذكور — تذكرة من عندهما

يطلبهم للحضور ، ويذكر لهم أنه يجب عليهم
معاونته صيانة لعرض السلطنة ، واقامة لناموسها
وناموس الدين ، وأن الفلاحين محاصرونه ومانعون
عنه الأكل والشرب .

فلما وصل ذلك فرمان اليهم بقلوب ، أرسلوه
الى محمد على ، وأرسله محمد على الى السيد عمر
أفندى النقيب .

الأحد ١١ منه (٩ يونيه ١٨٠٥ م) :

وقعت أيضا مناوشات ، وتعدى بعض العسكر
ودخلوا باب زويلة ووصلوا الى العقادين . فخرجت
عليهم طائفة المغاربة وغيرهم ، فتتربس منهم جماعة
بجامع الفاكهاني ، فحصرهم به ، وقبضوا على
نحو العشرة أنفار ، فأخذهم السيد محمد المحروقي ،
ودافع عنهم العامة ، وقتل من الفريقين بعض أنفار .
وحضر عابدى بيك وطلبهم ، فسلموهم اليه ،
ورجع .

وفى تلك الليلة أيضا : ذهب جماعة من العسكر
الى جهة الرميلة يطلبون أنفارا منهم ساكنين بتلك
الناحية ، فأخذ أهل الرميلة سلاحهم وحبسوهم
عندهم . فذهبت امرأة من المتزوجات بهم فأخبرتهم ،
فحضر منهم طائفة أواخر النهار وطلبوهم فلم يسلما
فيهم ، وحاربوهم وهزموهم الى جهة الصليية .
وقتل بينهم أنفار ، ورجع العسكر ... واختلطت
القضية ، واشتبه أمرها على أهل البلد ... فلا
يعرف كلا الفريقين صاحب من العدو : فتارة
يتشابك العسكر مع أهل البلد ، وكذلك أهل البلد
معهم ، وتارة تتشابك فرقة منهم مع الكائنين
بالقلعة وتارة الفريقان ليساعد بعضهم بعضا .
واذا وقع بين الكائنين بنواحي حتى الرميلة مع
العسكر ، فرح من بالقلعة وأغروا أولاد البلد بهم .
ومنهم من يغرى العسكر على أولاد البلد ويقولون
لهم بلسانهم وبالعربى : « اضربوا الفلاحين » :

ضربا قليلا ... واستمر ذلك ليلة الثلاثاء وبوم الثلاثاء . فأكثروا الرمي ، وسقطت قنابر وجلل في عدة أماكن مع الضرر القليل . وباتوا على ذلك ليلة الأربعاء ويومه ، وليلة الخميس ويومه الى آخر النهار . وبطل الرمي تلك الليلة . فقال الناس : « انهم تركوا ذلك احتراما لليلة الجمعة » .

الجمعة ٢٣ منه (٢١ يونية ١٨٠٥ م) :

وفي تلك الليلة حضر جماعة من أهل الأطراف ليلا وحرقوا باب الجبل ، وأوقدوا فيه النار . فظن أهل الجبل أن أهل القلعة يريدون الخروج ، فضربوا عليهم مدافع ، فتنبه من بالقلعة وأسرعوا الى جهة باب الجبل ، وضربوا الرصاص . فلما تحقق من بالجبل القضية رموا عليهم أيضا . وتسامع الناس كثرة ضرب الرصاص فلم يعلموا الحقيقة ، ورجع من أتى الى الباب من غير طائل . فلما طلع النهار ظهر الأمر .

وفي اليوم الثاني بعد الظهر ، تساق جماعة من العسكر القلعاوية على سلالم صنعوها من حبال ، ونزلوا الى جهة الحجر لأخذ شيء من الأكل والشرب ، وهم نحو العشرين ، فتنبه الناس لهم ، واجتمعوا بالخطة وأخذوا ما أخذوه من أهل الدور من الخبز والدقيق وقرب ماء ، وصعدوا من حيث أتوا . وأعادوا الرمي بالمدافع والقنابر من عصر يوم الجمعة وليلة السبت ، واستمروا على ذلك . وسقط بسبب ذلك حيطان وبعض من أبنية الدور . وخرج كثير من الناس وبعدها عن جهات الضرب — وخصوصا جهة الأزهر — وذهبوا الى ناحية الحسينية والأطراف ، وخرجت النساء هاربات الى تلك النواحي وبولاق ، وانزعجوا من أوطانهم .

الأحد ٢٥ منه (٢٣ يونية ١٨٠٥ م) :

أرسل كتبخدا محمد علي باشا الى السيد عمر ،

خطابا للسيد عمر أفندي النقيب وباقي المشايخ ، مضمونها : أنهما يريدان الحضور الى جهة القلعة ، ويسميان في أمر يكون فيه الراحة للفرقيين وتسكين الفتنة ، ويلتمسان من المخاطبين أنهن يرسلون الى من بالتاريس من العامة بأن يخلوا لهما طريقا ولا يتمرضوا لهما — فحضر الى السيد عمر أفندي النقيب من أخبره بذلك الاتفاق بعد الفجر ، قبل حضور التذكرة ، فأرسل الى من بالنواحي والجهات وأبخطهم وحذرهم . فاستعدوا وانتظروا وراقبوا النواحي ، فنظروا الى ناحية القرافة فأروا الجمال التي تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا الى القلعة ومعها أنصار من الخدم والعسكر ، وعدتهم ستون جملا ، فخرج عليهم حجاج الخضرى ومن معه من أهالى الرملة ، فضربوهم وحاربوهم ، وأخذوا منهم تلك الجمال ، وقتلوا شخصين من العسكر ، وقبضوا على ثلاثة وحضروا بهم وبرؤوس المقتولين الى بيت السيد عمر فأرسلهم الى محمد علي باشا ، فأمر بقتل الآخرين .

فلما رأى من بالقلعة ذلك ... رموا بالمدافع والقنابر على البلد وبيت محمد علي وحسن باشا وجهة الأزهر ، ولم يزالوا يرسلون الرمي من أول النهار الى بعد الظهر فلم ينزعج أهل البلد من ذلك لما ألفوه من أبام الفرنسيين وحروبهم السابقة . ثم رموا كذلك من العشاء الى سادس ساعة من الليل ، فلم يجهم أحد ، ولم يرموا عليهم شيئا من الجبل مع استعدادهم لذلك .

وأصبحوا يوم الأحد ، فراسلوا الرمي بطول النهار ، وكذلك ليلة الاثنين ويوم الاثنين . هذا وفي كل ليلة يطلع الى الجبل أربعة عشر جملا تحمل قرب الماء : على كل بعير أربع قرب ، وستة أقفاص خبز على ثلاثة جمال ، تقلتين في كل يوم ، وأصعدوا جبجباة وجللا وقنابر ، وضربوا عليهم في ذلك اليوم

وأشار عليه بارسال العتالين والشيالين الى ناحية قلعة الفرنساوية التي بقنطرة الليمون ، لرفع المدفع الكبير الذى هناك . وأرسلوا أشخاصا من الانكليز يتقيدون بذلك . فجمعوا الرجال والأبقار وذهبوا الى هناك ، وأحضروه وأخرجوه من باب البرقية يريدون وضعه عند باب الوزير حيث مجرى السيل ليرموا به على برج القلعة .. واستمروا فى جره يومين .

وفى ذلك اليوم : نزل أيضا ستة أشخاص يريدون أخذ الماء من صهريج جهة الخطابة ، فضرب عليهم من هناك من المتترسين ، فهربوا وطلعوا من حيث نزلوا .

الثلاثاء ٢٧ منه (٢٥ يونية ١٨٠٥ م) :

نصبوا المدفع المذكور وضربوا به ، وضربوا أيضا من أعلى الجبل . ومن بالقلعة بضربون على البلد ، يواصلون الضرب بالمدافع والقناير والبنيات الكبار ، والآلات المحرقة . واستمروا على ذلك الى ليلة الجمعة الأخرى فسكن الرمي تلك الليلة . وأصيب كثير من الدور والحيطان والأبنية . وأصاب أشخاصا قتلتهم ... ووزن بعض البنات فبلغ وزنها — بما فيها — قنطارين !

ربيع الآخر

غرفته (٢٩ يونية ١٨٠٥ م) :

وردت أخبار من ثغر سكندرية بورود قابجى — وهو صالح أغا الذى كان سابقا بمصر بيت رضوان كتحدا ابراهيم بيك — وعلى يده جوانات بالراحة . فحصلت ضجة فى الناس ، وفرحوا ورمحوا بطول ذلك اليوم ، وعملوا شنكا تلك الليلة — التى هى ليلة السبت — ورموا صواريخ فى سائر النواحي ، وضربوا بنادق وقرايين

بالأزبكية وخارج باب الفتوح وباب النصر والمدافع التى على أبراج الأبواب .

ولما سمع من بالقلعة ومن بمصر القديمة ظنوا أن العساكر ، الذين فى قلوبهم مرض ، تحاربوا مع أهل البلد ، فرموا من القلعة بالمدافع والبنب . وحضر على باشا ومن معه من جهة مصر القديمة . ونزل من القلعة طائفة من العسكر جهة عرب اليسار وترسوا هناك . فاجتمع عليهم حجاج وأهل الرملة ومن معهم من عسكر محمد على ، وتحاربوا مع المتترسين والواصلين ، وضربوا من القلعة على محاربهم وعلى أهل البلد ، وكذلك من بالجبل ، ومن بالذنجزية يضربون على القلعة المدافع والسوارىخ .

ونزل أيضا طائفة وهجموا على الذنجزية ، وأرادوا سد فلول المدفع الكبير . فضربوا عليهم وقتل كبيرهم ومعه آخر ، وأخذوا سلاحهما ورؤوسهما وأحضروهما الى السيد عمر . وحصل بالبلدة تلك الليلة من ضرب النار من كل ناحية ما هو عجيب من المستغربات . واختلط الشنك بالحرب ، وصار الضرب من الجبل على القلعة بالبنب والمدافع والسوارىخ ، وكذلك من القلعة على البلد وعلى الذنجزية ، ومنها على القلعة والمحاربين مع بعضهم البعض ، والشنك من كل جهة ، واجتماع الناس والعمامة بالأخطاط والنواحي ، وضربوا طسولا ومزامير وتقرزانات .. وكانت ليلة من القرائب . وأصبحوا على الحال الذى هم عليه من الرمي بالمدافع والبنب !

٣ منه (اول يولية ١٨٠٥ م) :

سافرت أنصار من الوجاقلية وغيرهم لللاقة صالح أغا ، وصحبته طائفة من العسكر ، أرسلها محمد على باشا فى مركب لخفارته . وقد كانوا اتفقوا على سفر بعض المتعمين ، ثم بطل ذلك .

وأرسل السيد عمر أفندى باشجاويش والسيد عثمان البكرى وسلحدار محمد على والخواجة عمر المظلي وبكتاش وأحمد أودة باشا .

٥ منه (٣ يولية ١٨٠٥ م) :

أشيع وصول القابجي الى بولاق ليلا ، فخرج كثير من العامة لملاقاته أفواجا واصطفوا في الأسواق للفرجة عليه ... واستمروا على ذلك الرج بطول النهار ولم يصل أحد . ثم تبين عدم وصوله ، وأنه وصل الى ثغر رشيد .

وفي ذلك اليوم ، وقت الشروق ، حصلت زلزلة عظيمة ، وارتجت الأرض نحو أربع رجات .

٦ منه (٤ يولية ١٨٠٥ م) :

سافر جماعة من المتعممين وهم : السيد محمد الدواخلى ، وابن الشيخ الأمير ، والشيخ بدوى الهيشى ، وابن الشيخ العروسى . واستمر الحال على ذلك اليوم ويوم الخميس والجمعة ، ولم ييطل رمى المدافع والنبب ليلا ونهارا في غالب الأوقات ، ماعدا ليلة الجمعة ويومها الى العضر .

١١ منه (٩ يولية ١٨٠٥ م) :

وصل الخبر بوصول القابجي الى قليب ، وأنه طلع الى بر فوة وسار من هناك . وحصر في ذلك اليوم المشايخ الذين كانوا ذهبوا لملاقاته . فلما أشيع ذلك ، احتجم الناس وطوائف العامة وخرجوا من آخر الليل ، وهم بالأسلحة والعدد والطبول ، الى خارج باب النصر . ووقفوا بالشوارع والسقائف للفرجة .. وكذلك النساء والصبيان ، وازدحموا ازدحاما زائدا . ووصل الأغا المذكور ، وصحبته سلحدار الوزير ، الى زاوية دمر داش ... ونزلا هناك . وعمل لهما اسماعيل الطوبجي الفطور ، فأكلاه وشربا القهوة وركبا ، وانجرت الطوائف والغوغاء من العامة وهم يضربون بالبنادق

والقرايين والمدافع من أعلى سور باب النصر والفتوح . واستمر مرورهم نحو ثلاث ساعات . وخرج كتنخدا محمد على وأكابر الأرثوود ، وطائفة من العسكر كبيرة والوجاقية ، وكثير من الفقهاء العاملين رؤوس العصب ، وأهالى بولاق ومصر القديمة والنواحي ، والجهات مثل : أهل باب الشعرية ، والحسينية ، والعطوف ، وخط الخليفة ، والقرافتين ، والرميلة ، والحطابة ، والحباله ، وكبيرهم حجاج الحضرى ويده سيف مسلول ، وكذلك ابن شمعة شيخ الجزارين وخلافه ، ومعهم طبول وزمور ... والمدافع والقنابر والبنبات نازلة من القلعة . فلم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الأزبكية ، فنزلوا بيت محمد على باشا .

وحضر المشايخ والأعيان وقرأوا المرسوم الذى معه . ومضمونه الخطاب لحمد على باشا والى جده سابقا ، ووالى مصر حالا من ابتداء عشرين ربيع الأول (١٨ يونية ١٨٠٥) حيث رضى بذلك العلماء والرعية . وأن أحمد باشا معزول عن مصر ، وأن يتوجه الى سكندرية بالاعزاز والاكرام حتى ياتيه الأمر بالنوجه الى بعض الولايات . وسكن صالح أغا القابجي المذكور بيت الخواجا محمود حسن بالأزبكية ، وسكن السلحدار عند السيد محمد ابن المحروقى .

١٢ منه (١٠ يولية ١٨٠٥ م) :

ركب السيد عمر فى جمع كثير من العسكر من أولاد البلد والمغاربة والصعائدة والأتراك ، والكل بالأسلحة ، وذهب الى عند محمد على باشا وجلس عنده حصه ، وذهب الى القابجي وسلم عليه ، وذهب الى السلحدار أيضا وسلم عليه ورجع وفيه : بطل الرمي من القلعة وكذلك أبطلوا الرمي عليها من الجبل والذنجزية ، مع بقاء المحاصرة

والتاريس حول القلعة من الجهات ، ومنع الوصول اليهم ، واستمرار من بالجبل .

ويطلع اليهم في كل يوم الجبال الحاملة للخبز وقرب الماء واللوازم . وأما الدلاة فاستقروا بمحلة أبي على ، وطلبوا الفرد والكلف من البلاد . ووصل محمد بيك الألفى الى دمنهور والبحيرة ، فتمنعوا عليه ، فحاصر البلد وضرب عليها ، وضربوا عليه أياما كثيرة .

وفيه : وقع بياب الشعرية مناوشة بين العسكر وأولاد البلد بسبب سكن البيوت ، وكذلك جهة باب اللوق وبولاق ومصر القديمة ، وقتل بينهم أنفار ، وقتل أيضا المتكلم بمصر القديمة . وحصلت زعجات في الناس .

١٣ منه (١١ يولية ١٨٠٥ م) :

مر بعض أولاد البلد بجهة الخرنفش ، فضربه بعض عسكر «حجو» الساكن بيت شاهين كاشف فقتله ، فثار أهل الناحية وتضاربوا بالرصاص . واجتمع العسكر بتلك الناحية ودخلوا من حارة النصارى النافذة من بين السورين ، وصعدوا الى البيوت وقبوا نقوبا ، وصاروا يضربون على الناس من الطبقات .

واجتمع الناس وانزعجوا ، وبنوا متاريس عند رأس الخرنفش ومرجوش وناحية الباسطية برأس الدرب ، وتحاربوا وقتل بينهم أشخاص من الفريقين ونهب العسكر عدة دور ، وتسلقوا على بيت حسن بيك مملوك عثمان الحمامى الحكيم وذبحوه ، ونهبوا بيته الذى برأس الخرنفش ، وكذلك رجل زيات ، وعبد صالح أغا الجلفى ، وحسن ابن كاتب الحردة .. وكانت واقعة شنيعة استمرت الى العصر .

وحضر الأغا وكثخدا محمد على ، فلم تسكن الفتنة . وحضر أيضا اسماعيل الطنجى . ثم سكن

الحال بعد اضطراب شديد ، وبات الناس على ذلك . وسبب هذه الحادثة : أن رجلا عسكريا اشترى من رجل خردجى ملاعق ثم ردها من الغد ... فلم يرض وتسابا ، فضربه العسكرى ، فصاح الخردجى وقال : « مايحصل من الله ... يضرب النصرانى الشريف ! » . فاجتمع عليه الناس ، وقبضوا عليه وسحبوه الى بيت النقيب . فلما قربوا من البيت ضربوه وقتلوه وأخرجوه الى تل البرقية ورموه هناك . فحصل بسبب ذلك ما ذكر .

وفيه : أرسلوا صورة المكاتبه الواردة مع صالح أغا الى الباشا فلم يمتثل وامتنع عن النزول وقال : « أنا متول بخطوط شريفة ، وأوامر منيفة ، ولا أنعزل بورقة مثل هذه » . وطلب الاجتماع بصالح أغا والسليحدار يخاطبهم مشافهة ، ونظر في كلامهم وكيفية مجيئهم . فلم يرضوا بطلوع المذكورين اليه .

١٤ منه (١٢ يولية ١٨٠٥ م) :

وقع بين حجاج الخضرى والعسكر مقاتلة جهة طيلون ، وقتل بينهم أشخاص .

وفيه : تواترت الأخبار بقدم الأمراء المصريين القبلين الى جهة مصر .

وفيه : اجتمع الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير وغالب المتعمين وقالوا : « ايش هذا الحال ؟ وما



الشيخ

يرسلون الى الباشا الكائن بالقلعة ، ويجتمعون عليه بالنزول . فان أبى ... جدوا في قتاله ومحاربته . وذكروا أنه ممالىء الأمراء القبالي ، وهو الذى أرسل بحضورهم ، ومطعمهم في الملكة فلزم الاجتهاد في انزاله من القلعة ، ثم يتفرغون لمحاربة القادمين وبخروجون بهم بالعساكر . ثم قاموا من عنده وذهبوا الى بيت القاضى .

وحضر « حجو أغا » ، الذى كان يحارب بالخرنقش . فرجع صحبته كتنخدا ييك عند السيد عمر ليأخذ بخاطره ، وصحبته طائفة من العسكر فوقوا متفرقين ، ودخل منهم طائفة الى بيت الشيخ الشرقاوى وباقيهم بالشارع ، وتجمع حولهم أهالى البلد بالأسلحة . فاتفق بينهم انطلاق بندقية — اما خطأ أو قصدا — فهاجت الناس وماجت ، واجتمعوا من كل ناحية ، وخرج جاويفية النقابة الى نواحي الدائرة ينادون في اناس ويقولون : « عليكم بيت السيد عمر النقيب .. بامسلمين انجدوا اخوانكم ا » .

وحصلت من تلك البندقية التى انطلقت فزعرة عظيمة وصاح السيد عمر على الناس من الشباك يأمرهم بالسكون والهشوع ... فلم يسمعوا له ، ونزل الى أسفل ووقف بباب داره بصيح بالناس ، فلا يزدادون الا خباطا ، وأقبلوا طوائف من كل جهة ، فصار يأمرهم بالمرور والخروج الى جهة باب البرقية . ولم يزالوا على ذلك الى بعد صلاة الجمعة حتى سكن الحال .

وأقام « حجو » والكتنخدا حتى تغديا مع السيد عمر ، وركبا وذهبا .

ولودى في عصر ذلك اليوم بالأمان ، وفتح الحوائت ، والبيع والشراء ، ولا يرفعون معهم السلاح ، بل يجعلونه معهم في حوائيتهم تحذرا من غدر العسكر . وفتحوا أبواب الأزهر .

تدخلنا في هذا الأمر والفتن ؟ » . واتفقوا أنهم يتباعدون عن الفتنة ، وينادون بالأمان ! وأن الناس يفتحون حوائيتهم ويجلسون بها ، وكذلك يفتحون أبواب الجامع الأزهر ، ويتقيدون بقراءة الدروس ، وحضور الطلبة . وركبوا الى محمد على وقالوا له : « أنت صرت حاكم البلدة ، والرعية ليس لهم مقارشة في عزل الباشا ونزوله من القلعة ، وقد أفاك الأمر فننذه كيف شئت » . وأخبروه بأمرهم . فأجابهم الى ذلك .

وركب الأغا ، وصحبته بعض التتممين ، ونادوا في المدينة : بالأمن والأمان ، والبيع والشراء ، وأن الناس يتركون حمل الأسلحة بالنهار . واذا وقح من بعض العسكر قباحة رفعوا أمره الى محمد على ، وإن كان من الرعية رفعوه الى بيت السيد عمر النقيب . واذا دخل الليل حملوا الأسلحة وسهروا في أخطائهم على العادة ، وتحفظوا على أماكنهم فلما سمع الناس ذلك أنكروه وقالوا : « اش هذا الكلام ؟ حينئذ نصير طعمة للعسكر بالنهار وغفراء بالليل ! والله لاترك حمل أسلحتنا ولا نمثل لهذا الكلام ، ولا هذه المناداة » .

ومر الأغا ببعض العامة المتسلحين فقبض عليهم ، وأخذ سلاحهم ، فازدادوا قهرا ، وباتوا على ذلك . واجتمعوا عند السيد عمر النقيب ، وراجعوه في ذلك ، فاعتذر وأخبر بأن هذا الأمر على خلاف عن مراده !

١٥ منه (١٣ يولية ١٨٠٥ م)

حصل خسوف قمر كلى . وكان ابتداءؤه من بعد العشاء الأخيرة بنصف ساعة ، وانجلى في سابع ساعة ..

وأصبح يوم الجمعة : فحضر عند السيد عمر كتنخدا ييك وعابدى ييك في جمع من العسكر ، وجلسوا عنده ساعة ، وذكروا له أن في عصرها

١٦ منه (١٤ يولية ١٨٠٥ م) :

فتح الناس بعض الحوانيت . ونزل المشايخ الى الجامع الأزهر وقرأوا بعض الدروس ، ففترت هم الناس ورموا الأسلحة ، وأخذوا يسبون المشايخ ويشتمونهم لتخذيلهم إياهم . وشمخ عليهم العسكر وشرعوا في أذيتهم ، وتعرضوا لقتلهم واضرارهم .

١٧ منه (١٥ يولية ١٨٠٥ م) :

قتلوا أشخاصا في جهات متفرقة . وضح الناس وأغلقت الدكاكين ، وكثرت شكوايهم . وأقلقوا السيد عمر النقيب وهو يعتذر اليهم ويقول لهم : « اذهبوا الى الشيخ الشراوى والشيخ الأمير فهما اللذان أمرا الناس برمي السلاح » . فلما زادت الشكوى نادوا في الناس بالعود الى حمل السلاح والتحذر .

وفيه : وصل الأمراء القبطيون الى قرب الجيزة ، وعدى منهم طائفة الى البر الشرقى جهة دير الطين والبساتين وهم : عباس بيك ، ومحمد بيك المنفوخ ، ورشوان كاشف ، وهدموا قلاع طرا وساووها بالأرض .

١٨ منه (١٦ يولية ١٨٠٥ م) :

ركب محمد على وخرج الى جهة مصر القديمة ، وصحبته حسن باشا وأخوه عابدى بيك ، فنزل بقصر بلفيه ، وأقاموا الى العصر وخرج كثير من العسكر الى ناحية مصر القديمة ثم ركب محمد على وحسن باشا وأخوه في آخر النهار ، وساقوا الى جهة البساتين ومعهم العساكر أفواجا . فلما قربوا من الأمراء المهرين تهمقروا الى خلف ، ورجعوا الى جهة قبلى . وقيل عدوا الى بر الجيزة ، وانضم اليهم على باشا الذى بالجيزة . واستمر محمد على ومن معه بمصر القديمة ، وتراموا بالمدافع .

١٩ منه (١٧ يولية ١٨٠٥ م) :

حضر أيضا جماعة من القبلين الى الجيزة ، وتراموا بالمدافع والنب من البرين ، ذلك اليوم وليلة الأربعاء .

وفيه : عدى طائفة الدلاة الكائنين بالبر الغربى ، وانضم اليهم المقيمون بجزيرة بدران ، وحضروا الى بولاق وهجموا على البيوت ، وأخرجوا سكانها قهرا عنهم ، وأزعجهم من أوطانهم وسكنوها ، وربطوا خيولهم بخانات التجار ووكالة الزيت . فحضر الكثير من أهالى بولاق الى بيت السيد عمر ، وتظلموا وتشكوا . فأرسل الى كتحدا يك ينعمهم من ذلك ، فلم يمتنعوا واستمروا على فعلهم وقبائحهم !

وفيه : طلب محمد على باشا دراهم سلفة من النصرارى والتجار ، وقرروا فردة على البلاد والبنادر ، وهى أول طلبة طلبها بعد رأسته وفيه : أرسلوا بنائين وخسائة فاعل لبناء ما تهدم من حصون طرا .

٢١ منه (١٩ يولية ١٨٠٥ م) :

وردت أخبار بوصول قبطان باشا الى ثغر سكندرية وأبى قير ، وصحبته مراكب كثيرة لا يعلم المرسلون أخبار من بها . فاجتمع المشايخ واتفقوا على كتابة عرضحال يرسلونه اليه مع بعض المتعممين ، ثم اختلفت آراؤهم فى ذلك !

٢٥ منه (٢٣ يولية ١٨٠٥ م) :

ورد الخبر بورود سلحدار قبطان المذكور الى شلقان . فأعرضوا عن ذلك .

وفيه : وقع بين طائفة من العسكر الكائنين ببولاق وأهل البلد مناوشة ، بسبب نقب البيوت . وقتل بينهم أنفار ، واستظهر عليهم أهل بولاق .

٢٦ منه (٢٤ يولية ١٨٠٥ م)

يجره ، وأمر به ، فأخذوه وقتلوه ، ورموه ببركة
الأزبكية .

٢٨ منه (٢٦ يولية ١٨٠٥ م) :

أحضروا سبعة رؤوس وعلقوها على السبيل
المواجه لباب زويلة . ذكروا أنها من ناحية دمنهور ،
وعلى أحدها ورقة مكتوبة أنها رأس شاهين بيك
الألفى ، وأخرى سلحداره ، وهى متغيرة جدا
ومحسوة تبنا ، ولا يظهر لها خلق ، ولم يكن لذلك
صحة .

وفيه : أخبر الاخباريون بأن الألفى ارتحل من
دمنهور ، ولم ينل منها غرضه ، وأنه كبس على
سليمان كاشف البواب ونهب مامعه ، وقيل انه قتل
وفى رواية وقع الى البحر ، وهرب باقى أتباعه الى
جهة المنزلات فى أسوأ حال ، وأخذ منه شيئا كثيرا
.. وهو ما جمعه فى هذه السرحة ، وذلك خلاف
ما جمعه فى العام الماضى عندما كان كاشفا بمنوف
.. ومن ذلك أنه لما قتل موسى خالد ، أخذ منه
مالا كثيرا ، وذلك خلاف ما دل عليه من خباياه

رفبه : طلع السلحدار المذكور وصحبته صائح أغا
القابجى ، الذى وصل قبله الى القلعة ، واجتمع
بأحمد باشا المخلوع وتكلما معه . فقال : « أنا
لست بعاص ولا مخالف للأوامر ، وإنما لصالح
أغا وعمر أغا علائف نحو خمسمائة كيس باقية ،
ولم يبق عندى شيء سوى ما على جسدى من
الثياب . وقد أخذ العسكر المحاربون موجوداتى
جميعا . فإذا طيبتهم خواطرهما نزلت فى الحال » .
فنزلا بذلك الجواب ، ثم ترددوا فى الكلام والمقد
والإبرام . ولم يحسن السكوت على شيء .

وفيه : وصل الأمراء القبالي الى حلوان . وعلى
بيك أبواب دخل الى الجزيرة صحة من بها ، وسليمان
بيك حارجها .

وصل السلحدار الى بولاق ، وركب من هناك
الى المكان الذى أعد له ، وصحبته مكاتبة الى
أحمد باشا المخلوع . ومضمونها : الأمر بالنزول
من القلعة ساعة وصول الجواب اليه من غير تأخير ،
وحضوره الى الاسكندرية . وجواب آخر الى
محمد على بإبقائه فى القائمقامية حيث ارتضاه
الكافة والعلماء ، والوصية بالسلوك
والرفق بالرعية .. والكلام المحفوظ المعتاد الذى
لا أصل له . وأن يقلد من قبله باشا على عسكر
يعين ارساله الى البلاد الحجازية ، ويشغل له جميع
احتياجاته من الجيخانة وسائر الاحتياجات
واللوازم فأرسلوا الى أحمد باشا المخلوع بحوايه
فقال : « حتى يطلع الى السلحدار الواصل
ويخاطبني مشافهة » .

٢٧ منه (٢٥ يولية ١٨٠٥ م) :

قبض المحافظون على خيال مقبل من جهة مصر
القديمة يريد الطلوع الى القلعة من آخر النهار ،
ووجدوا معه أوراقا . فأخذوه الى محمد على باشا
فوجدوا فى ضمنها خطابا الى الباشا المخلوع مر
على باشا وباسين بيك الكائنين بالجيزة ، مضمونها :
« أنه فى صبح يوم الجمعة تطلق من الجيزة سبعة
سوارىخ تكون إشارة بيننا وبينكم ، فعندما
ترونها .. تضربون بالمدافع والبنب على بيت محمد
على ، ونحن نعدى الى مصر القديمة ، ويصل
البردى من خلف الجبل الى جهة العادلية . ويأتى
باقى المصريين من ناحية طرا ، ويقوم من البلدة على
من فيها فيشغلون الجهات ويتم المرام بذلك » .

فلما اطلع محمد على على ذلك — وكان القاضى
حاضرا عنده — اشتد غيظه على ذلك الرجل ،
ووجده من الأكراد .. فاستجار بالقاضى . فلم

٢٩ منه (٢٧ يولية ١٨٠٥ م) :

ناحية بشتيل ، وحضروا الى جهة ابابا يوم
الثلاثاء ، وتحاربوا مع من بها حتى أجلوهم عنها .
وعملوا هناك متارس في مقابلتهم . واستمروا على
ذلك يتضاربون بالمدافع .

السبت ٧ منه (٣ اغسطس ١٨٠٥ م) :

طلع بشير آغا القابجي وصالح آغا السلحدان
الى القلعة ، وتكلموا مع أحمد باشا ومن معه . وقد
كانت وردت مكاتبات من قبطان باشا في أمر أحمد
باشا .. ثم نزلوا ، وصحبتهم كتحدا أحمد باشا ،
الى بيت سعيد آغا الوكيل ، وركبوا معه الى بيت
محمد على باشا ، واختلوا مع بعضهم . ثم طلع صالح
آغا وأربعة من عظمائهم .. ثم نزلوا .. ثم طلعوا ،
وترددوا في الذهاب والاياب ومرادة الخطاب .
وبات الكتخدا أسفل ، وطلب القلعاويون شروطا
وعلائقهم الماضية وغير ذلك . واتتهى الكلام بينهم
على نزول أحمد باشا المخلوع في يوم الاثنين
وتسليم القلعة والجبخانه .

الاثنين ٩ منه (٥ اغسطس ١٨٠٥ م) :

طلبوا جمالا لحمل أثقالهم . فأرسلوا الى السبت
عمر ، فجمع لهم من جمال الشواغرية مائتي جمل .
فنقلوا عليها متاعهم وفرشهم . وأنزل الباشا حريمه
الى بيت مصطفى آغا الوكيل ، ونزل كثير من
عساكرهم وخدمهم ، وهم متغيرو الصور ، وذهب
أكثرهم بعزالهم الى بولاق . ونهبوا بيوت الرعايا
التي بالقلعة ، وأخذوا ما وجدوه فيها من المتاع .
وطلع حسن آغا مرششمه بجملته من العسكر الى
القلعة . وانقضى ذلك اليوم ولم ينقض نزولهم .
وحضر الوالى أيضا وقت العشاء الى بيت السيد عمر
وطلب خمسين جملا .. فلم يتيسر الا بعضها !

الثلاثاء ١٠ منه (٦ اغسطس ١٨٠٥ م) :

أنزلوا باقى متاعهم . ونزل الباشا المخلوع

عدى ياسين بيك من الجيزة الى متارس
الروضة — ولم يكن بها سوى الطبخية — فطلعوا
اليهم وقبضوا على بعضهم ، وأخذوا منهم ثلاثة
مدافع ، وسدوا فالية المدفع الكبير ، وآخر رموه
الى البحر . فثارت رجة بمصر القديمة والروضة ،
وضربوا بالمدافع والرصاص .

ورجع الواصلون من الجيزة الى أمابكنهم .
وحضر الألقى الى جهة الطرانة .

وفيه : حضر صالح آغا القابجي الى السيد عمر
النقيب ، وأخبره أنهم تواعدوا مع أحمد باشا في
عصر غد من يوم السبت : اما أن ينزل ، أو يستمر
على عصيانه .

فلما كان يوم السبت — في الميعاد — أفرجوا
عن ضعفاء الرعية الكائنين بالقلعة ، وكذلك النساء .
بعدما أخذوا ما معهم من الأمتعة والثياب ، وأبقوا
عندهم الشبان والأقوياء للمعاونة في الأشغال .
وأظهروا المخالفة وامتنعوا من النزول ، وباتوا على
ذلك . وكثر اللغط في الناس .. وانقضى شهر ربيع
الثانى على ذلك .

جمادى الأولى

الأحد غرته (٢٨ يولية ١٨٠٥ م)

ضربوا ثلاثة مدافع من القلعة وقت الشروق .
وكانها اشارة وعلامة لأصحابهم .

الاثنين ٢ منه (٢٩ يولية ١٨٠٥ م) :

سبح جماعة من الجيزة الى جهة ابابا . وكان
بيولاق طائفة من العسكر يترامحون بجهة ديوان
العشور ، فضربوا عليهم مدافع ، فحصل بينولاق
ضجة . وركب محمد على باشا أواخر النهار
وذهب الى بولاق ، ونزل بيت عمريك الأرثوودى
ووصب جملة من العسكر ، وعدوا ليلا وطلعوا

الأحد ١٥ منه (١١ أغسطس ١٨٠٥ م) :

نزل أحمد باشا المخلوع الى المراكب من بولاق ، وسافر الى جهة بحرى بعياله وأتباعه المختصين به ، وتخلف عنه كتخداه وعمر بيك وصالح قوش والدفتردار وكثير من أتباعه ، ولم يسهل بهم مفارقة أرض مصر وغنائمها .. مع أنهم مجتهدون في خرابها !

وفيه : وصل الألفى الكبير والصغير الى بر الجيزة .

الاثنين ١٦ منه (١٢ أغسطس ١٨٠٥ م)

اتفق جماعة من الأرثوود وقصدوا الذهاب الى بر الجيزة ، فوصل خبرهم الى محمد على باشا ، فأرسل اليهم عسكريا ، ومعهم حجو ، فلحقهم عند المعادى بحرى بولاق ، فقتلوا منهم نحو العشرين وهرب باقيهم وتفرقوا .

وفيه : بنى حجاج الخضرى حائطا وبوابة على الرملة عند عرصات الغلة .

الأربعاء ١٨ منه (١٤ أغسطس ١٨٠٥ م) :

قبض محمد على باشا على جرجس الجوهري ومعه جماعة من الأقباط ، فحبسهم ببيت كتخداه ، وطلب حسابه من ابتداء سنة خمس عشرة ، وأحضر المعلم غانى الذى كان كاتب الألفى بالصعيد وألبسه منصبه فى رئاسة الأقباط ، وكذلك خلع على السيد محمد بن المحروقى خلع الاستمرار على ما كان عليه أبوه من أمانة الضربحانة وغيرها .

وفى تلك الليلة : قتل شخص كبير بيكباشى تحت بيت الباشا بالأزبكية ، وضربوا لموته مدفعا ... وذلك لأمر تقموه عليه .

وفيه : سافر كتخداه بيك الى جهة المنوفية ، وقبض على كاشفها ، وأخذ مامعه من الأموال التى

من باب الجبل فى رابع ساعة من النهار على جهة باب النصر ، ومر من خارجه الى جهة الخروبى . وذهب الى بولاق ، وصحبته كتخداه محمد على باشا ، وعمر بيك ، وصالح أغا قوش . وأنزل صحبته مدافع تعوق بعضها عند الدنجزية لضعف الأكاديش . ومسكن بيت السيد عمر النقيب . وسكن صالح أغا بيت شيخ السادات وذلك عاشر جمادى الأولى .

واطمأن الناس بعض الاطمئنان مع بقاء التحرز وأرسل السيد عمر فنادى تلك الليلة باستمرار الناس على التحرز والمهر وضط الجهات ... فان القوم لا أمان لهم ، وانحشروا فى داخل المدينة والوكائل والييسوت ، ولا يتركون قبائهم .

وأما الأمراء المصرية ، فانهم وصمسلوا الى التين ، واجتمعوا هناك ، ماعدا على يسك أيوب وسليمان بيك وعباس بيك ، فانهم بالجيزة مع على باشا وياسين بيك . وأما الدالاتية الأنجاس فانهم مسترون على نهب البلاد وسلب الأموال وأذية العباد . ونهبوا كاشف الغريبة وهجموا على سمندود - وهى مدينة عظيمة - فنهبوا بيوتها وأسواقها ، وأخذوا ما فيها من الودائع والأموال وشبوا النساء ! وفعلوا فعلا شنيعة تقشعر منها الأبدان ، ثم انتقلوا الى المحلة الكبرى .. وهم الآن بها .

وأما محمد بيك الألفى فانه حاصر دمنهور مدة مديدة ، فلم يتمكن منها ، ثم ارتحل عنها ورجع مقبلا ووصل الى ناحية الطرانة . وأما قبطان باشا فانه لم يزل مقيما على ساحة أبى قير .

الخميس ١٢ منه (٨ أغسطس ١٨٠٥ م) :

وصلت الأخبار بذهاب قبطان باشا الى مكندرية .

مشهم التبعة وقيام الرحبة . فقالوا لهم : « هلنا لا يصح ، ولم يكن بيننا وبينكم موعد ولا استعداد ، والأولى ذهابكم والا أحاطت بنا وبكم المساكر وقتلونا معكم » .

فعند ذلك ركبوا وخرجوا من باب البرقية ، وبعد خروجهم حضر في أثرهم حسن بيك الأرثوودي في عدة وافرة من المسكر ، وهم مشاة ، وخرج خلفهم فوجدهم خرجوا الى الخلاء ، فرجع على أثره .

وأما الفرقة الأخرى ، فانهم وصلوا الى باب زويلة ، وتقدموا قليلا الى جهة الدرب الأحمر . ف ضرب عليهم المسكر الساكنون هناك بالرصاص ، فرجعوا القهقري الى داخل باب زويلة ، وأرادوا الدخول الى جامع المؤيد والكرنكة بتلك الناحية . ف ضرب عليهم المغاربة والمرابطون هناك ، فأصيب منهم أشخاص ... وقوى جأش المسكر الذين جهة الدرب الأحمر لما سمعوا ضرب الرصاص ،



طلة الغرنشي

جمعها من منهوبات البلاد ، ودل على ودائمه وأخذنا أيضا .. ووجد له غلالا كثيرة ومواشي وغير ذلك .

الجمعة ٢٠ منه (١٦ أغسطس ١٨٠٥ م - ١١ مسرى ١٢٢١ ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودي بذلك . وأصبح في ذلك اليوم وصول فرقة من الأمراء المصريين من خلف الجبل . وبات الناس مستعدين للفرجة على موسم الخليج على العادة . فأمر الباشا باخراج الخيام والنظام الى ناحية الجسر وعمل الحراقة ، ثم أمر بكسر السد ليلا . فما طلع النهار الا والماء يجري في الخليج ، ولم يذهب الباشا ولا القاضي ولا أحد من الناس ، ولم يشعروا بذلك .

وكان قد بلغه ورود الأمراء ، فتأخر عن الخروج ... وهم ظنوا خروجه مع المسكر الى خارج المدينة .

وفي وقت الشروق من ذلك اليوم : وصل طائفة من الأمراء الى ناحية المذبح ، وكسروا بوابة الحسينية ، ودخلوا من باب الفتوح في كبكة عظيمة وخلفهم ثقاقير كثيرة وجمال وأحمال ، فشقوا من بين القصرين حتى وصلوا الى الأشرفية . وشخص لهم الناس ، وضجوا بالسلام عليهم وبقولهم : « نهار مبارك وسعيد .. والحمد لله على السلامة » . وشخص الناس وبهتوا وخمنوا التخامين . فلما وصلوا عطفة الخراطين افترقوا فرقتين ... فدخل عثمان بيك حسن وشاهين بيك المرادى وأحمد كاشف ، سليم وعباس بك وغيرهم : كشاف وأجناد ومباليك وعبيد كثيرة نحو الألف ، وخلف كل طائفة ثقاقير وهجن ، وبأيديهم البنادق والسيوف والأسلحة . ومروا بالجامع الأزهر ، وذهبوا الى بيت السيد عمر والشيخ الشرقاوى . فامتنع السيد عمر من مقابلتهم ... فدخلوا الى بيت الشيخ الشرقاوى ، وحضر عندهم السيد عمر . فطلبوا

وتنبه غيرهم أيضا ، واجتمعوا لمعاونتهم ، وانصرع منهم ثلاثة أشخاص وقموا الى الأرض .

فلما عاينوا ذلك ، ولوا الأدبار . وتبعهم المسكر يضربون في أقيمتهم ، فلم يزالوا في سيرهم الى النحاسين .. وقد أغلق الناس بوابة الكمكين ، وكذلك بوابة الحراطين ، وبوابة البندقانيين .

وكان « حجو » الساكن بالخرنقش عندما سمع بدخولهم لحقه الفزع والخوف ، فخرج من بيته بمسكره يريد الفرار ، وخرج من عطفة الخرنقش وذهب الى جهة باب النصر لظنه أنه لا يمكنه الخروج من باب الفتوح الذي دخلوا منه ... فلما وصل الى باب النصر وجده مغلقا ، وامتنع المرابطون عليه من فتحه . فعاد على أثره وذهب الى باب الفتوح ، فلم يجد به أحدا ، فاطمأن حينئذ وعلم سوء رأيهم فأغلقه وأجلس عنده جماعة من أتباعه .

ورجع على أثره الى جهة بين القصرين ، فصادف ادبار الجماعة والعسكر في أقيمتهم بالرصاص ، فعند ذلك قوى جأشه وضرب في وجوههم هو ومن معه من المسكر . فاقتبل القوم وسقط في أيديهم ، وعلموا أنه قد أحيط بهم ، فنزلوا عن خيولهم ، ودخل منهم جماعة كثيرة جامع البرقوقية ، وذهب منهم طائفة كبيرة بخيولهم نحو المائة الى جهة باب النصر فوجدوه مغلقا ، فنزلوا أيضا عن خيولهم ودخلوا المطوف ، ونطوا من السور الى الخلاء ، وتفرق منهم جماعة اختفوا في الجهات وبعض الوكائل والبيوت .

ولما انحصر الذين دخلوا جامع البرقوقية وأغلقوا على أنفسهم الباب... احتاظت بهم العسكر وأحرقوا الباب ، وتسور أيضا عليهم جماعة من العطفة التي بظاهر البرقوقية ، وقبضوا عليهم ، وعروهم ثيابهم وأخذوا مامعهم من الذهب والنقود والأسلحة المثلثة ، وذبحوا منهم نحو الخمسين مثل

الأغنام ، وسحبوا نحو ذلك العدد بالحياة عرايا مكشوفو الرأس ، حفاة الأقدام ، الأيدي .. يضربونهم ويصفعونهم على آة ووجوههم ، ويسبونهم ويشتمونهم ويسحبو وجوههم حتى ذهبوا بهم وبرؤوس القتلى الباشا بالأزبكية ... وكان قد استعد للفرار في أمره ، ونزل الى أسفل يريد الركوب بالمسكر داخلون عليه ومعهم الرؤوس ، في أيديهم . فعند ذلك سكن جأشه ، وامتلا ولما مثل بين يديه أحمد بيك — تابع الـ الذي كان أميرا بدمياط — وحسن شربا معها ، قال لأحمد بيك : « يا أحمد بيك في الشرك » . فطلب ماء ، فحلقوا كتافه ، وبماء يشرب ، فنظر لمن حوله وخطف يطقه وسط بعض الواقفين ، وهاج فيهم وأراد قتل على باشا ، وقتل أنفارا . فقام الباشا وهر فوق ا وتكاثروا عليه وقتلوه ، ووضعوا باقى في جنازير ، وفي أرجلهم القيود ، ور بالحوش ، وهم على الحالة التي حضروا في العرى والحقارة والذلة .

السبت ٢١ منه (١٧ أغسطس ١٨٠٥ م) :

أحضروا الجزارين وأمروهم بسلخ الرؤؤ يدي المعتقلين .. وهم ينظرون الى ذلك ، وأ جماعة من الاسكافية فحشوها تبنا وخطوه

الاثنين ٢٣ منه (١٩ أغسطس ١٨٠٥ م)

خرج عابدى بيك بعساكر الأرثوود برا الى جهة طرا ، فالتقى مع من بها من المصر وكان بها ابراهيم بيك الكبير وابنه مرزو وأمراؤهم — فقتل من عسكر الأرثوود كبيرة ، وولوا منهزمين ، وحضروا الى مصر ، من مراكبهم مركبان في ليلة الثلاثاء .

الثلاثاء ٢٤ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٥ م) :

قتلوا المعتقلين ماعدا حسن شبكة ومعه اثنان .
قيل انهم عملوا على أنفسهم ثلثائة كيس فأبقوهم .
وقتلوا الباقي قتلا شنيعا ، وعذبوهم في القتل من
أول الليل الى آخره ، ثم قطعوا رؤوسهم ، وحشوها
تبنا ، ووسقوها في مركب وأرسلوها الى سكندرية
— وعدتهم ثلاثة وثمانون رأسا — وفيهم من
غير جنسهم ، وأناس جرجية ملتزمون ، واختيارية
التجأوا اليهم ورافقوهم في الحضور وبشوا من
يوصلهم الى اسلامبول ، وكتبوا في المراسلة أنهم
حاربوهم وقتلوهم ، وحاصروهم حتى أنفسهم
واستأصلوهم ولم يبقوا منهم باقية ... وهذه
الرؤوس رؤوس أعيانهم وأكابرهم . فكان عدد من
قتل في هذه الحادثة من المعروفين المنصين : مراد
بيك تابع عثمان بيك حسن ، وقبطان بيك تابع
البردى ، وسليم بيك الغربية ، وأحمد بيك
الدماطى ، وعلى بيك تابع خليل بيك ، ونحو
الخمس والعشرين من مماليكهم وأتباعهم .

ونجا حسن بيك شبكة واثنان معه دون أتباعه ،
وباقهم أشخاص مجهولة . وفيهم فرنساوية
وأرثوودية .. ولم يتفق للأمرء المصرية أقبح ولا
أشنع من هذه الحادثة ، وربط الله على قلوبهم ،
وأعمى أبصارهم ، وغل أيديهم !

الأربعاء ٢٥ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٥ م) :

حضرت طائفة الدلاة الى ناحية الخانكة ، بعدما
طافوا اقليم الغربية والمنوفية والشرقية والدقهلية ،
وفعلوا أفعالا شنيعة من النهب والسلب والقتل
والأسر والفسق .. ومالا يسطر ولا يذكر . ولا
يمكن الاحاطة ببعضه !

وفيه : أفرجوا عن جرجس الجوهري ومن معه
على أربعة آلاف وغنائمة كيس ، وأن يقى على

حاله . فشرع في توزيعها على باقى الأقباط وعلى
نفسه ، وعلى كبرائهم وصيارفهم ، ماعدا فلتوس
وغالى ، وحولت عليه التحاويل ، وحصل لهم كرب
شديد ، وضج فقراؤهم واستغاثوا .

الجمعة ٢٧ منه (٢٣ اغسطس ١٨٠٥ م) :

خرج عدة كبيرة من العسكر الى ناحية الشرق
لمحاربة الدلاة ... وأميرهم عمر بيك — تابع عثمان
بيك الأشقر — ومحمد بيك المبدول ، وكثير من
الأجناد المصرية ، وحسن باشا الأرثوودى .

السبت ٢٨ منه (٢٤ اغسطس ١٨٠٥ م) :

رجع القراية المشاة ، وذهب الخيالة خلفهم
متباعدين عنهم بمرحلة . فكان شأنهم : أن الدلاة
المذكورين اذا وردوا قرية نهبوا وأخذوا ما وجدوه
فيها ، وأخذوا الأولاد والبنات وارتحلوا .. فيأتى
خلفهم العرب التابعون خلفهم ، فيطلبون الكلف
والعليق ، ونهبون أيضا ما أمكنهم ، ثم يرتحلون
أيضا خلفهم ... فتتزل بعدهم التجريدة ، فيفعلون
أقبح من الفريقين من النهب والسلب .. حتى ثياب
النساء . وأخذ الدلاة من عرب العائد خمسمائة
جمل ، وذهبوا على طريق رأس الوادى !

وفيه : ورد الخبر بوصول كتخد بيك الى
منوف ، وقبض على كاشفها وأخذ منه ما جمعه ،
ثم انه فرد على البلاد التى وجد بها بعض العمار
أموالا من ألف ريال فإزيد ، وحصر ذلك فى قائمة
— وهى نحو الستين بلدا — وأرسل يستأذن فى
ذلك ويطلب عدم الرفع عن شئ منها ليحصل قدرا
يستعان به على علائف العسكر وجماكيتهم ..
وليكمل خراب الاقليم . واقضى شهر جمادى
الأولى .

جمادى الآخرة

٢ منه (٢٨ أغسطس ١٨٠٥ م) :

وصل ولدا محمد على باشا الى ساحل بولاق ،
فركب أغوات الباشا واستقبلوهما وأحضروهما الى
الأزبكية ، وعملوا لهما شنكا تلك الليلة .

٣ منه (٢٩ أغسطس ١٨٠٥ م) :

طلع محمد على باشا الى القلعة ، وأجلس ابنه
الكبير بها . وضربوا له في ذلك الوقت مدافع .

٤ منه (٣٠ أغسطس ١٨٠٥ م) :

رجع عابدى بيك ومن بصحبته من المصرية من
جهة الشرق ، وقد وصلوا خلف الدلاة الى حد
العائد ثم رجعوا . وذهب الدلاة الى جهة الشام بما
معهم من المال والغنائم والجمال والأحمال — وعدتها
أكثر من أربعة آلاف جبل — وما نهبوه من البلاد ،
وأسروه من النساء والصبيان وغير ذلك .

وكانوا من قسمة الله على خلقه . ولم يحصل من
مجيئهم وذهابهم الا زيادة الضرر . ولم يحصل للباشا
المخلوع الذى استدعاهم لنصرته الا الخذلان .
وكان في عزمه وظنه أنهم يصيرون أعوانه وأنصاره
ويستعين بهم وبطائفة الينكجيرية ، على ازالة الطائفة
الأخرى ... فأتت بحسن بقدمهم ، وأورثه الله ذلهم .
وتخلوا عنه وخذلوه ، وضاع عليه ماصرفه عليهم ..
في استدعائهم ، وملاقاتهم ، وخلعهم ، وتقديمهم
ومصارفهم وعلائقهم ، وخرجهم . ولم ينفعوه بناقعة
.. بل كانوا من الضرر الصرف عليه وعلى الاقليم
وكان كلمها خوطب أو عوتب في أمر أو فعل
يقول : « اصبروا حتى تأتى الدالاتية ، ويحصل بعد
ذلك النظام » . فلم يحصل بوصولهم الا الفساد
العالم . وانتقضت دولته ، وانعكست قضيته !

وفيه : شرعوا في عمل دفتر فردة على البلاد التى
بقي فيها بعض الرمق !

٥ منه (٣١ أغسطس ١٨٠٥ م) :

حضر كتنخدا بيك ليلا ، وأشار بإبطال ذلك
الدفتر لما فيه من الاشاعة والشناعة ، واتفق مع
الباشا والمتكلمين أنه يفعل ذلك باجتهاده ورأيه ،
ورجع في تلك الليلة وشرع في التحصيل مع الجور
والعسف الزائد كما هو شأنهم .

وفيه : سافر أيضا جانم أفندى الدفتردار ،
وسافر صحبته قابجى باشا الأسود ، المسى
بشير آغا .

وفيه : سافر بعض كبرائهم الى جهة السويس
ليأتى بالمحمل .

١٢ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٥ م)

ورد أحمد أفندى من سكندرية — وهو الذى
كان أتى بالدفتردارية في العام السابق ، ومنعه
أحمد باشا خورشيد من الورد ، وكتبوا في شأنه
عرضحال من المشايخ والوجاقية لمنعه وإبقاء جانم
أفندى ، واستمر بالاسكندرية الى هذا الوقت —
وحضر الآن بمراسلة من قبطان باشا ، وأحضر
صحبته تقريراً لسعيد آغا على الوكالة ، وإبقائه
على ما هو عليه ، ونظر الخاصكية لسليمان
آغا حافظ .

١٤ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

تغيب جرجس الجوهري . فيقال انه هرب ..
ولم يظهر خبره . وطلب محمد على فلتيوس وغالي
وجرجس الطويل ،

١٥ منه (١٠ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

حضر محمد كتنخدا الألفى بجواب من مخدمه ،

وقابل محمد على باشا ، وذهب الى بيته لقضاء أشغاله .

وفيه : وصلت القافلة والمحمل . وأراد الباشا نهب قافلة التجار . فصالحوا على أحالهم يألف كيس . ودخل المحمل في ذلك اليوم صحبة المسافر .

وفيه : طلب الباشا حسن أغا نجاتي المحتسب والأمير ابراهيم الرزاز ، وطلب أن يقلد حسن أغا كتخدا الحج ، والأمير ابراهيم دويدار ... بشرط أن يكلفا أنفسهما من مالهما . فاعتذرا بعدم قدرتهما على ذلك . فحبسهما وطلب من كل واحد منهما خمسمائة كيس ، وعزل حسن أغا ، وقلد عوضه آخر يسمى قاضى أوغلى على الحسبة .

١٦ منه (١١ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

ظهر الخبر عن جرجس الجوهري بأنه ركب من دير مصر العتيقة ، وذهب الى الأمراء المصرية بناحية التين .

١٧ منه (١٢ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

توفى الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية .

١٩ منه (١٤ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

توفى حسن أفندى ابن عثمان الأماحى الخطاط .

وفيه : قلدوا على جلبي ابن أحمد كتخدا ، على كشوفية القليوبية . ولبس القفطان ، وركب باللازمين .

وفيه : سافر محمد كتخدا الألفى عائدا الى مخدمه ، وذهب صحبته السلحدار وموسى البارودى .

٢٠ منه (١٥ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

قلد الحسبة شخص يقال له عبد الله قاضى أوغلى ، وكذلك قلده قبله بأيام ابراهيم الحسينى

الزعامة ، وهو حليق اللحية ، وتقلد محمد من ممالك اسمعيل بيك — ويعرف بالألفى ، وهو زوج هانم ابنة بنت اسمعيل بيك — أغاوبة مستحفظان .

وفيه : أفرجوا عن حسن أغا المحتسب و ابراهيم الرزاز . وقرروا على الأول خمسة وستين كيسا ، وعلى الثانى خمسة عشر كيسا ... يقومان بدفعها . وفيه : أنزلوا قرائم على البلاد والخصص التى كانت تحت التزام جرجس الجوهري ... الى المزداد ، فاشتراها القادرون والراغبون .

٢١ منه (١٦ سبتمبر ١٨٠٥ م)

قلدوا ياسين بيك كشوفية بنى سويف والقيوم ، وكذلك لبسوا كاشفا على منفلوط وغيرها .

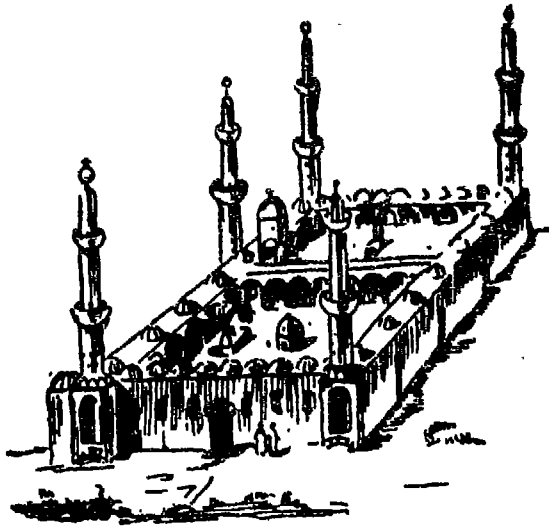
اواخره (اواخر سبتمبر ١٨٠٥ م) :

حضر محمد ، كتخدا الألفى ، والسلحدار ، وذكرنا مطلوبات الألفى . وهو أنه بطلب كشوفية الفيوم وبنى سويف والجيزة والبحيرة ، وماتى بلد التزام ، وأنه تأتى الى الجيزة وبقيم بها ، ويكون تحت طاعة محمد على باشا .. وتشاوروا فى ذلك آياما .

وأما باقى الأمراء المصريين ، فانهم انتقلوا من مكافهم ، وترفعوا الى جهة قبلى بناحية يياضة ثم اتفق الراى على أن يعطوهم من فوق جرجا ، وينزل بها الحاكم المولى عليها من العثمانية . وأن المصريين القبالي اقتسموا بينهم البلاد ، ويفومون بدفع المال والغلال الميرة ... وكل ذلك لا أصل له ولا حقيقة من الطرفين . وكتبوا للألفى مكاتبات بذلك ، وأن يكون فى ضمنهم .

وفى اواخره ايضا :

احتاج أيضا محمد على باشا الى باقى علوفة المسكر . فتكلم مع المشايخ فى ذلك ، وأخبرهم



قبر الرسول عليه السلام

الأربعاء ١٥ منه (٩ أكتوبر ١٨٠٥ م)

برز طاهر باشا الذاهب الى البلاد الحجازية
بمساركه الى خارج باب النصر .

وفيه : وردت الأخبار بأن الوهابيين استولوا
على المدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة
وآتم التسليم — بعد حصارها نحو سنة ونصف
من غير حرب ، بل تحلقوا حولها ، وقطعوا عنها
الوارد . وبلغ الأردب الحنطة بها مائة ريال
فرانسة .

فلما اشتد بهم الضيق سلموها . ودخلها
الوهابيون ، ولم يحدثوا بها حدثاً .. غير منع
المنكرات وشرب التبناك في الأسواق ، وهدم
القباب .. ماعدا قبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الأحد ١٩ منه (١٣ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

وقع بالأزبكية معركة بين العسكر ، قتل بها
واحد من أعيانهم واثنا آخران ، ورجل سائس
وبغل وفرس وحمار ١

السبت ٢٥ منه (١٩ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

ورد الخبر بسفر القبطان وأحمد باشا خورشيد
من ثغر سكندرية .

بأن العسكر باق لهم ثلاثة آلاف . كيس لا تعرف
لتحصيلها طريقة ، فانظروا رأيكم في ذلك وكيف
يكون العمل ، ولم تبق الا هذه التوبة . ومن هذا
الوقت اذا قبض العسكر باقى علائقهم سافروا
الى بلادهم ، ولم يبق منهم الا المحتاج اليهم ،
وأرباب المناصب ، ولا يأخذون بعد ذلك علائق .

فكثر التروى في ذلك . ولغظ الناس بالفردة
وتقرير أموال على أهل البلد ، وانحط الأمر بعد
ذلك على قبض ثلث الفائض من الحصص والالتزام .
فضج الناس وقالوا : « هذه تصير عادة .. ولم
يبق للناس معاش » . فقال : « نكتب فرمانا
ونلتزم بعدم عود ذلك ثانيا ونرقم فيه : لمن الله
من يفعلها مرة أخرى ا » ، ونحو ذلك من
التوبيعات الكاذبة . الى أن رضى الناس ، واستقر
أمرها ، وشرعوا في تحريرها وطلبها .

رجب

السبت ١١ منه (٥ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

سافر محمد كتخدا الألفى بالجواب المتقدم
الى مخدمه ، بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته
من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك . وخرج
ياسين بيك وباقى الكشاف المسافرين الى العجيزة ،
وطلبوا المراكب حتى عز وجودها وامتنع ورودها
من الجهة البحرية .

الاثنين ١٣ منه (٧ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

سافر المذكورون بمساركهم . وسافر أيضاً
على باشا ، سلحدار أحمد باشا خورشيد المنفصل ،
الى سكندرية . وأما قبطان باشا فانه لم يزل بثمر
سكندرية .

وفيه : حضر أهل رشيد يتشكون إلى السيد عمر النقيب والمشايخ ، ويذكرون أن محمداً على باشا أرسل بطلب منهم أربعين ألف ريال فرانسة على ثلاثة عشر نفراً من التجار بقائمة .

وفيه : حضر محويك — الذي كان بالمتيا — وتواترت الأخبار بوصول الفز المصريين إلى أسبوط وملكوها . وأما الألفي فانه جهة اليوم . ووقع بينه وبين جماعة ياسين بك محاربة ، وظهر عليهم . وأرسل ياسين بك يطلب عسكراً وذخيرة .

وفيه : ركب المشايخ والسيد عمر النقيب إلى محمد على ، وترجوا عنده في أهل رشيد . فاستقرت غرامتهم على عشرين ألف فرانسة . وسافروا على ذلك ، وأخذوا في تحصيلها .

وفيه : طلب بترك الدير ، واحتجوا عليه بهروب جرجس الجوهري . وانحط الأمر على المصالحة بمائة وأربعين كيساً ... وزعها النصارى على بعضهم ودفعوها .

شعبان

الجمعة غرته (٢٥ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

أمر محمد على باشا برفع حصص الالتزام التي على النساء . وكتبوا قوائم مزادها . وانحط الأمر على المصالحات بقدر حالهن ، وغير ذلك أمور كثيرة ، وجزئيات وتحيلات على استنزاح الأموال .. لا يمكن ضبطها .

أواخره (٢٢ نوفمبر ١٨٠٥ م) :

زوج محمد على حسن الشماشيرجي تابعه ببنت سليم كاشف الأميوطي — وهي بنت بنت عبد الرحمن بك تابع عثمان بك الجرجاوي ، وهي ربيبة أحمد كاشف تابع سليم كاشف المذكور — فمقدوا عقدها ، وعملوا لها مهماً بييت أمها هانم

بحارة عابدين . واحتفل بذلك محمد على ، وأمر بأن يعمل لها زفة مثل زفاف الأمراء المتقدمين . ونهبوا على أرباب الحرف فعملوا لهم عربات وملاعيب وسخريات قاموا بكلفتها من مالهم الموزع على أفرادهم . وداروا بالزفة يسوم الخيس غاية شعبان .

وحضر محمد على إلى مدرسة الفورية مع أولاده ليرى ذلك . وعمل له السيد محمد المحروقي ضيافة في ذلك اليوم وأحضر إليه الغداء بالمدرسة ولما انقضى أمر الزفة ، شرعوا في عمل موكب المحتسب ومشايخ الحرف لرؤية رمضان ، وحضروا إلى بيت القاضي . ولم يثبت الهلال تلك الليلة . وانقضى شهر شعبان .

رمضان

السبت غرته (٢٣ نوفمبر ١٨٠٥ م) :

شح وجود اللحم ، وغلا سعره لعدم المواشي . وتوالي الظلم والعسف والفرد والكلف على القرى والبسلاط ، حتى بلغ الرطل اللحم الجفبط الهزيل خمسة وعشرين نصفاً .. أن وجد ، والجاموسي اثني عشر نصفاً ، وامتنع وجود الضاني بالأسواق بالكلية رأساً .

ولما استهل رمضان انكب الناس على من يوجد من جزارين اللحم الحسن ، وكذلك شح وجود السمن وعدم بالكلية . وإذا وجد منه شيء خطفه العسكر وذهبوا به إلى سوق انبابة وهبوا ما وجدوه مع الفلاحين من الزبد والجبن وغير ذلك وزاد فحشهم وقبحهم وتسلطهم على إيذاء الناس ، وكثروا بالبلد ، وانحشروا من كل جهة ، وتسلطوا على تزوج النساء اللاتي ماث أزواجهن من الأمراء المصرية قهراً . ومن آبت عليهم أخذوا ما بيدها من الالتزام والإبراد ، وأخرجوها من دارها ، ونهبوا متاعها . فما يسمعها إلا الإجابة والرضا بالقضاء .

وخرج بعساكره وخيأه وموكبه الى خارج باب النصر . ونصب وطاقه ، وصار يضرب في كل ليلة مدافعه وطبله ونوبته . واستمر مقيما على ذلك نحو ثلاثة شهور . وهم يجمعون له الأموال ويفردون الفرد على الأقاليم ، ويقولون برسم تشهيل العسكر المسافر للخوارج ، واستخلاص البلاد الحجازية من أيديهم . ولم يزالوا يحتجون بعدم أخذ النفقة . وفي كل يوم يتسللون شيئا بعد شيء ويدخلون الى المدينة ويتفرقون الى الجهات ، حتى لم يبق منهم الا القليل .

ثم انهم ارتحلوا من مخيمهم بحجة العرب ، وطردهم من الجيزة . فلما عدوا الى الجيزة دخلوا الى دورها وسكنوها غصبا عن أهلها ، واستولوا على فراشهم ومتاعهم ، ولم يخرج منهم أحد للعرب ، ولم يتعدوا خارج السور . وبطل أمر السفرة المذكورة .

الازبعاء ١٩ منه (١١ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

أرسل محمد على من قبض على الأغا الشمعدانجي ، وعثمان أغا كتخدا بيك سابقا — وقت المغرب — وأنزلوهما الى بولاق في مركب وذهبوا بهما . يقال انهم قتلوهما ومعهما اثنان أيضا من كبار العسكر . ولم يعلم سبب ذلك ، وأنزلوا حصصهم في المزداد .

وفيه : فتحوا طلب الميرى من الملتزمين عن سنة احدى وعشرين — مع أن سنة تاريخه لم يسحق منها الثلث ، وكانوا فتحوها معجلة لقدر الاحتياج وقبضوا نصفها ، وطلبوا النصف الآخر بعد أربعة أشهر — وأما هذه ... فطلبوها بالكامل قبل أوانها بسنة ، وخصوصا في شهر رمضان ، مع ما الناس فيه من ضيق المعاش وغلو الأسعار في كل شيء ، بل وعدم وجود الأقوات ، ووقوف العسكر خارج المدينة يخطفون ما يأتي به الفلاحون من

وتزوج بعضهم بزوجة حسن بيك الجداوى — وهي بنت أحمد بيك شنن — وأمثالها ، ولم ينفعهم الهروب ولا الاختفاء ولا الالتجاء . وتزويوا بزي المصريين في ملابسهم ، وركبوا الخيول المسومة بالسروج المذهبة ، والقلايعات والرخوت المكلفة وأحدث بهم الخدم والأتباع والقواسم والسواس والمقدمون . ووصل كل صعلوك منهم لما لا يخطر على باله أو يتوهمه أو يتخيله ... ولا في عالم الرؤيا . مع انحراف الطبع ، والجهل المركب ، وعوى البصيرة ، والفظاظة والقساوة والتجارى ، وعدم الدين والحياء والخشية والمروءة . ومنهم من تزوج الاثنتين والثلاث وسار له عدة دور !

وفيه : تواترت الأخبار بما حصل لياسين بيك . وأنه بعد انهزامه هرب بجماعة قليلة وذهب عند سليمان بيك المرادى وانضم اليه .

الخميس ١٣ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

نهوا بيت ياسين بيك المذكور ، وأخذوا مافيه . ونفقوا محمد أفندى أباه وأنزلوه في مركب وذهبوا به الى بحرى .. وقيل انهم قتلوه .

وفيه وردت الأخبار بأنه غرق بمينا الاسكندرية أحد عشر غليوناً من الكبار . وذلك أنه في أواخر شعبان هبت ريح غربية عاصفة ليلا ، فقطعت مراسى المراكب .. ودفعتها الرياح الى البر فانكسرت وتلف مافيه من الأموال والأتقس ، ولم ينج منها الا القليل .. وكذلك تلف ثمان وأربعون مركبا واصله من بلاد الشام الى دمياط ببضائع التجار .

وفيه : حضر جماعة من الألفية الى بر الجيزة ، وطلبوا كلغا من اقليم الجيزة وقبضوها ورجعوا الى الفيوم . ومضى في أثرهم عربان أولاد على من ناحية البحيرة . وعاثوا بأراضي الجيزة . فعينوا لهم طاهر باشا الذى كان مسافرا الى بلاد الحجاز ،

السنن والجبن والتبن والبيض وغير ذلك ، ومن
دونهم العرب .. ومثل ذلك في البحر والمراكب ،
حتى امتنع وجود المجلوبات برا وبحرا .

وطلبوا المراكب لسفن العساكر بالتجاريد ،
فتسامع القادمون فوققوا عن القدوم خوفا من
النهب والتسخير ، ولم يبق بسواحل البحر مراكب
ولا قارب ، وبطل ديوان العشور .

ووصل سعر العشرة أرطال السنن ستمائة نصف
فضة .. ان وجد ، والعشرة من البيض بخمسة
عشر نصف فضة .. ان وجد ، والدجاجة بأربعين
نصفا ، والرطل الصابون بستين نصفا ، ولم يزل
يتزايد حتى وصل الرطل الى مائة وعشرين ،
والراوية الماء بأربعين نصفا ، ورطل القشطة
بستين نصفا ، والرطل من السمك الطرى بستة عشر
نصفا ، والقديد المملوح بعشرة أنصاف — وقد كان
يباع بنصفين ، وبالعدد من غير وزن — والحوت
النسيخ بأربعين نصفا . وقس على ذلك .

الخميس ٢٠ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

رجع خازن دار طاهر باشا الى جهة العادلية ثانيا ،
ومعه جملة من العسكر ، وصاروا يضربون في كل
ليلة مدفعين . واستمر طاهر باشا بالجيزة .

وفيه : كتب محمد علي باشا مكاتبة الى الأمراء
القبالي ، وأرسل بها مصطفى أغا الوكيل وعلى
كاشف الصابونجي ... ليصطلحوا على أمر .

وفيه : وصل أيضا جماعة من الألفية الى جهة
سقارة وبلاد الجيزة ، وطلبوا منها كلفة ودراهم .
فأمر محمد علي بخروج العساكر ، فتلكأوا واحتجوا
بطلب العلوفة . فعزم على الخروج بنفسه .

الأربعاء ٢٦ منه (١٨ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

طلب كبار العساكر ، وركب معهم الى مصر
القديمة ، وشرعوا في التعدية بطول الليل . وهم

محمد علي وعسكره وخواصه ، وعابدي بيك
وعمر بيك وصالح قوش ، والدلاة وكبيرهم ، وعلى
كاشف الذي تزوج بنت شبن وأتباعه في جبل ،
وكبير الدلاة وطائفته . وركب الجميع — وقت
الشروق — وبرزوا الى الفضاء ، وانفرد كل كبير
بعسكره خمسة طوابير وسنة ، ونظروا على البعد
منهم فرأوا خيالة من العربان وغيرهم متفرقين كل
جماعة في ناحية ، فجعل كل طابور على جماعة منهم ،
فانهزموا أمامهم ، فساقوا خلفهم . فخرج عليه كمائن
من خلفهم ، ووقع بينهم الضراب ، وحمل على
كاشف وآخر يقال له أوزي في جماعته ، فأروه جملا
فظنوه محمد علي ، فاحتاطوا به ، وتكاثروا عليه
وأخذوه أسيرا هو ومن معه ، وفر من نجا منهم ،
ووقعت فيهم الهزيمة ، ورجع الجميع القهقري
وعادوا الى بر مصر من غير تأخير . وذهب من
الأرتود طائفة الى الأخصام وانضموا اليهم .

وفيه : وقع بين أهل الأزهر مناقشات بسبب أمور
وأغراض نفسانية ، يطول شرحها . وتحزبوا حزبين :
حزب مع الشيخ عبد الله الشرقاوي ، وحزب مع
الشيخ محمد الأمير .. وهم الأكثر ، وجعلوا الشيخ
الأمير ناظرا على الجامع ، وكتبوا له تقريرا بذلك
من القاضي وختم عليه المشايخ ، والشيخ السادات
والسيد عمر أفندي النقيب .

وكانت النظارة شاغرة من أيام الفرنسيين ،
وكان يتقلدها أحد الأمراء . فلما خرج الأمراء من
مصر ، سارت تابعة للمشيخة لوقت تاريخه . فاتفعل
لذلك الشيخ الشرقاوي . ولما فعلوا ذلك ، اجتهد
الشيخ الأمير في النظر لخدمة الجامع بنفسه وبابنه ،
وأحضر الخدمة ، وكنسوا الجامع ، وغسلوا صحنه
ومسحوه وفرشوه ، وفرشوا المقصورة بالحصر
الجدد ، وعلقوا قناديل البوائك . وصار كل يوم
يقف على الخدمة ، ويأمرهم بالتنظيف وغسل

الميضأة والمراحيض ، وأمر بفتح الأبواب من بعد صلاة العشاء ماعدا الباب الكبير ، ورتبوا له بوابا ، وطرده من بيته به من الأعراب الذين يلتفتون بالخصر ويلوثونها ببولهم وغائطهم ونحو ذلك .

فايته (٢٢ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

عدى طائفة من العسكر الى بر الجيزة وانضموا الى الأخصام . وحصل في العسكر ارتجاج واختلافات ، وعملوا شنكا في تلك الليلة في الأريكية بعدما أنبتوا هلال شوال بعد العشاء الأخيرة . وقد كانوا أخرجوا المساجد وصلوا التراويح ، ثم أطفأوا المنارات في ثالث ساعة من الليل .

شوال

غزوه (٢٣ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

استهل جميع الأمور مرتبة ، والحال على ماهو عليه من الاضطراب ، ولم يحصل في شهر رمضان للناس جمع خواس ولا حظوظ ، ولا أمن . وانكف الناس عن المرور في الشوارع ليلا خوفا من أذية العسكر ، وفي كل وقت يسمع الانسان أخبارا وثكاتا وقبائح من أفاعيلهم .. من الخطف والقتل وأذية الناس .

٤ منه (٢٦ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

قلدوا مناصب كشوفات الأقاليم ، وتهيأوا للذهاب . وعملوا قوائم فرد ومظالم على البلاد خلاف ماتقدم ، وخلاف ما يأخذه الكشف لأنفسهم وما يأخذونه قبل نزولهم . وذلك أنه عندما يترشح الشخص منهم لتقليد المنصب يرسل من طرفه معين الى الاقليم الذي سيتولى عليه بأوراق البشارات وحق طرق باسم المعينين .. اما عشرين ألفا أو أكثر أو قل . فاذا قبضوا ذلك ، أتبعوها بأوراق أخرى ويسمونها أوراق « تقيل اليد » وفيها مثل ذلك ،

أو أكثر أو أقل . ثم كذلك أوراق « لبس القفطان » ونحو ذلك . وقد يتفق بعد ذلك جميعه أنه يتولى خلافه ويستأنف العمل .. الى غير ذلك . هذا وكتخذا بيك مستمر في سرحاته بالأقاليم ، وجمع الأموال والعنف والجور : مرة بالمنوفية ، ومرة بالغربية ، ومرة بالشرقية ، ولا يقرر الا الأكياس من الشهريات والمغارم وحق الطرق ، والاستمجالات المترادفة .. مما لا يحيط به دفتر ولا كتاب .

٨ منه (٣٠ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

توفي ابراهيم أفندي كاتب البهار ، وترك ولدا صغيرا . فقلدوا مملوكه حسنا في منصبه وكيل عن ولده .

وفيه : كثر تحرك العسكر والمناداة عليهم بالخروج الى نواحي طرا والجيزة . وذلك بسبب أن بعض الألفية عدى الى ناحية الشرق ، وأخذوا كلفا من البلاد ، وبعضهم وصل الى وردان بالبر الغربي .

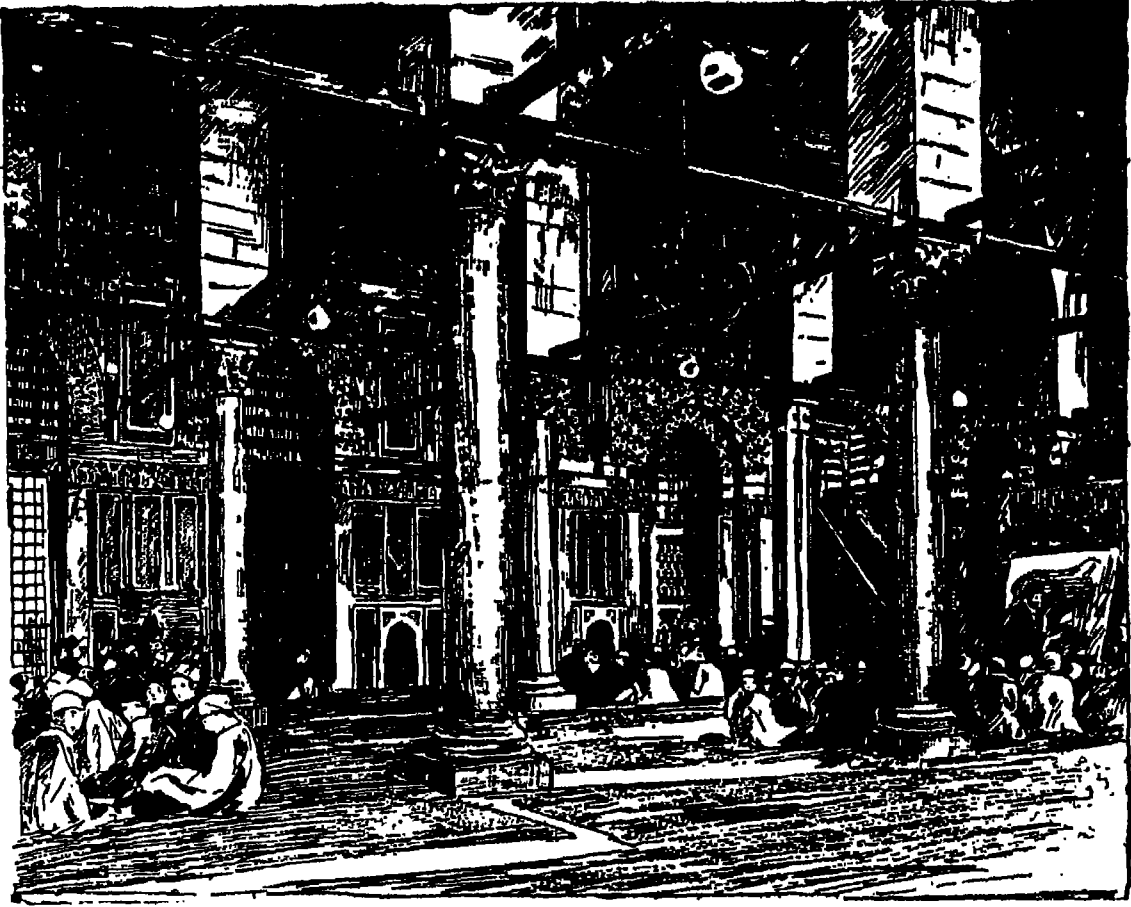
١٠ منه (اول يناير ١٨٠٦ م) :

حضر جملة من الدالاتية وغيرهم من ناحية الشام : فمنهم من حضر في البحر على دمياط ، ومنهم من حضر في البر . وعدى طاهر باشا الذي كان مسافرا على جدة .

وفيه : سافرت القافلة المتوجهة الى السويس ، وصحبته نحو المائتين من العسكر ، وعليهم كبير من طرف طاهر باشا بدلا عنه . وسافر صحبتهم حسن أفندي القاضي المنفصل ليكون قاضيا بمكة حسب القانون .

١٥ منه (٦ يناير ١٨٠٦ م) :

وصلت قوافل التجار من السويس . فأرسل محمد علي وفتح الحواصل وأراد أخذ بضائع التجار



داخل الأزهر ..

ذوالقعدة

الثلاثاء غرته (٢١ يناير ١٨٠٦ م) :

الاجتهاد حاصل بخروج المسكر للتجريدة في كل يوم ، ونصبوا عرضهم بير الجيزة وناحية طرا — من ابتداء شعبان كما تقدم — وفي كل يوم يخرجون طوائف ويعودون كذلك .

الأربعاء ٩ منه (٢٩ يناير ١٨٠٦ م) :

حضر مصطفى آغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي وعلى جاويش الفلاح ، الذين كانوا توجهوا الى قبلى لأجل الصلح . وحضر صحبتهم نيف وثلاثون مركبا من السفار والمتسبين ، فيها

وفروق البن . فانزعج التجار بوكائل الجمالية وغيرها ، وذلك بعد أن دفعوا عشورها ونولونها وأجرها وما جعلوه عليها من المغارم السابقة . وانخط الأمر على المصالحة عن كل فرق خمسون ريالاً .. ولم ينتطح في ذلك شاتان !

٢١ منه (١٢ يناير ١٨٠٦ م) :

حضر كنتخدا بيك الى مصر بعدما جمع الأموال من الأقاليم ، وفعل ما فعله من الفرد والمظالم الخارجة عن الحد .

٢٥ منه (١٦ يناير ١٨٠٦ م) :

توفي عثمان أفندي العباسي .

غلال وأدهان وجلود ونمر وغير ذلك . ولم يعلم حقيقة ما حصل .

الجمعة ١١ منه (٣١ يناير ١٨٠٦ م) :

نودى على العسكر بالخروج من الغد بالتركي والعربي ، والتحذير من التأخير .

الأحد ١٣ منه (٢ فبراير ١٨٠٦ م) :

رجع مصطفى آغا بجواب ثانيا هجانا من طريق البر .

الاثنين ١٤ منه (٣ فبراير ١٨٠٦ م) :

أخرجوا المحمل والكسوة وعين للسفر بهما ، من القلزم ، مصطفى جاويش المنتبلى ، ومعه صراف السرة ... دفعوا له ربعها وثمانها ، وهذا لم يتفق فظيره ا .

الثلاثاء ١٥ منه (٤ فبراير ١٨٠٦ م) :

ورد تحو السبعين ططريا ومعهم البشارة لمحمد على باشا بوصول الأطواخ الى رودس ، ووصل معهم أيضا مراسيم بمنصب الدفتردارية لأحمد أفندى الملقب بجديد . وهو الذى كان وصل في العام الأول بالدفتردارية الى سكندرية في أيام أحمد باشا خورشيد ، وجانم أفندى الدفتردار ... ومنعوه عنها ، وكتبوا في شأنه عرضا للدولة بعدم قبوله ، وأن أهل البلد راضون على جانم أفندى .

فلما حصل ما حصل لحورشيد باشا ، وعزل عن مصر ، وعزل أيضا جانم أفندى .. حضر أيضا أحمد أفندى المذكور بمراسيم آخر وفيها الوكالة لسعيد آغا مجددة له ، ونظر الخاصكية لحافظ سليمان . واستمر من ذلك الوقت بمصر ، فوصل اليه الأمر بتقليد الدفتردارية . وكان حسن أفندى الروزنامجى هو المتقلد لذلك .

الخميس ١٧ منه (٦ فبراير ١٨٠٦ م) :

اجتمع بديوان محمد على : صالح آغا قابجى باشا ، وسعيد آغا ، وتقيب الأشراف ، وبعض المشايخ ، ولبس أحمد أفندى خلعة الدفتردارية ، وشرطوا عليه أنه لا يحدث حوادث كغيره . فان حصل منه شيء .. عزله ، وعرضوا في شأنه . وقبل ذلك على نفسه .

الجمعة ١٨ منه (٧ فبراير ١٨٠٦ م) :

ارتحلت القافلة ، وصحبتها الكسوة والمحمل ، أواخر النهار ، من ناحية قايت باى بالصحراء ، وذهبوا الى جهة السويس ، ليسافروا من القلزم .

وفيه : وصلت الأخبار بأن بونا برته كبير الفرنسيين ركب في جمع كبير ، وأغار على بلاد النساء ، وحاربهم حربا عظيمة ، وظهر عليهم ، وملك تختهم وقلاعهم ، وطلب ملكهم بعد خروجه من حصونه ، فأعاده لملكته بعدما شرط عليه شروطه . وملك غير ذلك من القرانات والحصون ، ثم سار الى بلاد الموسقو ، ووقع بينه وبينهم هدنة على ثلاثة أشهر .

الأربعاء ٢٣ منه (١٢ فبراير ١٨٠٦ م) :

خرج حسن باشا طاهر الى ناحية مصر القديمة .

السبت ٢٦ منه (١٥ فبراير ١٨٠٦ م) :

حضر مبشرون بحصول مقتلة عظيمة ، وأنهم أخذوا من الأخصام جلة عسكر أسرى ورؤوس . فضربوا مدافع لذلك ، وأظهروا السرور .

الأحد ٢٧ منه (١٦ فبراير ١٨٠٦ م) :

وصلت الرؤوس والأسرى : وهى أحد وعشرون رأسا ، وذراع مقطع ، وسبعة عشر أسيرا .. ليس فيهم من يعرف ، ولا من جنس الأجناد ، وغالبهم فلاحون . فأعطى محمد على لكل أسير نصف دينار

وأطلقهم ، ووضعوا الرؤوس والذراع عند باب زويلة .

وفيه وصلت القافلة من السويس ، ووصل أيضا صبيحتهم جنرال من الانكليز راكب في تخت ، وحملته ومثاه على نحو سبعين جملا ، فذهب عند قنصلهم .

الأربعاء غايته (١٩ فبراير ١٨٠٦ م) :

بعد ذلك ركب في التخت وذهب عند محبد على بالأزبكية فلقاه وعمل له شنكا ومدافع ، وقدم له هدية وتقادم . ثم رجع الى مكانه

ذو الحجة

الخميس غرته (٢٠ فبراير ١٨٠٦ م)

حضر مصطفى أغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجي من الجهة القبلية ، وقد تقدم أنهما ذهبا وعادا ، ثم رجعا ثانيا على الهجن لتقرير الصلح ، ثم رجعا ... ولم يظهر أثر لذلك الصلح . وحكى الناس عنهما : أن المذكورين لما ذهبا الى أسبوط وجدا ابراهيم بك قد انتقل الى ناحية طحطا ، واجتمعا بعثمان بك حسن والبرديسي .. فلم يرضيا بالتوجه الذي وجها به اليهم ، وهومن حدود جرجا ، وقالوا : « لا يكفينا الا من حدود المنية . فان الفرنساوية كانوا أعطوا حكم البلاد القبلية من حدود المنية لمراد بك بمفرده ، فكيف أنه يكفينا نحن الجميع من جرجا ! » . وشرطوا أيضا : أنه ان استقر الصلح على مطلوبهم ، لا بد من اخلاء الاقليم من هذه العساكر الذين لا يتحصل منهم الا الضرر والخراب والدمار والفساد ، ولا يبقى الباشا منهم الا مقدار ألفى عسكزي . وقالوا : « انه أيضا اذا لم يعطنا مطلوبنا ، فهو لا يستغنى عن أناس من العسكر يقيمون بالبلاد التي ييخل علينا بها . فنحن أولى له وأحسن منهم ،

وتقوم بما على البلاد من المثل والغلال . وعند ذلك يحصل الأمن ويسير المسافرون في المراكب ، وتزد المتاجر والغلال ، ويحصل لنا وله الراحة . وأما اذا استمر الحال على هذا المنوال ، فانه لم يزل متعبا من كثرة العسكر ونفقاتهم ، وكذلك سائر البلاد . على أنه ان لم يرض بذلك .. فها هي البلاد بأيدينا والأمر مستمر معنا ومعهم على التعب والنصب » .

الأحد ٤ منه (٢٣ فبراير ١٨٠٦ م)

ورد الخبر بأن جماعة من كبار العسكر — وفيهم سليمان أغا الأرثوذي الذي تولى كشوفية منفلوط ، ومعهم عدة وافرة من العسكر — عدوا من المنية الى البر الشرقي بالمطاهرة ، بسبب ما عندهم من القحط وعدم الأقوات ... لاحاطة المصريين بهم .

فلما دخلوا الى بلدة المطاهرة وملكوها ، وصل اليهم بعض الأمراء والأجناد المصرية ، وأحاطوا بهم وحاربوهم أياما حتى ظهروا عليهم ، وقتلوا منهم ، وهرب من هرب — وهو القليل — وأسروا الباقي — وفيهم سليمان أغا المذكور — فالتجأ الى بعض الأجناد ، فحماه من القتل ، وقابل به كبار الأمراء . فأنعموا عليه بكسوة ودراهم وسلاح ، وأقام معهم أياما ... ثم استأذنهم للعود وحضر الى مصر ، وجلس بداره .

وفيه : ورد الخبر أيضا بموت الأمير بشتك بك المعروف بالألفى الصغير .. مبطونا .

وفيه : حضر أيضا حجاج الخضرى الرميلاتى الى مصر .. وقد كان خرج من مصر بعد حادثة خورشيد باشا خوفا من العسكر . وذهب الى بلده بالمنوات ، ثم ذهب عند الألفى ، وأقام في معسكره الى هذا الوقت . ثم أن الألفى طرده لنكتة حصلت منه ، فرجع الى بلده .

القلعة جبخانة ومدافع ، وطفقوا يخطفون الحمير
من الأسواق ... ان وجدوها !

الخميس ١٥ منه (٦ مارس ١٨٠٦ م) :

عدى طائفة من العساكر الخيالة الى بر
الجيزة . وعدى طاهر باشا الى بر امبابة وصحبته
عساكر كثيرة ، وأزعجوا أهل القرية ، وأخرجوهم
من دورهم وسكنوا بها ، وأطلقوا دوابهم وخيولهم
على المزارع ، فأكلوها بأجمعها ، ولم يبقوا منها
ولا عودا أخضر في أيام قليلة .

وفيه : اختفى حجاج الخضرى أيضا بسبب
ما داخله من الوهم والخوف من العسكر .

الثلاثاء ٢٠ منه (١١ مارس ١٨٠٦ م) :

شرع عساكر حسن باشا في التعدية من ناحية
معادى الخيرى الى البر الآخر .

الاحد ٢٥ منه (١٦ مارس ١٨٠٦ م) :

عدى حسن باشا أيضا .

الاثنين ٢٦ منه (١٧ مارس ١٨٠٦ م) :

نودى في الأسواق على العساكر الذين لم
يكونوا في قوائم العسكر الذين يقال لهم السير (١)
بالسفر والخروج الى بلادهم ، ومن وجد منهم بعد
ثلاثة أيام قتل .

وكذلك كتبوا فرمانات وأرسلوها الى البلاد
بمعنى ذلك ، ومن كان من أهل البلد أو المغاربة أو
الأتراك بصورة العسكر ومتزيا بزيتهم ، فليزع
ذلك وليرجع الى زيه الأول .

وفيه أيضا : نودى على المعاملة الناقصة :
لا تقبض الا بنقص ميسرتها . لأن المعاملة
فحش نقصها جدا ... وخصوصا الذهب

(١) قوله (السير) هكذا في نسخ ... وفي بعض النسخ القبيز .

وأرسل الى السيد عمر فكتب له أمانا من
الباشا ، فحضر بذلك الأمان ، وقابل الباشا ،
وخلع عليه ، ونادوا له في خطته بأنه على ما هو
عليه في حرفته وصناعته ووجهته بين أقرانه ،
فصار يمشى في المدينة وصحبته عسكرى ملازم له .

الجمعة ٩ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٦ م) :

كان يوم الوقوف بمرفة . وفي ذلك اليوم :
ركب محمد على بالأبهة الكاملة ، وصلى الجمعة



الأبهة الكاملة !

بالشهد الحسينى . ولم يركب من وقت ولايته
بالهيئة الا في هذا اليوم .

وفي عصر تلك الليلة ضربوا عدة مدافع من
القلعة اعلاما بالعيد ، وكذلك في صباحها ، وفي كل
وقت من الأوقات الخمسة ... مدة أيام التشريق .

الأربعاء ١٤ منه (٥ مارس ١٨٠٦ م) :

حضر جاهين بك الألفى ، ومعه طوائف من
العربان ، الى اقليم الجيزة ، وأخذوا الكلف وأغنما
من البلاد ودراهم واشيع بذلك ، وأمروا بخروج
العساكر اليهم . وركب محمد على باشا في يوم
الخميس ، وخرج الى ناحية بولاق . وأنزلوا من

البندقى الذى كان أحسن أصناف العملة في الوزن والعيار والجودة ، فإن العسكر تسلطوا عليه بالقص . فيقصون من الشخص الواحد مقدار الربع ، أو أكثر أو أقل ، ويدفعونه في المشتريات ولا يقدر المتسبب على رده أو طلب أرش تقصه . وكذلك الصيرفي لا يقدر على رده أو وزنه . وقتل بذلك قتلى كثيرة ، وأغلق الصيارف حوانيتهم ، وامتنعوا من الوزن خوفا من شرهم .

وكذلك نودى على التعامل في بيع البن بالريال المعاملة — وهو تسعون نصفاً — وقد كان الاصطلاح في بيع البن بالفراصة فقط . وبلغ صرف الفراصة مائة وثمانين نصفاً — ضعف الأول — وعز وجوده لرغبة الناس فيه لسلامته من الغش والنقص ، لأن جميع معاملة الكفار سالمة من الغش والنقص ... بخلاف معاملات المسلمين ! فإن الغالب على جميعها الزيف والخلط والغش والنقص . فلما انطبعوا على ذلك ، ونظروا الى معاملات الكفار وسلامتها ، تسلطوا عليها بالقطع والتنقيص والتقصيص .. تنميماً للغش والخسران والانجراف عن جميع الأديان . وقال صلى الله عليه وسلم : « الدين المعاملة ، ومن غشنا فليس منا » . فيأخذون الريالات الفرائسة الى دار الضرب ويسبكونها ، ويزيدون عليها ثلاثة أرباعها نحاساً ، ويضربونها قروشاً يتعاملون بها . ثم ينكشف حالها في مدة قصيرة ، وتصير نحاساً أحمر من أقبح المعاملات شكلاً ووضعاً ، لا فرق بينها وبين الفلوس النحاس التي كانت تصرف بالأرطال في الدول المصرية السابقة ... في الكم والكيف ، بل تلك أجمل من هذه في الشكل . وقد شاهدنا كثيراً منها وعليها أسماء الملوك المتقدمين ، ووزن الواحد منها نصف أوقية

وكان الدرهم المتعامل به إذ ذاك ، من

الفضة الخالصة ، على وزن الدرهم الشرعى ستة عشر قيراطاً ، ويصرف بثلاثة أرطال من الفلوس النحاس . فيكون صرف الدرهم الواحد اثنين وسبعين فلساً ... تستعمل في جميع المشتريات والمرتبات والمعاليق واللوازم للييوت والجزئيات والمحقرات . فلما زالت الدولة القبلونية ، وظهرت دولة الجراكسة ، واستقر الملك المؤيد شيخ في سلطنة مصر ، وبدأ الاختلال ... اختصر الدرهم المتعامل به وجعله نصف درهم — وهو ثمانية قيراط — وسمى نصف مؤيدى . ولم تقل تتناقص ، حتى صارت في آخر دولة الجركسية أقل من ربع الدرهم .

واختل أمر الفلوس النحاس ، والمرتبات والوظائف بالأوقاف المشروط فيها صرف المعاليق بالفلوس . ولم يزل الحال يختل ويضعف بسبب الجور والطمع والغش وغباوة أولى الأمر ، وعمى بضائرهم عن المصالح العامة التي بها قوام النظام ، حتى تلاشى أمر الدراهم جداً في الوزن والعيار ، وصار الدرهم المعبر عنه بالنصف أقل من العشر للدرهم ، وفيه من الفضة الخالصة نحو الربع .. فيكون في النصف الذى هو الآن بدل الدرهم الأصيل من الفضة الخالصة أقل من ربع العشر .

فيكون في النصف الواحد من معاملتنا الآن — الذى وزنه خمس قمحات — قيراط وربع ثلث قيراط من الفضة ، وذلك بدل عن ستة عشر قيراطاً — وهو الدرهم الأصيل الخالص — فانظر الى هذا الخسران الخفى الذى انمحقت به البركة في كل شيء . فإن الدرهم الفضة الآن صار بمنزلة الفلس النحاس القديم ... فتأمل واحسب ، تجد الأمر كذلك !

فاذا فرضنا أن انسانا اكتسب ألف درهم من دراهمنا هذه ، فكأنه اكتسب خمسة وعشرين لاغير

— وهو ربع عشرها — على أنه اذا حسبنا قيمة الخمسة وعشرين في وقتنا هذا — عن كل درهم ثلاثون نصفًا — فانهما تبلغ سبعمائة وخمسين ، ويذهب الباقي — وهو مائتان وخمسون — هدرًا .

وأما الذهب : فان الدينار كان وزنه في الزمن الأول مثقالا من الذهب الخالص . ثم صار في الدولة الفاطمية وما بعدها عشرين قيراطا ، وكان يصرف بثلاثين درهما من الفضة . فلما نقص الدرهم زاد صرف الدينار ، الى أن استقر وزن الدينار في أوائل القرن الماضي ثلاثة عشر قيراطا ونصفا ، ويصرف بتسعين نصفًا .. وهو المعبر عنه « بالأشرفى » ، والطلى ، المعروف « بالفندقلى » ، يصرف بمائة . وكانا جيدين في العيار ، وكذلك الأنصاف العديدة كانت اذ ذاك جيدة العيار والوزن .

وكان الريال يصرف بخمسين نصفًا . والريال « الكلب » باثنين وأربعين نصفًا . ثم صار الدينار — وهو « المحبوب الجنزلى » — بمائة وخمسين ، والفندقلى بمائة وعشرين ، والفرانسة بسنين .

ثم حدث « المحبوب الزر » في أيام السلطان أحمد بدلا عن « الجنزلى » . وغلا صرف الجنزلى ، وكان في وزن « الشخص » وعياره . ووزن « الزر » ثلاثة عشر قيراطا ونصف .. الى أن زاد الاختلال في أيام على بيك والمعلم رزق واستيلائه على دار الضرب والقروش . واستعمل ضرب القروش واستكثر منها ، وزاد في غشها لكثرة المصاريف على العساكر والتجاريد والنفقات . واستقر « الأشرفى » المعروف « بالزر » بمائة وعشرة ، و « الطلى » بمائة وستة وأربعين ، و « الشخص » بمائتين . والريال « الفرانسة » بحمسة وثمانين ، مدة من أيام على بيك .

وفحش وجود القروش المفردة وضعفها وأجزائها ... حتى لم يبق بأيدي الناس من التعامل الا هي . وعز باقى الأصناف المذكورة ، وطلبت للسبك والادخار وصياغة الحلى ، ففرقت في المصارفة والابدال .

فلما زالت دولة على بيك ، وتملك محمد بيك أبو الذهب ، نادى بإبطال تلك القروش بأنواعها رأسا . فخسر الناس خسارة عظيمة من أموالهم ، وباعوها بالأرطال للسبك واقتصروا على ضرب الأنصاف العديدة والمحبوب الزر والنصفيات لاغير ، ونقصوا من وزنها وعيارها ، ونقصت قيمتها ، وغلت في المصارفة . وزاد الحال بتوالى الحوادث والمحن والغلاء والغرامات ، وضيق المعاش وكساد البضائع . وتساهلوا في زيادة المصارفة .. وخصوصا في ثمن السلع والمبايعات ، وخلّص الحقوق من المطالين . واقرن بذلك تغافل الحكام وحورهم ، وعدم التفاتهم لمصالح الرعية ، وطمعهم وتركهم النظر في العواقب .. الى أن تجاوزت في وقتنا هذا ... الحدود ، وبلغت في المصارفة أكثر من الضعف . وصار صرف المحبوب مائتين وخمسة ... بل وعشرة .

والريال « الفرانسة » بمائة وخمسة وسبعين ، بل وثمانين . و « الشخص البندقى » بأربعمائة وأكثر . و « المجر » بثلاثمائة وستين . و « الفندقلى » بثلاثمائة وعشرين ، وهو الجديد . ويزيد القديم لجودة عياره عن الجديد ، وتتفاوت « المثلية » في المحبوب بجودة العيار . فاذا أبدل « السليمى » الموجود الآن « بالمحمودى » .. زيد في مصارفته أربعون نصفًا وأكثر ، بحسب الرغبة والاحتياج . وتتفاوت أيضا « المحمودى » . بمثله .. فيزيد « أبو وردة » عن « الراغب » ، ويزيد « الراغب » عن الذى فيه حرف « العين » ويكون

وكان ينسخ بالأجرة ، وكتب كتباً كثيرة ، وخطه في غاية الصحة والجودة ، وغالبها في الأدبيات « كالريحانة » و « خبايا الزوايا » و « خزنة الأدب » والتي بخطه من ذلك في غاية الحسن والقبول .

وكان شافعي المذهب ثم تحنف ، وحضر على أشياخ المذهب مثل : الشيخ محمد الدلجي ، والشيخ محمد العدوي . ولازم الشيخ حسن المقدسي ملازمة كلية ، وانتسب إليه ، وعرف به ، وحضر عليه ، وتلقى عنه غالب الكتب المشهورة في المذهب . وحضر باقى العلوم على الشيخ المولى والحفنى والشيخ على العدوي وغيرهم . وكان يكتب الأجوبة على الفتاوى عن لسانه .

ولما توفى شيخه المذكور ، تقرر مكانه في وظيفة الخطابة والامامة بجامع عثمان كتحدا بالأزبكية . وسكن بالدار المشروطة له بها السكنى برحاب الجامع المذكور .

وكانت خطبه في غاية الخفة والاختصار ، ولوعظه وقع في النفوس .. لخلوه عن التصنع .

ولما مات الشيخ أحمد الدمنهورى في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف ، وحصل ما حصل للشيخ عبد الرحمن العرشى — كما تقدم — تعين المترجم لمشيخة الحنفية والفتوى عوضاً عن المذكور . — قبل وفاته بأيام قليلة — وكان أهلاً لذلك ، وكفواً له ، وسار فيها سيراً حسناً بحسنة .

واشتهر ذكره ، وقصدته الناس للفتوى والامانة ، وأقبلت عليه الدنيا ، وسكن داراً مشرفة على الأزبكية جارية في وقف عثمان كتحدا . واشترى أبضاً داراً نفيسة بالجودرية ، وأسكنها لغيره بالأجرة .

وانحصرت فيه وظائف مشيخة الحنفية كالتدريس في مدرسة المحمودية والصرغتمشية

المحبوبان في تحويل المعاملة بدلاً عن « الشخص » الواحد ... مع أن وزنها سبعة وعشرون قيراطاً ، ووزن « الشخص » ثمانية عشر قيراطاً . فالتفاوت بينهما تسعة قيراط ، وهى مافيه من الخلط ... وغير ذلك مما يطول شرحه ، ويعسر تحقيقه وضبطه ! ولم يزل أمر المعاملة ، وزيادة صرفها ، واتلاف نقودها ، واضطرابها ... مستمراً . وكل قليل ينادون عليها مناداة بحسب أغراضهم ، لا تسمع ولا تقبل ولا يلتفت إليها . لأن أصل الكدر منبعث عنهم ، ومنحدر عن مجرأة خبائثهم وفسادهم .

آخره (٢٠ مارس ١٨٠٦ م) :

أذن الباشا لولده الكبير بالذهاب لزيارة سيدى أحمد البدوى — رضى الله عنه — بطندتا ، وعين صحبته أتباعاً وعسكراً وهجناء ، وقرر له دراهم على البلاد ألف ريال .. فما دونها ، خلاف الكلف . وكذلك سافر حريمات — ورئيستهن جريم مصطفى أغا الوكيل — في هيئة لم يسبق مثلاً .. في تختروانات وعربات ومواهى وأحمال وجبال وعسكر وخدم وفراشين ، وفرضوا لهم أيضاً مقررات على البلاد وكلفاً ونحو ذلك ... وأظن أن هذه المحدثات من أهوال القيامة ! وانقضت السنة وما حصل فيها من الحوادث والانداعات .

ومات فيها : الامام العلامة ، والبحر الفهامة ، صدر المدرسين ، وعمدة المحققين ، مفتى الحنفية بالديار المصرية : الشيخ محمد عبد المعطى بن الشيخ أحمد الحريرى الحنفى .

ولد سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، ونشأ في عفة وصلاح ، وحفظ القرآن وجوده ، وحفظ المتون .. وحضر أشياخ العصر ، وجود الخط .

والمحمدية وغيرها — فكان يباشر الاقراء بنفسه في بعضها ، والبعض ولده العلامة الشيخ ابراهيم . ولم يزل قرىء ويملى ويفيد — حتى في حال انقطاعه — وذلك أنه لما مات أحمد أغا غانم ، وحصل بين عتقائه منازعة ، ثم اتفقوا على تحكيم المترجم بينهم ، والتمسوا منه أن يذهب صحبتهم الى قوة ليصلح بينهم ... فلما ذهب الى بولاق وأراد النزول في السفينة ، اعتمد على بعض الواقفين ، فعثرت رجله ، فقبض ذلك الرجل على معصيه فانكسر عظمه لنحافة جسده ، فعادوا به الى داره ، وأحضروا له من عالجه حتى برىء بعد شهر ، وفرحوا بعافيته .

ودعاه بعض أحابيه بناحية قناطر السباع . فركب وذهب اليه — وكانت أول ركباته بعد برئه — فلما طلع الى المجلس وأراد الصعود الى مرتبة الجلوس ، زلقت رجله فانكسر عظم ساقه . وتكدر الحاضرون وحملوه وذهبوا به الى داره ، وأحضروا له المعالج ، فلم يحسن المعالجة . وتآلم تألماً كثيراً ، واستمر ملازماً الفراش نحو سبع سنوات . ثم توفى يوم الأربعاء ، سابع عشر رجب من السنة ، عن سبع وسبعين سنة ، ودفن بترية الأزمكية

وتعين بعده في المشيخة والافتاء ولده المحقق العلامة المستعد الشيخ ابراهيم ، أدام الله النفع بحياته ، وحفظ عليه أولاده . وللمترجم مآثر ، وتشييدات ومنظومات ، وضوابط وتخصيسات . فمن ذلك قوله :

مشبه به مع التشبه
أداة تشبيه ووجه شبه
والخامس المشبه النبيه
فقد حوى أركانه التشبيه

وله تخميس على البيتين المشهورين :
قد قلت لما وهى جسمى وأقلقنى
ما حل بى من سقام أنطت بدنى
وما رماني به دهرى من المحن
يا رب ان كان تمرضى يقربنى
زلفى اليك .. فباب العفو أوسع لى
أو كان من أجل عصيانى الذى عظما
وسوء ما قلته جهرا ومكتما
فالعفو عن عصا من شيمة الكرما
أو كان من أجل تحييص الذنوب فما
يحتاج عفوك للأسقام والعلل

وله تخميس أيضا على « المنبهجة » وتخميس على قصيدة الشيخ عبد الله الشبراوى المشهورة وأوله :

ان تقضى وغيمها والتمنى
صيرت دأبى المعاصى وفنى
ثم الى ناديت من حسن ظنى
رب انى تعاضم الذنب منى
غير ألى وجدت عفوك أعظم
الى آخرها ... وله غير ذلك .. سامحه الله ا

ومات الأجل الأمثل ، المفوه المنشئ ، النبيه الفصيح المتكلم : عثمان أفندى ابن سعد العباسى الأنصارى . من ولد آخر الخلفاء العباسية بمصر المتوكل على الله . ووالده يعرف بالأنصارى من جهة النساء .. من بيت السيادة والخلافة .

ولد بمصر ، وبها نشأ ، واشتغل بالعلم على فضلاء الوقت ، ومهر في الفنون بذكائه ، وعانى الحساب والنجوم وأخذ منها حظا ، ونزل كاتب سر فى ديوان بعض الأمراء ، ولامه بعض محبيه

اليه .. فلم يتم له ذلك . وأحضر ابراهيم ييك
السيد ابراهيم ابن أخى المتوفى وقلده ذلك .
فعندها أيس المترجم منها . واختلفت الأمور
بحدوث الفتن ، وتقلب الدول والأحوال .

ولازم شأنه وبيته بعد رجوعه من هجرته الى
الشام فى حادثة الفرنسيس ، واعتبرته الأمراض ...
واجتمعت لديه كتب كثيرة فى سائر العلوم ، وبيعت
بأسرها فى تركته . توفى يوم الأربعاء خامس عشرين
شوال من السنة ..

ومات العدة الامام ، الصالح الناسك العلامة ،
والبحر الفهامة : الشيخ محمد بن سيرين بن محمد
ابن محمود بن جيش الشافعى المقدسى . ولد فى
حدود الستين ، وقدم به والده الى مصر . فقرأ
القرآن . واشتغل بالعلم ، وحضر دروس الشيخ عيسى
البراوى فتفقه عليه ، وحلت عليه أنظاره ، وحصل
طرفا جيدا من العلوم على الشيخ عطية الأجهورى ،
ولازمه ملازمة كلية .

وبعد وفاة شيخه ، اشتغل بالحديث . فسمع
صحيح مسلم على الشيخ أحمد الراشدى ، واتجهل
بشيخنا الشيخ محمود الكردى . فلقنه الذكر
ولازمه ، وحصلت له منه الأنوار . وانجمع عن
الناس ، ولاحت عليه لوائح النجاسة ، وألبسه
التاج ، وجعله من جملة خلفاء الخلوتية . وأمره
بالتوجه الى بيت المقدس . فقدمه وسكن بالحرم
وصار يذاكر الطلبة بالعلوم ، ويعقد حلقة الذكر ،
وله فهم جيد ، مع حبة الذهن .

وأقبلت عليه الناس بالمحبة ، ونشر له القبول
عند الأمراء والوزراء ، وقبلت شفاعته ... مع
الانجتماع عنهم ، وعدم قبول هداياهم !

فى ذلك ، فاعتذر أنه انما قدم عليه صيانة لبعض
بيلاده وضياعه التى استولت عليها أيدى الظلمة ،
فلا محيد له عن عشرتهم !

واجتمع بشيخنا الشيخ محمود الكردى ، وأراد
السلوك فى طريق الخلوتية ، وترك شرب الدخان ،
ولازمه كثيرا ، وتلقن الاسم الأول والأوراد ،
وأقلع عما كان عليه ... حتى لاحت عليه أنوار
ملازمته ، واعتقده جدا . وبعد وفاة الأستاذ ..
رجع الى حالته ، وشرب الدخان .

ثم ولى خليفة على غلال الحرمين فباشرها
بشهامة ، ثم ولى روزنامة مصر بصرامة وقوة مراس
وشدة ومخادعة . وراج أمره واتسع حاله وزادت
حشمته ... وذلك بعد عزل أحمد أفندى أبى كلبه ،
وقبل وفاة السيد محمد أفندى الكماخى الروزنامجى .
وثقل أمره على باقى الكتبة والناس ، فأوغروا
عليه وعزلوه . فضاق صدره وزاد قلقه ، وحدث
فيه بعض رعونة ، وتردد لمشاهد الأولياء فى الليل
والنهار ... يبتهل ويدعو ، ويفرق خبزا ودراهم ،
ويأوى اليه المجاذيب ، والذين يدعون الصلاح
والولاية ، فيكرمهم برهة ويرون له مبرائى
ومنامات وإخباريات ، فيزداد هوسه . ثم لما يطول
الحال ينقطع عنهم ، ويبدلهم بآخرين ... وهكذا .
وكان يتام مع بعضهم فى الحرم ، ويترجم بعضهم
بمكاشفات وشطحيات ويقول : « فلان يطلع على
نظرات القلوب .. وفلان يصعد الى السماء ..
ومن كرامات فلان كذا .. » ثم يرجع عن ذلك .

ولما مات السيد محمد ، أعيد فى كتابة روزنامة
أيضا ، واستمر بها ثمانية عشر شهرا . وكانت أعادته
فى سنة ثمان بعد المائتين ، ثم انحرف عليه ابراهيم
بيك الكبير وعزله . وكان يظن أن الأمر يؤول

وأخبرني بعض من صحبه : أنه يفهم من كلام الشيخ ابن العربي ، ويقرره تقريرا جيدا ، ويميل الى سماعه . وحج من بيت المقدس ، وأصيب في العقبة بجراحة في عضده ، وسلب ماعليه ، وتحمل تلك المشقات . ورجع الى مصر فزار شيخه الشيخ محمودا ، وجلس مدة ثم أذن له بالرجوع الى بلده . وسمع أشياء كثيرة في مبادئ عمره ، واقتبس من الأشياخ فوائد جمة ... حتى قبل اشتغاله بالعلم .

وفي سنة ١١٨٢ كتب الى شيخنا السيد مرتضى يستجيزه . فكتب له أسانيد العالية في كرامة وسماها « قلنسوة التاج » . ولم يزل يملأ ويفيد ، ويدرس ويعيد ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وانهقد على اغتقاده وانفرادة الاتفاق ، وسطعت أنواره ، وعمت أسراره ، وانتشرت في الكون أخباره ،

وازدحمت على سنده زواره ... الى أن أجاب الداعي ، ونعتة النواعي . وذلك سبع وعشرين شهر شعبان من السنة . ولم يخل بصدده مسله ، وبه ختمت دائرة المسلكين من الخلوتية ورجال السادة الصوفية . وحسن به ختم هذا الجزء الثالث من كتاب « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لغاية سنة عشرين ومائتين وألف من الهجرة النبوية — على صاحبها أفضل الصلاة والسلام — ومنقيد ان شاء الله تعالى ما يتجدد بعدها من الحوادث ، من ابتداء سنة إحدى وعشرين — التي نحن بها الآن — ان امتد الأجل ، وأسعف الأمل . ونرجو من الكريم المتعال صلاح الأحوال ، وانقشاع الهموم ، وصلاح العموم ... انه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير . والله أعلم .

فلما قرىء التقليد ، ضربوا مدافع كثيرة من الأوزبكية والقلمة ، وعملوا تلك الليلة شنكا وحراقات ونفوطا وسواريح كثيرة وضبولا وزمورا بالأوزبكية .

٧ منه (٢٧ مارس ١٨٠٦ م) :

وصلت الأخبار بوقوع خسوف بين المساكن والعربان والأمراء المصرية بناحية جزيرة الهواه ، وقتل شخص من كبار العسكريين يسمى « كود يوسف » وغيره . ووصل إلى مصر عدة جرحى ، وهرب من المعسكر طائفة وانضموا إلى الأمراء المصريين . وأرسل حسن باشا يستنجد بالبasha بإرسال عساكر إليه .

وفي ذلك اليوم : نادوا في الأسواق بعدم المشي في الأسواق من آذان العشاء ، وخرج كتفدا ييك إلى بولاق في آخر النهار ، ونصب وطاقه ببر الباب . وخرج سليمان آغا بجيلة من المعسكر وذهب إلى ناحية طرا .

٨ منه (٢٨ مارس ١٨٠٦ م)

عدى كتفدا ييك إلى البر الغربي ، وانتقل طاهر باشا إلى الجيزة وأقام بها معافا . وفيه : أمر الباشا بجمع الأجناد المصرية والوجاقلية ، وأمرهم بالتعدية إلى البر الغربي ، وكأنه تخوف من اقامتهم بالمدينة ، وقال لهم : « من أراد منكم الذهاب إلى الأخصام فليذهب والا يستمر معنا » .

وفي هذه الأيام : كان مولد سيدى أحمد

المحرم

استهل شهر المحرم يوم الجنس حسابا ، ويوم السبت هلالا . ووافق ذلك انتقال الشمس لبرج الحمل ، فاتحدت السنة القمرية والشمسية . وهو يوم « النوروز » السلطاني ، وأول سنة الفرس . وهو التاريخ الجلالى اليزدجردي . وتاريخهم في هذه السنة ١١٧٦ .

وكان طالع التحويل الواقع في يوم الجمعة — في خامس ساعة ونصف من النهار — سبع درجات ونصفا من برج السرطان ، وصاحبه في حيز العاشر منصرف عن تربع المشتري ، ومقارنة عطارد والمشتري في السابع ، والمريخ مع الزهرة في العاشر هي راجعة ، وكيوان في الرابع — وهو دليل على ثبات دولة القائم ... وتعب الرعية ! والحكم لله العلي الكبير .

٣ منه (٢٣ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل إلى بولاق قابجى وعلى يده تقرير لمحمة على باشا بولايته بمصر ، وصحبة التقرير خلعة ، وهي فروة سمور . فلما أصبح النهار عمل محمد على باشا ديوانا بمنزله بالأوزبكية . وحضر السيد عمر النقيب والمشايخ والأعيان . وحضر ذلك الأغا من بولاق في موكب ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة .. وأمامه الأغا ولوالى والمحاسب والأغوات والجاويشية ، وخلفه النوبة التركية . فلما وصلوا إلى باب الخرق ، عطفوا على جهة الأوزبكية .

وفيه : أرسل الألفى مكتوبا خطابا الى السيد عمر أفندي مكرم النقيب والمشايخ مضمونه : « نخبركم أن سبب حضورنا الى هذه الجهة انما هو لطلب القوت والمعاش ، فان الجهة التي كنا بها لم يبق فيها شيء يكفيننا ويكفى من معنا من الجيش والأجناد ، ونرجو من مراجع أفندينا بشفاعتكم أن ينعم علينا . بما تتعيش به ، كما رجونا منه في السابق » .

١١ منه (٢١ مارس ١٨٠٦ م) :

في الصباح ركب السيد عمر الى الباشا ، وأخبره بذلك ، وأطلعه على المراسلة . فقال : « ومن أتى به ؟ » . قال له : « تابع مصطفى كاشف المورلى ، وقد ترك متبوعه بالبر الآخر » . فقال له : « اكتب له بالحضور ، حتى تتروى معه مشافهة » .

وفي ذلك الوقت حضر الى الباشا من أخيره بأن طائفة من المصريين وجيوشهم وصلوا الى بر أنبابة ، فخرج اليهم طائفة من العسكر المراكطين هناك ، وتحاربوا معهم بسوق الفم ، ووقع بينهم بعض قتلى وجرحى . فركب من فوره وذهب الى بولاق ، فنزل بالساحل وجلس هناك ساعة . ثم ركب عائدا الى داره بعد أن منع من تعدية المراكب اى بر أنبابة ، ثم أمرهم بالتعدية لربما اجتاجوهم ، وكان كذلك ، فانهم رجعوا مهزومين ... فلو لم يجدوا المعادى لحصل لهم هول كبير .

١٢ منه (أول ابريل ١٨٠٦ م)

حضر مصطفى كاشف المورلى - المرسل من طرف الألفى ، وصحبته على جرجى ابن موسى الجيزاوى - الى بيت السيد عمر . فركب صحبته الى الباشا ، وكتبوا له جوابا . ورجع من ليلته .

البدوى ، والجمع بطندنا ، المعروف بمولد الشرنابية . وهرع غالب أهل البلد بالذهاب اليه ، وأكثروا الجمال والحسير بأعلى الأجرة . لأن ذلك صار عند أهل الاقليم موسما ومعيدا لا يتخلفون عنه ، اما للزيارة أو التجارة أو للنزاهة أو للفسوق !

ويجتمع به العالم الأكبر ، وأهالى الاقليم البحرى والقبلى . وخرج أكثر أهالى البلد يحملهم . فكان الواقفون على الأبواب يفتشون الأحمال ، فوجدوا مع بعضهم أشياء من أسباب الأجناد المصرية وملابسهم ونحو ذلك . فوقع بسبب ذلك اذى لمن وجدوا معه شيئا من ذلك ، ولباقى الناس ضرر ينبش متاعهم ، فكان من الناس من يأخذ معه أشخاصا من العسكر من طرف الأغا يسلكونه للخروج من غير تفتيش ، وينعون المتقيدين بالأبواب عن التعرض لهم وبش متاعهم وأحمالهم .

٩ منه (٢٩ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل الخبر بأن عابدين ييك لما بلغه خروج الألفى من القيوم ذهب اليها صحبة الدلاة ، فلم يجد بها أحدا فدخلها ، وأرسل مبشرين الى مصر بأنه ملك القيوم . فضربوا مدافع لذلك ، وانبث المبشرون يطوفون على بيوت الأعيان يبشرونهم بذلك ، ويأخذون على ذلك الدراهم والبقاشيش . ثم لما بلغ عابدين ييك ما حصل لأخيه حسن باشا من الهزيمة ، رجع اليه وأقام معه ناحية الرقق .

١٠ منه (٢٠ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل الألفى الى ناحية كرداسة ، وانتشرت عساكره وعربانه باقليم الجيزة ، فلم يخرج لهم أحد من الجيزة ، مع كونهم بمراى منهم ، ويسمون تقايرهم وطبولهم ووطء حوافر خيولهم .

١٤ منه (٣ ابريل ١٨٠٦ م) :

حضر ثانيا مصطفى كاشف المورلى بجواب آخر ومضمونه : « اننا أرسلنا لكم ، لرجو منكم أن تسعوا بيننا بما فيه الراحة لنا ولكم ، وللفقراء والمساكين وأهالى القرى .. فأجبتونا بأننا تتعدى على القرى ، ونطلب منهم المغارم ، ونزعى زرعهم ، ونهب مواشيهم ... والحال أنه — والله العظيم ، ونيه الكريم — أن هذا الأمر لم يكن على قصدنا ومرادنا مطلقا . وانما الموجب لخضورنا الى هذا الطرف ضيق الحال والمقتضى ، للجمعية التى نصحبها من العربان وغيرهم ، ارسال التجاريد والعساكر علينا . فلازم لنا أن نجتمع اليها من يساعدنا فى المدافعة عن أنفسنا .. فهم يجمعون أصناف العساكر من الأقطار الرومية والمصرية لمحاربتنا وقتالنا ، وهم كذلك ينهبون البلاد والعباد للاتفاق عليهم . ونحن كذلك : نجتمع اليها من يساعدنا فى المنع ، ونفعل كفعالهم لننفق على من حولنا من المساعدين لنا . وكل ذلك يؤدى الى الخراب والدمار وظلم الفقراء . والتقصير منكم ، بل الواجب عليكم ، السعى فى راحة الفريقين ، وهو أن يكفوا الحرب ، ويفرزوا لنا جهة نزاح فيها .. فان أرض الله واسعة ، تسعنا وتسعهم . ويعطونا عهدا بكفالة بعض من نعتد عليهم ، من عندنا وعندهم . ويكتب بذلك محضر لصاحب الدولة ، وننتظر رجوع الجواب . وعند وصوله يكون العمل بمقتضاه » .

فعند ذلك اقتضى الرأى أن يقطعوه اقليم الجيزة ، وكتبوا له جوابا بذلك ، من غير عقد ولا عهد ولا كفالة كما أشار . وسلموا الجواب لمصطفى كاشف ورجع به .

وفى أثناء ذلك : طلب أجناد الألفى كلفا من بلد برطس وأم دينار ومنية عقبة . فامتنعوا عليهم ، فضربوهم وحاربوهم ونهبوهم . وسبب ذلك

أن العساكر الأتراك أغروهم ، وأرسلوا يقولون لهم : « اذا طلبوا منكم كلفة أو دراهم ، لاتدفعوا لهم واطردوهم وحاربوهم وانهبوهم . واذا سمعنا حربكم معهم أتيناكم وساعدناكم » . فاغتروا بذلك وصدقوه . فلما حصل لهم ما حصل ، لم يسفوههم ولم يخرجوا من أوكارهم ، حتى جرى عليهم المقدور !

٢٣ منه (١٢ ابريل ١٨٠٦ م) :

كتب الباشا مراسيم وأرسلها الى كشف الأقاليم والكائنين بالبلاد من الأجناد المصرية ، بأن يجتمعوا بأسرهم ويذهبوا الى ساحل السبكية للمحافظة عليها من وصول الأخصام اليها ، ولمنعهم من تعدية البحر اليها ، لأنهم اذا حصلوا بها تعدى شرمهم الى بلاد المنوفية بأسرها . وأشيع عزم الباشا على الركوب بنفسه وذهابه الى تلك الجهة ، ويكون سيره على طريق القليوبية ويلحق بهم . وكتخذا بيك وطاهر باشا سيران على الساحل الغربى تجاههم . ثم بطل ذلك وأرسل الى حسن باشا سر ششمه بأن يحضر بمن معه من العسكر من عند حسن باشا طاهر من ناحية بنى سويف ، وكذلك عساكر « كور يوسف » الذى قتل فى المعركة كما ذكر .

وفى ذلك اليوم : وصل رسول أيضا من عند الألفى بمكاتبات ، واجتمع بالسيد عمر النقيب . والمكاتبات خطاب له ولبقية المشايخ وللباشا ولسعيد أغا دار السعادة وصالح بيك القابجي معنى ماتقدم ، صحبة احمد أبى ذهب العطار . فكتبوا له جوابا بالمعنى الأول ، وأعادوا الرسول ، وأصحابوه ببعض المتعممين ، وهو السيد أحمد الشتيوى — ناظر جامع الباسطية — وكل ذلك أمور صورية وملاعبات من الطرفين لاحقيقة لها .

٢٥ منه (١٤ ابريل ١٨٠٦ م) :

وصل الجماعة المذكورون الذين استندعاهم الباشا بعساكرهم ، وخلع الباشا على أحد كبارهم عوضا عن « كور يوسف » المقتول .

وفيه : وصل الخبر بأن طائفة من الأجناد المصرية ، ومن يصحبهم من العربان ، عدوا الى بر السبكية ، ولم يمنهم المحافظون ، بل هربوا من وجوههم . فأمر الباشا بسفر العساكر وطلب دراهم سلفة من الأعيان لأجل ثقة العساكر ، وفرضوا على البلاد ثلاثة آلاف كيس . ويكون على العال منها مائة ألف فضة ، وفيها الأوسط والدون .

٢٧ منه (١٦ ابريل ١٨٠٦ م) :

نودى فى الأسواق بخروج العساكر .

٢٩ منه (١٨ ابريل ١٨٠٦ م) :

سافر طاهر باشا الى منوف على جرائد الخيل ، وسافر بعده كتخدها بالحيلة ، واحتاجوا الى جمال ، فأخذوا جمال السقاين والشواغرية .

وفيه : حضر عمر بيك الأرثوودى من ناحية بنى سويف ، وأخبر الواردون من الناحية أن رجب أغا وطائفة من العسكر خامروا عليه ، وانضموا الى الأمراء القبليين — وهم نحو الستائة — فعند ذلك حضر عمر بيك المذكور فى تطريده ليرى نفسه من ذلك .

وحضر أيضا محو كبير العسكر المحاصرين بالمنية يطلب علوفة للعسكر .

وفيه : أراد كتخدا بيك — وهو المعروف بدبوس أوغلي — أن يركب من انبابة ، وحمل أحماله ليسير الى جهة بحرى . فثارت عليه العسكر ، وطالبوه بعلائقهم ، وسفهاوا عليه ، ومنعوه من الركوب . فأراد التعدة الى بر بولاق ، فمنعوه أيضا ، وجذبوا لحيته . فأقام يومه وليته ، ثم

قال لهم : « وما الفائدة فى مكثي معكم ؟ دعوني أذهب الى الباشا ، وأسعى فى مطلوبكم » . ولم يزل حتى تخلص منهم ، وعدى الى مصر ، ولم يرجع اليهم .

غايته (١٩ ابريل ١٨٠٦ م) :

وصلت عساكر الدلاة الذين كانوا بناحية بنى سويف والقيوم الى بر انبابة ، وضربوا لهم مدافع لوصولهم .

وفيه : أرسل كبار العسكر الذين بناحية منوف مكاتبة الى الباشا ، يذكرون أن العساكر يطلبون مرتبات لحم وأرز وسمن . فانهم لا يجاربون ولا يقاتلون بالجوع .

وفى هذه الأيام : وصل الكثير من العساكر القبلية ، ودخلوا البلدة وكثروا بها .

وفى أيضا : وصلت الأخبار من الديار الحجازية بمسألة الشريف غالب للوهابيين ، وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة ، وقطع الجالب عنهم من كل ناحية .. حتى وصل ثمن الأردب المصرى من الأرز خمسمائة ريال ، والأردب البر ثلثمائة وعشرة . وقس على ذلك السمن والعسل ، وغير ذلك . فلم يسمع الشريف الا مسالمتهم ، والدخول فى طاعتهم ، وسلوك طريقتهم ، وأخذ العهد على دعائهم وكبيرهم بداخل الكعبة . وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها ، وشرب الأراجيل بالتنباك فى المسعى وبين الصفا والمروى ، وبالملازمة على الصلوات فى الجماعة ودفع الزكاة ، وترك لبس الحرير والمقصبات ، وابطال المكوس والمظالم

وكانوا خرجوا عن الحدود فى ذلك . حتى أن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة وعشرة بحسب حاله . وان لم يدفع أهله القدر الذى يتقرر عليه ، فلا يقدررون على رفعه ودفعه ، ولا يتقرب اليه الغاسل ليغسله حتى يأتية الاذن .. وغير ذلك من

أصناف الخلائق ، واختلاط النساء بالرجال ...
وباقى الأشياء التى فيها شركة المخلوقين مع الخالق
فى توحيد الألوهية التى بعثت الرسل الى مقاتلة
من خالفها ، ليكون الدين كله لله . فعاهده على منع
ذلك ، وعلى هدم القباب المبنية على القبور
والأضرحة ، لأنها من الأمور المحدثه التى لم تكن
فى عهده .. بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية ،
واقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التى لا تقبل
التأويل من الكتاب والسنة ، واذعانهم لذلك .

فعند ذلك أمنت السبل ، وسلكت الطرق بين
مكة والمدينة ، وبين مكة وجدة والطائف ، وانحلت
الأسعار ، وكثر وجود المطعومات وما يجلبه عربان
الشرق الى الحرمين من الغلال والأغنام والأسنان
والأعسال ... حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة
ريال .

واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار ،
وإذا فوَّقش فى ذلك يقول : « هؤلاء مشركون ،
وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين » !

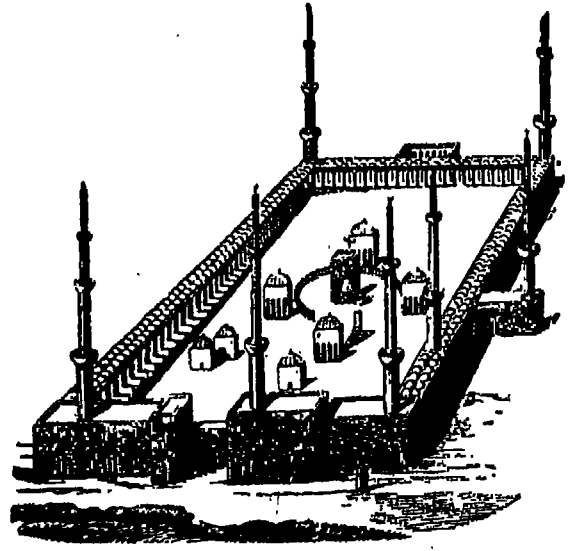
سفر

الأحد غرته (٢٠ أبريل ١٨٠٦ م)

سافر محويك الى جهة المنية .

وفيه : ورد من اسلامبول شخص قابجى ، وعلى
يديه مرسومات بالجمارك وغيرها . ومنها : ضبط
ترك الموتى المقتولين والمقبورين ، وكذلك تركه
السيد أحمد المحروقى وآخر يسمى الشريف محمد
البرلى ... والقصد تحصيل الدراهم بأى حجة
كانت . ووصل أيضا آخر متعين لجمرك الاسكندرية
وأخر لدمياط ولرشيد أيضا .

وفيه : عزم الباشا على السفر لمحاربة الألفى ،
وأشيع عنه ذلك ، وأنزلوا مدافع من القلعة
وجبخانة وآلات حربية .



الكعبة الشريفة

البدع والمكوس والمظالم التى أحدثوها على
المبيعات والمشتريات ، على البائع والمشتري ،
ومصادر الناس فى أموالهم ودورهم . فيكون
الشخص من سائر الناس جالسا بداره ، فما يشعر
على حين غفلة منه الا والأعوان يأمرونه باخلاء
الدار وخروجه منها ، ويقولون : « ان سيد الجميع
محتاج اليها » . فاما أن يخرج منها جملة وتصير
من أملاك الشريف ، واما أن يصلح عليها بمقدار
ثمنها أو أقل أو أكثر !

فعاهده على ترك ذلك كله ، واتباع ما أمر الله
تعالى به ، فى كتابه العزيز ، من اخلاص التوحيد
لله وحده ، واتباع سنة الرسول عليه الصلاة
والسلام ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة
والتابعون ، والأئمة المجتهدون .. الى آخر القرن
الثالث . وترك ما حدث فى الناس من الالتجاء لغير
الله من المخلوقين ، الأحياء والأموات ، فى الشدائد
والمهمات ، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور
والتصاوير والزخارف ، وتقبيل الأعتاب والخضوع
والتذلل ، والمناداة والطواف ، والنذور والذبح
والقربان ، وعمل الأعياد والمواسم لها . واجتماع

الأربعاء ٤ منه (٢٣ أبريل ١٨٠٦ م) :

قوى عزمه على ذلك . وأشيع أنه مسافر يوم السبت ، وأشار على السيد عمر أفندي النقيب بأن ينوب عنه ، ويكون قائما مقامه في الأحكام مدة غيابه : فلم يقبل السيد عمر ذلك وامتنع ، ثم فترت همته عن ذلك ، وتبين أنها اتهامات لا أصل لها .

الخميس ٥ منه (٢٤ أبريل ١٨٠٦ م) :

أرسل الباشا الى الخانات والوكائل أعوالا ، فختموا على حواصل التجار بما في داخلها من البن والبهار ، وذلك بعد أن أمنهم وقبض منهم عشورها ومكوسها بالسويس . فلما وصلت القافلة ، واستقرت البضائع بالحواصل ، فعل بهم ذلك . ثم صالحوا وأفرج عنهم ا

وفيه : ورد الخبر بأن الألفى ارتحل من ناحية الجسر الأسود والطرانة ، وقصد جهة البحيرة .

السبت ٧ منه (٢٦ أبريل ١٨٠٦ م) :

ركب صالح أغا قابجي باشا ، ونزل الى بولاق ليسافر الى الديار الرومية . فركب لوداعه الباشا وسعيد أغا والسيد عمر النقيب ، فشيعوه الى بولاق حتى نزل الى المراكب ، وخلع عليه الباشا فروة سمور مشنة بعد أن وفاه خدمته وهاداه بهدايا ، وأصحب معه هدايا للدولة وأربابها ، وعرفه بقضايا وأغراض يتممها له هناك ، وودعوه ورجعوا الى بيوتهم بعد الغروب .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٩ أبريل ١٨٠٦ م) :

سافر صالح أغا السلحدار الى جهة بحرى على طريق المنوفية ، وصحبته عساكر ، وقرروا له مقادير من الأكياس : على كل بلد من البلاد الرائجة عشرون كيسا فما فوقها وما دونها ، ومن كل صنف مقادير أيضا .

وفيه : فرضوا أيضا على البلاد غلال قمح وفول وشعير : كل بلد عشرون أردبا فما فوقها وما دونها . وهذه ثالث فرضة ابتدعت من الغلال على البلاد في هذه الدولة !

وفيه ورد الخبر بأن الألفى توجه الى ناحية دمنهور البحيرة يوم الأربعاء رابعة وانهم امتنعوا عليه . فحاصروهم لأنهم استعدوا لذلك .. والبلد منضافة الى السيد عمر النقيب . فكان يرسل اليهم ويحذرهم منه ، ويرسل اليهم ويمدهم بالآت الحرب والبارود ، ويحرضهم على الاستعداد للحرب . فحصنوا البلدة وبنوا سورها ، وجعلوا فيها أبراجا وبدنات ، وركبوا عليها المدافع الكثيرة ، وأحضروا لهم ما يحتاجون اليه من الذخيرة والجبخانه وما يكفيهم سنة . وحفروا حولها خنادق . وهى فى موقعها مرتفعة .

وفيه : عزل الباشا محمد أغا كتخدا بيك من كتخدائيته ، بسبب أمور تقمها عليه ، وحبسها وطلب منه ألف كيس ، وقلد فى الكتخدائية خازن داره ، وهو المعروف بدبوس أوغلى .

الأحد ١٥ منه (٤ مايو ١٨٠٦ م) :

عدى صارى عسكر الى بر انبابة بوطاقه ، وهو دبوس أوغلى الكتخدا المذكور ، وذلك فى أواخر النهار . وضربوا مدافع كثيرة لتعديته . وأخذ العسكر فى تشهيل أمورهم ولوازمهم ، وأنفق عليهم الباشا نفقة . هذا والطلب والتوزيع بالأكياس مستمر لا ينقطع عن أعيان الناس والتجار ، والأفندية الكتبة ، وجماعة الضربخانه والملتزمين بالجمارك ، وكل من كان له أدنى علاقة ، أو خدمة أو تجارة أو صنعة ظاهرة ، أو فائظ أو له شهرة قديمة ، أو من مساتير الناس ... وغالب الأحيان المحصل لذلك والقاضى فيه السيد عمر أفندي النقيب . وقد حكمت عليه الصورة

التي ظهر فيها ، وانعكس الحال والوضع ، وساءت
الظنون . والأمر لله وحده !

الخميس ١٩ منه (٨ مايو ١٨٠٦ م)

ارتحل عرضى التجربة من انبابة ، وذهبوا
الى جهة الوراريق .

وفي هذه الأيام : كان بين مشايخ العلم
منافسات ومنافرات ومحاسدات — وذلك من
أوائل شهر رمضان — وتعصبات بسبب مشيخة
الجامع ونظر أوقافه وأوقاف عبد الرحمن ككتخدا .
فاتفق أن الشيخ عبد الرحمن السجيني ابن الشيخ
عبد الرؤوف عمل وليمة ودعاهم اليها ، فاجتمعوا
في ذلك اليوم وتصالحو في الظاهر .

الاثنين ٢٢ منه (١٢ مايو ١٨٠٦ م) :

هبّت رياح جنوبية حارة ، واثارت غبارا وزوابع
ولواقح . ثم غيمت السماء غيما متقطعا ، وأرعدت
وأمرت . فكان الغبار والزوابع...والشمس طالعة
والمطر نازل ، وبذلك بعد العصر . وحصل مثل ذلك
أيضا في يوم الثلاثاء .. ولكن بعد الظهر .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٣ مايو ١٨٠٦ م) :

وفي تلك الليلة ، بعد الغروب ، أخرج الباشا
محمد أفندي المنفصل عن الكتخدائية منفا الى
جهة دسباط ، وأصحب معه عدة من العسكر
ذهبوا به من طريق البر .

وفي أواخره : رجعت عساكر من الأرثوود ،
وكانوا كثيرين ، ونزلوا ببولاق ومصر القديمة .
وغالهم الذين كانوا بصحبة حسن باشا طاهر ،
وأخيه عابدين بك . وسبب رجوعهم أنهم طلبوا
علائقهم من حسن باشا — وكان قد ظهر له فيهم
المحاربة عليه وميلهم الى الأخصام — فامتنع من دفع
علائقهم وقال لهم : « اذهبوا الى مصر ، واطلبوا

علائقكم من الباشا » . وأرسل اليه يعرفه بحالهم
وتفاهمهم . فلما ترأسوا في الحضور ، منهم الباشا
من الدخول الى البلد ، ووعدهم بإيصال علائقهم
اليهم وهم خارج المدينة ، وبعد أن يقبضوا مالهم
يعودون الى مرابطهم كما كانوا . فأقاموا بناحية
بولاق .

وأرسل الباشا فجاء عربان الحويطات والمائد
وغيرهم ، فأقاموا بناحية شبرا ومنية السرج ،
وهم جملة كبيرة ... استمروا في تجمعهم أربعة
أيام . وأرسل الى الأجناد والجرجية وأشالهم
المقيمين بمصر ، وأمر بأن يتهاؤا ويقضوا أشغالهم
ويخرجوا صحبة حسن أغا الشاشيرجي : فمن
كان منهم ذا مقدرة ، وعنده حصان يركبه ، والا
أو جبل يحمل عليه متاعه ، خرج بنفسه ، والا
أخرج بدلا عنه وأعطاه مصروفه واحتياجاته
ولوازمه . وبرزوا الى خارج .

ثم أرسل الى العساكر المذكورين
يأمر كبارهم بالسفر الى بلادهم . فامتنعوا وقالوا :
« لا نسافر حتى نقبض المنكسر لنا من علائقنا »
فعند ذلك دس الى أصاغهم من خدعهم واستمالهم
حتى تفرقوا في خدمة المستوطنين ، ولم يبق مع
كبارهم المعاندين الا القليل . فلم يسعهم بعد ذلك
الا الامتثال .

في غايته (١٨ مايو ١٨٠٦ م) :

ارتحلوا من بولاق ، وسافر معهم الشاشيرجي
المذكور ومن بصحبته من المصريين ، وحولهم
العربان ، وساروا على طريق دسباط — وهم اثنان
وخمسون شخصا من كبار طائفة الأرثوود —
وحصل من العرب في مدة تجمعهم ما لا خير فيه ،
وكذلك في مدة اقامتهم .. من الخطف والتعرية
وقطع الطريق على المسافرين .

ربيع الأول

٦ منه (٢٤ مايو ١٨٠٦ م) :

حصل رعد كثير وبرق بين المغرب والعشاء بدون مطر ، والغيم قليل متقطع . وذلك سابع عشر بشنس ، وثاني عشر أيار ، والشمس في ثالث درجة من برج الجوزاء ، وذلك من النواذر في مثل هذا الوقت .

وفيه : ضربوا مدافع من القلعة لبشارة وردت من الجهة القبليّة ... وذلك أن رجب أغا وياسين بيك اللذين انضموا إلى الأمراء المصرية القبليين عملاً متاريس بحرى المنية لينمنا من يصل اليهما من مراكب الذخيرة . فلما سافر محو بيك بمراكب الذخيرة ووصل إلى حسن باشا طاهر ببني سويف ، أصحب معه عابدين بيك وعدة من العسكر في عدة مراكب . فلما وصلوا إلى محل المتاريس تراموا بالمدافع والرصاص ، واقتحموا المرور ، وساعدهم الريح فخلصوا إلى المنية ، وطلعوا إليها ، ودخلها عابدين بيك . وقتل فيما بينهم أشخاص ، وأرسلوا بذلك المبشرين ، فأخبروا بذلك وبالغوا في الأخبار ، وأن ياسين بيك قتل هو وخلافه ، ورأسه واصله مع رؤوس كثيرة . فعملوا لذلك شنكا ، وضربت مدافع كثيرة . ولم يكن لقتل ياسين بيك صحة . ثم وصل محو بيك وابن وافي وقد نزلا في شكترية لها عدة مقاديف ودفعوا في قوة التيار حتى وصلوا إلى مصر ، ولم يصل معهم رؤوس كما أخبر المبشرون .

وفيه : قرر فرضة على البلاد ، وهي دراهم وغلل . وعينوا لذلك كاشفا ، فسافر ومعه عدة من العسكر وصحبتهم ثقاير . وسافر أيضا خازن دار الباشا وصحبته على جلبي — وهو ابن أحمد كتخدا على ... قلده الباشا كشوفية شرقية بليس — وأخذ صحبته أكثر رفقائه وأصحابه

من أولاد البلد ، فسافروا على حين غفلة إلى ناحية الدقهلية .

١٠ منه (٢٨ مايو ١٨٠٦ م) :

وصلت الأخبار بأن الألفى ارتحل من البحيرة ورجع إلى ناحية وردان ، وعدى من جيشه وعربانه طائفة إلى جزيرة السبكية ، وهرب من كان مرابطا فيها من الأجناد المصرية وغيرهم ، وطلبوا من أهالي السبكية دراهم وغللا ، وفر غالب أهلها منها وجلوا عنها ، وتفرقوا في بلاد المنوفية .

١٢ منه (٣٠ مايو ١٨٠٦ م) :

عمل المولد النبوي ، ونصبوا بالأزبكية صواري تجاه بيت الباشا والشيخ محمد سعيد البكرى ... وقد سكن بدار مطلة على البركة داخل درب عبد الحق ، وأقام هناك ليالى المولد اظهرا لبعض الرسوم .

وفيه : علقوا تسعة رؤوس على السبيل للمواجه لباب زويلة ... ذكروا انها من قتلى دمنهور ، وهي رؤوس مجهولة . ووضعوا بجانبهم يرقين ملطخين بالدماء .

وفيه : طلب الباشا دراهم سلفة من الملتزمين والتجار وغيرهم ، بموجب دفتر أحمد باشا خورشيد ، الذي كان قبضها في عام أول — قبل القومة والحراية — فعينوا مقاديرها ، وعينوا بطلبها المعينين بالطلب الحثيث من غير مهلة . ومن لم يجدوه ، بأن كان غائبا أو متغيبا ، دخلوا داره ، وطالبوا أهله أو جاره أو شريكه . فضاق ذرع الناس ، وذهبوا أفواجا إلى السيد عمر أفندي النقيب . فيتضرع ويتأسف ويتقلق ، ويهون عليهم الأمر ، وربما سعى في التخفيف عن البعض بقدر الامكان ... وقد تورط في الدعوى .



مراكب المعاشات

لقلة المراكب ، وجفاف البحر الغربي ، والخوف من السلوك فيه من قطاع الطريق والعربان . فكانت المراكب المعاشات التي تأتي بالسفار وبضائع التجار ، يأتون بشحناتهم الى حد السد ومحل العمل والشغل ... فيرسون هناك ثم ينقلون ما بها من الشحنة والبضائع الى البر ، وينقلونها الى السفن والقوارب التي تنقل الأحجار ، ويأتون بها الى ساحل بولاق ، فيخرجون مافيها الى البر ، وتذهب تلك السفن والقوارب الى أشغالها في نقل الحجر . ولا يخفى ما يحصل في البضائع من الاتلاف والضياع والسرقة وزيادة الكلف والأجر ، وغير ذلك ... وطال أمد هذا الأمر .

اواخره (حوالى منتصف يونية ١٨٠٦ م) :

نزل الباشا للكشف على الترعة ، فغاب يومين وليلتين ، ثم عاد الى مصر .

رئيس الآجر

فيه : وردت سعاة من الاسكندرية ، وأخبروا بورود أربع مراكب وفيها عساكر من النظام الجديد وصحبهم ططريات وبعض أشخاص من الانكليز . ومعهم مكاتبة خطابا الى الألفى ، وبشارة بالرضا والعفو للأمراء المصرية من الدولة بشفاعة الانكليز .

وفيه : سافر السيد محمد المحروقي الى سد ترعة الفرعونية . وذلك أن الترعة المذكورة لما اجتهد في سدها المصريون في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف ، كما تقدم ، انفتحت من محل آخر ينفذ الى ناحية الترعة المسماة بالفيض ، وكان ذلك بإشارة أيوب بك الصغير لعدم انقطاع الماء عن رى بلاده ، فتهورت أيضا هذه الناحية واتسعت وقوى اندفاع الماء اليها في مدة هذه السنين ... حتى جف البحر الغربى والشرقى ، وتغير ماء النيل في الناحية الشرقية ، وظهرت فيه الملوحة من حدود المنصورة ، وتعطلت مزارع الأرز ، وشرقت بلاد البحر الشرقى ، وشربوا الأجاج ومياه الآبار والسواقي ... وكثر تشكى أهالى البلاد ، فحصل العزم على سدها في هذا العام ، وتفيد بذلك السيد محمد المحروقي وذو الفقار كتحدا . وطلبوا المراكب لنقل الأحجار من الجبل ، وذهب ذو الفقار الى جهة السد وجمع العمال والفلاحين ، وسيقت اليه المراكب المملوءة بالأحجار من أول شهر صفر الى وقت تاريخه . وجبوا الأموال من البلاد لأجل النفقة على ذلك . ثم سافر السيد المحروقي أيضا وبذل جهده . ورموا بها من الأحجار ما يضيق به الفضاء من الكثرة . وتعطل بسبب ذلك المسافرون

فلما وصلوا اليه بناحية حوش ابن عيسى بالبحيرة ، سر بقدمهم ، وعمل لهم شنكا ، وضرب لهم مدافع كثيرة ، ثم شملهم وأرسلهم الى الأمراء القبلين ، وصحبهم أحد صناعته — وهو أمين بيك — ومحمد كاشف تابع ابراهيم بيك الكبير . ثم آله أرسل عدة مكاتبات بذلك الخبر الى المشايخ وغيرهم بمصر ، وكذلك الى مشايخ العربان ، مثل : الحويطات والعائد وشيخ الجزيرة وباقي المشاهير فأحضر بن شديد وابن شعير الأوراق التي أتتهم من الألفى الى الباشا وفيها : « ونعلمكم أن محمد على باشا ربما ارتحل الى ناحية السويس ، فلا تحصلوا أقاله . وإن فعلتم ذلك فلا تقبل لكم عذرا » . ولما سمع الباشا ذلك قال : « انه مجنون وكذاب » . وفيه : فتح الباشا الطلب بغائط البلاد والخصص من الملتزمين والفلاحين ، وأمر الروزنامجي وطائفته بتحرير ذلك عن السنة القابلة . ففصح الملتزمون وترددوا الى السيد عمر النقيب ، والمشايخ ... فخطبوا الباشا . فاعتذر اليهم باحتياج الحال والمصاريف . ثم استقر الحال على قبض ثلاثة أرباعه : النصف على الملتزمين ، والربع على الفلاحين . وأن يحسب الريال في القبض منهم بثلاثة وثمانين نصفا ، ويقبضه باثنين وتسعين . وعلى كل مائة ريال خمسة أنصاف حق طريق ، سواء كان القبض من الملتزم عن حصته في المضر ، أو بيد المعينين من طرف الكاشف في الناحية ، وإذا كان التوجيه بالطلب من كاشف الناحية كانت أشنع في التفرغ والكلف ... لترادف الارسال ، وتكرار حق الطريق !

الاثنين ٦ منه (٢٣ يونية ١٨٠٦ م)

حضر أحمد كاشف سليم من الجهة القبلية . وسبب حضوره : أن الباشا لما بلغته هذه الأخبار ،

أرسل الى الأمراء القبلين يستدعى منهم بعض عقلائهم ، مثل : أحمد أغا شويكار ، وسليم أغا مستحفظان ، ليتشاور معهم في الأمر . فلم يجب واحد منهم الى الحضور . ثم اتفقوا على ارسال أحمد كاشف لكونه ليس معسودا من أفرادهم ، وبينه وبين الباشا نسب — لأن ربيته تحت حسن الشماشيرجي — فحضر واختلى به الباشا مرارا ، ثم أمره بالعود . فسافر في يوم الثلاثاء رابع عشره وأصبح معه هدية الى ابراهيم بيك والبرديسي وعثمان بيك حسن ، وغيرهم من الأمراء ، وهي عدد خيول وقلايعات وثياب وأمتعة وغير ذلك . وفيه : قبض الباشا على ابراهيم أغا الوالى وجبسه مع أبواب الجرائم . وسبب ذلك : أن البضاين شاهدوا حمولا فيها ثياب من ملابس الأجناد أعدوا بعض تجار النصارى ليرسلها الى جهة قبلى ، لتباع على أجناد الأمراء المصريين ومباليكهم ويربح فيها . وسئل الحاملون لها ، فأخبروا أن أربابها فعلوا ذلك باطلاع الوالى المذكور على مصلحة أخذها منهم . ووصل خبر ذلك الى الباشا ، فأحضره ، وقبض عليه وجبسه ، ثم أطلقه بعد أيام على مصلحة تقرررت عليه بشفاعة امرأة من القهارة المتقربين ! وعاد الى منصبه ، وأخذت البضاعة ، وضاعت على أصحابها ، وغرموهم زيادة على ذلك غرامة ، وكذلك اتهم الذى حجزها بأنه اختلس منها أشياء وجبس وأخذت منه مصلحة ! فتحصل من هذه القضية جملة من المال ، مع أنها في خلال المراسلة والمهاداة . ونودى بعد ذلك بأن من أراد أن يرسل شيئا أو متجرا ، ولو الى السويس ، فليستأذن على ذلك ويأخذ به ورقة من باب الباشا ، فإن لم يفعل وضاع عليه ... فاللوم عليه .

الثلاثاء ١٤ منه (اول يولية ١٨٠٦ م) :

ورد ساعى ، وصحبته مكتوب من حاكم

الاسكندرية خطابا الى الدفتردار ، يخبره بوصول
قبطان باشا الى الثغر ، وفي أثره واصل باشا
متولى على مصر ، واسمه موسى باشا ، وصحبته
مراكب بها عساكر من الصنف الذى يسمى النظام
الجديد .

وكان ورود القبطان الى الثغر ليلة الجمعة
عاشره . وطلعوا الى البر بالاسكندرية يوم السبت
حادى عشره .

فلما قرأ الدفتردار الورقة ، أرسل الى السيد
عمر النقيب ، فحضر اليه ، وركب صحبته للباشا ،
واختليا معه ساعة .. ثم فارقه .

ولما بلغ الألفى ورود هذه الدونامة ، وحضرت
اليه المبشرون — وهو بالبجيرة — امتلا فرحا ،
وأرسل عدة مكاتبات الى مصر صحة السعاة .
فقبضوا على السعاة ، وحضروا بهم الى الباشا ...
فأخفاها ، ووصل غيرها الى أربابها على غير يد السعاة ،
وصورتها : الاخبار بحضور الدونامة صحة قبطان
باشا والنظام الجديد وولاية موسى باشا على مصر ،
وانتقال محمد على باشا عن الولاية . وأن مولانا
السلطان عفا عن الأمراء المصريين ، وأن يكونوا
كعادتهم فى اماره مصر وأحكامها ، والباشا المتولى
يستقر بالقلعة كعادته ، وأن محمد على باشا يخرج
من مصر ويتوجه الى ولايته التى تقلدها — وهى
ولاية سلايك — وأن حضرة قبطان باشا أرسل
يستدعى اخواننا الأمراء من ناحية قبلى . فالله
يسهل بحضورهم ... فتكونوا مطمئنين خاطر ،
وأعلموا اخوانكم من الأولداشات والرعية بأن
يضبطوا أنفسهم ويكونوا مع العلماء فى الطاعة .
وما بعد ذلك الا الراحة والخير والسلام .

الجمعة ١٧ منه (٤ يولية ١٨٠٦ م) :

ورد قاصد من طرف قبودان باشا الى بولاق ،
فأرسل اليه الباشا من قابله وأركبه وحضر به الى

بيت الباشا . وأراد أن ينزله بمنزل الدفتردار ،
فاستعفى الدفتردار من نزوله عنده ، فانزلوه ببيت
الروزنامجى ، وأقام يوم السبت والأحد . ولم
يظهر ما دار بينهما . ثم سافر فى يوم الاثنين ،
وذهب صحبته سليم ، المعروف « بقبلى ركضى » .

وشرع الباشا فى عمل آلات حرب وجلل
ومدافع ، وجمعوا الحدادين بالقلعة ، وأصعدوا
بنبات كثيرة واحتياجات ومهمات الى القلعة . وظهر
منه علامات العصيان وعدم الامتثال ، وجمع اليه
كبار العسكر وشاورهم وتناجى معهم فوافقوه على
ذلك ، لأن ما من أحد منهم الا واصل له عدة بيوت
وزوجات والتزام بلاد ومياده ... لم يتخيلها ، ولم
تخطر بذهنه ولا بفكره ، ولا يسهل به الانسلاخ
عنها والخروج منها .. ولو خرجت روحه !

وأخبر المخبرون : أن الألفى أرسل هدية الى
قبودان باشا ، وفيها ثلاثون حصانا : منها عشرة
برخوتها ، ومن الغنم أربعة آلاف رأس ، وجمله
أبقار وجواميس ، ومائة جمل محملة بالذخيرة ،
وغير ذلك من النقود والثياب والأقمشة برسمه
ورسم كبار أتباعه .

ثم ان الباشا أحضر السيد عمر والخاصة وعرفهم
بصورة الأمر الوارد بعزله وولاية موسى باشا ،
وأن الأمراء المصريين أعرضوا للسلطنة فى طلب
العفو وعودهم الى امرياتهم ، وخروج العساكر التى
أفسدت الاقليم عن أرض مصر . وشرطوا على
أنفسهم القيام بخدمة الدولة والحرمين الشريفين
وارسال غلالها ، ودفع الخزينة وتأمين البلاد .
فحصل عنهم الرضا ، وأجيبوا الى سؤالهم على هذه
الشروط . وأن المشايخ والعلماء يتكفلون بهم ،
ويضمنون عهدهم بذلك ... فأعملوا فكرهم
ورأيكم فى ذلك . ثم انفصلوا من مجلسه .

وفيه : أرسل الباشا فجمع الأخشاب التى

وجدها ببولاق في الشوادر والحواصل والوكائل ،
وظلموا جميع ذلك الى القلعة لعمل العربات والمعمل
برسم المدافع والقناير .

الثلاثاء ٢١ منه (٨ يولية ١٨٠٦ م) :

كان مولد الشهيد الحسيني المعتاد ، وحضر الباشا
لزيارة الشهيد . ودعاه شيخ السادات — وهو
الناظر على الشهيد والمتقيد لعمل ذلك — قد دخل
اليه وتغدى عنده ، ثم ركب وعاد الى داره . وأكثر
من الركوب والطواف بشوارع المدينة والطلوع
الى القلعة ، والنزول منها ، والذهاب الى بولاق
وهو لابس برنسا .

الخميس ٢٣ منه (١٠ يولية ١٨٠٦ م)

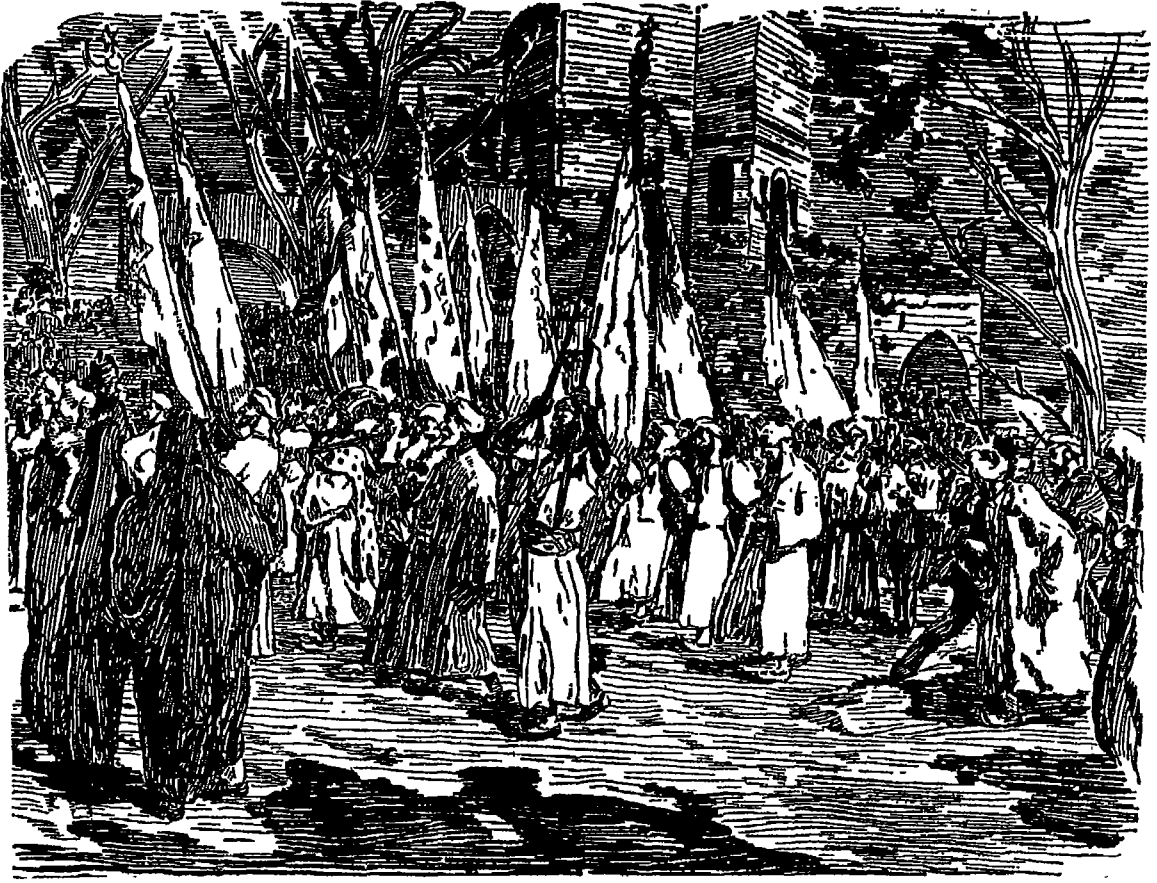
حضر ديوان أفندي وعبد الله أغا بكتاش الترجمان
عند السيد عمر ، ومعهما صورة عرض يتشب عن
لسان المشايخ الى الدولة ... في شأن هذه الحادثة .
فتناجوا مع بعضهم حصّة من النهار ، ثم ركبا
وحضرا في ثاني يوم عند الشيخ عبد الله الشرقاوي ،
وأمروا المشايخ بتنظيم العرض حال وترصيعه ،
ووضع أسمائهم وختمهم عليه ، ليرسله الباشا الى
الدولة ... فلم تسمعهم المخالفة ، ونظموا صورته ،
ثم يبيضوه في كاغد كبير ، وصورته بالحرف :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الرؤوف الحليم ،
الحمد لله ذي الجلال على جميع الشئون والأحوال .
نرفع اليك أكفا من بحر جودك مغترفة ، وتنوجه
الى كعبة فضلك بقلوب بخالص الوجدانية معترفة ،
أن تديم بهجة الزمان ، وروث غنوان اليمن
والأمان ... بدوام وزير تخضع لهايته الرقاب ،
وتدنو لهمة سطوته المهام الصعاب ... منتهى آمال
المقاصد والوسائل ، ومحط رجال المطالب من كل
سائل : حضرة صدر الصدور ، ومدبر مهمات
الأمر ... الصدر الأعظم محمد علي باشا . أدام

الله دعائهم المزم بقبامه ، وفسح للانام في أيامه ،
محفوظا بمناية الرب الكريم ، محفوظا بآيات
القرآن العظيم .. آمين

« أما بعد رفع القصد والرجاء ، ومد سواعد
الخضوع والاتجاء ، فاننا ننهي لمسامعكم العلية ،
وشيم أخلاقكم المرضية : بأنه قد قدم حضرة
الدستور المكرم ، والمشير المفخم ، مدبر مهمات
الاسكالات البحرية ، خادم الدولة العلية ، الوزير
قبودان باشا الى ثغر سكندرية . فأرسل كتبه
البوايين سعيد أغا ... وصحبته الأمر الشريف ،
الواجب القبول والتشريف ، المعنون بالرسم
الهمايوني العالي ... دامت مسراته على مر
الدهور والأعوام والأيام والليالي . فأوضح
مكتوبه ، وأفصح مضمونه : بأنه قد تطاولت
العناوة بين الوزير محمد علي باشا وبين الأمراء
المصريين . فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من
غلال ومرتببات ، وتنظيم أمير الحج على حكم
سوابق العادات ..

« والحال .. أنه ينبغي تقديم ذلك على سائر
المطلوبات ، وأن هذا التأخير سببه كثرة العساكر
والعلوفات ، وترتب على ذلك لكامل الرعية بالأقاليم
المصرية الدمار والاضمحلال ، وأهنت الأمراء المصرية
هذه الكيفية لحضرة البسة السنية ، وأنهم يتعهدون
بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال
وعوائد ومهمات ، وإخراج أمير الحج على حكم
أسلوب المتقدمين ... مع الامتثال لكامل ما يرد من
الأوامر الشريفة الى ولاية الأمور بالديار المصرية ،
وأنهم يقومون في كل سنة بدفع الأموال الميرية الى
خزينة الدولة العلية .. ان حصل لهم العفو عن
جرائمهم الماضية ، والرضا بدخولهم مصر المحمية .
« والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك
منهم ، وبلوغهم مأمولهم . فأصدرنهم لهم الأمر



.. في مولد الحسين

لنا على ذلك .. لما تقدم من الأفعال الشهيرة ،
والأحوال والتطورات الكثيرة ، التي منها خيانة
المرحوم السيد على باشا — وإلى مصر سابقا —
بعد واقعة ميرميران طاهر باشا ، وقتل الحجاج
القادمين من البلاد الرومية ، وسلب الأموال بغير
أوجه شرعية !

« والصغير لا يسمع كلام الكبير ، والكبير
لا يستطيع تنفيذ الأمر على الصغير . وغير ذلك مما
هو معلومنا وبمشاهدتنا . خصوصا ما وقع في العام
الماضي من اقدامهم على مصر المحمية ، وهجومهم
عليها في وقت الفجرية . فجلاهم عنها حضرة المشار
اليه ، وقتل منهم جملة كثيرة ، فكانت واقعة
شهيمة ... فهذا شيء لا ينكر . فحينئذ لا يمكننا

لهما يوني الشريف ، المطاع المنيف ، بعزل الوزير
المشار اليه ، لتقرير العداوة معه .. ووجهتم له ولاية
سلانيك ، ووجهتم ولاية مصر الى الوزير موسى
باشا ، وقبلتم توبتهم .

« وأن العلماء والوجاقلية ، والرؤساء والوجهاء
بالديار المصرية ، الداعين لحضرة مولانا الخنكار
يلوغ المأمولات المرضية .. ان تعهدوا بهم
وكفلوهم يحصل لهم المساعدة الكلية ، حكم
بإتساعهم من أعتاب حضرة الدولة العلية . فأمرهم
مطاع ، وواجب القبول والاتباع .

« غير أننا نلتمس من شيم الأخلاق المرضية ،
والمراحم العلية ، العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم . فان
نربط الكفيل قدرته على المكفول ، ونحن لا قدرة

القبطان ، وأخرى الى السلطان . وكتبوا عليهما
الامضاء والختم وأرسلوهما ..

الاثنين ٢٧ منه (١٤ يولية ١٨٠٦ م) :

وصل شاكرا أغا سلحدار الوزير الى بولاق
فتلقوه ، وأركبوه الى بيت الباشا . فلما أصبح
النهار ، أرسلوا أوراقا وصلت صحبة السلحدار
المذكور : احداها خطابا للمشايخ ، وأخرى الى شيخ
السادات ، وثالثة الى السيد عمر النقيب ، وكلها على
نسق واحد ، وهى من قبودان باشا ، وعليها الختم
الكبير ، وهى بالعربى . وفرمان رابع — باللغة
التركية — خطابا للجميع . ومضمون الكل :
الاجبار بعزل محمد على باشا عن ولاية مصر
وولايته سلايك ، وولاية السيد موسى باشا
المنفصل عنها — مصر ، وأن يكون الجميع تحت
الطاعة والامتثال للأوامر ، والاجتهاد فى المعاونة ،
وتسهيل محمد على باشا فيما يحتاج اليه من السفن
ولوازم السفر ، ليتوجه هو وحسن باشا والى
جرجا ، من طريق دمياط بالاعزاز والاكرام
وصحبتهم جميع العساكر من غير تأخير ... حسب
الأوامر السلطانية .

ثم انهم اجتمعوا فى عصر ذلك اليوم بمنزل
السيد عمر ، وركبوا الى الباشا . فلما استقروا
بالمجلس . قال لهم : « وصلت اليكم المراسلات
الواردة صحبة السلحدار ؟ » ، قالوا : « نعم » .
قال : « وما رأيكم فى ذلك ؟ » . قال الشيخ
الشرقاوى : « ليس لنا رأى .. والرأى ما تراه ،
ونحن الجميع على رأيك ا » . فقال لهم : « فى
غد أبعث اليكم صورة تكتبونها فى رد الجواب »

وأرسل اليهم من الغد صورة مضمونها : أن
الأوامر الشريفة وصلت الينا ، وتلقيناها بالطاعة
والامتثال .. الا أن أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف
وربما عصت العساكر عن الخروج ، فيحصل لأهل

التكفل والتعهد ، لأننا لا نطلع على ما فى السرائر ،
وما هو مستكن فى الضمائر .

« فارجو عدم المؤاخذه فى الأمور التى لا قدرة لنا
عليها ، لأننا لا نقدر على دفع المفسدين والطفاة
والمتمردين الذين أهلكوا الرعايا ودمروهم ، فأنتم
خلفاء الله على خليفته ، وأمانؤه على بريته ا

« ونحن ممثلون لولاية أموركم فى جميع ما هو
موافق للشرعة المحمدية ، على بحكم الأمر من رب
البرية ، فى قوله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين
آمنوا أطعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر
منكم » فلا تسعنا المخالفة فيما يرضى الله ورسوله .
فان حصل منهم خلاف ذلك ، نكل الأمر فيهم الى
مالك الممالك لأن أهل مصر قوم ضعاف . وقال
عليه الصلاة والسلام : « أهل مصر الجند الضعيف
فما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته » . وقال
أيضا : « وكل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة » .

« وتفيد أيضا حضرة السامع العلية ، من
خصوص القرض والسلف ، التى حصل منها الثقلة
للأهالى ، من حضرة محسوبكم الوزير محمد على
باشا . فانه اضطر اليها لأجل اغراء العساكر
وتقويتهم على دفع الأشقياء والمفسدين ، والطفاة
المتمردين ... أمثالا لأوامر الدولة العلية فى دفعهم ،
والخروج من حقهم . واجتهد فى ذلك غاية
الاجتهاد ، رغبة فى حلول أنظار الدولة العلية
فالأمر مفروض اليكم ، والملك أمانة الله تحت
أيديكم . يسأل الله الكريم المنان ، أن يديم
العز والامتنان ، لسدة السلطان ، مع رفعة
ترشح بها فى النفوس عظمتها ، وسطوة تسرى
بها فى القلوب مهابته . وأن يبقى دولته على الأنام ،
وأن يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير
البرية ، وآله وصحبه ذوى المناقب الوفية » .

وكتبوا من ذلك نسختين : احداهما الى

جمادى الأولى

الجمعة ٢ منه (١٨ يولية ١٨٠٦ م) :

احترق مغل البارود بناحية المدانغ ، فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل ، مثل المدفع العظيم ، سمعه القريب والبعيد . ومات به عدة أشخاص . ويقال أنهم رموا بنبذة من القلعة ، بقصد التجربة على جهة بولاق . فسقطت في المعمل المذكور ، وحصل ماذكر .

السبت ٢ منه (١٩ يولية ١٨٠٦ م) :

في وقت الزوال ، ركب الباشا من داره يريد السفر لمحاربة الأتقى ، ونزل الى بولاق ، وعدى الى بر انبابة لتجهيز العرضى ، وأرسل أوراقا لتجمع العربان ، وعين لذلك حسن أغا محرم وعلى كاشف الشرقية .

الاثنين ٥ منه (٢١ يولية ١٨٠٦ م) :

حضر سليم أغا قابجى كئخدا - الذى تقدم سره صحة سعيد أغا كئخدا البوابين - مرسلا الى قبودان باشا من طرف محمد على باشا ، فرجع بجواب الرسالة . ومحصلها : أن القبودان لم يقبل هذه الأعذار ، ولا مانقوه من التموهيات التى لا أصل لها ، ولا بد من تنفيذ الأوامر وسفر الباشا . ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما ، وخروجهم من مصر ، وذهابهم الى ناحية دمياط ، وسفرهم الى الجهة المأمورين بالذهاب اليها ، ولا شيء غير ذلك أبدا .

الخميس ٨ منه (٢٤ يولية ١٨٠٦ م) :

حضر على كاشف الشرقية ، وذلك أنه تقنطر من فوق جواده وكسرت رجله ، وأحضروه محمولا . وفيه : وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات ،

البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات . وأتم أهل للشفقة والرحمة والتلطف ... ونحو ذلك من التزيقات والتمويهات ، وأصدروها اليه .

وفي أثناء ذلك ... محمد على باشا أخذ في الاهتمام والتشهيل ، واطهار الحركة ، والخروج لمحاربة الأتقى . وبرزت العساكر الى ناحية بولاق وخارج البلدة ، وعدوا بالخيام الى البر الغربى . وتقدم الى مشايخ العارات بالتمريف على كل من كان متصفا بالجندية . ويكتبوا أسماءهم ومحل سكنهم . ففعلوا ذلك .

ثم كتبت لهم أوراق بالأمر بالخروج ، وعليها ختم الباشا ، ومسطور في ورقة الأمر بأن الأمور يصحب معه شخصين أو ثلاثة ، على أن أكثرهم لا يملك حمارا يركبه ، ولا ما يحمل عليه متاعه ، ولا ما يصرفه على نفسه فضلا عن غيره . وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيهم بالخروج للمحاربة . وفيه : شرع الباشا في تقرير فرضة على البلاد البحرية ، وهى : القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية ، والمزاحمتين الى آخر مجرى النيل . ورتبها أعلى وأدنى وأوسط ، وهى غلال : الأعلى ثلاثون أردبا ، وثلاثون رأسا من الغنم ، وأردب أرز ، وثلاثون رطلا من الجبن ومن السمن كذلك . وغير هذه الأصناف كالتبن والجلة وغير ذلك . والأوسط : عشرون أردبا وما يتبعها مما ذكر والأدنى : اثنا عشر . ومع ذلك القبض والطلب مستمر في فائظ الملتزمين : بعضه من ذواتهم ، وبعضه من فلاحهم ... مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم وتوالى الاستعجلات .

الثلاثاء ٢٨ منه (١٥ يولية ١٨٠٦ م) :

في ليلته سافر شاكرا أغا السلحدار بالأجوبة .

ولصف حرام من ناحية شبرا الى بولاق . وضربوا لحضورهم مدافع .

وفيه : ركب طوائف الدالاتية ، وتقدموا الى جهة بحرى . وأشيع ركوب محمد على باشا ذلك اليوم . فلم يركب .

الاثنين ١٢ منه (٢٨ يولية ١٨٠٦ م) :

ورد الخبر بوصول موسى باشا الى ثغر مسكندرية يوم الأحد حادثى عشره . والمذكور أرسل من طرفه قاصدا وعلى يده مرسوم خطابا لأحمد أفندى الدفتردار بأن يكون قائما مقامه ، ويأمره بضبط الايراد والمصرف . فلم يقبل الدفتردار ذلك ، وقال : « لم يكن يسدى قبض ولا صرف ، ولا علاقة لى بذلك » .

وفيه : وردت الأخبار بأن العساكر الكائنين بالرحمانية ومرقص ، رجعوا الى النجيلة ، ونصو عرضيهم هناك . وحضر الألفى تجاههم . فركبوا لمحاربته — وكانوا جمعا عظيما — فركب الألفى بجيوشه وحاربهم . ووقع بينه وبينهم وقعة عظيمة انجلت عن نصرته عليهم ، وانهزام العسكر . وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة .

ولم يزلوا فى هزيمتهم الى البحر ، وألقوا بأنفسهم فيه . وامتلا البحر من طراير الدالاتية . وهرب كتحدا بيك وطاره باشا الى بر المنوفية ، وعدوا فى المراكب . واستولى الألفى وجيوشه على خيولهم وخيامهم وحملاتهم وجبختهم ، وأرسل يروم القتلى والأمرى الى القبودان . وأشيع خبر هذه الواقعة فى الناس وتحذثوا بها ، وانزعج الباشا والعسكر انزعاجا عظيما ، وعدى الى بر بولاق . وطاف الوالى وأصحاب الدرك ينادون على العساكر بالخروج الى العرضى ، ويكتبوا أسماءهم . وحضر الباشا الى داره ، وأكثر من الركوب والذهاب والمجى والطواف حول المدينة

والشوارع ، ويذهب الى بولاق ومصر القديمة ، ويرجع ليلا ونهارا وهو راك رهوانا تارة أو فرسا أو بغلة ، ومرتد بيرنس ايض — مثل المغاربة — والعسكر أمامه وخلفه . ووصل مجاريح كثيرة ، وأخبروا بالواقعة المذكورة .

ومات من جماعة الألفى : أحمد بيك الهنداوى فقط ، وانجرح أمين بيك وغيره جرح سلامة .

الأحد ١٨ منه (٣ اغسطس ١٨٠٦ م) :

طافت جماعة قواسمة على ييوت الأعيان ، يشرونهم بأن العساكر الكائنين بناحية الرحمانية ركبوا على عرصى الألفى ، ووقعت بينهم مقتلة كبيرة ، وقتلوا منه جملة فيهم أربع صناعق ، ونهبوا منه زيادة عن ثمانمائة جبل بأحمالها وعدة هجن محملة بالأموال ورجعت العساكر ومعهم نحو الثمانين رأسا ومائة أسير ، وغير ذلك . وأن الألفى هرب بمفرده الى ناحية الجبل ، وقيل الى الأسكندرية فكانوا يطوفون على الأعيان بهذا الكلام ويأخذون منهم البقاشيش . ثم ظهر أن هذا الكلام لا أصل له ، وتبين أن طائفة من العرب يقال لهم (الجواييص) وهم طائفة مرابطون ليس يقع منهم أذية ولا ضرر لأحد مطلقا ، نزلوا بالجبل بتلك الناحية ، فدهبهم العسكر ، وخطفوا منهم ابلا وأغناما . وقتل فيما بينهم أنصار من الفريقين لمدافعتهم عن أنفسهم .

وفى ذلك اليوم أيضا ، ركب حسن أغا الشماشيرجى الى المنصورية — قرية بالجيزة — ومعه طائفة من العسكر وهى بالقرب من الأهرام . فضربوا القرية ، ونهبوا منها أغناما ومواشى وأحضروها الى العرضى بالناباة . وحضر خلفهم أصحاب الأغنام ، وفيهم نساء يصرخن ويصحن . وصادف ذلك أن السيد عمر النقيب عدى الى

العرضى ، فشاهدتهم على هذه الحالة ، فكلّم الباشا
فى شأنهم . فأمر برد الأغنام التى للنساء والفقراء
الصارخين ، وذهبوا بالباقي للمطابخ !

الأربعاء ٢١ منه (٦ اغسطس ١٨٠٦ م) :

وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم الى بولاق ،
وفيهم مجاريح كثيرة ، وهم فى أسوأ حال . فبينهم
الباشا من طلوع البر ، وردهم بمراكبهم الى بر
انبابة ، واستمر هناك الى آخر النهار . وهم عدد
كثير ، وقد انضاف اليهم من كان ببر المنوفية .
ولم يحضر المعركة لما داخلهم من الخوف . ثم انهم
طلعوا الى بولاق وانتشروا فى النواحي ، وذهب
منهم الكثير الى مصر القديمة ، وحضر كثير منهم
ودخلوا المدينة ، ودخلوا البيوت ، وأزعجوا كثيرا
من الناس الساكنين بناحية قناطر السباع وسويقة
السلام والناصرية وغير ذلك من النواحي ،
وأخرجوهم من دورهم .

وقد كانت الناس استراحت منهم مدة فغابهم .

الأربعاء ٢٨ منه (١٣ اغسطس ١٨٠٦ م - ٨ مسرى
١٥٢٢ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وركب الباشا فى صبيحة يوم
الخميس الى قنطرة السد . وحضر القاضى والسيد
عمر النقيب ، وكسر الجسر بحضرتهم ، وجرى الماء
فى الخليج جريانا ضعيفا ، بسبب علو أرضه ، وعدم
تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه . ويقال انهم فتحوه
قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا ، وتطيره وخوفه من
حادثة تحدث فى مثل يوم هذا الجمع ، وخصوصا
وقد وصل الى بر الجيزة الكثير من أجناد الأتقى .

جمادى الآخرة

الخميس ٦ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٦ م) :

حضر طاهر باشا الى بر انبابة ، ونصب خيماته

هناك ، وعدى هو فى قلة الى بر بولاق وذهب الى
داره بالأزبكية .

وكان من أمره : انه لما حصلت له الهزيمة ،
ذهب الى المنوفية . وقد اغتصا عليه الباشا ،
وأرسل يقول له : « لا ترينى وجهك بعد الذى
حصل » . وترددت بينهما الرسل . ثم أرسل اليه
بأمره بالذهاب الى رشيد ، فذهب الى قوة .

ثم حضر شاهين بيك الأتقى الى الرحمانية .
فأرسل الباشا الى طاهر باشا يأمره بالذهاب الى
شاهين بك ويطرده من الرحمانية . فذهب اليه فى
المراكب ، فضرب عليه شاهين بيك بالمدايح فكسر
بعض مراكبه . فرجع على أثره ، وركب من البر
حتى تعدى بحر الرحمانية ، ثم حضر الى مصر .
ووصل بعده الكثير من العسكر ، فأمرهم الباشا
بالعود ، فعاد الكثير منهم فى المراكب .

وحضر أيضا اسماعيل آغا الطوبجى كاشف
المنوفية ، وقد داخل الجميع الخوف من الأتقى .
وأما الأتقى فانه بعد انفصال الحرب من النجيلة ، رجع
الى حصار دمنهور . وذلك بعد أن ذهب أغيانه الى
قبودان باشا وقابلوه وامنهم ورجعوا على أمانه .
فافترقوا فرقتين : فرقة منهم اطمأنت ورضيت
بالأمان ، والأخرى لم تطمئن بذلك . وأرسلوا الى
السيد عمر والباشا . فرجع اليهم الجواب يأمرهم
باستمرارهم على المعانعة ومحاربة من يأتى لحربهم .
فامتلوا ذلك ، وتبعتهم الفرقة الأخرى . وأرسل
اليهم القبودان يدعوهم الى الطاعة ، ويضمن لهم
عدم تعدى الأتقى عليهم .. فلم يرضوا بذلك .
فعند ذلك استفتى العلماء فى جواز حربهم . حتى
يذعنوا للطاعة ، فأفتوه بذلك . فخذ ذلك وأرسل
الى الأتقى يأمره بحربهم . فحاصروهم وحاربهم
وامتد ذلك .

الجمعة ٧ منه (٢٢ أغسطس ١٨٠٦ م) :

ورد الخبر بموت الكاشف الذى بدمتهور .

الخميس ١٣ منه (٢٨ أغسطس ١٨٠٦ م) :

وصلت قافلة من السويس وصحبها المحمل ، فأدخلوه وشقوا به من المدينة . وخلفه طبل وزمر ، وامامه أكابر العسكر وأولاد الباشا ومصطفى جاويش المتسفر عليه .

ولقد أخبرنى مصطفى جاويش المذكور : أنه لما ذهب الى مكة — وكان الوهابى حضر الحج واجتمع به — فقال له الوهابى : « ما هذه العويدات التى تأتون بها وتعظمونها بينكم ؟ » . (يشير بذلك القول الى المحمل) . فقال له : « جرت العادة من قديم الزمان بها . يجعلونها علامة واشارة لاجتماع الحجاج » . فقال : « لا تفعلوا ذلك ، ولا تأتوا به بعد هذه المرة . وان آتيتم به مرة أخرى فانى أكسره » .

الأربعاء ١٩ منه (٣ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

حضر الأفندى المكتوبجى من طرف القبودان الى بولاق . فأرسل اليه الباشا حصانا فركبه . وحضر الى بيت الباشا بالأزبكية فى صبح يوم الأربعاء المذكور . فأحضر الباشا الدفتردار وسعيد آغا ، واختلوا مع بعضهم ، ولم يعلم مادار بينهم .

الخميس ٢٠ منه (٤ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

ارتحل من بالجيزة من الأمراء المصريين — وعدتهم ستة من المتأمرين الجدد الذين أمرهم الألفى — فذهبوا عند أستاذهم بناحية دمنهور ، ونزلوا بالقرب منه .

الثلاثاء ٢٥ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

مر سليمان آغا صالح من ناحية الجيزة ، راجعا من عند الأمراء القبالي ، وصحبته

هدايا من طرفهم الى القبودان ، وفيهم خيول وعبيد وطواشية وسكر . ولم يجيبوا الى الحضور لممانعة عثمان بك البردى وحفده الكامن للألفى ... ولكون هذه الحركة — وهى مجيء القبودان وموسى باشا — باجتهاده وسفارته وتديره كما سيتلى عليك فيما بعد .

وفيه : ظهرت فحوى النتيجة القياسية ، وانعكاس القضية . وهو أن القبودان لما لم يجد فى المصرية الاسعاف ، وتحقق ما هم عليه من التنافر والخلاف ، وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات .. فعند ذلك استأنف مع محمد على باشا المصادقة ، وعلم أن الأروج له معه الموافقة . فأرسل اليه المكتوبجى ، واستوثق منه ، والتزم له بأضعاف ما وعد به من الكذايين معجلا ومؤجلا على مر السنين .. والالتزام بجميع المأمورات ، والمدول عن المخالفات .

فوقع الاتفاق على قدر معلوم . وأرسل الى محمد على باشا يأمره بكتابة عرضحال خلاف الأولين ، ويرسله صحة ولده على يد القبودان . فعند ذلك لخصوا عرضحال ، وختم عليه الأشياء والاختيارية والوجاقية . وأرسله صحة ابنه ابراهيم بك ، وأصحب معه هدية حافلة وخيولا وأقمشة هندية وغير ذلك . وتلفت طبخة الألفى والتداير ، ولم تسعفه المقادير !

ومضمون العرضحال وملخصه : « أن محمد على باشا كافل الاقليم ، وحافظ ثغوره ، ومؤمن سبله ، وقامع المعتدين . وأن الكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته وأحكامه وعدله . والشريعة مقامة فى أيامه ! ولا يرتضون خلافه .. لما رأوا فيه من عدم الظلم ! والرفق بالضعفاء وأهل القرى والأرياف ، وعمارها بأهلها ، ورجوع البشاردين منها فى أيام الممالك المصرية المعتدين

الذين كانوا يتعدون عليهم ، ويسلبون أموالهم ومزارعهم ، ويكلفونهم بأخذ القرض والكلف الخارجة عن الحد .

« وأما الآن فجميع أهل القطر المصرى آمنون مطمئنون بولاية هذا الوزير ! ويرجون من مراحم الدولة العلية أن يقيه واليا عليهم ، ولا يعزله عنهم .. لما تحققوه فيه من العدل والصفاء المظلومين ، وايصال الحقوق لأربابها ، وقمع المفسدين من العربان الذين كانوا يقطعون الطرقات على المسافرين ، ويتعدون على أهل القرى ، ويأخذون مواشيهم وزرعهم ، ويقتلون من يعصى عليهم منهم .

« وأما الآن فلم يكن شيء من ذلك . وجميع أهل البلاد فى غاية من الراحة والأمن برا وبحرا .. بحسن سياسته وعدله ، وامثاله للأحكام الشرعية ، ومحبة للعلماء وأهل الفضائل ، والاذعان لقولهم ونصحهم ! » . ونحو ذلك من الكلمات التى عنها يسألون ، ولا يؤذن لهم فمعتذرون !

ولما كتبوا ذلك ... لم يطلع عليه الا بعض الأفراد المتصدرين . ويكتب كاتبه جميع الأسماء تحته بخطه ، ولا يمكنون البواقى — الذين يضعون أسماءهم وأسماءهم — من قراءته ، بل يطلب منهم الخاتم فيختمون به تحت اسمه ، اذ لا يمكنه الشذوذ والمخالفة لحرصه على دوام ناموسه وقبوله عند سلطانه ، ودائرة أهل دولته !

وان كان متورعا ، وليس له كبير صورة فيهم ، ولا صدارة مثلهم ، وأبى أن يسلم خاتمه ليفعل به كغيره .. ختموه بخاتم موافق لاسمه تحت امضائه .. وهذا هو السبب فى عدم ثقل هذه الصورة ، بل فهمت المضمون فقط . والله ولى التوفيق .

وفى هذه الأيام : تخاصم عرب الحويطات والعايدة ، وتجمع الفريقان حول المدينة ، وتحاربوا

مع بعضهم مرارا . واقطعت السبل بسبب ذلك . واتصر الباشا للحويطات ، وخرج بسببهم الى العادلية .. ثم رجع . ثم انهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب وأصلح بينهم .

رجب

الأحد غرته (١٤ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

وصل القاضى الجديد ، ويسمى عارف أفندى ، وهو ابن الوزير خليل باشا المقتول . وانفصل محمد أفندى سعيد ، حفيد على باشا المعروف بحكيم أوغلى . وكان انسانا لا بأس به ، مهذبا فى نفسه . وسافر الى قضاء المدينة المنورة من القلزم بصحبة القافلة .

الجمعة ٦ منه (١٩ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

سافر ابراهيم بيك ابن الباشا بالهدية . وسافر صحبته محمد أغا لاط ، الذى كان سلحدار محمد باشا خسرو .



رجمان الباشا

السبت ٧ منه (٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

أرسل الباشا الى الشيخ عبد الله الشرقاوى ترجمانه بأمره بلزوم داره ، وأنه لا يخرج منها .. ولا الى صلاة الجمعة ! وسبب ذلك أمور وضغائن ومنافسات بينه وبين اخوانه : كالسيد محمد الدواخلى ، والسيد سعيد الشامى ، وكذلك السيد عمر النقيب . فأغروا به الباشا ، ففعل به ما ذكر .. فأمتثل الأمر ، ولم يجد ناصرا . وأهمل أمره .

وفيه : تواترت الأخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والألفى . وذلك أن الألفى لم يزل محاصرا دمنهور .. وهم منتعنون عليه الى الآن . وسد خليج الأشرفية ، ومنع الماء عن البحيرة والاسكندرية لضرورة مرور الماء من ناحية دمنهور ليعطل عليهم المراد من الحصار . فأرسل الباشا يرير باشا الخازندار ومعه عثمان أغا ، ومعهما عدة كثيرة من العساكر فى المراكب . فوصلوا الى خليج الأشرفية من ناحية الرحمانية ... وعليه جماعة من الألفى ، فحاربوهم حتى أجلوهم عنها ، وفتحوا فم الخليج . فجرى فيه الماء ، ودخلوا فيه بمرابكهم . فسد الألفىة الخليج من أعلى عليهم . وحضر شاهين بيك فسد مع الألفىة فم الخليج بأعدال القطن والمشاق . ثم فتحوه من أسفل ، فسال الماء فى السبخ ، ونضب الماء من الخليج ، ووقفت السفن على الأرض . ووصلتهم الألفىة فأوفعوا معهم وقعة عظيمة .. وذلك عند قرية يقال لها « منية القران » . فانهزموا الى سنهور ، وتحصنوا بها فأحاطوا بهم ، واستمروا على محاربتهم حتى اقترب الفريقان فيما بعد .

وفيه أيضا : وصلت الأخبار بأن يس بيك لم يزل يحارب من بمدينة القوم حتى ملكها وقتل من بها ، ولم ينج منهم الا القليل ! وكانوا أرسلوا يستنجدون بإرسال العسكر ، فلم يلحقوهم .

وفيه : وردت الأخبار من الجهة القبلية بأن الأمراء المصريين أخلوا منفلوط وملوى ، وترفعوا الى أسيوط وجزيرة منقبط ، وتحصنوا بهما . وذلك لما أخذ النيل فى الزيادة ، وبخشوا من ورود العساكر عليهم بتلك النواحي ، فلا يمكنهم التحصن فيها .. فترفعوا الى أسيوط .

فلما فعلوا ذلك ، أشاعوا هروبهم ، وذكروا أن عابدين بيك وحسن بيك ، حارباهم وطردهم الى أن هربوا الى أسيوط . ولما خلت تلك النواحي منهم .. رجع كاشف منفلوط وملوى وخلافهما ، الذين كانوا طردوهم فى العام الماضى ، وفروا من مقاتلتهم .

وفيه : شرع الباشا فى تجهيز عساكر وتسفيرهم الى جهة بحرى وقبلى . وحجزوا المراكب للعسكر ، فاقطعت سبل المسافرين .. وذلك عندما اطمأن خطره من قضية القبودان والعزل .

وفيه : شرع أيضا فى تقرير فردة عظيمة على البلاد والقرى والتجار ونصارى الأروام والأقباط والشوام ومساكين الناس ونساء الأعيان والملتزمين وغيرهم — وقدرها ستة آلاف كيس — وذلك برسم مصلحة القبودان . وذكروا أنها سلفة لمدة ستة أيام ، ثم ترد الى أربابها .. ولا صحة لذلك .

الاثنين ٩ منه (٢٢ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

وصل كتخدا القبودان الى ساحل بولاق . فضربوا لقدمه مدافع ، وعملوا له شنكا . وأرسل له فى صبحها خيولا صحبة ابنه طوسون ، ومعهم أكابر الدولة والأغا والوالى والأغوات . فركب فى موكب عظيم ، ودخلوا به من باب النصر . وشق من وسط المدينة .

وعمل الباشا الديوان ، واجتمع عنده السيد عمر والمشايخ المتصدرون ، ما عدا الشيخ عبد الله الشرقاوى ومن يلوذ به ، فسأل عليه القاضى وعلى من تأخر . ف قيل له : الآن يحضر . ولعل الذى

آخره ضعفه ومرضه . ثم انهم انتظروا باقى الوجهاء وأرسلوا لهم جملة مراسيل . فلما حضروا قرأوا المرسوم الوارد صجبة الكتخدا المذكور .

ومضمونه : ابقاء محمد على باشا ، واستمراره على ولاية مصر .. حيث أن الخاصة والعامة راضية بأحكامه وعدله ، بشهادة العلماء وأشراف الناس . وقبلنا رجاءهم وشهادتهم ، وأنه يقوم بالشروط التى منها : ملئوع الحج ، ولوازم الحرمين ، وإيصال العلاف والغلال لأربابها على النسق القديم . وليس له تعلق بشتر رشيد ولا دمياط ولا سكندرية . فانه يكون إيرادها من الجمارك يضبط الى الترسانة السلطانية بإسلامبول . ومن الشروط أيضا : أن يرضى خواطر الأمراء المصريين ، ويمتنع من محاربتهم ، ويعطيهم جهات يتعيشون بها ، وهذا من قبيل تحلية البضاعة !

وانقض المجلس . وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية وبولاق . وأشيع عمل زينة بالبلدة . وشرع الناس فى أسبابها ، وبعضهم علق علم داره تعالىق ثم بطل ذلك . وطاف المبشرون من أتباعهم على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش . وإذن الباشا بدخول المراكب الى الخليج والأزبكية . ثم عملوا شنكا وحراقات وسواربخ ، ثلاثة أيام بلياليها ... بالأزبكية .

شعبان

فيه تكلم القاضى مع الباشا فى شأن الشيخ عبد الله الشرقاوى ، والافراج عنه ، وإاذن له فى الركوب والخروج من داره حيث يريد . فقال : « أنا لا ذنب لى فى التحجير عليه . وإنما ذلك من تفاقمهم مع بعضهم » . فاستأذنه فى مصالحتهم ، فأذله فى ذلك . فعمل القاضى لهم وليمة ، ودعاهم ، وتغدوا عنده ، وصالحهم . وقرأوا بينهم الفتاحة ، وذهبوا الى دورهم .. والذى فى القلب مستقر فيه !

وفيه : وردت الأخبار من الديار الرومية بقيام الروملى ، وتعصبهم على منع النظام الجديد والحوادث . فوجهوا عليهم عسكر النظام ، فتلاقوا معهم ، وتحاربوا ... فكانت الهزيمة على النظام ، وهلك بينهم خلائق كثيرة . ولم يزلوا فى أثرهم حتى قربوا من دار السلطنة ، فترددت بينهم الرسل ، وصانعهم وصالحهم على شروط ، منها : عزل أشخاص من مناصبهم ، ونفى آخرين — ومنهم الوزير ، وشيخ الاسلام ، والكتخدا ، والدفتردار — ومنع النظام والحوادث ، ورجوع الوجاقات على عادتهم ، وتقلد أغات الينكجيرة الصدارة .. وأشياء لم تثبت حقيقتها .

وفيه : حضر عابدين بك أخو حسن باشا من الجهة القبلية .

الخميس ١٠ منه (٢٣ أكتوبر ١٨٠٦ م) :

تواترت الأخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية ، واختلاف العساكر ، ورجوع من كان بناحية منفلوط ، وعصيان المقيمين بالنية بسبب تأخر علائقهم . ورجع حسن باشا الى ناحية النية . فغضب عليه من بها ، فأنحدر الى بنى سويف .

وفيه : حضر اسماعيل الطوبجى كاشف المنوفية باستدعاء . فأرسله الباشا بمال الى الجهة القبلية ليصالح العساكر .

وفيه : وردت الأخبار ، من ثغر الاسكندرية ، بسفر قبودان باشا وموسى باشا الى اسلامبول . وأخذ القبودان صحبته ابن محمد على باشا . وكان نزولهم وسفرهم فى يوم السبت خامسه . واستمر كتخدا القبودان بمصر .. متخلفا حتى يستلق بال المصالحة .

وفيه : شرعوا فى تقرير فرضة على البلاد أيضا . وفيه : حضر مجو بيك من ناحية قبلى .

الأربعاء ١٦ منه (٢٩ أكتوبر ١٨٠٦ م) :

سافر كتحدا القبودان بعد ما استغلق المطلوب .
وفيه : وصل الى ثغر بولاق قايجى . وعلى يده
تقرير لمحمد على باشا بالاستمرار على ولاية مصر
وخلعة وسيف . فأركبوه من بولاق الى الأزيكية
في موكب حفل ، وشقوا به من وسط المدينة :
وحضر المشايخ والأعيان والاختيارية . ونصب
الباشا سحابة بحوش البيت للجلع والحضور .
وقرئت المرسومات وهما فرمانان : أحدهما يتضمن
تقرير الباشا على ولاية مصر ، بقبول شفاعة أهل
البلدة والمشايخ والأشراف . والثانى يتضمن الأوامر
السابقة وبإجراء لوازم الحرمين ، وطلوع الحج ،
وارسال غلال الحرمين ، والوصية بالرعية ، وتشهيل
غلال — وقدرها ستة آلاف أردب — وتسفيرها
على طريق الشام .. معونة للعساكر المتوجهين الى
الحجاز . وفيه : الأمر أيضا بعدم التعرض للأمراء
المصريين وراحتهم ، وعدم محاربتهم ... لأنه تقدم
الغفو عنهم ، ونحو ذلك . وانقضى المجلس ،
وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزيكية .

رمضان

(١٢ نوفمبر — ١١ ديسمبر ١٨٠٦ م)

انقضى بخير ... ولم يقع فيه من الحوادث سوى
توالى الطلب ، والفرض ، والسلف . التى لا ترد ،
وتجريد العسكر الى محاربة الألفى ، واستمرار
الألفى بالجيزة ، ومحاصرة دمنهور ، واستمرار أهل
دمنهور على الممانعة ، وصبرهم على المحاصرة ،
وعدم الطاعة مع متاركة المحاربة ..

وفيه : ورد الخبر بموت عثمان بيك البرديسى في
أوائل رمضان بمنفلوط . وكذلك سليم بيك أبو
دياب بيتى عدى .

وفى أواخره : تقدم محمد على باشا الى السيد

عمر النقيب بتوزيع جملة أكياس على أناس من
مياسير الناس على سبيل السلفة .

ولم يقع فى شهر رمضان هذا ارتباك فى هلاله
أولا وآخره كما حصل فيما تقدم . وكذلك حصل
به سكون وطمأنينة من عريضة العساكر ... لولا
توالى الطلب ، والسلف ، والدعاوى الباطلة فى
المدينة والأرياف ، وعسف أرباب المناصب فى
القرى .

شوال

الجمعة غرته (١٢ ديسمبر ١٨٠٦ م) :

عملوا شريكا للعيد بمدافع كثيرة فى الأوقات
الخمسة ثلاثة أيام العيد .

وفيه : فتحوا طلب الميرى على السنة القابلة ،
وجدوا فى التحصيل ، ووجهوا بالطلب العساكر
والقواصة والأتراك بالعصى المفضضة ، وضيقوا على
الملتزمين .

الأحد ١٠ منه (٢١ ديسمبر ١٨٠٦ م)

أخرج الباشا خياما ، ونصب عرضى بناحية شر .
ومنية السيرج ، والتمس من السيد عمر توزيع
أربعمائة كيس برأيه ومعرفته .. فضاك صدره ،
وشرع فى توزيعها على التجار ومساير الناس ، حيث
لم يمكنه التحلف ولا التباعد عن ذلك .

الجمعة ٢٢ منه (٢ يناير ١٨٠٧ م) :

وصل حسن باشا طاهر من الجهة القبلية ، ودخل
داره . وخرج محمد على باشا الى جهة الحلاء يريد
السفر الى الألفى . ووصلت عربان الألفى وعساكره
الى بر الجيزة ، وطلبوا الكلف من البلاد .

الأحد ٢٤ منه (٤ يناير ١٨٠٧ م) :

عدى محمد على باشا الى بر انبابة .

السبت ٨ منه (١٧ يناير ١٨٠٧ م) :

أداروا كسوة الكعبة والمحل . وركب معها المتسفر عليها من القلزم — وهو شخص يقال له محمود أغا الجزيري — وركب أمامه الأغا والوالي والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من المسكر .

الاثنين ١٠ منه (١٩ يناير ١٨٠٧ م) :

وصلت الأخيار بوصول الألفى الى ناحية الأخصاص ، وانتشار جيوشه باقليم الجيزة . وكان الباشا معزوماً ذلك اليوم عند سعودى الحناوى ، بسوق الزلط ، وخارجة المقس . وركب قبيل العصر ، وذهب الى بولاق ، وأمر المساكر بالخروج ، ولا يتخلف أحد لخامس ساعة من الليل . وعدى بمن معه الى بر انيابة .

الأربعاء ١٢ منه (٢١ يناير ١٨٠٧ م) :

في ليلته وقع بين الألفى والعسكر معركة . وأنحاز العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ، ووصل منهم جرحى الى البلد . واستمر الأمر على ذلك .. وهم يهابون البروز الى الميدان ، وأخصاصهم لا يحاربون المتاريس والحيطان !

الثلاثاء ١٨ منه (٢٧ يناير ١٨٠٧ م) :

ركب الألفى بجيوشه ، وتوجه الى ناحية قناطر شبرامنت . قلما غاينهم الباشا ومن معه مارين ركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وماحوله ، وساروا الى جهة الجيزة ، ونصب وطاقه بحريها . وباتوا تلك الليلة ، وعملوا شنكا في صباحها .. وهم يشيعون هروب الألفى !

والحال : أنه مر في جيش كثيف وصورة هائلة ، وقد رتب جنوده وعساكره طواير ، وبين يديه النظام الذى رتبته — على هيئة عسكر الفرنسيين — ومعهم طبول بكيفية خرعت عقولهم .. والباشا واقف بجيوشه ينظر اليه تارة بعينه ،



كفر حكيم

الاثنين ٢٥ منه (٥ يناير ١٨٠٧ م) :

عدى محمد على باشا وغالب العسكر الى بر بولاق . وأشاعوا أن الأخصاص هربوا من وجوههم .. فلم يذهبوا خلفهم ، بل رجعوا على أثرهم ، ونهبوا كفر حكيم وما جاوره من القرى .. حتى أخذوا النساء والبنات والصبيان والمواشى ، ودخلوا بهم الى بولاق والقاهرة ، ويبيعونهم فيما بينهم من غير تحاش كأنهم سبايا الكفار !

ذوالقعدة

السبت غرته (١٠ يناير ١٨٠٧ م) :

وصل الحجاج الطرابلسية ، وعبدوا الى بر مصر .

الأحد ٢ منه (١١ يناير ١٨٠٧ م) :

وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل ، وبها أحوال كثيرة وبضائع مع عرب المعازة وغيرهم . فركب الباشا ليلا وكبسهم على حين غفلة ، ونهبهم ، وأخذ جمالهم وأحوالهم ومتاعهم — حتى أولاد العربان ، والنساء والبنات — ودخلوا بهم الى المدينة يقودونهم أسرى في أيديهم ، ويبيعونهم فيما بينهم ... كما فعلوا بأهل كفر حكيم وما حوله ! وفى ذلك اليوم : ضربوا مدافع كثيرة من القلعة بورود أشخاص من الططر ببشارة الى الباشا ، وتقريره على السنة الجديدة .

وثارة بالنظارة ، ويقول : « هذا طهماز الزمان ! »
ويتعجب . وقال لطائفة الدلاة : « تقدموا لمحاربته ،
وأنا أعطيكم كذا ، وكذا من المال » . فلم يجسروا
على التقدم .. لما سبق لهم معه .

الخميس ٢٠ منه (٢٩ يناير ١٨٠٧ م) :

حضر أشخاص من العرب الى الباشا ، وآخره
بأن الألفى قد مات يوم وصوله الى تلك المحطة —
وذلك ليلة الأربع تاسع عشره — وقد نزل به خلط
دموى فتقأ ثم مات .. وذلك بنساحية المحرقة
بالقرب من دهشور . وأن مماليكه اجتمعوا ،
وأمرؤا عليهم شاهين بيك ، وذلك باشارة أستاذهم ،
وأن طائفة أولاد على انفصلوا عنهم ، ورجعوا الى
بلادهم ، وآخرين يطلبون الأمان

فاشتبه الحال ، وشاع الخبر . وصارت الناس
ما بين مصدق ومكذب . واستمر الاشتباه
والاضطراب أياما ، حتى أن الباشا خلع على ذلك
المخير — بعد أن تحقق خبره — فروة سمور ،
وركب بها ، وشق من وسط المدينة .. والناس ما
بين مصدق ومكذب ، ويطنون أن ذلك من مكايده
وتحيلاته لأمرؤ يدبرها .. الى أن حضر بعض
الخدم الى دوره ، وأخبروا بحقيقة الحال كما ذكر .
ف عند ذلك زال الاشتباه . وعد ذلك من تمام
سعد محمد على باشا البديوى .. حتى انه قال في
مجلس خاصته : « الآن ملكت مصر »

ولما مات الألفى ارتحلت أجناده ومماليكه
وأمرؤه ، وارتفعوا الى ناحية قبلى . فسبحان
الحى الذى لا يموت .

قال الشاعر :

قل للشامتين بنا : أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم ان الباشا أرسل الى أمراءه مكاتبة ،

يستميلهم ويطلبهم للصلح ، ويدعوهم للانضمام
اليه ، ويعدهم أن يعطيهم فوق مأمولهم ... ونحو
ذلك . وأرسل تلك المكاتبة صحبة قادري أغا ،
الذى كان طرده الألفى ونفاه .

وأخذ محمد على باشا فى الاهتمام والركوب
واللحوق بهم . وفى كل يوم ينادى على العسكر
بالمدينة بالخروج . وقوى نشاطهم ، ورفعوا
رؤوسهم ، وسعوا فى قضاء أشغالهم ، وخطفوا
الجمال والحمير ! وحضر الباشا الى بيته بالأزبكية ،
وبات به ليلة الأحد ، وصرح بسفره يوم
الخميس . وخرج الى العرضى ثانيا ، وطلب السلف
والمال . ومضى الخميس والجمعة ولم يسافر .

السبت ٢٩ منه (٧ فبراير ١٨٠٧ م) :

نزل به حادر ، وتحرك عنده خلط ، وحصل له
اسهال وقىء . وأشاع الناس موته يوم السبت
وتناقلوه ، وكاد العسكر ينهبون العرضى .. ثم
حصلت له افاقة . وخرج السيد عمر والمشايخ
للسلام عليه يوم الأحد ، وليهنوه بالعافية ، وكذلك
خرجوا لوداعه قبل ذلك مرارا .

وفيه : حضر قادري بجوابات الرسالة من أمراء
الألفى : أحدها للباشا ، وعليه ختم شاهين بيك
وباقى خشداشينه الكبار . وآخر خطابا لمصطفى
كاشف أغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجى ،
ومن كان كاتبهم بالمعنى السابق .. يذكرون فى
جوابهم : ان كان سيدهم قد مات — وهو شخص
واحد — فقد خلف رجالا وأمراء .. وهم على
طريقة أستاذهم فى الشجاعة والرأى والتدبير ، ونحو
ذلك . وليس كل مدع تسلم له دعواه . ومن أمثال
المغاربة « ما كل حمراء لحة ، ولا كل بيضاء
شحمة » . وذكروا فى الجواب أيضا : أنه ان اصطلى
مع كبرائهم الكائنين بقبلى — وهم : ابراهيم بيك
الكبير ، وعثمان بيك حسن ، وباقي أمرائهم —

كنا بثلمهم . وان كان يريد صلحنا دونهم .. فيعطينا ما كان يطلبه أستاذنا من الأقاليم ، ونحو ذلك .

ذواحجة

الاثنين غرته (٩ فبراير ١٨٠٧ م) :

ارتحل الساشا بالعرضى ، الى ساقية مكى بالجيزة ، متوجها لقبلى .

وفيه : طلبوا المراكب من كل ناحية . وعز وحودها ، وامتنعت الواردون ومراكب المعاشات والتجارات .. مع استمرار الطلب للمغارم والسلف ونحو ذلك .

وفى منتصفه : وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية ، وفيها الخبر بوقوع الغزو بين العثماني والموسكوب ، والأمر بالتيقظ والتحفظ ، وتحصين الثغور .. فرميا أغاروا على بعضها على حين غفلة .

وكذلك وردت أخبار بمعنى ذلك ، من حاكم أزميز وحاكم رودس . وأن الانجليز معاونون لطائفة الموسكوب .. لاستمرار عداوتهم مع الفرانساوية ، لكون الفرانساوية متصادقين مع العثماني .

والخبر عن مجمل القضية : أن « بونا بارت » — أمير جيش الفرانساوية — وعساكرهم ، خرجوا فى العنام الماضى ، وأغاروا على القرانات والممالك الأفرنجية ، واستولوا على النيمسة



بونا بارت يغزو اوديا

— التى هى أعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة ونسب — فأرسل الموسكوب جندا كثيفا ، مساعدة للنيمساوية ، مع كبير من قرابة قرابتهم ، فتلاقوا مع بونا بارت ، بعد استيلائه على تخت النيمسة ، فهزمهم أيضا ، وأسر عظماءهم وسار بجيوشه الى الروسية ، واستولى على عدة أساكل . وكلما استولى على جهة ، قرر بها حكاما ، وشرط عليهم شروطه التى منها : معاداة الانكليز ، ومنابذتهم .

وراسله العثماني ، وراسله هو أيضا . ورأى العثماني قوة بأسه .. فصادقه ، وأرسل اليه من طرفه « الحى » الى اسلامبول . فدخلها فى أهبة عظيمة ، وأنزلوه منزلا حسنا ، وأرسل صحبته هدايا ، وقوبل بأعظم منها . وكذلك أرسل الى خصوص (١) « بونا بارت » تحفا وهدايا وتاجا من الجواهر .

فعند ذلك انتبذ الموسكوب ، وتقض الهدنة بينه وبين العثماني ، وطلب المحاربة . فخافه العثماني ... لما يعلمه منه من القوة والكثرة . وسعى الانجليز بينهما بالصلح ، واجتهد فى ذلك حتى أمضاه بشروط قبيحة ، وصلت إلينا صورتها ، وظهر لنا منها اثنا عشر شرطا . ونصها :

الأول : أن أمراء القلاع والبغازات يحتاج أن يتغيروا باذن الانكليز والموسكوب .

الثانى : مشيخة السبع جزائر من الآن فصاعدا لا تكون تابعة غير الموسكوب .

الثالث : تعريف الديوان فى بلاد العثماني ، هى التى كانوا يأخذونها قبل النظام الجديد .

الرابع : الدولة العلية تسمح للموسكوب فى طريق ثلثمائة ألف مقاتل يدخلون الى أى محل أرادوه من بلاد العثماني ! وذلك مدة اتفاق الانكليز والموسكوب ، وهو تسع سنين .

(١) كناية عن « زوجته » .

الخامس : يكون مسوحا لعمارة الموسكوب
أنها تدخل لمينة الترسانة بسلامبول ، لأجل أنهم
يأخذون من هناك كامل الذي يلزمهم .

السادس : جميع الرعايا والحمايات التي
للموسكوب ، من جديد وقديم ، لهم الإقامة
والتجارة وشراء الأملاك في كامل بلاد العثماني .

السابع : كامل مراكب الموسكوب التجاري ،
التي كانوا عن بعض الأسباب نزلوا ييسارقها ،
يقدر أن توجهوا بها الى قنصولية الموسكوب
بسلامبول ... وحالا تعطى لهم بطانات جديدة .

الثامن : كامل الأروام الموجودين في بلاد
العثماني ، ويريدون أن يدخلوا في حماية
الموسكوب ، يمكنهم بكل حرية .

التاسع : البراتلية والفرماتلية يحصلون على
قوتهم التي كانوا بها سابقا .

العاشر : « الحبي » الفرساوية ملزوم يسافر
من اسلامبول بعد واحد وثلاثين يوما .

الحادي عشر : مراكب الأروام والعثماني
لا يسافرون بها لبلاد فرانس ما دام الحرب بين
الموسكوب والفرساوية (١) .

فلما تقررت هذه الشروط ، واطلع عليها
الفرساوي .. فكانه لم يرض بها ، وقال للعثماني :
« لم يبق بيدك مملكة » ، وأشار عليه بنقضها ،
وتكفل بمساعدته ومقاومتهم . فركن اليه ، ونقض
تلك الشروط .

فعند ذلك لبذوا صداقة العثماني ، وأظهروا
مخاصمته ، ووافقهم على ذلك الانكليز ... لكونه
صادق الفرساوية . وأغاروا على بعض النواحي ،
وأخذوا الختن وغيرها .

وشرع أهل الاسكندرية في تحصين قلاعها
وأبراجها . وكذلك أبو قير . وأرسل كبتخدا بيك

(١) لم يرد في الأصل الشرط الثاني من شرط

من بتقيد ببناء قلعة بالبرلس . وحصل لمصر قلق
ولفت . وغلت الأسعار في البضائع المطلوبة .
وعملوا جمعيات بيت كتخدا بيك ، وبيت السيد
عمر النقيب ، واتفقوا على ارسال تلك المراسلات
الى محمد علي باشا بالجهة القبلية ، صحبة
ديوان أفندي .

السبت ٢٠ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٧ م) :
اجتمعوا بالأزهر لقراءة صحيح البخاري في
أجزاء صغار !

وفيه : حضر ديوان أفندي بمكاتبات ، وفيها :
طلب جماعة من القضاة ليسعوا في اجراء الصلح
بين الأمراء المصريين وبين الباشا . فوقع الاتفاق
على تعيين ثلاثة أشخاص ، وهم : ابن الشيخ
الأمير ، وابن الشيخ العروسي ، والسيد محمد
الدواخلي . فسافروا في يوم الأحد سادس عشر منه .

ووصلت الأخبار بأن الانجليز حضروا في اثني
عشر مركبا ، وعبروا بوغاز اسلامبول — وكانوا
محترمين — فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين .
فلم يكثرثوا ، ولم يفزعوا ، ولم يتأخروا ، ولم
يصب الضرب الا مركبا واحدا من الاثني عشر ،
وعمره ثلثها في الحال . ولم يزالوا سائرين حتى
رسوا بيز اسلامبول ... فهاج كل أهلها ، وصرخوا
وازعجوا انزعاجا عظيما ، وأيقنوا يأخذ الانجليز
البلدة . ولو أرادوا حرقها لأحرقوها عن آخرها .

فعند ذلك نزل اليهم السيد علي باشا القبطان
— وهو أخو علي باشا الذي كان أخذ أسيرا مع
البرديسي من برج مغيزل برشيد — فتكلم معهم
وصالحهم . وخرجوا من البوغاز سالمين مغبوطين
بعفوهم مع المقدرة . وانقضت السنة بحوادثها .

وأما من مات بها من العلماء والأمراء ، ممن له
ذكر :

مات العمدة الفاضل ، صدر المدرسين وعمدة
المحققين ، الفقيه الورع . الشيخ محمد الخشنى
الشافعى .

تخرج على الشيخ عطية الأجهورى وغيره من
أشياخ العصر المتقدمين ، كالحفنى والعدوى .
ومسكنه بخطة السيدة نفيسة . ويأتى الى الأزهر
فى كل يوم ، فيقرأ دروسه ثم يعود الى داره .
متقللا فى معيشته ، منزلا عن مخالطة غالب الناس
— وهو آخر الطبقة .

وتمرض شهورا بمنزله الذى بالمشهد النفيسى .
وكان دائما يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمى ،
وكان يقول : « لا أموت حتى يموت البجيرمى ،
لأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقال
له : « أنت آخر أقرانك موتا » . ولم يكن من
أقرانه سوى البجيرمى .. فلذلك كان يسأل عنه !
ثم مات البجيرمى بقرية تسمى « مصطبة » .
ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر . وكانت وفاته فى
يوم الاثنين خامس عشرين ذى الحجة . ولم
يحضروا بجنازته الى الأزهر بل صلى عليه بالمشهد
النفيسى ودفن هناك .. رحمة الله تعالى عليه .

ومات الشيخ الفقيه المحدث ، خاتمة المحققين
وعدة المدققين ، بقية السلف ، وعمدة الخلف :
الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمى الشافعى
الأزهري .. المنتهى نسبة الى الشيخ جمعة الزيدى
المدفون ببجيرم ، نسبة الى « زيدة » بالقرب من
منية ابن خضيم .. وينتهى نسب الشيخ جمعة
المذكور الى سيدى محمد بن الحنفية .

ولد ببجيرم — قرية من الغربية — سنة احدى
وثلاثين ومائة ألف . وحضر الى مصر صغيرا
دون البلوغ . ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمى ،
وحفظ القرآن ، ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل

لطلب العلوم . وحضر على الشيخ المشاوى فى
الصحيحين وأبى داود والترمذى ، والشفاء
والمواهب وشرح المنهج لشيخ الاسلام ، وشرح
المنهاج لكل من الرملى وابن حجر .

وحضر دروس الشيخ الحفنى ، وأجازه الملوى
والجوهري والمدابغى ، وأخذ عن الديربى وغيره .
وحضر أيضا دروس الشيخ على الصعدي والسيد
البليدى ، وشارك كثيرا من الأشياخ ، كالشيخ
عطية الأجهورى وغيره .

وكان انسانا حسنا حميدا الأخلاق ، منجمعا عن
مخالطة الناس ، مقبلا على شأنه . وقد انتفع به
أفاس كثيرون .

وكف بصره سنين ، وعمر وتجاوز المائة سنة (١).
ومن تأليفه بأيدي الطلبة ، حاشية على المنهج ،
وأخرى على الخطيب . وغير ذلك .

وقبل وفاته ، سافر الى « مصطبة » بالقرب من
بجيرم ، فتوفى بها ليلة الاثنين وقت السحر ثالث
عشر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن هناك .
رحمة الله تعالى عليه .

ومات الأجل العلامة ، والفاضل الفهامة ، فريد
عصره علما وعلا ، ووحيده دهره تفصيلا وجملا :
الشيخ مصطفى العقباوى المالكى ... نسبة لمنية
عقبه بالجيزة .

حضر الى الأزهر صغيرا ، ولازم السيد حسن
البقلى ، ثم الشيخ محمد العقاد المالكى ، ثم الشيخ
محمد عبادة العدوى ، ملازمة كلية حتى تمهر فى
مذهبه فى المنقولات وفى المعقولات .

وحضر دروس أشياخ العصر ، كالشيخ الدردير
والشيخ محمد البيلى ، والشيخ الأمير ، وغيرهم .
وتصدر لالتقاء الدروس ، وانتفع به الطلبة ،
واشتهر فضله .

(١) لعله يبنى تسعين سنة .

أن تمرض ، وانقطع بيته الذى بخطه عابدين
قريبا من الأستاذ الحنفى ، سنة تسع ومائتين

وكان عالما ماهرا ، وأديبا شاعرا .. تخرج على
والده وعلى غيره بمكة ، وعلى كثير من أشياخ
العصر المتقدمين كالشيخ العشماوى ، والشيخ
الحنفى ، والشيخ العدوى وغيرهم .

وتخرج فى الأدب على والده ، وعلى الشيخ
على بن تاج الدين المكى ، وعلى الشيخ عبد الله
الاتكاوى وغيرهم . وله مؤلفات منها : نفع الأكماء
على منظومته فى علم الكلام ، ومنها : تقريره على
الرملى — وهو مجلد ضخيم — ومنها : شرح
بديعته التى سماها : « مراقى الفرج فى مدح على
الدرج » . وله ديوان شعر صغير غالبه جيد .

وكان فى مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة
وتحصيل الكتب الغريبة . وقيد ولده السيد سلامة
بأشغال تجارتهم ، وولده السيد أحمد بملازمته
واسمعه فيما يريد مطالعته .

وكانت داره ، فى غالب الأوقات ، لا تخلو من
الترديد ... الى أن توفى ليلة السابع والعشرين من
رجب من السنة المذكورة ، وعمره سبع وثمانون
سنة ، وصلى عليه بالأزهر ودفن بمقبرة أخيه بباب
الوزير . وخلف ولديه المذكورين .

وكان وجيها لطيفا ، محبوبا للنفس ورعا .
رحمة الله تعالى عليه .

ومات صاحبنا الأجل المعظم ، والوجيه المكرم :
الأمير ذو الفقار البكرى — نسبة ونسابة — وهو
مملوك السيد محمد بن على أفندى البكرى
الصدىقى . اشتراه سيده المذكور سنة احدى
وسبعين ومائة وألف . ورباه ، وأدبه ، وأعتقه ،
وزوجه ابنته . ونشأ فى عز ورفاهية ، وسيادة
وعفة ، وطيب خيم ، وعلو همة .

وكان انسانا حسن الأخلاق ، مقبلا على الافادة
والاستفادة ... لا يتداخل فيما لا يعنيه ، ويأتية من
بلدته ما يكفيه ، قانعا متورعا متواضعا .

ومن مناقبه : أنه كان يحب افادة العوام حتى
أنه كان اذا ركب مع الكارى يعلمه عقائد التوحيد
وفرائض الصلاة .. الى أن توفى يوم الخميس تاسع
عشر جمادى الآخرة . ولم يخلف بعده مثله .. رحمه
الله تعالى ، وعفا عنا وعنه .

ومات الأجل المعظم المبجل ، المحقق المدقق
المفضل ، العالم العامل ، الفاضل الكامل : الشيخ
على النجارى المعروف بالقباني ، الشافعى مذهبيا ،
المكى مولدا ، المدنى أصلا ... ابن العالم الفاضل
الشيخ أحمد تقى الدين ، ابن السيد تقى الدين
المنتهى نسبة الى أبى سعيد الحدرى ، وهو سعد بن
مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة النجارى ، أحد
بطون الخزرج . وينتهى نسب أخواله الى السيد
أحمد الناسك بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن
الحسن الأنور بن سيدنا الحسن السبط رضى الله
تعالى عنه .

ولد المترجم بمكة سنة أربع وثلاثين ومائة ،
وقدم الى مصر مع أبيه وأخيه السيد حسن سنة
احدى وسبعين ومائة : فليلة وصولهم ، مرض أخوه
المذكور ، وتوفى صبح ثالث يوم . فجزع والده
لذلك جزعا شديدا ، وتشاءم به ، وعزم على السفر
الى مكة ثانيا ، ولم يتيسر له ذلك الا أواخر شوال
من السنة المذكورة .

وبقى المترجم ، واشتغل بتحصيل العلوم وشراء
الكتب النافعة واستكتابها ومشاركة أشياخ العصر
فى الافادة والاستفادة ، مع مباشرة شغل تجارتهم
من بيع الارسيالات التى ترد اليه من أولاد أخيه من
جدة ومكة ، وشراء ما يشتري وارساله لهم ... الى

ولما توفي سيده ، اتحد بولده السيد محمد أفندى — وهو أخو زوجته — اتحادا كلياً بحيث صارا كالأخوين ... لا يصبر أحدهما عن الآخر ساعة واحدة ، وسكنهما واحد في بيتهم الكبير بالأزبكية .

ولما توفي السيد محمد أفندى ، استقل المترجم بالسكنى في الدار الى أن حضر الفرنساوية . فخرج مع من خرج من مصر الى ناحية الشام . ونهبت كتبها وداره . ثم رجع بأمان في أيام الفرنساوية ، فوجد الدار قد سكنها الفرنساوية ، فاشتري داراً غيرها بخطة عابدين ، وجدد بها نظامه .

ولما حصلت حادثة عسكر الأروام العثمانية مع الأمراء المصريين — التي خرج فيها ابراهيم بيك والبرديسى وأمرأؤهم — نهبت داره المذكورة أيضاً فيما نهب . فانتقل الى ناحية الأزهر ، ثم سكن بحارة السبع قاعات بالأجرة .

واقنتى كتباً ، شراء واستكتاباً ، وجمع عدة أجزاء متفرقة من تاريخ « مرآة الزمان » لابن الجوزى ، و « خطط المقرئى » وغيرها .. الى أن اخترمته المنية ، ومات فجأة يوم الثلاثاء في ثمانى عشر رجب من السنة قبيل الغروب ، وصلى عليه في صبحها بالأزهر في مشهد حافل ، ودفن بتربة البكرية ظاهر قبة الامام الشافعى .

وكان انساناً حسناً محبوباً لجميع الناس ، وجه الذات ، مليح الصفات ، حسن المفاكهة والمعاشرة ، متوقد الفطنة ، صادق الفراسة ، ساكن الجأش ، وقوراً أدوباً محتشماً . وخلف من بعده السيد محمد المعروف بالغزاوى ، المرزوق له من ابنة سيده المذكور لكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام ... أنشأه الله انشاء صالحاً وبارك فيه .

ومات الأمير الكبير ، والضرغام الشهير : محمد

بيك الألفى المردى . جلبه بعض التجار الى مصر في سنة تسع وثمانين ومائة ألف . فاشتراه أحمد جاويش المعروف بالمجنون . فأقام بيته أياماً فلم تعجبه أوضاعه لكونه كان مماجناً سفيهاً مازحاً . فطلب منه بيع نفسه ، فباعه لسليم أغا الغزاوى المعروف بتمرنك ، فأقام عنده شهوراً ثم أهده الى مراد بيك . فأعطاه في نظيره ألف أردب من الغلال ... فلذلك سعى بالألفى .

وكان جميل الصورة ، فأحبه مراد بيك ، وجعله جوخداره ، ثم أعتقه وجعله كاشفاً بالشرقية . وعمر داراً بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ضلام ، وأنشأ هناك حماماً بتلك الخطة عرفت به .

وكان صعب المراس ، قوى الشكيمة . وكان بجواره على أغا المعروف بالتوكلى . فدخل عليه وتشفع عنده في أمر ، فقبل رجاءه ثم نكث ، فحنق منه واحتد ، ودخل عليه في داره يغادره ويمعاته . فرد عليه بغلظة . فأمر الخدم بضربه . فبطحوه وضربوه بالعصى المعروفة بالنبانيت . فتألم لذلك ومات بعد يومين . فشكوه الى أستاذه مراد بيك فنفاه الى بحرى فعسف بالبلاد مثل : قوة ومطوبس وبارنبال ورشيد ، وأخذ منهم أرزاً وأموالاً . فتشكوا منه الى أستاذه ... وكان يعجبه ذلك ؟

وفي أثناء ذلك ... وقع خلاف بمصر بين الأمراء ، وثقوا سليمان بيك الأغا ، وأخاه ابراهيم بيك ومصطفى بيك — كما ذكر ذلك في محله — وأرسل اليه مراد بيك وأمره أن يتعين على مصطفى بيك ويذهب به الى سكندرية منفياً ، ثم يعود هو الى مصر . ففعل ورجع المترجم الى مصر . فعند ذلك قلدوه الصنجدية ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف .

واشتهر بالفجور ... فخافته الناس ، وتحاموا شدته . وسكن أيضاً بدار بناحية قيصون — وذلك

عندما اتسعت دائرته — وهدم داره القديمة أيضا
ووسعها ، وأنشأها انشاء جديدا .

واشترى الممالك الكثيرة ، وأمر منهم أمراء
وكشافا . فنشأوا على طبيعة أستاذهم في التعدى
والعسف والفجور ، ويخافون من تجبره عليهم !
والتزم باقطاع فرشوط وغيرها من البلاد القبلية ،
ومن البلاد البحرية محلة دمنة ومليج وزوبر وغيرها .
وتقلد كشوفية شرقية بلييس ونزل اليها . وكان
يغير على ما بتلك الناحية من اقطاعات وغيرها ،
وأخاف جميع عربان تلك الجهة ، وجميع قبائل
الناحية . ومنعهم من التعدى والجور على الفلاحين
بتلك النواحي — حتى خافته الكثير من العربان
والقبائل وكانوا يخشونه . وصادهم بأشراك منهم .
وقبض على الكثير من كبرائهم وسحبهم فى الجنازير
وصادرهم فى أموالهم ومواشيهم . وفرض عليهم
المغارم والجمال !

ولم يزل على حالته وسطوته الى أن حضر حسن
باشا الجزائرلى الى مصر . فخرج المترجم مع
عشيرته الى ناحية قبلى ، ثم رجع معهم فى أواخر
سنة خمس ومائتين بعد الألف ، بعد الطاعون الذى
مات فيه اسماعيل بيك . وذلك بعد اقامتهم فى
الصعيد زيادة عن أربع سنوات .

ففى تلك المدة ترزن عقله ، وانهمضت نفسه ،
وتماق قلبه بمطالعة الكتب ، والنظر فى جزئيات
العلوم والفلكيات والهندسيات ، وأشكال الرمل ،
والزايرجات والأحكام النجومية والثقاويم ، ومنازل
القمر وأنوائها .

ويسأل عن له المام بذلك ، فيطلبه ليستفيد منه
واقتنى كتباً فى أنواع العلوم والتواريخ ، واعتكف
بداره القديمة ، ورغب فى الانفراد وترك الحالة التى
كان عليها قبل ذلك ، واقتصر على مماليسكه
والاقطاعات التى بيده . واستمر على ذلك مدة من

الزمان . فثقل هذا الأمر على أهل دائرته . وبدأ
يصغر فى أعين خشداشيينه ويضعف جانبه ، وطفقوا
يياكتونه ، وتجاسروا عليه ، وطمعوا فيما لديه .
وتطلع أدونهم للترفع عليه . فلم يسهل به ذلك ،
واستعمل الأمر الأوسط .

وسكن بدار أحمد جاويش المجنون بدرب
سعادة ، وعمر القصر الكبير بمصر القديمة بشاطيء
النيل تجاه المقياس ، وأنشأ أيضا قصرا فيما بين باب
النصر والدمرداش ، وجعل غالب اقامته فيهما .

وأكثر من شراء الممالك ، وصار يدفع فيهم
الأموال الكثيرة للجلالين ، ويدفع لهم أموالا مقدما
يشترونها بها ، وكذلك الجوارى .. حتى اجتمع
عنده نحو الألف مملوك خلاف الذى عند كشافه ،
— وهم نحو الأربعين كاشفا : الواحد منهم دائرته
قدر دائرة صنجد من الأمراء السابقين — وكل مدة
قليلة يزوج من يختاره من ممالكه لمن تصلح له
من الجوارى ، ويجهزهم بالجهاز الفاخر ، ويسكنهم
الدور الواسعة ، ويعطيهم الفائط والمناصب .

وقلد كشوفية الشرقية لبعض ممالكه ترفعا
لنفسه عن ذلك ، وينزل هو اليهم أيضا على سبيل
التروح .

وبنى له قصرا خارج بلييس وآخر بالدمامين .
وأخذ شوكة عربان الشرق ، وجبى منهم الأموال
والجمال . وأخذ ناموسهم الذى كان يغشى أبدان
الفلاحين وأرواحهم . وأضعف شوكتهم ، وأخفى
صولتهم .

وكان يقيم بناحية الشرق شهورا ثلاثة أو أربعة
ثم يعود الى مصر . واصطنع قصرا من خشب مفصلا
قطعا ويركب بشناكل وأغربة متينة قوية يحمل على
عدة جمال . فاذا أراد النزول فى محطة تقدم الفراشون
وركبوه خارج الصيوان فيصير مجلسا لطيفا يصعد
اليه ثلاث درج ، مفروش بالطنافس والوسائد يسع

ثمانية أشخاص ، وهو مسقوف وله شبايك من الأربع جهات ، تفتح وتغلق بحسب الاختيار ، وحوله الأسرة من كل جانب ، وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان !

وكان له داران بالأزبكية أحدهما كانت لرضوان بيك بلفيا ، والأخرى للسيد أحمد بن عبد السلام . فبدا له في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف ، أن ينشئ دارا عظيمة خلاف ذلك بالأزبكية : فاشترى قصر ابن السيد سعودى الذى بخطة الساكن فيما بينه وبين قنطرة الدكة من أحمد أغا شويكار ، وهدمه ، وأوقف في شيداته على العمارة كتخداه ذا الفقار ... أرسله قبل مجيئه من ناحية الشرقية ، ورسم له صورة وضعه في كاغد كبير . فأقام جدران وحيطانه ، وحضر هو — في أثناء ذلك — فوجده قد أخطأ الرسم . فاغتاظ ، وهدم غالب ذلك ، وهندسه على مقتضى عقله . واجتهد في بنائه ، وأوقف أربعة من كبار أمرائه على تلك العمارة : كل أمير في جهة من جهاته الأربع يحثون الصناع ، ومعهم أكثر أتباعهم ومماليكهم .

وعملوا عدة قمن لحرق الأحجار وعمل النورة ، وكذلك ركب طواحين الجبس لطحنه ... وكل ذلك بجانب العمارة . وقطعوا الأحجار الكبار ونقلوها في المراكب من طرا إلى جنب العمارة بالأزبكية ، ثم نشروها بالمناشير ألواحا كبارا لتبليط الأرض وعمل الدرج والفسحات ، وأحضروا لها الأخشاب المتنوعة من بولاق واسكندرية ورشيد ودمياط .

واشترى بيت حسن كتخدا الشعراوى المطل على بركة الرطلى من غنائه ، وهدمه ونقل أخشابه وأنقاضه إلى العمارة ، وكذا نقلوا إليه أنواع الرخام والأعمدة .

ولم يزل الاجتهاد في العمل حتى تم على المنوال الذى أراد . ولم يجعل له خرجات ولا حرمادات

بارزة عن أصل البناء ، ولا رواشن .. بل جعله ساذجا حرصا على المتانة وطول البقاء . ثم ركبوا على فرجاته المظلة على البركة والبستان والرحبة الشبايك الخروط المصنعة ، وركبوا عليها شرائح الزجاج ، ووضع به النجف والأشياء والتحف العظيمة التى أهداها إليه الأفرنج .

وعملوا بقاعة الجلوس السفلى فسقية عظيمة بسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ، ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر يخرج الماء من أفواهها . وجعل بها حمامين علويا وسفليا . وبنوا بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق لسكنى المماليك ، وجعله دورا واحدا . ولما تم البناء والبياض والدهان .. فرشه بأنواع الفرش والوسائد والمساند والستائر المقصبات ، وجعل خلفه بستانا عظيما ، وأنشأ به جملونا مستطيلا متسعا به دكك وأعمدة — وهو من الجهة البحرية — ينتهى آخره إلى الدور المتصلة بقنطرة الدكة .

وأهدى إليه أيضا الأفرنج فسقية رخام في غاية العظم ... فيها صورة أسماك مصورة ، يخرج من أفواهها الماء ، جعلها بالبستان ونجز البناء والعمل . وسكن بها هو وعياله وحريمه في آخر شهر شعبان من سنة اثنتي عشرة . واستهل شهر رمضان فأوقدوا فيها الوقداث والأحمال المثلثة بالقناديل بدائر الحوش والرحبة الخارجة ، وكذلك بقاعة الجلوس أحمال النجف والشموع والصحب والفناريات الزجاج

وهنته الشعراء . ونظم مولانا الأستاذ الفاضل الشيخ حسن العطار تاريخا لقاعة الجلوس في بيتين نقشوهما بالأزمير على أسكفة باب القاعة ، وموهوها بالذهب ، وهما :

شموس التهانى قد أضاءت بقاعة

محاسنها للمئين تزداد بالآلف

على بابها قال السرور مؤرخا :

سما سعاداتي تجدد بالآلفى

١٠١ ٥٤٦ ٤١١ ١٥٤

١٢١٢ =

وازدحمت خيول الأمراء ببابه . فأقام على ذلك الى منتصف شهر رمضان ، وبدأ له السفر الى الشرقية ... فأبطلوا الوقدة ، وأطفأوا المرح والشموع : فكان ذلك قالاً ! فكانت مدة سكناه به ستة عشر يوماً بلياليها . وانما أطنبنا في ذكر ذلك ، ليعتبر أولو الألباب ، ولا يجتهد العاقل في تعمير الخراب !

وفى أثناء غيبته بالشرقية ، وصلت الفرنساوية الى الاسكندرية ، ثم الى مصر . وجرى ما جرى مما سبق ذكره . وذهب مع عشيرته الى قبلى . وعند وصول الفرنساوية الى بر انبابة بالبر الغربى ، وتحاربهم مع المصريين ... أبلى المترجم وجنده - فى تلك الواقعة - بلاء حسنا ، وقتل من كشافه ومماليكه عدة وافرة . ولم يزل - مدة اقامة الفرنساوية بمصر - ينتقل فى الجهات القبلى والبحرية والشرقية والغربية ، ويعمل معهم مكاييد ، ويصطاد منهم بالمصايد .

ولما وصل عرضى الوزير الى ناحية الشام . ذهب اليه وقابله وأنعم عليه ... وكان معه رؤساء من الفرنساوية وعدة أسرى وأسد عظيم اصطاده فى سروحه . فشكره الوزير ، وخلع عليه الخلع السنية ، وأقام بعرضيه أياما . ثم رجع الى فاحبه مصر ، وذهب الى الصعيد ، ثم رجع الى الشام . والفرنساوية يأخذون خبره ، ويرصدونه فى الطرق ... فيزوغ منهم ، ويكبسهم فى غفلاتهم ، وينال منهم .

ولما وصل الوزير ، وحصل اتقاض الصلح ، وانحصر المصريون والعثمانيون بداخل المدينة

وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة : فكان يكر ويفر هو وحسن بيك الجداوى ، ويعمل الحيل والمكاييد . وقتل من كشافه فى تلك الحروب رجال معدودة ، منهم : اسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية ، احترق هو وجنده ببنت أحمد أغا شويكار الذى كان أنشأ برصيف الخشاب .

وكانت الفرنساوية قد عملوا تحته لغم بارود فى أسفل جدرانها - ولم يعلم به أحد - فلما تترس فيه اسماعيل كاشف ومن معه ، أرسلوا من ألهمه النار ... فالتهب على من فيه ، واحترقوا بأجمعهم ، وتطايروا فى الهواء .

ولما اصطاح مراد بيك مع الفرنساوية ، لم يوافق على ذلك واعتزله . ولما اشتد الأمر بين الفريقين ، وشاغت طبخة العثمانيين ومن تبعهم ... طفق يسمى بين الفريقين فى الصلح ، ويمشى مع رسل الفرنساوية فى دخولهم بين العسكر وخروجهم ، لينسج من مدى عليهم من أوباش العسكر ، خوفا من ازدياد الشر .. الى أن تم الصلح .

وخرج المترجم مع العثمانية الى نواحي الشام ، ثم رجع الى جهة الشرقية ، فيحارب من يصادفه من الفرنسيين ، ويقتل منهم . فاذا جمعوا جيشه ، وأتوا لحربه ... لم يجدوه . ويمر من خلف الجبل ، ويمر بالحاجر الى الصعيد ، فلا يعلم أين ذهب ! ثم يظهر بالبر الغربى ، ثم يسير مشرقا ويعود الى الشام . وهكذا كان دأبه بطول السنة التى تخللت بين الصلحين ... الى أن نظم العثمانية أمرهم ، وتعاونوا بالانكليز ، ورجع الوزير على طريق البر ، وقبطان باشا بصحبة الانكليز من البحر .

فحضر المترجم وباقي الأمراء ، واستقر الجميع بداخل مصر ... والانكليز ببر الجيزة . وارتحلت الفرنساوية ، وخلت منهم مصر . فعند ذلك ، قلق

الترجم وداخله وسواس ، وفكر ... لأنه كان صحيح النظر في عواقب الأمور ، فكان لا يستقر له قرار . ولم يدخل الى الجريم ، ولم يبت بداره الا ليلتين على سجادة ومخدة في القاعة السفلى ، ولم يكن بها حريم !

بقول الفقير (١) : ذهبت اليه مرة في ظرف اليومين ، فوجدته جالسا على السجادة ، فجلست معه ساعة . فدخل عليه بعض أمرائه يستأذنه في زواج إحدى زوجات من مات من خشداثينه . فتر فيه وشتته وطرده . وقال لى : « انظر الى عقول هؤلاء المغفلين : يظنون أنهم استقروا بمصر ، ويتزوجوا ويتأهلوا ... مع أن جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيين وغيرها ، أهون من الورطة التى نحن فيها الآن ! » .

ولما أطلق الوزير لبراهيم بيك الكبير التصرف ، وألبسه خلعة ، وجعله شيخ البلد كمادته ، وأن أوراق التصرفات في الاقطاعات والأطيان وغيرها تكون بختمه وعلامته ... اغتر هو وباقي الأمراء بذلك . وازدحم الديوان ببيت ابراهيم بيك المرادى وعثمان بيك حسن والبرديسى ، وتناقلوا في الحديث ... فذكروا ملاطفة الوزير ، ومحبه لهم ، واقامته لناموسهم . فقال المترجم : « لا تفترؤا بذلك ، فانما هو حيل ومكايد ، وكأنها تروج عليكم . فانظروا في أمركم ، وتفطنوا لما عساه يحصل ، فان سوء الظن من الحزم ! » .

فقالوا له : « وما الذى يكون ؟ » . قال : « ان هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والأزمان المديدة يتمنون تفوذ أحكامهم وتملكهم لهذا الاقليم . ومضت الأحقاب وأمراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ، ليس لهم معهم الا مجرد الطاعة الظاهرة ... وخصوصا دولتنا الأخيرة ، وما كنا نفعله معهم من

(١) الجبرى .

الاهانة ، ومنع الخزينة ، وعدم الامتثال لأوامرهم . وكل ذلك مكنون في نفوسهم ... زيادة على ما جبلوا عليه من الطمع والخيانة والشره . وقد ولجوا البلاد الآن ، وملكوها على هذه الصورة ، وتأمرؤا علينا ، فلا يهون بهم أن يتركوها لنا كما كانت بأيدينا ، ويرجعوا الى بلادهم بعد ما ذاقوا جلاوتها ... فدبروا رأيكم ، وتيقظوا من غفلتكم » . فلما سمعوا منه ذلك ، صادق عليه بعضهم ، وقال بعضهم : هذا من وسواسك . وقال آخر : « هذا لا يكون بعد ما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات وأشهر بأموالنا وأنفسنا ... وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها ، فلا غنى لهم عنا » . وقال آخر غير ذلك .

ثم قالوا له : « وما رأيك الذى تراه ؟ » . فقال : « الراى عندى ، ان قبلتموه ، أن نعدى بأجمعنا الى ير الجيزة ، وننصب خيامنا هناك ، ونجعل الانكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان ، ونتمم الشروط التى لرتاح نحن وهم عليها بكفالة الانكليز ، ولا نرجع الى البر الشرقى ، ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ، ويرجعوا الى بلادهم ، ويبقى منهم من يبقى : مثل من يقلدوه الولاية والدفتردارية .. ونحو ذلك » .

وكان ذلك هو الراى ، ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر . وقال : « كيف ننايهم ، ولم يظهر لنا منهم خيانة ، ونذهب الى الانكليز — وهم أعداء الدين — فيحكم العلماء برؤيتنا وخياتتنا لدولة الاسلام ... على أنهم ان قصدوا بنا شيئا ، قمنا بأجمعنا عليهم ، وفيما — والله الحمد — الكفاية . وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الانكليز . فتكون لنا المندوحة والعذر » .

فقال المترجم : « أما الاستتكاف من الالتجاء للانكليز ، فان القوم لم يستتكفوا من ذلك ، واستعانوا بهم . ولولا مساعدتهم .. لما أدركوا هذا

المحصول ، ولا قدروا على اخراج الفرساوية من البلاد . وقد شاهدنا ما حصل في العام الماضي ، لما حضروا بدون الانكليز . على أنه قياس مع الفارق : فان تلك مساعدة حرب ، وأما هذه .. فهي وساطة مصلحة لا غير !

« وأما انتظار حصول المنابذة ، فقد لا يمكن التدارك بعد الوقوع ... لأمر . والرأى لكم » .

فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار بينهم . ولما لم يوافقوا المترجم على ما أشار به عليهم ... أخذ يدبر في خلاص نفسه ، فانضم الى محمود أفندي رئيس الكتاب .. لقربه من الوزير ، وقبوله عنده ، وأوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة من الأموال من جهة الصعيد ان قلده الوزير امانة الصعيد .. فانه يجمع له أموالا جمة من تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون في العام الماضي وخلافه ولم يكن لهم ورثة ، وغير ذلك من الجهات التي لا يحيط بها خلافه ، والمال والغلال الميرية .

فلما عرف الرئيس الوزير بذلك ، لم يكن بأسرع من اجابته لوجهين ، الأول : طمعا في تحصيل المال . والثاني : لتفريق جمعهم . فانهم كانوا يحسبون حسابه دون باقى الجماعة ، لكثرة جيشه وشدة احترازه . فانه كان اذا ذهب عند الوزير لا يذهب في الغالب الا وحوله جميع جنوده ومماليكه . وعندما أجاب الوزير الى سفره ، كتب له فرمانا بامارة الجهة القبلية ، وأطلق له الاذن ، ورخص له في جميع ما يؤدي اليه اجتهاده من غير معارض . وتمم الرئيس القصد .

وفي الوقت : حضر المترجم ، فأخذ المرسوم ، ولبس الخلعة بنفسه ، وودع الوزير والرئيس ، وركب في الوقت والساعة ، وخرج مسافرا ، وجعل رئيس أفندي وكيلاه عنه وسفيرا بينه وبين الوزير ،

بعد ما أسكنه في داره ... ولم يشعر بذلك أحدا ، ولم ير للوزير وجها بعد ذلك .

وعندما أشيع ذلك ، حضر الى الوزير من اعترض عليه في هذه الغفلة ، وأشار عليه بنقض ذلك ، فأرسل يستدعيه لأمر تذكره على ظن تأخره . فلم يدركوه الا وقد قطع مسافة بعيدة ، ورجعوا على غير طائل . وذهب هو الى أسيوط ، وشرع في جبي الأموال ، وأرسل للوزير دفعة من المال وأغناما ، وعبيدا طواشية ، وغلالا .

ثم لم يمض على ذلك الا نحو ثلاثة شهور ، وسافر طائفة من الانكليز الى سكندرية ، وكذلك حسين باشا القبطان . ونصبوا للمصريين الفخاخ . وأرسل القبطان بطلب طائفة منهم ، فأوقع بهم ما أوقع ، وقبض الوزير على من بمصر من الأمراء وجبسهم ... وجرى ما هو مسطور في محله . وعينوا على المترجم طاهر باشا بعساكر . وحصلت المفاقمة .. وقتل من قتل ، والتجأ من بقى الى الانكليز . ولم يندمل الجرح بعد تقرجه ا وذهب الجميع الى الناحية القبلية . وأرسلوا لهم التجاريد . وتصدى المترجم لحروبهم ، ثم حضر الى ناحية بحري ، ونزل بظاهر الجزيرة ، وسار الى ناحية البحيرة — بعد حروب ووقائع — فاجتهد محمد باشا خسرو في اخراج تجريدة عظيمة ... وصارى عسكرها كتخداه — وهو يوسف كتخدايك — وهى التجريدة التي سماها العوام « تجريدة الحمير » لأنهم جمعوا من جملة ذلك حمير الحمار والتراسين ، وحمير اللكاف والسقائين . وعملوا على أهل بولاني ألف حمار ، وكذلك مصر ومصر القديمة ، وطفقوا يخطفون حمير الناس ، ويكبسون البيوت ، ويأخذون ما يجدونه .

وكان يأتى بعض معاكيس العسكر عند الدور ، ويضع أحدهم فمه عند الباب ويقول « زر .. ! » فينهق الحمار ... فيأخذوه !

فلما تم مرادهم من جمع الحبير اللازمة لهم ، سافروا الى ناحية البحيرة . فكانت بينهم واقعة عظيمة برأى من الانكليز ، وكانت الغلبة له على العسكر ، وأخذ منهم جملة أسرى ، وانهزم الباقون شر هزيمة ، وحضروا الى مصر في أسوأ حال .. وهذه الكسرة كانت سببا لحصول الوحشة بين الباشا والعسكر . فانه غضب عليهم ، وأمرهم بالخروج من مصر . فطلبوا علائقهم . فقال : « بأى شيء تستحقون العلائق .. ولم يخرج من أيديكم شيء ؟ » ... فامتنعوا من الخروج وكان المشار إليه فيهم محمد على سر ششمه ، فأراد الباشا اصطیاده ، فلم يتمكن منه لشدة احتراسه . فخاربه ، فوقع له ما ذكر في محلة . وخرج الباشا هاربا الى دمیاط .

ومن ذلك الوقت ، ظهر اسم « محمد على » ، ولم يزل ينمو ذكره بعد ذلك .

وأما المترجم ، فانه — بعد كسرتة للعسكر — ذهب ناحية دمنهور ، وذهبت كشافه وأمرأؤه الى المنوفية والغربية والدقهلية . وطلبوا منهم المال والكلف ، ثم رجعوا الى البحيرة . ثم بعد هذه الوقائع ، سافر المترجم مع الانكليز الى بلادهم ، واختار من ممالیکه خمسة عشر شخصا — أخذهم صحبته — وأقام عوضه أحد ممالیکه المسمى « بشتك بيك » وسمى « الألفى الصغير » ، وأمره على ممالیکه وأمرائه ، وأمرهم بطاعته ، وأوصاه وصايا . وسافر وغاب سنة وشهرا وبعض أيام ... لانه سافر في منتصف شهر شوال سنة سبعة عشر ، وحضر في أول شهر ذى القعدة سنة ثمانية عشر .

وجرى في مدة غيابه من الحوادث التي تقدم ذكرها ما يغنى عن اعادتها : من خروج محمد باشا خسرو ، وتولية طاهر باشا ثم قتله ، ودخول الأمراء المصريين وتحكمهم بمصر سنة ثمانية عشر ،

وتأثير صنایق من اتباع المترجم ، وما جرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى البارز ... بتدبير محمد على ونفاقه وحيله . فانه سمى أولا في تقضى دولة نخدومه محمد باشا خسرو ، بتواطؤه مع طاهر باشا ، وخازن داره محمد باشا المحافظ للقلعة ، ثم الاغراء على طاهر باشا حتى قتل ، ثم معاونته للأمراء المصريين ودخولهم وتملكهم واطهار المساعدة الكلية لهم ، ومصادقتهم وخدمتهم ، ومعاونتهم ، والرمح في غفلتهم — وخصوصا عثمان بيك البرديسى ، فانه كان مخرقا غشوما يجب الترائس — فظهر له الصداقة والمؤاخاة والمصافاة .. حتى قضى منهم أغراضه : من قتل الدفتردار ، والكتبخدا ، وعلى باشا الطرابلسى ، ومحاربة محمد باشا ، وأخذه أسيرا من دمیاط ، وأخيه السيد على القبطان يرشيد ... ونسبة جميع هذه الأفعال والقبائح اليهم !

فلما انقضى ذلك كله لم يبق الا الألفى وجماعته .. والبرديسى ، الذى هو خشداشه ، يحقد عليه ويغار منه ، ويعلم أنه اذا حضر ، لا يبقى له معه ذكرا ، وتخذ أنفاسه . فيتناجيا ، ويتسارا في أمر المترجم ، ويتذاكرا تعاظم وكيله وخشداشينه ، وتقضهم عليه ما يرمونه — مع غياب استاذهم — فكيف بهم اذا حضر ! ويوهمه المساعدة والمعاضدة ، ويكون خادما له ، وعساكره جنده ... الى أن حضر المترجم ، فأوقع به ما تقدم ذكره ، ونجا بنفسه ، واختفى عند عشية البدوى بالوادى .

فلما خلا الجو من الألفى وجماعته ، أوقع محمد على — عند ذلك -- بالبرديسى وعشيرته ما أوقع . وظهر — بعد ذلك — المترجم من اختفائه ، وذهب الى ناحية قبلى هو ومملوكه صالح بيك . واجتمعت عليه أمرأؤه وأجناده ، واستفحل أمره ، واصطلح مع عشيرته والبرديسى ... على ما في نفوسهما .

وما زال منجمعا عن مخالطتهم . وجرى ما جرى : من مجيهم جوالى مصر ، وحروبهم مع المساكر — فى أيام خورشيد أحمد باشا — وانفصالهم عنها بذنون طائل ، لتفاشلهم واختلاف آرائهم ، وفساد تدبيرهم . ورجعوا الى ناحية قبلى ، ثم عادوا الى ناحية بحرى ... بعد حروب ووقائع مع حسن باشا ومحمد على وعساكرهم .

ثم لما حصلت المفاقمة بينهما وبين خورشيد أحمد باشا . واتصر محمد على بالسيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضى ، وأهل البلدة والرعايا ، وهاجت الحروب بين الباشا وأهل البلدة — كما هو مذكور — كانت الأمراء المصريون بناحية التبين ، والمترجم منغل عنهم بناحية الطرانة . والسيد عمر يرأسه ويعسده ، ويذكر له بأن هذا القيام من أجلك ، واخراج هذه الأوباش ، ويعود الأمر اليكم كما كان ... وأنت المعنى بذلك لظننا فيك الخير والصلاح والعدل . فيصدق هذا القول ، ويساعده بارسال المال ليصرفه فى مصالح المقاتلين والجارين .

ومحمد على يذاهن السيد عمر سرا ، ويتعلق اليه ، ويأتيه ويرأسه ، ويأتي اليه فى أواخر الليل ، وفى أوساطه ، مترددا عليه فى غالب أوقاته ، حتى تم له الأمر ... بعد المعاهدة والمعاقدة ، والأيمان الكاذبة على سيره بالعدل ، واقامة الأحكام والشرائع ، والاقلاع عن المظالم ، ولا يفعل أمرا الا بمشورته ومشورة العلماء ، وأنه متى خالف الشروط عزلوه وأخرجوه — وهم قادرون على ذلك ، كما يفعلون الآن — فيتورط المخاطب بذلك القول ويظن صحته ، وأن كل الوقائع « زلاية » وكل ذلك سرا لم يشعر به خلافتهم ... الى أن عقد السيد عمر مجلسا عند محمد على ، وأحضر المشايخ والأعيان ، وذكر لهم أن هذا الأمر وهذه الحروب ما دامت على هذه الحالة ، لا تزداد الا فيشلا ، ولا بد من تعيين شخص من جنس القوم

للولاية . فانظروا من تجدونه وتختارونه لهذا الأمر ، ليكون قائمقام حتى يتعين من طرف الدولة من يتعين . فقال الجميع : « الرأى ماتراه » . فأشار الى محمد على . فأظهر التمنع وقال : « أنا لأصلح لذلك . ولست من الوزراء ، ولا من الأمراء ، ولا من أكابر الدولة » . فقالوا جميعا : « قد اخترناك لذلك برأى الجميع والكافة ، والعبرة رضا أهل البلاد » . وفى الحال أحضروا فروة وألبسوها له ، وباركوا له وهنأوه ، وجهروا بخلع خورشيد أحمد باشا من الولاية ، واقامة المذكور فى النيابة حتى يأتى المتولى ... أو يأتى له تقرير بالولاية .

ونودى فى المدينة بعزل الباشا واقامة محمد على فى النيابة ... الى أن كان ما هو مستطور قبل ذلك فى محله .

فلما بلغ المترجم ذلك — وكان بير الجيزة ، ويراسل السيد عمر مكرم والمشايخ — انقبض خاطره ، ورجع الى الحيرة ، وأراد دمنهور . فامتنع عليه أهلها ، وحاربوه وحاربهم . ولم ينل منهم غرضه .

والسيد عمر بقويهم ، ويمدهم ويرسل اليهم البارود وغيره من الاحتياجات . وظاهر للمترجم تلاعب السيد عمر مكرم معه ، وكأنه كان يقويه على نفسه ، فقبض على السفير الذى كان بينهما ، وحبسسه وضربه ، وأراد قتله ، ثم أطلقه ... ثم عاد الى بر الجيزة . وسكنت الفتنة .

واستقر الأمر لمحمد على باشا . وحضر قبطان باشا الى ساحل أبى قير ، ووصل سلحداره الى مصر ، وأنزل أحمد باشا المخلوع عن الولاية من القلعة الى بولاق ليسافر . ومنع محمد على من الذهاب والمجيء الى المصريين ، وأوقف أشخاصا برا وبحرا يرصدون من يأتى من قبلهم ، أو يذهب اليهم بشيء من متاع وملبوس وسلاح وغير ذلك ، ومن عثروا عليه بشيء قبضوا عليه ، وأخذوا ما

له ولاتباعه وأمرائه ، ووسق مراكب وذهب بها معه وعاقبوه . فامتنع الباعة والمتسبيون وغيرهم من الذهاب اليهم بشيء مطلقا .

فضاق خناق المترجم ، فاجتال بأن أرسل محمد ككتخداه يطلب الصلح مع الباشا . فالسر لذلك وفرح ، واعتقد صحة ذلك ، وأنعم على الكتخدا ، وعنى هدية جلييلة لمخدومه من ملايس وفراوى وأسلحة وخيام وتقود وغير ذلك . وعندها قضى الكتخدا أشغاله من مطلوبات مخدومه واحتياجاته له ولاتباعه وأمرائه ، ووسق مراكب وذهب بها جهارا من غير أن يتعرض له أحد . وذهب صحبته السلحدار ، وموسى البارودى .

ثم عاد الكتخدا ثانيا ، وضحبته السلحدار وموسى البارودى ، وذكروا أنه يطلب كشوفية الفيوم وبنى سوبف والجيزة والبحيرة ومائتى بلد من الغربية والمنوفية والدقهلية ... يستغل فائظها ، ويجعل اقامته بالجيزة ، ويكون تحت الطاعة . فلم يرض الباشا بذلك ، وقال : « اننا صالحنا باقى الأمراء ، وأعطيناهم من حدود جرجا بالشروط التى شرطناها عليهم ... وهو داخل فى ضمنهم » . فرجع محمد ككتخدا له بالجواب — بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته ولوازمه من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك — وتمت حيلته ، وقضى أغراضه ، وذهب الى الفيوم ، وتحارب جنده مع جند ناسين بيك . وانخذل فيها ياسين بيك . ثم عاد شاهين بيك الألفى بجند كثير بعد شهور الى بر الجيزة .

وخرج محمد على باشا لمحاربتة بنفسه ، فكانت له الغلبة . وقتل فى هذه الواقعة على كاشف الذى كان تزوج بزوجة حسن بيك الجداوى ، وهى بنت حسن بيك شئن ... رآه الأخصام متجملا ، فظنوه الباشا ، فأحاطوا به وأخذوه أسيرا ، ثم قتلوه . ورجع الباشا الى بر مصر ، واجتهد فى

تسهيل تجريدة أخرى . وكل ذلك مع طول المدى . وفى أثناء ذلك : مات بشتك بيك ، المعروف بالألفى الصغير ، مبطونا بناحية قبلى . ثم ان المترجم خرج من الفيوم فى أوائل المحرم من السنة المذكورة .

وكان حسن باشا طاهر بناحية جزيرة الهواء بمن معه من العساكر . فكانت بينهما واقعة عظيمة ، انهزم فيها حسن باشا الى الرق ، وأدركه أخوه عابدين بيك فأقام معه بالرق ، كما تقدم .

وحضر الألفى الى بر الجيزة وابانة ، وخرجت اليهم العساكر . فكانت بينهم واقعة بسوق الغنم ، ظهر عليهم فيها أيضا ، ثم سار مبحرا ، وعدى من عسكريه وجنده جملة الى السبكية ، فأخذوا منها ما أخذوه ، وعادوا الى أستاذهم بالطرانة . ثم انه انتقل راحلا الى البحيرة ، وحرب دمنهور ومحاصرتها وكانوا قد حصنوها غاية التخصين ، فلم يقدر عليها ، فعاد الى ناحية وردان ، ثم رجع الى حوش ابن عيسى ، لأنه بلغه وصول مراكب ، وبها أمين بيك تابعه وعدة عساكر من النظام الجديد وأشخاص من الانكليز ... لأنه كان — مع ما هو فيه من الثقلات والحروب — يرسل الدولة والانكليز . وأرسل بالخصوص أمين بيك الى الانكليز ، فسعوا مع الدولة بمساعدته ، وحضروا اليه بمطلوبه . فعمل لهم بحوش ابن عيسى شنكا ، وأرسلهم مع أمين بيك الى الأمراء القبلين .

فلما بلغ محمد على باشا ذلك ، راسل الأمراء القبلين وداهنهم ، وأرسل لهم الهدايا . فراجت أموره عليهم ... مع ما فى صدورهم من الغل للمترجم .

وفى أئر ذلك : حضر قبطان باشا الى الاسكندرية ، ووردت الساعة بخبر وروده ، وأن

بعده واصل موسى باشا واليا على مصر ... وبالعفو عن المصريين .

وكان من خبر هذه القضية والسبب في حركة القبطان : ارساليات الألفى للانكليز ، ومخاطبة الانكليز الدولة ووزيرها ، المسمى محمد باشا السلحدار — وأصله مملوك السلطان مصطفى ، ولا يخفى الميل الى الجنسية — فاتفق أنه اختلى بسليمان أغا تابع صالح بيك الوكيل — الذى كان يوسف باشا الوزير قلبه سلحدارا ، وأرسله الى اسامبول — وسأله عن المصريين هل بقى منهم غير الألفى . فقال له : « جميع الرؤساء موجودون » . وعددهم له — وهم ومماليكهم يبلغون ألفين وزيادة — فقال : « انى أرى غلبتهم ورجوعهم على شروط نشتروطها عليهم ، أولى من تمادى العداوة بينهم وبين هذا الذى ظهر من العسكر ... وهو رجل جاهل متحيل ، وهم لايسهل بهم اجلاؤهم عن أوطانهم وأولادهم وسيادتهم التى ورثوها عن أسلافهم . فيتبادى الحال ، والحروب بينهم وبينه ، واحتياج الفريقين الى جمع العساكر ، وكثرة النفقات ، والملائف والمصاريف ، فيجمعونها من أى وجه كان ، ويؤدى ذلك الى خراب الإقليم . فالأولى والمناسب صرف هذا المتغلب واخراجه وتولية خلفه ... فما رأيك فى ذلك ؟ » .

فقال سليمان : « لا رأى عندى فى ذلك » . وخاف أن يكون كلامه له باطن خلاف الظاهر ... وأدرك منه ذلك ، فحلف له عند ذلك الوزير أن كلامه وخطابه له على ظاهره وحقيقته .. لكن لا بد من مصلحة للخزينة العامة .

فقال له سليمان أغا : « اذا كان كذلك ، ابعثوا الى الألفى باحضار كتخداه محمد أغا لأنه رجل يصلح للمخاطبة لمثل ذلك » . ففعل وحضر المذكور

فى أقرب وقت ، وتمموا الأمر على مصلحة ألف وخمسة كيس ... كفلها محمد كتخداه المذكور يدفعها لقبطان باشا عند وصوله بيد سليمان أغا المذكور ، وكفالاته أيضا لمحمد كتخداه ، بعد اتمام الشروط التى قررها له مخدومه . ومن جملة : اطلاق بيع الممالك وشرائهم ، وجلب الجلايين لهم الى مصر كعادتهم . فإنهم كانوا منعوا ذلك من نحو ثلاث سنوات وغير ذلك .

وسافر كل من سليمان أغا الوكيل ومحمد كتخداه ، بصحبة قبودان باشا ، حتى طلعا على نهر سكندرية فركبا ، صحبة سلحدار القبودان ، فتلاقوا مع المترجم بالبحيرة ، وأعلموه بما حصل . فامتلا فرحا وسرورا وقال لسليمان أغا : « اذهب الى اخواننا بقبلى ، واعرض عليهم الأمر ، ولا يخفى أننا الآن ثلاث فرق : كبيرنا ابراهيم بيك وجماعته ، والمرادية وكبيرهم هناك عثمان بيك البرديسى ، وأنا وأتباعى ... فيكون ما يخص كل طائفة من حماة كيس . فاذا استلمت منهم الألف كيس ورجعت الى ... سلمت الخمسمائة كيس » .

فركب المذكور ، وذهب اليهم ، واجتمع بهم ، وأخبرهم بصورة الواقع ، وطلب منهم ذلك القدر . فقال البرديسى : « حيث ان الألفى بلغ من قدره أنه يخاطب الدول والقرائات ويراسلهم ، ويتم أغراضه منهم ، ويؤلى الوزراء ويعزلهم بمراده ، ويتعين قبودان باشا فى حاجته ... فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه ، لأنه صار الآن هو الكبير ، ونحن الجميع أتباع له وطوائف خلفه ، بما فيه والدنا وكبيرنا ابراهيم بيك وعثمان بيك حسن وحلافه » .

فقال سليمان أغا : « هو على كل حال واحد منكم وأخوكم » . ثم انه اختلى مع ابراهيم بيك الكبير وتكلم معه . فقال ابراهيم بيك : « أنا أَرْضى بدخولى أى بيت كان ، وأعيش ما بقى من

شيء ، وأقنع بإيرادى الذى كان ييدى سابقا ،
فانه يكفينى .

وان اعتقدوا غدري لهم فى المستقبل ، بسبب
ما فعلوه معى من قتلهم حسين بك تابعى ،
وتمصّبهم وحرصهم على قتلى واعدامى أنا
وأتباعى ، فبعض ما نحن فيه الآن أنسانى ذلك
كله ، فان حسين بك المذكور مملوكى ، وليس
هو أبى ولا ابنى من صلبى ، وانما هو مملوكى
اشتريته بالدرهم ، واشترى غيره ، ومملوكى
مملوكهم ، وقد قتل لى عدة أمراء ومماليك فى
الحروب فأقرضه من جملتهم، ولا يصينى ويصيبهم
الا ما قدره الله علينا ... وعلى أن الذى فعلوه بى
لم يكن لسابق ذنب ولا جرم حصل منى فى حقهم ،
بل كنا جميعا اخوانا . وتذكروا اشارتى عليهم
السابقة فى الالتجاء الى الانكليز ، وندموا على
مخالفتى بعد الذى وقع لهم ، ورجعوا الى ، ثم
أجمع رأيهم على سفرى الى بلاد الانكليز ،
قامتلك ذلك ، وتجنّست المشاق ، وخاطرت
نفسى وسافرت الى بلاد الانكلترا ، وقاسيت
أحوال البحار سنة وأشهر ، كل ذلك لأجل راحتى
وراحتهم .

وحصل ما حصل فى غيابى ، ودخلوا مصر من
غير قياس ، وبنوا قصورهم على غير أساس ،
واطأوا الى عدوهم ، وتعاونوا به على هلاك
صدقهم . وبعد أن قضى غرضه منهم غدرهم
وأحاط بهم وأخرجهم من البلدة وأهانهم وشردهم ،
واحتال عليهم ثانيا — يوم قطع الخليج — فراجت
حيثه عليهم أيضا ، وأرسلت اليهم فنصحتهم ،
فاستغشوني وخالفوني ، ودخل الكثير منهم البلد ،
وانحصروا فى أزقتها ، وجرى عليهم ما جرى من
القتل الشنيع ، والأمر الفظيع ، ولم ينبج الا من
تخلف منهم ، أو ذهب من غير الطريق .

عمرى مع عيالى وأولادى تحت اماره أى من كان
من عشيرتنا . . . أولى من هذا الشتات الذى نحن
فيه . ولكن كيف أفعل فى الرفيق المخالف ؟ وهذا
الذى حصل لنا كله بسوء تدبيره ونحسه ، وعشت
أنا ومراد بك المدة الطويلة بعد موت أستاذنا
— وأنا أتقاضى عن أفعاله وأفعال أتباعه ،
وأسامحهم فى زلاتهم . كل ذلك حذرا وخوفا من
وقوع الشر والقتل والعداوة ... الى أن مات وخلف
هؤلاء الجماعة المجانين ، وترأس البرديسى عليهم
منغ غياب أخيه الألفى ، وداخله القروى ، وركن
الى أبناء جنسه ، وصادقهم ، واغتر بهم ، وقطع
رحمه ، وفعل بالألفى ، الذى هو خشدائشه وأخوه ،
ما فعل ، ولا يستمع لنصح ناصح أولا وآخر .
ومازال سليمان أغا يتفاوض معهم فى ذلك أياما ،
الى أن اتفق مع ابراهيم بك على دفع نصف
المصلحة ، ويقوم المترجم بالنصف الثانى . فقال :
« سلمونى القدر اذهب به ، وأخبره بما حصل . »
فقالوا : « حتى ترجع اليه وتعلمه وتطيب خاطره
على ذلك ، لئلا يقبضه ثم بطالبنا بغيره . »

فلما رجع اليه وأخبره بما دار بينهم ، قال :
« أما قولهم انى أكون أميرا عليهم ، فهذا لا يتصور
ولا يصح أنى أتعاظم على مثل والدى ابراهيم
بك وعثمان بك حسن ، ولا على من هو فى
طبقتى من خشدائشيتى ... على أن هذا لا يعيهم
ولا ينقص مقدارهم بأن يكون المتأمر عليهم واحدا
منهم ومن جنسهم ، وذلك أمر لم يخطر لى ببال ،
وأرضى بأدلى من ذلك ، وبأخذوا على عهدا بما
أشترطه على نفسى : أننا اذا عدنا الى أوطاننا ،
أن لا أداخلهم فى شيء ، ولا أقارصهم فى أمر ،
وأن يكون كبيرنا والدنا ابراهيم بك على عادته ،
ويسمحوا لى بإقامتى بالجيزة ، ولا أعارضهم فى

اقتلوه بعد ذلك وتستريحوا منه » . فقالوا :
« هيهات بعد أن يظهر علينا ، فانه يقتلنا واحدا بعد
واحد ، ويخرجنا الى البلاد ثم يرسل يقتلنا . وهو
بعيد المكر ، فلا نأمن اليه مطلقا » ..

وغرهم الخصم بتمويهاته ، وأرسل اليهم هدايا
وخيولا وسروجا وأقمشة . هذا ورسل القبودان
تذهب وتأتى بالمخاطبات والعرضحالات ، حتى
ثمموا الأمر . كما تقدم .

وفى أثناء ذلك : ينتظر القبودان جوابا كافيا ،
وسلحداره مقيم أيضا عند المترجم . والمترجم
يشاغل القبودان بالهدايا والأغنام والذخيرة من
الأرز والغلل والسمن والعسل وغير ذلك ... الى
أن رجع اليه سليمان أغا بخفي حنين ، محزونا
مهموما متحيرا فيما وقع فيه من الورطة ، مكسوف
البال مع القبودان ووزير الدولة ، وكيف يكون
جوابه للمذكور ... والقبودان جعل في الإبرة
خيطين ليتبع الأروج .

فلما وصل اليه سليمان أغا وأخبره أن الجماعة
القبليين لا راحة عندهم ، وامتنعوا من الدفع ومن
الحضور ، وأن المترجم يقوم بدفع القسدر الذي
يقدر عليه ، والذي يبقى ويتجمع عليه يقوم بدفعه .
فأعياظ القبودان وقال : « أنت تضحك على ذقتى
ودقن وزير الدولة ! وقد تحركنا هذه الحركة على
ظن أن الجماعة على قلب رجل واحد . وإذا حصل
من المالك للبلدة عصيان ومخالفة ، ولم يكن فيهم
مكافأة لمقاومته ... ساعدناهم بجيش من النظام
الجديد وغيره . وحيث أنهم متنافرون ومتحاسدون
ومتباغضون فلا خير فيهم ، وصاحبك هذا لا يكفى
في المقاومة وحده ، ويحتاج الى كثير المعاونة ، وهى
لا تكون الا بكثرة المصاريف » .

ولما ظهر لسليمان أغا الغيظ والتغير من
القبودان ، خاف على نفسه أن يبطش به ، وعرف

ثم انه الآن أيضا يرأسهم ويداهنهم ، ويهاديهم
ويصالحهم ، ويشبطهم عما فيه النجاح لهم ، وما أظن
أن الغفلة استحسنت فيهم الى هذا الحد ؟

فارجع اليهم وذكرهم بما سبق لهم من الوقائع
فلعلمهم يتنبهوا من سكرتهم ، ويرسلوا معك الثلثين
أو النصف الذى سمح به والدنا ابراهيم بيك .
وهذا القدر ليس فيه كبير مشقة ، فانهم اذا
وزعوا على كل أمير عشرة أكياس ، وعلى كل
كاشف خمسة أكياس ، وكل جندى أو مملوك
كيسا واحدا ، اجتمع المبلغ وزيادة ... وأنا أفعل
ذلك مع قومي ، والحمد لله ليسوا هم ولا نحن
مفاليس . وثرة المال قضاء مصالح الدنيا ، وما
نحن فيه الآن من أهم المصالح .

وقل لهم : « البدار قبل فوات الفرصة ، والخصم
ليس بغافل ولا مهمل ، والعثمانيون عبيد الدرهم
والدينار » .

فلما فرغ من كلامه ، ودعه سليمان أغا ، ورجع
الى قبلى . فوجد الجماعة أصروا على عدم دفع
شيء .

ورجع ابراهيم بيك أيضا الى قولهم ورأيهم . ولما
ألقى لهم سليمان أغا العبارات التى قالها صاحبه ،
وأنه يكون تحت أمرهم ونهيهم ، ويرضى بأدنى
المعاش معهم ، ويسكن الجيزة الى آخر ما قال ...
قالوا : « هذا والله كله كلام لا أصل له ، ولا ينسى
نأره ، وما فعلناه فى حقه وحق أتباعه . ولو اعتزل
عنا ، وسكن قاعة الجبل ، فهو الألقى الذى شاع
ذكره فى الآفاق ، ولا تخاطب الدولة غيره . وقد
كنا فى غيبته لا نطبق غفرتنا من غفاريته ، فكيف
نكون هو وغفاريته الجميع ومن ينشئه خلافهم ! » .
وداخلهم الحقد ، وزاد فى وساوسهم الشيطان .
فقال لهم سليمان أغا : « اقضوا شغلكم فى هذا
الحين ، حتى تنجلي عنكم الأعداء الأغراب ، ثم

منه أن المانع له من ذلك غياب السلحدار عند المترجم ، لأنه قال له : « وأين سلحدارى ؟ » . قال : « هو عند الألفى بالبحيرة » . فقال : « اذهب فأتنى به ، واحضر صحبته » .

وكان موسى باشا المتولى قد حضر أيضا . فما صدق سليمان أغا بقوله ذلك وخلاصه من بين يديه ، فركب في الوقت وخرج من الاسكندرية ، فما هو الا أن بعد عنها مقدار غلوة ... الا والسلحدار قادم الى سكندرية . فسأله : الى أين يذهب ؟ فقال : « ان مخدمك أرسلنى فى شغل ، وهأنا راجع اليكم » . وذهب عند المترجم ولم يرجع .

وفى أثناء هذه الأيام كان المترجم يحارب دمنهور ، وبعث اليه محمد على باشا التجربة العظيمة التى بذل فيها جهده ، وفيها جميع عساكر الدلاة ، وظاهر باشا ومن معه من عساكر الأرثوود والأتراك وعسكر المغاربة . فحاربهم وكسرتهم وهزمهم شر هزيمة ، حتى ألقوا بأنفسهم فى البحر ، ورجعوا فى أسوأ حال .

فلو تجاسر المترجم وتبعهم .. لهرب الباقون من البلدة ، وخرجوا جميعا على وجوههم من شدة ما داخلهم من الرعب ، ولكن لم يرد الله ذلك . ولم يجسروا للخروج عليه بعد ذلك .

ولما تنحت عنه عشيرته ، ولم يلبوا دعوته ، وأتلفوا الطبخة ، وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر سكندرية على الصورة المذكورة ... استأنف المترجم أمرا آخر ، وراسل الانكليز يلتمس منهم المساعدة ، وأن يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم ... كما التمس منهم فى العام الماضى ، فاعتذروا له بأنهم صلح مع العثماني ، وليس فى قانون الممالك — اذا كانوا صلحا — أن يتعدوا على المتصادقين معهم ، ولا يوجهون نحوها عساكر الا باذن منهم ، أو بالتناس المساعدة فى

أمر مهم ، فغاية ما يكون المسألة والترجى .. ففعلوا ، وحصل ما تقدم ذكره ، ولم يتم الأمر .

فلما خاطبهم بعد الذى جرى ... صادف ذلك وقوع الغرة بينهم وبين العثماني . فأرسلوا الى المترجم يعدونه بأقاز سة آلاف لمساعدته . فأقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور . وكان ذلك أوان القبط ، وليس ثم زرع ولا نبات . فضاقت على جيوشهم الناحية — وقد طال انتظاره للانكليز — فتشكى العربان المجتمعون عليه وغيرهم لشدة ما هم فيه من الجهد ... وفى كل حين يوعدهم بالفرج ، ويقول لهم : « اصبروا لم يبق الا القليل » . فلما اشتد بهم الجهد ، اجتمعوا اليه وقالوا له : « اما ان تتقل معنا الى ناحية قبلى ... فان أرض الله واسعة ، واما أن تأذن لنا فى الرحيل فى طلب القوت » . فما وسعه الا الرحيل مكظوما مقهورا من معاندة الدهر فى بلوغ المآرب . الأول : مجيء القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ، ورجوعهما على غير طائل . الثانى : عدم ملكه دمنهور . وكان قصده أن يجعلها معقلا ويقيم بها حتى تأتبه النجدة . الثالث : تأخر مجيء النجدة حتى قحطوا واضطروا الى الرحيل ، الرابع : وهو أعظمها ، مجانبه اخوانه وعشيرته ، وخذلانهم له ، وابتاعهم عن الانضمام اليه . فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان ، حتى وصل الى الأخصاص .

فنادى محمد على باشا على العساكر بالخروج ، ولا يتأخر منهم واحد . فخرجوا أفواجا ليلا ونهارا حتى وصلوا الى ساحل بولاق ، وعدوا الى بر انبابة ، وجيشوا بظاهرها .

وقد وصل المترجم الى كفر حكيم ، يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة ، وانتشرت جيوشه بالبر العربى ناحية انبابة والجيزة . وركب الباشا وأصناف العساكر ، ووقفوا على ظهر خيولهم ، واصطفت

الرجال بينادقهم وأسلحتهم ... ومر المترجم في هيئة عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء ، وهم مرتبون طوابير ومعهم طبول ، وصحبه قبائل العرب من أولاد على والهندى وعربان الشرق في كبكة زائلة ... والباشا والمستكر وقوف ينظرون اليهم من بعد ، وهو يتمجب ويقول : « هذا طهباز الزمان ! والا ايش يكون ؟ » . ثم يقول للدلالة والخيالة : « تقدموا ، وحاربوا . وأنا أعطيك كذا وكذا من المال » . ويذكر لهم مقسدير عظيمة ، ويرغبهم . فلم يتجاسروا على الاقدام ، وصاروا باهتين ومتعجبين ، ويتساجون فيما بينهم ويتشاورون في تقدمهم وتأخرهم ... وقد أدماهم بأعينهم !

ولم يزل سائرا حتى وصل الى قريب قناطر شبرامنت ، فنزل على علوة هناك ، وجلس عليها . وزاد به الهاجس والقهر ، ونظر الى جهة مصر وقال : « يا مصر .. انظري الى أولادك ، وهم حولك مفتشين ، متباعدين مشردين ، واستوطنك أجلاف الأتراك واليهود وأراذل الأرثوذكس ، وصاروا يقبضون خراجك ، ويحاربون أولادك ، ويقاتلون أبطالك ، ويقاومون فرسانك ، ويهدمون دورك ، ويسكنون قصورك ، ويفسقون بولدالك وحورك ، ويطمسون بهجتك ونورك ! » . ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله ، وقد تحرك به خلط دموى ، وفي الحال تقايا دما ، وقال : « قضى الأمر ، وخلصت مصر لمحمد على ، وما ثم من ينازعه ويغالبه ، وجرى حكمه على الممالك المصرية ، فما أظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم » .

ثم انه أحضر أمراءه ، وأمر عليهم شاهين بيك ، وأوصاه بخشداشينه ، وأوصاهم به ، وأن يحرسوا على دوام الألفة بينهم وترك التنازع الموجب للتفرق والتفاشل ، وأن يحذروا من مخادعة عدوهم .

وأوصاهم أنه اذا مات حملوه الى وادى البهت ويدفنوه بجوار قبور الشهداء . فمسات في الليلة ، وهى ليلة الأربعاء تاسع عشر ذى القعدة فلما مات ، غسلوه وكفنوه ، وصلوا عليه وحملوه على بعير ، وأرسلوه الى البهنسا ، وذه هناك بجوار الشهداء . واتقضى نجه ، فسبحان له سرمدية البقاء .

وفي الحال : حضر المبشر الى محمد على باه وبشره بموت المترجم . فلم يصدقه ، واستغ ذلك ، وحبس البدوى الذى آتاه بالبشارة اربع أيام ... وذلك لأن أتباعه كانوا كتبوا أمر موته ، يذيعوه في عرضيه . والذى أشاع الخبر وأ بالبشارة رفيق البدوى الذى حملة على بعيره ولما ثبت موته عند الباشا ، امتلا فرحا ومرورا وكذلك خاصته ، ورفعوا رؤوسهم .

وأحضر ذلك المبشر ، فألبسه ثروبة سمور وأعطاء مالا ، وأمره أن يركب بتلك الخلعة ويش بها من وسط المدينة ليراه أهل البلدة .

وشاع ذلك الخبر فى الناس من وقت حضر المبشر ، وهم يكذبون ذلك الخبر ، ويقولون : ه من جملة تحيلاته ، فانه لما سافر الى بلاد الانكليز لم يعلم بسفره أحد ، ولم يظهر سفره الا بعد مفر أشهر ... فلذلك أمر الباشا ذلك المبشر أن يركب بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة ، ومع ذلا استمروا فى شكهم نحو شهرين حتى قويت عندهم القرائن بما حصل بعد ذلك .

فانه لما مات تفرقت قبائل العربان التى كانت متجمعة حوله ، وبعضهم أرسل بل يطلب أمانا من الباشا ، وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره فى ضم ما تقدم ... وكان محمد على باشا يقول : « ماذا هذا الألهى موجودا ... لا يهنا لى عيش ، ومثالي

أنا وهو : مثال بهلوانين يلعبان على الجبل ، لكن هو في رجليه قبقاب ا .

فلما أتاه المبشر بموته قال — بعد أن تحقق ذلك — : « الآن .. طابت لى مصر ، وما عدت أحسب لغيره حسابا ا » .

وكان المترجم أميرا جليلا مهيبا ، محتشما ، مدبرا بعيد الفكر في عواقب الأمور ، صحيح الفراسة . إذا نظر في سحنة انسان عرف حاله وأخلاقه بمجرد النظر اليه ، قوى الشكيمة ، صعب المراس ، عظيم البأس ، ذا غيرة حتى على من ينتمى اليه ، أو ينسب الى طرفه . يجب علو الهمة في كل شيء ، حتى أن التجار الذين معاملهم في المشتريات ، لا يساومهم ولا يفاسلهم في أثمانها ، بل يكتبون الأثمان بأنفسهم كما يحبون ويريدون في قوائم ، ويأخذها السكاتب ليعرضها عليه ، فيمضى عليها ولا ينظر فيها . ويرى أن النظر في مثل ذلك ، أو المحاققة فيه عيب وتقص يخل بالأمر .

ولا تمضى السنة الا والجبيح قد استوفوا حقوقهم ، ويستأنفوا احتياجات العام الجديد . ولذلك راج حال العاملين له رواجا عظيما لكثرة ربحهم عليه ومكاسبهم . ومع ذلك يواسيهم في جملة أحبابه والمتنسين اليه ، بارسال الغلال لمثونة بيوتهم وغيالهم ، وكساوى العيد ا

ويتنصر لأتباعه ولمن انتمى اليه ، ويجب لهم رفعة القدر عن غيرهم ... مع أنه اذا حصل من أحد منهم هفوة تخل بالمرودة ، عنفه وزجره . فترى كشافه وماليكه — مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم — يخافونه خوفا شديدا ، ويهابون خطابه .

ومن عجيب أمره ومناقبه التي انفرد بها عن غيره ، امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصرى لأمره ، وتسخيرهم وطاعتهم له .. لا يخالفونه

في شيء . وكان له معهم سياسة غريبة ، ومعرفة بأحوالهم وطبائعهم ... فكانما هو مربى فيهم ، أو ابن خليفتهم ، أو صاحب رسالتهم ... يقومون ويقعدون لأمره مع أنه يصادرهم في أموالهم وجمالهم ومواشيهم ، ويحبسهم ويطلقهم ، ويقتل منهم . ومع ذلك لا ينفرون منه ا

وقد تزوج كثيرا من بناتهم : فالتى تعجبه يقيها حتى يقضى وطره منها ، والتي لا توافق مزاجه يترحها الى أهلها . ولم يبق في عصمته غير واحدة — وهى التى أعجبه — فمات عنها .

فلما بلغ العرب موته ... اجتمعت بنات العرب ، وصرن يندبنه بكلام عجيب ، تناقلته أرباب المغانى يغنون به على آلات اللهو المطربة ، وركبوا عليه أدوارا وقوافى وغير ذلك ا

والعجب منه — رحمه الله — أنه لما كان في دولتهم السابقة ، وينزل في كل سنة الى شرقية بليس ويتحكم في عربانها ، ويسومهم سوء العذاب بالقبض عليهم ووضعهم في الزناجير ، ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر ، ويأخذ منهم الأموال والخيل والأباعر والأغنام ، ويفرض عليهم الفرض الزائدة ، ويمنعهم من التسلط على فلاحي البلاد ا ثم انه لما رجع من بلاد الانكليز ، وتعصب عليه البرديسى والعسكر ، وأحاطوا به من كل جانب ... فاخفى منهم ، وهرب الى الوادى عند عشية البدوى ، فأواه وأخفاه ، وكنتم أمره . والبرديسى ومن معه يبالغون في الفحص والتفتيش ، وبذل الأموال والרגائب لمن يدل عليه أو يأتي به... فلم يطمعوا في شيء من ذلك ، ولم يفشوا سره ، وقيدوا بالطرق الموصلة له أنفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتي على حين غفلة ... وهذا من المعجائب ، حتى كان كثير من الناس يقولون : « انه يسحرهم ، أو معه سر يسخرهم به ا » .

وله أيضا معرفة بالأشكال الرملية ، واستخراجات الضائير بالقواعد الحرفية . وكان له في ذلك اصابات ، ومنها ما أخبرني به بعض أتباعه : أنه لما وصل الى ثغر سكندرية — راجعا من بلاد الانكليز — رسم شكلا وتأمل فيه ، وقطب وجهه ، ثم قال : « انى أرى حادثا فى طريقنا ، وربما أنى أفترق منكم ، وأنغيب عنكم نحو أربعين يوما » . فلذلك .. أحب أن يخفى أمره ويأتى على حين غفلة .

وكان البرديسى قد أقام بالثغر رقبيا ، يوصل خبر وروده . فلما وصل ، أرسل ذلك الرقيب ساعيا فى الحال — وكان مذكرفاه فى سياق التاريخ ، من غدرهم وقتلهم حنين بيك الوشاش بالبر الغربى ، وهروب بشتك بيك من القصر ، وارسال العسكر للاقاة المترجم على حين غفلة ليقتلوه ، وهروبه واختفائه ، ثم ظهوره واجتماعهم عليه بعد انقضاء تلك المدة ، أو قريب منها .

وكان — رحمه الله — اذا سمع بانسان فيه معرفة بمثل هذه الأشياء ، أحضره ومارسه فيها ، فان رأى فيه فائدة أو مزية أكرمه وواساه وصاحبه وقربه اليه وأدناه .

وكان له مع جلسائه مباسطة — مع الحشمة والترفع عن الهديان والمجون . وكان غالب اقامته بقصوره التى عمرها خارج مصر — وهو القصر الكبير بمصر القديمة ، تجاه المقياس بشاطيء النيل ، والقصر الآخر الكائن بالقرب من زاوية الدمرداش ، والقصر الذى بجانب قنطرة المغربى على الخليج الناصرى .

وكان اذا خرج من داره — لبعض تلك القصور — لا يمر من وسط المدينة ، واذا رجع كذلك . فسئل عن سبب ذلك ، فقال :

« أستحى أن أمر من وسط الأسواق وأهل

فلما مات ، تفرق الجميع ، ولم يجتمعوا على أحد بعده ، وذهبوا الى أماكنهم ، وبعضهم طلب من الباشا الأمان .. وأما مماليكه وأتباعه ، فلم يفلحوا بعده ، وذهبوا الى الأمراء القبليين ، فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ، ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر ، فانزلوا عنهم الى أن جرى ماجرى من صلحهم مع الباشا ، وأوقع بهم ماسيتلى عليك بعد ... ان شاء الله تعالى .

وبعد موت المترجم بنحو الأربعين يوما ، وصلت نجدة الانكليز الى ثغر الاسكندرية ، وطلعوا اليه . فبلغهم عند ذلك موت المذكور ، فلم يسهل بهم الرجوع ، فأرسلوا رسلهم الى الجماعة المصريين — ظانين أن فيهم أثر الهمة والنخوة — يطلبونهم للحضور ، ويساعدتهم الانكليز على ردهم لمملكتهم وأوطانهم .

وكان محمد على باشا — حين ذاك — بناحية قبلى يحاربهم ، فطلبهم للصلح معه ، وأرسل اليهم بعض فقهاء الأزهر وخادعهم وثبطهم ، فقعدوا عن الحركة ، وجوهى ماجرى على طائفة الانكليز ، كما سيتلى عليك خبره ، ثم عليهم بعد ذلك .. وكان أمر الله مفعولا .

وكان للمترجم ولوع ورغبة فى مطالعة الكتب ... خصوصا العلوم الغربية ، مثل : الجغريات ، والجغرافيا ، والاسطرنوميا ، والأحكام النجومية ، والمناسطرات الفلكية وما تدل عليه من الحوادث الكونية . ويعرف أيضا مواضع المنازل وأسماءها وطبائعها ، والخمسة المتحيرة ، وحركات الثوابت ومواقعها ... كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقى على طريقة العرب من غير مطالعة فى كتاب ، ولا حضور درس . واذا طالع أحد بحضرته فى كتاب ، أو أسمعه ، فاضلة مناضلة متضلع ، وناقشه مناقشة متطلع .

الحوائت والمارة ينظرون الى ، وأفرجهم على
نفسى .

وللمترجم أخبار وسير ووقائع .. لو سطرت ،
لكانت سيرة مستقلة ، خصوصا وقائمه وسياخه
ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ، أيام أقام الفرنساوية
بالقطر المصرى ، ورحلته بعد ذلك الى بلاد
الانكليز ، وغيابه بها سنة وشهورا . وقد تهذبت
أخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن
سياسة أحكامهم ، وكثرة أموالهم ورفاهيتهم
وصنائعهم ، وعدلهم فى رعيتهم ، مع كثرهم ، بحيث
لا يوجد فيهم فقير ولا مستجدى ، ولا ذو فاقة ولا
محتاج . وقد أهدوا له هدايا وجواهر ، وآلات
فلكية ، وأشكالا هندسية ، واسطرلابات وكرات
ونظارات . وفيها ما اذا نظر الانسان فيها فى الظلمة
يرى أعيان الأشكال كما يراها فى النور . ومنها
لخصوص النظر فى الكواكب ، فيرى بها الانسان
الكوكب الصغير عظيم الجرم ، وحوله عدة
كواكب لا تدرك بالبصر الحديد ! ومن أنواع
الأسلحة الحربية أشياء كثيرة . وأهدوا له آلة
موسيقى تشبه الصندوق ، بداخله أشكال
تدور بحركات ، فيظهر منها أصوات مطربة ، على
إيقاع الأنغام وضروب الألحان ، وبها نشانات
وعلامات لتبديل الأنغام بحسب ما يشتهى السامع ..
الى غير ذلك ... نهب ذلك جميعه العسكر الذين
أرسلهم اليه البرديسى ليقتلوه ، وطفقوا يبيعونه فى
أسواق البلدة ، وأغلبه تكسر وتلف وتبدد .

وأخبرنى بعض من خرج للملاقاته عند منوف
العليا ، انه لما طلع اليها ، وقابله سليمان بيك
البواب ، أدخله الحمام — فى تلك الليلة —
وكان قد بلغه كافة أفعاله بالمنوفية من العسف
والتكاليف ، وكذا باقى اخوانه وأفعالهم بالأقاليم .
فكان مسامرتهم معه تلك الليلة فى ذكر العدالة
الموجبة لعمارة البلاد .

ويقول لسليمان بيك فى التمثيل : « الانسان
الذى يكون له ماشية — يقات هو وعياله
من لبنها وسننها وجبنها — يلزمه أن يرفق بها فى
الملف ، حتى تدر وتسمن وتنتج له التناج ،
بخلاف ما اذا أجاعها وأجحفها وأتعبها وأشقها
وأضعفها ، حتى اذا ذبحها لا يجد بها لحما
ولا دهنا . »

فقال : « هذا ما اعتدناه ، وربينا عليه . »
فقال : « ان أعطانى الله سيادة مصر والامارة فى
هذا القطر ، لأمنن هذه الوقائع ، وأجرى فيه
العدل ليكثر خيره ، وتعمر بلاده ، وترتاح أهله ،
ويكون أحسن بلاد الله . » ولكن الاقليم المصرى
ليس له بخت ولا سعد ، وأهله تراهم مختلفين فى
الأجناس ، متنافرى القلوب ، منحرفى الطباع . فلم
يمض على هذا الكلام الا بقية الليل وساعات من
النهار ، حتى أحاطوا به ، وفر هاربا ونجا بنفسه .
وجرى ماتقدم ذكره من اختفائه وظهوره ، وانتقاله
الى الجهة القبلية ، واجتماع الجيوش عليه ،
وحكمت عليه الصورة التى ظهر فيها ، وحصل له
ما حصل .

وأخبرنى من اجتمع عليه فى البحيرة ،
وسامره ، فقال : « يافلان .. والله يخيل لى أن
أقتل نفسى .. ولكن لآتهون على ، وقد صرت
الآن واحدا بين ألوف من الأعداء ، وهؤلاء قومى
وعشيرتى فعلوا بى ما فعلوا ، وتجنبونى وعادونى
من غير جرم ولا ذنب سبق منى فى حقهم ،
وأشقونى وأشقوا أنفسهم ، وملكوا البنلاد
لأعدائى وأعدائهم ، وسعيت واجتهدت فى مرضاتهم
ومصالحتهم والنصح لهم ، فلم يزدهم ذلك الا
نفورا ، وتباعدا عنى . »

« ثم هذه الجنود ورئيسهم ، الذين ولجوا البلاد
وذاقوا حلاوتها ، وشبعوا بعد جوعهم ، وترفعوا
بعد ذلهم ، يجيشون على ويحاربونى ، ويكيدونى

عليه بالقهر ، وخاب أمله ، واقتضى أجله ، وخانه الزمان ، وذهب في خبر كان . ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة .. غفر الله له .

ومات الأمير عثمان بيك البرديسي المرادي ، وسمى البرديسي لأنه تولى كشوفية برديس بقبلى وعرف بذلك واشتهر به .

تقلد الأمرية والصنجدية في سنة ١٢١٠ ، وتزوج بنت أحمد كتنخدا على ، وهى أخت على كاشف الشرقية ، وعمل لها مهما ، وذلك قبل أن يتقلد الصنجدية . وسكن بدار على كتنخدا الطويل بالأزبكية . واشتهر ذكره ، وصار معدودا من جملة الأمراء .

ولما قتل عثمان بيك البرديسي المرادي بساحل أبو قير . ورجع من رجع الى قبلى . كان الألفى هو المتعين بالرياسة على المرادية . فلما سافر الألفى الى بلاد الانكليز . تعين المترجم بالرياسة على خشداشينه مع مشاركة بشتك بيك الذى عرف بالألفى الصغير .

فلما حضروا الى مصر في سنة ثمان عشرة بعد خروج محمد باشا خسرو وقتل طاهر باشا ، انضم اليه محمد على باشا — وكان اذ ذاك سرششه العساكر ، وتواخى معه وصادقه ، ورمح في ميدان غفلته ، وتحالفا ، وتعاهدا ، وتعاقدا على المحبة المصافاة ، وعدم خيانة أحدهما للآخر ، وأن يكون محمد على باشا وعساكره الأروام اتباعا له ، وهو الأمير المتبوع . فانتفخ جأشه — لأنه كان طائش العقل ، مقتبل الشيبة — فاغتر بظاهر محمد على باشا ، لأنه حين عمل شغله في مخدومه محمد باشا ، وبعده طاهر باشا ، دعا الأمراء المصريين ، وأدخلهم الى مصر ، وانتسب الى ابراهيم بيك الكبير ، لكونه رئيس القوم وكبيرهم ، وعين لابراهيم بيك خرجا وعلوفة مثل

ويقاتلونى . ثم ان هؤلاء العربان المجتمعين على ، أصانهم وأسوسهم ، وأغاضبهم وأراضبهم ، وكذلك جندى وماليكى ، وكل منهم يطلب منى رياسة وامارة ، ويظنون — بغفلتهم — أن البلاد تحت حكمى ، ويظنون أنى مقصر في حقهم : فتارة أعاملهم باللطف ، وتارة أزجرهم بالعنف . فأنا بين الكل مثل الفريسة ، والجميع حولى مثل الكلاب الجياع ، يريدون نهشى وأكلى ، وليس ييدى كنوز قارون فأنفق على هؤلاء الجموع منها ، فيضطرنى الحالى الى التعدى على عباد الله ، وأخذ أموالهم ، وأكل مزارعهم ومواشيهم . فان قدر الله لى بالظفر ، عوضت عليهم ذلك ، ورققت بحالهم ، وان كانت الأخرى ، فالله يلطف بنا وبهم ، ولا بد أن يترحموا علينا ، ويسترضوا عن ظلمنا وجورنا بالنسبة لما يحل بهم بعدنا .

وبالجملة . فكان آخر من أدركنسا من الأمراء المصريين شهامة وصرامة ، ونظرا في عواقب الأمور . وكان وحيدا في نفسه ، فريدا في أبناء جنسه . وبموته اضمحلت دولتهم ، وتفرقت جمعيتهم ، والكسرت شوكتهم ، وزادت فقرتهم . وما زالوا في نقص وادبار ، وذلة وهوان وصغار ، ولم تقم لهم بعده راية ، وانقرضوا وطرذوا الى أقصى البلاد في النهاية .

وأما مناليكه وصناجقه ، فانهم تركوا نصيحته ، ولسوا وصيته ، وانضموا الى عدوهم وصادقوه . ولم يزل بهم حتى قتلهم وأبادهم عن آخرهم ، كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد .

وكانت صفة المترجم معتدل القامة ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، جميل الصورة ، مدور اللحية ، أشقر الشعر قد وخطه الشيب ، مليح العينين ، مقرون الحاجبين ، معجبا بنفسه ، مترفها في زيه وملبسه ، كثير الفكر ، كتوما لا يبيح سر ولا لأعز أحبابه . الا انه لم يسعفه الدهر ، وجنى

أتباعه ومبهره واختبره ، فلم ترج سلعته عليه ،
 ووجده محرصا على دوام التراحم والألفة والمجبة ،
 وعدم التفاشل في عشيرته وأبناء جنسه ، متحرزا
 من وقوع ما يوجب التقاطع والتنافر في قبيلته .
 فلما آيس منه ، مال عنه وانضم الى المترجم ،
 واستخفه واحتوى على عقله ، وصاحبه وصادقه ،
 وصار يختلى معه ، ويتعاقر معه الشراب ،
 ويسامره ويسايره ، حتى باح له بما في ضميمه من
 الحقد لأخوانه ، وتطلب الانفراد بالرياسة . فصار
 يقوى عزمه ، ويزيد في اغرائه ، ويوعده بالمعاونة
 والمساعدة على اتمام قصده .

ولم يزل به ، حتى رسمخ في ذهن المترجم نصحه
 وصدقه .. كل ذلك توصلا لما هو كامن في نفسه
 من أهلاك الجميع ، ثم أشار عليه ببناء أبراج حول
 داره التي سكن بها بالناصرية . فلما أتمها ، أسكن
 بها طائفة من عساكره كأنهم محافظون لما عساه
 أن يكون .

ثم سار معه الى حرب محمد باشا خسرو
 بدمياط فحاربوه ، وأتوا به أسيرا ، وجسوه .
 ثم فعلوا بالسيد على القبطان مثل ذلك ، ثم كائنة
 على باشا النظرا بلسي وقتله — وقد تقدم خبر ذلك
 كله ، وجميعه نسب فعله للمصريين — ولم يبق
 الا الايقاع بينهم فكان وصول الألفى عقب ذلك ،
 فأوقعوا به وبجسده ما تقدم ذكره ، وتفاشلوا
 وتفرقوا بعد جمعهم ، وقلوا بعد الكثرة .

ثم أشار على المترجم ، المصادق الناصح ،
 بتفريق أكثر الجمع الباقي في النواحي والجهات :
 البعض منهم لرصد الألفى والقبض عليه وعلى
 جنده ، والبعض الآخر لظلم الفلاحين في البلاد .
 ولم يبق بالمدينة غير المترجم وابراهيم بيك الكبير
 وبعض الأمراء . فعند ذلك سلط محمد على
 العساكر بطلب علائقهم المنكسرة ، فعجزوا عنها .
 فأراد المترجم أن يفرض على فقراء البلدة فريضة —

بعد أن استشار الأخ النصوح — وطافت الكتاب
 في الحارات والأزقة ، يكتبون أسماء الناس
 ودورهم . ففزعوا وصرخوا في وجوه العسكر .
 فقالوا : « نحن ليس لنا عندكم شيء ، ولا نرضى
 بذلك ، وعلائقنا عند أمرائكم ونحن مساعدون
 لكم » . فعند ذلك قاموا على ساق ، وخرجت
 نساء الحارات وبأيديهم الدفوف ، يغنون
 ويقولون : « ايش تأخذ من تفليسي يابرديسي ! » .
 وصاروا يسخطون على المصريين ، وبترضون
 عن العسكر . وفي الحال ، أحاطت العسكر بيوت
 الأمراء ، ولم يشعر البرديسي الا والعسكر —
 الذين أقامهم بالأبراج ، التي بناها حوله ليكونوا
 له عزا ومنعة — يضربون عليه ويحاربونه ،
 ويريدون قتله . وتسلقوا عليه . فلم يسع الجميع
 الا الهروب والفرار . وخرجوا خروج الضب
 من الوجار .

وذهب المترجم الى الصعيد مذهوماً مدحورا ،
 مذموماً مطروداً ، وجوزى مجازاة من يتصر
 بعدوه ويعول عليه ، ويقص أجنته برجليه ،
 وكالباحث على حتفه بظلفه ، والجاذع بظفره
 ما إن آنفه .

ولم يزل في هياج وحروب — كما سطر في
 السياق — ولم يتصر في معركة . ولم يزل مصراً
 على معاداة أخيه الألفى ، وحاقداً عليه وعلى
 أتباعه ، محرصاً على زلاته وأعظمها قضية القبودان
 وموسى باشا .. الى غير ذلك .

وكان ظالماً غشوماً طائشاً ، سيئ التدبير . وقد
 أوجده الله جل جلاله ، وجعله سبباً لزال عزمهم
 ودولتهم ، واختلال أمرهم ، وخراب دورهم ،
 وهتك أعراضهم ومذلتهم وتشتيت جمعهم . ولم
 يزل على خبثه ، حتى مرض ومات بمنفلوط ،
 ودفن هناك .

ومات الأمير بشتك بيك — وهو الملقب بالألفى الصغير — وهو مملوك محمد بيك الألفى الكبير . أمره وجعله وكيلا عنه مدة غيابه في بلاد الانكليز . وكان قبل ذلك سلحداره ، وأمر كشفه ومماليكه وجنده بطاعته ، وامثال أمره .

فلما حضر الأمراء المصريون في سنة ثمان عشرة أقام هو بقصر مراد بيك بالجيزة . فلم يحسن السياسة ، وداخله الغرور وأعجب بنفسه ، وشمخ على نظرائه ، وعلى أعمامه الذين هم خشداشون لأستاذه ... بل وعلى ابراهيم بيك الكبير الذى هو بمنزلة جده . وكان ينادى بيك — الذى هو أستاذ أستاذه — يراعى حقه ، ويتأدب معه ، ويقبل يده في مثل الأعياد ، ويقول : « هو أميرنا وكبيرنا » . وكذلك أستاذ المترجم . كان اذا دخل على ابراهيم بيك قبل يده ، ولا يجلس بحضرته الا بعد أن يأذن له .

فلم يقتف المترجم في ذلك أسلافه ، بل سلك مسلك التعاطف والتكبر على الجميع ، واستعمل العسف في أموره ، مع الترفع على الجميع . واذا عقدوا أمرا بدونه حله ، أو حلوا شيئا بدونه عقده . فضاق لذلك خناق الجميع منه ، وكرهوه وكرهوا أستاذه .

وكان هو من جملة أسباب نفورهم من أستاذه ، وانحراف قلوبهم عنه .

فلما رجع أستاذه ، وظهر من اختفائه ، وبعثه أفعاله ، مقتته وأبعده . ولم يزل مقبوتا عنده . حتى مات مبطونا في حياة أستاذه . بناحية قبلى في تلك السنة .

ومات غير هؤلاء ، ممن له ذكر مثل : سليمان بيك المعروف بأبو دياب ، بناحية قبلى أيضا .

ومات أيضا ، أحمد بيك المعروف بالهنداوى الألفى في واقعة النجيلة .

ومات أيضا ، صالح بيك الألفى ، وهو أيضا ممن تأمر في غياب أستاذه . وعند حضور أستاذه من بلاد الانكليز ، كان هو متوليا كشوفية الشرقية ، وغائبا هناك . فأرسلوا له تجريدة ليقتلوه — وكان بناحية شلشمون — فوصله الخبر ، فترك خيامه وأحماله وأثقاله ، وهرب واختفى .

فلما وقعت حادثة الأمراء مع العسكر وخرجوا من مصر هارين ، وظهر الألفى من الوادى ، ذهب اليه وأمدّه بما معه من الأموال ، وذهب مع أستاذه الى قبلى . ولم يزل حتى مات أيضا في هذه السنة . وغير أولئك كثير ، لم تحضرني أسماؤهم ، ولا وفاتهم .

الباشا ، لئلا يتوجه عليه اللوم من السلطنة ،
وينسب اليه التفريط .

المحرم

الأربعاء غرته (١١ مارس ١٨٠٧ م) :

وصل القابجي الذي على يده التقرير لمحمد على
باشا على ولاية مصر . وطلع الى بولاق .
وفيه : وردت مكاتبات من الجهة القبلية ، فيها :
أنهم كبسوا على عرضي الأنفية — وصحبته
سليمان بيك البواب — وحاربوهم ، وهزموهم ،
ونهبوا حمالاتهم ، وقطعوا منهم عدة رؤوس ، وهي
واصلة في طريق البحر .

وصادت هذه البشارة مع بشارة ورود القابجي
ووصله ، فعمل لذلك شبنك ، وضربت لذلك
مدافع كثيرة من القلعة في كل وقت من الأوقات
الخمسة ... ثلاثة أيام آخرها الجمعة .

ثم انه مضى عدة أيام ، ولم تحضر الرؤوس
التي أخبروا عنها . واختلفت الروايات في ذلك .

الثلاثاء ٧ منه (١٧ مارس ١٨٠٧ م) :

عملوا جمعية بيت القاضي ، حضرها المشايخ
والأعيان . وذكروا أنه لما وردت الأوامر بتحسين
الثغور ، أرسل الباشا سليمان أغا ، ومعه طائفة
من العسكر ، وأرسل الى أهالي الثغور والمحافظين
عليها مكاتبات بأنهم ان كانوا يحتاجون الى
عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين
أرسلهم . فأجابوا بأن فيهم الكفاية ، ولا يحتاجون
الى عساكر زيادة تأتيهم من مصر... فانهم اذا كثروا
في البلد تأتي منهم الفساد والافساد ... فعملوا
هذه الجمعية لاثبات هذا القول ، ولخلاص عهدة

الخميس ٩ منه (١٩ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبات مع السعادة من ثغر سكندرية،
وذلك يوم الخميس وقت العصر ، وفيها : الاخبار
بورود مراكب الانكليز — وعدتهم اثنان وأربعون
مركبا ... فيهم عشرون قطعة كبار ، والباقي صغار



مراكب الانجليز

— فطلبوا الحاكم والقنصل ، وتكلموا معهم ،
وطلبوا الطلوع الى الثغر . فقالوا لهم :
« لا نمكنكم من الطلوع الا برسوم سلطاني » .
فقالوا : « لم يكن معنا مراسيم ، وانما مجيئنا
لمحافظة الثغر من الفرنسيين ، فانهم ربما طرخوا
البلاد على حين غفلة . وقد أحضرنا صحبتنا خمسة
آلاف من العسكر تقيمهم بالأبراج ، لحفظ البلدة
والقلعة والثغر » . فقالوا لهم : « لم يكن معنا
اذن . وقد أتتنا مراسيم بمنع كل من وصل عن
الطلوع من أي جنس كان » . فقالوا : « لا بد من
ذلك : فاما أن تسمحوا لنا في الطلوع بالرضا
والتسليم ، واما بالقهر والحرب . والمهلة في رد
الجواب بأحد الأمرين ، أربع وعشرون ساعة »

مع المصريين ، وظهر عليهم ، وأخذ منهم أسيوط ، وقبض على أنفار منهم ؛ وقتل في المعركة كثير من كشافهم ومماليكهم . فعملوا في ذلك اليوم شنكا وضربوا مدافع كثيرة ... من القلعة والأزبكية ؛ ثلاثة أيام — في الأوقات الخمسة — آخرها السبت .

وأشاعوا أيضا أن الاسكندرية ممتعة على الانكليز ، وأنهم طلعوا الى رأس التين والعجى . فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر ، وحاربوهم ، وأجلوهم عن البر ، ونزلوا الى المراكب مهزومين . وحرقوا منهم مركبين وأنه وصل إليهم عمارة العثمانيين والفرنساوية ، وحاربوهم في البحر ، وأحرقوا مراكبهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ولم يبق منهم الا القليل .

واستمر الأمر في هذا الخلط القبلى والبحرى عدة أيام . ولم يأت من الاسكندرية سعاة ولا خبر صحيح .

وفيه : وصل الكثير من أهالى الفيوم ، ودخلوا الى مصر ... وهم في أسوأ حال من الشتات والعري ، مما فعل بهم ياسين بيك . فخرجوا على وجوههم ، وجلوا عن أوطانهم ولم يمكنهم الخروج من بلادهم ... حتى ارتحل عنهم المذكور يريد الحضور الى ناحية مصر ، عندما بلغه خبر حضور الانكليز الى ثغر سكندرية .

الجمعة ١٧ منه (٢٧ مارس ١٨٠٧ م) :

وصل ياسين بيك المذكور الى ناحية دهشور ، وأرسل مكاتبة خطابا للسيد عمر والقاضى وسعيد أغا ... يذكر فيها : أنه لما بلغه وصول الانكليز ، أخذته الحمية الاسلامية ، وحضر — وصحبته ستة آلاف من العسكر — ليرابط بهم بالجيزة أو بقلوب ، ويجاهد في سبيل الله . فكتبوا له أجوبة ... مضمونها : ان كان حضوره بقصد

ثم تتدموا على الممانعة » . فكتبوا بذلك الى مصر . فلما وضلت تلك المكاتبات ... اجتمع كتخدائيك ، وحسن باشا ، وبونا بارتة الخازندار ، وظاهر باشا ، والدفتردار ، والروزنامجى ، وباقي أعيانهم — وذلك بعد الغروب — وتشاوروا في ذلك . ثم أجمع رأيهم على ارسال الخبر بذلك الى محمد على باشا ، ويطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ، ليستعدوا لما هو أولى وأحق بالاهتمام . ففعلوا ذلك وانصرفوا الى منازلهم ، بعد حصه من الليل ، وأرسلوا تلك المكاتبة اليه في صبح يوم الجمعة صبحه هجانين ، وشاع الخبر ، وكثر لفظ الناس في ذلك .

ولما انقضت الأربع والعشرون ساعة التى جعلها الانكليز أجلا بينهم وبين أهل الاسكندرية — وهم في الممانعة — ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر .. فهدموا جانبا من البرج الكبير ، وكذلك الأبراج الصفار والصور . فعند ذلك طلبوا الأمان . فرفعوا عنهم الضرب ، ودخلوا البلدة .. وذلك يوم الجمعة التالى .

الاثنين ١٣ منه (٢٣ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر على سبيل الاجمال من غير معرفة حقيقة الحال ... بل بالعلم بأنهم طلعوا الى الثغر ودخلوا البلدة ، وعدم علمهم بالكيفية وتغيب الحال ، واشتباه الأمر .

وفيه : حضر قنصل فرنساوية الى مصر — وكان بالاسكندرية — فلما وردت مراكب الانكليز ، انتقل الى رشيد . فلما بلغه طلوعهم الى البر ، حضر الى مصر ، وذكر أنه يريد السفر الى الشام هو وباقي فرنساوية القاطنين بمصر .

الخميس ١٦ منه (٢٦ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة من الباشا يذكر فيها : أنه تحارب

ماعدًا اسلامبول . وأما الغرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها ، فمطلق السراح لا حرج ... ذهابًا وإيابًا .

ومن شروطهم التي شرطوها مع أهل البلد : أنهم ان احتاجوا الى قومية أو مال .. لا يكلفون أهل الاسكندرية بشيء من ذلك ، وأن محكمة الاسلام تكون مفتوحة تحكم بشرائعها ، ولا يكلفون أهل الاسلام بقيام دعوى عند الانكليز بغير رضاهم . والحمابات ، من أى بنديرة ، تكون مقبولة عند الانكليز الموجودين فى الاسكندرية ، و يقيمون مأمونين رعاية لخاطر أهل الاسكندرية ، ولم يحصل لهم شيء من المكروه من كامل الوجوه .. حتى الفرنساوية . والجمارك من كل الجهات ، على كل مائة اثنان ونصف . وعلى ذلك انتهت الشروط .

وليعلم أن هذه الطائفة من الانكليز ، ومن انضم اليهم — وعدتهم على ما قيل ستة آلاف — لم تأت الى الثغر طمعا فى أخذ مصر ، بل كان ورودهم ومجيئهم مساعدة ومعاونة للآلئى على أخصامه .. باستدعائه لهم ، واستنجاهه بهم قبل تاريخه .

وسبب تأخرهم فى المجيء .. لما بينهم وبين العثماني من الصلح . فلا يتعدون على ممالكه من غير اذنه ، لمحافظةهم على القوانين . فلما وقعت الفرة بينهم وبينه بما تقدم .. فعند ذلك انتهزوا الفرصة ، وأرسلوا هذه الطائفة .

وكان الآلئى ينتظر حضورهم بالبحيرة ، فلما طال عليه الانتظار ، وضاعت عليه البحيرة ، ارتحل بجيوشه مقبلا .. وقضى الله موته باقليم الجيزة . وحضر الانكليز بعد ذلك الى الاسكندرية ، فوجدوه قد مات ، فلم يسعهم الرجوع . فأرسلوا الى الأمراء القبلين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوهم . ويقولون لهم : « انما جئنا الى

الجهاد ، فينبغى أن يتقدم بمن معه الى الاسكندرية . وإذا حصل له النصر ، تكون له اليد البيضاء ، والمنقبة والذكر والشهرة الباقية . فانه لا فائدة باقامته بالجيزة أو قلوب ... وخصوصا قلوب بالبر الشرقى . »

وكان حسن باشا خرج بعرضيه فى موكبه الى ناحية الخلا ، قبل ذلك بأيام ، ويرجع الى داره ، آخر النهار ، فيبيت بها . ثم يخرج فى الصباح .. وعساكره وأوباشه ينتشرون بتلك النواحي ، يعبثون ويخطفون متاع الناس ، ومبيعات الفلاحين وأهل بولاق . وفى كل يوم يشيعون بأنه مسافر الى جهة البحيرة لمحاربة الانكليز .

فلما ورد خبر مجيء ياسين بيك ، تأخر عن السفر . وعملوا مشورة فالتفتى رأيهم أن حسن باشا يعدى الى البر الغربى ، ويقيم بالجيزة .. لئلا يأتى ياسين بيك ويملكها . فعدى حسن باشا فى يوم الاثنين عشرينه ، وأقام بها ، وأعرض عن السفر الى جهة البحيرة .

وفيه : وردت الأخبار الصحيحة بأخذ الاسكندرية ، واستيلاء الانكليز عليها يوم الخميس المتقدم ، تاسع الشهر . ودخلوها ، وملكوا الأبراج يوم الأحد صبيحة النهار ، وسكن صارى عسكرهم بوكالة القنصل .

وشرطوا مع أهالى البلد شروطا . منها : أنهم لا يسكنون البيوت قهرا عن أصحابها ، بل بالمؤاجرة والتراضى ، ولا يمتنون المساجد ، ولا يبتلون منها الشعائر الاسلامية . وأعطوا أمين أغا الحاكم أمانا على نفسه وعلى من معه من العسكر ، وأذنوا لهم بالذهاب الى أى محل أرادوه . ومن كان له دين على الديوان .. يأخذ نصفه حالا ، والنصف الثانى مؤجلا . ومن أراد السفر فى البحر من التجار وغيرهم .. فليسافر فى خفارتهم الى أى جهة أراد ،

الخميس ٢٣ منه (٢ ابريل ١٨٠٧ م) :

ورد مكتوب من أهالى دمنهور — خطابا الى السيد عمر النقيب — مضمونه : « أنه لما دخلت المراكب الانكليزية الى سكندرية ، هرب من كان بها من العساكر ، وحضروا الى دمنهور . فعندما شاهدتهم الكاشف الكائن بدمنهور ، ومن معه من العسكر ، انزعجوا انزعاجا شديدا ، وعزموا على الخروج من دمنهور . فخطبهم اكابر الناحية قائلين لهم : « كيف تتركونا وتذهبوا .. ولم تروا منا خلافا ، وقد كنا ، فيما تقدم من حروب الألفى ، من أعظم المساعدين لكم .. فكيف لا نساعد الآن بعضنا بعضا فى حروب الانكليز ؟! » . فلم يستمعوا لقولهم لشدة ما داخلهم من الخوف . وعبوا متاعهم ، وأخرج الكاشف أثقاله وجبخته ومدافعه ، وتركها وعدى وذهب الى فوه من ليلته ، ثم أرسل فى ثانى يوم من أخذ الأثقال ! فهذا ما حصل أخبرناكم به . »

وأما « بونا بارت » الخازندار ، الذى سافر لحرب الانكليز ، فانه نزل على القليوبية ، وفعل ما أمكنه وقدر عليه بالبلاد ، من السلب والنهب والجور والكلف والتساويف ، حتى وصل الى المنوفية .

وكذلك طاهر باشا الذى سافر فى أثره ، واسماعيل كاشف — المعروف بالطوبجى — فرض على البلاد جمالا وخيولا وأبقارا وغير ذلك .

ومن جملة أفاعيلهم : أنهم يوزعون الأغنام المنهوبة على البلاد ، ويلزمونهم بعلفها وكلفها ، ثم يطلبون أثمانها مضاعفة بما يضاف الى ذلك من حق طرق المعينين ... وأمثال ذلك !

الجمعة ٢٤ منه (٣ ابريل ١٨٠٧ م) :

وردت أخبار من ثغر رشيد يذكرون بأن طائفة من الانكليز وصلت الى رشيد ، فى صبح يوم الثلاثاء حادى عشرته ، ودخلوا الى البلد .. وكان

بلادكم باستدعاء الألفى لمساعدته ومساعدتكم ، فوجدنا الألفى قد مات . وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع .. فلا يكون عندكم تأخير فى الحضور لقضاء شغلكم . فانكم لا تجدون فرصة بعد هذه ، وتدمون بعد ذلك ان تلكأتم . »

فلما وصلتهم مراسلة الانكليز ، تفرق رأيهم .. وكان عثمان بك حسن منزلا عنهم — وهو يدعى الورع ، وعنده جيش كبير — فأرسلوا اليه يستدعونه . فقال : « أنا مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت فى الفرنساوية ، والآن أختم عملى وألتجئ الى الإفرنج ، وأتصر بهم على المسلمين ؟ . أنا لا أفعل ذلك ! » . وعثمان بك يوسف كان بناحية الهو .

وكان الباشا يحارب الذين بناحية أسيوط ، وهم : المرادية ، والابراهيمية ، والألفى . والتقى معهم ، وانكسروا منه ، وقتل منهم أشخاصا . فلما ورد عليه خبر الانكليز ، انفعل لذلك ، وداخله وهم كبير ، وأرسل اليهم المثبايح وخلافهم يطلبهم للصلح . وكان ما سيتلى عليك قريبا .. وما كان الا ما أراداه المولى جل جلاله .. من تعة الانكليز والقطر وأهله ... الى أن يشاء الله !

وفيه : وصل مكتوب من محمد على باشا بطلب مصطفى آغا الوكيل وعلى كاشف الصابوبجى ، ليرسلهم الى الأمراء القبالي . فتراخوا فى الذهاب لكونهم وجدوا تاريخ المكتوب حادى عشر الشهر ، فعلموا أن ذلك قبل تحقق خبر الانكليز .

ثم ورد منه مكتوب آخر يذكر فيه غزوه على الرجوع الى مصر قريبا .. فان العساكر يطالبونه بالعائف ، ويأمرهم فيه بتحصيل ذلك وتنظيمه ، ليستلذوها عند حصولهم بمصر ، ويتجهزوا لمحاربة الانكليز .

وصولهم شنكا ومدافع ، وطلعوا بالأحياء مع
فسيالهم الى القلعة .

وفيه : نيه السيد عمر النقيب على الناس ،
وأمرهم بحمل السلاح والتأهب للجهاد في الانكليز
... حتى مجاورى الأزهر ، وأمرهم بترك حضور
الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك
القاء الدروس !

وفيه : وصل عابدين بيك وعمر بيك وأحمد
أغا لاط أوغلى ، من ناحية قبلى . وأُتيع وصول
الباشا بعد يومين .

الاثنين ٢٧ منه (٦ ابريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا جملة من الرؤوس والأبرى الى
بولاق . فطلعوا بهم على الرسم المذكور .. وعدتهم
مائة رأس واحد وعشرون رأسا ، وثلاثة عشر
أسيرا ، وفيهم جرحى ، ومات أحدهم على بولاق .
فقطعوا رأسه ، ورشقوها مع الرؤوس . وشقوا بهم
من وسط المدينة آخر النهار .

الثلاثاء ٢٨ منه (٧ ابريل ١٨٠٧ م) :

حصلت جمعية بيت القاضى . وحضر حسن باشا
وعمر بيك والدقتردار وكتخدا بيك والسيد عمر
النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير وباقى
المشايخ ... فتكلموا فى شأن حادثة الانكليز ،
والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم .. فانهم أعداء
الدين والملة . وقد صاروا أيضا أخصاما للسلطان ،
فيجب على المسلمين دفعهم . ويجب أيضا أن يكون
الناس والعسكر على حال الألفة والشفقة
والاتحاد ، وأن تمتنع العساكر عن التعرض للناس
بالإيذاء كما هو شأنهم ، وأن يساعدوا بعضهم بعضا
على دفع العدو . ثم تشاوروا فى تحصين المدينة وحفر
خنادق . فقال بعضهم : « ان الانكليز لا يأتون الا
من البر الغربى .. والنيل حاجز بين الفريقين ، وأن

أهل البلدة ، ومن معهم من العساكر ، متنبهين
ومستعدين بالأزقة والعطف وطيقان البيوت . فلما
حصلوا بداخل البلدة ، ضربوا عليهم من كل ناحية
فالقوا ما بأيديهم من الأسلحة ، وطلبوا الأمان .
فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا منهم
جملة كثيرة ، وأسروا الباقين . وفر طائفة الى ناحية
دمهور .. وكان كاشفها — عندما بلغه ما حصل
برشيد — اطمأن خطره ، ورجع الى ناحية ديبى
ومحلة الأمير ، وطلع بمن معه الى البر ، فصادف
تلك الشرذمة ، فقتل بعضهم ، وأخذ ما بقى منهم
أسرى . وأرسلوا السعاة الى مصر بالبشارة .

فضربوا مدافع ، وعملوا شنكا ، وخلع كتخدا
بيك على السعاة الواصلين . وأسرت المبشرون
من أتباع العثمانيين — وهم القواسة الأتراك —
بالسعى الى بيوت الأعيان يبشرونهم ، وبأخذون
منهم البقاشيش والخلع ، وصار الناس ما بين
مصدق ومكذب .

الاحد ٢٦ منه (٥ ابريل ١٨٠٧ م) :

أُتيع وصول رؤوس القتلى ومن معهم من
الأسرى الى بولاق . فهرع الناس بالذهاب للفرجة .
ووصل الكثير منهم الى ساحل بولاق . وركب
أيضا كبار العسكر ، ومعهم طوائفهم ، للملاقاة
فطلعوا بهم الى البر ، وصحبتهم جماعة العسكر
المتسافرين معهم ، فأتوا بهم من خارج مصر ،
ودخلوا بهم من باب النصر ، وشقوا بهم من وسط
المدينة .. وفيهم فسيال كبير ، وآخر كبير فى السن ،
وهما راكبان على حمارين ، والبقية مشاة فى وسط
العسكر . ورؤوس القتلى معهم على نيايت .. وقد
تغيرت وأنتت رائحتها — وعدتهم أربعة عشر
رأسا — والأحياء خمسة وعشرون . ولم يزالوا
سائرين بهم الى بركة الأزبكية . وضربوا عند

الفرنساوية كانوا أعلم بأمر الحروب . وأنهم لم يحفروا الا الخندق المتصل من الباب الحديد الى البر فنبتى الاعتناء باصلاحه .. ولو لم يكن كوضعهم واتقاهم ، اذ لا يمكن فعل ذلك .
واتفقوا على ذلك .

وفيه : حضر مكتوب من ثغر رشيد .. عليه امضاء على بيك حاكم رشيد ، وأحمد بيك المعروف « بونا بارت » — مؤرخ يوم الجمعة رابع عشر رنه — يذكرون فيه : « أن الانكليز لما حضروا الى رشيد ، وحصل لهم ما حصل من القتل والإسر ، ورحموا خائبين .. حصل لباقيهم غيظ عظيم . وهم شارعون في الاستعداد للعود والمحاربة . والقصد أن تسعفونا وتمدوننا بارسال الرجال والمحاربين والأسلحة والجبخانه .. بسرعة وعجلة ، والا فلا لوم علينا بعد ذلك . وقد أخبرناكم وعرفناكم بذلك » .

فأرسلوا في ذلك اليوم عدة من المقاتلين ، وكتبوا مكاتبات الى البلاد والعربان الكائنين ببلاد البحيرة ، يدعونهم للمحاربة والمجاهدة . وكذلك أرسلوا في ثاني يوم عدة من العسكر .

الأربعاء ٢٩ منه (٨ أبريل ١٨٠٧ م) :

ركب السيد عمر النقيب والقاضي والأعيان المتقدم ذكرهم ، ونزلوا الى ناحية بولاق لترتيب أمر الخندق المذكور ، وصحبتهم قنصل فرنساوية — وهو الذى أشار عليهم بذلك — وصحبتهم الجمع الكثير من الناس والأتباع .. والكل بالأسلحة .

وفيه : وصل المشايخ الثلاثة الذين كانوا ذهبوا لاجراء الصلح بين الباشا والأمراء القبالي ، وذهبوا الى دورهم .

وكان من خبرهم : أنهم لما وصلوا الى الباشا بناحية ملوى .. استأذنوه في الذهاب فيما أتوا

بسببه من السعى في الصلح ، فاستمهلهم ، وتركهم بناحية ملوى ، واستعد وذهب الى أسبوط . وأودع الجماعة بمنفلوط . وتلاقى مع الأمراء ، وحاربهم ، وظهر عليهم . وقتل من الأمراء فى تلك المعركة سليمان بيك المردى ، المعروف بريحة (بتشديد الياء) ، وسليمان بيك الأغا . ورجع الأمراء القبالي الى ناحية بحرى .

فمند ذلك حضر المشايخ ، وكتب مكاتبات الى الأمراء ، وأرسلها صحبة المشايخ المذكورين ، الى الأمراء — وكانوا بالجانب الغربى بناحية ملوى — فتفاوضوا معهم فيما أتوا بسببه : من أمر الصلح مع الباشا ، وكف الحروب ، فقالوا : « كم من مرة يرسلنا فى الصلح ، ثم يسدر بنا ويحاربنا » فاحتجوا عليهم بما لقنه لهم من مخالفتهم لأكثر الشروط التى كان اشترطها عليهم : من ارسال الأموال الميرية والغلال ، وتعديهم على الحدود التى يحددها معهم فى الشروط .

ثم انهم اختلوا مع بعضهم ، وتشاوروا فيما بينهم . وكان عثمان بيك حسن منعزلا عنهم بالبر الشرقى ، ولم يكن معهم فى الحرب ولا فى غيره ، وبعد انقضاء الحرب استعلى الى جهة قبلى . وعثمان بيك يوسف كان أيضا بناحية الهو والكوم الأحمر .

وفى أثناء ذلك : ورد على الباشا خبر الانكليز ، وأخذهم الاسكندرية ، وأرسلوا رسلهم الى الأمراء القبالي . فارتبك فى أمره ، وأرسل الى المشايخ يستعجلهم فى اجراء الصلح ، وقبولهم كل ما اشترطوه على الباشا ، ولا يخالفهم فى شئ يطلبونه أبدا !

ولما وصلتهم رسل الانكليز ، اختلفت آراؤهم ، وأرسلوا الى عثمان بيك حسن يخبرونه ويستدعونه للحضور .. فامتنع ، وتورع وقال : « أنا لا أتصر بالكفار » ووافق على رأيه ذلك عثمان بيك

يوسف . واختلفت آراء باقى الجماعة ، وهم :
ابراهيم بيك الكبير ، وشاهين بيك المرادى ،
وشاهين بيك الألفى ، وباقى أمرائهم .

فاجتمعوا ثانيا بالمشايخ وقالوا لهم : « ما المراد
بهذا الصلح ؟ » .

فقالوا : « المراد منه راحة الطرفين ، ورفع
الحروب ، واجتماع الكلمة . ولا يخفاكم أن
الانكليز تخاضعت مع سلطان الاسلام ، وأغارت
على ممالكه ، وطرقت ثغر سكندرية ودخلتها .
وقصدتهم أخذ الاقليم المصرى كما فعل
الفرنساوية » .

فقالوا : « انهم أتوا باستدعاء الألفى لنصرتنا
ومساعدتنا » .

فقالوا : « لا تصدقوا أقوالهم فى ذلك وإذا
تملكوا البلاد لا ييفوا على أحد من المسلمين ..
وحالهم ليس كحال فرنساوية .. فان فرنساوية
لا يتدينون بدين ، ويقولون بالحرية والتسيب ..
وأما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ...
ولا تخفى عداوة الأديان . ولا يصح ولا ينبغى
منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء
اليهم » .

ووعظوهم ، وذكروا لهم الآيات القرآنية ،
والأحاديث النبوية . وأن الله هدامهم فى طفوليتهم ،
وأخرجهم من الظلمات الى النور . وقد نشأوا فى
كفالة أسيادهم ، وتربوا فى حجور الفقهاء وبين
أظهر العلماء ، وقرأوا القرآن ، وتعلموا الشرائع ،
وقطعوا ما مضى من أعمارهم فى دين الاسلام ،
واقامة الصلوات ، والحج والجهاد .. ثم يفسدون
أعمالهم آخر الأمر ، ويوادون من حاد الله ورسوله ،
ويستمعون بهم على اخوانهم المسلمين ، ويملكوهم
بلاد الاسلام يتحكمون فى أهلها .. فالعياذ بالله
من ذلك !

وكان بصحبة المشايخ مصطفى أفندى كتحدا
قاضى المسكر يكلمهم باللغة التركية ، ويترجم لهم
ذلك — وهو فصيح الكلام — فقالوا : « كل
ما قلتموه وأبدىتموه .. نعلمه ، ولو تحققنا الأمن
والصدق من مرسلكم ما حصل منا خلاف ، ولحاربنا
وقاتلنا بين يديه . ولكنه غدار لا يفى بعهده ولا
بوعده ، ولا يبر فى بمين ، ولا يصدق فى قول !
وقد تقدم أنه يصطلح معنا ... وفى أثر ذلك يأتى
لحربنا ويقتلنا ، وينزع عنا من يأتى إلينا باحتياجاتنا
من مصر ، ويماقب على ذلك حتى من يأتى من
الباعة والمتسبين الى الناحية التى نحن فيها . ولا
يخفاكم أنه لما أتى القبودان ، ومعه الأوامر بالرضا
والغفو الكامل عنا والأمر له بالخروج .. فلم يمتثل ،
وأرسل إلينا وخذعنا ، وتحيل علينا بارسال الهدايا ،
وصدقناه واصطلحنا معه . فلما تم له الأمر غدر
بنا . وما مراده بصلحنا الا تأخرنا عن ذهابنا الى
الانكليز .. فلا نذهب اليهم ، ولا نستعين بهم .
وان كان مراده يعطينا بلادا يصلحنا عليها ...
فها هى البلاد بأيدينا ، وقد عمد الخراب باستمرار
الحروب من الفريقين ، وقد تفرق شملنا ، وانهدمت
دورنا ، ولم يبق لنا ما نأسف عليه ، أو تتحمل
المذلة من أجله . وقد ماتت اخواننا ومماليكنا ..
فحق نستمر على مانحن معه عليه حتى نموت عن
آخرنا ، ويرتاح قلبه من جهتنا » .

فقال لهم الجماعة : « هذه المرة ، هى الأخرى ...
وليس بعدها شر ولا حرب ، بل بعدها الصداقة
والمصافاة ، وبعطيتكم كل ما طلبتموه من بلاد
وغیرها .. فلو طلبتم من الاسكندرية الى أسوان ،
لا يمنع ذلك بشرط أن تكونوا معنا بالمساعدة فى
حرب الانكليز ودفعهم عن البلاد . وأيضا تسيرون
بأجمعكم من البر الغربى .. والباشا وعساكره
من البر الشرقى . وعند انقضاء أمر الانكليز ،
ورجوعكم الى بر الجيزة .. ينعقد مجلس الصلح

العدوية والأسسيوطية وأولاد البلد . وركب في صباحها الى كتخدا بيك ، واستأذنه في الذهاب .. فلم يرض ، وقال : « حتى يأتى أفندينا الباشا ، ويرى رأيه في ذلك » . فسافر من سافر ، وبقي من بقى . وانقضى الشهر وحوادثه .

وفيه : ورد الخبر ، بأن ركب الحاج الشامى رجع من منزلة هدية ، ولم يحج في هذا العام . وذلك أنه لما وصل الى المنزلة المذكورة ، أرسل الوهابى الى عبد الله باشا أمير الحاج يقول له : « لاتأت الا على الشرط الذى شرطناه عليك في العام الماضى » . وهو أن يأتى بدون المحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة ، وكل ما كان مخالفا للشرع . فلما سمعوا ذلك .. زجعوا من غير حج ، ولم يتركوا مناكيرهم !

صفر

الجمعة غرته (١٠ ابريل ١٨٠٧ م) :

كتبوا مراسلة الى الأمراء القبالي . وختم عليها كثير من مشايخ الأزهر وغيرهم . وأرسلوها اليهم .

السبت ٢ منه (١١ ابريل ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة أيضا من نثر رشيد — وعليها امضاء على بك السنانكلى حاكم الثغر ، وظاهر باشا ، وأحمد أغا المعروف بيونابارته — بمعنى مكتوب السيد حسن السابق . ويذكرون فيه : أن الانكليز ملكوا أيضا كوم الأفراح وأبو منصور .. ويستعجلون النجدة .

وفي تلك الليلة — أعنى ليلة الاحد — وصل محمد على باشا ، ودخل الى داره بالأزبكية في سادس ساعة من الليل .. وكان أشيع وصوله قبل ذلك اليوم . وخرج السيد عمر النقيب والمشايخ

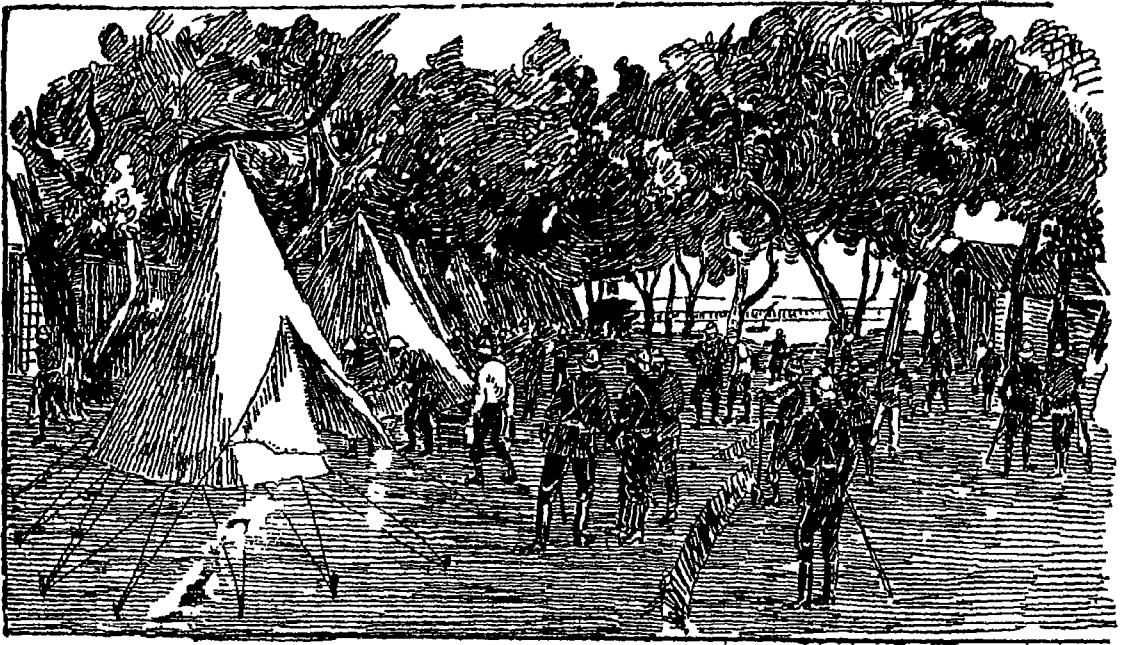
بخضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية وأكابر العسكر . وان شتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الانكليز . ولا شر بعد ذلك أبدا .

فانخدعوا لذلك . وكتبوا أجوبة ، ورجع بها مصطفى أفندى كتخدا القاضى — وصحبته يحيى كاشف — ثم رجع اليهم ثانيا ، وسار الفريقان الى جهة مصر . وحضر المشايخ وأخبروا بما حصل . وفيه : شرعوا في حفر الخندق المذكور . ووزعوا حفره على مياسير الناس وأهل الوكائل والخانات والتجار وأرباب الحرف والروزنامجى . وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة . وعلى البعض أجرة خمسين ، وعشرين .. وكذلك أهل بولاق ، ونصارى ديوان المكس ، والنصارى الأروام ، والشوام والأقباط . واشتروا المقاطف والغلقان والفتوس والقزم وآلات الحفر . وشرعوا في بناء حائط مستدير أسفل تل قلعة السبتية .

الخميس غايته (٩ ابريل ١٨٠٧ م) :

ورد مكتوب من السيد حسن كريت — نقيب الأشراف برشيد ، والمشار اليه بها — يذكر فيه « أن الانكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد ، ورجعوا في هزيمتهم الى الاسكندرية .. استعدوا ، وحضروا الى ناحية الحماد قبلى رشيد — ومعهم المدافع الهائلة والعدد — ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر الى الجبل عرضا .. وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه ، فهذا ما حصل أخبرناكم به ، ونرجو الاسعاف والامداد بالرجال والجبيخانة والعدة والعدد ، وعدم التأنى والاهمال » .

فلما وصل ذلك الجواب ... قرأه السيد عمر النقيب على الناس ، وحشهم على التأهب والخروج للجهاد . فامتثلوا ولبسوا الأسلحة ، وجمع اليه طائفة المغاربة ، وأتراك خان الخليلي ، وكثير من



معسكر الانجليز

البر ، وأخبروا أنهم حجوا وقضوا مناسكهم ، وأن مسعودا الوهابي وصل الى مكة بجيش كثيف ، وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار . وأحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصري وقال له : « ما هذه العويذات والطبول التي معكم ؟ » . (يعنى بالعويذات : المحل) . فقال : « هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عاداتهم » . فقال : « لا تأت بذلك بعد هذا العام ... وان آتيت به أحرقتة » . وأنه هدم القباب ، وقبة آدم ، وقباب ينبع والمدينة . وأبطل شرب التبنك والنارجيلة من الأسواق ، وبين الصفا والمروة ، وكذلك البدع .

وفي تلك الليلة : أرسل الباشا وطلب السيد عمر ، في وقت العشاء الأخيرة ، وألزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر ، وأن يوزعها بمعرفة .

الاثنين ٤ منه (١٣ ابريل ١٨٠٧ م) :

دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة

والمحروقي للملاقاته يوم الجمعة : فبعضهم ذهب الى الآثار وبات هناك ، وبعضهم بات بالقرافة بضريح الامام الشافعي . ورجعوا في ثاني يوم ، ولم يحصل لهم ملاقة .

فلما طلع نهار ذلك اليوم ، وأشيع حضوره الى داره ، ركب الجميع وذهبوا للسلام عليه . ودار بينهم الكلام في أمر الانكليز .. فأظهر الاهتمام ، وأمر كتخدأ بيك وحسن باشا بالخروج في ذلك اليوم . فأخرجوا مطلوباتهم وعازتهم الى بولاق . وسخط على أهل الاسكندرية والشيخ المسيري وأمين أغا ... حيث مكثوا الانكليز من الثغر ، وملكوهم البلدة . ولم يقبل لهم عذرا في ذلك .

ثم قالوا له : « انا نخرج جميعا للجهاد مع الرعية والعسكر » . فقال : « ليس على رعية البلد خروج . وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر » .

واقضى المجلس ، وركبوا الى دورهم . وفيه : وصل حجاج المغاربة الى مصر من طريق

القبلية الى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كمعادتهم ولم يرجعوا الى الدور التى كانوا ساكنين بها وأخربوها .

الثلاثاء ٥ منه (١٤ ابريل ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة من رشيد ، وعليها امضاء السيد حسن كريت ، يخبر فيها : « بأن الانكليز محتاطون بالشر ، ومتحلقون حوله ، ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر . وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ، ومات كثير من الناس . وقد أرسلنا لكم ، قبل تاريخه ، نطلب الاغاثة والنجدة .. فلم تسعفونا بارسمال شئ . وما عرفنا لئى شئ هذا الحال ، وما هذا الاهمال ؟! فآله ، الله فى الاسعاف ... فقد ضاق الخناق ، وبلغت القلوب الحناجر .. من توفع المكروه ، وملازمة المراقبة ، والسهر على المتاريس » . ونحو ذلك من الكلام .. وهى خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ، ومؤرخة فى ثانى شهر صفر .

وفى ذلك اليوم : اهتم الباشا ، وعزم على السفر بنفسه . وركب الى بولاق ، وصحبته حسن باشا وعابدين بيك وعمر بيك ، فسافروا فى تلك الليلة

الاربعاء ٦ منه (١٥ ابريل ١٨٠٧ م) :

سافر أيضا حجوب بيك . وخرج معه بعض المتطوعة من الأتراك وغيرهم .. تهيئوا واتفقوا مع المسافرين معهم ، وأمدتهم الكثير من اخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤن ، ونصبوا لهم بيرقا . وأخرجوا ومعهم طبل وزمر .

الجمعة ٨ منه (١٧ ابريل ١٨٠٧ م) :

ركب أيضا أحمد آغا لاذ ، وشق بعساكره الذين كان بهم بالمنية . وتداخل فيهم الكثير من أجناسهم ، وغيرهم من مغاربة وأتراك بلدية . ومر الجميع من وسط المدينة فى عدة وافرة .

ويذهب الجميع الى بولاق ، يوهمون أنهم مسافرون على قدم الاستعجال .. بهمة ونشاط واجتهاد . فإذا وصلوا الى بولاق .. تفرقوا ، ويرجع الكثير منهم ، ويراهم الناس فى اليوم الثانى والثالث بالمدينة ! ومن تقدم منهم ، وسافر بالفعل .. ذهب فريق منهم الى المنوفية ، وفريق الى الغربية ، ليجمعوا فى طريقهم من أهل البلاد والقرى ما تصل اليه قدرة عسفهم : من المال والمغارم والكلف ، وخطف البهائم ، ورعى المزارع ، وخطف النساء والبنات والصبيان ، وغير ذلك !

وفيه : سافر أيضا حسن باشا طاهر .

وفيه : نزل الدالاتية الى بولاق ، وكذلك الكثير من العسكر . وحصل منهم الازعاج فى أخذ الحبير والجنال قهرا من أصحابها . ونزلوا بخيولهم على ربب البرسيم والغلال الطائبة التى بناحية بولاق وجزيرة بدران وخلافها .. فرعتها وأكلتها بهائمهم فى يوم واحد ! ثم انتقلوا الى ناحية منية السيرج وشبرا والزاوية الحمراء والمطرية والأميرية ... فأكلوا زروعات الجميع ، وخطفوا مواشيهم ، وفجروا بالنساء ، واقتضوا الأبنكار ، ولاطوا بالعلمان ، وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم .. حتى باعوا البعض بسوق مسكة وغيره ... وهكذا يفعل المجاهدون !

ولشدة قهر الخلائق منهم ، وقبح أفعالهم .. تمنوا مجيء الافرنج من أى جنس كان ، وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة ... الذين ليس لهم ملة ولا شرعة ولا طريقة يشنون عليها . فكانوا يصرخون بذلك بمسمع منهم ، فيزداد حقدهم وعداوتهم ، ويقولون : « أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لأنهم يكرهونا ويحبون النصارى ! » . ويتوعدونهم اذا خلصت لهم البلاد ، ولا ينظرون لقبح أفعالهم .

صفر

الاثنين ١١ منه (٢٠ أبريل ١٨٠٧ م) :

حضر جماعة من الططر .. الذين من عاداتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب — وقد وصلوا من طريق الشام — يبشرون بولاية السيد على باشا قبودان باشا ، وعزل صالح قبودان عن رئاسة الدونامة . ويذكرون أنه خرج بالدونامة التي تسمى بالعمارة — وصحبته عدة مراكب فرنساوية — قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الانكليز الطرق . وأن هؤلاء الططر الواصلين لم يعلموا بمرور الانكليز الى الاسكندرية الا عند وصولهم صيدا .

وذكروا أن سبب عزل صالح القبودان : أن الانكليز وردوا بغاز اسلامبول باثني عشر مركبا — وقيل أربعة عشر — وظلوا داخلين ... والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة . فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلد . فانزعج أهالي البلد انزعاجا شديدا ، وصرخت النساء وهاجت المدينة وماجت بأناسها . ولو ضرب عليها الانكليز لاحتقرت عن آخرها ... لكنهم لم يفعلوا ، بل استمروا يومهم ، ورموا مراسيمهم . ثم أخذوها وولوا راجعين .. ولسان حالهم يقول : ها نحن ولجنا بغازكم الذي تزعمون أنه لا أحد يقدر على عبوره ، وقد رنا عليكم وعفونا عنكم . ولو شئنا أخذ دار سلطنتكم لأخذناها أو أحرقناها ! وعند ما فعلوا ذلك ، طلب السلطان قبودان باشا ، فوجدوه يتعاطى الشراب في بعض الأماكن .

فعند ذلك أحضروا السيد على ، وقلدوه رياسة الدونامة . ونزل الى الانكليز ، وتكلم معهم الى أن خرجوا من البغاز . وأخرجوا صالح قبودان منفيًا الى بعض الجهات .

وفي ذلك اليوم : طلع الباشا الى القلعة ، وصحبته قنصل الفرنساوية يهندس معه الأماكن ومواطن الحصار .. والقنصل المذكور يظهر الاهتمام والاجتهاد ، ويسهل الأمر ، ويبذل النصيح ، ويكثر من الركوب والذهاب والاياب .. وأمامه الخدم وبأيديهم الحراب المفضضة ، وخلفه ترجمانه وأتباعه .

وفيه : أرسل الأمراء القبليون جوابا عن جواب أرسل اليهم قبل ذلك ، وعليه ختم كثيرة ، باستدعائهم ، واستعجالهم للحضور فأرسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه بأن السبب في تأخرهم أنهم لم يتكاملوا ، وأن أكثرهم متفرقون بالنواحي : فمثل عثمان بيك حسن وغيره ، وأنهم الي الآن لم يثبت عندهم حقيقة الأمر ، لأن من الثابت عندهم صداقة الانكليز مع العثماني من قديم الزمان ، وأن المراسيم التي وردت : بالتحذير والتحفظ من الموكسوب ... ولم يذكر الانكليز .

فاتفق الحال بأن يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة ، صحبة مصطفى أفندي كتحدا القاضي ، ويصحب معه المراسيم التي وردت في شأن ذلك ، وفيها ذكر الانكليز ومنابذتهم للدولة . فسافر السكتخدا المذكور في صباحها اليهم .. وكانوا حضروا الى ناحية المينة .

بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر . وبالنسبة في الأخبار ،
وأن الانكليز انجلوا عن متاريس رشيد وأبي
منصور والحماة ، ولم يزل المقاتلون من أهل القرى
خلفهم ، الى أن توسطوا البرية وغنموا
جباياتهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهراسين
عظيمين .

وذكر أنه واصل خلفهم أسرى ورؤوس قتلى
كثيرة في عدة مراكب ، وأنه وصل معهما من جملة
المتطوعين رجالان من أهل مكة التجار المقيمين
بمصر ... كانا في الواقعة بنحو مائة من البدو
المغاربة وغيرهم : ينفقان عليهم ، ويحرضاهم
على القتال ، ويعينان المقاتلين من الأهالي بما في
أيديهما ، ويقاتلان بأنفسهما . وبذلا جهدهما في
ذلك ، وأنهما — بعد هزم الانكليز وسلبهم — فرقا
ما غنماه ومابقى معهما من الأشياء على من خرج
خلف الانكليز ، وحضرا معهما وهما السيد
أحمد النجاري ، وأخوه السيد سلامة فطلبهما
الباشا وسألهما عن الخبر ، فأخبراه بحبر التركيين .
فأمر الباشا لذلك سرورا عظيما ، وشكر فعلهما ،
وأكرم عليهما ، وخلع عليهما ، ورتب لهما مرتبا ،
وأوعدهما بالاستخدام في مصالحه وخلع على
ذيك التركيين فروتي سمور

وحضرا — بصحبه الساعين — الى منزل
السيد عمر النقيب بعد الغروب وتعشوا عنده ،
وطلبوا البقشيش وبعد أن أخذوه توسل التركيان
به بأن يسعى لهما عند الباشا في أنه ينعم عليهما
بمناصب فأوعدهما بذلك ، وترجى الباشا لهما .
فضاعف مرتبهما وضربوا في صبح ذلك اليوم
مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية وبولاق والجيزة ،
وذلك بين الظهر والعصر .

الجمعة ١٥ منه (٢٤ ابريل ١٨٠٧ م) :

حضروا بأسرى — وعدتهم تسعة عشر شخصا —

وأما ياسين بك ، فإنه أذن للصلح ... على أن
يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات
بينه وبين الباشا . ثم أنه عدى الى ناحية شرق
أطفيح ، وفرض عليهم الأموال الجسيمة .. وكان
أهل تلك البلاد اجتمعوا بصول واليرنبل بمتاعهم
وأموالهم ومواشيهم ، فنزل عليهم ، وطلب منهم
الأموال ... فعصوا عليه . فأوقد فيهم النيران ،
وحرق جروهم ونهبهم !

الثلاثاء ١٢ منه (٢١ ابريل ١٨٠٧ م) :

حضر جماعة من العرب ، وصحبته ثلاثة أنفار
من الانكليز ... قبضوا عليهم من البرية ،
وأحضروهم الى مصر . فمثلوا بين يدي الباشا ،
وكلهم ، ثم أمر بطلوهم الى القلعة .. وفيهم
شخص كبير يقال أنه من قباطينهم .

الخميس ١٤ منه (٢٣ ابريل ١٨٠٧ م) :

عملوا ديوانا بيت القاضي ... اجتمع فيه
الدفتردار والمشايخ والوجاقلية ، وقرأوا مرسوما
تقدم حضوره قبل وصول الانكليز الى
الاسكندرية مضمونه : ضبط تعلقات الانكليز
وما لهم من المال والودائع والشركات مع التجار
بمصر والثغور .

وفي ذلك اليوم : حضر شخصان من السعاة
وأخبرا بالنصر على الانكليز وهزمتهم .

وذلك أنه اجتمع الجهم الكثير من أهالي بلاد
البحيرة وغيرها ، وأهالي رشيد ، ومن معهم من
المتطوعة والعساكر وأهل دمنهور ... وصادف
وصول كتندايك واسماعيل كاشف الطوبجي
الى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة ،
وأسروا من الانكليز طائفة ، وقطعوا منهم عدة
رؤوس . فخلع الباشا على الساعين جوختين .

وفي أثر ذلك وصل أيضا شخصان من الأتراك

وعدة رؤوس ، فمروا بهم من وسط الشارع الأعظم . وأما الرؤوس فمروا بها عن طريق باب الشعرية — وعدتها نيف وثلاثون رأسا — موضوعة على نيايت ، رشقوها بوسط بركة الأزبكية مع الرؤوس الأولى ... صفين على يمين المالك من باب الهواء الى وسط البركة وشماله .

وفيه : وصل ثلاث داوات من جدة الى ساحل السويس ، فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون . وذكروا أن الوهابي نادى بعد انقضاء الحج : « ألا يأتى الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذن » . وتلا فى المنادة قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس . فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » . وأخرجوا هؤلاء الواصلين الى مصر .

السبت ١٦ منه (٢٥ أبريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا تسعة أشخاص أسرى من الانجليز ، وفيهم نسيال

الاحد ١٧ منه (٢٦ أبريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا نيف وستون ، وفيهم رأس واحدة مقطوعة ، فمروا بهم على طريق باب النصر من وسط المدينة . وهرع الناس للتفرج عليهم . وبعد الظهر أيضا مروا بثلاثة وعشرين أسيرا وثمانية رؤوس ، وبعد العصر بثلاثة وعشرين رأسا وأربعة وأربعين أسيرا من ناحية باب الشعرية ، وطلعوا بالجميع الى القلعة .

وفيه : وصل ياسين بك الى ناحية طرا ، وحضر أبوه الى مصر ، ودخل كثير من أتباعه الى المدينة وهم لابسون زى المماليك المصرية .

وفيه : دفنوا رؤوس القتلى من الانكليز ... وكانوا قطعوا آذانهم ، ودفنوها وملحوها ، ليرسلوها الى اسلامبول !

وفيه : أرسل الباشا فسيالا كبيرا من الانكليز الى الاسكندرية ، بدلا عن ابن أخى عمر بك . وقد كان المذكور سافر الى الاسكندرية قبل الحادثة ليذهب الى بلاده بما معه من الأموال . فعوقه الانكليز . فأرسلوا هذا الفسيال ليرسلوا بدله ابن أخى عمر بك .

الاثنين ١٨ منه (٢٧ أبريل ١٨٠٧ م) :

وصلت خيام ياسين بك وحملاته . ونصبوا وطاقة جهة شبرا ومنية السرج .

الأربعاء ٢٠ منه (٢٩ أبريل ١٨٠٧ م) :

وصل الى ساحل بولاق مراكب ، وفيها أسرى وقتلى وجرحى . فطلعوا بهم الى البر ، وساروا بهم على طريق باب النصر ، وشفقوا بهم من وسط المدينة الى الأزبكية . فرشقوا الرؤوس بالأزبكية مع الرؤوس الأولى — وهم نحو المائة واثنين وأربعين — والأحياء والمجاريح نحو المائتين وعشرين . فطلعوا بهم الى القلعة عند اخوانهم .. فكان مجموع الأسرى : أربعمائة أسير وستة وستين أسيرا ، والرؤوس ثلثمائة ونيّف وأربعون . وفى الأسرى نحو العشرين من فسيالاتهم .

وهذه الواقعة حصلت على غير قياس ، وصادف بناؤها على غير أساس !

وقد أفسد الله رأى كل من طائفة الانكليز ، والأمراء المصرية ، وأهل الاقليم المصرى ... لبروز ما كتبه وقدره فى مكنون غيبه على أهل الاقليم من الدمار الحاصل وما سيكون بعد .. كما ستسمع به ، ويتلى عليك بعضه .

أما فساد رأى الانكليز ... فلتعديدهم الاسكندرية مع قتلهم ، وسماعهم بموت الألفى ، وتغديرهم بأنفسهم . وأما الأمراء المصريون فلا يخفى فساد رأيهم بطل . وأما أهالى الاقليم ،

فلا تصارهم لمن يضرهم ويسلب نعمهم . « وما أصاب من مصيبة فيما كسبت أيدي الناس . وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

ولم يخطر في الظن حصول هذا الواقع ، ولا أن الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الانكليز .. وخصوصا شهرتهم باتقان الحروب . وقد تقدم لك أنهم هم الذين حاربوا الفرنسيين وأخرجوهم من مصر .

ولما شاع أخذهم الاسكندرية ، داخل العسكر والناس وهم عظيم . وعزم أكثر العسكر على الفرار الى جهة الشام ، وشرعوا في قضاء أشغالهم واستخلاص أموالهم التي أعطوها للمتضايقين والمستقرضين بالربا ، وإبدال ما بأيديهم من الدراهم والقروش والفرانسة التي يثقل حملها ... بالذهب البندقى والمحبوب الزر ، لخفة حملها . حتى أنها زادت في المصارفة بسبب كثرة الطلب لها . وبلغ صرف البندقى الشخص الناقص في الوزن ، أربعمائة وعشرين نصفاً . والزر ، مائتين وعشرين . والفرانسة ، مائتين . واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك ... وسيزيد الأمر فحشا !

وسعوا في مشتري أدوات الارتحال ، والأموال اللازمة لسفر البر . وفارق الكثير منهم النساء ، وباعوا ما عندهم من الفرش والأمتعة .

حتى أن محمد على باشا لما بلغه حصولهم بالاسكندرية — وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم — فعند ذلك انحلت عزائمه ، وأرسل يصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه . وثبت في يقينه استيلاء الانكليز على الديار المصرية ، وعزم على العود متلكناً في السير ... يظن سرعة ورودهم الى المدينة ، فيسير مشرقاً على طريق الشام ، ويكون له عذر بغيبته في الجملة !

فلما وصلت الشزيمة الأولى من الانكليز الى

رشيد ، ودخلوها من غير مانع ، وحبسوا أنفسهم فيها ، فقتلوا وأسروا ، وهرب من هرب ، ووصلت الرؤوس والأسرى ، وأسرت المبشرون الى الباشا بالخبر ... فعند ذلك تراجعت اليه نفسه ، وأسرع في الحضور . وتراجعت نفوس العساكر ، وطمعوا عند ذلك في الانكليز ، وتجاسروا عليهم . وكذلك أهل البلاد قويت همهم ، وتأهبوا للبروز والمحاربة ، واشتروا الأسلحة ، ونادوا على بعضهم بالجهاد .

وكثر المتطوعون ، ونصبوا لهم ييارق وأعلاما ، وجمعوا من بعضهم دراهم ، وصرفوا على من انضم اليهم من الفقراء . وخرجوا في مواكب وطول وزمور . فلما وصلوا الى متاريس الانكليز ، دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم ، وصدقوا في الحملة عليهم ، وألقوا أنفسهم في النيران ، ولم يباليوا برميهم ، وهجموا عليهم ، واختلطوا بهم ، وأدهشوهم بالتكبير والصياح ... حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم ، فألقوا سلاحهم ، وطلبوا الأمان ... فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا الكثير منهم . وحضروا بالأسرى والرؤوس على الصور المذكورة . وفر الباقون الى من بقى بالاسكندرية .

وليت العامة شكروا على ذلك ، أو نسب اليهم فعل ... بل نسب كل ذلك للباشا وعساكره ، وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك !

ولما أصدوا الأسرى الى القلعة ، طلع اليهم قنصل الفرنسيين ومعه الأطباء ، لمعالجة الجرحى . ومهد لهم أماكن ، وميز الكبار منهم والفتيات في مكان يليق بهم ، وفرش لهم فرشاً ، ورتب لهم ترتيباً ، وصرف عليهم نفقات ولوازم . واستمر يتعاهدوهم في غالب الأيام ... والجرائحة يترددون اليهم في كل يوم لمداواتهم ، كما هي عادة الافرنج

مع بعضهم : اذا وقع في أيديهم جرحى من المحاربين لهم ... فعلوا بهم ذلك ، وأكرموا الأسرى .

وأما من وقع منهم في أيدي العسكر من المردان ، فانهم اختصوا بهم ، وألبسوه من ملابسهم ، وباعوه فيما بينهم . ومنهم من احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة . فمن ذلك : أن غلاما منهم قال للذي هو عنده : « ان لى بولصة عند قنصل فرنساوية ، وهى مبلغ عشرون كيسا » . ففرح ، وقال له : « أرنىها » . فأخرج له ورقة بخطهم — وهو لا يعرف ما فيها — فأخذها منه ، طمعا فى احرازها لنفسه ، وذهب مسرعا الى القنصل وأعطاها له . فلما قرأها قال له : « لا أعطيك هذا المبلغ الا بيد الباشا ، ويعطينى بذلك رجعة بختمه لتخلص ذمتى » .

فلما صاروا بين يدي الباشا ، أخبره القنصل . فأمر باحضار الغلام . فلما حضر سأله الباشا . فقال : « أريد الخلاص منه ، واحتلت عليه بهذه الحيلة لأتوصل اليك » . فطيب الباشا خاطر العسكرى



أحد المتطوعين

بدراهم ، وأرسل الغلام الى أصحابه بالقلعة . ولما انقضى أمر الحرب من ناحية رشيد ، وانجلت الانكليز عنها، ورجعوا الى الاسكندرية ... نزل الأتراك على الحماد وما جاورها ، واستباحوا أهلها ونساءها وأموالها ومواشيها ... زاعمين أنها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكها . حتى أن بعض الظاهرين كلمهم فى ذلك ، فرد عليه بذلك الجواب . فأرسلوا الى مصر بذلك . وكتبوا فى خصوص ذلك سؤالا . وكتب عليه المفتون بالمنع وعدم الجواز . وحتى يأتى الترياق من العراق يموت المسوع . ومن يقرأ ومن يسمع ! وعلى أنه لم يرجع طالب القتوى ، بل أهملت عند المفتى وتركها المستفتى .

ثم أحاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد ، وضربوا على أهلها الضرائب ، وطلبوا منها الأموال والكلف الشاقة ، وأخذوا ما وجدوه بها من الأرز للعلق فخرج كبيرها السيد حسن كريت الى حسن باشا وكتخدا بيك ، وتكلم معهما وشنع عليهما وقال . « أما كفانا ما وقع لنا من الحروب ، وهدم الدور ، وكلف العسكر ، ومساعدتهم ، ومحاربتنا معهم ومعكم ، وما قاسيناه من التعب والسهر وانفاق المال ... ونجازى منكم بعدها بهذه الأفاعيل ! فدعونا نخرج بأولادنا وعيالنا ، ولا نأخذ معنا شيئا ، وتترك لكم البلدة افعلوا بها ما شئتم » .

فلاطفوه فى الجواب ، وأظهروا له الاهتمام بالمناداة والمنع . وكتب المذكور أيضا مكاتبات بمعنى ذلك ، وأرسلها الى الباشا والسيد عمر بمصر . فكتبوا فرمانا وأرسلوه اليهم بالكف والمنع ... وهيهات !

ولما وصل من وصل بالقتلى والأسرى ، أنعم الباشا على الواصلين منهم بالخلع والبقاشيش ،

والبسهم شلنجات فضة على رؤوسهم ... فازداد
جبروتهم وتعددهم . ولما رجع الانكليز الى ناحية
الاسكندرية ، قطعوا السد . فسالت المياه ،
وغرقت الأراضي حول الاسكندرية .

الثلاثاء ٢٦ منه (٥ مايو ١٨٠٧ م) :

وصل ياسين بيك المذكور ، وصحبته سليمان أغا
صالح وكيل دار السعادة سابقا — وهو الذى كان
باسلامبول ، وحضر بصحبته القبودان فى الحادثة
السابقة ، وتأخر عنه ، واستمر مع الألفى ، ثم مع
أمرائه بعد موته — وكان الباشا قد أرسل له
يستدعيه بأمان . فأجاب الى الحضور بشرط أن
يجرى عليه الباشا مرتبه بالضربانة . وقدر ذلك
ألف درهم فى كل يوم . فأجابه الى ذلك .

وحضر صحبته ياسين بيك ، وقابلا الباشا ،
وخلع عليهما خلعتى سمور ، ونزلا وركبا ولعبا مع
أجنادهما بوسط البركة بالرماح . وظهر من حسن
رماحة سليمان أغا ما أعجب الباشا ومن حوله
من الأتراك ، بل أصابوه بأعينهم .. لأنه بعد
انقضاء ذلك سار مع ياسين بيك الى ناحية بولاق
يترامحون ويتلاعبون . فأخرج طينجته بيده
اليسرى والرمح فى يده اليسرى — وكان زنادها
مرفوعا — فانطلقت رصاصتها ، وخرقت كفه
اليسار القابض به على سرع الجواد ، وتفتت من
الجهة الأخرى . فرجع الى داره بجراحته ، وأذن
له برد حملته . وذهب ياسين بيك الى بولاق فبات
بها فى دار حسن الطويل بساحل النيل .

وفيه : سافر المتسفر بأذان قتلى الانجليز —
وقد وضعوها فى صندوق — وسافر بها على
طريق الشام ، وصحبته أيضا شخصان من أسرى
فسيالات الانكليز . وكتبوا عرضا بصورة الحال
من انشاء السيد اسماعيل الخشاب ، وبالغوا فيه .
وفيه : حضر اسماعيل كاشف الطوبجى من

ناحية بحرى ليقضى بعض الأغراض ثم يعود .

الخميس ٢٨ منه (٧ مايو ١٨٠٧ م) :

سافر عمر بيك ، تابع عثمان بيك الأشقر ،
وعلى كاشف بن أحمد كئخدا الى ناحية القليوبية ..
لأجل القبض على أيوب فودة بسبب رجل يسمى
زغلول ينسب اليه بأنه يقطع الطريق على المسافرين
فى البحر . وكلما مرت بناحية مركب ، حاربها
ونهب ما فيها من بضائع التجار وأموالهم ، أو أنهم
يقتدون أنفسهم منه بما يرضيه من المال . فكثر
تشكى الناس منه . فيرسلون الى أيوب فودة ،
كبير الناحية ، فيتبرأ منه .

فلما زاد الحال عينا من ذكر للقبض عليه وقتله ،
فبلغه الخبر ، فهرب من بلده أبناس . فلما وصلوا
الى محله ، فلم يجدوه ، أحاطوا بموجوداته
وغلاله وبهائمه وما له من الموائى والودائع بالبلاد .

فلما جرى ذلك ، حضر الى السيد عمر ، وصالح
على نفسه بثلثمائة كيس ، ورجع الحال الى
حاله ... وذلك خلاف ما أخذه المعينون من الكلف
والمغارم من البلاد التى مروا عليها ، وأقاموا فيها ،
واحتجوا عليها .

وفيه : حضر الكثير من أهل رشيد بحرهم
وأولادهم ، ورحلوا عنها الى مصر .

وفيه : حضر كئخدا القاضى من عند الأمراء
القبالى . وأخبر أنهم محتاجون الى مراكب لحمل
الغلال الميرية والنخيرة . فهيا الباشا عدة مراكب ،
وأرسلها اليهم . ومع هذه الصورة ، واطهار
المصالحة والمسألة ، يمنعون ويحجزون من يذهب
اليهم من دورهم بشباب ومتاع . وكذلك يمنعون
المتسبين والباعة الذين يذهبون بالتاجر والامتعة
التي يبيعونها عليهم . وإذا وقعوا بشخص ، أو
غمزوا عليه عند الحاكم ، أو صادفه بعض العيون
الترقية عليه ... قبضوا عليه ، ونهبوا ما معه ،

وعاقبوه وحبسوه .. بل ونهبوا داره وغرموه ،
ولا يغفر ذنبه ، ولا تقال عشرته ، ويتبرأ منه كل
من يعرفه .

وكذلك نهبوا على القلقات الذين يسمونهم
الضوابط ، المتقيدين بأبواب المدينة ، مثل : باب
النصر ، وباب الفتوح ، والبرقية ، والباب الحديد ،
يمنع النساء عن الخروج خوفا من خروج نساء
القبالي وذهابهن الى أزواجهن .

واتفق أنهم قبضوا على شخص في هذه الأيام
يريد السفر الى ناحية قبلى ، ومعه تليس ، ففتحوه
فوجدوا بداخله مراكيب ونعالات مصرية ومغربية
التي تسمى بالبلغ . فقبضوا عليه ، واتهموه أنه
يريد الذهاب بذلك الى الأمراء وأتباعهم فنهبوا
منه ذلك وغيره ، وقبضوا عليه ، وحبسوه .
واستمر محبوسا .

وكذلك اتفق أن الوالى ذهب الى جهة القرافة ،
وقبض على أشخاص من التريسة الذين يدفنون
الموتى ، واتهمهم بأن بعض أتباع الأمراء القبالي
يخرجون اليهم بالأمنعة لأسيادهم ، ويخفونها
عندهم بداخل القبور حتى يرسلوها الى أسيادهم
في الغفلات ... وضرِبهم ، وهجم على دورهم فلم
يجد بها شيئا واجتمع عليه خدام الأضرحة
وأهل القرافة ، وشنعوا عليه وكادوا يقتلونه ...
فهرب منهم وحضروا في صباحها عند السيد عمر
والمشايخ يشكون من الوالى وما فعله مع الحفارين
ونحو ذلك ... فاعجب لهذا التناقض !

وفيه : وصل مكتوب من كبير الانكليز الذى
بالاسكندرية مضمونه : طلب أسماء الأسرى من
الانكليز ، والوصية بهم ، واکرامهم . كما هم
يصلون بالأسرى من العسكر . فانهم لما دخلوا الى
الاسكندرية ، أكرموا من كان بها منهم ، وأذنوا
لهم بالسفر بمتاعهم وأموالهم الى حيث شاءوا ،
وكذلك من أخذوه أسيرا في حراية رشيد .

ربيع الأول

السبت غرته (٩ مايو ١٨٠٧ م) :

كتبوا لكبير الانكليز جوابا عن رسالته .

السبت ١٥ منه (٢٣ مايو ١٨٠٧ م) :

حضر على كاشف الكبير الألفى بكلام من طرف
شاهين بيك الألفى ، يعتذر عن التأخير الى هذا
الوقت ، وأنهم على صلحهم واتفاقهم الأول ،
وحضورهم الى ناحية الجيزة ... وبات تلك الليلة
في بيته بمصر . ثم أقام ثلاثة أيام ، ورجع الى
مرسله .. وصحبته سليمان أغا الوكيل .

وفيه : حضر عابدين بيك أخو حسن باشا من
ناحية بحرى .. وحضر أيضا في أثره أحمد أغا لاظ
وغیره من ناحية بحرى . وذلك أنهم ذهبوا خلف
الانكليز الى قرب معدبة البحيرة فخرج عليهم
طائفة الانكليز من البر والبحر وضربوا عليهم
مدافع ونيرانا كثيرة ، فولوا راجعين ، وحضروا
الى مصر .

وفيه : حضر أيضا الفسيال الكبير الانكليز
الذى كان أرسل بدلا عن ابن أخى عمر بيك —
وقيل انه ابن أخى صالح قوش — فلما وصل اليهم ،
أجابوا بأن المذكور سافر مع من سافر الى الروم
بمتاعهم وأموالهم قبل الواقعة . وحيث لم يكن
المطلوب موجودا فلا وجه لابقاء الانكليز
المذكور فردوه بعد أن رفعوا منزلته ورتبته
عندهم فلما رجع الى مصر ، خلى سبيله الباشا ،
ولم يجسه مع الأسرى بل أطلق له الاذن أيضا
في الرجوع الى الاسكندرية ، أو الى بلاده متى
أحب واختار .

وفيه : استوحش الباشا من ياسين بيك ، وضاق
خناقه منه وذلك أنه لما حضر الى مصر ، وخلع عليه
اليشا ، ودفع اليه ما كان وعده به من الأكيلاس ،

وقدم له تقادم وأنعامات ... على أنه يسافر الى الاسكندرية لمحاربة الانكليز ، طلب مطالب كثيرة له ولأتباعه ، وأخذ لهم الكساوى والسراريات ، وأخذ جميع ما كان عند جبجى باشا من الأقمشة والخيام والجبخانه والاحتياجات من القرب وروايا الماء ، ولوازم العسكر فى سفر البر والافازة والمحاصرة .. الى غير ذلك . وقلد أباه كشوفية الشريعة ، وخرج هو بعرضه وخيامه الى ناحية الخلاء ببولاق . فانضم اليه الكثير من العسكر والدلاية وغيرهم ، وصار كل من ذهب اليه يكتبه فى جملة عسكره . فاجتمع عليه كل عاص وأزعر ومخالف وعاق ، وصرح بالخلاف ، وتطلعت نفسه للرياسة . وكلما أرسل اليه الباشا يردده وينهاه عن فعله ، يعرض عن ذلك . وداخله الغرور ، وانتشرت أوباشه يعثون فى النواحي ، وبث أكابر جنده فى القرى والبلدان ، وعينهم لجمع الأموال والمغارم الخارجة عن المعقول ... ومن خالفهم نهبوا قريته وأحرقوها ، وأخذوا أهلها أسرى . فعند ذلك أخذ الباشا فى التدبير عليه ، واستمال العسكر المنضمين اليه . وحلل عرى رباطاته .

الاربعاء ١٩ منه (٢٧ مايو ١٨٠٧ م) :

أمر عساكر الأرثوود بالاجتماع والخروج الى ناحية بولاق . فخرجوا بأجمعهم الى نواحي السبئية والخندق ، وحالوا بينه وبين بولاق ومصر .

السبت ٢٢ منه (٣١ مايو ١٨٠٧) :

ركب الباشا بجنوده ، وخرج الى تلك الناحية ، وحسن أبواب المدينة بالعساكر ، وأيقن الناس بوقوع الحرب بين الفريقين . وأرسل الباشا الى ياسين بيك يقول له : « أن تستمر على الطاعة ، وتطرد عنك هذه اللوم ، وتكون من جملة كبار العسكر ... والا تذهب الى بلادك . والا فأنا واصل اليك ومحاربك » .

فعند ذلك داخله الخوف ، وانحلت عزائم جيوشه ، وتفرق الكثير منهم . فلما كان بعد الغروب ، طلب الركوب ، ولم يعلم عسكره أين يريد . فركب الجبيع — وهم ثلاثة طواير — واشتبهت عليهم الطرق فى ظلام الليل . فسار هو بفريق منهم الى ناحية الجبل .. على طريق حلق الجرة . وفرقة سارت الى ناحية بركة الحاج ، والثالثة ذهبت على طريق القليوبية ، وفيهم أبوه . فلما علم الباشا بركوبهم ، ركب خلفهم ، وذهب خلف الطائفة التى توجهت الى ناحية البركة .. حصه . فلما علموا انفرادهم عن أميرهم ، رجعوا متفرقين فى النواحي . ورجع الباشا الى داره ، ولم يزل ياسين بيك فى سيره حتى نزل بمن معه فى التين ، واستقر بها . وأما أبوه فإنه التجأ الى شيخ قليوب .. الشواربى ، فأخذ له أمانا ، وأحضر فى ثانى يوم الى الباشا . فألبسه فروة ، وأمره أن يلحق بابنه . فنزل الى بولاق ، ونزل فى مركب مسافرا .

الاثنين ٢٤ منه (٢ يونية ١٨٠٧ م) :

عين الباشا عسكرا ورؤساء عساكر وخيالة . وأصبح معهم شديدا وجملة من عرب الحويطات للحوق بياسين بيك ومحاربه . ولما نزل ياسين بيك بناحية التين ، نهب قرى الناحية بأسرها ، مثل : التين ، وحلوان ، وطرا ، والمعصرة ، والبساتين . وفعلوا بها أذاعيلهم الشنيعة .. من السلب والنهب ، وأخذ النساء ، ونهب الأجران والفلال والأتبان والمواشى ، وأخذ الكلف الشاقة . ومن عجز عن شئ من مطلوباتهم ، أحرقوه بالنار .

الخميس ٢٧ منه (٥ يونية ١٨٠٧ م) :

رجع العسكر والعربان الذين كانوا ذهبوا لمحاربة ياسين بيك . وذلك أنهم لما قربوا من وطاقهم

ارتحل الى صول والبرنبل . فولسوا راجعين ،
وتمسوا في ذهابهم واياهم تدمير القرى !
وفيه : ورد قاصد قابجي من اسلامبول ، وعلى
يده مرسوم بالبشارة .. بولاية السيد على باشا
قبودان الدونامة ، وتاريخه نحو ثلاثة أشهر ،
فغضبوا لقدمه المدافع من القلعة .

السبت ٢٩ منه (٧ يونية ١٨٠٧ م) :

رجع سليمان أغا من قبلى الى مصر وأخبر
بقرب قدوم الأمراء المصريين ، وأن شاهين بيك
وصل الى زاوية المصلوب ، وابراهيم بيك جهة
قبن العروس ، وأنهم يستدعون اليهم مصطفى
أغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجي .

ربيع الآخر

الاثنين غرته (٨ يونية ١٨٠٧ م) :

فيه : سافر مصطفى أغا والصابونجي الى جهة
قبلى ، وصحبتهما كئندا القاضى .

السبت ٦ منه (١٣ يونية ١٨٠٧ م) :

وصل شحص ططرى ، وعلى يده مرسوم ، فعمل
الباشا ديوانا ، وقرأ المرسوم بحضرة الجمع
مضمونه : أن العرضى الهمايونى ، الموجه لحرب
الموسكوب ، خرج من اسلامبول ، وذهب الى
ناحية أدرنه ، وأن العساكر سارت لمحاربة الأعداء ،
ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة وقد وصل
رؤوس قتلى وأسرى كثيرة ، وأنه بلغ الدولة
ورود نحو الأربع عشرة قطعة من المراكب الى ثغر
الاسكندرية ، وأن الكائنين بالثغر تراخوا في
حربهم .. حتى طلعا الى الثغر فمن اللازم
الاهتمام ، وخروج العساكر لحروبهم ، ودفعهم
وطردهم عن الثغر .

وقد أرسلنا البيورلديات الى سليمان باشا

والى صيدا ، والى يوسف باشا والى الشام ،
بتوجيه العساكر الى مصر للمساعدة وإن لزم
الحال لحضور المذكورين لتمام المساعدة على
دفع العدو ... الى آخر ما نمقوه وسطروه
ومحل القصد من ورود هذه البيورلديات
والفرامانات والأغوات والقبحيات ، انما هو جر
المنفعة لهم بما يأخذونه من خدمهم وحق طريقهم ،
من الدراهم واقتادهم والهدايا .

فان القادم منهم ، اذا ورد ، استعدوا لقدمه ..
فان كان ذا قدر ومنزلة ، أعدوا له منزلا يليق به ،
ونظموه بالفرش والأدوات اللازمة . وخصوصا
اذا كان حضر فى أمر مهم ، أو لتقرير المتولى
على السنة الجديدة ، أو بصحبته خلع رصا
وهدايا ، فانه يقابل بالاعزاز الكبير ، ويشاع خبره
قبل وروده الى الاسكندرية ، وتأتى المبشرون
بوروده من الططر قبل خروجه من دار السلطنة
بنحو شهر أو شهرين ، وبأخذون خدمتهم وبشارتهم
بالأكياس واذا وصل هو أدخلوه فى موكب جليل ،
وعملوا له ديوانا ومدافع وشنكا ، وأنزل فى المنزل
المعد له وأقبلت عليه التقدام والهدايا من المتولى
وأعيان دولته ، ورتب له الرواتب والمصاريف لما كله
هو وأتباعه . لمطبخه وشراب حاتته ، أيام مكثه ،
شهر أو شهورا ثم يعطى من الأكياس قدرا عظيما
وذلك خلاف هدايا الترحيلة من قدور الشرابات
المتنوعة ، والسكر المكرر ، وأنواع الطيب . كالعود
والعنبر ، والأقمشة الهندية ، والمقصبات لنفسه
ورجال دولته .

وان كان دون ذلك ، أنزلوه بمنزل بعض الأعيان
بأتباعه وخدمه ومتاعه فى أعز مجلس ويقوم رب
المنزل بصرفهم ولوازمهم وكلفهم وما تستدعيه
شهوات أنفسهم ، ويرون أن لهم المنة عليه بنزولهم
عنده ، ولا يرون له فضلا ، بل ذلك واجب عليه ،

وفرض يلزمه القيام به ، مع التآمر عليه وعلى اتباعه ، ويمكث على ذلك شهورا ، حتى يأخذ خدمته ، ويقبض أكياسه . وبعد ذلك كله يلزم صاحب المنزل أن يقدم له هدية ليخرج من عنده شاكرا ومثنيا عليه عند مخدومه وأهل دولته .. أقضية يحار العقل والنقل في تصورهما !

الاحد ٧ منه (١٤ يونيه ١٨٠٧ م) :

وصلت القافلة والحجاج من ناحية القلزم على مرسى السويس . وحضر فيها أغوات الحرم ، والقاضى الذى توجه لقضاء المدينة — وهو المعروف بسعد بيك — وكذلك خدام الحرم الملكى ، وقد طردهم الوهابى جميعا . وأما القاضى المنفصل ، فنزل فى مركب ولم يظهر خبره . وقاضى مكة توجه بصحبة الشاميين .

وأخبر الواصلون أنهم منعوا من زيارة المدينة ، وأن الوهابى أخذ كل ما كان فى الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر .

وحضر أيضا الذى كان أميرا على ركب الحجاج ، وصحبته مكاتبة من مسعود الوهابى ومكتوب من شريف مكة . وأخبروا أنه أمر بحرق المحمل . واضطربت أخبار الاخباريين عن الوهابى بحسب الأغراض . ومكاتبة الوهابى بمعنى الكلام السابق فى نحو الكرامة ، وذكر فيها ما ينسبه الناس اليه من الأقوال المخالفة لقواعد الشرع ويتبرأ عنها .

وفيه : ورد الخبر بأن ابراهيم بيك وصل الى بنى سويف ، وأن شاهين بيك ذهب الى الفيوم لاختلاف وقع بينهم ، وأن أمين بيك وأحمد بيك الألفيين ذهبا الى ناحية الاسكندرية للانكليز .

وفيه : كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التى ابتدعوها فى العام الماضى على القراريط واقطاعات الأراضي . وكذلك أخذ نصف فائظ الملتزمين .

وعينوا المعينين لتحصيله من المزارعين ... وذلك خلاف ما فرضوه على البنادر من الأكياس الكثيرة المقادير .

وفى ذلك اليوم : أرسل الأغا ووالى الشرطة أتباعهما لأرباب الصنائع ، والحرف ، والبوايين بالوكائل والخانات ... يأمرؤنهم بالحضور من الغد الى بيت القاضى . فانزعجوا من ذلك ، ولم يعلموا لأى شىء هذا الطلب وهذه الجمعية ، وباتوا متفكرين ومتوهمين .

فلما أصبح يوم الاثنين ، واجتمع الناس ، أبرزوا لهم مرسوما قرئ عليهم بسبب زيادة صرف المعاملة . وذلك أن الريال الفرنسية وصلت مصارفته الى مائتين وعشرة من الأنصاف العددية . والمحجوب الى مائتين وعشرين وأكثر . والمشخص البندقى وصل الى أربعمائة وأربعين قضة ونحو ذلك .

فلما قرأوا عليهم المرسوم ، وأمرؤهم بعدم الزيادة ، وأن يكون صرف الفرنسية بمائتين فقط ، والمحجوب بمائتين وعشرين فضة ، والبندقى بأربعمائة وعشرين .. فلما سمعوا ذلك ، قالوا : « نحن لبس لنا علاقة بذلك .. هذا أمر سنوط بالسيارف » . وانفض المجلس .

وفيه : وصلت مكاتبة من ابراهيم بيك ومن الرسل مضمونها : الاخبار بقدمهم . وأرسل ابراهيم بيك يستدعى اليه ابنه الصغير ، وولد ابنته المسمى نور الدين ، ويطلب بعض لوازم وأمتعة .

السبت ١٣ منه (٢٠ يونيه ١٨٠٧ م) :

سافر أولاد ابراهيم بيك والمطلوبات التى أرسل يطلبها ، وصحبتهم فراشون وباعة ومتسبيون وغير ذلك .

الاثنين ٢٥ منه (٢٢ يونيه ١٨٠٧ م) :

ورد سلحدار موسى باشا .. وعلى يده مرسوم

بالعربي ، وآخر بالتركي ، مضمونهما جواب رسالة أرسلت الى سليمان باشا بعكا بخبر حادثة الانكليز ، وملخصها : « أنه ورد علينا جواب من سليمان باشا يخبر فيه وصول طائفة الانكليز الى ثغر سكندرية ، ودخولهم اليها بمخامرة أهلها ، ثم زحفهم الى رشيد .. وقد حاربتهم أهل البلاد والعساكر ، وقتلوا الكثير منهم ، وأسروا منهم كذلك . وثؤكد على محمد باشا ، والعلماء ، وآكابر مصر : بالاستعداد والمحافظة ، وتحصين الثغور — مثل السويس والقصور — ومحاربة الكفار ، وإخراجهم وإبعادهم عن الثغر . وقد وجهنا لكل من سليمان باشا ، وجنح يوسف باشا بتوجيه ماتريدون من العساكر للمساعدة » . ونحو ذلك .

وفيه : أحضروا أربعة رؤوس من الانكليز ، وخمسة أشخاص أحياء ، فمروا بهم من وسط المدينة .. ذكروا أن كاشف دمنهور حارب ناحية الاسكندرية فقتل منهم وأسر هؤلاء . وقيل انهم كانوا يسرون لبعض أشغالهم نواحي الريف ، فبلغ الكاشف خبرهم ، فأحاط بهم ، وفعل بهم ما فعل ، وأرسلهم الى مصر .. وهم ليسوا من المعتبرين ، وكأنهم مالطية . وقيل انهم سألوهم ، فقالوا : « نحن متسبون ... طلعتنا ناحية أبو قير وتهنا عن الطريق ، فصادفونا — ونحن تسعة لاغير — فأخذونا ، وقتلوا منا من قتلوه وأبقونا » .

وفيه : وصلت مكاتبة من ابراهيم بيك . وأرسل الباشا اليهم جوابا صحة انسان يسمى شريف أغا .

الثلاثاء ٢٣ منه (٣٠ يولية ١٨٠٧ م) :

وردت أخبار من ناحية الشام ، بأنه وقع باسلامبول فتنة بين النيكجيرية والنظام الجديد ، وكانت الغلبة للنيكجيرية ... وعزلوا السلطان سليم ، وولوا السلطان مصطفى ابن عمه — وهو

ابن السلطان عبد الحميد بن أحمد — وخطب له ببلاد الشام .

الخميس ٢٥ منه (٢ يولية ١٨٠٧ م) :

وصل ططرى من طريق البر بتحقيق ذلك الخبر . وخطب الحطباء للسلطان مصطفى ، على منابر مصر وبلاد مصر وبولاق ... وذلك يوم الجمعة سادس عشرينه

وفي اواخره (اوائل يولية ١٨٠٧ م) :

أحدثوا طلب مال الأتليان المسموح الذى لمشايخ البلاد ، وحرروا به دفترا ، وشرعوا فى تحصيله ، وهى حادثة لم يسبق مثلها : أضرت بمشايخ البلاد ، وضيق عليهم معاشهم ومضايقتهم .

وفيه : كتبوا أوراقا للبلاد والأقاليم بالبشارة بتولية السلطان الجديد ، وعينوا بها المعينين ، وعليها حق الطرق .. مبالغ لها صورة ، وكل ذلك من التحيل على سلب أموال الناس !

وفيه : كتبوا مراسلة الى الأمراء القبليين بالصلح . وأرسلوا بها ثلاثة من الفقهاء ، وهم : الشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ ابراهيم السحيني ، والسيد محمد الدواخلى . وذلك أنه لما رجع شريف أغا ، الذى كان توجه اليهم بمراسلتهم ، أرسلوا يطلبون الشيخ الشرقاوى ، والشيخ الأمير ، والسيد عمر النقيب ، لاجراء الصلح على أيديهم . فأرسلوا الثلاثة المذكورين بدلا عنهم .

وفى هذه الأيام : كثر خروج العساكر والدلاة ، وهم يعدون الى البر الغربى . وعدى الباشا بحر النيل الى بر امبابة ، وأقام هناك أياما .

جمادى الأولى

الثلاثاء غرته (٧ يولية ١٨٠٧ م) :

فيه : شرع الباشا فى تعمير القلاع التى كانت

أنشأتها الفرنسية خارج بولاق ، وعمل متاريس
بناحية منية عقبة وغيرها ، ووزع على الجيابة جيرا
كثيرا ، ووسق عدة مراكب ، وأرسلها الى ناحية
رشيد ليعمروا هناك سورا على البلد وأبراجا .
وجمعوا البنائين والفعلة والنجارين وأنزلوهم في
المراكب قهرا .

الثلاثاء ١٥ منه (٢١ يولية ١٨٠٧ م) :

وصل الى مصر نحو الخمسمائة من الدلاية ،
أتوا من ناحية الشام ، ودخلوا الى المدينة
وفيه : طلب الباشا من التجار نحو الألفى كيس
على سبيل السلفة ، فوزعت على الأعيان وتجار
البن ، وأهل وكالة الصابون ، ووكالة التفاح ،
ووكالة القرب وخلافها . وحجزوا البضائع ،
وأجلسوا العساكر على الحواصل والوكائل بمنعوا
من يخرج من حاصله أو مخزنه شيئا الا بقصد
الدفع من اصل المطلوب منهم . ثم أردفوا ذلك
بمطلوبات من أفراد الناس المساتير فيكون
الانسان جالسا في بيته فما يشعر الا والمعينون
واصلون اليه ويدهم بصلة الطلب ، اما خمسة
أكياس أو عشرة أو أقل أو أكثر . فاما أن يدفعها ،
والأ قبضوا عليه وسحبوه الى السجن ، فيحبس
ويعاقب حتى يتم المطلوب منه فنزل بالناس أمر
عظيم ، وكرب جسيم

وفي الناس من كان تاجرا ، ووقف حاله بتوالي
الفتن والمغارم ، وانقطاع الأسباب والأسفار ،
وأفلس وصار تتعيش بالكد والقرض ، وبيع متاعه
وأساس داره وعقاره — واسمه باقى في دفاتر
التجار — فما يشعر الا والطلب لاحقه بنحو ماتقدم
لكونه كان معروفا في التجار فيؤخذ ويحبس ،
ويستغيث فلا يغاث ، ولا يجد شافعا ولا راحما
وهذا الشيء خلاف الفرض المتوالي على البلاد
والقرى في خصوص هذه الحادثة . وكذلك على

البنادر مقادير لها صورة ، وما يتبعها من حق
طرق المعينين والمباشرين ، وتوالى مرور العساكر
آناء الليل وأطراف النهار بطلب الكلف واللوازم
وأشياء يكل القلم عن تسطيرها ، ويستحي الانسان
من ذكرها ، ولا يمكن الوقوف على بعض جزئياتها
.. حتى خربت القرى ، وافترق أهلها وجلوا عنها
فكان يجتمع أهل عدة من القرى في قرية واحدة
بعيدة عنهم ، ثم يلحقها وبالهم فتخرب كذلك
وأما غالب بلاد السواحل ، فانها خربت ، وهرب
أهلها ، وهدموا دورها ومساجدها ، وأخذوا
أخشابها

ومن جملة أفاعيلهم الشنيعة التي لم يطرق
الاسماع نظيرها : أنهم قرروا فرضة من فرض المغارم
على البلاد فكتبوا أوراقا ، وسموها بشارة
الفرضة ا يتولاها بعض من يكون متطلعا لمنصب أو
منفعة . ثم يرتب له خدما وأعوانا ، ثم يسافر الى
الاقليم المعين له — وذلك قبل منصب الأصل —
وفي مقدمته يبعث أعوانه الى البلاد يشرونهم
بذلك ، ثم يقبضون مارسم لهم في الورقة من حق
الطريق بحسب ما أدى اليه اجتहाده ، قليلا أو
كثيرا .. وهذه لم يسمع بما يقاربها في ملة ولا ظلم
ولا جور ا

وسمعت من بعض من له خبرة بذلك أن المغارم
التي قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس ،
وذلك خلاف المصادرات الخارجة .

وفي اواخره (اوائل اغسطس ١٨٠٧ م) :
قوى عزم الباشا على السفر ل ناحية الاسكندرية ،
وأمر باحضار اللوازم والخيام ، وما يحتاج اليه
الحال من روايا الماء والقرب وباقي الأدوات .

جمادى الآخرة

الجمعة ٢ منه (٧ اغسطس ١٨٠٧ م) :
ركب الباشا الى بولاق ، وعدى الى ناحية

السبت والاحد ١٠ ، ١١ منه (١٥ ، ١٦ اغسطس ١٨٠٧ م) :

عمل الفرنساوية عيدا ومولدا بحارتهن . وأولوا بينهم ولائم ، وأوقدوا قناديل كثيرة تلك الليلة ، وحراقات نفوط ، وسواريح وشنكا ... حصّة من الليل . وهو عبارة عن مولد « بونا بارت » السنوى .

الثلاثاء ١٣ منه (١٨ اغسطس ١٨٠٧ م) :

طلب الباشا حسين أهندى الروزنامجى . فعدى اليه ببر انبابة . فخلع عليه خلة الدفتردارية . وحضر الى داره الجديدة — وهو بيت الهياثم ، بالقرب من قنطرة درب الجماميز — وذهب اليه الناس يهنئونه . وانفصل أحمد أفندى عاصم عن الدفتردارية .

الخميس ١٥ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٧ م) :

عمل الباشا شنكا بالبر الغربى بين المغرب والعشاء . ولما أصبح أمر بالارتحال ، وتمهل حتى تكامل ارتحال العساكر . فركب قريب الزوال الى المنصورة .

الجمعة ١٦ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٧ م — ١٦ مسرى ١٥٢٢ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وذلك بعد أن حصل فى الناس ضجر وقلق ، بسبب تأخر الوفاء ، ووقفات حصلت فى الزيادة قبل الوفاء عدة أيام .. حتى رفعوا الغلال من العرصات ، وزادت أثمانها . فلما حصل الوفاء اطمأن الناس ، وتراجعت البهم أنفسهم ، وأظهروا الغلال فى العرصات والرقع . وركب كنخدا بيك فى صبح يوم السبت ، وكذلك القاضى ، وطوسون ابن الباشا ، والسيد عمر النقيب . وكسر السد بحضرتهم ، وجرى الماء فى الخليج .

وفيه : وصل قاجى الى ثغر سكندرية .

بر انبابة . ونصبوا وطاقه هناك . وخرجت طوائف العسكر الى ناحية بولاق وساحل البحر ، وطلقوا يأخذون ما يجدونه من البغال والحير والجمال ، واستمروا على الدخول والخروج والذهاب والمجيء والرجوع والتعدية أياما .. وهم على ذلك النسق من خطف البهائم . وامتنعت السقاةون عن نقل الماء من البحر حتى شح الماء ، وغلا سعره ، وعطشت الناس ، وامتنع حمل البضائع .

السبت ٣ منه (٨ اغسطس ١٨٠٧ م) :

طلبوا أيضا خيول الطواحين لجبر المدافع والعربات ، حتى تعطلت الطواحين عن طحن الدقيق . ولما ذهبوا بها الى العرضى ، اختاروا منها جيادها ، وأعطوا أربابها عن كل فرس خمسين قرشا ، وردوا البواقي لأصحابها .

وفيه : طلبوا أيضا دراهم من طائفة القبانية والحطابة ، وباعة السمك القذيد ، المعروف بالفسيح ... فكان القدر المطلوب من طائفة القبانية مائة وخمسين كيسا .. فأغلقوا حوانيتهم ، وهربوا ، والتجأوا الى الجامع الأزهر . وكذلك الحطابة وغيرهم : منهم من هرب ، ومنهم من التجأ الى السيد عمر .. واستمر كذلك ثلاثة أيام .

وركب السيد عمر ، وعدى الى الباشا ، وتشفع فى الطوائف المذكورة . فرفعوا عنهم غرامتهم ، وكتبوا لهم أمانا بذلك .

الاثنين ٥ منه (١٠ اغسطس ١٨٠٧ م) :

حضر قاجى من طرف الانكليز ، وصحبته أشخاص ، فأنزلهم الباشا فى خيمة بمخيمه بانبابة . فرقدوا بها ليأخذوا لهم راحة ، وناموا . فلما استيقظوا لم يجدوا ثيابهم ، وسطا عليهم السراق فسلحوهم . فأرسلوا الى حارة الفرنساوية فأتوا لهم بثياب وقنوت لبسوها .

النواحي يطلب الكلف أو الغرض التي يفرضونها ،
فزعوا عليه ، وطردهوه وان عاند . قتلوه
فقتل أمره على الكشاف والعسكر . وصار له
عدة خيام وأخصاص ، واجتمع لديه من المردان نحو .



.. المردان

المائة وستين أمرد .. وغاليم أولاد مشايخ البلاد
وكان اذا بلغه أن بالبلد الفلانية غلاما وسيم
الصورة ، أرسل يطلبه . فيحضروه اليه في الحال ..
ولو كان ابن عظيم البلدة ! حتى صاروا يأتون اليه
من غير طلب — ولا يخفى حال الاقليم المصرى في
التقليد في كل شيء — وهذا من جنس المردان ..
وكذلك ذوو اللحى هم كثيرون أيضا .

وعمل للمردان عقودا من الخرز الملون في
أعناقهم . ولبعضهم أقرطا في آذانهم .

ثم أن شيخا من فقهاء الأزهر من أهالي بنها
— يقال له الشيخ عبد الله البنهاوى ادعى
دعوى بطين مستأجرة من أراضي بنها كان لاسلافه ،
وأن الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من
غير حق لهم فيه .. بل باغراء بعض مشايخ القرية .
والمذكور به رعونة ، ولم يحسن سبك دعواه —
وخصوصا كونه مفلسا ، وخليا من الدراهم التي
لا بد منها الآن في الجعالات والبراطيل للوسائط ،
وأرباب الأحكام وأتباعهم — ويظن في نفسه أنه
يقضى قضيته بقال المصنف : اكراما لعلمه ودرسه !
فتخاصم مع الملتزمين ومشايخ بلده . وانعدت

وحضر بعد ذلك الى ثغر بولاق من طريق البر
الى قبرص ، وتحرى الوصول الى دمياط . ثم
حضر الى بولاق وقابل الباشا في طريقه ، ووصل
على يده سكة ضرب المعاملة الجديدة بالضربخانة
باسم السلطان الجديد . وكذلك الأمر بالخطبة
والدعاء ، والاخبار برفع النظام الجديد وابطاله من
اسلامبول ، ورجوع الوجاقات على قانونها الأول
التقديم ... ووصل في نيف وخمسين يوما .

فاجتمعوا في صباحها ، يوم الأحد ، بباب الباشا
واحضروا الأغا بموكب ، ودخل من باب النصر .
وقرى الفرمان بحضرة الجمع ، وضربوا شسكا
ومدافع من أبراج القلعة ، ثلاثة أيام ، في الأوقات
الخسة

ومن الحوادث أنه ظهر في هذه الأيام رجل
بناحه بنها العسل يدعى بالشيخ سليمان فأقام
مدة في عشه بالعيط واعتقد فيه الناس بالولاية
والسلوك والجنب فاجتمع اليه الكثير من أهل
القرى — وأكثرهم الأحداث — ونصبوا له
خيمة وكثّر جمعه ، وأقبلت عليه أهالي القرى
بالندور والهدايا وصار يكتب الى النواحي
أوراقا يستدعى منهم القمح والدقيق ، ويرسلها
مع المريدين يقول فيها : « الذى نعلم به أهل
القرية الفلانية ، حال وصول الورقة اليكم ، تدفعوا
لحاملها خمسة أراذب قمح (أو أقل أو أكثر) برسم
طعام الفقراء . وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفا »
أو نحو ذلك . فلا يتأخرون عن ارسال المطلوب
في الحال

وصار الذين حوله ينادون في تلك النواحي
بقولهم « لا ظلم اليوم ، ولا تعطوا الظلمة شيئا
من المظالم التي بطلبونها منكم ومن أتاكم
فاقتلوه ! »

فكان كل من ورد من العسكر المعينين الى تلك

بسببه مجالس ، ولم يحصل منها شيء سوى التشنيع عليه من المشايخ الأزهرية والسيد عمر النقيب .

ثم كتب له عرضحال ، ورفع أمره الى كتبخا نيك والباشا . فأمر الباشا بعقد مجلس بسببه بحضرة السيد عمر والمشايخ . وقالوا للباشا : « انه غير محق » وطرده . فسافر الى بلده . وسافر الباشا أيضا الى جهة البحيرة والاسكندرية .

فذهب الشيخ عبد الله المذكور الى الشيخ سليمان المذكور ، وأغراه على الحضور الى مصر ، وأنه متى وصل اجتمع عليه المشايخ وأهل البلدة وقابلوه ، ويكون على يده الفتح والفتوح . وحركته خساف العقول المحيطون به والمجتمعون حوله على المجيء الى مصر ، ويكون له شأن ... لأن ولايته اشتهرت بالمدينة ، ولهم فيه اعتقاد عظيم وحج جسيم !

ومن أوصاف ذلك الشيخ : أنه لا يتكلم الا بالذكر أو الكلام النزر الذي لا بد منه ، ويتكلم في أكثر أوقاته بالاشارة .

ثم انه أطاع شياطينه ، وحضر برجاله وغلما نه ، ومعه طبول وكاسات على طريق مشايخ أهل العصر والأوان ... الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا ! ودخلوا الى المدينة على حين غفلة ، وبأيديهم فراقل يفرقعون بها فرقة متتابعة ، وصياح وجلبة ، ومن خلفهم الغلمان والبدانات .. وشيخهم في وسطهم . فما زالوا في سيرهم حتى دخلوا المشهد الحسيني ، وجلسوا بالمسجد يذكرون . ودخل منهم طائفة الى بيت السيد عمر مكرم النقيب ، وهم يفرقعون بما في أيديهم من الفرقلات . فأقاموا بالمسجد الى العصر . ثم دعاهم انسان من الأجناد — يقال له اسماعيل كاشف أبو مناخير — له في الشيخ المذكور اعتقاد . فذهبوا معه الى داره بمظفة عبد الله نيك . فعشاهم ، وباتوا عنده الى الصباح .

ولما طلع النهار : ركب الشيخ بغلة ذلك الجندي وذهب بطائفته الى ضريح الامام الشافعي ، فجلس بالمسجد أيضا مع أتباعه يذكرون . وبلغ خبره كتبخا نيك وأمثاله . فكتب تذكرة ، وأرسلها الى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور .. ليتبركوا به ، وأكد في الطلب . وقصده أن يفتك به لتقهرهم منه .

وعلم السيد عمر ما يراد به . فأرسل يقول له : « ان كنت من أهل الكرامة ، فاطهر شرك وكرامتك . والا فاذهب وتغيب » .

وكان صالح أغا قوج — لما بلغه خبره — ركب في عسكره ، وذهب الى مقام الشافعي ، وأراد القبض عليه . فخوفه الحاضرون ، وقالوا له : « لا ينبغي لك التعرض له في ذلك المكان . فاذا خرج فدونك وإياه » . فانتظره بقصر شويكار ، فتباطأ الشيخ الى قريب العصر ، وأشاروا عليه بالخروج من الباب القبلي . وتفرق عنه الكثير من المجتمعين عليه . فذهب الى مقام الليث بن سعد ، ثم سار من ناحية الجبل ، وذهبت بذاياته وغلما نه الى دار اسماعيل كاشف التي باتوا بها .

ولما سار الى ناحية الصحراء ، لحقه الحاج سعودي الحناوي ، واقتنى أثره ، وبلغه رسالة السيد عمر ، ورجع الى السيد عمر فوجد كتبخا نيك ورجب أغا حضرا الى السيد عمر يسألانه عنه ، ولم يكتفوا بالطلب الأول . فأخبرهما أنه ذهب ولم تلحقه المراسيل .

فاغتazonوا وقالوا : « نرسل الى كاشف القلوبية بالقبض عليه أينما كان » . وانصرفوا ذاهبين .

وقصدت العساكر بيت اسماعيل كاشف أبو مناخير ، فقبضوا على الغلمان ، وأخذوهم الى دورهم . ولم ينج منهم الا من كان بعيدا وهرب . وتغيب وتفرق أتباعه ذوو اللحى .

والدسوقي ، وذبحوا من وجدوه من المجاورين ..
وفيه من طلبة العلم العواجز !

وفيه : ركب كتحدا بيك ومر على بيت الداودية
— وبه طائفة من الدلاة — فرأى شخصا منهم يرجم
دجاجة بحجر ليرميها من سطح دار أخرى .. فاتهره
وأراد ضربه . فقامت عليه رفقائه الدلاية ، وفزعوا
عليه ، فولى هاربا منهم ، فعدوا خلفه .. ولم يزل
رامحا هو وأتباعه حتى وصل الى ناحية الأزبكية .

رجب

الاثنين ٤ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه
وبين الانكليز . واتفقوا على خروجهم من
الاسكندرية وخلوها ونزولهم منها . وأرسل
يطلب الأسرى من الانكليز .

الاثنين ١٠ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ورد قاجي — ويسمى نجيب أفندي —
فوصل الى بولاق يوم الاثنين حادى عشره . وكان
وروده من ناحية دمياط . فلما علم أن الباشا بناحية
البحيرة ، ذهب اليه وقابله بدمهور .. وبصحبه
— لخصوص الباشا — قبطان وسيف وشلنج ،
وخلع لكبار العسكر مثل : حسن باشا ، وظاهر
باشا ، وعابدين بيك ، وعمر بيك ، وصالح قوج .
فنزل ببيت محمد الطويل التتنبى ببولاق .

وفيه : نزلوا بالأسرى من الانكليز الى المراكب
ليسافروا الى الاسكندرية .

الاربعاء ١٢ منه (١٦ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

وصل البشر بنزول الانكليز من ثغر الاسكندرية
الى المراكب . ودخل اليها كتحدا بيك ونزل بدار
الشيخ المسيرى . واستمر الباشا مقيما عند السد .

وأما الشيخ فسار من طريق الصحراء حتى
وصل الى بهتيم ، وذهب الى نوب . فعرف بمكانه
الشيخ عبد الله زقزوق البنهاوى الذى كان أغراه
على الحضور الى مصر ، ولما سقط فى يده .. تبرأ
منه ، وذهب الى كتحدا بيك ، وطلب له أمانا ،
وأخبره أنه مختف بضريح الامام الشافعى . فأعطاه
أمانا ، وذهب اليه وأحضره من نوب .

فلما حضر عند الكتحدا قال له : « أرخ لحيتك ،
واترك ما أنت عليه ، وأقم فى بلدك .. وأعطيك ملينا
تزرعه ، ولا تتعرض لأحد ، ولا أحد يتعرض لك »
.. والشيخ ساكت لا يتكلم ، وصحبته أربعة أنفار
من تلاميذه ، هم الذين يخاطبسون البكتخدا
ويكلمونه .

ثم أمر أشخاصا من العسكر ، فأخذوه وذهبوا
به الى بولاق ، وأنزلوه فى مركب ، وانحدروا به ،
ثم غابوا حصة واقلبوا راجعين . ثم بعد ذلك تبين
أنهم قتلوه ، وألقوه فى البحر .. الا واحدا من
الأربعة ألقى بنفسه فى البحر ، وسبح فى الماء ، وطلع
الى البر وهرب ... وانقض أمره .

وفيه : أرسل الباشا ، وهو بالرحمانية ، يطلب
شيخ دسوق . فحضر اليه طائفة من العسكر . فلما
أتوا اليه .. امتنع ، وقال : « ما يريد الباشا منى ؟
أخبرونى بطلبه وأنا أدفعه .. ان كان غرامة أو
كفاسة » . فقالوا : « لا ندرى . وانما أمرنا
باحضارك » . فشاغلهم بالطعام والقهوة ، ووزع
بهائمه وحريره الذى يخاف عليه .

وفى الوقت وصلت مراكب وبها عساكر ،
وظلموا الى البر . فركب شيخ البلد خيوله
وخيالته ، واستعد لحربهم ، وحاربهم وأبلى
معهم ، وقتل منهم عدة كبيرة ، ثم ولى هاربا .
فدخل العسكر الى البلد ونهبوها ، وأخذوا
ما وجدوه فى دور أهلها ، وعبروا مقام السيد

السبت ١٦ منه (١٩ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ركب القابجي من بولاق بالوكب ، وشق من وسط المدينة ، وذهب الى بيت الباشا . وضربوا لقدميه مدافع من القلعة .

الاربعاء ٢٧ منه (٣٠ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ولد لمحمد على باشا مولود من حظيته . وحضر الميرون بنزول الانكليز من الاسكندرية ، ودخول الباشا بها . فعملوا شنكا ، وضربوا مدافع من القلعة ثلاثة أيام ، في الأوقات الخمسة ، آخرها السبت .

الخميس والجمعة والسبت ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ منه (١ ، ٢ ، ٣ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

وصلت عساكر كثيرة ، ودخلوا المدينة ، وطلبوا سكنى البيوت ، وأزعجوا الناس ، وأخرجوهم من أوطانهم وضجت الخلائق ، وحضر الكثير الى السيد عمر والمشايخ .. فكتبوا عرضا في شأن ذلك وأرسلوه الى كتخدا بيك . فأظهر الاهتمام ، وأحضر طائفة من كبار العسكر وكلمهم في ذلك ، وقال لهم : « كل من كان ساكنا قبل الخروج الى العرضى في دار فليرجع اليها ويسكنها . ولا تعارضوا الناس في مساكنهم » . فلم يفد كلامه في ذلك شيئا . لأن البيوت التى كانوا بها أخرجوها وحرقوا أخشابها ، وتركوها كيما نأ .. وذلك دأبهم !

شعبان

٣ منه (٦ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

وصل الباشا الى ساحل بولاق . فضربوا لقدميه مدافع من القلعة ، وعملوا له شنكا ثلاثة أيام .

واتفق أن الباشا - في حال رجوعه من الاسكندرية - نزل في سفينة صغيرة ، وصحبته :

حسن باشا طاهر ، وسليمان أغا ، الوكيل سابقا ، فانقلب بهم ، وأشرف ثلاثتهم على الفرق ، وتعلق بعضهم بحرف السفينة . فلحققتهم مركب أخرى أنقذتهم من الفرق ، وطمعوا سبالين .. وكان ذلك عند زفينة .

وفيه : كتبوا أوراق البشارة بذهاب الانكليز وسفرهم من الاسكندرية ، وأرسلوها الى البلاد والقرى .. وعليها حق الطريق : أربعة آلاف وألفين فضة .

وصورة ما حصل : أنه لما وصل الباشا الى ناحية الاسكندرية ، راسل الانكليز ، وحضر اليه أنصار منهم ، واختلى معهم . ولم يعلم أحد ما دار بينهم من الكلام . وذهبوا من عنده ، وأتسع الصلح . وفرحت العسكر ، لأنهم لما رأوا صورة المتاريس والطوابى والخنادق ، وجرى المياه بين ذلك بالأوضاع المتقنة .. هالهم ذلك .

ثم حضر من عظمائهم أشخاص : ولما علم الباشا بوصولهم ، رتب العساكر ، ونظم ديوانا وهياها ، وأوقف العساكر صفوفا بمنة ويسرة . وعندما وصلوا ضربوا لهم مدافع كثيرة وشنكا ، وقدم لهم خيولا وهدايا وأقمشة هندية ، وخلع عليهم خلعا وشبلانا كشميرية وغير ذلك . ثم ركب معهم في قلة الى حيث منزلة صارى عسكرهم وكبيرهم .. فتلاقى معهم ، وقدم له الآخر هدايا وظرائف . ثم ركب معه الى الاسكندرية ، وتسلم القلعة . وذلك بعد دخول كتخدا بيك بخمسة أيام . وكان في أسرى الانكليز أنصار من عظمائهم . فأحضرهم الباشا مع باقى الأسرى ، وتم الصلح على رد المذكورين .. على أنهم لم يأتوا طمعا في البلاد كما تقدم .

ولما نزلوا بالمراكب لم يبعدوا عن الثغر الا مسافة قليلة ، واستمروا يقطعون على المراكب

الواردين على الثغور .. وذلك لما بينهم وبين
العثماني من المفاقمة

هذا ما كان من أمر الانكليز .

وأما العساكر ، فانهم أفحشوا في التعدي على
الناس ، وغصب البيوت من أصحابها ، فتأتى
الطائفة منهم الى الدار المسكونة ، ويدخلونها من
غير احتشام ولا اذن ، ويهجمون على سكن الحرم
بحجة أنهم يتفرجون على أعالي الدار .. فتصرخ
النساء . ويجتمع أهل الخطة ويكلمونهم ، فلا
يلتفتون اليهم . فيعالجونهم مرة بالملاطفة ، وأخرى
بكثرة الجمع .. ان كان بهم قوة ، أو بمعونة ذى
مقدرة .

واذا انفصلوا .. فلا يخرجون من الدار الا
بمصلحة أو هدية لها قدر ، ويشترطون في ذلك
الشيلاں الكشميرى . فاذا أحضروا لهم مطلوبهم ،
فلا يعجب كبيرهم ، ويطلب خلفه أحمر أو أصفر .
واتفق أن بعضهم دخل عليه بمباشا بجماعته ،
فلم يزل به حتى صالحه على شال يأخذه ويترك له
داره . فاتاه بشال أصفر . فأظهر أنه لا يريد الا
الأحمر الدودة .. فلم يسهه الا الرضى ، وأراد أن
يرد الأصفر ويأتيه بالأحمر . فحجزه وقال : « دعه
حتى تأتى بالأحمر ، فأختار منهما الذى يعجبني » .
فلما أتاه بالأحمر ضمه الى الأصفر ، وأخذ الاثنين
ثم انصرف عنه ! وذلك خلاف ما يأخذونه من
الدراهم .

فاذا انصرفوا ، وظن صاحب الدار أنهم انجلوا
عنه .. فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلافهم . ويقع
في ورطة أخرى مثل الاولى أو أخف أو أعظم منها .
وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالتحيل والملاطفة
مع صاحب الدار فيقول له : « يا أخى .. يا حبيبى ..
أنا معى ثلاثة أنصار أو أربعة لا غير ، ونحن
مسافرون بعد عشرة أيام . والقصد أن تفسح لنا

تقيم في محل الرجال . وأنت بحريمك في مكانهم
أعلى الدار » . فيظن صدقهم ، ويرضى بذلك على
تخوف وكره . فيعبرون ويجلسون ، كما قالوا ، في
محل الرجال ، ويربطون خيولهم في الحوش ،
ويعلقون أسلحتهم ، ويقولون : « نحن صرنا
ضيوفك » . فاذا أراد أن يرفع فرش المكان ..
يقولون : « نحن نجلس على الحصر والبلاط !
وأى شئ يصيب الفرش ؟ » . فيتركه حياء وقهرا .
ثم يطلبون الطعام والشراب .. فما يسهه الا أن
يتكلف لهم ذلك في أوقاته . ويستعملون الأواني
ويطلبون ما يحتاجون اليه .. مثل الطشت والأبريق
وغير ذلك . ثم تأتيهم رفقاؤهم شيئا فشيئا ،
ويدخلون ويخرجون وبأيديهم الأسلحة ، ويضيق
عليهم المكان فيقولون لصاحب المكان : « اخل لنا
محلا آخر في الدار فوق لرفقائنا » . فان قال :
ليس عندنا محل آخر ، أو قصر في مطلوب ، ابتدأوه
بالقسوة ، فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنهم لا
انفكاك لهم عن المكان .

وربما مضت العشرة أيام أو أقل أو أكثر ،
وظهرت قبائحهم ، وقذروا المكان ، وحرقوا البسط
والحصر — بما يتساقط عليها من الجمر — من
شربهم النارجيلات والتبناك والدخان ، وشربوا
الشراب ، وعربدوا وصرخوا وصفقوا ، وغنوا
بلغاتهم المختلفة ، وفقعت رائحة العرقى في المنزل .
فيضيق صدر الرجل وصدر أهل بيته ، ويطيب
خاطرهم على الخروج والنقلة .. فيطلبون لأنفسهم
مسكنا ، ولو مشتركا ، عند أقاربهم أو معارفهم .
وتخرج النساء في غفلة بشياهم وما يمكنهم حمله .
ثم يشرعون في اخراج المتاع والأواني والنحاس
والفرش . فيحجزونه منهم ويقولون : « اذا أخذتم
ذلك ... فعلى أى شئ نجلس ؟ وفى أى شئ
نطبخ .. وليس معنا فرش ولا نحاس ، والذى كان
معنا استهلك منا في السفر والجهاد ، ودفع الكفار

عنكم .. وأتم مستريحون في بيوتكم وعند
حريكم ؟ » فيقع النزاع ، وينفصل الأمر بينهم
وبين صاحب الدار .. اما بترك الدار بما فيها ، أو
بالمقاسمة والمصالحة بالترجي والوسائط ونحو
ذلك !

وهذا الأمر يقع لأعيان الناس ، والمقيمين بالبلدة
من الأمراء والأجناد المصريين وأتباعهم ، ونحوهم .

ثم انهم تعدوا الى الحارات والنواحي التي لم
يتقدم لهم السكنى بها قبل ذلك ، مثل : نواحي
المشهد الحسيني ، وخلف الجامع المؤيدي ،
والخرنفش ، والجمالية ... حتى ضاقت المساكن
بالناس لقلتها ، وصار بعض المحتشمين ، اذا سكن
بجواره عسكر ، يرتحل من داره — ولو كانت
ملكه — بعدا من جوارهم ، وخوفا من شرهم
وتسلبهم على الدار ، لأنهم يصعدون على الأسطح
والحيطان ، ويتطلعون على من بجوارهم ، ويرمون
بالبندقيات والطبنجات .

ومما اتفق أن كثيرا منهم دخل بطائفته الى منزل
بعض الفقهاء المعتبرين ، وأمره بالخروج منها
ليسكن هو بها ، فأخبره أنه من مشايخ العلم ..
فلم يلتفت لقوله فتركه وليس عمامته ، وركب
بغلته ، وحضر الى اخوانه المشايخ واستغاث بهم .
فركب معه جماعة منهم ، وذهبوا الى الدار ،
ودخلوا اليها راكبين بغالهم .

فعندما شاهدتهم العسكر ، وهم واصلون في
كبكبة ، أخذوا أسلحتهم ، وسحبوا عليهم
السيوف فرجع البعض هاربا ، وثبت الباقيون ،
ونزلوا عن بغالهم ، وخطبوا كبيرهم ، وعرفوه أنها
دار العالم الكبير ، وهذا لا يناسب ، وأن النصارى
واليهود يكرمون قسيسهم ورهبانهم وأتم أولى
بذلك لأنكم مسلمون .

فقالوا لهم في الجواب : « أتم لستم بمسلمين ،

لأنكم كنتم تتمنون تملك النصارى لبلادكم ،
وتقولون أنهم خير منا . ونحن مسلمون ومجاهدون
... طردنا النصارى ، وأخرجناهم من البلاد فنحن
أحق بالدور منكم » ! ونحو ذلك من القول
الشنيع .

ثم لم يزالوا في معالجتهم الى ثلثي يوم . ولم
ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا لهم مائتي قرش ،
وشال كشير لكبيرهم .

وفعل مثل ذلك بعدة بيوت ... دخلها على هذه
الصورة ، وأخذ منها أكثر من ذلك ومنها دار
اسماعيل أفندي صاحب العيار بالضربخانة ، وهو
رجل معتبر ، أخذ منه خمسمائة قرش وشال كشير .
وفعل مثل ذلك بغيرهم . هو وأمثاله

ولما أكثر الناس من التشكى للباشا وللكتخدا ..
قال الكتخدا : « أفاس قاتلوا وجاهدوا أشهرا
وأياما ، وقاسوا ما قاسوه في الحر والبرد والظل
حتى طردوا عنكم الكفار ، وأجلوهم عن بلادكم ..
أفلا تسعونهم في السكنى ؟ » ونحو ذلك من
القول !

ولما انقضى هذا الأمر ، واستقر الباشا ،
واطمان خاطره ، وخلص له الاقليم المصرى ، وثرع
الاسكندرية — الذى كان خارجا عن حكمه حتى
قبل مجيء الانكليز ... فان الاسكندرية كانت
خارجة عن حكمه فلما خصل مجيء الانكليز
وخروجهم ، صار الثغر في حكمه أيضا — فأول
ما بدأ به : أنه أبطل مسموح المشايخ والفقهاء
ومعالي البلاد التي التزموا بها .. لأنه لما ابتدع
المغارم والشهريات والقرض التي فرضها على القرى
ومظالم الكشوفية ، جعل ذلك عاما على جميع
الالتزامات والحصص التي بأيدي جميع الناس —
حتى أكابر العسكر وأصاغرهم — ما عدا البلاد
والحصص التي للمشايخ .. خارجة عن ذلك ،

ولا يؤخذ منها نصف الفائض ولا ثلثه ولا ربه ، وكذلك من ينتسب لهم أو يحتفى فيهم ، ويأخذون الجمالات والهدايا من أصحابها ، ومن فلاحهم تحت حمايتها ونظير صياتها .

واغثروا بذلك ، واعتقدوا دوامه ، وأكثروا من شراء الحصص من أصحابها المحتاجين بدون القيمة ، وافتنوا بالدنيا ، وهجروا مذاكرة المسائل ، ومدارسة العلم .. الا بمقدار حفظ الناموس ، مع ترك العمل بالكلية !

وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الأمراء الألوفا الأقدمين ، واتخذوا الخدم والمقدمين والأعوان ، وأجروا الحبس والتعزير ، والضرب بالفلكة والكراييج المعروفة « ب... الفيل » واستخدموا كتبة الأقباط ، وقطاع الجرائم في الارساليات للبلاد ، وقدروا حق طرق لأتباعهم ، وصارت لهم استعجالات ، وتحذيرات واندازات عن تأخر المطلوب .. مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ، ومخاصمتهم القديمة مع بعضهم .. بموجبيات التحاسد والكراهية ، المجبولة والمركوزة في طباعهم الخبيثة .

وانقلب الوضع فيهم بضده ، وصار ديدنهم واجتماعهم : ذكر الأمور الدنيوية ، والحصص والالتزام ، وحساب الميرى ، والفائض والمضاف ، والرمية والمرافعات ، والمراسلات والتشكى ، والتناجى مع الأقباط ، واستدعاء عظمائهم في جمعياتهم وولائمهم ، والاعتناء بشأنهم ، والتفاخر بتردادهم والترداد عليهم ، والمهاداة فيما بينهم .. الى غير ذلك مما يطول شرحه .

وأوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر ، والتحاسد ، والتحاقد على الرئاسة ، والتفاسم والتكالب على مفاسف الأمور ، وحفظ الأنفس على الأشياء الواهية .. مع ما جيلوا عليه من الشح

والشكوى ، والاستجداء ، وفراغ الأعين ، والتطلع للأكل في ولائم الأغنياء والفقراء ، والمعاتبة عليها .. ان لم يدعوا اليها ، والتعريض بالطلب ، واطهار الاحتياج لكثرة العيال والأتباع واتساع الدائرة ، وارثكابهم الأمور المخلة بالمروءة ، المسقطة للعدالة : كالاتماع في سماع الملاهي والأغاني والقيان والآلات المطربة ، واعطاء الجوائز والنقوط بمناداة الخلبوص وقوله : « واعلاماه ! » في السامر ، وهو يقول في سامر الجمع بمسمع من النساء والرجال من عوام الناس وخواصهم ، برفع الصوت الذى يسمعه القاصى والدانى ، وهو يخاطب رئيسة المغاني : « يا ستى ! حضرة شيخ الاسلام والمسلمين .. مفيد الطالبين : الشيخ العلامة فلان .. منه كذا .. وكذا » من النصفيات الذهب : قدر مسماه كثير ، وجرمه قليل .. تتيجته التفاخر الكذب ، والاردرات بمقام العلم بين العوام وأوباش الناس الذين اقتدوا بهم في فعل المحرمات الواجب عليهم النهى عنها كل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة ، مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد في كل مجمع ، ومواظبتهم على الهزليات والمضحكات وألفاظ الكناية المعبر عنها عند أولاد البلد بالانقاط والتنافس في الأحداث ... الى غير ذلك .

وفيه : فتحوا الطلب من الملتزمين ببواقى الميرى على أربع سنوات ماضية .

١٠ منه (١٣ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

فتحوا أيضا دفاتر الطلب بميرى السنة المقابلة . ووجهوا الطلب بها الى العسكر فدهى الناس بدواه متوالية . منها : خراب القرى بتوالى المظالم والمغارم والكلف ، وحق الطرق والاستعجالات ، والتساويف والبشارات . فكان أهل القرية النازل بها ذلك ، ينتقلون الى القرية المحيطة لشيخ من الأشياء ... وقد بطلت الحماية أيضا حينئذ ثم

أنزلوا بالبنادر مغارم عظيمة لها قدر من الأكياس الكثيرة ، وذلك عقب فرضة البشارة ، مثل حميات ورشيد والمحطة والمنصورة : مائة كيس ، وخمسون كيسا ، ومائة وخمسون ... وأكثر وأقل .

وفي أثناء ذلك : قرروا أيضا فرضة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد والقرى . وإن لم يجد المعينون للطلب شيئا من الدراهم عند الفلاحين ، أخذوا مواشيهم وأبقارهم لتأثي أربابها ويدفعوا ما تقرر عليهم ويأخذوها ، وبتركونها بالجوع والعطش ، فعند ذلك يبيعونها على الجزائريين ، ويرمونها عليهم قهرا بأقصى القيمة ، ويلزمونهم باحضار الثمن ... فإن تراخوا وعجزوا ، شددوا عليهم بالحبس والضرب .

١٣ منه (١٦ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

مر الباشا في ناحية سوقية العزى سائرا الى ناحية بيت بلغيا ، وهناك المكتب فوق السبيل الذي بين الطريقين تجاه من تاتي من تلك الناحية ، فطلع الى ذلك المكتب شخصان من العسكر يرصدان الباشا في مروره . فحينما أتى مقابلا لذلك المكتب ، أطلقا في وجهه برودتين فأخطأته ، وأصابا إحدى الرصاصتين فرش فارس من الملازمين جوله فسقط . ونزل الباشا عن جواده على مصنطة حانوت مغلوقة ، وأمر الخدم باحضار الكامنين بذلك المكتب . فطلعوا اليهما وقبضوا عليهما . ثم حضر كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان ، واعتذر الى الباشا بأنهما مجنونان وسكرانيل ، فأمره بإخراجهما وسفرهما من مصر . وركب وذهب الى داره .

٢٣ منه (٢٦ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

اجتمع عسكر الأرثوود والترك على بيت محمد على باشا وطلبوا علائقهم ، فوعدهم بالدفع ، فقالوا :

« لا نصبر » ، وضربوا بنادق كثيرة ، ولم يزالوا واقفين ، ثم انصرفوا وتفرقوا .

وارتجت البلد ، وأرسل السيد عمر الى أهل الغورية والعقادين والأسواق يأمرهم برفع بضائعهم من الحوانيت . ففعلوا وأغلقوها .

فلما كان قبيل الغروب ، وصل الى بيت الباشا طائفة الدلائية ، وضربوا أيضا بنادق . فضرب عليهم عسكر الباشا كذلك . فقتل من الدلاة أربعة أنفار ، وانجرح بعضهم ، فانكفوا ورجعوا .

وبأت الناس متخوفين ، وخصوصا نواحي الأزهر ، وأغلقوا البوابات من بعد الغروب ، وسهروا خلفها بالأسلحة ... ولم تفتح الا بعد طلوع الشمس .

٢٤ منه (٢٧ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

أصبح .. والحال على ما هو عليه من الاضطراب . ونقل الباشا أمتعته الثمينة تلك الليلة الى القلعة ، وكذلك في ثاني يوم .

ثم انه طلع الى القلعة في ليلتها ، وشيعة حسن باشا الى القلعة ورجع الى داره . ويقال ان طائفة من العسكر الدين معه بالدار ، أرادوا غدره تلك الليلة ، وعلم ذلك منهم بإشارة بعضهم لبعض رمزا . فغالطهم وخرج مستخفيا من البيت ، ولم يعلم بخروجه الا بعض خواصه الملازمين له ، وأكثرهم أقاربه وبلدياته .

ولما تحققوا خروجه من الدار ، وطلوعه الى القلعة ... صرف بونا بارتة الخازندار الحاضرين في الحال ، ونقل الأمتعة والخزينة في الحال ، وكذلك الحيول والسروج . وخرجت عساكره يحملون ما بقي من المتاع والفرش والأواني الى القلعة .

وأشيع في البلدة أن العساكر نهبوا بيت الباشا ، وزاد اللغط والاضطراب . ولم يعلم أحد من الناس

رمضان

الاثنين غرته (٢ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

في ليلته ، بين العصر والمغرب ، ضربوا مدافع كثيرة من القلعة . وأردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة . وكذلك العسكر الكائون بالبلدة فعلوا كفعلمهم من كل ناحية ومن أسطحة الدور والمساكن — وكان شيئاً هائلاً — واستمر ذلك الى بعد الغروب . وذلك شنك لقدم رمضان ، في دخوله وانقضائه .

الخميس ٤ منه (٥ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

انكشفت القضية عن طلب مبلغ ألفي كيس بعد جمعيات ومشاورات : تارة ببيت السيد عمر النقيب ، وتارة في أمكنة أخرى ، كبيت السيد المحروقي وخلافه ، حتى رتبوا ذلك ونظموه ... فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا ، وجانب على المشايخ الملتزمين نظير مسموحهم في فرض حصصهم التي أكلوها — وهى مبلغ مائتى كيس — وزعت على القراريط : على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض ، لأجل أن ترد أو تحسب لهم في الكشوفات من رفع المظالم ومال الجهاد .. يأخذونها من فلاحهم . وفرض من ذلك مبالغ على أرباب الحرف ، وأهل الغورية ، ووكالة الصابون ، ووكالة القرب ، والتجار الآفاقية .

واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوى بما يتعلق بالفقهاء ، واسماعيل الطوبجى بالمطلوب من طائفة الأتراك وأهل خان الخليلي .. والمرجع في الطلب والدفع والرفع الى السيد عمر النقيب .

واجتمع الكثير من أهل الحرف ، كالصرمانية وأمثالهم ، والتجأوا الى الجامع الأزهر ، وأقاموا به ليالى وأياماً فلم ينفعهم ذلك .

حقيقة الحال حتى ولا كبار العسكر . وزاد تخوف الناس من العسكر . وحصل منهم عربدات وخطف عمائم وثياب وقتل أشخاص .

٢٦ منه (٢٩ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

أصبح وباب القلعة مفتوح ، والعساكر مرابطون به ، وواقفون بأسلحتهم . وطلع أفراد من كبار العسكر بدون طوائفهم ونزلوا . واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة .. والعسكر والناس في اضطراب ، وكل طائفة متخوفة من الأخرى ، والأرثوود فرقتان : فرقة تميل الى الأتراك ، وفرقة تميل الى جنسها . والدلاة تميل الى الأتراك وتكره الأرثوود .. وهم كذلك . والناس متخوفة من الجميع . ومهم من يخشى من قيام الرعية ، ويظهر التودد لهم . وقد صاروا مختلطين بهم في المساكن والحارات وتأهلوا وتزوجوا منهم .

٢٨ منه (٣١ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

طلع طائفة من المشايخ الى القلعة ، وتكلموا وتشاوروا في تسكين هذا الحال بأى وجه كان . ثم نزلوا .

٢٩ منه (أول نوفمبر ١٨٠٧ م) :

كانت رؤية هلال رمضان . فلم يعمل الموسم المعتاد وهو الاجتماع ببيت القاضي ، وما يعمل به من الحراقة والنفوط والشنك ، وركوب المحتسب ومشايخ الحرف ، والزمور والطبول ، واجتماع الناس للفرجة بالأسواق والشوارع وبيت القاضي . فبطل ذلك كله . ولم تثبت الرؤية تلك الليلة .

وأصبح يوم الأحد .. والناس مفطرون . فلما كان وقت الضحوة نودى بالامساك ، ولم تعلم الكيفية !

وابتث المعينون بالطلب ، وبأيديهم الأوراق بمقدار المبلغ المطلوب من الشخص ، وعليها حق الطريق ، وهم : قواصة أنراك ، وعسكر ، ودلاة ، وقواصة بلدى .

ودهمى الناس بهذه الداهية فى الشهر المبارك . فيكون الانسان نائما فى بيته ، ومتفكرا فى قوت عياله .. فيدهمه الطلب ، ويأتيه المعين قبل الشروق ، فيزعجه ويصرخ عليه ، بل ويطلع الى جهة حريمه فينتبه كالمفلوج من غير اصطباح ، ويلطف المعين ، ويوعده ويأخذ بخاطره ، ويدفع له كراء طريقه المرسوم له فى الورقة المعين بها المبلغ المطلوب قبل كل شئ . فما يفارقه .. الا ومعين آخر واصل اليه على النسق المتقدم ، وهكذا !

وفيه : حضر محمد كتخدا شاهين بيك الألفى بجواب عن مراسلة أرسلها الباشا الى مخدومه . فأقام أياما يتشاور مع الباشا فى مصالحته مع شاهين بيك . وحصل الاتفاق على حضور شاهين بيك الى الجيزة ، وتراضى مع الباشا على أمر ، وسافر فى ثانى عشره ، وصحبته صالح أغا السلحدار .

الخميس ١٨ منه (١٩ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

قصد الباشا نفى رجب أغا الأرثوودى . وأرسل اليه يأمره بالخروج والسفر بعد أن قطع خرجه وأعطاه علوفته . فامتنع من الخروج ، وقال : « أنا لى عنده خمسون كيسا ولا أسافر حتى أقبضها » .

وذلك أنه فى حياة الألفى الكبير اتفق مع الباشا بأن يذهب عند الألفى ، وينضم اليه ، ويتحيل فى اغتياله وقتله . فان فعل ذلك وقتله ، وتمت حيلته عليه ... أعطاه خمسين كيسا . فذهب عند الألفى ، والتجأ اليه ، وأظهر أنه راغب فى خدمته ، وكره الباشا وظلمه . فرجى به وقبله ، وأكرمه مع التحذر منه . فلما طال به الأمد ، ولم يتمكن

من قصده .. رجع الى الباشا . فلما أمره بالذهاب ، أخذ يطالبه بالخمسين كيسا . فامتنع الباشا ، وقال : « جعلت له ذلك فى نظير شئ » . يفعله ، ولم يخرج من يده فعله ، فلا وجه لمطالبته به . واستمر رجب أغا فى عناده .. وذلك أنه لا يهون بهم مفارقة مصر التى صاروا فيها أمراء وآكابر ، بعد أن كانوا يحتطبون فى بلادهم ، ويتكسبون بالصنائع الدنيئة .

ثم انه جمع جيشه اليه من الأرثوود بناحية سكنه — وهو بيت حسن كتخدا الجربان بباب اللوق — فأرسل اليه الباشا من بحاربه ، فحضر حسن أغا سرششة من ناحية قنطرة باب الخرق ، وحضر أيضا الجم الكثير من الأتراك وكبرائهم من جهة المدابغ . وعمل كل منهم متاريس من الجهتين ، وتقدموا قليلا حتى قربوا من مساكن الأرثوود تجاه بيت البارودى . فلم يتجاسروا على الاقدام عليهم من الطريق ، بل دخلوا من البيوت التى فى صفهم ، ونقبوا من بيت الى آخر حتى انتهوا الى أول منزل من مساكنهم ، فنقبوا البيت الذى يسكن به الشيخ محمد سعد البكرى ، ونفذوا منه الى المنزل الذى بجواره ، ثم منه الى منزل على أغا الشعراوى ، ثم الى بيت سيدى محمد وأخيه مسيدى محمود ، المعروف بأبى دفة ، الملاصق لمسكن طائفة من الأرثوود .

وعبثوا فى الدور ، وأزعجوا أهلها بقبيح أفعالهم .. فانهم عندما يدخلون فى أول بيت يصعدون الى الحريم بصورة منكرة ، من غير دستور ولا استئذان ، وينقبون من مساكن الحريم العليا ، فيهدمون الحائط ، ويدخلون منها الى محل حريم الدار الأخرى . وتصد طائفة منهم الى السطح .. وهم يرمون بالبنادق فى الهواء فى حال مشيهم وسيرهم وهكذا !

ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج ،
ويصرن بصرخن ويصحن بأطفالهن ، ويهربن الى
الحارات الأخرى ، مثل : حارة قواديس ، وناحية
حارة عابدين — بظاهر الدور المذكورة — بغاية
الخوف والرعب والمشقة .

وظفقت العساكر تنهب الأمتعة والثياب
والفرش ، ويكسرون الصناديق ، ويأخذون
ما فيها ، ويأكلون ما فى القدور من الأطعمة فى نهار
رمضان ... من غير احتشام !

ولقد شاهدت أثر قبيح فعلهم ببيت أبى دفية
المذكور : من الصناديق المكسرة ، وانتشار حشو
الوسائد والمراتب التى فتقوها وأخذوا ظروفها ،
ولم يسلم لأصحاب المساكن سوى ما كان لهم
خارج دورهم وبعيدا عنها ، أو وزعوه قبل الحادثة .
وأصيب محمد أفندى أبو دفية برصاصة أطلقها
بعضهم من النقب الذى نقب عليهم نفذت من
كفئه . وكذلك فعل العساكر التى أتت من ناحية
المدابغ بالبيوت الأخرى . واستروا على هذه
الأفعال ثلاثة أيام بلياليها .

الاثنين ٢٢ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

حضر فى ليلته عمر بيك كبير الأرثوود ،
الساكن ببولاق ، وصالح قوج ، الى رجب أغا
المذكور ، وأركباه وأخذاه الى بولاق . وبطل
الحرب بينهم ، ورفعوا المتاريس فى صباحها
وانكشفت الواقعة عن نهب البيوت ونقبها وازعاج
أهلها . ومات فيها بينهم أنفار قليلة . وكذلك مات
أناس وانجرح أناس من أهل البلد .

الخميس ٢٥ منه (٢٦ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

سافر رجب أغا ، وتخلف عنه كثير من عساكره
وأتباعه ، وذهب من ناحية دمياط .
وفيه : حضر ديوان أفندى من دهشور وابن

الباشا أيضا . وخلع شاهين بيك على ابن الباشا
فروة ، وقدم له مقدمة وسلاحا نفيسا انكليزيا .

السبت ٢٧ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

وصل شاهين بيك الألفى الى دهشور ، ووصل
صحبه مراكب بها سفار وهدية من ابراهيم بيك
ومحمد بيك المرادى ، المعروف بالمنفوخ ، برسم
الباشا .. وهى نحو الثلاثين حصانا ، ومائة قنطار
بن قهوة ، ومائة قنطار سكر ، وأربعة خصيان ،
وعشرون جارية سوداء . فلما وصل شاهين بيك
الى دهشور ، حضر محمد كئخداه وعلى كاشف
الكبير . فأرسل الباشا اليه صحبتهما هدية ومعهما
ولده وديوان أفندى .

الاحد ٢٨ منه (٢٩ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

وصل شاهين بيك الى شبرامنت ... وقد أمر
الباشا بأن يخلوا له الخيزة ، وينتقل منها الكاشف
والعسكر . فعدى الجميع الى البر الشرقى ، وتسلم
على كاشف الكبير الألفى القصر وما حوله وما به
من الجيخانة والمدافع وآلات الحرب وغيرها .

شذال

غرة (٢ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

لم يعمل العسكر شنكهم تلك الليلة ، من رميهم
بالرصاص واليارود الكثير المزعج من سائر
النواحى والبيوت والأسلحة ، لاقتباض نفوسهم ،
وانما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة أيام العيد
فى الأوقات الخمسة .

٥ منه (٦ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

اعتنى الباشا بتعمير القصر لسكن شاهين بيك
بالخيزة .. وكان العسكر أخربوه . وكذلك يسيوت
الخيزة ، ولم يتركوا بها دارا عامرة الا القليل .
فرسم الباشا للمعمارجية بعمارة القصر . فجمعوا

البنائين والتجارين والخرطين ، وحملوا الأخشاب من بولاق وغيرها ، وهدموا بيت أبى الشوارب ، وأحضروا الجمال والحميز لنقل أخشابه وأتقاضه ، وأخرجوا منه أخشابا عظيمة فى غاية العظم والثخن ليس لها نظير فى هذا الوقت والأوان .

٧ منه (٨ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

حضر شاهين بيك الى بر الجيزة وبات بالقصر . وضربوا لقدمه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له على جرجى موسى الجيزاوى وليسة ، وفرض مصروفها وكلفتها على أهل البلدة ، وأعطاه الباشا اقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية ، وأطلق له فيها التصرف ، وأنعم عليه أيضا بثلاثين بلدة من اقليم البهنسا مع كشوفيتها ، وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التى نتقيها ويختارها وتعجبه مع كشوفية الجيزة . وكتب له بذلك تقاسيط ديوانية ، وضم له كشوفية البحيرة بتمامها الى حد الاسكندرية ، وأطلق له التصرف فى جميع ذلك . ومرسوماته نافذة فى سائر البر العربى .

٩ منه (١٠ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

ركب السيد عمر أفندى النقيب والمشايخ . وطلعوا الى القلعة باستدعاء ارسالية أرسلت اليهم فى تلك الليلة . فلما طلعوا الى القلعة ، ركب معهم ابن الباشا طوسون بيك . ونزل الجميع ، وساروا الى ناحية مصر القديمة .

وكان شاهين بيك عدى الى البر الشرقى ، بطائفة من الكشاف والماليك والهوراة ، فسلموا عليه . وكان بصحبته طائفة من الدلاة ، ساروا أمام القوم بطبائهم وسفاهيرهم ، ومن خلفهم طائفة من الهوراة ، ومن خلفهم الكشاف والماليك ، والسيد عمر النقيب والمشايخ .. ثم شاهين بيك ، وبجانبه ابن الباشا ، وخلفهم الطوائف والأتباع

والخدم ، وخلفهم النقاقير . فساروا الى ناحية جهة القرافة ، وزاروا ضريح الامام الشافعى . ثم ركبوا وساروا الى القلعة ، وطلعوا من باب العزب الى سراية الديوان . وانفصل عنهم المشايخ ، ونزلوا الى دورهم وقابلوا الباشا ، وسلم شاهين بيك عليه . فخلع عليه الباشا فروة سمور مشنة وسيفا وخنجرا مجوهرات وتعاوى ، وقدم له خيولا بسروجها

وعزم عليه ابن الباشا ، فأذن له أن يتوجه صحبته الى سرايته ، فركب معه وتغدى عنده . ثم ركب بصحبته ، ونزلا من القلعة ، وذهب عند حسن باشا ، فقابله أيضا ، وسلم عليه ، وخلع عليه أيضا ، وقدم له خيولا . وركب صحبتهما وذهبا عند طاهر باشا ابن اخت الباشا . فسلم عليه أيضا . وقدم له تقادم . ثم ركب عائدا الى الجيزة ، وذهب الى مخيمه بشبرامنت ، واستمر مقيما بالمخيم حتى تم عمارة القصر وتردد كشافهم وأجنسادهم الى بيوتهم بالمدنة ، فيبتون الليلة والليلتين ويرجعون الى مخيمهم

وفيه : قطع الباشا رواتب طوائف من الدلاة وأمرؤا بالسفر الى بلادهم .

١١ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

انتقل الألفية بمرضهم وخیامهم الى بحرى الجيزة

١٢ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

وصل أربعة من صناعق الألفية ، وهم : أحمد بيك ، ونعمان بيك ، وحسين بيك ، ومراد بيك فطلعوا الى القلعة ، وخلع عليهم الباشا فراوى ، وقلدهم سيوفا ، وقدم لهم تقادم . ثم نزلوا الى حسن باشا فسلموا عليه ، وخلع عليهم أيضا خلعا . ثم ذهبوا الى بيت صانع آغا السلحدار ، فأقاموا عنده الى أواخر النهار . ثم ذهبوا الى البيوت التى

بها حريمهم ، فباتوا بها ، وذهبوا في الصباح الى الجيزة .

١٥ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

عملت وليمة . وعقدوا لأحمد بيك الالقي على عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير ، والوكيل في العقد شيخ السادات ، وقبل عنه محمد كتحدا بوكالته عن أحمد بيك . ودفع الصداق الباشا من عنده ، وقدره ثمانية آلاف ريال .

وفيه : اتفقوا على ارسال نعمان بيك ، ومحمد كتحدا ، وعلى كاشف الصابونجي الى ابراهيم بيك الكبير لاجراء الصلح .

وفيه أيضا : أرادوا اجراء عقد زينب هانم ابنة ابراهيم بيك على نعمان بيك . فامتنعت . وقالت : « لا يكون ذلك الا عن اذن أبى . وها هو مسافر اليه فليستأذنه ، ولا أخالف أمره » . فأجيبت الى ذلك .

وآراد شاهين بيك أن يعقد لنفسه على زوجة حسين بيك المقتول ، المعروف بالوشاش — وهو خشدائه ... وهى ابنة السفطى — فاستأذن الباشا . فقال : « انى أريد أن أزوجه ابنتى وتكون صهرى ، وهى واصلة عن قريب ... أرسلت بخضورها من بلدى « قوله » . فان تأخر حضورها جهزت لك سرية وزوجتك اياها » .

١٦ منه (١٧ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

نزل الباشا من القلعة ، وذهب الى مضرب النشاب ، واستدعى شاهين بيك من الجيزة ، وعمل معه ميدانا ، وترامحوا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف . ثم طلع الجميع الى القلعة . واستمر شاهين بيك عند الباشا الى بعد الظهر . ثم نزل مع نعمان بيك الى بيت عديلة هانم ، فمكثا الى قبيل المغرب . ثم أرسل اليهما

الباشا ، فطلعا الى القلعة ، فباتا عنده ، ونزلا في الصباح ، وعديا الى الجيزة . قال الشاعر :

أمور تضحك السفهاء منها

ويبكى من عواقبها اللبيب

وفيه : تقلد حسن أغا سرشمة امارة دمياط عوضا عن أحمد بيك . وتقلد عبد الله كاشف الدردلى امارة المنصورة عوضا عن عزيز أغا .

٢٣ منه (٢٤ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

وصل قابجى ومعه مرسومات : يتضمن أحدها التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر . وآخر بالدفردارية باسم ولده ابراهيم . وآخر بالعفو عن جميع العسكر جزاء عن اخراجهم الانكليز من نجر الاسكندرية . وآخر بالتأكيد فى التشميل والسفر لمحاربة الخوارج بالحجاز ، واستخلاص الحرمين ، والوصية بالرعية والتجار ... وصحبه أيضا خلع وشنجات . فأركبوه فى موكب فى صبح يوم الخميس ، وطلع الى القلعة . وقرئت المراسيم المذكورة بحضرة الباشا والمشايخ وكبار العسكر وشاهين بيك وخشدائينه الألفية . وضربوا مدافع وشنكا .

وفيه : سافر ابراهيم بيك ابن الباشا على طريق القليوبية ، وصحبه طائفة من مباشرى الأقباط ، وفيهم جرجس الطويل — وهو كبيرهم — وأفندية من أفندية الروزنامة ، وكتبة مسلمين للكشف على الأطيان التى رويت من ماء النيل ، والشراقى . فأنزلوا بالقرى النوازل : من الكلف ، وحق الطرقات . وقرروا على كل فدان رواء النيل أربعمئة وخمسين نصف فضة ... تقبض للديوان ، وذلك خلاف ما للملتزم والمضاف والبرانى ، وما يضاف الى ذلك من حق الطرق والكلف المتكررة

ذوالقعدة

في غرته (٣١ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

فرضوا على مساتير الناس سلف أكياس .
ويحسب لهم ما يؤخذ منهم من أصل ما يتقرر على
حصصهم من المغارم في المستقبل ، وعينوا العساكر
بطلبها . فتغيب غالبهم وتوارى لعدم ما بأيديهم ،
وخلو أكياسهم من المال . والتجأ الكثير منهم الى
ذوى الجاه ، ولازموا أعتابهم حتى شفّعوا فيهم ،
وكشفوا غمتهم .

١٠ منه (٩ يناير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر من الجهة القبليّة بأن الأمراء المصريين
تعاربوا مع ياسين بيك بناحية المنية — وذلك عن
أمر الباشا — وهزموه فدخل الى المنية ونهبرا
حملته ومتاعه وفي أثر ذلك : حضر أبو ياسين بيك
الى مصر وعينت عساكر الى جهة قبلى —
وأمرها بونابارته الخازندار — وتقدمهم سليمان
بيك الألفى في آخرين

٢٠ منه (١٩ يناير ١٨٠٨ م) :

تعين أيضا عدة عساكر الى ناحية بحرى — وفيهم
عمر بيك تابع الأشقر المصرى — لمحافظة رشيد ،
 وآخرين الى الاسكندرية . ثم تعوق عمر بيك عن
السفر وسبب ذلك أنه ورد قائف الانكليز الى
نهر مسكندرية ، وأخير بخروج عمارة الفرنسيين
الى البحر بسييلية ، وربما استولوا عليها .
وكذلك مالطة فلما ورد هذا الخبر ، حضر
« البطروش » ، قنصل الانجليز المقيم برشيد ، الى
مصر بأهله وعياله .

اواخره (اواخر يناير ١٨٠٨ م) :

جمعوا عدة كبيرة من البنائين ، والنجارين ،

وأرباب الأشغال .. لعمارة أسوار وقلاع
الاسكندرية وأبى قير والسواحل .

ذوالحجّة

١٢ منه (١٠ فبراير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بأن سليمان بيك الألفى لما وصل
الى المنية ونزل بفنائها ، خرج اليه ياسين بيك
بجموعه وعساكره وعربانه فوقع بينهما وقعة
عظيمة ، وانهزم ياسين بيك ، وولى هاربا الى المنية
فتبعه سليمان بيك فى قلة ، وعدى الخندق خلفه ،
فأصيب من كمين بداخل الخندق ، ووقع ميتا ...
بعد أن بهب جميع متاع ياسين بيك وجماله وأثقاله ،
وشئت جموعه ، وانحصر هو وعساكره وعربانه ،
وما بهى منهم ، بداخل المنية . وكانت الواقعة يوم
الأربعاء سادس الشهر .

فلما ورد الخبر بذلك على الباشا ، أظهر أنه
اغتم على سليمان بيك ، وتأسف على موته وأقام
العزاء عليه خشداسينه بالجيزة وفي بيوتهم وطلق
الباشا يلوم على جرأة المصريين واقدامهم وكيف
أن سليمان بيك يخاطر بنفسه ، ويلقى نفسه من
داخل الخندق ويقول : « أنا أرسلت إليه أحذره
وأقول له انه ينتظر بونابارته الخازندار ، ويراسل
ياسين بيك ويطلعه على ما ييده من المراسيم ، فإن
أبى وخالف ما فى ضمنها فعند ذلك يجتمعون
على حربه ، وتتقدم عسكر الأتراك لمعرفتهم
وصبرهم على محاصرة الأبنية فلم يستم لما قلب
له وأغرى بنفسه وايقضا ينبغى لكبير الجيش
التأخر عن عسكره ، فإن الكييز عبارة عن المدبر
الرئيس ، وبمصابه تنكسر قلوب قومه
وهؤلاء القوم بخلاف ذلك ... يلقون بأنفسهم فى
المهالك » .

ولما أرسل جماعة سليمان بيك يخبرون بموت
كبيرهم ، وأنهم مجتمعون على حالتهم ، ومقيمون

بعرضيهم ومحطتهم على المنية ، وأنهم ينتظرون من يقيمه الباشا رئيسا مكانه ... فعند ذلك أرسل الباشا الى شاهين بيك يعزيه ، ويلتمس منه أن يختار من خشدائينه من يقلده الباشا امارا سليمان بيك . فتشاور شاهين بيك مع خشدائينه ، فلم يرض أحد من الكبار أن يتقلد ذلك . ثم وقع اختيارهم على شخص من المماليك يسمى يحيى ، وأرسلوه الى الباشا . فخلع عليه ، وأمره بالسفر الى المنية . فأخذ في قضاء أشغاله ، وعدى الى بر الجيزة .

١٥ منه (١٣ فبراير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بأن بونابارته الخازندار وصل الى المنية بعد الواقعة ، ياسين بيك محصور بها ، فأرسل اليه يستدعيه الى الطاعة ، وأطلعه على المكاتبات والمراسيم التي بيده من الباشا خطابا له وللأمراء الحاضرين والغائبين المصرية . وفي ضمنها : « ان أبى ياسين بيك عن الدخول في الطاعة ، واستمر على عناده وعصيانه .. فان بونابارته والأمراء المصرية يحاربونه » . فعند ذلك نزل ياسين بيك على حكم بونابارته . وحضر عنده ، بعد أن استوثق منه بالأمان ، ووصلت الأخبار بذلك الى مصر . وخرجت العربان المحصورون بالمنية بعد أن صالحوا على أنفسهم ، وفتحوا لهم طريقا ، وذهبوا الى أماكنهم . واستلم بونابارته المنية ، فأقام بها يومين ، وارتحل عنها وجضر الى مصر .

١٩ منه (١٧ فبراير ١٨٠٨ م) :

حضر ياسين بيك الى ثغر بولاق ، وركب في صباحها وطلع الى القلعة . فعوقه الباشا وأراد قتله . فتعصب له عمر بيك الأرثوودي وصالح قوج وغيرهما ، وطلعوا في يوم الجمعة ... وقد رتب الباشا عساكره وجنده ، وأوقفهم بالأبواب الداخلة

والخارجة وبين يديه . وتكلم عمر بيك وصالح أغا مع الباشا في أمره ، وأن يقيم بمصر . فقال الباشا : « لا يمكن أن يقيم بمصر ... والساعة أقتله وأنظر أى شيء يكون » . فلم يسمع المتعصين له الا الامتثال . ثم أحضره ، وخلع عليه فروة ، وأنعم عليه بأربعين كيسا . ونزلوا بصحبته بعد الظهر الى بولاق . وسافر الى دمياط ليذهب الى قبرص ومعه محافظون .

٢٠ منه (١٨ فبراير ١٨٠٨ م) :

حضر بونابارته الخازندار من المنية الى مصر . وانقضت السنة .

وأما من مات فيها ممن له ذكر . فمات الشيخ العلامة ، بقية العلماء والفضلاء والصالحين ، الورع القانع : الشيخ أحمد بن على بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوى الذهبى الشافعى الزير .

ولد ببلدة « برما » بالمنوفية سنة ١١٣٨ ، ونشأ بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المعاصرى ، ثم انتقل الى مصر ، فجاور بالمدرسة الشيخونية بالصليية ، وتخرج في الحديث على الشيخ أحمد البرماوى ، وحضر دروس مشايخ الأزهر : كالشيخ محمد فارس والشيخ على قاتباى والشيخ الدفرى والشيخ سليمان الزيات والشيخ الملوى والشيخ المدابغى والشيخ الغنيمى والشيخ محمد الحفنى وأخيه الشيخ يوسف وعبد الكريم الزيات والشيخ عمر الطحلاوى والشيخ سالم النفراوى والشيخ عمر الشنوائى والشيخ أحمد رزه والشيخ سليمان البسوسى والشيخ على الصعيدى .

وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة ، ولازم الاقراء . وكان منجمعا عن الناس ، قانعا راضيا بما قسم له ، لا يزاحم على الدنيا ، ولا يتداخل في أمورها .

وأخبرني ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى :
أنه ولد بصيرا ، فأصابه الجدري ، فطمس بصره في
صغره ، فأخذته عم أبيه الشيخ صالح الذهبي ، ودعا
له ، فقال في دعائه : « اللهم كما أعميت بصره ، نور
بصيرته » . فاستجاب الله دعاءه . وكان قوى الإدراك
ويمشي وحده من غير قائد ، ويركب من غير خادم ،
ويذهب في حوائجه المسافة البعيدة ، ويأتي إلى
الأزهر ولا يحطئ الطريق ، ويتنحي عما عساه
يصبیه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه ، أو
شيء معترض في طريقه . أقوى من ذي بصر فكان
يضرب به المثل في ذلك من شدة التعجب . كما
قال القائل :

ما عماء العيون مثل عمى القلب
فهمذا هو العمى والبلاء
فعماء الميئون تغميض عين
وعماء القلوب فهو الشقاء

ولم يزل ملازما على حالته من الانجماع ،
والاشتغال بالعلم والعمل به ، وتلاوة القرآن ،
وقيام الليل فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن ..
إلى أن توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الأول من
هذه السنة ، وله من العمر أربع وثمانون سنة ،
وصلى عليه بجامع طولون ، ودفن بجوار المشهد
المعروف بالسيدة سكيئة رضي الله عنها ، بجانب
الشيخ البرماوي رحمه الله وبارك في ولده الشيخ
مصطفى ، وأعانه على وقته

ومات العمدة الفاضل ، حاوي الكمالات
والفضائل الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت
الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الشافعي
ولد سنة ١٢٦٣ هـ وتربى في حجر جده ، وتخلق
بأخلاقه ، وحفظ القرآن والألفية والمتون ، وحضر

دروس جده وأخى جده الشيخ يوسف الحفناوي ،
وحضر أشياخ الوقت : كالشيخ علي العدوي
والشيخ أحمد الدردير والشيخ عطية الأجهوري
والشيخ عيسى البراوي وغيرهم .

وتمهر وأنجب ، وأخذ طريق الخلوية عن جده ،
ولقنه الأسماء ولما توفي جده ، ألقى الدروس في
محله بالأزهر ونشأ من صغره على أحسن طريقة
وعفة نفس ، وتباعد عن سفاسف الأمور الدنيوية ،
ولازم الاشتغال بالعلم ، وفتح بيت جده وعمل به
مبياد الذكر كمادته

وكان عظيم النفس مع تهذيب الأخلاق والتبسط
مع الإخوان والممازحة مع تجنبه ما يحل بالمروءة .
وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ولم
يزل على حالته إلى أن توفي يوم السبت رابع شهر
ربيع الأول من السنة وصلى عليه بالأزهر في مشهد
حافل ، ودفن مع جده في تربة واحدة بمقبرة
المجاورين ولم يخلف ذكورا .. رحمه الله

ومات الشيخ العلامة المفيد ، والنحرير المجيد :
محمد الحصافي الشافعي ، الفقيه النحوي القرضي
تلقى العلوم ، وحضر أشياخ الطبقة الأولى ، ودرس
العلوم بالأزهر ، وأفاد الطلبة ، وقرأ الكتب
المفيدة ، وعاش طول عمره منعكفا في زوايا الخمول ،
منعزلا عن الدنيا ، وهي منعزلة عنه ، راضيا بما
قسم الله له ، قانعا بما يسره له مولاه لا يدعي
في وليمة ، ولا ينهمك على شيء من أمور الدنيا
ولم يزل على حالته ، حتى توفي يوم الاثنين
ثالث عشر شوال من السنة

ومات العمدة المفضل : الشيخ محمد عبد الفتاح
المالكي ، من أهالي « كفر حشاد » بالمنوفية .

انتقاله منه . وفتح باب التفتيش على جهات أوقاف الحرمين وغيرها .

وأخاف الناس ، وحضر اليه كتبة الأوقاف ، وجلسوا لمقارفة الناس ، والتعننت عليهم بطلب السندات ، ويهولون عليهم بالأغا المذكور ، يأخذون منهم المصالحات ، ثم ينهون اليه الأمر على حسب أغراضهم ، ويعطونه جزءا ، يأخذون لأنفسهم الباقي . ثم تنبه لذلك ، فطرد غالبهم وشدد على الباقين ، وتساهل مع الناس .

وكان رئيسا عاقلا ، معدودا في الرؤساء . تعمل عنده الدواوين والاجتماعات في مهمات الأمور والوقائع — كما تقدم ذكر ذلك في مواضعه — ثم انه تمريض بذات الرئة شهورا ، ومات في يوم الاثنين رابع شهر صفر .

ومات الأمير سليمان بيك المرادى — وهو من الأمراء الذين تأمروا بعد موت مراد بيك — وكان ظلما غشوما ، ويعرف بريجه (بتشديد الياء) . وسبب تسميته بذلك : أنه كان اذا أراد قتل انسان ظلما يقول لأحد أعوانه : « خذه وريجه » . فيأخذه ويقتله !

ومات في واقعة أسيوط الأخيرة ... أخذت جلة المدفع دماغه ، وقطع ذراعه . وعرفوا قتله بخاتمه الذى فى أصبعه فى ذراعه المقطوع .

ومات سليمان بيك الألفى الذى قتل فى واقعة ياسين بيك بالمنية عند الخندق ... وغير هؤلاء . والله أعلم .

قدم من بلدة صغيرا ، فجاور بالأزهر ، وحضر على أشياخ الوقت ، ولازم دروس الشيخ الأمير وبه تخرج ، وتفق عليه وعلى غيره من علماء المالكية ، وتمهر فى المعقولات وأنجب ، وصارت له ملكة واستحضار . ثم سافر الى بلده ، وأقام بها يفيد ويفتى ، ويرجعون اليه فى قضاياهم ودعوايهم فيقضى بينهم ، ولا يقبل من أحد جعالة ولا هدية . فاشتهر ذكره بالانقليص ، واعتقدوا فيه الصلاح والعفة ، وأنه لا يقضى الا بالحق ، ولا يأخذ رشوة ولا جعالة ، ولا يحابى فى الحق . فامثلوا لقضاياه وأوامره . فكان اذا قضى قاض من قضاة البلدان بين خصمين ، رجعا الى المترجم وأعادا عليه دعواهما فان رأى القضاء صحيحا موافقا للشرع أمضاه ، وامثل الخصم الآخر ولا يمانع بعد ذلك أبدا ، ويدعن لما قضاه الشيخ لعلمه أنه لا لغرض دينوى . والا أخبرهم بأن الحق خلافه . فيمثل الخصم الآخر .

ولم يزل على حالته .. حتى كان المولد المعتاد بطندتا . فذهب ابن الشيخ الأمير الى هناك ، فأتى لزيارة ابن شيخه ، ونزل فى الدار التى هو نازل فيها ، فانهدمت الجهة التى هو بها ، وسقطت عليه ، فمات شهيدا مردوما ومعه ثلاثة أنفار من أهالى قرية « العكروت » ، وذلك فى أوائل شهر الحجة . ولم يخلف بعده مثله ، رحمه الله .

ومات الأمير سعيد ، أغا دار السعادة ، العثمانى الجبشى . قدم الى مصر بعد مجيء يوسف باشا الوزير فى أهبة ، ونزل بدرج الجماميز فى البيت الذى كان نزل به شريف أفندى الدفتردار ، بعد

الجمعة ٦ منه (٤ مارس ١٨٠٨ م) :

حضر مرزوق بيك ، وسليم بيك المحرمجي ، وعلى كاشف الصابونجي المرسل . فطلعوا الى القلعة ، وقابلوا الباشا . وخلع على مرزوق بيك والمحرمجي فروتين ، ونزلا الى دورهما . ثم ترددوا وطلعوا ونزلوا وبلغوا رسائل الأمراء القبليين ، وذكروا مطالبهم وشروطهم وشروط الباشا عليهم ، والاتفاق في تقرير الصلح والمصالحة عدة أيام .

وفيه : حضر عرب الهنادى والجهنة وصالحوا على أنفسهم ، وأن يرجعوا الى منازلهم بالبحيرة . ويتردوا أولاد على — وكانوا تغلبوا على الاقليم ، وحصل منهم الفساد والافساد — وكانت مصالحتهم بيد شاهين بيك الألفى ، وسافر معهم شاهين بيك وخشداشيه ، ولم يبق بالجيزة سوى نعمان بيك ، وذهبوا الى ناحية دمنهور ، وارتحل أولاد على الى حوش ابن عيسى . وذلك أواخر المحرم .

ثم ان شاهين بيك ركب بمن معه وحاربوهم ، ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وقتل فيها شحصان من كبار الأجناد الألفية ، وهم : عثمان كاشف وآخر ، ونحو ستة ممالك ، وقتل جملة كثيرة من العرب ، وانكشف الحرب عن هزيمة العرب ، وأسروا منهم نحو الأربعين ، وغنموا منهم غنائم كثيرة من أغنام وجمال . وتفرقوا وتشتتوا ، وذهبوا الى ناحية قبلى والقيوم ... وذلك في شهر صفر .

ملحوظة : لم يرد شيء عن شهرى صفر وربيع الاول ، ولعل ذلك لعدم وجود حوادث بهما .

المحرم

الأحد غرته (٢٨ فبراير ١٨٠٨ م) :

برز القابجي ، المسمى بيانجي بيك ، الى السفر على طريق البر . وخرج الباشا لوداعه .

وهذا القابجي كان حضر بالأوامر بخروج العساكر للبلاد الحجازية ، وخلاص البلاد من أيدي الوهابية . وفي مراسيمه التي حضر بها : التأكيد والحث على ذلك . فلم يزل الباشا يخادعه ، ويعده بانفاذ الأمر ، ويعرفه أن هذا الأمر لا يتم بالعجلة ، ويحتاج الى استعداد كبير ، وانشاء مراكز في القلزم ... وغير ذلك من الاستعدادات .

وعمل الباشا ديوانا جمع فيه الدفتردار والمعلم غالى والسيد عمر والمشايخ . وقال لهم : « لا يخفاكم أن الحرمين استولى عليها الوهابيون ، ومثوا أحكامهم بها . وقد وردت علينا الأوامر السلطانية ، المرة بعد المرة ، للخروج اليهم ومحاربتهم وجلاتهم وطردهم عن الحرمين الشريفين . ولا تخفى عنكم الحوادث والوقائع التي كانت سببا في التأخير عن المبادرة في امتثال الأوامر . والآن حصل الهدوء ، وحضر قابجي باشا بالتأكيد والحث على خروج العساكر وسفرهم . وقد حسينا المصاريف اللازمة في هذا الوقت فبلغت أربعة وعشرين ألف كيس .. فأعملوا رأيكم في تحصيلها . فحصل ارتباك واضطراب ، وشاع ذلك في الناس ، وزاد بهم الوسواس . ثم اتفقوا على كتابة عرضحال ليصحبه ذلك القابجي معه .. بصورة نمقوها .

ربيع الآخر

الأحد ١٠ منه (٥ يونية ١٨٠٨ م) :

حضر شاهين بك وباقي الألفية .

الأربعاء ٢٠ منه (١٥ يونية ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بموت شاهين بك المرادى . فخلع الباشا على سليم بك المخرمجى ، وجعله كبيرا ورئيسا على المرادية ، عوضا عن شاهين بك ، وسافر الى قبلى

وفيه حضر أيضا أمين بك الألفى من غيبته . وكان مسافرا مع الانكليز الذين كانوا حضروا الى الاسكندرية ورشيد ، وحصل لهم ما حصل ... فلم يزل غائبا حتى بلغه صلح خشداسبه مع الباشا ، فرجع وطلع على رده . فأرسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم ، وحضر فى التاريخ المذكور .

وفيه : زوج الباشا شاهين بك سرية ... انتقتها زوجة الباشا ونظمتها وفرش له سبعة مجالس بقصر الجيزة ، وجمعوا لذلك المنجدين ، وتقيد بتجهيز الشوار والأقمشة واللوازم الخواجا محمود حسن وكذلك زوج نعمان بك سرية أخرى ، وسكن بيت المشهدى بدرج الدليل ... بعد أن عمرت له الدار ، وفرشت على طرف الباشا وكذلك تزوج عمر بك بجارية من جوارى الست نفيسة المرادية ، وجهازها نفيسا من مالها وتزوج أيضا على كاشف الكبير الألفى بزوجة أستاذة .

جمادى الأولى

(يونية - يولية ١٨٠٨ م) :

سافر مرفوق بك بعد تقرير أمر الصلح بينه وبين الأمراء المصريين القبلى وقلد الباشا مرزوق بك ولابة جرجا وامارة الصعيد ، وألبسه الحلعة ، وشرط عليه ارسال المال والغلال الميرية . فعند

ذلك اطمانت الناس ، وسافرت السفار والمتسبيون ، ووصل الى السواحل مراكب الغلال ، والأشياء التى تجلب من الجهة القبلى .

جمادى الآخرة

قطع الباشا مرتب الدلاة الأغراب ، وأخرجهم ، وعزل كبيرهم الذى يسمى كردى بوالى ، الساكن ببولاق وفلد ذلك مصطفى بك من أقاربه ، وجعله كبيرا على طائفة الدلاتية الباقين ، وضم اليهم طائفة من الأتراك .. ألبسهم طراير وجعلهم دلاتية وسافر كردى بوالى لبلاده فى منتصف الشهر ، وخرج صحته عدة كبيرة من الدلاة

اواخره (اواخر اغسطس ١٨٠٨ م) :

وردت الأخبار من اسلامبول وذلك أن طائفة من النكجارية تعصبت ، وقامت على السلطان سليم ... وعزلوه ، وأجلسوا مكانه السلطان مصطفى . وأبطلوا النظام الجديد ، وقتلوا دفتر دار النظام الحديد وكتحدوا الدولة ودفتر دار الدولة وغيرهم ، وقطعوه فى « أت ميدان » ، بعد أن تغيبوا واختفوا فى أماكن ... حتى فى بيوت النصارى . واستدلوا عليهم واحدا بعد واحد ، فكانوا بسحبون الأمير منهم المترفة ، على صورة منكورة ، الى « أت ميدان » فيقتلونه ، وبعضهم قطعوه فى الطريق وسكن الحال على سُلطنة السلطان مصطفى بن عبد الحميد .

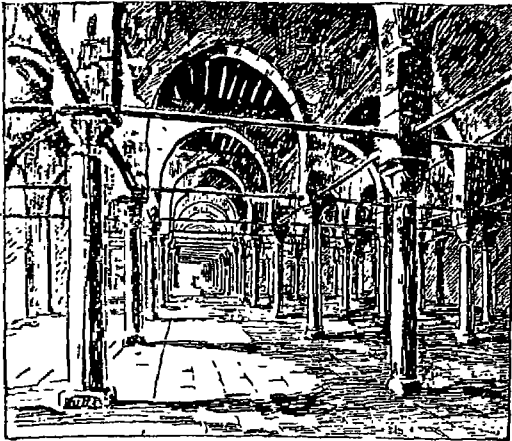
وكان السلطان سليم — عندما أحس بحركة النكجارية — أرسل يستنجد ويستدعى مصطفى باشا البيرقدار ، وكان « برشق » بالرملى بمخيم العرضى المتعين على حرب الموسكوب ، ووصل خبر الواقعة الى من بالعرضى ، فأقام أيضا النكجارية الفتنة بالعرضى ، وقتلوا أغاة العرضى وخلافه .

السبت ٢٧ منه (٢٠ أغسطس ١٨٠٨ م - ١٥ مسرى ١٥٢٤ ق) :

نقص النيل نحو خمسة أصابع . وانكشف الحجر الراقذ الذى عند فم الخليج تحت الحجر القائم . فضج الناس ، ورفعوا الغلال من الرقع والعرصات والسواحل . وانزعجت الخلائق بسبب شحة النيل فى العام الماضى ، وهيفان الزرع ، وتنوع المظالم ، وخراب الريف وجلاء أهله .

واجتمع فى ذلك اليوم المشايخ عند الباشا ، فقال لهم : « اعملوا استسقاء ، وأمروا الفقراء والضعفاء والأطفال بالخروج الى الصحراء وادعوا الله » . فقال له الشيخ الشرقاوى : « ينبغى أن ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم » . فقال : « أنا لست بظالم وحدى ، وأنتم أظلم منى ... فانى رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم اكراما لكم .. وأنتم تأخذونها من الفلاحين ا وعندى دفتر محرر فيه ما تحت أيديكم من الحصص يبلغ ألفين كيس . ولا بد انى أفحص عن ذلك . وكل من وجدته يأخذ الفرض المدفوعة من فلاحينه ، أرفع الحصاة عنه » . فقالوا له : « لك ذلك » .

ثم اتفقوا على الخروج والسقيا فى صبحها بجامع عمرو بن العاص — لكونه محل الصحابة والسلف الصالح — يصلون به صلاة الاستسقاء ..



جامع عمرو بن العاص

وهرب الرئيس وخلافه عند مصطفى باشا المذكور — وقد وصله مراسلة السلطان سليم — فحركوا همته على القيام بنصرة السلطان سليم على الإنكجارية ، فركب من العرضى فى عدة وافرة ، وحضر الى اسلامبول ، وشق بجمعه وعسكره من وسطها فى كبكة حتى وصل الى باب السراية ، فوجده مغلوقا ، فأراد كسره أو حرقه ... الى أن فتحوه بالعنف . وعبر الى داخل السراية ، وطلب السلطان سليم فعند ذلك أرسل السلطان مصطفى المتولى جماعة من خاصته فدخلوا على السلطان سليم فى المكان الذى هو مختف به ، وقتلوه بالخناجر والسكاكين حتى مات ، وأحضروه ميتا الى مصطفى باشا البيرقدار ، وقالوا له : « ها هو السلطان سليم الذى تطلبه » . فلما رآه ميتا بكى وتأسف .

ثم انه عزل السلطان مصطفى ، وأحضر محمودا أخاه ابن عبد الحميد ، وأجلسه على تخت الملك . ونودى باسمه — وكان ذلك يوم الخميس خامس جمادى الثانية من السنة — وعمره ثلاث وعشرون سنة . ومات السلطان سليم وعمره احدى وخمسون سنة ، لأنه ولد سنة ١١٧٢ . ومدة ولايته نحو العشرين سنة تنقص شهرا

فلما وردت هذه الأخبار ، وتواترت فى مكاتبات التجار والسفار ... خطب بعض الخطباء ، يوم الجمعة سادس عشرينه ، باسم السلطان محمود ، وبعضهم أطلق فى الدعاء ولم يذكر الاسم . وفيه : قوى عزم الباشا على السفر الى جهة دمياط ورشيد والاسكندرية فطلب لوازم السفر ، ووعد بسفره بعد قطع الخليج . واتفق يستعجل بالوفاء ، ويطلب ابن الرداد المقياسى ويسأله عن الوفاء ، ويقول : « اقطعوا جسر الخليج فى غد أو بعد غد » فيقول : « تأمرونا بقطعه قبل الوفاء ؟ » فيقول : « لا » ويقول : « ليس الوفاء بأيدينا » .

رجب

٢ منه (٢٤ أغسطس ١٨٠٨ م) :

وصل الى بولاق راغب افندى - وهو أخو خليل افندى الرجائى ، الدفتردار المقتول - وعلى يده مرسوم بإجراء الخطبة باسم السلطان محمود بن عبد الحميد . وأنزلوه بيت ابن السباعى بالغورية . وضربوا مدافع بالقلعة وشنكا ، ثلاثة أيام ، فى الأوقات الخمسة .. وخطب الخطباء فى صباحها باسم السلطان محمود والدعاء له فى جميع المساجد .

٥ منه (٢٧ أغسطس ١٨٠٨ م) :

سافر محمد على باشا الى بحرى ، ونزل فى المراكب . وأرسل قبل نزوله بأيام بتشكيل الاقامات والكلف على البلاد ، من كل صنف خمسة عشر . وأخلوا له ولمن معه بيوت البنادر - مثل المنصورة ، ودمياط ، ورشيد ، والمحلة ، والاسكندرية - وفرض الفرض والمغارم على البلاد ، على حكم القراريط التى كانوا ابتدعوها فى العام الماضى ... على كل قيراط سبعة آلاف وسبعمئة نصف فضة ، وسماها . كلفة الذخيرة ، وأمر بكتابة دفتر لذلك .

فكتب اليه الروزنامجى « أن الخراب استولى على كثير من البلاد . فلا يمكن تحصيل هذا الترتيب » فأرسل من المنصورة يأمر بتحجير العمار بدفتر مستقل ، والخراب بدفتر آخر .

فلما فعل الروزنامجى ذلك ، أدخل فيها بلادا بها بعض الرmq لتخلص من الفرضه ، وفيها ماهو لنفسه . فلما وصلت اليه ، أمر بتوزيع ذلك الخراب على أولاده وأتباعه وأغراضه - وعدتها مائة وستون بلدة - وأمر الروزنامجى بكتابة تقاسيها بالأسماء التى عينها له . فلم يمكن الروزنامجى

ويدعون الله ويستغفرونه ، ويتضرعون اليه فى زيادة النيل .. وبالجمله ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الأزهر وغيرهم ، والأطفال . واجتمع عالم كثير ، وذهبوا الى الجامع المذكور بمصر القديمة . فلما كان صباحها ، وتكامل الجمع ، صعد الشيخ جاد المولى على المنبر ، وخطب بعد أن صلى صلاة الامتسقاء ، ودعا الله ، وأمن الناس على دعائه . وحول ردهاء . ورجع الناس بعد صلاة الظهر . وبات السيد عمر هناك .

وفى تلك الليلة : رجع الماء الى محل الزيادة الأولى ، واستتر الحجر الراقد بالماء .

الاثنين ٢٩ منه (٢٢ أغسطس ١٨٠٨ م) :

خرجوا أيضا ، وأشار بعض الناس باحضار النصرى أيضا ... فحضروا ، وحضر المعلم غالى ، ومن يصحبه من الكتبة الأقباط ، وجلسوا فى ناحية من المسجد يشربون الدخان ! وانفض الجمع أيضا .

وفى تلك الليلة ، التى هى ليلة الثلاثاء ، زاد الماء ، ونودى بالوفاء . وفرح الناس ، وطلق النصرى يقولون : ان الزيادة لم تحصل الا بخروجنا ...

فلما كانت ليلة الأربعاء : طاف المنادون بالرايات الحمر ، ونادوا بالوفاء ، وعمل الشنك والوقدة ... تلك الليلة على العادة

وفى صباحها حضر الباشا والقاضى ، واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا لعلو أرض الخليج وعدم تنظيفه من الأنزبة المتراكمة فيه من مدة سنين . وكان ذلك يوم الأربعاء غرة شهر رجب وتاسع عشر مسرى القبطى .

أن يتلافى ذلك فتظهر خيائته . ووزعت وارتفعت
عن أصحابها .

وكذلك حصل باقليم البحيرة ، لما عيها الخراب
وتعطل خراجها ، وطلبوا الميرى من المتزمين .
فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب . فرفعوها عنهم ،
وفرقها الباشا على أتباعه . واستولوا عليها ،
وطلبوا الفلاحين الشاردة ، والمتسحبة من البلاد
الأخر ، وأمروهم بسكنائها .

وزادوا في الطنبسور نغمات ، وهو
أنهم صاروا يتتبعون أولاد البلد ، وأرباب
الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى ، وذلك
باغراء أتباعهم وأعوانهم .. فيكون الشخص منهم
جالسا في حانوته وصناعته ، فما يشعر الا والأعوان
محيطون به يطلبونه الى مخدومهم . فان امتنع أو
تلكأ ، سحيوه بالقهر ، وأدخلوه الى الحبس ،
وهو لا يعرف له ذنبا . فيقول : « وما ذنبى ؟ » .
فيقال له : « عليك مال الطين » . فيقول : « وأى
شئ يكون الطين ؟ » . فيقولون له : « طين
فلاحتك ... من مدة سنين لم تدفعه ، وقدره كذا
وكذا » . فيقول : « لا أعرف ذلك ، ولا أعرف
البلد ، ولا رأيتها في عمرى ... لا أنا ولا أبى ولا
جدى ا » . فيقال له : « ألسن فلانا ... الشبراوى
أو المنيأوى مثلا ؟ » فيقول لهم : « هذه نسبة قديمة
سرت الى من عمى أو خالى أو جدى .. » . فلا يقبل
منه ، ويحبس ويضرب حتى يدفع ما ألزموه به ،
أو يجد شافعا يصلح عليه . وقد وقع ذلك لكثير
من المتسببين والتجار وصناع الحرير وغيرهم .
ولم يزل الباشا في سيره حتى وصل الى دمياط ،
وفرض على أهلها أكياسا ، وأخذ من حكائمه
هدايا وتقادم . ثم رجع الى سنود ، وركب في
البر الى المحلة ، وقبض مافرضه عليها ، وهو
خمسون كيسا ، نقصت سبعة أكياس ... عجزوا

عنها بعد الحبس والعقاب . وقدم له حاكمها ستين
جملا وأربعين حصانا خلاف الأقمشة المحلاوية مثل
الزردخانات والمقاطع الحرير ، وما يصنع بالمحلة من
أنواع الثياب والأمتعة ، صناعة من بقى بها من
الصناع .

ثم ارتحل عنها ورجع الى بحر منوف ، وذهب
الى رشيد والاسكندرية . ولما استقر بها عبي هدية
الى الدولة ، وأرسل الى مصر فطلب عدة قناطير
من البن ، والأقمشة الهندية ، وسبعمئة أردب أرز
أيض .. أخذت من بلاد الأرز . وأرسل الهدية
صحبة ابراهيم افندى المهردار . وحضر اليه ، وهو
بالاسكندرية ، قابجى من طرف مصطفى باشا
البيرقدار الوزير برسالة ورجع بالجواب على أثره .
ولم يعلم ما دار بينهما .

شعبان

الخميس ١٥ منه (٦ أكتوبر ١٨٠٨ م) :

حضر محمد على باشا من غيبته ، وطلع على
ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره ، وذهب
الى داره بالأزبكية . ثم طلع فى ثانى يوم الى
القلعة ، وضربوا لقدموه مدافع .

رمضان

الجمعة غرته (٢١ أكتوبر ١٨٠٨ م) :

وردت الأخبار بحرق القمامة القدسية ، وظهر
حريقها من كنيسة الأروام .
وفيه : سافر عدة من العسكر والدلاة وعمر
بيك الألفى ، ومعه طائفة من المماليك ، الى البحيرة
بسبب عريان أولاد على . فانهم كانوا بعد الحوادث
المتقدمة نزلوا بالاقليم ، وشاركوا ، وزرعوا مثل
ما كان عليه الهنادى والجهة . فلما اصطلح الألفية
مع الباشا ، توسط شاهين بيك فى صلح الهنادى
والجهة على قدر ، وذلك لما كان بينهم وبين أستاذه

من النسابة . ونزل صحبتهم الى البحيرة ، وعمرهم بأرضها كما كانوا أولا ، وطرده أولاد علي وحاربهم ، ومكن الهنادى والجهنة ، ورجع الى الجيزة .

فراسل أولاد علي الباشا بوساطة بعض أهل الدولة ، وعملوا للباشا مائة ألف ريال على رجوعهم للبحيرة واخراج الهنادى . فأجابهم طمعا في المال . فحقق أولئك وعصوا ، وحاربوا أولاد علي ، ونهبوا وقالوا منهم بعد أن كانوا ضيقوا عليهم .

وحصلت اختلافات ، وامتنع أولاد علي من دفع المال الذى قرروه على أنفسهم ، واجتمعوا بحوش ابن عيسى . فأرسل اليهم الباشا عمر بيك المذكور ومن معه ، فحاربوهم مع الهنادى . فظهر عليهم أولاد علي وهزموهم ، وقتل من الدلاة أكثر من مائة ، وكذلك من العسكر ، ونحو الخمسة عشر من المماليك . فأمر الباشا بسفر عساكر أيضا ، وصحبته نعمان بيك وخلافه . وسافرت طائفة من العرب الى ناحية الفيوم ، فأرسلوا لهم عدة من العسكر .

آخره (١٩ نوفمبر ١٨٠٨ م) :

سافر أيضا شاهين بيك وباقي الألفية ، خلاف أحمد بيك ، فانه أقام بالجيزة .

وفيه : نودى على المعاملة بأن يكون صرف الريال الفرنسا بمائتين وعشرين ، وكان بلغ في مصارفته الى مائتين وأربعين . والمحجوب بمائتين وخمسين ، فنودى علو صرفه بمائتين وأربعين وذلك كله من عدم الفضة العددية بأيدي الناس والصيارف لتحكيهم عليها ، ليأخذها تجار الشام بفرط في مصارفتها تضم للميرى ... فيدور الشخص على صرف القرش الواحد ، فلا يجد صرفه الا بعد جهد شديد ، ويصرفه الصراف أو خلافه للمضطر بنقص نصفين أو ثلاثة .

وفيه : سافر أيضا حسن الشاشرجى ولحق بالمجردين .

وفيه : ورد الخبر بأن محو بيك ، كاشف البحيرة ، قبض على السيد حسين نقيب الأشراف بدمهور ، وأهانته وضربه وصادره ، وأخذ منه ألفى ريال بعد أن حلف أنه أن لم يأت بها في مدة أربع وعشرين ساعة ، والا قتله . فوقع في عرض النصارى المباشرين ، فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة . وكذلك قبض على رجل من التجار ، وقرر عليه جملة كثيرة من المال . فدفع الذى حصلته يده . وبقي عليه باقى ما قرره عليه . فلم يزل في حبسه حتى مات تحت العقوبة . فطلب أهله رمتة . فحلف لا يعطيها لهم حتى يكون ابنه في الحبس مكانه ! ومن الحوادث الساوية : أن في سابع عشرين رمضان غيبت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى ، وأمطرت بردا في مقدار بيض الدجاج وأكبر وأصغر فهدمت دورا ، وأصاب أفعاما .. غير أنها قتلت الدودة من الزرع البدرى .

شذال

أواخره (حوالى منتصف ديسمبر ١٨٠٨ م) : حضر شاهين بيك الألفى من ناحية البحيرة ، وذلك بعد ارتحال أولاد علي من الاقليم .

وفيه أيضا : حضر سليمان كاشف البواب من ناحية قبلى ، وصحبته عدة من المماليك ، وأربعة من الكشاف فقابل الباشا وخلع عليه ، وأنزله بيت طنان بسوق العزى ، وسكن بها . وحضر مطرودا من اخوانه المرادية .

ذوالقعدة

الاثنين غرته (١٩ ديسمبر ١٨٠٨ م) :

فيه : عزل الباشا السيد المعروقى عن نظارة الضربخانة ، ونصب بها شخصا من أقاربه .

السبت ١٣ منه (٢١ ديسمبر ١٨٠٨ م) :

نزل والى الشرطة ، وأمامه المساعدة على ما يستقرضه الناس من العسكر بالربا والزيادة .. على أن يكون على كل كيس ستة عشر قرشا في كل شهر لاغير — والكيس عشرون ألف نصف فضة ، وهو الكيس الرومى — وذلك بسبب ما انكسر على المحتاجين والمضطرين من الناس من كثرة الربا لضيق المعاش ، واقطاع المكاسب ، وغلو الاسعار ، وزيادة المكوس . فيضطر الشخص الى الاستدانة فلا يجد من يداينه من أهل البلد ، فيستدين من أحد العسكر ، ويحسب عليه على كل كيس خمسين قرشا في كل شهر . واذا قصرت يد المديون عن الوفاء ، أضافوا الزيادة على الأصل . وبطول الزمن تفحش الزيادة ، ويؤول الأمر لكشف حال المديون .

وجرى ذلك على كثير من مساكين الناس ، وباعوا أملاكهم ومتاعهم . والبعض لما ضاق به الحال ، ولم يجد شيئا ، خرج هاربا ، وترك أهله وعياله خوفا من العسكرى وما يلاقى منه ، وربما قتله . فأعرض بعض المديونين الى الباشا . فأمر بكتابة هذا البيورلدى ، ونزل به والى الشرطة ، ونادى به فى الأسواق . فعد ذلك من غرائب الحكام ... حيث ينادى على الربا جهارا فى الأسواق ، من غير احتشام ولا مبالاة ، لأنهم لا يرون ذلك عيبا فى عيذتهم !

الأربعاء ٢٤ منه (١١ يناير ١٨٠٩ م) :

غضب الباشا على محويك الكبير ، الذى كان كاشفا بالبحيرة ، ونفاه الى أبى قير وأخذ أمواله ، وأنعم ببيته — وهو بيت حسين أغا شنن بحارة عابدين — وما بها من الخيل والجمال والجنوار والخيام والمتاع ، على محويك الصغير الأورفلى .

ذواجة

غزته (١٨ يناير ١٨٠٩ م) :

وصلت الأخبار من اسلامبول بوقوع فتنة عظيمة . وأنه لما حصل ما حصل فى منتصف السنة من دخول مصطفى باشا البيرقدار على الصورة المذكورة ، وقتل السلطان سليم ، وتولية السلطان محمود ، وخذلان النيكجيرية وقتلهم ونفيهم ، وتحكم مصطفى باشا فى أمور الدولة ... واستمر من بقى منهم تحت الحكم ، فأجمعوا أمرهم ، ومكروا مكروهم . وحذر بعضهم مصطفى باشا من المذكورين ، فلم يكثر بذلك ، واستهون أمرهم ، واحتقر جانبهم ، وقال : « أى شىء هؤلاء ؟ .. مناوئرى » بمعنى أنهم يباغون الفاكهة . فكان حاله كما قيل :

فلا تحتقر كيد العدو فربما

تموت الأفاعى من سموم العقارب

ثم انهم تحزبوا وحضروا الى سرايته على حين غفلة ، بعد السحور ، ليلة السابع والعشرين من رمضان — وجماعته وطائفته متفرقون فى أماكنهم — فحرقوا باب السراية ، وكبسوا عليه . فقتل من قتل من أتباعه ، وهرب من هرب على حمية . واختفى مصطفى باشا فى سرداب فلم يجدوه ، وأوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب . وخاف السلطان ، لأن سراية الوزير بجناوب السراية السلطانية ، ففتح باب السراية التى بناحية البحر ، وأرسل يستعجل قاضى باشا بالحضور ، وكذلك قبطان باشا .. فحضرا الى السراية ، واشتد الحرب بين الفريقين ، وأكثر النيكجيرية من الحريق فى البلدة ، حتى أحرقوا منها جانبا كبيرا .

فلما غاب السلطان ذلك ... هاله ، وخاف من عموم حريق البلدة — وهو ومن معه محصورون

بالسرابة يوماً وليلة — فلم يسمعه الا تلافى الامر .
فراسل كبار الينكجرية ، وصالحهم . وأبطلوا
الحرب ، وشرعوا فى اطفاء الحريق . وخرج قاضى
باشا هاربا ، وكذلك قبودان باشا — وهو عبد الله
رامز أفندى الذى كان فى أيام الوزير بمصر — ثم
انهم أخرجوا مصطفى باشا من المكان الذى اختفى
فيه ميتا من تحت الردم ، وسحبوه من رجليه الي
خارج ، وعلقوه فى شجرة ، ومثلوا به ، وأكثروا
على رمته من السخرة ا

وعند وقوع هذه الحادثة ، ومجئ قاضى باشا
— وكان من أغراض السلطان مصطفى المنفصل —
فحاف السلطان أن قاضى باشا ، ان غلب على
الينكجرية ، فيعزله ويولى أخاه ، ويرده الى
السلطنة ... فقتل السلطان محمود أخاه مصطفى
خنقا . ثم لما سكن الحال ، عينوا على قاضى باشا
وقتلوه ، وكذلك عبد الله أفندى رامز قبودان
باشا .

وكان مصطفى باشا البيرقدار هذا ، مشكور
السيرة ، يحب اقامة العدل .. والوقت بخلاف
ذلك .

وفيه : قوى الاهتمام بسد ترعة الفرعولية ،
وتعين لذلك شخص يسمى عثمان السلانكلى الذى
كان مباشرا على جسر الاسكندرية .

١٥ منه (اول فبراير ١٨٠٩ م) :

سافر الباشا ، وبصحبه حسن باشا ، لمباشرة
لترعة التى يريدون سدها ، وأمر بوسق الأحجار .
وأفردوا لذلك عدة كثيرة من المراكب تشحن
بالأحجار والأخشاب الكثيرة ، وترجع فارغة ،
وتعود موسوقة فى كل يوم مرة . وأمر بجمع
الرجال من القرى للعمل .

وفيه أيضا : شرع الباشا فى انشاء أبنية بساحل
شبرا — الشهيرة الآن بشبرا المكاسة — وأشيع أن

قصده انشاء سواقى وعمائر وبساتين ومزارع .
وأخذ فى الاستيلاء على ما يحاذى ذلك من القرى
والأطيان والرزق والاقطاعات من ساحل شبرا الى
جهة بركة الحاج ... عرضا .

١٧ منه (٣ فبراير ١٨٠٩ م) :

خرجت عساكر كثيرة الى البر الغربى بقصد
الذهاب الى الفيوم ، صحبة شاهين بك والأفنية ،
بسبب أولاد على الذين كانوا بالبحيرة .

٢٢ منه (٨ فبراير ١٨٠٩ م) :

وصل واحد قابجى وأشيع أنه طلع من بولاق ،
وذهب الى بيت الباشا ، وعلى يده مرسومان :
أحدهما تقرير للباشا على ولاية مصر . والثانى يذكر
فيه أن يوسف باشا المعدنى ، الصدر السابق ، تعين
بالسفر على جهة الشام لتنظيم بلاد العرب والحجاز ،
وأن يقوم محمد على باشا بلوازمه وما يحتاج اليه
من أدوات وذخيرة وغير ذلك . ولم يظهر لذلك
الكلام أثر .

ولما أصبح النهار ، وحضر ذلك القابجى فى
موكب الى بيت الباشا ، وحضر الأشياخ
والأعيان — وكان الباشا غائبا فى الترعة كما
تقدم — وعوضه كتخدأ بيك ، وأكابر دولتهم ،
وقرئت المراسيم ... تحقق الخبر .

واقضت السنة بحوادثها التى لا يمكن ضبط
جزئياتها لعدم الوقوف على حقيقتها .

فمن الحوادث العامة : توالى الفرض والمظالم
المتوالية ، واحداث أنواع المظالم على كل شيء ،
والتزايد فيها ، واستمرار الغلاء فى جميع أسعار
المبيعات والمآكل والمشارب بسبب ذلك ، وفقر أهل
القرى ، ويبيعهم لمواشيهم فى المغارم ، فقل اللحم
والسمن والجبن . وأخذ مواشيهم وأغنامهم من
غير ثمن فى الكلف ، ثم رمى على الجزارين بأعلى

لنمن ، ولا يذبحونها الا في المذبح ، ويؤخذ منهم أسقاطها وجلودها ورؤوسها وروائب الباشا وأهل دولته ثم يذهبون بما يبقى لهم لحوانيتهم . فتباع على أهل البلد بأعلى ثمن حتى يخلص للجزار رأس ماله . وإذا عثر المحتسب على جزار ذبح شاة اشتراها في غير المذبح ، قبض عليه وأشهره ، وأخذ ما في حانوته من اللحم من غير ثمن ثم يحبس ويضرب ويغرم مالا ، ولا يغفر ذنبه ، ويسمى خائنا وفلاتيا !

ومنها : انقطاع الحج الشامي والمصرى ، معتلين بمنع الوهابى الناس عن الحج .. والحال ليس كذلك فانه لم يمنع أحدا يأتى الى الحج على الطريقة المشروعة ، وانما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التى لا يجيزها الشرع : مثل المحمل والطبل والزمير وحمل الأسلحة . وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة ، وحجوا فرجعوا في هذا العام وما قبله ، ولم يتعرض لهم أحد بشيء .

ولما امتنعت قوافل الحج المصرى والشامى ، وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التى كانوا يتعيشون منها .. خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ، ولم يمكث الا الذى لبس له ايراد من ذلك ، وآتوا الى مصر والشام . ومنهم من ذهب الى اسلامبول يتشكون من الوهابى ، ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التى كانوا عليها : من اجراء الأرزاق ، واتصال الصلات ، والنيابات والخدم في الوظائف التى بأساء رجال الدولة ، كالفراسة والكناسة ونحو ذلك ، ويذكرون أن الوهابى استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ، ونقلها وأخذها ... فيرون أن أخذه لذلك من الكبائر العظام .

وهذه الأشياء أرسلها ووضعها خساف العقول من

الأغنياء والملوك والسلطين الأعاجم وغيرهم : اما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتى بعدهم ، أو لنوائب الزمان . فتكون مدخرة ومحفظة لوقت الاحتياج اليها ، فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء . فلما تقادمت عليها الأزمنة ، وتوالت عليها السنين والأعوام الكثيرة — وهى في الزيادة — ارتصدت معنى لاهقية ، وارتسم في الأذهان حرمة تناولها ، وأنها صارت مالا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز لأحد أخذها ولا اتقاقها . والنبي عليه الصلاة والسلام منزّه عن ذلك ، ولم يدخر شيئا من عرض الدنيا في حياته . وقد أعطاه الله الشرف الأعلى ، وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب ، واختار أن يكون نبيا عبدا ، ولم يختار أن يكون نبيا ملكا . وثبت في الصحيحين وغيرهما أنه قال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » . وروى الترمذى بسنده عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا . قلت : لا يارب . ولكن أشبع يوما وأجوع يوما — أو قال : ثلاثا ، أو نحو ذلك — فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، وإذا شبت شكرتك وحمدتك » .

ثم ان كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول ، ومحبة فيه ، فهو فاسد .. لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد ... انما هى أوساخ الناس » . ومنع بنى هاشم من تناول الصدقة وحرما عليها . والمراد الانتفاع في حال الحياة لا بعدها فان المال أوجده المولى سبحانه وتعالى من أمور الدنيا ، لا من أمور الآخرة قال تعالى : « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد » . وهو من جملة السبعة التى ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله

به أحد ... ألا ما يختلسه العبيد الخصيون الذين
يقال لهم أغاوات الحرم .

والفقراء من أولاد الرسول ، وأهل العلم ،
وال محتاجون وأبناء السبيل ، يموتون جوعاً ...
وهذه الذخائر محجور عليها ، وممنوعون منها .
الى أن حضر الوهابي ، واستولى على المدينة ،
وأخذ تلك الذخائر . فبقال : انه عبي أربعة سحاحين
من الجواهر المحلاة بالأماس والياقوت ، العظيمة
القدر . ومن ذلك : أربع شمعانات من الزمرد ،
وبدل الشبعة قطعة الماس مستطيلة يضيء نورها في
الظلام ، ونحو مائة سيف : قراياتها ملبسة بالذهب
الخالص ، ومنزل عليها الماس والياقوت ، ونصابها
من الزمرد واليشم ونحو ذلك ، وسلاحها من
الحديد الموصوف — كل سيف منها لقيمة له
وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين
وغير ذلك .

ومنها : أن الباشا عزم على عمارة المجرة التي
تنقل الماء الى القلعة . وقد خربت وتلاشى أمرها ،
وتهدمت قناطرها ، وبطل قتل الماء عليها من نحو
عشرين سنة . فقيد بعمارتها محمد أفندي طبل
ناظر المهمات ، فعمرها ، وأجرى الماء بها في أواخر
الشهر الماضي .

ومنها : أحداث عدة مكوس على أصناف
كثيرة ، منها على بضاعة اللبان عن كل قطعة
ثلثائة نصف فضة . وكذلك على صنف الحناء ،
عن كل مخلة عشرة أنصاف . وكذلك الموزونات ،
كل مائة درهم أربعة دراهم : على البائع درهمان ،
وعلى المشتري درهمان . وغير ذلك حوادث
كثيرة لا نعلمها .

وأما من مات بها ممن له ذكر :
فمات الأجل المبجل ، والمجترم المفضل : السيد

تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع
الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » . فهذه السبعة
بها تكون الخبائث والقبايح . وليست هي في نفسها
أموراً مذمومة ، بل قد تكون معينة على الآخرة
إذا صرفت في محلها

وعن مطرف ، عن أبيه قال : « أتيت النبي صلى
الله عليه وسلم ، وهو يقرأ « ألهاكم التكاثر » . قال :
يقول ابن آدم : مالي مالي .. فهل لك يا ابن آدم من
مالك الا ما أكلت فأفنيته ، أو لبست فأبليت ، أو
تصدقت فأمضيت » الى غير ذلك .

ومحبة الرسول بتصديقه واتباع شريعته
وسنته ، لا بمخالفة أوامره ، وكنز المال بحجته
وحرمات مستحقيه من الفقراء والمساكين ، وباقي
الأصناف الثمانية .

وان قال المخسر : أكنزها لنوائب الزمان ،
ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند
الحاجة اليها . قلنا : قد رأينا شدة احتياج ملوك
زماننا ، واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم
من قرانات الاقربان ، وخلو خزائنهم من الأموال
التي أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم .
فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة ... بكفالة
أحد الفرق من الاقربان المسالين لهم . واحتالوا على
تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس
والمصادرات والطلبات ، والاستيلاء على الأموال
بغير حق .. حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم ، ولم
يأخذوا من هذه المدخرات شيئاً ... بل ربما كان
عندهم أو عند خونداتهم جوهر نفيس من بقاء
المدخرات ، فيرسلونه هدية الى الحجرة ، ولا
ينتفعون به في مهماتهم ، فضلاً عن اعطائه لمستحقه
من المحتاجين . وإذا صار في ذلك المكان لا ينتفع

خليل البكرى الصديقى — ووالدته من ذرية شمس الدين الحنفى — وهو أخو الشيخ أحمد البكرى الصديقى الذى كان متوليا على سجادتهم . ولما مات أخوه لم يلها المترجم ، لما فيه من الرعونة ، وارتكابه أمورا غير لائقة ، بل تولاهما ابن عمه السيد محمد أفندى — مضافة لنقابة الأشراف — فتنازع مع ابن عمه المذكور ، وقسموا البيت الذى هو مسكنهم بالأزبكية نصفين ، وعمر منابه عمارة متقنة ، وزخرفة ، وأنشأ فيه بستانا زرع فيه أصناف الأشجار والفواكه .

فلما توفى السيد محمد أفندى ، تولى المترجم مشيخة السجادة ، وتولى نقابة الأشراف السيد عمر مكرم الأسيوطى . فلما طرق البلاد الفرنساوية ، تداخل المترجم فيهم . وخرج السيد عمر مع من خرج هاربا من الفرنساوية الى بلاد الشام .

وعرف المترجم الفرنساوية أن النقابة كانت لبيتهم ، وأنهم غصبوها منه ... فقلدوه إياها . واستولى على وقفها وإيرادها ، وانفرد بسكن البيت ، وصار له قبول عند الفرنساوية . وجعلوه من أعظم رؤساء الديوان الذى كانوا نظموه لاجراء الأحكام بين المسلمين فكان وافر الحرمة ، مسموع الكلمة ، مقبول الشفاعة عندهم . فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى ، واجتمع عنده ممالك من ممالك الأمراء المصرية — الذين كانوا خائفين ومتغيين — وعدة خدم وقواسم ، ومقدم كبير وسراجين وأجناد .

واستمر على ذلك الى أن حضر يومئذ باشا الوزير فى المرة الأولى التى انتقض فيها الصلح ، ووقعت الحروب فى البلدة بين العثمانية والفرنساوية والأمراء المصرية وأهل البلدة . فهجم على داره المتهورون من العامة ونهبوه ، وهتكوا حريمه ، وعروه من ثيابه ، وسحبوه بينهم مكشوف الرأس

من الأزبكية الى وكالة ذى الفقار بالجمالية — وبها عثمان كتخدا الدولة — فشنع فيه الحاضرون ، وأطلقوه بعد أن أشرف على الهلاك . وأخذ الخواجة أحمد بن محرم الى داره ، وأسكن روعه ، وألبسه ثيابا وكرمه . وبقي بداره الى أن انقضت أيام الفتنة ، وظهرت الفرنساوية على المحاربين لهم ، وخرجوا من البلدة ، واستقر بها الفرنساوية .

فعند ذلك ذهب اليهم ، وشكا لهم ما حل به بسبب موالاته لهم ، فعوضوا عليه ما نهب له ، ورجع الى الحالة التى كان عليها معهم .

وكانت داره أخرنها النهابون . فسكن بيت البارودى بباب الخرق ، ثم انتقل منه الى بيت عبد الرحمن كتخدا القزدغلى بحارة عابدين ، وجدد بها عمارة .

وكان له ابنة خرجت عن طورها فى أيام الفرنسيين . فلما أشيع حضور الوزير والقبودان والانتكيز ، وظهر على الفرنساوية الخروج من مصر ... فقتل ابنته المذكورة بيد حاكم الشرطة . فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية ، عزل المترجم عن نقابة الأشراف ، وتولاهما السيد عمر مكرم ... كما كان قبل الفرنساوية

ولما حضر محمد باشا خسرو ، أنهى اليه الكارهون له بأنه مرتكب للموبقات ، ويعاقب الشراب .. وغير ذلك . وأن ابنته كانت تذهب الى الفرنسيين بعلمه ، وأنه قتلها خوفا وتبرئة لنفسه من الشهرة التى لا يمكنه سترها ، ولا يقبل عذره فيها ، ولا التنصل منها ، وأنه لا يصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية . وعرفوه أن هناك شخصا من سلسلتهم يقال له الشيخ محمد سعد ، وهو من جملة أتباع المترجم ، ولكنه فقير لا يملك شيئا ، ولا دابة يركبها .

فقال الباشا : « أنا أواسيه وأعطيه » . فأحضروه له ، بعد أن ألبسوه تاجا كبيرا وثيابا — وهو رجل مبارك ، طاعن في السن — فألبسه فروة سمور ، وقدم له حصانا معددا ، وقيد له ألف قرش . وسكن دارا بناحية باب الخرق ، وترش حاله . وخيل أمر المترجم .

واشتري دارا يدرب الجماميز بمطقة القرن ، وكان بظاهرها قطعة جنيئة ، فاشتراها وغرس بها أشجارا ، وحسناها وأتقنها . وبنى له مجلسا مطلا عليها ، وبالأسفل مساظب ولواوين جلوس لطيفة ، واشتري دارين من دور الأمراء المتقدمين — بظاهر ذلك — وهدمهما ، وبنى بأقاضيهما وأخشابهما ، وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام ، وسد بأثمانها ديونه ، واقتصر على إيرادها فيما يخصه من وقف جده لأنه الأستاذ الحنفى ، وتصدى لمفاقته وأذته أنفار من المتظاهرين مثل : السيد عمر مكرم النقيب ، والشيخ محمد وفا السادات ، وخلافهما ... حتى أنه كان عقد لابنه سيدى أحمد ، على بنت المرجوم محمد أفندى البكرى . فتعصبوا عليه ، بعد عزله من المشيخة والنقابة ، وأبطلوا العقد ، وفسخوا النكاح ببيت القاضى ، وتسلب عليه من له دين أو دعوى أو مطالبة ، حتى يبعوه حصصه . وكان قد اشترى مملوكا — فى أيام الفرنساوية — جميل الصورة . فلما حصل له ما حصل ، ادعى عليه البائع أنه أخذه بدون القيمة ، ولم يدفع له الثمن . فلم يثبت عليه ذلك .

وكان المملوك ذهب من عنده ، وتم الأمر والمصالحة على أن عثمان بيك المرادى أخذ ذلك المملوك لنفسه ... وقد تقدم ذكر قصته فى الحوادث السابقة .

ولم يزل المترجم على حالة خموله ، حتى تحرك عليه داء الفتق ، ومات على حين غفلة فى منتصف شهر ذى الحجة ، وصلى عليه بسجد جده لأنه الشيخ شمس الدين أبى محمد الحنفى ، ودفن عند أسلافه بمشهد السادة البكرية بالقرافة . رحمه الله ، وعفا عنا وعننا .



ومات الأمير شاهين بيك المرادى — ويعرف بباب اللوق ، لأنه كان ساكنا هناك — وهو من مماليك مراد بيك ، وأصله جركسى الجنس . ولما اعتقه مراد بيك ، أنعم عليه بكشوفية اقليسم الغربية ، ثم رجع الى مصر ، وأقام بطالا متطلعا للامارة ويرى أنه أحق بها من غيره .

ولما رجع المصريون الى مصر بعد قتل طاهر باشا — وكان الألفى غائبا ببلاد الانكليز — انضم اليه عثمان بيك البردىسى ووافق على كراهة الألفى الباطنية . وكان هو أحد المباشرين والضاربين لحسين بيك الوشاش بالبر الغربى ليلة خروجهم وتعديتهم لملاقاة الألفى . ثم خرج من مصر مع عشيرته .

ولم يزل حتى مات فى منتصف شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . والله أعلم .

المحتم

الجمعة ٢ منه (١٧ فبراير ١٨٠٩ م) :

مرت سحابة سوداء مظلمة في وقت العشاء ، وحصل فيها رعد مزعج وبرق مستتير شديد اللعان ، وأمطرت في محلات قليلا وفي أخرى كثيرا . ثم انجلى السماء سريعا ، فظهرت النجوم . وبعد أيام أخبر الواردون من ناحية بلاد السماحات بالقرية ، أنها أمطرت بتلك الناحية في تلك الليلة بردا كبيرا وصغيرا ، والكبير في مقدار حجر الطاحون ! والصغير في مقدار بيض الدجاج . وتهدمت منها دور ، وقتلت مواشى وأدمية ، وأهلكت زروعا كثيرة .

الأحد ٤ منه (١٩ فبراير ١٨٠٩ م) :

قتل الباشا حسين بن الخيرى ، وهو بترعة الفرعونية ، وأرسل رأسه الى مصر فعلق بباب زويلة .

أواخره (حوالى منتصف مارس ١٨٠٩ م) :

حضر الباشا من ترعة الفرعونية ، وقد عجز عن سدها بعد أن بذل جهده ، وفرض الفرض العظيمة على البلاد ، وأشغلوا المراكب في نقل الأحجار ليلا ونهارا ... والسيد محمد المحروقى متقيد لذلك ، ومقيم بمسجد الآثار لتسهيل الحجارين ، ووسقها بالمراكب ، وقطعها من الجبل قطعا وصخورا . فكانوا يشقون الجبل بالغمم البارود ، مثل عمل الأفريج ، وظهر في قطعهم

كهوف ومغارات وتجاويف . وتحدث الناس بذلك بأنواع الأكاذيب والخرافات ، كقولهم : ظهر في الجبل باب من حديد ، وعليه أقفال ، ففتحوه ونظروا من داخله أشخاصا على خيول ... الى غير ذلك !

وفيه : حضر قاصد من قبودان باشا ، بطلب عوائده بالاسكندرية . فقال له حاكم الاسكندرية : « ينبغي أن تذهب الى الباشا بالترعة وتقبله » . فذهب اليه وقابله عند السد . فبات تلك الليلة ، وأصبح ميتا . فأخرجوه الى المقبرة .

ثم حضر قاصد آخر يخبر بوصول قابجى وعلى يده مرسومان : أحدهما : الاخبار عن صلح الدولة مع الانجليز والموسكوب ، وانفتاح البحر ، وأمن المسافرين . والثانى : الأمر بالسفر والخروج الى فتح الحرمين ، وطرده الوهابية عنهما . وأن يوسف باشا — الصدر السابق ، المعروف بالمعدن — تبين بالسفر للحرمين على طريق الشام . وكذلك سليمان باشا والى بغداد متعين أيضا بالسفر من ناحيته على الدرعية . وأحضر للباشا تقريرا بالولاية مجددا وخلعة وسيفا .

سفر

السبت غرته (١٨ مارس ١٨٠٩ م) :

حضر الأغا الواصل الى بولاق . فركب لملاقاته أغاة الينكجرية والوالى وأرباب العكاكيز فأركبوه فى موكب ، ودخلوا به من باب النصر وطلع الى القلعة . وقرأوا المراسيم بحضرة الجمع . وبعد الفراغ من قراءتها ضربوا مدافع وشنكا .

وفيه : غيمت السماء بالسحاب ، وأمطرت كثيرا ، ونزل مطر ببركة الحاج .. وجدوا فيه سمكا صغيرا ، من جنس السمك الذي يعرف بالقاروص ، وصا / يتنطط على الأرض .. وأحضروا منه الى مصر وشاهدناه ... وهو في غاية البرودة !

وفيه : اهتم الباشا باخراج تجريدة الى الأمراء القبطين . وذلك أنه تقدم بالارسال اليهم يطالبهم بالغلل والأموال الميرية ، المرار العديدة ، ويعدون ولا يوفون . ووصل اليه من عندهم رضوان كتخدا البرديسى — وهو بالترعة — ومعه أجوبة وهدية ، وفيها خيول وجوار وعبيد وسكر وخصيان . فاغتاض الباشا وقال : « أنا لست أطلب احسانهم وصدقاتهم ، حتى أنهم يضحكون على ذقتى بهذه الأمور . وحيث أنهم لايزجعون عن الكامن في رؤوسهم ، فلا بد من خروجى اليهم ومحاربتهم » . وأرسل الى من بمصر من الأكابر يأمرهم بالبراز والخروج . فخرج حسن باشا ، وصالح أغا قوج ، وطاهر باشا ، وأحمد بيك ، والكثير من أعيانهم بعساكرهم . وعدوا الى بر الجيزة ونصبوا وطاقهم وخيامهم .

ثم ان رضوان كتخدا لم يزل يلاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه أياما معدودة . فلما حضر من الترعة أخذ في التشهيل والخروج . فانتقلت العساكر الى البر الغربى . وأخذ يستحث فى المطلوبات ، وخروج الخيام ، وجمع المراكب . وسافر قبودان بولاق الى جهة بحرى لجمع المراكب ، وفرضوا على القرى غلالا وجبالا . وذلك فى عقب ما فرضه عليهم فى مهمات الترعة المتقدمة وخلافها : من بشارة القبطان والتقرير ، وما فى ضمن ذلك من حق طرق المباشرين والمعينين .. مع ما الناس فيه من

القحط والغلاء فى الغلال وغيرها ، وعدم وجود الغلة . والذين لايقدررون على تحصيل الغلة ، يلزمونهم بدفع ثمنها ، بأقصى القيمة ، بعد مصانعة المباشرين لذلك ، واعطائهم الرشوات .

وحضر أيضا نعمان سراج باشا من عند ابراهيم بيك ، وقابل الباشا على الترعة . فلم ينمعه حضوره أيضا ، ولم يسمع له قول ، ورجع مزيقا .

الأربعاء ٥ منه (٢٢ مارس ١٨٠٩ م) :

حضر على بيك أيوب ، وصحبته آخر — يقال له رضوان بيك البرديسى — فطلعا الى القلعة ، وتقابلا مع الباشا . وانخضع له على بيك أيوب وقبل رجله ، وترجى عنده فى عدم خروج التجريدة ، وكلمه فى أمر الغلال المنكسرة والجديدة ، وعلى أنهم يقومون بدفع الغلال القديمة بالثمن والجديدة بالكيل ، وليس عندهم مخالفة ... والقصد الامهال الى حصاد الغلال . فقال : « أنهم اذا حصدوا الغلال أخذوها ، وفروا الى الجبال » . واستمر هذا القيل والقال نحو أربعة أيام ، ثم أشيع فى ثامنه الصلح . وفرح الناس ، واستبشروا بذلك لما يترتب وما يحصل من الفساد ، وأكل الزروع ، وخراب البلدان ... فانهم أكلوا فى الأربعة أيام التى ترددوا فيها بالجيزة ، نيفا وخمسائة فدان .

ولما أشيع بالجهة القبلية خروج العساكر للتجريدة ، انزعجوا وأيسوا من زروعاتهم ، وخرجوا من أوطانهم على وجوههم لايدرون أين يذهبون بأولادهم ونسائهم وقصاعهم ، وتفرقوا فى مصر والبلاد البحرية .

السبت ٨ منه (٢٥ مارس ١٨٠٩ م) :

أعيد أمر التجريدة . وأشيع خروج العساكر ثانيا . فانتفضت النفوس ثانيا ، وباتوا فى نكد ،

وطلبت السلف من المساتير والمليزين ، وكتبت الدفاتر ، وحوالت الأكياس ، وانبثت المعينون للطلب .

الاثنين ١٠ منه (٢٧ مارس ١٨٠٩ م) :

بطل أمر التجريدة . والقضى أمر الضلح على شروط ، وهى : أنهم التزموا بثلث ماعليهم من غلال الميرى ، وقدره مائة ألف أردب وسبعة آلاف أردب ، بعد مناقشات ومحققات ، والذي تولى المناقشات معهم مساعدا للبasha شاهين بيك الألفى . والموعد أحد وثلاثون يوما .

وسافر على بيك أيوب ورضوان بيك البرديسى . وأكرمهما البasha وخلع عليهما .

الثلاثاء ١١ منه (٢٨ مارس ١٨٠٩ م) :

قتل البasha مصطفى أغا تابع حسن بيك فى قصبة رصوا ، ظلما . وسبب ذلك : أنه لما نزل قبودان بولاق لجمع الرأكب المملوكة لسفر التجريدة ، فصادف شخصا من الأرثوود — الذين يتسببون فى بيع الغلال — فى مركب ومعه غلة ، وذلك عند قرية تسمى « سهرجت » ، فحجزه ليأخذ منه السفينة . فقال : « كيف تأخذها وفيها غلتى ؟ » . قال : « أخرج غلتك منها على البر واتركها ، فانها مطلوبة لمهمات البasha » . فلم يرض ، وخاف على تبديدها ، ولم يجد سفينة أخرى ، لأن جميع السفن مطلوبة مثلها ، وقال له : « عندما أصل بها الى مصر ، وأنقل منها الغلة ، أرسل معى من يأخذها » .

فقال القبودان : « لا سبيل الى ذلك » ، وتشاجرا . فحقن القبودان على الأرثوودى ، وسل عليه سيفه ليضربه ، فعاجله الأرثوودى ، وضربه بالطنبجة فقتله . فأراد أتباع القبودان القبض عليه . ففر منهم الى البلدة — وبها جماعة من الدلاة معينون

لقبض الفرضة — فالتجأ اليهم . فمانعوا عنه ... وتنازع الفريقان .

وكان مصطفى أغا المذكور ملتزم البلدة هناك ، وغائبا فى بعض شئون ، فبلغه الخبر . فحضر اليهم ، وخاف من وقوع قتل أو شر يقع بالبلدة ، فيكون سببا لخراب الناحية . فقال : « يا جماعة ، اذهبوا بنا الى البasha ليرى رأيه » . فرضوا بذلك . وحضر بصحبته — والقاتل معهم — وطلعوا الى ساحل بولاق . فعند ما وصلوا الى البر ، هرب القاتل ، وذهب عند عمر بيك الأرثوودى الساكن ببولاق . فتبعه الأمير مصطفى المذكور . فقال له عمر بيك : « اذهب الى البasha وأخبره أنه عندى ، وأنت لا بأس عليك » . ففعل . فقال له البasha : « ولأى شىء لم تحتفظ عليه وتركه حتى يهرب ؟ » فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلاتية المتلجئة اليهم — وكأنهم هم الذين أفلتوه — فأمر بحبسه . فأرسل الى عمر بيك ، فحضر الى البasha وترجى فى إطلاقه . فوعده أنه فى غد يطلقه اذا حضر القاتل . فقال : « انه عند أزمير أغا ، وهو لايسلم فيه » ، وركب الى داره .

فلما كان فى الصباح ، أمر بقتل الأمير مصطفى المذكور . فأنزلوه الى الرميطة ، ورموا رقبته عند باب القلعة ظلما .

وفى صباحها : قتلوا شخصا من الدلاة بسبب هذه الحادثة .

الأربعاء ١٢ منه (٢٩ مارس ١٨٠٩ م) :

قتل الأرثوود شخصين من الدلاة أيضا .

الخميس ١٣ منه (٣٠ مارس ١٨٠٩ م) :

أرسل البasha وطلب الأرثوودى القاتل للقبودان من عمر بيك ، وشدد فى الطلب ، وقال : « ان لم يرسله .. والا أحرقت عليه داره » . فامتنع من

ارساله ، وجمع اليه طائفة الأرثوود ، وصالح أغا قوچ جاره .

وركب الباشا ، وذهب الى ناحية الشيخ فرج . وحصل ببولاك قلقة وانزعاج . ثم ركب الباشا راجعا الى داره بالأزبكية وقت الغروب . وكثرت الأرجاف والقلقة بين الأرثوود والدلاتية .

السبت ١٥ منه (أول ابريل ١٨٠٩ م) :

قتل الأرثوود شخصين من الدلاتية أيضا جهة قناطر السباع . ثم ان القاتل الذي قتل القبودان التجأ الى كبير من كبار الأرثوود . فأرسل الباشا الى حسن باشا يطلب منه ذلك الكبير ، وأكد في طلبه ، أو أنه يقطع رأس القاتل ويرسلها — فكأنه فعل — وأرسل اليه برأس ملفوفة في ملاية تسكينا لحدته ! وبردت القضية ، وسكنت الحدة ، وراحت على من راحت عليه .

أواخره (حوالى منتصف ابريل ١٨٠٩ م) :

أمر الباشا بتحرير دفاتر فريضة الأتليان ، وزادوا فيها عن عام الشراقي الماضى الثلث ، وربطوها ورتبوها أربع مراتب : تزيد كل ضريبة عن الأخرى مائة نصف فضة ، أعلاها يبلغ ثمانمائة نصف فضة . على أن الفريضة الماضية بقي الكثير منها بالنعم ، لخراب القرى وعجزهم . وأختلى لتنظيم ذلك من الأفندية والأقباط بجهات متباعدة : الأفندية برقع أيوب ببولاك ، والأقباط بدير مصر العتيقة . حتى حرروا ذلك وتموه ورتبوه في عدة أيام . ووقع الطلب في جانب معجلا ، سموه « الترويجة » .

وفيه : أمر الباشا عمر بيك الأرثوودى بالسفر من مصر ، وقطع خرجه ورواتبه هو وعسكره . فلم يسمع المخالفة ، وحاسب على المنكر له ولعسكره

من الملائف ، وكذلك حلوان البلاط التي في تصرفه . فبلغ نحو ستائة كيس وزعت على دائرة الباشا وخلافهم .

وكان الباشا ضبط جملة من حصص الناس ، واستولى عليها من بلاد القليوبية ، بحرى شبرا ، واختصها لنفسه . فلما استولى على حصص عمر بيك ، ودفع له حلوانها — وهى بالمنوفية والغربية والبحيرة — عوض بعض من يراعى جانبه من ذلك . وأخذ عمر بيك ومن يلوذ به في تشهيل أنفسهم وقضاء حوائجهم .

ربيع الأول

(١٦ ابريل - ١٥ مايو ١٨٠٩ م)

فيه : شرع السيد عمر مكرم تقيب الأشراف في عمل مهم لختان ابن ابنته ، ودعا الباشا والأعيان ، وأرسلوا اليه الهدايا والتعابى . وعمل له زفة ، يوم الاثنين سادس عشره ، مشى فيها أرباب الحرف والعربات والملاعب وجمعيات ، وعصب صعيدة وخلافهم ، من أهالى بولاك والكفور والحسينية وغيرها من جميع الأصناف ، وطبول وزمور وجويع كثيرة . فكان يوما مشهودا ، اكرت فيه الأماكن للفرجة . وكان هذا الفرح هو آخر طنطنة السيد عمر بمصر . فانه حصل له عقيب ذلك ماستلى عليك قريبا من النفى والخروج من مصر .

وفيه : كمل سد ترعة الفرعونية ، واستمر العمل فيها وفى تأييد السد بالأحجار والمشعات والأتربة نحو ستة أشهر ، وصرف عليها من الأموال ما لا يحصى . وجرى مجرى البحر الشرقى وغزر ماؤه ، وجرت فيه السفن من دمياط بعد أن كان مخاضة ، وملحت عذوبة النيل بما انعكس فيه وخالظه من ماء البحر الملح ... الى قبلى « فارس كور » .

وأقام بالسد عمر بيك تابع الأشقر لحفارته وتمهد الخلل ، وكنتم الجسر من النشع والتنفيس ، وسكن

هناك ولم يفارقه . واستمر في هذه الوظيفة
والخدمة ، ولم يقيم بمصر .

ربيع الآخر

الأحد ٦ منه (٢١ مايو ١٨٠٩ م) :

وردت مراسيم من الروم ، وبشارة بمولودة
ولدت للسلطان وسموها « فاطمة » . وفي المراسيم
الأمر بالزينة . فاقضى الرأي أن يعملوا شنكا
ومدافع من القلعة ، تضرب في الأوقات الخمسة
سبعة أيام .. وهذا شيء لم يسمع بمثله فيما سبق :
أن يعملوا للأثني شنكا أو زينة ، أو يذكر ذلك
مطلقا ، وإنما يعمل ذلك للمولود الذكر .. من بدع
الأعاجم !

الثلاثاء ٨ منه (٢٣ مايو ١٨٠٩ م) :

حضر من الأمراء المصريين القبالي مرزوق بيك
ابن ابراهيم بيك ، وسليم أغا مستحفظان ، وقاسم
بيك سحدار مراد بيك ، وعلى بيك أيوب ، حسب
الاتفاق المتقدم في تقرير الصلح . ولكن لم يكن
سليم أغا مذكورا في الحضور ، بل كان منجمعا
وممتنعا عن التداخل في هذه الأحوال . والسبب
في حضوره أن زوجته توفت من نحو نصف شهر ،
فحضر لأجل نركتها ومتاعها ومتاعه الذي عندها .
وحصصها .

ولما حضر وحده الباشا استولى على ذلك ، وأخذ
المتاع والمصاغ والجواهر والعقار ، وأخذ الحصص ،
وأخذ حلوانها وذلك بيد محمود بيك الدويدار .
فلما حضر سليم أغا لم يجد شيئا . لا دار ولا
عقار ولا نافخ نار ! فنزل عند على بيك أيوب
بمنزله بشمس الدولة فحضر اليه محمود بيك
الدويدار والترجمان ، وأخذوا بخاطره وطمأنه ،
وأخبراه أن الباشا سيعوض عليه ما ذهب منه ...
وزيادة ! وزرعا له فوق السطوح . فلم يسمع الا
التسليم .

وفيه : تشحطت الغلال وغلا سعرها . حتى بلغ
الأردب القمح ألف وستمائة نصف فضة ، وعز
وجوده بالرقع والعرضات . وأما السواحل فلا
يكاد يوجد بها شيء من الغلة بطول السنة ، ولولا
لطف الله بوجود الذرة لهلكت الخلائق . ومع ذلك
استمرار المغارم والقرض ، حتى فرض الغلة عين ،
وكذلك تبين وجمال وما ينضاف الى ذلك مما
سمعتة غير مرة مما يطول شرحه .

وفيه : نودى على صرف الفرائسة والمحبوب
والمجر ، كما نودى في العام الماضي ، لأنه لما
نودى بنقص صرفها ، ومضى نحو الشهر أو
الشهرين ، رجع الصرف الى ما كان عليه وزيادة .
فأعيد النداء كذلك ... ومسيعود الخلاف مادام
الكرب والضيق بالناس . على أن هذه المنادة
والأوامر بالنقص والزيادة ليست من باب الشفقة
على الناس ، ولا الرحمة بهم ، وإنما هي بحسب
أغراضهم وزيادة طمعهم فإنه اذا توجهت المطالبات
بالقرض والمغارم ، نودى بالنقص ليزيد القرض ،
وترفرر لهم الزيادة ، ويحصل التشديد والمعاقبة
على من يقبض بالزيادة من أهل الأسواق واذا
كان الدفع من خزائنتهم في علائف العسكر أو
لوازمهم الكبيرة ، قبضوها بأزيد من الزيادة التي
نادوا عليها ، من غير مبالاة ولا احتشام ... تناقض
ما لنا الا السكوت عنه !

في اواخره (منتصف مايو ١٨٠٩ م) :

تواجهت الغلال ، وانحل سعرها . وحضر
الفلاحون ببدارى الغلة ، وانحط السعر ... والحمد

له !

وفيه : سقط سقف القصر الذى أنشأه الباشا
بشبرا . وشرعوا فى تعميره ثانيا .

وفيه : وصل الخبر بحضور زوجة الباشا أم
أولاده ، وابنه الصغير — واسمه اسماعيل — وابن
بوفابارته الخازن دار ، وكثير من أقاربهم وأهاليهم ...
حضر الجميع من بلدهم « قولة » الى سكندرية .
فانهم لما طابت لهم مصر ، واستوطنوها وسكنوها ،
وتنعموا فيها ... أرسلوا الى أهاليهم وأولادهم
وأقاربهم بالحضور . فكانوا فى كل وقت يأتون
أفواجا أفواجا ، نساء ورجالا وأطفالا .

فلما وصل خبر وصولهم الى سكندرية ،
سافر لملاقاتها ابنها ابراهيم بيك الدفتر دار . وذلك
حادى عشره .

الأحد ١٢ منه (٢٨ مايو ١٨٠٩ م) :

حضر المذكور قبل حضور الواصلين . ولما
وصلوا نزل الباشا لملاقاتهم الى بولاق .

الاثنين ١٤ منه (٢٩ مايو ١٨٠٩ م) :

نبهوا على جميع النساء والخوندات ، وكل من
كانت لها اسم فى الالتزام ، أن يركبن بأسرهن
ويذهبن الى ملاقة امرأة الباشا ببولاق ، وذلك
صبح يوم الأربعاء ، واعتذرت الست نفيسة
المرادية بأنها مريضة ، ولا تقدر على الحركة
والخروج . فلم يقبلوا لها عذرا .

الأربعاء ١٦ منه (٣١ مايو ١٨٠٩ م) :

اجتمع السواد الأعظم من النساء بساحل بولاق
على الحمامة المكارية — وهم أزيد من خمسمائة
مكارى — حتى ركب زوجة الباشا ، وساروا معها
الى الأزبكية . وضربوا لوصولها وحلولها بمصر
عدة مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية . ثم وصلت
الهدايا والتقام ، وأقبلت من كل ناحية الهدايا
المختصة بالأولاد ، والمختصة بالنساء .

جمادى الأولى

٣ منه (١٦ يونية ١٨٠٩ م) :

نزل عمر بيك الأرثوودى الى المراكب من بيته
من بولاق ، وسافر على طريق دمياط ليذهب الى
بلاد ، وسافر معه نحو المائة — وهم الذين جمعوا
الأموال — واجتمع لعمر بيك المذكور من المال
والنوال أشياء كثيرة ، عبأها فى صناديق كثيرة
وأخذها معه . وذلك خلاف ما أرسله الى بلاده فى
دفعات قبل تاريخه .

١٥ منه (٢٨ يونية ١٨٠٩ م) :

سافر على بيك أيوب ، وسليم أغا مستحفظان
الى ناحية قبلى . واستمر بمصر مرزوق بيك ،
وقاسم بيك المرادى :

وفيه : طلب الباشا ألف كيس من المعلم غالى ،
وألزمه بها . فوزعها على المباشرين والكتبة وجمعها
فى أقرب زمن .

وفيه : حضر سلحدار الوزير يوسف باشا وعلى
يده مرسوم مضمونه : طلب ما كان أحدثه حين
كان بمصر على أوراق الاقطاعات والفراغات
وتقاسيط الالتزام ، الذى سموه « قصر اليد »
و « خرج القلم » ، وجعل يراد ذلك لنفسه .
فأرسل بطلب ذلك ، من تاريخ سنة سبعة عشر
ومائتين وألف الى وقت تاريخه ، حسب قدر ذلك
فبلغ ليها وأربعة آلاف كيس .

وفيه : شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ
الملتزمين ، ودفتر آخر بفرض مال على الرزق
الأجباسية المرصدة على المساجد والأسبلة والخيرات
وجهات البر والصدقات ، وكذلك أطيان الأوسية
المختصة أيضا بالملتزمين . وكتبوا بذلك مراسيم
الى القرى والبلاد ، وعينوا بها معينين وحق طرق

ليسهل الكشف والتحرير والمراجعة عند الاشتباه
وتحرير مقادير حصص أرباب الاستحقاقات

ولم يزل ديوان الرزق الاحباسية محفوظا مضبوطا
في جميع الدول المصرية ، جيلا بعد جيل ، لا يتطرقه
خلل ، الا ما نزل عنه أربابه لشدة احتياجهم —
بالفراغ لبعض الملتزمين — بقدر من الدراهم
معجل ويقرر للمفرغ على نفسه قدرا مؤجلا —
دون القيمة الأصلية — في نظير المعجل الذي دفعه
للمفرغ . ويسمونها حينئذ « داخل الزمام » . ولم
تزل على ذلك بطول القرون الماضية .

وتملك الفرساوية الديار المصرية ، فلم يتعرضوا
لشيء من ذلك . ولما حضر شريف أفندى الدفتردار
— بعد دخول يوسف باشا الوزير — ووجه الطلب
على الملتزمين بأن يدفعوا للدولة حلوانا جديدا ،
على النظام والنسق الذي ابتدعوه للتحويل على
تحصيل المال بأي وجه ... زاعمين أن أرض مصر
صارت دار حرب بتملك الفرساوية ! وأنهم
استنقذوها منهم ، واستولوا عليها استلاء جديدا ،
وصارت جميع أراضيها ملكا لهم فمن يريد
الاستيلاء على شيء من أرض وغيرها ، فليشره من
نائب السلطان بمبلغ الحلوان الذي قدروه .

واطلعوا على التقاسيط ، وفي بعضها ما رفع
عنه الميرى الذي قبض للحنة باذن الولاة ، بعد
المصالحات والتعويض من المصاريف والمصارف
الميرية ، كالعلائف والغلال والبعض تم ذلك
بمراسيم سلطانية كما قولون — شريفة ! بحيث
يصير الالتزام مثل الرزق الاحباسية ، وبسموه
« خزينة بند » ومنهم من أبقى على التزامه شيئا
قليلًا ، سموه « مال الحماية » ... فلم يسهل بهم
ابطال ذلك ، بل جعل عليها الدفتردار الميرى الذي
كان مقيدا عليها أو أقل أو أزيد ، بحسب واضح

من طرف كشاف الأقاليم بالكشف على الرزق
المرصدة على المساجد والخيرات .

وتقدموا الى كل متصرف في شيء من هذه
الأطيان ، وواضع عليها يده : بأن يأتي بسنده الى
الديوان ، ويجدد سنده ، ويقوى بمرسوم جديد ،
وان تأخر عن الحضور في ظرف أربعين يوما ، يرفع
عنه ذلك ، ويمكن منه غيره .

وذكروا في مرسوم الأمر علة وحجة ، لم يطرق
الأسماع نظيرها ، بأنه اذا مات السلطان أو عزل ،
بطلت تواقيعه ومراسيمه ، وكذلك نوابه ، ويحتاج
الى تجديد تواقيع من نواب المتولى الجديد ..
ونحو ذلك

ثم ليعلم أن هذه الارصادات والأطيان
موضوعة من أيام الملك الناصر يوسف صلاح الدين
الأيوبي في القرن الخامس ، وجعلها من مصاريف
بيت المال ، ليصل الى المستحقين بعض استحقاقهم
من بيت المال بسهولة ثم اقتدى به في ذلك
الملوك والسلاطين والأمراء الى وقتنا هذا فينون
المساجد والتكايا والربط والخوانق والأسبلة ،
ويرصدون عليها أطيانا يخرجونها من زمام
أوسيتهم ، فيستغل خراجها أو غلالها لتلك الجهة .

وكذلك يربطون على بعض الأشخاص من طلبة
العلم والفقراء ، على وجه البر والصدقة ، ليتعيشوا
بذلك ويستعينوا به على طلب العلم واذا مات
المرصد عليه ذلك ، قرر القاضى أو الناظر خلفه ممن
يستحق ذلك ، وقيد اسمه في سجل القاضى ودفتر
الديوان السلطاني عند الأفندى المقيد بذلك ، الذي
عرف بكاتب الرزق فيكتب له ذلك الأفندى
سندا بموجب التقرير يقال له « الافراج » ، ثم يضع
عليه علامته ثم علامة الباشا والدفتردار . ولكل
اقليم من الأقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص
عليه طرة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الاقليم ،

اليد واكرامه ، ان كان ممن يكرم ، وضحه الى مال الحماية الأصلي أو المستجد فقط .

وضيع على الناس سعيهم وما بذلوه من مرتباتهم وعلائفهم التي وضعوها وقيدوها في نظير جعلها « خزينة بند » كما ذكر .

ثم تقيد لكتابة الاعلامات عبد الله أفندى رامز القبسودان وقاضى باشا ، وسمى في ذلك الوقت بكتائب الميرى ، وتوجه نحوه الناس لأجل كتابة الاعلامات لثبوت رزقهم الأحباسية وتجديد سنداتنا . فتعنت عليهم بضروب من التعنت : كأن يطلب من صاحب العرضحال اثبات استحقاقه ، فإذا ثبت له ، لا يخلو اما أن يكون ذلك بالفراغ أو المحلول ... فيكلفه احضار السندات ، وأوراق الفراغات القديمة ، فربما عذمت أو بليت لتقدم السنين ، أو تركها واضع اليد لاستغنائها عنها بالسند الجديد ، أو كان القديم مشتتلا على غير المفروغ عنه ، فيخصم بهامشه بالمنزول عنه ، ويبقى القديم عند صاحب الأصل ... فان أحضره اليه ، تعلل بشيء آخر ، واحتج بشبهة أخرى . فإذا لم يبق له شبهة ، طالبه بحلولها عن مقدار ايرادها ثلاث سنوات ... والا فخص سنوات ، وذلك خلاف المصاريف .

فضج الناس ، واستغاثوا بشريف أفندى الذفتردار . فعزل عبد الله أفندى رامز المذكور عن ذلك ، وقيد أحد كتبه بكتابة الاعلامات ، وقرر على كل فدان عشرة أنصاف فضة فما دونها ... يرسمها في السند الجديد ، وجعلها مال حماية ، وأوهم الناس أن مال الحماية يكون زيادة في أكيد الأحباس ، وحماية له من تطرق الخلل . استسهل الناس ذلك ، وشاع في الاقليم المصرى ، أقبل الناس من البلاد القبلية والبحرية لتجديد سنداتهم ، فطفقوا يكتبون السندات على نسق قاسيط الالتزام ، لا على الوضع القديم ، ويعلم

عليها الذفتردار فقط . وأما الصورة القديمة فكانت تكتب في كاغد كبير ، بخط عسرى مجود ، وعليها طرة بداخلها اسم والى مصر ، ومهورة بختمه الكبير ، وعليها علامة الذفتردار ، وبداخلها صورة أخرى تسمى « التذكرة » مستطيلة على صورة التقسيط الفرمة ، مهورة أيضا وعليها العلامة والختم ، وهى متضمنة مافى الكبيرة . وعلى ذلك كان استمرار الحال الى هذا الأوان ... من قرون خلت ، ومادة مضت .

وفيه أيضا : حرروا دفترا لاقليم البحيرة بمساحة الطين الرى والشراقى ، وأضافوا اليه طين الأوسية والرزق ، وكتبوا بذلك مناشير ، وأخرج المباشرون كشوفاتها بأسماء الملتزمين . فضج الناس واجتمعوا الى مشايخ الأزهر وتشكوا ، فوعدهم بالتكلم في شأن ذلك بعد التثبت .

وفيه : قبض أغاة التبديل على شخص من أهل العلم — من أقارب السيد حسن البقلى — وجبسه . فأرسل المشايخ يترجون في اطلاقه . فلم يفعل ، وأرسله الى القلعة .

وفيه : سعى محمد أفندى طبل — ناظر المهمات — لصديقه السيد سلامة النجارى عند الباشا فى انعام ووظيفة . وسبب ذلك أن المذكور أرسل جملة طاقات من الأقمشة الهندية الغريبة المقصبة وغيرها ، وحصانا من أعظم خيول المصريين — كان اشتراه منهم — هدية الى محمد أفندى المذكور . فاقتنضت مروءته أنه أخذها وقدمها للباشا ، وقال له : « ان السيد سلامة أحضر هذه الهدية لأفندينا ، شكرا لانعامه السابق عليه » . فقبلها الباشا ، وأنعم عليه بعشرة آكياس ، وأمر محمد أفندى بأن يجعله فى وظيفة معه .

وفيه أيضا : شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بأنواع الأقمشة وباعة النعالات — التى هى الصرم والبلغ — وجعلوا عليها ختمة . فلا يباع

منها شيء حتى يعلم بيد الملتزم ويختم ... وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقدر بحسب تلك البضاعة وثمنها . فزاد الضجيج واللفظ في الناس .

١٧ منه (٣٠ يونية ١٨٠٩ م) :

حضر المشايخ بالأزهر على عادتهم لقراءة الدروس . فحضر الكثير من النساء والعامة ، وأهل المسجون — وهم بصرخون ويستغيثون — وأبطلوا الدروس . واجتمع المشايخ بالقبلة ، وأرسلوا الى السيد عمر النقيب . فحضر اليهم ، وجلس معهم . ثم قاموا وذهبوا الى بيوتهم . ثم اجتمعوا في ثاني يوم ، وكتبوا عرضا حاليا الى الباشا ... يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع ، وختم الأمتعة ، وطلب مال الأوسية والرزق ، والمقاسمة في الفائض ، وكذلك أخذ قريب البقلي وحسبه بلا ذنب . وذلك بعد أن جلسوا مجلسا خاصا ، وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد وترك المنافرة .

وعند ذلك حضر ديوان أفندي وقاله : « الباشا يسلم عليكم ، ويسأل عن مطلوباتكم » . فمر فوه بما سطره اجمالا ، وينسوه له تفصيلا . فقال : « ينبغي ذهابكم اليه ، وتخطبوه مشافهة بما تريدون ، وهو لا يخالف أوامركم ، ولا يرد شفاعتكم . وانما القصد أن تلاطفوه في الخطاب لأنه شاب مغرور جاهل ، وظالم غشوم ، ولا تقبل نفسه التحكم ، وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم ، وعدم انفاذ الغرض » .

فقالوا بلسان واحد : « لا نذهب اليه أبدا مادام يفعل هذه الفعال ، فإن رجع عنها وامتنع عن أحداث البدع والمظالم عن خلق الله ، رجعنا اليه ، وترددنا عليه كما كنا في السابق ، فائنا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور » . فقال لهم ديوان أفندي : « وأنا قصدى أن تخطبوه مشافهة ويحصل انفاذ الغرض » . فقالوا : « لا نجتمع عليه أبدا ولا

ثير فتنة ، بل نلزم بيوتنا ونقتصر على حالنا ، ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا » .

وأخذ ديوان أفندي العرض حال ، وأوعدهم يرد الجواب . ثم بعد رجوعه ، أطلقوا قريب السيد حسن البقلي الذي كان محبوسا ولم يعلم ذلك . ثم انتظروا عودة ديوان أفندي ، فأبطأ عليهم ، وتأخر عوده الى خامس يوم بعد الجمعية . فاجتمع الشيخ المهدي والشيخ الدواخلي عند محمد أفندي طبل ناظر المهمات — وثلاثتهم في نفسهم للسيد عمر ما فيها — وتناجوا مع بعضهم ، ثم انتقلوا في عصريتها وتفرقوا .

وحضر المهدي والدواخلي الى السيد عمر وأخبراه أن محمد أفندي ذكر لهم أن الباشا لم يطلب مال الأوسية ولا الرزق ، وقد كذب من قبل ذلك ، وقال : « انه يقول اني لا أخالف أوامر المشايخ . وعند اجتماعهم عليه ومواجهته يحصل كل المراد » . فقال السيد عمر : « أما انكاره طلب مال الرزق والأوسية فما هي أوراق من أوراق المباشرين عندي لبعض الملتزمين ، مشتملة على الفرضة ونصف الفائض ، ومال الأوسية والرزق . وأما الذهاب اليه فلا أذهب اليه أبدا ، وإن كنتم تنقضون الأيمان والعهد الذي وقع بيننا ... فالرأي لكم » . ثم انقض المجلس .

وأخذ الباشا يدبر في تفريق جمعهم ، وخذلان السيد عمر .. لما في نفسه منه من عدم انفاذ أغراضه ، ومعارضته له في غالب الأمور . ويخشى صولته ، ويعلم أن الرعية والعامة تحت أمره : ان شاء جمعهم ، وان شاء فرقهم . وهو الذي قام بنصره ، وساعده وأعانه ، وجمع الخاصة والعامة حتى ملكه الاقليم . ويرى أنه ، ان شاء ، فعل بنقيض ذلك . فطفق يجمع اليه بعض أفراد من أصحاب المظاهر ، ويختلي معه ، ويضحك اليه ... فيغتر بذلك ، ويرى

أنه صار من المقربين ، وسيكون له شأن ان وافق ونصح . فيفرغ له جراب حقه ، ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة .

ثم في ليلتها حضر ديوان أفندي وعبد الله بكتاش الترجمان ، وحضر المهدي والدواخلي ... الجميع عند السيد عمر . وطال بينهم الكلام والمعالجة في طلوعهم ومقابلتهم الباشا ، وقرق لذلك كل من المهدي والدواخلي ... والسيد عمر مصمم على الامتناع . ثم قالوا : « لا بد من كون الشيخ الأمير معنا ، ولا يذهب بدونه » . فاعتذر الشيخ الأمير بأنه متوكل . ثم قام المهدي والدواخلي وخرجا ، صحبة ديوان أفندي والترجمان ، وطلعوا الى القلعة ، وتقابلوا مع الباشا ، ودار بينهم الكلام . وقال في كلامه : « أنا لا أرد شفاعتكم ، ولا أقطع رجاءكم ، والواجب عليكم اذا رأيتم مني انحرافا أن تنصحوني وترشدوني » . ثم أخذ يلوم على السيد عمر في تخلفه وتعتته ، ويشي على البواقي « وفي كل وقت يعاندني ويبطل أحكامي ، ويخوفني بقيام الجمهور » .

فقال الشيخ المهدي : « هو ليس الا بنا ، واذا خلا عنا فلا يسوى بشيء . ان هو الا صاحب حرفة ، أو جابى وقف ... يجمع الايراد ويصرفه على المستحقين » .

ف عند ذلك تبين قصد الباشا لهم ، ووافق ذلك ما في نفوسهم من الحقد للسيد عمر ... والشيخ الدواخلي حضوره نيابة عن الشيخ الشرفاوي وعن نفسه ، ثم تناجوا معه حصة ، وقاموا منصرفين مذبدبين ومظهرين خلاف ما هو كامن في نفوسهم من الحقد وحفظ النفس ، غير مفكرين في العواقب . وحضروا عند السيد عمر — وهو متلىء بالغيظ مما حصل من الشذوذ وقض العهد — فأخبروه بأن الباشا لم يحصل منه خلاف . وقال : « أنا لا أرد شفاعتكم ، ولكن نفسي لا تقبل التحكم ،

والواجب عليكم — اذا رأيتموني فعلت شيئا مخالفا — أن تنصحوني وتشفعوا . فأنا لا أردكم ، ولا أمتنع من قبول نصحكم . وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالأزهر ، فهذا لا يناسب منكم ، وكأنكم تخوفوني بهذا الاجتماع ، وتهيج الشرور ، وقيام الرعية ، كما كنتم تفعلون في زمان الممالك ، فأنا لا أفزع من ذلك . وان حصل من الرعية أمر ما ، فليس لهم عندي الا السيف والانتقام » . فقلنا له : « هذا لا يكون ، ونحن لانحب ثوران الفتن ، وانما اجتماعنا لأجل قراءة البخاري .. ونسعو الله برفع الكرب » . ثم قال : « أريد أن تخبروني عن اقتبذ لهذا الأمر ، ومن ابتدأ بالخلف » فناطناه ، وأنه وعدنا بإبطال الدمعة ، وتضعيف الفائض الى الربع بعد النصف ، وأنكر الطلب بالأوسية والرزق من اقليم البحيرة ثم قاموا منصرفين ، وافتتح بينهم باب النفاق ، واستمر القال والقال ، وكل حريص على حظ نفسه ، وزيادة شهرته وسعته ، ومظهر خلاف ما في ضميره .

جمادى الآخرة

الجمعة غرته (١٤ يولية ١٨٠٩ م) :

حضر ديوان أفندي وعبد الله بكتاش الترجمان . واجتمع المشايخ ببيت السيد عمر ، وتكلموا في شأن الطلوع الى الباشا ومقابلته . فحلف السيد عمر أنه لا يطلع اليه ، ولا يجتمع به ، ولا يرى له وجها ... الا اذا أبطل هذه الأحداث . وقال : « ان جميع الناس يتهمونى معه ، يزعمون أنه لا يتجارأ على شيء يفعله الا باتفاقي معه ، وبكفى ما مضى ، ومهما تقادم يتزايد في الظلم والجور » ، وتكلم كلاما كثيرا . فلما لم يجبههم الى الذهاب ، قالوا : « إذن يطلع المشايخ » . وأرسلوا الى الشيخ الأمير ، فاعتذر بأنه متوكل الجسم ، ولا يقدر على الحركة ولا الركوب .

ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوى والمهدى والدواخلى والقيومى . وذلك على خلاف غرض السيد عمر ، وقد ظن أنهم يمتنعون لامتناعه ، للعهد السابق والأيمان . فلما طلعا الى الباشا وتكلموا معه — وقد فهم كل منهم لغة الآخر الباطنية — ثم ذكروه فى أمر المحدثات . فأخبرهم أنهم يرفع بدعة الدمغة ، وكذلك يرفع الطلب عن الأتليان الأوسية ، وتقرير ربع الفائض . وقاموا على ذلك ، ونزلوا الى بيت السيد عمر ، وأخبروه بما حصل . فقال : « وأعجبكم ذلك ؟ » قالوا ... (١) بال : « انه أرسل يخبرنى بتقرير ربع المال الفائض ، فلم أرض وأبيت الا رفع ذلك بالكلية . فانه فى العام السابق لما طلب احدث الربع ، قلت له هذه تصير سنة متبعة . فحلف أنها لا تكون بعد هذا العام وذلك لضرورة النفقة ، وان طلبها فى المستقبل يكون ملعونا ومطرودا من رحمة الله ، وعاهدنى على ذلك . وهذا فى علمكم كما لا يخفاكم . قالوا : نعم ... وأما قوله انه رفع الطلب الى الأوسية والرزق ، فلا أصل لذلك ، وهامى أوراق البحيرة .. وجهوا بها القلب » .

فقالوا : « اتنا ذكرنا له ذلك فأنكر ، وكابرنا بأوراق الطلب ، فقال : ان السبب فى طلب ذلك من اقليم البحيرة خاصة ، أن الكشافين لما نزلوا للكشف على أراضى الرى والشرقى — ليقرروا عليها فرضة الأتليان — حصل منهم الخيانة والتدليس . فاذا كان فى أرض البلدة خمسمائة فدان رى ، قالوا عليها مائة ، وسموا الباقي رزقا وأوسية . فقررت ذلك عقوبة لهم فى نظير بدليسهم وخيانتهم » . فقال السيد عمر : « وهل ذلك أمر واجب فعله ؟ أليس هو مجرد جور وظلم أحدثه فى العام الماضى ... وهى فرضة الأتليان التى ادعى

(١) كما فى الاصل .

لزومها لاتمام العلوقة ، وحلف أنه لا يمود لمثلها ؟ فقد عاد وزاد ، وأتم توافقه وتسايرونه ، ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة ، وأنا الذى صرت وحدى مخالفا وشاذاً ! » . ووجه عليهم اللوم فى تقضهم العهد والأيمان .

وانقض المجلس ، وتفرقت الآراء ، وراج سوق النفاق ، وتحركت حقائق الحقد والحسد ، وكثر سعيهم وتناجيههم بالليل والنهار ... والباشا يرسل السيد عمر ، ويطلبه للحضور اليه والاجتماع به ، ويعده بانجاز ما يشير عليه به . وأرسل اليه كتخذه ليتفرق به ، وذكر له أن الباشا يرتب له كيسا فى كل يوم ، ويمطيه فى هذا الحين ثلثمائة كيس خلاف ذلك ... فلم يقبل .

ولم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ، ويتجسس ويتفحص عن أحواله ، وعلى من يتردد عليه من كبار العسكر ... وربما أغرى به بعض الكبار فراسلوه سرا ، وأظهروا له كراهيتهم للباشا ، وأنه ان اتبذ لمفاقته ساعده ، وقاموا بنصرته عليه . فلم يخف على السيد عمر مكره ، ولم يزل مصمما وممتنعا عن الاجتماع به ، والامثال اليه ، ويسخط عليه ... والمترددون أيضا ينقلون ويحرفون بحسب الأغراض والأهواء .

واتفق فى أثناء ذلك : أن الباشا أمر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة — وهى الأربعة آلاف كيس — ويذكر فيه أنها صرفت فى المهمات : منها ما صرف فى سد ترعة الفرعوية — ومبلغه ثمانمائة كيس — وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الأمراء المصرية ، حتى دخلوا فى الطاعة ، كذلك مبلغا عظيما ، وما صرف فى عمارة القلعة والمجرة التى تنقل المياه اليها مبلغا أيضا ، وكذلك فى حفر الخلجان والترع ، وقصص المال الميرى بسبب شراقى البلاد ونحو ذلك . وأرسله الى السيد

عمر ليضع خطه وختمه عليه فامتنع وقال : « أما ماصرفه على سد الترعة ، فإن الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ماصرفه أضعافا كثيرة ، وأما غير ذلك .. فكله كذب لا أصل له وإن وجد من يحاسبه على ما أخذه من القطر المصرى من القرض والمظالم ، لما وسعته المدفاتر . »

فلما ردوا عليه وأخبروه بذلك الكلام ، حقن واغتاط في نفسه ، وطلبه للاجتماع به ، فامتنع . فلما أكثر من التراسل ، قال : « إن كان ولا بد .. فأجتمع معه في بيت السادات ، وأما طلوعى اليه فلا يكون » . فلما قيل له في ذلك ، ازداد حنقه ، وقال : « انه بلغ به أن يزدرينى ويرذلنى ، ويأمرنى بالنزول من محل حكى الى بيوت الناس » .

الأربعاء ٢٧ منه (٩ اغسطس ١٨٠٩ م) :

ركب الباشا وحضر الى بيت ولده ابراهيم بيك للدفتردار ، وطلب القاضى والمشايع المذكورين ، وأرسل الى السيد عمر رسولا من طرفه ، ورسولا من طرف القاضى ، يطلبه للحضور ليتحقق ويتشاور معه . فرجعا وأخبرا بأنه شرب دواء ولا يمكنه الحضور في هذا اليوم .

وكان قد حضر شيخ السادات الوفائية والشيخ الشرقاوى . فعند ذلك حضر الباشا خلعة ، وألبسها لشيخ السادات على تقابة الأشراف ، وأمر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر — يوم تاريخه — فتشفع المشايخ في امهاله ثلاثة أيام حتى يقضى أشغاله . فأجاب الى ذلك . ثم سألوه في أن يذهب الى بلده أسيوط . فقال : « لا يذهب الى أسيوط ، ويذهب اما الى سكندرية أو دمياط » .

فلما ورد الخير على السيد عبر بذلك . قال : « أما منصب النقابة ، فانى راغب عنه وزاهد فيه ، وليس فيه الا التعب . وأما النفى فهو غاية

مطلوبى ، وأرتاح من هذه الورطة . ولكن أريد أن يكون في بلدة لم تكن تحت حكمه ، اذا لم يأذن لى في الذهاب الى أسيوط ، فليأذن لى في الذهاب الى الطور أو الى درنة » فعبروا الباشا ، فلم يرض الا بذهابه الى دمياط . ثم ان السيد عمر أمر باشجاويش أن يأخذ الجاويشية ، ويذهب بهم الى بيت السادات . وأخذ في أسباب السفر

الخميس ٢٨ منه (١٠ اغسطس ١٨٠٩ م - ٥ مسرى ١٥٢٥ ق) :

أوفى النيل المبارك ونودى بالوفاء تلك الليلة . وخرج الناس لأجل الفرجة والضيافات في الدور المطلة على الخليج فلما كان آخر النهار ، بررت الأوامر بتأخير الموسم لليلة السبت بالروضة . فبرد طعام أهل الولاثم والضيافات ، وتضاعفت كلهم ومصاريفهم .

وحصلت الحمعية بلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد . وعملوا الجراقات والشك ، وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضى ، وكسر السد بحضرتهم ، وجرى الماء في الخليج ، وانفض الجمع .

وفيه : اعتنى السيد محمد المحرقى بأمر السيد عمر . وذهب الى الباشا وكلّمه وأخبره بأنه أقامه وكيلا على أولاده وبيته وتعلقاته فأجازه بذلك ، وقال : « هو آمن من كل شيء ، وأنا لم أزل أراعى خطره ولا أفتوته » . ثم أرسل السيد المحرقى فأحضر ابن ابنة السيد عمر ، فقابل به الباشا ، وطمّن خطره . ولكن قال : « لا بد من سفره الى دمياط » . وعندما طلب السيد المحرقى الغلام الى الباشا أشيع في الناس وقوع الرضا ، وتناقل الناس ذلك ، وفرح أهل منزله ، وزغروا وسروا ، واستمروا على ذلك حتى رجع الغلام ، وتبين أنه لا شيء .

فانقلب الفرح بالترح . وتعين بالسفر ، صحبة السيد عمر ، كتخدا الألفى الى دمياط .

رجب

غرفته (١٢ اغسطس ١٨٠٩ م) :

اجتمع المودعون للسيد عمر . ثم حضر محمد كتخدا المذكور ، فعند وصوله ، قام السيد عمر وركب في الحال ، وخرج صحبته . وشيعة الكثير من المتعنين وغيرهم ، وهم يتباكون حوله حزنا على فراقه . وكذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر ، لأنه كان ركنا وملجأ ومقصدا للناس ، ولتعصبه على نصره الحق . فسر الى بولاق ، ونزل في المركب وسافر من ليلته — بأتباعه وخدمه الذين يحتاج اليهم — الى دمياط .

وفيه : حضر الشيخ المهدي عند الباشا ، وطلب وثائق السيد عمر . فأنعم عليه الباشا بنظر أوقاف الامام الشافعى . ونظر وقف سنان باشا ببولاق ، وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات . فأمر بدفعها له من خزنته نقدا ، وقدرها خمسة وعشرون كسبا ، وذلك في نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر ، حتى اوجعوا به ما ذكر .

وفيه : تقيد الخواجا محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى يعرف بالآثار النبوية . فعملها على وصمها القديم . وقد كان آل الى الخراب .

٣ منه (١٤ اغسطس ١٨٠٩ م) :

خلع الباشا على ثلاثة من الأجناد المصرية المنسوين لسليمان بيك البواب ، وقلدهم صناجق وأمراء الوقت ، وضم اليهم عساكر أنثراك وأرتوود ، لينسافر الجميع الى الجهة القبيلة ، بسبب عصيان الأمراء المرادية ، وتوقعهم عن دفع المال

والغلال . وكذلك عين للسفر أيضا أحمد أغا لاذ ، وصالح قوج ، وبونا بارتته ، وحسن باشا ، وعابدين بيك ... فارتجت البلد .

وطلبوا المراكب ، فتعطل المسافرون الى الجهة القبيلة والبحرية ، وكذلك امتنع مجيء الواصلين بالغلال والبضائع خوفا من التسخير . وقد كان حصل بعض الاطمئنان وسلوك الطريق القبيلة ، ووصول المراكب بالغلال والمجلوبات .

١٠ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٩ م) :

• حضر أحمد أغا لاذ وصالح قوج . خرجوا بعساكرهم ونزلوا في المراكب وذهبوا الى قبلى . وفيه : حضر محمد كتخدا الألفى من دمياط راجعا من تشييع السيد عمر ، ووصله الى دمياط واستقراره بها .

١٩ منه (٣٠ اغسطس ١٨٠٩ م) :

سافر من كان متأخرا الى الجهة القبيلة ، ولم يبق منهم أحد .

٢٢ منه (٢ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

نادى منادى المعمار على أرباب الأشغال في العمار من البنائين والحجارين والفعلة ، بالا يشتغلوا في عمارة أحد من الناس كائنا من كان ، وأن يجتمع الجميع في عمارة الباشا بناحية الجبل .

٢٩ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

وردت أخبار عن التجريدة أزعجت الباشا . فاهتم اهتماما عظيما ، وقصد الذهاب بنفسه ، ونه على جميع كبراء العساكر بالخروج ، وأن لا يتخلف منهم أحد ، حتى أولاده ابراهيم بيك الدفتردار وطوسون بيك ، وأنا هو المتقدم عنهم في الخروج في يوم الخميس . واستهجل التشهيل والطلب ، وأمر بتحرير دفتر فرضة « ترويجة » على اقليم المنوفية

والغربية والشرقية والقلبوية . وذكروا أنها من أصل حساب الشهيرة المتبعة .

وفيه : قتل حسن أغا الشاشرجى كشوفية المنوفية ، وأرخص لحيته على ذلك .

شعبان

غرفته (١١ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

نمق مشايخ الوقت عرضحال في حق السيد عمر بأمر الباشا ليرسله صحة السلحدار . وذكروا فيه سبب عزله ونفيه عن مصر ، وعدوا له مثالب ومعايب وجنحا وذنوبا منها : أنه أدخل في دفتر الأشراف أسماء أشخاص ممن أسلم من القبط واليهود . ومنها : أنه أخذ من الألفى — في السابق — مبلغا من المال ليملكه مصر في أيام فتنة أحمد باشا خورشيد . ومنها : أنه كاتب الأمراء المصريين أيضا في وقت الفتنة — حين كانوا بالقرب من مصر — ليحضروا على حين غفلة في يوم قطع الخليج ، وحصل لهم ما حصل ، ونصر الله عليهم حضرة الباشا . ومنها : أنه أراد إيقاع الفتن في العساكر لينقض دولة الباشا ، ويولي خلافة ، ويجمع عليه طوائف المغاربة والصعائدة وأخلاط العوام وغير ذلك . وذلك على حد من أعان ظالما سلب عليه . وكتبوا عليه أسماء المشايخ ، وذهبوا به اليهم ليضعوا ختمهم عليه . فامتنع البعض من ذلك وقال : « هذا كلام لا أصل له » . ووقع بينهم محاججات ، ولأم الأعظم المتنعيين على الامتناع ، وقالوا لهم : « أنتم لستم بأروع منا ، وأثبت لنفسه ورعا » . وحصل بينهم منافسات ومخالفات ومقابلات .

ثم غيروا صورة المرضحال بأقل من التحامل الأول ، وكتب عليه بعض المتنمين . وكان من المتنمين أولا وآخرها : السيد أحمد الطحطاوي

الحنفى . فزادوا في التحامل عليه ، وخصوصا شيخ السادات والشيخ الأمير وخلافهما . واتفق أنه دعى في وليمة عند الشيخ الشنوائى بحارة حوش قدم وتأخر حضوره عنهم . فصادفهم حال دخوله الى المجلس ، وهم خارجون ، فسلم عليهم ولم يصادفهم ... لما سبق منهم في حقه من الإيذاء . فتطاول عليه ابن الشيخ الأمير ورفع صوته بتوبيخه وشتمه لكونه لم يقبل يد والده . ويقول له في جملة كلامه : « أليس هو الأقليل الأدب والحياء . ثالث طبقة للشيخ الوالد » ! ونحو ذلك .

٣ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

سافر الباشا الى الجهة القبلية ، وتبعه العساكر .

١٣ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

سافر حسن باشا وعساكر الأرثوود ، وتتابعوا في الخروج . وتحدث الناس بروايات عن الباشا والأمراء المصريين وصلحه معهم ، وأن عثمان بيك حسن ، ومحمد بيك المنفوخ ، ومحمد بيك الابراهيمى وصلوا عند الباشا وقابلوه . وأنه أرسل إلى ابراهيم بيك الكبير ولده طوسون باشا ، فتلقيه وأكرمه . وأرسل هو أيضا ولده الصغير الى الباشا فأكرمه . ووصل الى مصر بعض نساء حريمه وحريم الأمراء .

١٥ منه (٢٥ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

خرجت الدلاة والأرثوود ، وباقي الأجناد والعسكر . وأقام الباشا كئيدا بيك قائم مقامه ، وأقام بالقلمة

وفيه : اتفق الأشياخ والمتصدرون على عزل السيد أحمد الطحطاوي من افتاء الحنفية وأحضروا الشيخ حسين المنصوري ، وركبوا صحبته ، وطلعوا به الى القلمة — بعد أن مهدوا

القضية — فألبس قائمقام الشيخ حسين ... فروة ،
ثم نزلوا . ثم طاف للسلام عليهم ، وخلصوا هم عليه
أيضا خلصهم .

فلما بلغ الخبر السيد أحمد الطحطاوى ، طوى
الخلع التى كانوا ألبسوها له عندما تقلد الافتاء ،
بعد موت الشيخ ابراهيم الحريرى ، فى جمادى
الأولى ، بقرب عهد ، وأرسلها لهم . وكان الشيخ
السادات ألبسه حين ذاك فروة ، فلما ردها عليه ،
احتد واغتاض ، وأخذ يسبه ، ويذكر لجلسائه
جرمه ، ويقول : « انظروا الى هذا الخبيث .. كأنه
يجعلنى مثل الكلب الذى يعود فى قيئه » .. ونحو
ذلك .

وأما السيد أحمد فانه اعتكف فى داره ، لا يخرج
منها الا الى الشيخونية بجواره ، واعتزلهم وترك
الخطبة بهم ، والتباعد عنهم . وهم يبالغون فى ذمه
والحظ عليه ، لكونه لم يوافقهم فى شهادة الزور .
والحامل لهم على ذلك كله ، الحظوظ النفسانية
والحسد . مع أن السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم
وعلى أهل البلدة ، ويدافع ويرافع عنهم وعن
غيرهم . ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ،
ولم يزالوا بعده فى انحطاط وانخفاض .

وأما السيد عمر ... فان الذى وقع له بعض
ما يستحقه . ومن أعان ظالما سلط عليه . ولا
يظلم ربك أحدا .

رمضان

اواخره (اوائل نوفمبر ١٨٠٩ م) :

وصل طائفة من الدلاتية من ناحية الشام ،
ودخلوا الى مصر ، وهم فى حالة رثة ، كما حضر
غيرهم وصحبهم من المخشئين المعروفين بـ
الذين يتكلمون بالكلام المؤث ، ومعهم دفوف
وطناير .

وفيه : حرروا دفتر الأتليان على ضريبة واحدة :
عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ،
ولم يحصل فى ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة فى
شئ . . . كما وقع فى العام الماضى والذى قبله ، فى
المراجعة بحسب الرى والشرافى . وأما فى هذه
السنة فليس فيها شرافى ، فحسابها بالمساحة
الكاملة لعموم الرى .

فان النيل فى هذه السنة زاد زيادة مفرطة ،
وعلا على الأعالي ، وتلف بزيادته المفرطة الدراوى
والأقصاب بقبلى ، وكذلك غرق مزارع الأرز
والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقى ،
بسبب انسداد ترعة الفرعونية بتلك الناحية .

ولما تمموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب
— والباشا بقبلى — وأرسل بطلبها ليطلع عليها .
فسافر اليه بها المعلم غالى ، وأخذ صحبتته أحمد
أفندى اليتيم من طرف الروزنامة وعبد الله بكتاش
الترجمان ، فذهبوا اليه بأسيوط وأطلعوه عليها ،
فختم عليها . وانقضى شهر رمضان .

شذال

الثلاثاء ١٣ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٩ م) :

حضر المعلم غالى وأحمد أفندى وبكتاش وغيرهم
من غيبتهم . وحضر أيضا فى أثرهم المعلم جرجس
الجوهري . وقد تقدم أنه خرج من صر هاربا
الى الجهة القبلية واختفى مدة ، ثم حضر بأمان
الى الباشا ، وقابله وأكرمه . ولما حضر نزل فى
بيته الذى بحارة الوندك ، وفرشه له المعلم غالى ،
وقام له بجميع لوازمه . وذهب الناس ، مسلمهم
ولصرائهم ، وعالمهم وجاهلهم ، للسلام عليه .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٩ م) :

وصل الباشا على حين غفلة الى مصر فى تطريدة ،

ذوالقعدة

غوته (٨ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا ، وباقي
العسكر ، وسكنوا الدور ، وأزعجوا الناس ،
وأخرجوهم من مساكنهم ومنازلهم بيولاقي ومصر
وغيرهما .

واتفق أن بعض ذوى المكر من العسكر
— عندما أراد السفر الى جهة قبلى — أرسل
لصاحب الدار ، التى هو غاصبها وساكن فيها ،
فأحضره وسلمه المفتاح ، وهو يقول له : « تسلّم
يا أخى دارك واسكنها ، بارك الله لك فيها ، وسامحنى
وأبرىء ذمتى ... فربما أنى أموت ولا أرجع ! » ،
ولأن الكثير منهم تولى المناصب والأمريات
بالجهة القبلية .

وعندما يتسلم صاحب الدار داره ، يفرح
بخلاصها ، ويشرع فى عمارتها وإعادة ما تهدم
منها ، فيكلف نفسه — ولو بالدين — ويعمرها
فما هو الا أن تم العماره والمرة فى مدة غيبتهم .
فما يشعر الا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجبله
وخدمه ... فما يسع الشخص الا الرحلة ، ويتركها
لغيره . وقد وقع ذلك لكثير من الناس المغفلين !
وفيه : وصلت أخبار بأن عمارة الفرنساوية
نزلت الى البحر . وعدة مراكبهم مائتان ومسيبة
عشر مركبا محاربين ، لا يعلم قصدهم أى جهة من
الجهات .. وحضر ثلاثة أشخاص من الططر المحدثين
لتوصيل الأخبار ، ويدهم مرسوم ، مضموه :
الأمر بالتحفظ على الثغور . فعند ذلك أمر الباشا
بالاستعداد وخروج العساكر الى الثغور .

٨ منه (١٥ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

سافر جملة من العسكر الى ناحية بحرى
فسافر كبير منهم ومعه جملة من العسكر الى

وقد وصل من أسبوط الى ناحية مصر القديمة فى
ثلاثين ساعة ، وصحبته ابنه طوسون وبونا بارت
الخازندار وسليمان أغا ، الوكيل سابقا ، لا غير .
فركبوا حميرا متكرين حتى وصلوا الى القلعة من
ناحية الجبل ، وطلع من باب الجبل . وعند طلوعه
من السفينة ، أمر ملاحيه أن لا يذكروا لأحد
وصوله ، حتى يسمعو ضرب المدافع من القلعة .
ثم طلع الى سرايته ودخل الى الحريم ، فلم يشعروا
به الا وهو بالحريم . وعند ذلك أمر بضرب المدافع ،
وأشيع حضوره . فركب كتخدا بيك وغيره مسرعين
للملاقاة ، ثم بلغهم طلوعه الى القلعة ، فرجعوا على
أثره .

وكان الخواجا محمود حسن البزرجان خرج
للملاقاة — قبل وصوله بثلاثة أيام — الى ناحية
الآثار ، وأخرج معه مطابخ وأغناما ، واستعد
لقدومه استعدادا زائدا ... وذهب تمبه فى القارغ
البطال .

ثم بعد وصول الباشا بثلاثة أيام ، وصلت
طوائف العسكر وعظماهم ، ومعهم المنهوبات من
الغلال والأغنام والفحم والحطب والقلل وأنواع
التمر وغير ذلك ، حتى أخشاب الدور وأبوابها .

الاثنين ٢٦ منه (٤ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

وصل حسن باشا وطوائف الأرثوود وصالح
قوج والدلاة والترك ، ووصل أيضا شاهين بيك
الألفى ، وصحبته محمد بيك المنفوخ المرادى ،
ومحمد بيك الابراهيمى — وهم الذين حضروا فى
هذه المرة من المخالفين — وقيل ان البواقى أخذوا
مهلة لبعد التخضير . أما ابراهيم بيك تابع الأشقر ،
ومحمد أغا تابع مراد بيك الصغير ، وصحبته
عساكر ، فذهبا الى ناحية السويس بسبب وصول
طائفة من العربان ، قالوا انها من التابعة للوهابيين ،
حضروا وأقاموا عند بئر الماء ، ومنعوا السقيا منها .

سكندرية ، وكذلك سافر خلفه الى رشيد ، والى دمياط وأبى قير والبرلس .

١٨ منه (٢٥ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

ركب الباشا ليلا ، وخرج مسافرا الى السويس ليكشف على قلاع القلزم . وقام له بالاحتياجات — من أحمال الماء والعليق والزوادة واللوازم — السيد محمد المحروقى . وكان خروجه ومن معه على الهجن .

٢٤ منه (٢١ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

حضر الباشا من السويس — وكان وصوله ليلا — وطلع الى القلعة .

ذخيرة

الاحد غرته (٧ يناير ١٨١٠ م) :

شرع الباشا فى انشاء مراكز لبحر القلزم . فطلب الأخشاب الصالحة لذلك ، وأرسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصرى القبلى والبحرى ، وغيرها من الأخشاب المجلوبة من الروم ، وجعل بساحل بولاق ترسحانة وورشات ، وجعوا الصنائع والنجارين والشاربين ، فيهيئونها وتحمل أخشابا على الجمال ، ويركبها الصنائع بالسويس سفينة ، ثم يلقطونها ويبيضونها ويلقونها فى البحر . فعملوا أربع سفائن كبار ، احداها يسمى « الأبريق » ، وخلاف ذلك داوات لحمل السفار والبضائع .

ومن الحوادث فى آخره : أن امرأة ذهبت الى عرصة الغلة بباب الشعرية واشترت حنطة ، ودفعت فى ثمنها قروشاً . فلما ذهبت ، نظروها وتقدهوها ، فإذا هى من عمل الزغلية . ثم عادت بعد أيام فاشترت الغلة ودفعت الثمن قروشاً أيضا فذهب البائع معها الى الصيرفى ، فوجدها مزغولة مثل الأولى فعملوا أنها الغرعة فقال لها الصيرفى : « من

أين لك هذا ؟ » فقالت : « من زوجى » . فقبضوا عليها وأنوا بها الى الأغا . فسألها الأغا عن زوجها فقالت : « هو عطار يسوق الأزهر » . فأخذها الأغا وحضر بها الى بيت الشيخ الشرقاوى — بعد العشاء — وأحضرها زوجها ، وسأله فقال : « أنا أخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوى ! » . فانفل الشيخ وقال : « ان يكن هو ابنى .. فأنا برىء منه » . وطلبوه . فتغيب واختفى . وأخذ الأغا المرأة وزوجها وقررها ، فأقر الرجل ، وعرف عن عدة أشخاص يفعلون ذلك ، وفيهم من مجاورى الأزهر ، فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض البعض ، وقبض على أشخاص ومعهم المدد والآلات ، وجسهم أيضا بالقلعة عند كتخدائك وفر ناس من مجاورى الأزهر من مصر ، لما قام بهم من الوهم .

وفى كل يوم يشاع بالتنكيل والتجريس للمقبوض عليهم ، وقتلهم ولم يزل الأغا يتجسس حتى جمعوا ستة عشر عدة ، وأرسلوها الى بيت محمد أفندى ناظر المهمات ، وسألوا الحدادين عن اصطنع هذه العدد منكم ، فأثكروا وجحدوا ، وقالوا : « هذا من صناعة الشام » . ثم كسروها وأبطلوها . وطال أمر الحبوسين ، والتفحص عن غيرهم فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره أو شريكه .

فكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث ... خصوصا بنسبتها لخطئة الأزهر . فكان كل من اشترى شيئا ، ودفع الثمن للبائع قروشاً ، ذهب بها الى الصيرفى — لأن فى ذاك الوقت لم يكن موجودا بأيدى الناس خلافاً — وكانوا يقولون فى ذهابهم الى الصيرفى . « ربما تكون أزهرية » ! ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

واقضت السنة بحوادثها التي منها ما ذكر .
ومنها : احداث بدعة المكس على النشوق . وذلك
أن بعض المتصدرين من نصارى الأروام ، أنهى
الى كتخدا ييك أمر النشوق وكثرة المستعملين له
والدقاقين والباعة ، وأنه اذا جمع دقاؤه وصناعه
فى مكان واحد ، ويجعل عليهم مقادير ، ويلتزم به
ويضبط رجاله وجمع ماله وايصاله الى الخزينة ...
من يكون ناظرا وقيما عليه ، كغيره من أقلام
المكوس التي يعبرون عنها بالجمارك ، فإنه يتحصل
من ذلك مال له صورة .

فلما سمع كتخدا ييك ذلك أنهاه الى مخدومه .
فأمر فى الحال بكتابة فرمان بذلك . واختار الذى
جملوه ناظرا على ذلك خانا بخطه « بين الصوريين » .
ونادوا على جميع صناع النشوق وجمعوهم بذلك
الحال ، ومنعوهم من جلوسهم بالأسواق والخطط
المتفرقة ... والقيم على ذلك يشتري الدخان المعد
لذلك من تجاره بثمن معلوم حدده : لا يزيد على
ذلك ، ولا يشتريه سواه . وهو يبيعه على صناع
النشوق بثمن حدده ولا ينقص عنه . ومن وجده
باع شيئا من الدخان أو اشتراه ، أو سحق نشوقا
خارجا عن ذلك الخان — ولو لخاصة نفسه —
قبضوا عليه وعاقبوه وغرموه مالا .

وعينوا معينين لجميع القرى والبلدان القبلية
والبحرية ، ومعهم من ذلك الدخان ، فيأتون الى
القرية ويطلبون مشايخها ويعطونهم قدرا موزونا ،
ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم الذى بيدهم .
فيقول أهل القرية : « نحن لانستعمل النشوق ولا
نعرفه ، ولا يوجد عندنا من يصنعه ، وليس لنا به
حاجة ، ولا نشترى به ولا نأخذه » . فيقال لهم : « ان
لم تأخذوه .. فهاتوا ثمنه » ! فان أخذوه أو لم
يأخذوه ، فهم ملزمون بدفع القدر المعين المرسوم ،
ثم كراء طريق المعينين وكلقتهم وعليق دوابهم !
ومنها أيضا : « النظرون » فرقوه وفرضوه على

القرى ، محتجين أيضا باحتياج الحياكة والقزاذين
اليه ، لفسل غزل الكتان وبياض قماشه ونحو ذلك !
وأشنع من ذلك كله : أنهم أرادوا فعل مثل هذا
فى الشراب المسكر المعروف « بالعرقى » . والزمام
أهل القرى بأخذه ودفع ثمنه — ان أخذوه أو لم
يأخذوه — فقبل لهم فى ذلك فقالوا : « ان شربيه
يقوى أبدانهم على أعمال الزرع والزراعة والحراث
والكد فى القنطرة والنطالة والشادوف » . ثم بطل
ذلك .

ومنها : أن الباشا شرع فى عمل زلاقة تجاه باب
القلعة — المعروف بباب الجبل — موصلة الى أعلى
الجبل المقطم . فجمعوا البنائين والحجارين والصعفة
للعمل ، وحرقوا عدة قمينات للجير بجانب العمارة ،
وطواحين للجبس . ونودى بالمدينة على البنائين
والفعلة بأن لا يشتغلوا فى عمارة أحد من الناس ،
كائنا من كان ، ويجتمع الجميع فى عمارة الباشا
بالقلعة والجبل ، الى أن كمل عملها فى السنة التالية :
طريقا واسعا ، منحدرًا من الأعلى الى الأسفل ،
ممتدا فى المسافة ، سهلا فى الطلوع الى الجبل أو
الانحدار منه ، بحيث يجوز عليه المشاى والراكب
من غير مشقة ولا تعب كثير .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

مات العلامة المفيد ، والنحرير الفريد ، المحضيه
النبية : الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد الحريرى
الحنفى ، مفتى مذهب السادات الحنفية كوالده .

تفقه على والده ، وحضر فى المعقولات على أشياخ
الوقت : كالبلى والدردير والصبان وغيرهم .

وأنجب وتهمر ، وصارت فيه ملكة جيدة ،
واستحضر للفروع الفقهية . ولما مات والده فى
شهر رجب سنة عشرين ومائتين وألف ، تقلد
منصب والده فى الافتاء . وكان لها أهلا مع التحرى

والمراجعة في المسائل المشككة ، والعفة والصيانة والديانة ، والتباعد عن الأمور المخلة بالمرؤة . مواظبا لوظائفه ودروسه ، ملازما لداره إلا مادعته الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع أرباب المظاهر .

وكان مبتلى بضعف البصر ، وبآخرته اعتزاه داء الباسور ، وقاسى منه شدة ، واقطع بسببه عن الخروج من داره . ووصف له حكيم بدمياط فسافر اليه لأجل ذلك ، وقصد تغيير الهواء — وذلك بإشارة نسييه الشيخ المهدي — وقاسى أهوالا في معالجته ، وقطعه بالآلة ... فلم ينجح .

ورجع الى مصر متزايد الألم . ولم يزل ملازما للفراش حتى توفي الى رحمة الله سبحانه وتعالى في يوم الاثنين ، تاسع عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بمدرسة الشعبانية بحارة الدويدارى ، ظاهر حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الأزهر ، وخلف ولده النجيب الأديب : سيدى محمد ، الملقب عبد المعطى . بارك الله فيه وأعانه على وقته .

ومات الامام العلامة ، والعمدة الفهامة ، شيخ الاسلام والمسلمين : الشيخ عبد المنعم ابن شيخ الاسلام الشيخ أحمد العماوى المالكى الأزهرى . وهو من آخر طبقة الأسياف من أهل القرن الثانى . تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه ، وحضر الأسياف المتقدمين : كالدفرى ، والحفنى ، والصعيدى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ الصباغ السكندرى ، والشيخ فارس .

وقرأ الدروس ، وانتفع به الطلبة . ولم يزل ملازما على القاء الدروس بالأزهر — على طريقة المتقدمين — مع العفة والديانة ، والانجماع عن الناس ، راضيا بحاله ، قانعا بمعبشته ، ليس يئده

من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدى أبى السعود أبى العشائر .

ولم يتجرا على الفتيا ، مع أهليته لذلك وزيادة ، ولم تطمح نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الأمور... مع التجمل فى الملبس والمركب واظهار الفنى ، وعدم التطلع لما فى أيدي الناس . ويصدع بالحق فى المجالس ، ولا يتردد الى بيوت الحكام والأكابر ... الا فى النادر ، بقدر الضرورة ، مع الأتفة والحشبة . ولا يشكو ضرورة ولا حاجة ولا زمانا .

ولم يزل على حالته ، حتى مرض أياما ، وتوفى ليلة الخميس حادى عشر ذى القعدة ، عن أربع وثمانين سنة . وخرجوا بجنازته من منزله الكائن بدرب الحلفاء بالقرب من باب البرقية . فمروا بالجنازة على خطة الجمالية ، على النحاسين ، على الأشرفية ، ودخلوا من حارة الخراطين الى الجامع الأزهر ، وصلى عليه فى مشهد حافل . ودفن على والده بتربة المجاورين .

وخلف من الأولاد الذكور أربعة رجال ذوى لحي صلحاء ، وخطهم الشيب ، خلاف البنات ، رحمه الله وغفا عنا وعنه .

ومات الفقيه النبيه ، الصالح الورع ، العالم المحقق : الشيخ أحمد ، الشهير ببرغوت ، المالكى . ومولده بالبلدة المعروفة « باليهودية » بالبحيرة .

تفقه على أسياف العصر ، ومهر فى الفقه والمقول . وأقرأ الدروس ، وانتفع به الطلبة ، واشتهر ذكره بينهم ، وشهدوا بفضلهم . وكان على حالة حسنة منجمعا عن الناس ، وراضيا بما قسمه له مولاه ، متكسر النفس ، متواضعا . ولم يتزى بعمامة الفقهاء ... يمشى فى حوائجه .

وتمرض « بالزمانة » مدة سنين يتعكز بعصاه ،

ولم يقطع درسه ولا أماليه حتى توفي الى رحمة الله سبحانه وتعالى يوم الأربعاء خامس شهر صفر من السنة ، ودفن بترية المجاورين . رحمه الله .

ومات العدة النحر ، والنيل الشهير : الشيخ سليمان الفيومي المالكي . ولد بانقيوم ، وحضر الى مصر ، وحفظ القرآن ، وجاور برواق القيمة بالأزهر .

وكان في أول عمره يمشى خلف حمائر الشيخ الصفيدي ، وعليه دراعة صنوف وشملة صفراء . ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما . واختلط مع المنشدين — وكان له صوت شجي — فيذهب مع المتذكرين الى بيوت الأعيان في أليالي ، فينشد الانشادات ، ويقرأ الأعشار . فيعجبون به ويكرمونه زيادة على غيره .

واختلط ببعض الأعيان الذين يقال لهم « البرقوقية » من ذرية السلطان « برقوق » — وهم لظار على أوقافه — فراج أمره ، وكثرت معارفه بالأغوات الطواشية ، وبهم توصل الى نساء الأمراء والسعى في حوائجهم وقضاياهم ، وصار له قبول زائد عندهم وعند أزواجهن .

وتجمل بالملابس ، وركب البغال ، وأحدق به المحدثون . وتزوج بامرأة بناحية قنطرة الأمير حسين ، وسكن بدارها فمات فورثها .

ولما مات الشيخ محمد العقاد ، تعين المترجم لمشيخة رواق « القيمة » . وبني له محمد بيك ، المعروف بالمبدول ، دارا عظيمة بخارة عابدين . واشتهر ذكره ، وعلا شأنه ، وطار صيته .

وسافر في بعض مقتضيات الأمراء الى دار السلطنة ، وعاد الى مصر . وأقبلت عليه الهدايا من الأمراء والحريمات والأغوات والأقباط وغيرهم . واعتنوا بشأنه وزوجته الست « زليخا »

زوجة ابراهيم بيك الكبير بنت عبد الله الرومي وتصرف في أوقاف أبيهما ، ومنها عزب البر تجاه رشيد وغيرها ، فاشتهر بالبلاد القبلية والبحرية .

وكان — مع قلة بضاعته في العلم — مشاركا بسبب التداخل في القضايا . وكان كريم النفس جدا : يجود ، وما لديه قليل ، مع حسن المعاشرة والبشاشة والتواضع ، والمواساة للكبير والصغير ، والجليل والحقير . وطعامه مبذول للواردين ، ومن أتى الى منزله في حاجة أو زائرا ، لا يمكنه من الذهاب حتى يغديه أو يعشيه .

واذا أتاه مستترفا ، ولم يجد معه أشياء ... اقترض وأعطاه فوق مأموله ، ولا يبخل بجاهه وسعيه على أحد ، كائنا ما كان ، بعوض وبدونه .

ومما اتفق له مرارا ، أنه يركب من الصباح في حوائج الناس فلا يعود الا بعد العشاء الأخيرة ، فيلاقيه آخر — ذو حاجة — في نصف الطريق أو آخره ، فينهي اليه قصته : اما بشفاعة عند أمير ، أو خلاص مسجون أو غير ذلك . فيقف له ، ويستسمع قصته ، وهو راكب ، فيقول له : « في غد نذهب اليه فان الوقت صار ليلا » فيقول صاحب الحاجة : « هو في داره في هذا الوقت » فيعود من طريقه مع صاحب الحاجة الى ذلك الأمير — ولو بعدت داره — ويقضى حاجته ، ويعود بعد حصة من الليل . وهكذا كان شأنه ، ولا ينتظر ولا يؤمل جمالة ولا أجره نظير سعيه ، فان أتوه بشيء أخذه ، أو هدية قبلها — قلت أو كثرت — وشكرهم على ذلك . فمالت اليه القلوب ، ووفدت اليه ذوو الحاجات من كل ناحية . فلا يرد أحدا ، ويستقبلهم بالبشاشة ، وينزلهم في داره ، ويطعمهم ويكرمهم ، ويستمترون في ضيافته حتى يقضى حوائجهم ويؤدوهم ، ويرجعون الى أوطانهم مسرورين ، ومجبورين ، وشاكرين . ثم يكافئونه بما أمكنهم من المكافآت . وإذا وصلت

اليه هدية ، وصادف وصولها حضوره بالمنزل ،
فرق منها على من يجلسه من الحاضرين .
فبذلك انجذبت اليه القلوب ، وساد على أقرانه
ومعاصريه ، كما قيل :

بيذل وحلم ساد في قومه الفتى

وكونك اياه عليك يسير

ولما حضر حسن باشا الجزائر الى مصر ،
وارتحل الأمراء المصريون الى الصعيد ، وأجاط
بدورهم ، وطلب الأموال من نسائهم ، وقبض على
أولادهم وجواريتهم وأمهات أولادهم ، وأنزلهم
سوق المزاد ... التجأ الى المترجم الكثير من
نساء الأمراء الكبار ، فأوهن ، وأجهد نفسه في
السعى في حمايتهن ، والرفق بهن ومواساتهن ، مدة
اقامة حسن باشا بمصر ، وبعدها في امارة اسمعيل
بيك .

فلما رجع أزواجهن — بعد الطاعون — الى
امارتهم ، ازداد قدر المترجم عندهم وقبوله ومحبة
ووجاهته ، واشتهر عندهم بعدم قبوله الرشوة ،
ومكارم الأخلاق والديانة والتورع . فكان يدخل
الى بيت الأمير ، ويعبر الى محل الحريم ، ويجلس
معهن ، ويسرون بدخوله عندهم ، ويقولون :
« زارنا أبونا الشيخ ... وشاورنا أبانا الشيخ ...
فأشار علينا بكذا ... » ونحو ذلك .

ولم يزل مع الجميع على هذه الحالة ، الى أن
طرقت الفرنسية البلاد المصرية ، وأخرجوا منها
الأمراء . وخرج النساء من بيوتهن ، وذهبن اليه
أفواجا أفواجا حتى امتلأت داره وما حولها من
الدور بالنساء . فتصدى لهن المترجم ، وتداخل في
الفرنساوية ، ودافع عنهن . وأقمن بداره شهورا .
وأخذ أمانا لكثير من الأجناد المصرية وأحضرهم الى
مصر ، وأقاموا بداره ليلا ونهارا .

وأحبه الفرنسية أيضا ، وقبلوا شفاعاته ،
ويحضرون الى داره ، ويعمل لهم الولائم . وساس
أموره معهم ، وقرروه في رؤساء الديوان الذي
رتبوه لأجراء الأحكام بين المسلمين .

ولما نظموا أمور القرى والبلدان المصرية على
النسق الذي جعلوه ، ورتبوا على مشايخ كل بلد
شيخا ترجع أمور البلدة ومشايخها اليه ، وشيخ
المشايخ المترجم ، مضافا ذلك لمشيخة الديوان ،
وحاكمهم الكبير فرنساوى يسمى « ابريزون » .
فازدحمت داره بمشايخ البلدان ، فيأتون اليه
أفواجا ، ويذهبون أفواجا . وله مرتب خاص خلاف
مرتب الديوان .

واستمر معهم في وجاهته الى أن انقضت أيامهم ،
وسافروا الى بلادهم . وحضرت العثمانية والوزير .
والمترجم في عداد العلماء والمتصدرين : وافر
الحرمة ، شهير الذكر ، بعيد الصيت ، مرعى
الجانب ، مقبول القول عند الأكابر والأصاغر .

ولما قتل خليل أفندي الرجائي الدفتردار
وكتخدا بيك في حادثة مقتل طاهر باشا ، التجأ اليه
أخو الدفتردار وخازن داره وغيرها ، وذهبوا الى
داره ، وأقاموا عنده ... فحباهم وواساهم حتى
سافروا الى بلادهم .

ولم يزل على حالته حتى نزل به خلط بارد ،
فأبطل شقه ، وعقد لسانه ، واستمر أياما ، وتوفي
ليلة الأحد ، خامس عشر ذى الحجة ، وخرجوا
بجنازته من بيته بحارة عابدين ، وصلى عليه بالأزهر
في مشهد عظيم جدا مثل مشاهد العلماء الكبار
المتقدمين ، وربما كان جمع النساء خلفه ، كجمع
الرجال في الكثرة ، ووجدوا عليه ديونا نحو العشرة
آلاف ريال ، سامحه أصحابها ولم يحلف من
الأولاد الا ابنتين . رحمه الله وسامحه ، وعفا عنا
وعنه آمين .

وسقطت منارة بسوس ، ونصف منارة بأم اخنان بالمنوفية ، وغير ذلك لانعلمه .

وفي عصرته أيضا حصلت زلزلة — ولكن دون الأولى — فانزعج الناس منها أيضا ، وهاجوا ، ثم سكنوا ، ثم كثر لفظ العالم بمعادتها . فمنهم من يقول ليلة الأربعاء ، ومنهم من يقول خلافه ، وأنها تستمر طويلا . وأسندوا ذلك لبعض المنجمين . ومنهم من أسنده لبعض النصارى واليهود . وأن رجلا نصرانيا ذهب الى الباشا وأخبره بحصول ذلك ، وأكد في قوله وقال له : « احبسنى .. وأن لم يظهر صدقى ، اقتلنى » . وأن الباشا حبسه حتى يمضى الوقت الذى عينه ليظهر صدقه من كذبه . وكل ذلك من تخيلاتهم واختلاقاتهم وأكاذيبهم ، وما يعلم الغيب الا الله .

١٤ منه (١٩ فبراير ١٨١٠ م) :

أمر الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الأقباط : كالمعلم غالى ، والمعلم جرجس الطويل ، وأخيه ، وفنتيوس ، وفرانسيكو — وعدتهم سبعة — فأحضروهم فى صورة منكرة ، وسمرورهم ، وأخذوا دفاترهم . فلما حضروا بين يديه ، قال لهم : « أريد حسابكم بموجب دفاتركم هذه » . وأمر بحبسهم . فطلبوا منه الأمان ، وأن يأذن لهم فى خطابه . فأذن لهم . فخطبه المعلم غالى ، وخرجوا من بين يديه الى الحبس . ثم قرر عليهم بواسطة حسين أفندى الروزفامجى سبعة آلاف كيس ، بعد أن كان طلب منهم ثلاثين ألف كيس .

المستم

غرفته (٦ فبراير ١٨١٠ م) :

وردت الأخبار من الديار الرومية بغلبة الموسكوب ، واستيلائهم على ممالك كثيرة . وأنه واقع بإسلامبول شدة حصر وغلاء فى الأسعار وتخوف . وأنهم يذيعون فى الممالك بخلاف الواقع لأجل التطمين .

٥ منه (١٠ فبراير ١٨١٠ م) :

حضر ابراهيم أفندى القابجى ، الذى كان توجه الى الدولة من مدة سابقة ، وعلى يده مراسيم بطلب ذخيرة وغلال . وعملوا لقدمه شنكا ومدافع . وطلع فى موكب الى القلعة .

وفيه : رجع ديوان أفندى من ناحية قبلى ، وصحبته أحمد أغا شويكار ، فأقاما بمصر أياما ، ثم رجعا بجواب الى الأمراء القبلين .

١٢ منه (١٨ فبراير ١٨١٠ م) :

فى ليلته حصلت زلزلة عجيبة مزعجة ، وارتجت منها الجهات ثلاث رجات متواليات ، واستمرت نحو أربع دقائق . فانزعج الناس منها من منامهم ، وصار لهم جلبة وقلقة ، وخرج الكثير من دورهم هارين الى الأزقة يريدون الخلاص الى الفضاء .. مع بعده عنهم . وكان ذلك فى أول الساعة السابعة من الليل . وأصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم . وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة ، وتشفت جدران ،

١٨ منه (٢٣ فبراير ١٨١٠ م) :

شاع في الناس حصول زلزلة تلك الليلة — وهي ليلة الجمعة — ويكون ذلك في نصف الليل . فتأهب غالب الناس للطلوع بخارج البلد ، فخرجوا بنسائهم وأولادهم الى شاطئ النيل ببولاق ولواحي الشيخ قمر ، ووسط بركة الأزبكية ... وغيرها . وكذلك خرج الكثير من المعسكر أيضا ، ونصبوا خياما في وسط الرميطة وقراميدان والقرافتين . وقاسوا تلك الليلة من البرد ما لا يكيّف ولا يوصف ، لأن الشمس كانت ببرج الدلو ، وهو وسط الشتاء ، ولم يحصل شيء مما أشاعوه وأذاعوه وتوهّموه . وتسلق العيارون والحرامية تلك الليلة على كثير من الدور والأماكن ، وفتشوها .

فلما أصبح يوم الجمعة كثر التشكي الى الحكام من ذلك . فنادوا في الأسواق بأن لا أحد يذكر أمر الزلزلة ، وكل من خرج لذلك من داره ... عوقب . فانكفوا وتركوا هذا اللغظ الفارغ .

وفيه : ظهر بالأزهر أنفار يقفون بالليل بصحن السامع الأزهر . فاذا قام انسان لحاجته منفردا أخذوا ما معه ، وأشيع ذلك . فاجتهد الشيخ المهدي في الفحص والقبض على فاعل ذلك ، الى أن عرفوا أشخاصهم ونسبهم . وفيهم من هو من أولاد أصحاب المظاهر المتعمين . فستروا أمرهم ، وأظهروا شخصا من رفقائهم ليس له شهرة ، وأخرجوه من البلدة منقيا ، ونسبوا اليه الفعّال . وسيتكشف ستر الفاعلين فيما بعد ، ويفتضحون بين العالم ... كما يأتي خبر ذلك في سنة سبع وعشرين .

وكذلك أخرجوا طائفة من القوادين والنساء الفواحش ، سكنوا بحارة الأزهر ، واجتمعوا في

أهله . حتى ان أكابر الدولة وعساكرهم ، بل وأهل البلد والسوق ، جعلوا سرهم ، وديدهم ذكر الأزهر وأهله ، ونسبوا له كل رذيلة وقبيحة . ويقولون : لرى كل موبقة تظهر منه ومن أهله . وبعد أن كان منبع الشرمة والعلم صار بعكس ذلك . وقد ظهر منه قبل الزغلية ، والآن الحرامية وأمور غير ذلك مخفية .

وفيه : طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلة من القلعة الى الزلافة ، التي أنشأها طريقا يصعد منها الى الجبل المقطم السابق ذكرها . وأراد أن يفرض على الأخطاط والحارات رجالا للعمل بعدد مخصوص ، ومن اعتذر عن الخروج والمساعدة ، يفرض عليه بدلا عنه ، أو قدرا من الدراهم يدفعها نظير البذل . وأشيع هذا الأمر ، واستحضر الأوباش على الطبول والزمور ... كما كانوا يفعلون في قضية عمارة محمد باشا خسرو . ثم ان الشيخ المهدي اجتمع بكتبخدا بيك ، وأدخل عليه وهما أن محمد باشا خسرو لما فعل ذلك لم يتم له أمر ، وعزل ولم تطل أيامه . ونحن نطلب دوام دولتكم ، والأولى ترك هذا الأمر . فتركوا ذلك ، ولم يذكروه بعد .

مصر

غرفته (٨ مارس ١٨١٠ م) :

قلد الباشا خليل أفندي النظر على الروزنامجى وكتابه ، وسوّه كاتب الذمة — أى ذمة الميرى من الأيراد والمصرف — وكان ذلك عند فتح الطلب بالميرى عن السنة الجديدة ، فلا يكتب تحويل ولا تنبيه ولا تذكرة حتى يطلعوه عليها ، ويكتب عليها علامته . فتكدر من ذلك الروزنامجى وباقي الكتبة . وهذه أول دسيمة أدخلوها في الروزنامة ، وابتداء فضيحتها ، وكشف سرها ... وذلك بأغراء بعض الأفندية الخاملين . أنهى اليهم أن الروزنامجى ومن

منه من الكتاب يوفرون لأنفسهم الكثير من الأموال الميرية ، ويتوسعون فيها . وفي ذلك اجحاف بمال الخزينة . و خليل أفندى هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ، ولا يفيق من الشرب !

وفيه : طلب الباشا ثلاثة أشخاص من كتبة الأقباط ، الذين كانوا متقيدين بقياس الأراضي بالمنوفية ، وضربهم وجسهم ... لكونه بلغه عنهم أنهم أخذوا البراطيل والرشوات على قياس طين أراضى بعض البلاد ، وأنقصوا من القياس فيما ارتوى من الطين ... وهى البدعة التى حدثت على الطين الرى ، وسموها القياسة — وقد تقدم ذكرها غير مرة — وحررت فى هذه السنة على الكامل ، لكثرة النيل ، وعموم الماء الأراضى . على أنه بقى الكثير من بلاد البحيرة وغيرها شراقى بسبب عدم حفر الترع ، وحبس الجبوس ، وتجسين الجسور ، واشتغال الفلاحين والملازمين بالفرض والمظالم وعجزهم عن ذلك .

• منه (١٢ مارس ١٨١٠ م) :

طلب الباشا كشف الأقاليم . وشرع فى تقرير فرضة على البلاد ، بما يقتضيه نظره ونظر كشف الأقاليم والمعلمين القبط . فقرر على أعلاها ثمانين كيسا ، والأدنى خمسة عشر كيسا . ولم يتقيد بتحرير ذلك أحد من الكتبة الذين يحررون ذلك بدفاتر ويوزعونها على مقتضى الحال ، ولم يعطوا بالمقادير أوراقا للملتزمى الحصص ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك .

فان الملتزم كان اذا بلغه تقرير فرضة ، ثدازك أمره ، وذهب الى ديوان الكتبة ، وأخذ علم القدر المقرر على حصته وتكفل بها ، وأخذ منهم نهلة بأجل معلوم ، وكتب على نفسه وثيقة وأبقاها عندهم . ثم يجتهد فى تحصيل المبلغ من فلاحيه .

وان لم يسعفوه فى الدفع ، وحولوا عليه الطلب ، دفعه من عنده ان كان ذا مقدرة ، أو استدانه ولو بالربا ، ثم يستوفيه بعد ذلك من الفلاحين شيئا فشيئا .. كل ذلك حرصا على راحة فلاحى حصته وتأمينهم واستقرارهم فى وطنهم ، ليحصل منهم المطلوب من المال الميرى ، وبعض ما يقتاتون به هم وعيالهم . وان لم يفعل ذلك ، تحول باستخلاص ذلك كاشف الناحية ، وعين على الناحية الأعوان بالطلب الحثيث ، وما ينضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم .

وان تأخر الدفع ، تكرر الارسال والطلب على التسق المشروح . فيتضاعف لهم ... وربما ضاع فى ذلك قدر الأصل المطلوب وزيادة عنه مرة أو مرتين . والذى يقبضونه يحسبونه بالفرط — وهو فى كل ريال عشرة أنصاف فضة يسمنونها ديوانى — فيقبض المباشر عن الريال تسعين نصفا فضة ، ويجعل التسعين ثمانين ... وذلك خلاف ما يقرره فى أوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط . فيتكشف حال الفلاح ، ويبيع ما عنده من الغلة والبهيمة ، ثم يفر من بلدته الى غيرها ، فيطلبه الملتزم ، ويبعث اليه المعينين من كاشف الناحية بحق طريق أيضا : فربما أداه الحال — ان كان خفيف الميال والحركة — الى الفرار والخروج من الأقليم بالكلية !

وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر ... الذين جلوا عنها وخرجوا منها ، وتغربوا عن أوطانهم من عظيم هول الجور .

واذا ضاق الحال بالملتزم ، وكتب له عرض حاله يشكو حاله أو حال بلده أو حصته وضعف حالها ويرجو التخفيف ، وتجاسر وقدم عرض حاله الى الباشا ، يقال له : هات التقسيط ، وخذ ثمن حصتك أو بدلها . أو يعين له ترتيبا يقدر فائظها على بعض

تحت نظره — وكذلك قاعة الفضة . وجمرك اللبان وغيره .

وفيه : وصلت الأخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها ، بوقوع الزلزلة في الوقت الذي حصلت فيه بمصر ... إلا أنها كانت أعظم وأشد وأطول مدة . وحصل في بلاد كريت اتلافات كثيرة . وهدمت أماكن ودورا كثيرة . وهلك كثير من الناس تحت الردم ، وخسفت أماكن ، وتكسر على ساحل مالطة عدة مراكب . وحصل أيضا باللاذقية خسف .

وحكى الناقلون : أن الأرض انشقت في جهة من اللاذقية . فظهر في أسفلها أبنية انخسفت بها الأرض قبل ذلك ثم انطبقت ثانيا !

وفيه من الحوادث : ما وقع ببيت المقدس . وهو أنه لما احترقت القمامة الكبرى (كما تقدم ذكر خرقها في العام الماضي) أعرضوا إلى الدولة . فبرز الأمر السلطاني بإعادة بنائها ، وعينوا لذلك أغا قابجي وعلي يده مرسوم شريف . فحضر إلى القدس وحصل الاجتهاد في تشييل مهيات العمارة ، وشرعوا في البناء على وضع أحسن من الأول ، وتوسعوا في مساحة جرمها ، وأدخلوا فيها أماكن مجاورة لها ، وأتقنوا البناء اتقانا عجيبا ، وجعلوا أسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ، ونقلوا إليها من رخام المسجد الأقصى . فقام بمنح ذلك جماعة من الأشراف الينكجيرية ، وشنعوا على الأغا المعين وعلى كبار البلدة ، وتعصبوا حماية للدين ، قائلين : « ان الكنسائس اذا خربت لا يجوز اعادةها الا بأقاضيها ، ولا يجوز الاستلاء بها ولا تشييدها ، ولا أخذ رخام الحرم القدسي ليوضع في الكنيسة » ، ومانعوا في ذلك . فأرسل ذلك الأغا المعين إلى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لأوامر الدولة . فأرسل يوسف باشا طائفة من عسكره في عدة وافرة ، فوصلوا من طريق « الغور » — وهو مسلك

الجهات المبرية من المكوس والجمارك التي أحدثوها . فان سلم سنده وكان ممن يراعى جانبه ، حول إلى بعض الجهات المذكورة صورة ، وإلا أهمل أمره . وبعضهم باعها لهم بما انكسر عليه من مال القرض . وقد وقع ذلك لكثير من أصحاب الذمم المتعددة : انكسر عليه مقادير عظيمة ، فنزل عن بعضها ، وخصبوا له ثمنها من المنكسر عليه من القرض ، وبقي عليه الباقي يطالب به . فان حدثت قرصة أخرى قبل غلاق الباقي ، وقعد بها ، وضمت إلى الباقي ، وقصرت يده لمجز فلاحيه ، واستدان بالربا من العسكر ... تضاعف الحال ، وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر إلى خلاص نفسه ، وينزل عما بقي تحت يده كالأول وقد يبقى عليه الكسر ويصبح فارغ اليد من الالتزام ومديونا . وقد وقع ذلك لكثير ... كانوا أغنياء ذوي ثروة ، وأصبحوا فقراء محتاجين من حيث لا يشعرون . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وفيه : تحركت همم الأمراء المصريين القبلين إلى الحضور إلى ناحية مصر ، بعد تردد الرسل والمكاتبات ، وحضور ديوان أفندي ورجوعه ، وحضور محمد بيك المنفوخ أيضا . وكل من حضر منهم أنعم عليه الباشا ، وألبسه الخلع ، ويقدم له التقادم ، ويعطيه المقادير العظيمة من الأكياس — وقصده الباطني صيدهم — حتى أنه كان أنعم على محمد بيك المنفوخ بالتزام جمرك ديوان بولاق ، ثم عرضه عنه ستمائة كيس وغير ذلك .

وفيه : قلد الباشا نظر المهمات لصالح بن مصطفى كتخدا الرزاز . ونقلوا ورشة الحدادين ومنافعهم وعددهم من بيت محمد أفندي طبل الودلى — المعروف بناظر المهمات — إلى بيت صالح المذكور بناحية التبانة . وكذلك المربجية وصناع الجمل والمدافع ، ونزعوا منه أيضا معمل البارود — وكان

موصول الى القدس ، قرب المسافة خلاف الطريق
المعتاد — فدهموا الجماعة المعارضين على حين
غفلة ، وحاصروهم في دير ، وقتلوه عن آخرهم
— وهم نيف وثلاثون نفرا — وشيدوا القمامة ،
كما أرادوا ، أعظم وأضخم مما كانت عليه قبل
حرقها . فسنأل المولى السلامة في الدين .

ذواحجة

غرفته (٦ ابريل ١٨١٠ م) :

وصلت الأمراء المصريون القبالي الى ناحية بنى
سوف ، وكثير من الأجناد الى مصر . وترددت
الرسل ، وحضر ديوان أفندى ثم رجع ثانيا اليهم .
وفيه : أمر الباشا الكتاب بعمل حساب حسين
أفندى الروزنامجى عن السنتين الماضيتين — وهما
سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين — وذلك باغراء
البنفس منهم فاستمروا في عمل الحساب أياما .
فزاد لحسين أفندى مائة وثمانون كيسا . فلم يعجب
الباشا ذلك ، واستخوهم في عمل الحساب ، ثم
ألزمه بدفع أربعمئة كيس . وقال : « أنا كنت أريد
منه ستمئة كيس ، وقد سامحته في مائتين في نظير
الذى تأخر له ا » .

وطلع في صباحها الى الباشا ، وخلع عليه قسوة
باستقراره في منصبه ، ونزل الى داره . فلما
كان بعد الغروب ، حضر اليه جماعة من
العسكر في هيئة مزعجة ، ومعهم مشاعل ، وطلبوا
الدفاتر وهم يقولون : « معزول .. معزول » ا
وأخذوا الدفاتر وذهبوا ، وحولوا عليه الحوالات
بطلب الأربعمئة كيس فاجتهد في تحصيلها ودفعا
ثم ردوا له الدفاتر ثانيا .

وفيه : حصلت كاتبة أحمد أفندى المعروف باليتيم
من كتاب الروزنامة . وذلك أن الباشا كان يبيت
الأزبكية ، فوصل اليه مكتوب من كاشف اقليم

الدقهلية ، يعرفه فيه أنه قاس قطعة أرض جارية
في اقطاع أحمد أفندى المذكور ، فوجد مساحتها
خلاف المقيد بدفتر المقاس الأول ، ومسقوط منها
نحو الخمسمئة فدان ، وذلك من فعل المذكور
ومخامرته مع النصارى الكتبة والمساحين ، لأنهم
يراعونه ويدلسون معه لأن دفاتر الروزنامة بيده .

فلما قرأ المكتوب ، أمر في الحال بالقبض على أحمد
أفندى وسجنه — وكان السيد محمد المحرقى
حاضرا ، وكذلك على كاشف الكبير الألفى —
فترجيا عند الباشا ، وأخبراه بأن المذكور مريض
بالسرطان في رجله ولا يقدر على حركتها ، واستأذنه
السيد المحرقى بأن يأخذه الى داره ، فان داره
باب من أبوابه . فأجابه الى ذلك . وركب في الحال
ولحق بالمعينين ، وكانوا قد وصلوا اليه وأزعجوه ،
فمنعهم عنه وأخذه الى داره ، وراجع الباشا في
أمره ، فقرر عليه ثمانين كيسا بعد أن قال : « انى
كنت أريد أن أقول ثلثمئة كيس ، فسبق لسائى
فقلت مائة كيس ! وقد تجاوزت لأجلك عن
عشرين كيسا ، وهو يقدر على أكثر من
ذلك لأنه يفعل كذا وكذا » . وعدد أشياء تدل
على أنه ذو غنية كبيرة ، منها : أنه لما سافر الى
الباشا بدفتر القرضه الى ناحية أسيوط ، طلع الى
البلدة في هيئة وصحبته فرش وسحائر وبشخانات
وكرارات وفراشون وخدم وكيلارجية ومضاجبة
والحكيم والمزين . فلما شاهد الباشا هيئته ، سأل
عنه وعن منصبه ، فقبل له : انه جاجرت من كتبة
الروزنامة فقال : « اذا كان جاجرت (بمعنى
تلميذ) ، فكيف يكون باش جاجرت أو قلفاوات
الاقليم ، فضلا عن كبيرهم الروزنامجى ، وأى شئ
ذلك ا » . وأسر ذلك في نفسه ، وطلق يسأل
ويتجسس عن أحوالهم . لأنه من طبعه الحققد
والخسد ، والتطلع لما فى أيدي الناس .
ولما قلد خليل أفندى كتابة الذمة في الروزنامة ،

وذهب اليهم مصطفى آغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجي ، وديوان أفندي ، ثم الباشا ، ثم في أثرهم طوسون ابن الباشا . وقدم له ابراهيم بيك تقادم ، وأقام بوطاقه أياما ثم رجعوا . وكثر ترداد المراسلات والاختلافات في أمر الشروط .

٥ منه (١٠ مايو ١٨١٠ م) :

حضر عثمان بيك يوسف ، وصحبته صنجق آخر ، فطلعا الى القلعة وقابلا الباشا . ثم رجعا وحضرا في ثاني يوم كذلك . فخلع عليهما خلعا وأعطاهما أكياسا ، وأرسل الى ابراهيم بيك هدايا ، والى سليم بيك المحرمجي المرادى أيضا .

١١ منه (١٦ مايو ١٨١٠ م) :

وصل الجميع الى الجيزة ، ونصبوا وطاقهم خارج الجيزة ، وصحبتهم عربان وهواة كثيرة ، وانتظروا أن الباشا يضرب لحضورهم مدافع . فلم يفعل . وقال ابراهيم بيك : « سبحان الله ! ما هذا الاحتقار ؟ ألم أكن أمير مصر نيفا وأربعين سنة ، وتقلدت قائممقامية ولايتها ووزارتها مرارا ، وبآخره صار من أتباعي ، وأعطيه خرجه من كلارى .. ثم أحضر أنا وباقي الأمراء على صورة الصلح ، فلا يضرب لنا مدافع ... كما يفعل لحضور بعض الافرنج » ! وتأثر من ذلك .

وأشيع في الناس تعديدة الباشا من الغد للسلام على ابراهيم بيك فلم يثبت . وظهر أنه لم يفعل ، وأصبح مبكرا الى شبرا وجلس في قصره . وحضر اليه شاهين بيك الألفى في سفينة ، ووقع بينهما مكالمات ، ورجع من عنده عائدا الى الجيزة منفعل الخاطر . ثم ان الباشا أعرض عساكره . فاجتمع اليه الجميع وبدأ اللغظ وكثرت اللقطة .

وعندما وصل شاهين بيك الى الجيزة ، أزر حريمه ، وأركبهن وأرسلهن الى الفيوم ، ونقل

كما تقدم ، انضم اليه الكارهون للمذكور ، الذين كانوا خاملى الذكر بوجوده ، وتوصلوا الى باب الباشا وكنخدا بيك ، وأنهوا فيه أنه يتصرف في الأموال الميرية كما يختار ، وأن حسين أفندي الروزنامجي لا يخرج عن مراده وإشارته ، وبيته مفتوح للضيوفان ، ويجتمع عنده في كل ليلة عدة من الفقراء ، يثرد لهم الشريد في القصاع ، ويواسي الكثير من أهل العلم وغيرهم ، ويتعهد بكثير من ملتزمين بالقرض التي تقرر على حصصهم ، ويضمها في حسابها ، ويصبر عليهم حتى يوفوها له في طول الزمن ونحو ذلك . وكل ما ذكر دليل على سعة الحال والمقدرة . وأما الذنب الذي أخذه به ، فان القدر المذكور من الطين كان من الموات . فاتفق المذكور مع شركائه ملتزمى الناحية ، وجرفوه وأحيوه وأصلحوه — بعد أن كان خرسا ومواتا لا ينتفع به — وجعلوه صالحا للزراعة . وظن أن ذلك لا يدخل في المساحة فأسقطه منها فوقع له ما وقع ، وأسقطوا اسمه من كتاب الروزنامة ، ومنعوه منها ، واقطع في داره وزاد به ألم رجله . وفيه : انحرف أيضا الباشا على الخواجا محمود حسن ، وعزله من الجمارك والبزرجانية ، وأكل عليه المطلوب له وهو مبلغ ألفان وخمسون كيسا .

ربيع الآخر

غرفته (٦ مايو ١٨١٠ م) :

وصلت الأخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم ، حصل منه ضرر كثير ، وهدم دورا كثيرة بمكة وجدة ، وأتلف كثيرا من البضائع للتجار ... حكوا أنه هدم بمكة خاصة ستمائة دار . وكان ذلك في شهر صفر .

وفيه : وصل الأمراء المصريون الى ناحية الرق ، وأوائلهم وصلوا الى دهشور . وخرج اليهم الأتباع بالملاقة من ييوتهم ، وأجبابهم .

والبهنسا ، مما هو تحت حكمه ، ويراعى جانبه الى الغاية » .

فقال له ابراهيم بيك : « نعم ... انه فعل مع شاهين بيك ما لا تفعله الملوك ، فضلا عن الوزراء . وليس ذلك لسابق معروف فعله شاهين بيك معه ليستحق به ذلك ، بل هو لغرض سوء يمكنه في نفسه وشبكة يصطاد بها غيره . فائنا سبرنا أحواله وخيائته ، وشاهدنا ذلك في كثير ممن خدموه ونصحوا معه ، حتى ملكوه هذه المملكة » .

قال : « ومن هم ؟ » . قال : « أولهم مخدومه محمد باشا خسرو ، ثم كتخداه وخازنداره عثمان أغا جنج ، الذى خامر معه وملك مع أخيه المرحوم طاهر باشا القلعة ، وأحرق سرايته ، ثم سلط الأتراك على طاهر باشا حتى قتلوه فى داره .

« وأظهر موالاتنا وصداقتنا ومساعدتنا ، وصبر نفسه من عسكرنا ، واتحد بعثمان بيك البرديسى ، وأظهر له خلوص الصداقة والأخوة ، وعاهده بالايمان حتى أغراه على على باشا الطرابلسى ، وجرى ما جرى عليه من القتل ، ونسب ذلك اليه . ثم اشتغل معه على خيائته لأخيه الألفى وأتباعه . ثم سلط علينا العساكر بطلب العلوفة ، وأشار على عثمان بيك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ماوقع ، وخرجنا من مصر على الصورة التى خرجنا عليها . ثم أحضر أحمد باشا خورشيد وولاه وزيرا ، وخرج هو لمحاربتنا . ثم انتضح أمره لأحمد باشا ، وأراد الايقاع به ، فعجل العود الى مصر ، وأوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه ونابدوه .

« وألقى الى السيد عمر والقاضى والمشايخ أن أحمد باشا يريد الفتك بهم . فهيجوا العامة والخاصة ، وجرى ما جرى من الحروب ، وحرق الدور . وبذل السيد عمر جهده فى النصيح معه ، بما يظهره له من الحب والصداقة ، وراجت عليه أحواله ، حتى تمكن

متاعه وفرشه من قصر الجيزة فى بقية اليوم ، وكسر المراتى وزجاج الشبايك التى فى مجالسه الخاصة ... ثم ركب فى طوائفه وأتباعه ، وخشداشيته ومماليكه ، وذهب الى عرضى اخوانه وقبيلته ، ونصب خيامه ووطاقه بجذائهم ، واجتمع بهم وتصافى معهم . وقد كان حضر اليه عبد الرحمن بيك تابع عثمان بيك المرادى المعروف بالطنبرجى ، وحول دماغه ، واتفق معه على الانضمام اليهم والخروج عن الباشا . ففعل ما فعل ، وجعلوه رئيس الأمراء المرادية .

وفى ذلك اليوم : عدى حسن باشا ، وصالح أغا قوج الى بر الجيزة . وذهبا الى عرضى الأمراء ، وسلموا عليهم ، وتغديا عند شاهين بيك ، وجرى بينهما وبين ابراهيم بيك كلام كثير . وقال له حسن باشا : « انكم وصلتتم الى هنا لتنام الصلح على الشروط التى حصلت بينكم وبين الباشا ، والاتفاق الذى جرى بأسيوط ، ويكون تمامه عند وصولكم الى الجيزة واجتماعكم ... وقد حصل » . فقال له ابراهيم بيك : « وما هى الشروط ؟ » . قال : « هى أن تدخلوا تحت حكمه وطاعته ، وهو يوليكم المناصب التى تريدونها ، بشرط أن تقوموا بدفع الفرض التى يقررها على النواحى ، والغلال الميربة والخراج ، وتعين من يريده منكم صحبة العساكر الموجهة الى البلاد الحجازية لفتح الحرمين ، وتكونوا معه أمراء مطيعين ، وهو يعطيكم الأمسيات والانعامات الجزيلة ، ويعمر لكم ما تريدونه من الدور والقصور التى لكم ولأتباعكم على طرفه ... لا يكلفكم بشيء من الأشياء . وقد رأيتم وسعتم ما فعله من الاكرام والانعام على شاهين بيك ، وما أعطاه من المماليك والجوارى الحسان ، وشفاعاته عنده لا ترد ، وأطلق له التصرف فى البر الغربى من رشيد الى الفيوم الى بنى سويف

فقال حسن باشا : « حاشا لله .. لم يكن ذلك ،
ودائما يقول والدنا ابراهيم بيك ، ولكن لا يخفاكم
أن الله أعطاه ولاية هذا القطر — وهو يؤتى الملك
من يشاء — ولا ترضى نفسه من يخالف عليه ، أو
يشاركه بالقهر والاستيلاء . فاذا صار الصلح ،
ووقع الصفا ، أعطاكم فوق مأمولكم » . فهر
ابراهيم بيك رأسه وقال : « صحيح يكون خيرا » .
وانقض المجلس ، ورجع حسن باشا وصالح قوج ،
وعديا الى بر مصر .

وفي تلك الليلة : خرج جميع من كان بمصر من
الأمراء والأجناد المصرية بخيلهم وهجنهم ومتاعهم ،
وعدوا الى بر الجيزة ، ولم يبق منهم الا القليل ،
 واجتمعوا مع بعضهم ، وقسموا الأمر بينهم ثلاثة
أقسام : قسم للبرادية وكبيرهم شاهين بيك ، وقسم
للمحمدية وكبيرهم على بيك أيوب ، وقسم
للإبراهيمية وكبيرهم عثمان بيك حسن . وكتبوا
مكاتبات وأرسلوها الى مشايخ العربان ... لم أقف
على مضمونها .

١٤ منه (١٩ مايو ١٨١٠ م) :

أوقفوا عساكر على أبواب المدينة يمنعون
الخارجين من البلد حتى الخدم ، ومنعوا التعدية
الى البر الغربى ، وجمعوا المراكب والمعادى الى البر
الشرقى ، ونقلوا البضائع التى فى مراكب التجار
المعدة لسفر رشيد وديياط ، المعروفة بالزواجل ،
وأخذوها اليهم ، وشرعوا فى التعدية بطول يوم
الجمعة والسبت .

وعدى الباشا آخر النهار ، ودخل الى قصر
الجيزة الذى كان به شاهين بيك ، وكذا عدوا
بالخيام والمدافع والعربات والأنتقال . واجتمعت
طوائف العسكر من الأتراك والأرمنود والدلاة
والسجبان بالجيزة ، وتحققت المفاهمة ... والأمراء
المصرية خلف السور فى مقابلتهم ، واستمروا على

أمره ، وبلغ مراده ، وأوقع به ما أوقع ، وأخرجه
من مصر ، وغربه عن وطنه ، ونقض العهود
والمواثيق التى كانت بينه وبينه .. كما فعل بعمر
بيك وغيره . وكل ذلك معلوم ومشاهد لكم
وتغيركم ... فمن يأمن لهذا ، ويعقد معه صلحا ؟ !

« واعلم ، يا ولدى ، أننا كنا بمصر نحو العشرة
آلاف أو أقل أو أكثر : ما بين مقدمى ألف وأمرأ
وكشاف ، وأكابر وجاقات ، ومماليك وأجناد ،
وطوائف وخدم وأتباع ... مرفهى المعاش
بأنواع الملاذ ، كل أمير مختص ومعتكف باقطاعه ،
مع كثرة مصارفنا وانعاماتنا على أتباعنا ومن يتنسب
الينا . وأسطرة الجميع ممدودة فى الأوقات
المعهودة ، ولا نعرف عسكرا ولا علوفة عسكر .
والقرى والبلاد مطمئنة ، والفلاحون ومشايخ
البلاد مرتاحون فى أوطانهم ، ومضايقتهم مفتوحة
للواردين والضيغان ... مع ما كان يلزم علينا من
المصارف الميرية ومرتبات الفقراء وخزينة السلطان ،
وصرة الحرمين والحجاج وعوائد العربان ، وكلف
الوزراء المتونين والأغاوات ، والقبالجية المعينين
وخدمهم ، والهدايا السلطانية وغير ذلك .

« وأفندينا ما كفاه ايراد الاقليم ، وما أحدثه من
الجمارك والمكوس ، وما قرره على القرى والبلدان :
من فرض المال والغلال والجمال والخيول ، والتعدي
على الملتزمين ، ومقاسمتهم فى فائضهم ومعاشهم .
وذلك خلاف مصادرات الناس والتجار فى مصر
وقراها ، والدعاوى والشكاوى ، والتزايد فى
الجمارك ، وما أحدثه فى الضريبة من ضرب
القروش النحاس ، واستغراقها أموال الناس ...
بحيث صار ايراد كل قلم من أقلام المكوس ، بايراد
اقليم من الأقاليم ، ويخل علينا بما تتعيش به نحن
وعيالنا ومن بقى معنا من أتباعنا ومماليكنا ، بل
وقصده سيدنا وهلاكنا عن آخرنا » .

ذلك الى ثاني يوم ، والناس متوقعون حصول الحرب بين الفريقين . ولم يحصل .

واتقل المصري وترفعوا الى قبلى الجيزة بناحية دهشور وزين .

١٧ ، ١٨ منه (٢٢ ، ٢٣ مايو ١٨١٠ م) :

أنفق الباشا على العسكر ، وكان له مدة شهر لم ينفق عليهم .

١٨ منه (٢٣ مايو ١٨١٠ م) :

ركب الباشا ليلا وسافر الى ناحية كرداسة على جرائد الخيل ، ورجع في ثاني ليلة . وكان سبب ركوبه : أنه بلغه أن طائفة من العربان مارون يريدون المصرية ، فأراد أن يقطع عليهم الطريق ، فلم يجد أحدا ، وصادف نجما مقيمين في محطة ، فنهب مواشيهم ، ورجع متعبا ، وانقطع عنه أفراد من العسكر ، ومات بعضهم من العطش .

٢١ منه (٢٦ مايو ١٨١٠ م) :

ارتحل المصرية ، وترفعوا الى ناحية جزر الهوا بالقرب من الرقى .

وفيه : حضر مشايخ عربان أولاد على للباشا . فكساهم وخلع عليهم ، وألبسهم شالات كشميري



مشايخ العربان

عدتها ثمانية شالات ، وأنعم عليهم بمائة وخمسين كيسا . وحضر عند المصرية عربان الهنادى ومشايخهم وانضموا اليهم .

٢٢ منه (٢٨ مايو ١٨١٠ م) :

عدى الباشا الى بر مصر ، وذهب الى بيته بالأزبكية ، فبات به ليلتين ، ثم طلع في يوم الثلاثاء الى القلعة ، وقد تكدر طبعه من هذه الحادثة بعد أن حصلوا بالجيزة ، وكاد يتم قصده فيهم ، وخضوصا ما فعله شاهين بيك الذى أنفق عليه ألوف من الأموال ، ذهبت جميعها في الفارغ البطال .

وفي هذه الأيام — أعنى منتصف شهر بشنس القبطى — زاد النيل زيادة ظاهرة ، أكثر من ذراع ونصف ، واستمر أياما . ثم رجع الى حاله الأول . وهذا من جملة عجائب الوقت !

جمادى الأولى

غزوة (٤ يونية ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ميدان رماحة بالجيزة ، فتقنطر به الحصان ووقع به الأرض ، فأقاموه . وأصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات . ويقال ان الضارب لها كان قاصد الباشا ، فأخطأته ، وأصاب ذلك المملوك .. والأجل حصن .

وفيه : نهوا على العسكر بالخروج . فسبحوا بالجد والمجلة في قضاء أشغالهم ولوازمهم ، وطفقوا يخطفون حمير الناس وجمالهم ، ومن يصادفونه ويقدررون عليه من أهل البلد وخلافهم ، ويقولون : « في غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين » . والمصريون أيضا مسترون في منزلتهم لم ينتقلوا عنها .

٥ منه (٨ يونية ١٨١٠ م) :

خرج حسن باشا ، وبرز خيامه بناحية الآثار .

وخرج أيضا محو بيك بمسكركه وطوائفه ، ومعههم يبارق . وسافر جملة عساكر في المراكب ليرابطوا في البنادر ، فانها خالية ليس بها أحد من المصريين . وفي كل يوم يخرج عساكر ثم يرجعون الى المدينة وهم مستنديمون على خطف الدواب ، وحمير البطيخ وجمال السقائين . والباشا يعدي الى مصر في كل يومين أو ثلاثة ، ويطلع الى القلعة ثم يعود الى مخيمه في الجيزة . وامتنع سفر المسافرين قبلى وبحرى .

١٧ منه (٢٠ يونية ١٨١٠ م) :

بلغ الباشا أن الأمراء المرادية والابراهيمية وغالب المصرية لهم مراسلات ومعاملات مع السيد سلامة النجارى وأخيه وابن أخيه ، وأنه يرسل لهم جميع ما يلزم ، من أسلحة وأمتعة وخلافها ، بواسطة بعض عملائهم من العربان خفية ، وأنه اشترى جملة أسلحة وخيول وثياب وغيرها ، وأخذ أشياء من بيوت بعضهم لأجل أن يرسل الجميع اليهم ، وأن جميع ذلك موجود عند المذكور الآن ... ومن جملة أيام حضر مرسل من عندهم بدرهم ومعه حصان نعبان بيك وهو عنده أيضا . فأمر بجلبه وحبسه ، وهجم منزله ، وضبط أوراقه وضبط ما يوجد بها . ففعلوا ذلك ، وحبسوا معه ابن أخيه وأزعجوهما ، وهجموا منزله فوجدوا فيه خمسة خيول وجملة أسلحة . فطعوا وبغوا ، ونهبوا متاعه ، وبددوا شمل كتب أبيه ، ولم يجدوا مكاتبات من الأمراء القبالي ولا أثر لذلك ، بل انهم وجدوا جوابا من أخيه السيد أحمد . مضمونه : أننا عند وصولنا الى مكة المشرفة اشترينا أربعة خيول نجدية ، بها العلامات التى أفدتونا عنها ، وهى مرسولة لكم عسى أن تفوزوا بتقديمتها لأفندينا .

ولما سئل عن الأسلحة والخيول التى عنده قال :

« أن السلاح عندنا من قديم وله مدد ، ورؤيته تدل على ذلك . وأما الخيول فمنها أربعة أحضرتها هدية لأفندينا ، وجاءت ضعيفة فأبقيتها عندي حتى تقوى وأقدمها اليه ، والحصان الخامس اشتريته لنفسى من رجل عميلنا اسمه عطوان أحمد من أهالى كفر حكيم ، أخبرنى أنه اشتراه من فاحشة صول ، ولما رأيت فيه علامات الجودة — وجاءت الأربعة خيول — تركت ركوبه وأبقيته معها حتى أقدم الجميع لأفندينا

فمعد ذلك توجه محمد أفندى طبل للباشا وفهمه براءة ذمة المذكور ، وأخبره بما صار وما وجدوه ، وما قاله المذكور . وسعى في ازالة هذه التهمة عنه ، وعرفه أن هذا الرجل مستقيم الأحوال ، وأنه من وقت توظيفه معه لم ينظر عليه ما يخالف وصدق عليه الحاضرون .

فلما ظهر للباشا كذب التهمة ، وتحقق براءته ، وأنه أحضر هذه الخيول هدية له ، أمر باطلاقه من السجن ، واسترجاع ما نهفته الأعوان من منزله ، وتخلق عليهم بسبب ذلك . ثم أمر باحضاره واحضار الخيول المهداة له ، فقبلها منه . ثم سأله عن علامات الجودة وما يحمى في الخيل وما يذم فيها . فأجابه بأجوبة مفيدة استحسناها . فأنعم عليه ، وضاعف مرتبه ، وأحال عليه نظر مشترى الخيول .

وفيه : وصلت الأخبار بأن حسن باشا وصالح قوچ وعابدين بيك وعساكر الأرثود وصلوا الى ناحية صول والبرنبل فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البر ليسعوا مرور المراكب . فحاربوهم حتى أجلوهم عنها ، وملكوا المتاريس ، وقتل رجل من الأجناد — وهو الذى كان محافظا على المتاريس — يقال له ابراهيم أغا ، سقط به الجرف الى البحر ، فأخذوه اليهم ومعه آخر .

٢٠ منه (٢٣ يونية ١٨١٠ م) :

ظهر التفاضل بين الأمراء المصريين ، وتبين أن الذين كانوا عدوا إلى البر الشرقى ، هم ثلاثة أمراء من الألفية وهم : نعمان بيك ، وأمين بيك ، ويحيى بيك . وذلك أنهم لما تصالحوا مع الباشا ، وأميرهم شاهين بيك ، وهو الرئيس المنظور إليه ، ومطلق التصرف في معظم البر الغربى والفيوم ... يتحكم فيهم ، وفى طوائف العربان ، وأهالى البلاد والفلاحين بما يريد ، وكذلك أموال المعادى ، بناحية الاخصاص وانباية والحيرى وغير ذلك — وهو شئ له قدر كبير — وزاد فيهم أيضا أضعاف المعتاد . فiaخذ جميع ذلك ويختص به ... وذلك خلاف انعامات الباشا عليه بالمئين من الأكياس ، ويشترى الممالك والجوارى الحسان ولا يدفع لهم ثمنًا . فيشكون إلى الباشا ، فيدفعه إلى السيرجية من خزنته وهو منشرح الخاطر ... وإخوانه يتأثرون لذلك وتأخذهم الغيرة ، ويطعمون فى جانبه ، وهو يقصر فى حقهم ، ولا يعطيهم الا النزر ... مع المن والتضجر . وفيهم من هو أقدم منه هجرة ، ويرى فى نفسه أنه أحق بالتقدم منه . ولما دنت وفاة أستاذهم ، أحضر شاهين بيك وسلمه خزنته ، وأوصاه بأن يعطى لكل أمير من خشداشينه سبعة آلاف مشخص ، ولم يعطهم وطلق كلما أعطاهم شيئًا ، حسبه عليهم من الوصية ... حتى اذا أعطى اليك والبنش لنعمان بيك مثلاً ، يسطيه له أنقص من بنش أمين بيك نصف ذراع ، ويقول : هو قصير القامة ! ونحو ذلك . فيحققون عليه ، ويتشكون من خسته وتقديره فى حقهم ، ويعلم الباشا ذلك .

فلما نقض شاهين بيك عهده ، وانضم إلى المخالفين — وخشداشينه المذكورون معه بالتنافر القلبي — راسلهم الباشا سرا . ووعدهم ومناهم بأنهم اذا حضروا إليه ، وفارقوا شاهين بيك الخائن المقصر فى

وقتلوهما ، وقطعوا رؤوسهما ، وأرسلوهما صحبة المبشرين إلى الباشا . فعلقوا الرأسين بباب زويلة . ولما بلغ الأمراء المصريين أخذ المتاريس ، تأهبوا وساروا من أول الليل — وهى ليلة السبت رابع عشره — مكنين وكاتمين أمرهم ، فدهموا الأرثوود من كل ناحية . فوقع بينهم مقتلة عظيمة . وأخذوا منهم عدة بالحياة ، وأخذوا منهم أشياء . ركان حسن باشا وأخوه عابدين بيك صعدا بمراكبهما إلى قلى المتاريس ، فاحترق من مراكب أخيه مركب ، وألقى من فيها بأنفسهم إلى البحر : فمنهم من نجى ، ومنهم من غرق . وأما مراكب حسن باشا فانه ساعدها الريح أيضا فسارت إلى ناحية بنى سويف . ثم ان المصريين عدى منهم طائفة إلى شرق أطفيج ، وانتقل بواقيتهم راجعين إلى ناحية الجيزة ... قريبا من عرضى الباشا .

١٩ منه (٢٢ يونية ١٨١٠ م) :

عدى الباشا إلى بر مصر ، وطلع إلى القلعة . فلما كان الليل ، وصل طائفة من المصريين إلى المرابطين لخفارة عرضى الباشا ، واحتاطوا بهم وساقوهم اليهم فانزعج العرضى وحصل فيهم غاغة .. فأرسل طوسون باشا إلى أبيه . فركب ونزل من القلعة فى سادس ساعة من الليل ، وعدى إلى البر الغربى . ومما سمعته : أن الباشا عندما نزل المدينة ، وسار بها فى البحر ، سمع واحدا يقول لآخر : « قدم حتى تقتل المصريين ونبدد شملهم » ويكرر ذلك . فأرسل الباشا مركبا ، وأرسل بعض اتباعه بها لينظروا هذين الشخصين ، ولأى شئ نزل البحر فى هذا الوقت . فلما ذهبوا إلى الجهة التى سمع منها الصوت ، لم يجدوا أحدا ، وتحصوا عنهما فلم يجدوهما . فاعتقد من له اعتقاد منهم ، أنهما من الأولياء ، وأن الباشا مساعد بأهل الباطن !

حقهم ، أنزلهم منزلة شاهين بيك وزيادة ، واختص بهم اختصاصاً كبيراً ... فمالت نفوسهم لذلك القول ، واعتقدوا — بخسافة عقولهم — صحته ، وأنهم إذا رجعوا إليه هذه المرة ، ونبذوا المخالفين ، اعتقد صداقتهم وخلوصهم ، وزاد قدرهم ومنزلتهم عنده .

وتذكروا عند ذلك ما كانوا فيه ، مدة اقامتهم بمصر ، من التمتع والراحة في القصور التي عمروها بالجيزة ، والبيوت التي اتخذوها بداخل المدينة ، والرفاهية والفرش الوطيئة . وتحركت غلمتهم للنساء والسراى ، التي أنعم عليهم الباشا بها . وقالوا ما لنا والغربة ، وتعب الجسم والخطر ، والانزعاج والحروب ، واللقاء بنفوسنا في المهالك ، وعدم الراحة في النوم واليقظة .

فردوا الجواب بالاجابة ، وتمنوا عليه أيضا ما حاك في نفوسهم ، بشرط طرح المؤاخذه ، والعمو الكامل ، بواسطة من يعتمد صدقه . فأجابهم لكل ما سألوه وتمنوه ، بواسطة مصطفى كاشف المورلى ... وهو معدود سابقا منهم ، وانفصل عنهم واتمى الى كتحدا بيك ، وصار من أتباعه .

فعند ذلك شرعوا في مناكدة أخيه شاهين بيك ومفارقتة ، وعقدوا معه مجلسا ، وقالوا له : « قاسنا في ربع المملكة التي خصصونا به في القسمة التي شرطوها ، فانا شركاؤك ... فان ابراهيم بيك قسم مع جماعته ، وكذلك عثمان بيك ، وعلى بيك أيوب » . فقال لهم : « وما هو الذى ملكناه حتى أقاسمكم فيه ؟ » فقالوا : « أنت تجحف علينا وتختص بالشئ دوننا . فانك لما اصطلحنا معك مع الباشا ، وصرفك في البر الغربى . اختصيت بإيراده — وهو كذا وكذا — دوننا . ولم تشاركنا معك فى شئ ، ولولا أن الباشا كان يرأفنا ويواحننا من عنده ... لمتنا جوعا .. فتمن

لا نرافقتك ولا نصحبك ولا نحارب معك ، حتى تظهر لنا ما تقايل معك عليه » . وتزايدوا معه في المكالمة والمعاقبة والمفاخرة ، ثم انفصلوا عنه وتقلوا خبامهم الى ناحية البحر ، واعتزلوه وفارقوا عرضي الجميع .

فلما علم بذلك ابراهيم بيك الكبير ، تنكد خاطره ، وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. أى شئ هذا الفشل وخسافة العقل ، والفرق بعد الالتئام والاجتماع » ! وذهب اليهم ليصلحهم ويضمن لهم كل ما طلبوه ، وطبعوا فيه عند تملكهم ، وقال لهم : « ان كنتم محتاجين في هذا الوقت لمصرف ، أنا أعطيكم من عندى عشرين ألف ريال ، اقسوها بينكم ، وعودوا لضربكم معنا » . فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بيك ، فرجع ابراهيم بيك يريد أخذ شاهين بيك اليهم . فامتنع من ذهابه اليهم ، وقال : « أنا لست محتاجا اليهم ، وان ذهبوا قلدت أمراء خلافهم . وعندي من يصلح لذلك ، ويكون مطيعا لى دونهم ، فان هؤلاء يرون أنهم أحق منى بالرياسة » . والجماعة شرعوا في التعدية ، وانتقلوا الى البر الشرقى ... وحال البحر بين الفريقين .

ووصل اليهم مصطفى كاشف المورلى بمرسوم الباشا ، واجتمعوا معه عند عبد الله أنما ، المقيم بناحية بنى سويف ، وضرب لهم شنكا ومدافع . ثم انهم عزموا على الحضور الى مصر . فوصلوا في يوم الخميس خامس عشره ، وقابلوا الباشا وخلع عليهم ، وأعطاهم تقادم . ورجعوا الى مضرهم ناحية الآثار ، وصحبهم ستة عشر من كشافهم ، والجميع يزيدون عن المائتين . وأنعم عليهم الباشا بمائتى كيس : لكل كبير من الأربعة عشرون كيسا ، ومائة وعشرون كيسا لبقيتهم . واشتروا دورا واسعة ، وشرعوا في تعميرها وزخرفتها على طرف الباشا .. فاشترى أمين بيك دار عثمان كتحدا

المنفوخ بدرب سعادة من عتقائه ، ودفع له الباشا ثمنها وأمر لكل أمير منهم بسبعة آلاف ريال ، لبصفا فيما يحتاج اليه في العمارة واللوازم ، وحولهم بذلك على المعلم غالى .

ولما تحقق شاهين بك انفصالهم ، قلد أربعة من أتباعه أمرياتهم ، وأعطاهم يريقا وخبولا ، وضم اليهم مماليك وطوائف . وتمت حيلة الباشا التي أحكمها بمكره . وعند ذلك أشيع في الاقليم القبلى والبحرى ، تفرقهم وتفاشلهم ، ورجع من كان عازما من القبائل والعربان عن الانضمام اليهم .. وطلبوا الأمان من الباشا ، وحضروا اليه ، ودخلوا في طاعته ، وأنعم عليهم وكسبهم ..

وكانت أهالى البلاد عندما حصلت هذه الحادثة عصت عن دفع الفرض والمغارم ، وطردها المعينين وتعطل الحال ، وخصوصا عندما شاع غلبة المصريين على الأرثوود . وتفرقت عنهم العربان الذين كانوا انضموا اليهم ، وأطاع المخالف والعاصى والمنايع . وكلها أسباب لبروز المقدور المستور في غيبه سبحانه وتعالى .

في أواخره (أواخر يونية ١٨١٠ م) :

حضر كثير من عسكر الدلاة ، من الجهة الشامية وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر كثيرون .

جمادى الآخرة

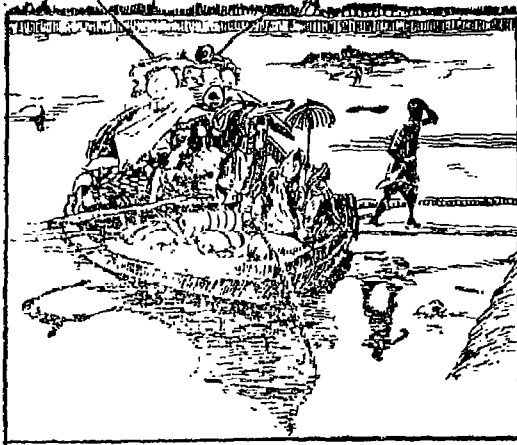
٣ منه (٦ يولية ١٨١٠ م) :

قلد الباشا ديوان افندى نظر مهمات الحرمين ، والتأهب لسفر الحجاز ، لمحاربة الوهاية ، وسكن بيت قصبة رضوان . كل ذلك مع توجه البعثة ، والاستعداد لمحاربة الأمراء المصريين . وللمذكورون بناحية قنطرة اللاهون .

وأما حسن باشا وضالغ قوج وعابدين بك ، ومن معهم ، فانهم سعدوا الى قبلى ، وملكوا البنادر .. الى حد جرجا واستقر دبوس أغلى بنمية ابن خصيب .

٥ منه (٨ يولية ١٨١٠ م) :

ارتحل الباشا بعساكره من الجزيرة ، وانتقل الى جزيرة الذهب ونودى في المدينة بخروج العساكر المقبين بمصر ، ولا يتخلف منهم أحد . فزاد تعدبهم وخطفهم الحبير والجمال والرجال الفلاحين وغيرهم لتسخيرهم في خدمتهم وفي المراكب ، عوضا عن النوتية والملاحين ، الذين هربوا وتركوا سفائنهم . فكانوا يقبضون على كل من يصدفونه ، يجسسونهم في الحواصل ببولاك . واتفق أنهم حبسوا نحو ستين نفرا في حاصل مظلم ، وأغلقوه عليهم ، وتركوهم من غير أكل ولا شرب أياما ، حتى ماتوا عن آخرهم ! وانحدر قبطان بولاك وأعوانه في طلب المراكب من بحر النيل ، فكانوا يقبضون على المراكب الواصلة الى مصر بالغللال والبضائع والسفار ، فيلقون شحنها التي لا حاجة لهم بها على شطوط اللق ، ويأتون بالمراكب الى بولاك والجزيرة ... الا أن بعطوهم براطيل على تركهم الغلة بالمركب حتى يصلوا بها الى ساحل



الركب .. محملة بالبضائع والسفار

بولاق ، فيخرجونها منها ، ثم يأخذون المركب .
وهكذا كان دأبهم بطول هذه المدة .

١٠ منه (١٢ يولية ١٨١٠ م) :

ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة
المصريين .

١٥ منه (١٨ يولية ١٨١٠ م) :

ورد الخبر بأن حسين بيك ، تابع حسين بيك
المعروف بالوشاش الألفى ، أراد الهروب والمجيء
الى الباشا . فقبض عليه شاهين بيك ، وأهانته وسلب
نعمته ، وكتفه وأركبه على جمل يغطي الرأس ،
وأرسله الى الواحات . فاحتال وهرب ، وحضر
الى عرضى الباشا ، فأكرمه وأنعم عليه ، وأعطاه
خمسين كيسا واستمر عنده .

٢٥ منه (٢٨ يولية ١٨١٠ م) :

وصلت الأخبار بأن الباشا ملك قناطر اللاهون ،
وأن المصريين ارتحلوا الى ناحية البهنسا ، ولم يقع
بينهم كبير محاربة . وأن الباشا استولى على
الفيوم . وأرسل الباشا هدايا لمن فى سرايته
ولكتخدا بيك من طرائف الفيوم ، مثل ماء الورد
والعنب والفاكهة وغير ذلك . واستولى على ما كان
مودوعا للمصريين من الغلال بالفيوم .

فى اواخره (اواخر يولية ١٨١٠ م) :

وصلت أخبار من ناحية الشام بأن طائفة من
الوهابية جردوا جيشا الى تلك الجهة . فتوجه
يوسف باشا الى المزريب وحسن قلعتها ، واستعد
اليهم بجيش ، وحاربوهم وطردهم . ثم اضطربت
الأخبار واختلفت الأقوال .

رجب

الخميس غرته (٢ افسطس ١٨١٠ م) :

وردت الأخبار بورود قزلار آغا من طرف

الدولة ... وعلى يده أوامر وخلعة وسيف وخنجر
لمحمد على باشا ، وصحبته أيضا مهمات وآلات
مراكب ، ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ؛
ومحاربة الوهابية — وهو يسمى عيسى آغا — وأله
طلع الى ثغر سكندرية .

السبت ١٠ منه (١١ افسطس ١٨١٠ م — ٦ مسرى
١٥٢٦ ق) :

أوفى النيل ، وحصلت الجمعية ، وحضر كتخدا
بيك والقاضى وباقي الأعيان ، وكسر السد بحضرتهم
فى صباحها يوم الأحد ، وجرى الماء فى الخليج .
وفيه : وصل الأغا شبرا . وعملوا له هناك
شنكا وحراقات ، وتعليقات قبالة القصر الذى
أنشأه الباشا بساحل شبرا .. وخرجوا للملاقاته فى
صباحها بعد ثلاث ليال .

الثلاثاء ١٣ منه (١٤ افسطس ١٨١٠ م) :

عملوا له موكبا عظيما ، وطلع الى القلعة ،
وضربوا عند طلوعه الى القلعة مدافع . وهذا الأغا
أسمر اللون ، حبشى مخصى ، لطيف الذات ، متعاطف
فى نفسه ، قليل الكلام وفى حال مروءة كان بجانبه
شخصان ينثران الذهب والفضة الاسلامبولى على
الناس المتفرجين .

وحضر صحبته ، وصحبة أتباعه ، السكة
الجديدة التى ضربت باسلامبول من الذهب
والفضة . وهى دراهم فضة خالصة سالمة من
النش ، زنة الدرهم منها درهم وزنى كامل ستة
عشر قيراطا ، بصرف بخمسة وعشرين نصفا من
الأنصاف المعاملة العددية ، المستعملة فى معاملة
الناس الآن .. وكذلك قطعة مضروبة وزن درهين
بالدرهم الوزنى ، تصرف بخمسين . وكذلك قطعة
مضروبة وزنها أربعة دراهم ، وتصرف بمائة نصف .
وقطعة وزنها ثمانية دراهم ، وتصرف بمائتين .

وكذلك ذهب فندقلى اسلامى ، يصرف بأربعمائة نصف ، وأربعين نصفاً ، ونصفه وربعه .

الجمعة ١٦ منه (١٧ اغسطس ١٨١٠ م) :

حضر الأغا المذكور الى المسجد الحسينى ، وصلى به الجمعة ، وخرج وهو يفرق على الفقراء والمستجدين أرباع الفنادقة . وأعطى خدمة الضريح وخدمة المسجد ، قروشاً اسلامبولى فى صرر ... أقل ما فى الصرة الواحدة عشرة قروش .

السبت ١٧ منه (١٨ اغسطس ١٨١٠ م) :

عملوا ديواناً بالقلعة ، وأحضروا خلعة وصلت صحبة الأغا المذكور . أرسلها صحبة خازن داره ، وألبسوها لابن الباشا ، وجعلوه باشا مير ميران . وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى اسماعيل ، وضربوا شنكا ومدافع . وأشيع أنه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين ، وأرسلوا بذلك أوراقاً للأعيان ، أخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢١ اغسطس ١٨١٠ م) :

أرسلوا تناييه الى المشايخ بالحضور من الغد لأنصار عدوها ، ويكون حضورهم بالمشهد الحسينى . فبات الناس فى ارتياب وظنون وتخمين . فلما أصبح اليوم ، حضر شيخ السادات — وهو الناظر على أوقاف المشهد — الى قبة المدفن ، وحضر الشيخ البكرى ، وأغلقوا باب القبة ، ومنعوا الناس من العبور بالمسجد متشوفين لثمرة هذا الاجتماع . وكل من حضر من الأشياء المشاهير ، استأذنوا له وأدخلوه الى القبة ، وحضر الشيخ الأمير والشيخ المهدي ، وتأخر حضور الشيخ الشراقوى ، لكونه كان بيت فى بولاق . ثم حضر الأغا المذكور ودخل الى القبة ، وصحبته ظرف من خشب ، ففتح

وأخرج منه لوحاً طوله أزيد من ذراعين ، فى عرض ذراع ونصف ، مكتوب فيه البسلة بخط الثلث مموه بالذهب ، وهى بخط يد السلطان محمود ، وتحتها طرة العلامة السلطانية . فعلقوه على مقصورة المقام ، وقرأوا الفاتحة ، ودعا السيد محمد المنزلاوى ، خطيب المسجد ، بدعوات للسلطان . ولما فرغ دعا أيضاً السيد بدر الدين المقدسى ، ثم خلع على المشايخ خلعا ، وفرق ذهباً . ثم خرج الجميع ، وركبوا الى دورهم . فكان هذا الجمع جمع سخف لا غير !

الجمعة ٢٣ منه (٢٤ اغسطس ١٨١٠ م) :

ركب الأغا المذكور ، وذهب الى ضريح السادات الوفاية بالقرافة ، صحبة الشيخ المتولى خلافتهم ، فزار مقابرهم وعلق هناك لوحاً أيضاً ، وفرق دراهم ، وخلع على الشيخ المذكور خلعة .

ومن الحوادث البدعية من هذا القبيل : أن عثمان أغا المتولى أغات مستحفظان ، سولت له نفسه عمارة مشهد الرأس — وهو رأس زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم — ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين ، وبذلك اشتهر ، ويقصدونه بالزيارة صباح يوم الأحد . فلما كانت الحوادث ، ومجىء الفرنسيين ، أهملوا ذلك وتخرّب المشهد ، وأهليت عليه الأتربة . فاجتهد عثمان أغا المذكور فى تجميع ذلك . فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به سترًا وتاجاً ليوضع على المقام . وأرسل فنادى على أهل الطرق الشيطانية ، المعروفين بالأشيار ، وهم السوقة وأرباب الحرف المزدولة ، الذين ينسبون أنفسهم لأرباب الضرائح المشهورين : كالأحمدية ، والرفاعية ، والقادرية ، والبرهامية ، ونحو ذلك . وأكد فى حضورهم قبل الجمع بآيام .

ثم انهم اجتمعوا فى يوم الأحد خامس عشر ربيته

الى قبلى . فعلوا لذلك اليوم شتى ومدافع ،
ثلاثة أيام ، كل يوم ثلاث مرات .

شعبان

السبت غرته (اول سبتمبر ١٨١٠ م) :

حضر الباشا وقت الغروب فى تطريده ، وصحبته
جماعة قليلون ، وطلع من البحر من برطرا
والمعصرة . وركب من هناك خيولا من خيول
العرب ، وطلع الى القلعة على حين غفلة . فضربوا
فى ذلك الوقت مدافع ... اعلاما بحضوره .

وفى ثانى ليلة : صعد اليه عيسى آغا المذكور
عند الغروب ، وقابله وسلم عليه .

الاثنين ٣ منه (٣ سبتمبر ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وركب ذلك الاغا من بيت
عثمان آغا الوكيل الكائن بدرب الجماميز ... فى
موكب ، وطلع الى القلعة وقرأ المرسوم الذى وصل
صحبته بالمعنى السابق ، وهو الأمر بالخروج الى
الحجاز . ولبس الباشا الخلعة والسيف بحضرة
الجمع . وضربوا مدافع كثيرة عقيب ذلك .

وفيه : وردت الاخبار بمجيء يوسف باشا والى
الشام الى ثغر دمياط . وكان من خبر وروده على
هذه الصورة : أنه لما ظهر أمره وأنته ولانه
الشام ، فأقام العدل ، وأبطل المظالم ، واستقامت
أحواله ، وشاع أمر عدله النسبى فى البلدان
فثقل أمره على غيره من الولاة وأهل الدولة .
لمخالفته طرائقهم فقصدهوا عزله وقتله ، فأرسلوا
له ولوالى مصر أوامر بالخروج الى الحجاز ،
فحصل التوائى .

وفى أثناء ذلك حضر فرقة من العريان الوهابيين ،
وخرج اليهم يوسف باشا المذكور وحسن الزيرب
كما تقدم ، ورجع الى الشام وتفرقت الجموع . ثم

بأنواع من الطبول والزماير والبيارق ، والأعلام
والشراميط والخرق الملونة والمصبغة . ولهم أنواع
من الصياح والسياح والجلبة والصراخ الهائل ...
حتى ملأوا النواحي والأسواق ، وانتظموا وساروا
وهم يصيحون ، ويترددون ويتجاوبون بالصلوات
والآيات التى يحرفونها ، وأنواع التوسلات ومناداة
أشياخهم أيضا المنتسبين اليهم بأسمائهم ، كقولهم
برفع الصوت وضرب الطبالات ، وقولهم : ياهو
ياهو ياجباوى ، ويابدوى ، ويادسوقى ، ويابيومى
ويصحبهم الكثير من الفقهاء والمتعبين ... والأغا
المذكور راكب معهم ، والستر المصنوع مركب على
أعواد ، وعليه العمامة مرفوعة بوسط الستر على
خشب ، ومتحلقين حوله بالصياح والمقارع بمنعون
أبدى الناس الذين يمدون أيديهم للمسح والتبرك ،
من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ، ويرمون
الخرق والطرح ، حتى أنهم يرخونها من الطيقان
بالجبال لتصل الى ذلك التمثال ، لينالوا جزءا من
بركته !

ولم يزلوا سائرين به على هذا النمط ، والخلائق
تزداد كثرة ، حتى وصلوا الى ذلك المشهد ...
خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح ، حيث
المجراة . وصنع فى ذلك اليوم والليلة أطعمة
وأسمطة للمجتمعين ، وباتوا على ذلك الى ثانى يوم .
وفيه : بعث عيسى آغا الواصل بجيب أفندى
الى الباشا ، بحبره بحضوره ، وبالغرض الذى
حضر من أجله ويستدعيه للمجيء .

الجمعة غايته (٢١ اغسطس ١٨١٠ م) :

وردت اخبار بوقوع حراقة بين الباشا والمصريين .
وقتل بين الفريقين مقتلة عظيمة ، عند « دلجه » ،
و « البدرمان » . وكانت الغلبة للباشا على المصريين .
وأخذوا منهم أسرى . وحضر الى الباشا جماعة
من الأمراء الأتنية بأمان ، وهرب الباقون وصعدوا

وعملوا في ذلك اليوم سيانة وحانات وقهوات
وأسمطة وسكرانات عند جميز العبد . ويقولون
ان النيل لما توقفت زيادته في العام الذي قبل
العام الماضي ، وخرج الناس يستسقون بجامع
عمرو ، وخرج النصارى في ثانى يوم ، زاد النيل
تلك الليلة ... وذلك لا أصل له . على أنه
لا استغراب للزيادة في أوانها . وهذه الأيام أيضا
أواخر مسرى وأيام النسيء — وفيها قوة الزيادة —
وأيام التوروز .

السبت ٨ منه (٨ سبتمبر ١٨١٠ م) :

خرج المشايخ والناس الى جامع عمرو بمصر
القديمة ، وأرسلوا تلك الليلة فجمعوا الأطفال من
مصر وبولاق ، فحضر الكثير ، وخطبوا وصلوا
وأضر بالمجتمعين الجوع في ذلك اليوم ولم يجدوا
ما يأكلونه .

الاحد ٩ منه (٩ سبتمبر ١٨١٠ م) :

نقص النيل واستمر ينقص في كل يوم .

الخميس ١٣ منه (١٣ سبتمبر ١٨١٠ م) :

حضرت العساكر والتجريدة الى نواحي الآثار
والبساتين . ودخلوا في صبحية يوم الجمعة رابع
عشره ، بطموشهم وحملااتهم ، حتى ضاقت بهم
الأرض ، وحضر صحبتهم الكثير من الأجناد المصرية
أسرى ومستأمنين .

وفيه : حضر يوسف باشا المنفصل عن الشام ،
ونزل بقصر شبرا ، وضربوا لقدمه مدافع ، ثم
انتقل الى الأزبكية ، وسكن هناك كما تقدم ذكره .

الثلاثاء ٢٥ منه (٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م) :

زاد النيل ، ورجع ما كان انتقصه ، وزاد على
ذلك نحو قيراطين ، وثبت الى أواخر توت ، واطمان
الناس .

وصل عيسى أنغا هذا ، وعلى يده مراسيم بولاية
سليمان باشا على الشام ، وعزل يوسف باشا ،
وأشاعوا ذلك . وخرج سليمان باشا تابع الجزائر
من عكا في جمع ، وخرج يوسف باشا بجموعه
أيضا ... فتحاربا ، فانهزم يوسف باشا ونزل بالمرزة ،
واستعجل الرجوع الى الشام ، فقامت عليه عساكره
ونهبوا متاعه . وخرج سليمان باشا تابع الجزائر
من عكا وتفرقوا عنه ، فما وسعه الا الفرار ، وترك
ثقله وأمواله ، ونزل في مركب ، ومعه نحو الثلاثين
نقرا ، وحضر الى مصر ملتجئا لواليتها محمد على
باشا ، لأن بينهما صداقة ومراسلات .

فلما وصلت الأخبار بوصوله ، أرسل الى ملاقاته
طاهر باشا ، وحضر صحبتته الى مصر ، وأنزله بمنزل
مطل على بركة الأزبكية ، وعين له مايكفيه ،
وأرسل اليه هدايا وخيولا وما يحتاج اليه .

وفي هذه الأيام : اختل سد ترعة الفرعونية ،
وانفتح منه شرم ، واندفع فيه الماء ، فضج الناس ،
وتعين لسدها ديوان أفندى ، وأخذ معه مراكب
وأحجارا وأخشابا ، وغاب يومين ثم رجع ، واتسع
الخرق ، واستمر عمر ييك تابع الأشقر مقيما عليها
لخفارتها ، وليمنع مرور المراكب ، ويقوى ردمها ،
لئلا تنحرف المياه فيزداد اتساع الخرق .

وفي هذه الأيام : توقفت زيادة النيل ، فكان
يزيد من بعد الوفاء قليلا ، ثم ينقص قليلا ، ثم
يرجع النقص وهكذا . فأشار البعض بالاجتماع
للاستسقاء بالأزهر ، فتجمع القليل ، ثم تفرقوا .
وذلك يوم الثلاثاء رابعه .

وخرج النصارى الأقباط يستسقون أيضا ،
واجتمعوا بالروضة ، وصحبتهم القساوسة والرهبان
وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير
في تجمل زائد . وصحبتهم طائفة من أتباع الباشا
بالعصى المفضضة .

السبت غايته (٢٩ سبتمبر ١٨١٠ م) :

شوال

الثلاثاء غرته (٣٠ أكتوبر ١٨١٠ م) :

نزلت طبلخانة الباشا الى بيت المعلم غالى . واستمروا يضربون النوبة التركية ، ثلاثة أيام



اصحاب الطبل ...

العيد ، بيته . وكذلك الطبل الشامى ، وباقي الملاعب ، وترمى لهم الخلع والبقاشيش .

الاثنين ٧ منه (٥ نوفمبر ١٨١٠ م) :

حضر المعلم غالى ، وطلع الى القلعة ، وخلق عليه الباشا خلع الرضا ، وألبسه فروة سمور ، وأنعم عليه ، ونزل له عن أربعة آلاف كيس من أصل الأربعة وعشرين ألف كيس المطلوبة في المصالحة . ونزل الى دله وأمامه الجاوشية والاتباع بالعصى المفضضة ، وجلس بدكة داره ، وأقبل عليه الأعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه ، والتهنئة له بالتقدم المبارك ! وأما المعلم منصور ضرمون ، فجبروا خاطره بأن قيدوه بخدمة

سافر عيسى أغا بعدما قبض ما أهدها اليه الباشا له ولخدمه ، من الهدايا والأكياس ، والتحف والساكر والشرابات والأقمشة الهندية ، وغير ذلك . ونزل لتشييعه عثمان أغا الوكيل ، وسافر صحبته نجيب أفندى .

وفيه : سافر سليمان بيك البواب ، لمصالحة الأمراء المنهزمين على يد حسن باشا .

رمضان

الثلاثاء ١٧ منه (١٦ أكتوبر ١٨١٠ م) :

قبض الباشا على المعلم غالى ، كبير المباشرين الأقباط ، والمعلم فلتىوس ، والمعلم جرجس الطويل ، والمعلم فرنسيس أخى المعلم غالى ، وباقي أعيان المباشرين . فأما غالى وفتىوس فنزلوا بهما تلك الليلة الى بولاق ، وأنزلوهما فى مركب ليسافرا الى دمياط . وجسوا الباقين بالقلعة ، وختموا على دورهم ، ووجدوا عند المعلم غالى نيفا وستين جارية بيضاء وسوداء وحشية . ثم قلدوا المباشرة الى المعلم منصور ضرمون الذى كان معلم ديوان الجمرى ببولاق سابقا ، والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشاركان معه . ثم أنزلوا النصارى المعتقلين من القاعة الى بيت ابراهيم بيك الدفتردار بالأزبكية — وفيهم جرجس الطويل ، وأخوه حنا ، وجريس ، وفرنسيس أخو غالى ، ويعقوب كاتبه ، وغيرهم — وأشاعوا عمل حسابهم ، ثم دار الشغل ، وسعت الساعون فى المصالحة على غالى ورفقائه ... الى أن تم الأمر على أربعة وعشرين ألف كيس ، ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر ! وذلك فى آخر رمضان .

بيت ابراهيم بيك ابن الباشا الدفتردار ، وقيدوا رفيقيه في خدم أخرى .

الخميس ١٠ منه (٨ نوفمبر ١٨١٠ م) :

حضر شاهين بيك الألقى ومن معه الى مصر ، ونصب وطاقه بناحية البساتين ... وذلك بعد أن تمسوا الصلح على يد حسن باشا بواسطة سليمان بيك البواب . فلما استقر بخيامه وعرضيه ببر مصر ، حضر مع رفقاءه ، وقابل الباشا — وهو بيت الأربكية — فبش في وجهه فقال شاهين بيك : « نرجو سماح أفندينا وعفوه عما أذنبناه » . فقال : « نعم من قبل مجيئكم بزمان ا » . وهو مصر لهم على كل كريمة . وأخلى له بيت محمد كئخدا الأمشقر ، بجوار طاهر باشا بالأربكية ، وفرشوه ونظموه ، ووعدوه برجوعه الى الجيزة في مناصبه كما كان ، حتى يتحول منها محرم بيك صهر الباشا . لأنه عند انتقال شاهين بيك من الجيزة ، عدى اليها محرم بك بحريمه — وهى ابنة الباشا — وسكن القصر بعسكره ، وكذلك أسكن كبار أتباعه وخواصه القصور التى كان يسكنها الألفية ، وكذلك البيوت والدور . فوعده بالرجوع الى محله ، وظن — بخسافة عقله — صحة ذلك . وحضر صحبة شاهين بيك جملة من العسكر والدلاة وغيرهم ، واستمرت حملاتهم وأمتعتهم تدخل الى المدينة أرسالا فى عدة أيام .

الجمعة ١١ منه (٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ديوانا بالأربكية فى بيت ابنه ابراهيم بيك الدفتردار . واجتمع عنده المشايخ والوجاقلية وغيرهم فتكلم الباشا وقال : « يا أحبابنا ... لا يحفاكم احتياجى الى الأموال الكثيرة لنفقات المساكر والمصاريف والمهمات ... والايراد لا يكفى ذلك ، فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والأطيان . وقد أجحف ذلك بأهاليها ، حتى جلت

وخربت القرى ، وتعطلت المزارع ، وبارت الأطيان ، ولا يمكننى رفع ذلك بالكلية . والقصد أن تدبروا لنا تدييرا وطريقا لتحصيل المال من غير ضرر ولا أجحاف على أهل القرى ، وتعود مصلحة التديير عليهم وعلينا »

فقال الجميع : « الرأى لك » فقال : « الى فوضت الرأى فى تديير الأمور السابقة لجماعة الكتبة ، وهم الأفندية والأقباط ، فوجدت الجميع خائنين ، وانى دبرت رأيا لاندخله التهمة ... وهو أن من المعلوم أن جميع الحصص لها سندات ، ومعين بها مقدار الميرى والفائظ ، فنقرر على كل حصة قدر ميريتها وفائظها ، اما سنة أو سنتين ، فلا يضر ذلك بالملتزمين ولا بالفلاحين » .

فاتبذ أيوب كئخدا الفلاح — وهو كبير الاختيارية — وقال : « لكن بأفندينا الى مساواة الناس ... فان حصص كثير من المشايخ مرفوع ماعليها من المغارم ، ويرجع تنميم الغرامة على حصص الشركاء » . فحقق من كلامه الشيخ الشرقاوى ، وقال له : « أنت رجل سوء » . وثار عليه باقى المشايخ الحاضرين ، وزاد فيهم الصياح . فقام الباشا من المجلس وتركهم ، وذهب بعيدا عنهم ... وهم يتراددون ويتشاجرون . فأرسل اليهم الباشا الترجمان ، وقال : « انكم شوشتم على الباشا ، وتكدر خاطره من صياحكم ا فسكتوا وقاموا من المجلس ، وذهبوا الى دورهم وهم منفعلو المزاج .

ولعل كلام أيوب كئخدا وافق غرض الباشا ، أو هو باغرائه . ثم شرعوا فى تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات .

وكان فى العزم أولا أن يجعلها على ذمم الأطيان شارقا وغارقا ، بنا فيها من الأوسية التى

والمجر والفرائسة ، وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة ، والدودة التي يقال لها القرمز ، والقزدير ، وأصناف البضائع الأفرنكية ، وأحدث — وهو بالاسكندرية — أحداثا ومكوسا .

ذوالحجّة

٢٢ منه (١٨ يناير ١٨١١ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية الى مصر ، وذلك يوم الجمعة أواخر النهار ، وحضر في العشية الى بيت الأربكية وبات عند حريمه . وطلع في صبح يوم السبت الى القلعة ، وضربوا مدافع كثيرة لحضوره .. وبذلك علم الناس حضوره .

واقضت السنة بحوادثها التي قصصنا بعضها ، اذ لا يمكن استيفائها للتباعد عن مباشرة الأمور ، وعدم تحققها على الصحة ، وتحريف النقلة ، وزيادتهم ونقصهم في الرواية . فلا أكتب حادثة حتى أتأكد صحتها بالتواتر والاشتهار ... وغالبها من الأمور الكلية التي لا تقبل الكثير من التحريف . وربما أشرت قيد حادثة حتى أثبتتها ، ويحدث غيرها وأنساها ، فأكتبها في طيارة حتى أقيدها في محلها ان شاء الله تعالى عند تهذيب هذه الكتابة . وكل ذلك من تشويش البال ، وتكدر الحال ، وهم العيال ، وكثرة الاشتغال ، وضعف البدن ، وضيق العطن .

ومن حوادثها : أحداث عدة مكوس زيادة على ما أحدث على الأرز والكتان والحرير والحطب والملح ، وغير ذلك مما لم يصل اليها خبره .. حتى غلت أسعارها الى الغاية . وكان سعر الدرهم الحرير نصفين ، فصار بخسة عشر نصفا . وكنا نشترى القنطار من الحطب الرومي في أوانه بثلاثين نصفا ، وفي غير أوانه بأربعين نصفا ، فصار بثلاثمائة نصف . وكان الملح يأتي من أرضه بطن القفاف التي يوضع

للملتزمين ، والأرزاق ، ومسموح مشايخ البلاد . وذكر ذلك في المجلس . فقليل له : « ان الأوسية معاش الملتزمين ، والرزق قسمان : قسم داخل في زمام أطيان البلد ، ومحسوب في مساحة فلاحتها ، وقسم خارج عن زمامها . والقسمان من الارصادات على الخيرات ، وعلى جهات البر والصدقة والمساجد والأسبلة والمكاتب والأحواض لسقي الدواب وغير ذلك ، فيلزم منه ابطال هذه الخيرات وتعطيلها » . فقال الباشا : « ان المساجد غالبها متخرب ومتهدم » . فقالوا له : « عليك بالفحص والتفتيش والزمام المتولى على المسجد بعمارته اذا كان ايسراده رائجا » . الى آخر ما قيل .

الاثنين ٢١ منه (١٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

قتلوا شخصا من الأجناد الألفية ، وقطعوا رأسه بباب الخرق ، بسبب أنه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها .

ذوالقعدة

الخميس ٢ منه (٢٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

سافر الباشا الى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الأبراج والأسوار ، ويبيع الغلال التي جمعها من البلاد في الفرض التي فرضت عليهم ، وكذلك ما أحضره من البلاد القبلية . فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال ، وأرسلها الى الاسكندرية ليبيعها على الافرنج . فباع عليهم أزيد من مائتي ألف أردب : كل أردب بمائة قرش ، وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشا ، وهو لم يشتريها ، ولم تكن عليه بمال ... بل أخذها من زراعات الفلاحين من أصل ما فرضه عليهم من الظلم ، مع تطفيف الكيل عليهم ، وإلزامهم بكلفة شيله وأجرة نقله الى الجبل الذي يلزمهم بوضعه فيه ، وأخذ من الافرنج في ثمنه أصناف النقود : من الذهب المشخص البندقى ،

فيها لا غير ، ويبيعه الذين ينقلونه الى ساحل بولاق : الأردب بعشرين نصفا ، وأردبه ثلاثة أراذب ، ويشتره المتسبب بمصر بذلك السعر ، لأن أردبه أردبان ، ويبيعه أيضا بذلك السعر ، ولكن أردبه واحد .. فالتفاوت في الكيل لا في السعر . فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت . وسعره الآن أربعمائة وخمسون نصفا ، والتزم به من التزم ، وأوقف رجاله في موارده البحرية لمنع من يأخذ منه شيئا من المراكب المارة بالسعر الرخيص من أربابه ، ويذهب به الى قبلى أو نحو ذلك .

ومنها ، وهى من الحوادث الغريبة : أنه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة ، المعروفة الآن بالحطابة ، قبالة الباب المعروف بباب الوزير ، في وهدة بين التلول .. نار كامنة بداخل الأتربة ، واشتهر أمرها ، وشاع ذكرها ، وزاد ظهورها في أواخر هذه السنة . فيظهر من خلال التراب ثقب ، ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالبة وغير ذلك . وكثر تردد الناس للاطلاع عليها أفواجا أفواجا ، نساء ورجالا وأطفالا ، فيمشون عليها وحولها ، ويجدون حرارتها تحت أرجلهم ، فيحفرون قليلا ، فتظهر النار مثل نار الدمس ، فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو ذلك ، فتدق فيها النار وتورى ، وبصعد منها الدخان ... وان غوصوا فيها خشبة أو قصبه احترقت .

ولما شاع ذلك ، وأخبروا بها كتخدا بك ، نزل اليها بجمع من أكابره وأتباعه وغيرهم ، وشاهد ذلك . فأمر والى الشرطة بصب الماء عليها ، وإهالة الأتربة من أعالي التل فوقها ... ففعلوا ذلك ، وأحضروا السقائين ، وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا ، وأهالوا عليها الأتربة .

وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والأطفال

يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا ، فتظهر النار ، ويظهر دخانها . فيقربون منها الخرق والحلفاء واليدكات فتورى وتدخن . واستمر الناس يقدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين . وشاهدت ذلك في جملتهم ، ثم بطل ذلك .

ومنها : أنه نودى في أواخر السنة ، على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفا ، وكان يصرف بمائتين وخمسين ، من زيادات الناس في معاملاتهم . فكانوا ينادون بالنقص ، ورجوعها الى ما كان قبل الزيادة ، ويعاقبون على التزايد . وفي هذه الأيام نودى بالزيادة .. وذلك بحسب الأغراض والمقاصد والمقتضيات ، ومراعاة مصالح أنفسهم لا المصلحة العامة ... هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناذاة .

وكذلك نقصوا وزن القروش ، وجعلوا القرش على النصف من القرش الأول ، ووزنه درهمان ، وكان أربعة دراهم ، وفي الدرهمين ربع درهم فضة . هذا مع عدم الفضة العددية ، ووجودها بأيدي الناس والصيارف . وإذا أراد انسان صرف قرش واحد من غيره ، صرفه بنقص ربع العشر ، وأخذ بدله قطعا صغارا أفرنجية : يصرف منها الواحدة باثنى عشر ، وأخرى بعشرة ، وأخرى بخمسة ... ولكنها جيدة العيار . وهم الآن يجمعونها ويضربونها بما يزداد عليها من النحاس — وهو ثلاثة أرباعها — قروشا ، لأن القطعة الصغيرة التى تصرف بخمسة أنصاف ، وزنها درهم واحد وزنى ، فيصيرونها أربعة قروش ، فتضاعف الحمسة الى ثمانين . وكل ذلك نقص واختلاس أموال الناس من حيث لا يشعرون !

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر :

فمات الفقيه الفريد ، والعلامة المفيد : الشيخ على الحصاوى الشافعى . ولا أعلم له ترجمة ، وإنما

رأيته يقرر الدروس ويفيد الطلبة في الفقه والمعقول ،
ويشهد الفضلاء بفضلته ورسوخه .

وكان على طريقة المتقدمين في الانقطاع للافادة ،
وعدم الرفاهية والرضا بما قسم له ، منعكفا في حاله .
وتمرض بالبرودة ولم ينقطع عن ملازمة الدروس
حتى توفي في منتصف جمادى الثانية من السنة ،
وصلى عليه بالأزهر ، ودفن في تربة المجاورين
بالصحراء .

ومات المعلم جرجس الجوهري القبطي ، كبير
المبشرين بالديار المصرية ، وهو أخو المعلم ابراهيم
الجوهري . ولما مات أخوه في زمن رئاسة الأمراء
المصرية ، تعين مكانه في الرئاسة على المبشرين
والكتبة ويده حل الأمور وربطها في جميع الأقاليم
المصرية ، نافذ الكلمة ، وافر الحرمة . وتقدم في أيام
الفرنسيين ، فكان رئيس الرؤساء . وكذلك عند
مجيء الوزير والعثمانيين ، وقدموه وأجلسوه لما
يسديه اليهم من الهدايا والרגائب ، حتى كانوا
يسمونه جرجس أفندي .

ورأيته يجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب
شريف أفندي الدفتردار ، ويشرب بحضرتهم

الدخان وغيره ، ويراعون جانبه ، ويشاورونه في
الأمور .

وكان عظيم النفس ، ويعطي العطايا ويفرق على
جميع الأعيان ، عند قدوم شهر رمضان ، الشموع
العسلية والسكر والأرز والكساوى والبن ، ويعطي
ويهب . وبنى عدة بيوت بجارة الوندك والأزبكية ،
وأنشأ دارا كبيرة — وهى التى يسكنها الدفتردار
الآن ، ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين — عند
قنطرة الدكة . وكان يقف على أبوابه الحجاب
والخدم .

ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالى ،
وتداخل في هذا الباشا ، وفتح له الأبواب لأخذ
الأموال ... والمترجم يدافع في ذلك . وإذا طلب الباشا
طلبا واسعا من المعلم جرجس ، يقول له : « هذا
لا يتيسر تحصيله » ، فيأتى المعلم غالى فيسهل له
الأمور ، ويفتح له أبواب التحصيل . فضاق خناق
المترجم ، وخاف على نفسه ، فهرب الى قبلى ، ثم
حضر بأمان — كما تقدم — وانحط قدره ، ولازمته
الأمراض . حتى مات في أواخر شعبان ، وانقضى
وخلا الجو للمعلم غالى ، وتمين بالتقدم . ووافق
الباشا في أغراضه الكلية والجزئية .. وكل شيء له
بداية وله نهاية . والله أعلم .

المحرم

السبت غرته (٢٦ يناير ١٨١١ م) :

أظهر الباشا الاهتمام بأمر الحجاز والتجهيز للسفر ، وركب في ليلة الجمعة سابعه الى السويس . وسافر صحبته السيد محمد المحروقي ، وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل الى السويس حجز الداوات التي وصلت بالمحمل ، وسفر عدة من المراكب التي أنشأها ليقبضوا على الداوات والسفن التي بالأساكن وحوزها ، واستولى على البن الذي وجده ببندر السويس للتجار . فلما وصل خبر ذلك الى مصر ، غلا سعر البن ، وزاد حتى وصل الى خمسين ريالاً فرانسة ، بعد أن كان بسنة وثلاثين ، عنها اثنا عشر ألف قضة وخمسمائة نصف قضة

سفر

٢ منه (٢٦ فبراير ١٨١١ م) :

حضر الباشا من السويس الى مصر في سادس ساعة من الليل . فضربوا في صباحها عدة مدافع لحضوره . وقد حضر على هجين بمفرده ، ولم يصحبه الا رجل بدوى على هجين أيضا ليدله على الطريق ، وقطع المسافة في احدى عشرة ساعة . وحضر من كان بصحبته في ثاني يوم ، وهم مجدون السفر ، وحضر السيد محمد المحروقي بحموله في اليوم الثالث .

واخبروا أن الباشا انزل من ساخل السويس

خمسة مراكب من المراكب التي أنشأها ، باحتياجاتها ولوازمها وعساكرها ، ووجههم الى ناحية اليمن ، ليقبضوا على ما يجدونه من المراكب ، وأن الصناع مجتهدون في العمل في مراكب كبار لحمل الخيول والعساكر واللوازم .

وفيه : حضر صالح أغا قوج حاكم أسيوط ، وتناقلت الأخبار عن الأمراء المصريين القبلين ، بأنهم حضروا الى الطينة ، ورجعوا الى ناحية قنا وقوص . وخرج اليهم أحمد أغا لاذ ، وتحارب معهم ، وقتل من عساكره عدة واقرة .

وفيه : قلد الباشا ابنه طوسون باشا صارى عسكر الركب الموجه الى الحجاز ، وأخرجوا جيشهم الى ناحية قبة العزب ، ونصبوا عرضيا وخياما . وأظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التواني ، ونوه بتسفير عساكر لنانحية الشام ، لتليك يوسف باشا لمحله .. وصارى عسكرهم شاهين بيك الألفى ، ونحو ذلك من الابهامات . وطلب من المنجمين أن يختاروا وقتا صالحا لالباس ابنه خلعة السفر . فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة .

٤ منه (٢٨ فبراير ١٨١١ م) :

طاف ألى جاويش بالأسواق ، على صورة الهيئة القديمة في المنادة على المواكب العظيمة ، وهو لابس الضلعة والطبق على رأسه ، وراكب حبارعال ، وأمامه مقدم بمكاز ، وحوله قابجة يتنادون بقولهم : « يارنى ألى » . ويكررون ذلك في أخطاط المدينة . وطاقوا بأوراق التناية على كبار

العسكر والبيانات والأمراء المصرية الألفية وغيرهم ، يطلبونهم للحضور في باكر النهار الى القلعة ليركب الجميع بتجملاتهم وزيتهم أمام الموكب

٦ منه (٢ ملوس ١٨١١ م) :

ركب الجميع ، وطلعوا الى القلعة . وطلع المصرية بماليكهم وأتباعهم وأجنادهم . فدخل الأمراء عند الباشا ، وصبحوا عليه ، وجلسوا معه حصّة ، وشربوا القهوة وتضاحك معهم .

ثم انجر الموكب على الوضع الذي رتبوه : فانجر طائفة الدلاة وأميرهم المسى أزوز على ، ومن خلفهم الوالى والمختب والأغا والوجاقلية والالداشات المصرية ومن تريا بزيمهم ، ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات وأرباب المناصب منهم ، وابراهيم أغا أغات الباب . وسليمان بيك الباب يذهب ويحى ويرتب الموكب .

وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم ، وأسر بذلك في صبحها ابراهيم أغا أغات الباب . فلما انجر الموكب ، وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والالداشات المصرية ، وانفصلوا من باب المزب .. فعند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب ، وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية . وقد انحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر الحجر ، المقطوع في أعلى باب المزب ، مسافة ما بين الباب الأعلى الذى يتوصل منه الى رجة سوق القلعة الى الباب الأسفل — وقد أعدوا عدة من العساكر أوقفوهم على علاوى النقر الحجر والجيطان التى به . فلما حصل الضرب من التحتانيين ، أراد الأمراء الرجوع القهقرى ، فلم يمكنهم ذلك .. لا تنظروا الخيول في مضيق النقر ، وأخذهم ضرب النادق والقرايين من خلفهم أيضا . وعلم العسكر الواقفون بالأعلى المراد ، فضربوا أيضا .

فلما نظروا ما حل بهم ، سقط في أيديهم ، وارتبكوا في أنفسهم ، وتحيروا في أمرهم ، ووقع منهم أشخاص كثيرة .. فنزلوا عن الخيول ، واقتحم شاهين بيك وسليمان بيك البواب وآخرون في عدة من ماليكهم راجعين الى فوق ، والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ، ونزعوا ما كان عليهم من الفراوى والثياب الثقيلة ، ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم ، حتى وصلوا الى الرجة الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة .. وقد سقط أكثرهم ، وأصيب شاهين بيك وسقط الى الأرض . فقطعوا رأسه ، وأسرعوا بها الى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش .

وكان الباشا ، عندما ساروا بالموكب ، ركب من ديوان السراية ، وذهب الى البيت الذى به الحريم ، وهو بيت اسمعيل أفندى الضربخانه .

وأما سليمان بيك البواب ، فهرب من حلاوة الروح ، وصعد الى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط ، وقطعوا رأسه أيضا . وهرب كثير الى بيت طوسون باشا ، يظن الالتجاء به ، والاحتماء فيه .. فقتلوه .

وأسرف العسكر في قتل المصريين ، وصلب ما عليهم من الثياب ، ولم يرحموا أحدا ، وأظهروا كامن حقدهم ، وضبعو فيهم وفيمن رافقهم متجلبلا معهم من أولاد الناس وأهالى البلد الذين تزيوا بزيمهم لزينة الموكب ، وهم يصرخون ويستغيثون ، ومنهم من يقول : « أنا لست جنديا ولا مملوكا » ، وآخر يقول : « أنا لست من قبيلتهم » ، فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث .

وتتبعوا المتشتتين والهربانيين في نواحي القلعة وزواياها ، والذين فروا ودخلوا في البيوت والأماكن ، وقبضوا على من أمسك حيا ولم يمت من الرصاص ، أو متخلقا عن الموكب وجالسا مع

الكتخدا : كأحمد بيك الكيلارج . ، ويحيى بيك
الألفى ، وعلى كاشف الكبير .. فسلبوا ثيابهم ،
وجمعوهم الى السجن تحت مجلس كتخدا بيك ،
ثم أحضروا أيضا المشاعلى لرمى أعناقهم فى حوش
الديوان ، واحدا بعد واحد ، من ضحوة النهار الى
أن مضى حصة من الليل فى المشاعل .. حتى امتلأ
الحوش من القتلى !

ومن مات من المشاهير المعروفين ، وانصرع فى
طريق القلعة ، قطعوا رأسه ، وسحبوا جثته الى
باقى الجثث .. حتى أنهم ربطوا فى رجلى شاهين
بيك ويديه حبالا ، وسحبوه على الأرض ، مثل
الحمار الميت ، الى حوش الديوان !

هذا ما حصل بالقلعة . و أما أسفل المدينة : فانه
عندما أغلق باب القلعة ، وسمع من بالرميلة صوت
الرصاص ، وقعت الكرشة فى الناس ، وهرب من
كان واقفا بالرميلة من الأجناد فى انتظار الموكب ،
وكذلك المتفرجون . واتصلت الكرشة بأسواق
المدينة .. فارتعجوا ، وهرب من كان بالحوانيت
لانتظار الفرجة ، وأغلق الناس حوانيتهم . وليس
لأحد علم بما حصل وظنوا ظنونا

وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة ، وقتل
الأمرء ، انبثوا كالجراد المنتشر الى بيوت الأمراء
المصريين ومن جاورهم ، طالبين النهب والغنيمة ،
فولجوها بغتة ونهبوها نهباً ذريعاً ، وهتكوا الحرائر
والحریم ، وسحبوا النساء والجوارى والخوندات
والستات ، وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر
والثياب ، وأظهروا الكامن فى نفوسهم ، ولم
يجدوا مانعاً ولا رادعاً . وبعضهم قبض على يد امرأة
ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة ،
فقطع يد المرأة !

وحل بالناس فى بقية ذلك اليوم من الفرع
والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف . لأن المماليك

والأجناد تداخلوا ، وسكنوا فى جميع الحارات
والنواحى ، وكل أمير له دار كبيرة فيها عياله
وأتباعه ومماليكه وخيوله وجماله ، وله دار وداران
صغار فى داخل العطف ، ونواحى الأزهر والمشهد
الحسينى .. يوزعون فيها ما يخافون عليه لظنهم
بعدها وحمايتها بحرمة الخطه ، وصونها عند وقوع
الحوادث .

وكثير من كبار العسكر مجاورون لهم فى جميع
النواحى ، ويرمقون أحوالهم ، ويطلعون على أكثر
حركاتهم وسكناتهم ، ويتدخلون فيهم ،
ويعاشرهم ويسامرونهم بالليل ، ويظهرون لهم
الصداقة والمحبة .. وقلوبهم محشوة من الحقد
عليهم والكراهة لهم ، بل ولجميع أبناء العرب

فلما حصلت هذه الحادثة ، بادروا لتحصيل
مأموالهم ، وأظهروا ما كان مخفياً فى صدورهم ..
وخصوصاً من التشفى فى النساء . فان العظيم منهم
كان اذا خطب أدبى امرأة ليتزوج بها ، فلا ترضى
به ، وتعافاه ، وتأفف قربه . وان الح عليها ،
استجارت بمن يحميها منه ، والا هربت من بيتها ،
واختفت شهوراً ... وذلك بخلاف ما اذا خطبها
أسفل شخص من جنس المماليك ، أجابته فى الحال

واتفق أنه لما اصطلح الباشا مع الألفية ، وطلبوا
البيوت ، ظهر كثير من النساء المستترات المخفيات ،
وتنافسوا فى زواجهن ، وعملوا لهم الكساوى :
وقدموا لهم التقادم ، وصرفوا عليهم لوازم البيوت
التي تلزم الأزواج لزواجهن .. كل ذلك برأى من
الأتراك يحققونه فى قلوبهم .

وفيهن من حصى جاره ، وصان دياره ، ومانع
أعلاهم أدناهم — وقليل ما هم — وذلك لغرض
يتخيه ، وأمر برتجيه ! فانه بعد ارتفاع النهب ،
كانوا يقبضون عليهم من البيوت ، فيستولى الذى
حماه ودافع عنه على داره وما فيها . وانتهت دور



ملبحة القلعة

وركب الباشا في الضحوة ، ونزل من القلعة ،
وحوله أمراؤه الكبار مشاة ، وأمامه الصفائية
والجاويشية بزيتهم وملابسهم الفاخرة . والجميع
مشاة ليس فيهم راكب سواه ، وهم محدقون به
وأمامه وخلفه عدة وافرة . والفرح والسرور يقتل
المصريين ونهبهم والظفر بهم ، طافح من وجوههم .
فكان كلما مر على أرباب الدرك والقلقات
والضابطين ، وقف عليهم ووبخهم على النهب وغدم
منعهم لذلك .. والحال أنهم هم الذين كانوا
ينهبون أولا ، ويتبعهم غيرهم !

فمر على العقادين الرومي والشوائين ، فخرج
إليه شخص من تجار المغاربة ، يسمى العربي الحلو ،
وصرخ في وجهه وهو يقول : « ايش هذا الحال !
وايش لنا علاقة حتى ينهبنا العسكر . ونحن ناس
فقراء مغاربة متسبيون ، ولسنا مباليك ولا أجناد » .

كثيرة من المجاورين لهم أو لدور أتباعهم ... بأدنى
شبهة وبغير شبهة . أو يدخلون بحجة التفتيش ،
ويقولون : « عندكم مملوك ، أو سمعنا أن عندكم
وديعة لمملوك » . وبات الناس وأصبحوا على ذلك .
ونهب في هذه الحادثة من الأموال والأمتعة
مالا يقدر قدره ، ويحصيه إلا الله سبحانه وتعالى .
ونهب دور كثيرة من دور الأعيان الذين ليسوا من
الأمراء المقصودين ، ومن المتقيدين بخدمة الباشا ،
مثل : ذى الفقار كتخدا المتولى خوليا على
بساتين الباشا التي أنشأها بشبرا ، وبيت الأمير
عثمان أغا الورداني ، ومصطفى كاشف المورلى ،
والأفندية الكتبة وغيرهم .

وأصبح يوم السبت .. والنهب والقتل والقبض
على المتسولين والمختفين مستمر ، وبدل البعض
على البعض أو يغمز عليه .

فوقف اليه ، وأرسل معه نفرا الى داره ، فوجدوا بها شخصين : أحدهما تركي ، والآخر بلدي ، وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من النهاين .. فأمر بقتلهما . فأخذوهما الى باب الخرق ، وقطعوا رؤوسهما .

ثم انه عطف على جهة الكعكين ، فلاقاه من أخبره بأن المشايخ مجتمعون ، ونيتهم الركوب للملاقاة والسلام عليه والتهنئة بالظفر ! فقال : « أنا أذهب اليهم » . ولم يزل في سيرة حتى دخل الى بيت الشيخ الشرقاوى ، وجلس عنده ساعة لطيفة . وكان قد التجأ الى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية ، فكلمه في شأنهما ، وترجى عنده في اعتاقهما من القتل ، وأن يؤمنهما على أنفسهما . وقال له : « لاتفصح شيبتي يا ولدي ، واقبل شفاعتي ، وأعطهما محرمة الأمان » . فأجابه الى ذلك ، وقال له : « شفاعتك مقبولة ، ولكن نحن لا نعطي محارم ، وأنا أمانى بالقول ، أو نكتب ورقة ونرسلها اليك بالأمان » . فاطمان الشيخ لذلك .

ثم قام الباشا وركب وطلع الى القلعة ، وأرسل ورقة الى الشيخ بطلبهما فقال لهما الشيخ : « ان الباشا أرسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما اليه » . فقالا : « وما يفعل بذهابنا اليه ؟ فلا شك في أنه يقتلنا » فقال الشيخ : « لا يصح ذلك ولا يكون .. كيف أنه يأخذكم من بيتي ويقتلكم بعد أن قبل شفاعتي » . فذهبا مع الرسول . فعندما وصلا الى الجوش - وهو مملوء بالقتلى ، وضرب الرقاب واقع في المحبوسين والمحضرين - قبضوا عليهما ، وأدرجا في ضمنهم !

وفي ذلك اليوم : نزل طوسون ابن الباشا - وقت نزول أبيه - وشق المدينة ، وقتل شخصا من النهاين أيضا فارتفع النهب ، وانكف العسكر

عن ذلك . ولولا نزول الباشا وابنه في صباح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة ، وحصل منهم غاية الضرر .

وأما القبض على الأجناد والمماليك فاستمر ، وكذلك كل من كان يشبههم في الملبس والزى . وأكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الأرنؤودى ، فيكبسون عليهم في الدور ، أو في الأماكن التى تواروا فيها واستدلوا عليهم ، فيقبضون على من يقبضون عليه ، وينهبون من الأماكن ما يمكنهم حمله ، وثياب النساء وحليهن ، ويسحبون الواحد والاثنين أو أكثر بينهم ، يأخذون عمامتهم وثيابهم وما في جيوبهم في أثناء الطريق !

واذا كان كبيرا أو أميرا يستجى منه ، طلبوه بالرفق . فاذا ظهر لهم ، قالوا له : « سيدنا حسن باشا يستدعيك اليه فلا تخش من شيء » . ويطمئن قليلا ، ويظن أنهم يجيرونه ... وعلى أى حال لا يسعه الا الاجابة ، لأنه ان امتنع أخذوه قهرا . فاذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم ، وطلع البواقى الى الدار ، فأخذوا ما قدروا عليه ولحقوا بهم ... وجرى على المأخوذ ما يجرى على أمثاله من المأخوذين .

والبعض توارى ، والتجأ الى طائفة الدلاة ، وتزيا بشكلهم ، ولبس له طرطورا وأجاروه .

وهرب كثير في ذلك اليوم ، وخرجوا الى قبلى . وبعضهم تزيا بزي نساء الفلاحين ، وخرج في ضمن الفلاحات اللاتى يعين الجلة والجبنة . وذهبوا في ضمنهم . وفر من نجا منهم الى الشام وغيرها .

وأما كنتخدا بيك فانه ، لشدة بغضه فيهم ، صار لا يرحم منهم أحدا . فكان كل من أحضره - ولو فقيرا هرما من مماليك الأمراء الأقدمين -

يأمر بضرب عنقه . وأرسل أوراقا الى كشف النواحي والأقاليم بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلدان . فوردت الرؤوس في ثانی يوم من النواحي ، فيضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة .

وكان كثير من الأجناد بالأرياف لتحصيل الفرض التي تعهدوا بدفعها عن فلاحهم . واقتضت أجلتهم ، وطولبوا بالدفع والفلاحون قصرت أيديهم ، ولم يقبلوا للمتزمين عذرا في التأخير . فلم يسعهم الا الذهاب بأنفسهم لأجل خلاص المطلوب منهم للديوان . فعند ما وصلت الأوامر الى كشف الأقاليم بقتل الكائنين بالبلاد ، بادروا بقتل من يمكنهم قتله . ومن بعد عنهم أرسلوا لهم العساكر في محلاتهم ، فيدهمونهم على حين غفلة ، ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعه من المال ، ويرسلون برؤوسهم ، أو يتحيلون على القبض عليهم وقتلهم . فصار يصل في كل يوم العدد من الرؤوس من قبلى وبحرى ، ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة ، ولم يقبلوا شفاعاة في أحد أبدا . ويعطون الأمان للبعض ، فاذا حضروا ... قبضوا عليهم وشلحوهم ثيابهم وقتلوهم .

والباشا يعلم من كتحذاه شدة الكراهة لجنس المماليك ، ففوض له الأمر فيهم . حتى أنه كان بينه وبين محمد أغا ، كتحذا الجاويشية سابقا ، بعض منافرة من مدة سابقة ، أو لكونه صاهر بعض الألفية وزوجه ابنته . وكان غائبا ببلدة يقال لها الفرعونية جارية في اقطاعه ، وتعهد بما عليها من الفرض ، فذهب اليها بنفسه ليستخلص منها الفرضة والمال الميرى . فأرسل الكتحذا بيك الى كاشف المنوفية قبل الحادث بيوم يأمره فيه بأمره . فأرسل اليه طائفة من العسكر دخلوا عليه في

التجربة — وهو يتوضأ لصلاة الصبح — فقتلوه وقطعوا رأسه وأحضروها الى مصر ! وكانوا يأتون بأشخاص من بقايا البيوت القديمة ، فيمثلونهم بين يدي الكتحذا . فيسألهم فيجبرون عن أنفسهم ونسبتهم ، فيكذبهم ويأمرهم الى الحبس الأعلى حتى يتبين أمرهم ... فاما تدركهم الألفاف فينجون بعد معاينة الموت — وهذا في النادر — فقتل في هذه الحادثة أكثر من ألف انسان ، أمراء وأجناد وكشاف ومماليك . ثم صاروا يحملون رمهم على الأخشاب ويرمونهم عند المنسل بالرميلة ، ثم يرفعونهم ويلقونهم في حفرة من الأرض فوق بعضهم البعض ... لا يتميز الأمير عن غيره . وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظام ، وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم في تلك الحفرة .

فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التي لم يتفق مثلها . ولم ننج من الألفية الا أحمد بيك زوج عديلة هالم بنت ابراهيم بيك الكبير ، فانه كان غائبا بناحية بوش ، وأمين بيك تسلق من القلعة وهرب الى ناحية الشام ، وعمر بيك أيضا الألفى كان مسافرا في ذلك اليوم الى القيوم ، فقتلوه هناك وبعثوا برأسه بعد خمسة أيام ، ومعها نحو الخمسة عشر رأسا . وأرسل دبوس أوغلى حاكم المنية خمسة وثلاثين رأسا . وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير .

وأما من قتل في ذلك اليوم ، من له ذكر وبلغنى خبره ، فهم : شاهين بيك كبير الألفية ، ويحى بيك ، ونعمان بيك ، وحسين بيك الصغير ، ومصطفى بيك الصغير ، ومراد بيك ، وعلى بيك .. هؤلاء من الألفية .

ومن غيرهم أحمد بيك الكيلارجى ، ويوسف بيك أبو دياب ، وحسن بيك صالح ، ومرزوق بيك ابن ابراهيم بيك الكبير ، وسليمان بيك البواب ،

يومين من الحادثة . واجتمع عندها الكثير من أهل
المقتولين ونسائهم ، وأقاموا على ذلك شهورا .
وفي يوم الحادثة أرسل محرم بيك ، صهر الباشا
حاكم الجيزة ، فجمع مال المصرية باقليم الجيزة في
الربيع ، من الخيول والجمال والهجن وغيرها ،
فكان شيئا كثيرا .

٨ منه (٤ مارس ١٨١١ م) :

نودى على نساء المقتولين بالأمان ، وأن يحضرن
الى بيوتهن ويسكن فيها — مع كونها صارت
بلاقع — فرجع البعض ، وهن اللاتي لم يحصل
لهن كثير الضرر ، وبقي البعض في اختفائه .

وأنعم الباشا على خواصه بالبيوت بما فيها ،
فنزلوها وسكنوها ، وألبسوا النساء الخواتم ،
وجددوا الفرش والأواني ... وغالبها من المنهوبات .

وأنعم بيت شاهين بيك على حسين أغا من
أقاربه ، ولم يحصل به ما حصل بغيره لكونه
ملاصقا لبيت طاهر باشا ، وأرسل الباشا طائفة من
العسكر جلسوا على بابه .

وأما أحمد بيك الألفى ، فانه وصله النذير ،
فاتنقل من بوش ، وذهب عند الأمراء القبالي . ولما
وصلتهم أخبار هذه الحادثة ، وبلغ ابراهيم بيك
موت ولده على هذه الصورة ... أقاموا العزاء على
اخوانهم ، ولبسوا السواد .

وفي ثاني يوم الواقعة حضر أحد الكشاف رسولا
من عند الأمراء القبليين ، يطلبون العفو من الباشا ،
وأن يعطيهم جهة يتعيشون منها . فوعده ببرد
الجواب في غير الوقت ، فأهمله وما أدري ما تم له
وفيه : قلد الباشا مصطفى بيك ابن أخته ،
وجعله كبيرا على طائفة الدلاة . وكان أحضره من
ناحية الشرقية ليذهب الى قبلى ، وأقام بدله في
كشوفية الشرقية على كاشف بن أحمد كتخدنا من
المصرية .

وأحمد بيك تابعه ورشوان بيك ، وابراهيم بيك
تابعه ، وقاسم بيك تابع مراد بيك الكبير ، وسليم
بيك الدمرجى ، ورستم بيك الهرقاوى ، ومصطفى
بيك أيوب ، ومصطفى بيك تابع عثمان بيك حسن
وعثمان بيك ابراهيم ، وذو الفقار تابع جوجر ،
وهو رجل كبير من الأقدمين البطالين ... هرب هو
ومصطفى بيك الجداوى وآخر عند صالح بيك
السلحدار ، والتجأوا اليه ، وطمئنه ، وأرسل
بخبرهم ، فحضر الأمر بقطع رؤوسهم ، فأحضر
المشاعلى وقطع رؤوسهم في مقعده ، وأرسلها .

ومن الأمراء الكشاف الألفية فهم : على كاشف
الخازندار ، وعثمان كاشف الحبشى ، ويحيى
كاشف ، ومرزوق كاشف ، وعبد العزيز كاشف ،
ورشوان كاشف ، وسليم كاشف ططر ، وقايد
كاشف ، وجعفر كاشف ، وعثمان كاشف ، ومحمد
كاشف أبو قطية ، وأحمد كاشف الفلاح ، وأحمد
كاشف صهر محمد أغا ، و خليل كاشف ، وعلى
كاشف قيطاس ، وأحمد كاشف ، وموسى كاشف ،
وغير ذلك ممن لم يحضرنى أسماؤهم — وهم
كثيرون .

وختم الله للجميع بالخير ! فانه بلغنى ممن عاينهم
بالحبوس ، وفي حال القتل ، أنهم كانوا يقرأون
القرآن ، وينطقون بالشهادتين والاستغفار .
وبعضهم طلب ماء وتوضأ وصلى ركعتين قبل أن
يرمى عنقه . ومن لم يجد ماء تيمم .

ولاشتغال أهل المقتولين بأنفسهم ، وما حصل
لهم من النهب والسلب والتشتيت عن أوطانهم ، لم
يعوا ولم يسألوا عن موتاهم ... غير أم مرزوق بيك
ابن ابراهيم بيك الكبير ، فانها وجدت عليه وجدا
عظيما ، وطلبته في القتلى ، فعرفوا جثته بعلامة
فيه ، وجمجمته بكونه كان كريم العين ، فأخرجوه
وكفنوه ودفنوه في تربتهم ... وذلك بعد مضي

١٨ منه (١٤ مارس ١٨١١ م) :

عدى مصطفى بك المذكور الى بر الجيزة ليسافر الى قبلى ، ونصب وطاقه بحرى القصر . وعدى أيضا الباشا وأقام بالقصر ، وشرع عسكره الدلالة فى التعدي ليلًا ونهارًا .

وفيه أيضا : خرج عدة من عسكر الدلالة ، نحو الخمسمائة نفر ، الى ناحية قبة العزب ليسافروا الى بلادهم . فاستمروا فى قضاء أشغالهم أياما ، ثم سافروا .

٢٣ منه (١٩ مارس ١٨١١ م) :

ارتحل مصطفى بك ، وانتقل الى ناحية الشيخ عثمان ، مسافرا الى قبلى . وعدى الباشا راجعا الى مصر .

وفيه : حضر ططريان من الروم يبشران بالعفو عن يوسف باشا المنفصل عن الشام . وقبل فيه ترجى باشة مصر وشفاعته .

٢٥ منه (٢١ مارس ١٨١١ م) :

أحضروا من ناحية قبلى أربعة وستين شخصا ، وأكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد .. من بقايا البيوت القديمة ، السنين العديدة ، ومحترفين . فلما أحضروهم الى مصر القديمة ، أبقوهم الى الليل فى مجبس . ثم أوقدوا المشاعل بساحل البحر ، وقطعوا رؤوسهم ، ورموا بجثثهم الى البحر ، وأتوا بالرؤوس ، فوضعوها تجاه باب زويلة ليراها الناس كما رأوا غيرها !

ربيع الأول

الأحد ٦ منه (٣١ مارس ١٨١١ م) :

عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكبا عظيما . ونهبوا فى ليلتها على اجتماع العسكر فى صباحها . ونزل هو الى جامع الغورية ليتفرج على الموكب ، وصحبته حسن باشا . واستعد لذلك السيد

المحروقى ، وفرش له بالجامع المذكور فروشا ومراتب ووسائد . فمر الموكب ، وفى أوله طائفة الدلالة . فلما فرغوا ... مروا بعشرة مدافع كبار على عربيات ، وعريتين . تحملان هونين قنابر ، وخلفهم طوائف العسكر الرجال : أرثوود ، وأتراك ، وسجبان — وهم كثيرون — محتلطون من غير ترتيب مدة طويلة ، ثم كبارهم ركبانا بطوائفهم ، ثم الوالى والمختسب وأغاة مستحفظان ، ثم طوائف صاحب الموكب وجنائه ، وكذا هجنه ، ثم الجاوشية والسعاة والملازمون ، ثم طوسون باشا وخلفه أتباعه وأغواته ، ثم الكتكدا — وهو محمد كتخدا ، المعروف بالبرديسى ، وهو الذى كان كتخدا الألفى — وصحبته الخازندار ، وخلفهم النوبة التركية .

ولما انقضى أمر الموكب ، دعاه المحروقى الى منزله . فنزل معه من باب السر الذى بالجامع المعروف بالغورى ، وصحبته حسن باشا ، وتوجهوا الى بيت المحروقى ، وتفدى عنده هو وأتباعه وخواصه ، وأحضر له آلات الطرب ، واستمر هناك الى آخر النهار فى حظ وكيف ، وقدم له المحروقى تعابى هدية ... ثم ركب عائدا الى محله .

الاثنين ١٤ منه (٨ ابريل ١٨١١ م) :

نزل الباشا الى ترعة الفرعونىة للاهتمام بسندها ، ونقل الأحجار فى المراكب مستمر ، فأقام عند السد أربع ليال . وذهب الى الاسكندرية عندما أتته الأخبار بورود مراكب الانكليز لأجل مشترى الغلال ، فذهب ليبيع عليهم الغلال التى جمعها . فباع عليهم كل أردب بمائة قرش رومى ، عنها أربعة آلاف فضة وأكثر . واجتهد ببناء أسوار الاسكندرية ، وجدد بها أبراجا وحصونا ، وأرسل بطلب البنائين والصناع ، فجمعوهم من كل ناحية وطالت غيبته هناك واقامته لتتيم أغراضه .

وأمن مشايخ عربان أولاد على المستولين على

البحيرة ، وتحيل عليهم . فلما حضروا اليه قبض عليهم ، وقرر عليهم أموالا عظيمة ، ثم خلع عليهم وعوقبهم . وأرسل العساكر فنهبت نجوعهم ، وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم .

وأما كنتخدا بيك ، فانه ببصر يقرر الفرض على البلاد هو والكتبة حسب أوامر مخدومه . ونظموا كيفية أخرى ، وهي أنهم جمعوا الميرى والمضاف والفائظ والرزق ايراد أربع سنوات ، وكتبوا بها مراسيم بنصف المقرر ليقبض في دفعتين . وبعد أن تقرر النصف الأول ، وتحصل منه ما تحصل ، وبقي الباقي مع النصف الآخر ، ويطلب من أربابه ولا بد ... لا مسامحة في شئ منه . ومن تكفل بما تقرر على حصته ، وألزم نفسه بدفعه ، وكتب على نفسه وثيقة لأجل ... طولب به ، حتى قبل حلول الأجل ، لاحتياج المهمات . ففتوجه عليه الحوالات بيد العساكر ، فينزلون بداره ويلازمونها ويضيقون أنفاسه ، ويكلفونه ما لا يطيق . فلا يجد ملجأ ولا خلاصا الا بأحد الشيئين : اما الدفع بأى وجه كان ، واما ينزل عن حصته بالفراغ للديوان . ولا يبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ، ويصبح فقيرا لا يملك شيئا ان لم يكن له ايراد من جهة أخرى .

ربيع الآخر

(٢٥ ابريل - ٢٣ مايو ١٨١١ م)

... الكنتخدا يتنوع في استجلاب الأموال ، ويتحيل في استخراجها بأنواع من الحيل فمنها : أنه يرسل الى أهل حرفة من الحرف ، ويأمرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها ، ويظهر أنه يريد الشفقة والرافة بالناس ، ويروخص لهم في أسعار المبيعات ، وأن أرباب الحرف تمدوا الحدود في غلاء الأسعار .

فيجتمع أهل الحرفة ، ويضجون ، ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم ، وما ينضاف اليه من غلو جزئيات تلك البضاعة ، وما استحدث عليها من الجبارك والمكوس ، وغلو الأجر في البحر والبر ... فلا يستمع لقولهم ، ولا يقبل لهم عذرا ، ويأمر بهم الى الحبس . فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصالحون على أنفسهم بقدر من المال يدفعونه ، ويوزعون ذلك على أفرادهم فيما بينهم . ثم يزيدون في سعر تلك البضاعة ليموضوا غرامتهم من الناس ... معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة ، ثم تستمر الزيادة على الدوام ... وأظن استمرار الغرامة أيضا ! فجمع بهذه الكيفية أموالا عظيمة . وهي في الحقيقة سلب أموال الناس من الأغنياء والفقراء .

في اواخره (النصف الثاني من مايو ١٨١١ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية على حين غفلة ، فبات بقصر شبرا . ثم حضر الى بيت الأربكية ، فأقام به يومين ، ثم طلع الى القلعة .

وفيه : وصلت عساكر كثيرة من الأرثوود والأتراك حتى غصت بهم المدينة . فلا يكاد المسار يقع بصره الا عليهم أمام وخلف وبدخل الأزقة والعطف . وذلك خلاف الذين أقرهم وأبقاهم في الاسكندرية . ومن هو بالجهات والأقاليم القبلية والبحرية ... وما يعلم جنود ربك الا هو !

وفيه : اهتم الباشا بتشغيل المرضى اهتماما زائدا . وفرض على البلاد جمالا وأتانا وغلالا .

جمادى الأولى

(٢٤ مايو - ٢٢ يونية ١٨١١ م)

فيه : ورد قاعد من الديار الرومية وعلى يده بشارة : بأنه ولد السلطان مولودة أنثى . فعملوا لها شتكا ، وهي مدافع تضرب من أبراج القلعة في الأوقات الخمسة ... ثلاثة أيام .

وفيه : فرضوا فرضة بغال على مياسير الناس
وأهل الحرف : بغلة وبغلتين وثلاثة . والذي لم يكن
عنده بغلة ، يلزم بالشراء ، أو أنه يدفع ثمنها كيما
عشرون ألف فضة .

وفيه : انقطع الوارد من الديار الحجازية ، وغلا
سعر البن حتى وصل الى مائتين وسبعين نصف
فضة كل رطل ، وقل وجوده من الأسواق
والدكاكين ... فلا يوجد الا مع المشقة . وصنع
الناس القهوة من أنواع الجنبوب المخصصة :
كالشعير والقمح والبقول ، وبزر العاقول وغيره ...
مخلوطا مع البن ، وبغير خلط ا

جمادى الآخرة

الجمعة ٢٠ منه (١٢ يولية ١٨١١ م) :

خرج الباشا الى البركة ، وطلب الجمال وقوافل
العرب ، وشغل طائفة من العسكر للسفر الى
السويس فاهتموا بالدخول والخروج من
المدينة ، وطفقوا يخطفون الحمير والبغال والجمال ،
وكل ما صادفوه من الدواب . ومن جدوه راكبا ،
ولو من وجهاء الناس ، أنزلوه عن دابته وركبوا .
فانقبض الناس ، وانكمش غالبيتهم عن الركوب
لمصالحهم ، وأخفوا حميرهم وبغالهم . وأقام الباشا
ثلاثة أيام جهة البركة ، ثم ركب الى السويس .

وفيه : وردت مراكب ودوات وفيها البن . وذلك
باستدعاء الباشا لها من ناحية جدة واليمن لأجل
حمل العساكر واللوازم ، وانحل سعر البن قليلا .

رجب

الاثنين ٢٢ منه (١٢ اغسطس ١٨١١ م - ٧ مسرى
١٥٢٧ ق) :

أوفى النيل أذرعته ، وكسر السد في صباحها يوم

الثلاثاء ، بحضرة كتحدايك . والباشا غائب
بالسويس .

شعبان

٢ منه (٢٢ اغسطس ١٨١١ م) :

سافر ديوان أفندى بمن بقي من العساكر
البحرية .

٨ منه (٢٨ اغسطس ١٨١١ م) :

حضر الباشا من السويس ، وشرع في تشييل
العساكر البرية .

١٥ منه (٤ سبتمبر ١٨١١ م) :

خرج الباشا الى العادلية ، واجتهد في تشييل
سفر العساكر البرية اجتهدا كبيرا ، وجمع من أهل
كل حرفة طائفة ، وكذلك من أهل كل صنعة .
والذى يعجز عن السفر ، يخرج عنه بدلا . ونعين
من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدي من الشافعية ،
ومن الحنفية السيد أحمد الطحطاوى ، وشيخ
خنبلى وصل من ناحية الشام . وكانوا رسموا
باحضار السيد حسن كريت المالكي من رشيد ،
والشيخ على خفاجى من دمياط ، فحضرا واعتذرا ،
فأعفيا من السفر ورجعا الى بلديهما .

وفي هذا الشهر : ظهر نجم له ذنب في جهة
الشمال بين بنات نعش الصغرى ، وبين منار بنات
نعش الكبرى : رأسه جهة المغرب ، وذنبه صاعدا
الى جهة المشرق ، وله شعاع مستطيل في مقدار
الرمح . واستمر يظهر في كل ليلة ... والناس
ينظرون اليه ، ويتحدثون به ، ويسألون الفلكيين
عنه ، ويبحثون عن دلائله وعن الملاحم المصنفة في
ذوات الأذئاب . واستمر ظهوره قريبا من ثلاثة
أشهر ، واضحل بعض جرمه ، ومشى الى ناحية
الجنوب ، وقرب من النسر الطائر .

رمضان

٩ منه (٢٧ سبتمبر ١٨١١ م) :

ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج.

١٢ منه (٣٠ سبتمبر ١٨١١ م) :

ارتحلوا من البركة . فكان مدة مكث المرضى ، من يوم خروج الموكب الى يوم ارتحالهم من البركة ، قريبا من ستة أشهر ونصف . والناس في أمر مريح في كل شيء .

وفيه : خرج السيد محمد المحرقى ليسافر صحبة الركب ، وخرج في موكب جليل ، لأنه هو المشار اليه في رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته ، وأمور العربان ومشايخها . وأوصى الباشا ولده طوسون باشا أمير العسكر بأن لا يفعل شيئا من الأشياء الا بمشورته واطلاعه ، ولا ينفذ أمرا من الأمور الا بعد مراجعته .

وفيه : وردت الأخبار بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ، ونهبوا ما كان فيه من ودائع التجار . وذلك أنه كان بمرساة ينبع عدة مراكب وداوات . والشريف غالب ، أمير مكة ، يكتب الباشا ويراسله ، ويظهر له النصيح والصداقة وخلوص المودة . والباشا أيضا يراسله ويكتبه . وأرسل له السيد سلامة النجارى ، والسيد أحمد المنلا الترجمان المحرقى بمراسلات وجوابات مرارا عديدة ، فكانا هما السفيرين بينهما . وأيضا الشريف ، في كل كتابة مع كل مرسل ، يعاهد الباشا ويعاقده ، ويواعده بنصر عساكره متى وصلت ، وينافق للطرفين : الذى هو العثمانى ، والوهابى ، ويداهنهما .

أما الوهابى فلخوفه منه ، وعدم قدرته عليه ، فيظهر له الموافقة والامتنال ، وأنه معه على العهد التى عاهده عليها من ترك الظلم ، واجتناب البدع

ونحو ذلك . ويميل باطنا للعثمانيين ، لكونه على طريقتهم ومذاهبهم .

وتعاقد مع الباشا أنه متى وصلت عساكره ، قام بنصرتهم ، وساعدهم بكلية وجميع همته . وأرسل الى المراكب الكائنة بمرساة ينبع ، بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ، ويودعوه قلعة ينبع تحت يد وزيره ، وترك معه نحو الخمائة من عساكره ، وأخذ المراكب فأوسقها من بضائعه وبهاره وبنيه ، وأرسلها الى السويس لتباع بمصر ، ثم توسق بمهمات العسكر البحرية .

فلما وصلت مراكب العساكر البحرية ، وألقت مراسيها قبالة ينبع ... احتاجوا الى الماء ، فلم يسعفهم بالماء . فطلع طائفة من العسكر الى البر فى طلب عين الماء ، فمانعهم من عندها مرابط . فقاتلوهم وطردهم ومنعهم عن الماء ... وفى حال رجوعهم ، رموا عليهم من القلعة المدافع والرصاص . والحال أن الأمر مبهم على الفريقين ! فعند ذلك استعدت العساكر لمحاربة من بالقلعة ، واحتاطوا بها ، وضربوا عليها القناير والمدافع ، وركبوا على سورها سلاط ، وصعدوا عليها ، وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهم من الكائنين بالقلعة ، فملكوا القلعة ، وقتلوا من كان بها . ولم ينج منهم الا الوزير ومعه ستة أنفار ، خرجوا هاربين على الخيول . ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن ، وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر ، وأخذوهن أسرى ، ويبيعوهن على بعضهم البعض .

ووصل المشرون بذلك فى عشرينه . فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة ، وعملوا شنكا . وطافت المشرون على بيوت الأعيان ليأخذوا منهم البقاشيش . وأرسلوا بتلك البشارة شخصا معيئا

كبيرا الى اسلامبول يشرّون أهل الدولة وسلطان
الاسلام . وكان ذلك أول فتح حصل .

شوال

استهل بيوم الجمعة ، وكان حقه أن يكون بيوم
السبت ، لأن الهلال لم يكن موجودا ليلة الجمعة ،
ولم يره ليلة السبت الا النادر من الناس . وكان
قومه ليلة السبت عشر درجات .

١٦ منه (٣ نوفمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة ومكاتبات من عساكر البر يخبرون
بوصولهم الى بندر المولح في اليوم السابع من
الشهر . وكان الميّد عندهم بمغاير شعيب يوم
السبت .

وفيه : خرجت تجريدة لتسافر الى قبلى لمحاربة
من بقى من الأمراء المصريين بناحية أبريم .

ذوالقعدة

الاحد غرته (١٧ نوفمبر ١٨١١ م) :

وصلت حجاج مغاربة في عدة مراكب على ظهر
البحر ، وتلف منهم نحو ثلاثة مراكب وحضر
بعدهم بأيام الركب الطرابلسي ، ونزل بساحل
بولاق .

الجمعة ٦ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١١ م) :

حضر أيضا الركب الفاسي ، وفيهم ابن سلطان
الغرب مولاي ابراهيم ابن مولاي سليمان . فاعتنى
الباشا بشأنه ، وأرسل كتخدا بيك لملاقاته ، وقدم
له تقادم ، وأعدوا له منزل على كاشف بالقرب من
بيت المحروقي لينزل فيه ، وتقيّد بخدمته الرئيس
حسن المحروقي وحواشيه لمطبخه وكلف طعامه .
فلما عدى ، طلع الى القلعة ، وقابل الباشا ،
ونزل الى المنزل الذي أعده له ... وأمامه قواسة
أتراك وطرادون وأشخاص أتراك يضربون على

طبقات ، وأمامه جميع المغاربة مشاة ، ويأمرزون
الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم .
فأقام خمسة أيام ، حتى قضى أشغاله . وفي تلك المدة
تعدوا اليه وتروح رسل الباشا . وأرسل له هدية
وذخيرة من كل صنف : سكر وعسل وسمن ودقيق
وبقسماط ، وأشياء أخر ، وبارود . وأعطى له
ألف بندقية لضرب الرصاص ، وبرز في عاشره ،
وسافروا في ثاني عشره .

الخميس ١٩ منه (٥ ديسمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة على أيديهم مكاتبات خطابا الى
الباشا وغيره . وفيهم الخبر بأن العسكر البري
اجتمع مع العسكر البحري ، وأخذوا بنج البر
من غير حرب ، وأن العربان أتت اليهم أفواجا ،
وقابلوا طوسون باشا وكساهم ، وخلع عليهم ثم
انقطعت الأخبار .

ذوالحجّة

الثلاثاء ١٥ منه (٣١ ديسمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة ومعهم رؤوس قتلى ومكاتبات
مؤرخة في منتصف شهر ذي القعدة .. مضمونها :
أنهم وصلوا الى ينبع البر في حادي عشرين شوال ،
 واجتمع هناك العسكران البري والبحري ، وأنهم
ملكوا قرية ابن جبارة من الوهاية — ويسمى قرية
السويق — وفر ابن جبارة هاربا . وحضرت عربان
كثيرة ، وقابلوا ابن الباشا ، وأنهم مقيمون وقت
تاريخه في منزلة الينبع ، منتظرين وصول الذخيرة .
وعاق المراكب ربح الشتاء المخالف .

وأنه ورد عليهم خبر ليلة أربع عشرة شهره : بأن
جماعة من كبار الوهاية حضروا بنحو سبعة آلاف
خيال — وفيهم عبد الله بن مسعود ، وعثمان
المضايفي ، ومعهم مشاة — وقصدوا أن يدهموا
المرضى على حين غفلة . فخرج اليهم شديد شيخ

الحويطات ، ومعه طوائفه ودلاة وعساكر ، فوافاهم قبل شروق الشمس ، ووقع بينهم القتال والوهاية يقولون : « هاه يامشركون ! » . وانجلت الحرب عن هزيمة الوهاية ، وغنموا منهم نحو سبعين هجيناً من الهجن الجياد محملة أدوات . وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين ... هذا ملخص ما ذكروه في الأجوبة التي حضرت .

الجمعة ٢٥ منه (١٠ يناير ١٨١٢ م) :

وصلت قافلة من السويس . وحضر فيها جاويز باشا وصحبته مكاتبات . وحضر أيضاً السيد أحمد الطحطاوى ، والشيخ الحنبلى . وأخبروا أن العرضى ارتحل من ينبع البر في سابع عشر ذى القعدة ، ووصلوا الى منزلة الصفراء والجديدة ، ونصبوا عرضيهم وخيامهم ووطاقتهم بالقرب من الجبال . فوجدوا هناك متاريس وأحجاراً ، فحاربوا على أول متراس حتى أخذوه ، ثم أخذوا متراساً آخر . وصعدت العساكر الى قلل الجبال ، فهاهم كثرة الجيش ، وسارت الخيالة في مضيق الجبال .

هذا ... والحرب قائم في أعلى الجبال يوماً وليلة الى بعد الظهر من يوم الأربعاء ثالث عشرى القعدة ... فما يشعر السفلايون الا والعساكر الذين في الأعلى هابطون منهزمون . فانهزموا جميعاً ، وولوا الأدبار ، وطلبوا جميعاً الفرار ، وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم ، وطفقوا ينبهون ويخطفون ما خف عليهم من أمتعة رؤسائهم ... فكان القوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ، ويأخذ دابته ويركبها ، وربما قتله وأخذ دابته !

وساروا طالبين الوصول الى السفائن بساحل البريك ، لأنهم كانوا أعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط . ووقع في قلوبهم الرعب ، واعتقدوا أن القوم في أثرهم ... والحال أنه لم يتبعهم أحد ، لأنهم لا يذهبون خلف المدبر .

ولو تبعوهم ما بقى منهم شخص واحد . فكانوا يصرخون على القطائر فتأتى اليهم القطيرة — وهى لاتسع الا القليل — فيتكاثرون ويتراحمون على النزول فيها . فيصعد منهم الجماعة ، ويمنعون البواقى من اخوانهم . فان لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص ! حتى كانوا ، من شدة حرصهم وخوفهم ، واستعجالهم على النزول في القطائر ، يخوضون في البحر الى رقابهم ... وكأننا العفاريت في أثرهم تريد خطفهم .

وكثير من العسكر والخدم ، لما شاهدوا الازدحام على أسكلة البريك ، ذهبوا مشاة الى ينبع البحر .

ووقع التشبث في الدواب والأحمال والخلائق من الخدم وغيرهم . ورجع طوسون باشا الى ينبع البحر بعد أن تغيب يوماً عن معسكره ، حتى أنهم ظنوا فقدوه . ورجع أيضاً المحروقى وديوان أفندى ، واستقروا بالينبع .

وترك المحروقى خيامه بما فيها . فنزل بها طائفة من العسكر المنهزمين ، وهم على جهد من التعب والجوع ، فوجدوا بها المأكول والحلاوات وأنواع الملابس ، والكعك المصنوع بالعجمية والسكر المكرر والغريبات والخشكنانات والمربيات وأنواع الشرابات ، فوقعوا عليها أكلاً ولها . ولما تحققوا أن العرب لم تتبعهم ولم تأت في أثرهم ، أقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا أغراضهم ، وشبعت بطونهم ، وارتاحت أبدانهم . ثم لحقوا باخوانهم . فكانوا هم أثبت القوم وأعقلهم ... ولو كان على غير قصد منهم ! فكان مدة إقامة المعسكر والعرضى ينبع البر أربعة وعشرين يوماً .

وأما الخيالة فابهم اجتمعوا وساروا راجعين الى المويلج ، وقد أجهدهم التعب ، وعدم الذخيرة والعليق ... حتى حكوا : أنهم كانوا قبل الواقعة يعلقون على الجمل بنصف قدح قبح مسوس !

وكانت علائقهم في كل يوم أربعمئة وخمسين أردبا .

وأما المحروقي ، فإن كبار العسكر قامت عليه ، وأسمعوه الكلام القبيح ، وكادوا يقتلونه فنزل في سفينة وخلص منهم ، وحضر من ناحية القصير . وحضر الكثير من أتباعه وخدمه متفرقين الى مصر .

فأما الذين ذهبوا الى المويلح ، فهم : تامر كاشف وحسين بيك دالي باشا وآخرون فأقاموا هناك في انتظار إذن الباشا في رجوعهم الى مصر أو عدم رجوعهم .

وأما صالح أغا قوج فانه عند ما نزل السفينة ، كر راجعا الى القصير ، واستقل برأيه لأنه يرى في نفسه العظمة ، وأنه الأحق بالرياسة ، ويسفه رأى المحروقي وطوسون باشا ، ويقول : « هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحروب ؟ » ويصرح بمثل هذا الكلام وأزيد منه ، وكان هو أول منهزم . وعلم كل ذلك الباشا بمكاتبات ولده طوسون ، فحقده في نفسه وتمم ذلك بسرعة رجوعه الى القصير ، ولم ينتظر اذنا في الرجوع أو المكث .

ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا ، واستمر على همته في تجهيزه عساكر أخرى . وبرزوا الى خارج البلدة ، وفرض على البلاد جمالا ، ذكر أنها من أصل الغنائم والفرض في المستقبل . وكذلك فرض غللا ، فكان المفروض على اقليم الشرقية خاصة اثني عشر ألف أردب ، بعناية جلي كاشف ، قابله الله بما يستحق .

واقضت السنة بحوادثها التي منها هذه الحادثة ، وأظنها طويلة الذيل .

ومنها : أن النيل هبط قبل الصليب بأيام قليلة بعد أن بلغ في الزيادة مبلغا عظيما حتى غرق الزرع الصيفي والدرأوى . ولما انحسر عن الأرض

زرعوا البرسيم — والوقت صائف ، والحرارة مستجدة في الأرض — فتولدت فيه الدودة ، وأكلت الذي زرع . فبذروه ثانيا ، فأكلته أيضا . وفحش أمر الدودة جدا في الزرع البدرى ، وخصوصا باقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية ، بل وباقي الأقاليم .

ومنها : أن الباشا أحدث ديوانا ، ورتبوه بيت البكري القديم بالأزبكية . وأظهر أن هذا الديوان لمحاسبة ما تتعلق به من البلاد ومحاسباتها — والفصد الباطني غير ذلك — وقيد به ابراهيم كتبخدا الرزاز ، والشيخ أحمد يوسف كاتب حسين أفندي الرورنامجي ، وما انضم اليهم من الكتبة المسلمين — دون الأقباط — ليحرروا به قوائم المصروف والمضاف والبراني فكانوا يجلسون لذلك كل يوم ماعدا يوم الجمعة ثم تطرق الحال لسور بلاد الباشا . وهو أن الكثير من الفلاحين لما سمعوا في ذلك ، أتوا من كل ناحية الى مصر ، وكتبوا عرضحالات الى كتبخدا بيك وللباشا ، يتظلمون من استاذهم : وينهون أنهم يزيدون عليهم زيادات في قوائم المصروف ، ويشددون عليهم في طلب الفرض أو بواقيها فيدفعهم الباشا او الكتبخدا الى ذلك الديوان المحدث ليظفر في أمورهم ، ويصحبهم معين تركي مباشر يأتي بالملتزم أيضا والفلاحين والشاهد والصراف وقوائم المصروف لأجل المحاققة فعند ذلك تعنت ابراهيم كتبخدا في القوائم ، ويطلب قوائم السنين الماضية المختومة ... ونحو ذلك .

ولما فشا هذا الأمر ، وأشيع في البلدان ، أتت طوائف الفلاحين أفواجا الى هذا الديوان يطلبون الملتزمين ، ويخاصمونهم ويكافحونهم . فيكون أمرا مهولا ، وغاية في الزحام والعياط والشباط ! وكذلك رفعوا المعلم منصور ، ومن معه من

الكتبة ، من مباشرة ديوان ابنه ابراهيم بيك
الدفتردار . وقيدوا بدلهم : السيد محمد غانم
الرشيدى ، ومحمد أفندى سليم ، ومن انضم اليهم .
وأظهر الباشا أنه يفعل ذلك لما علمه من خيانة
الأقباط ... والقصد الخفى خلاف ذلك ، وهو :
الاستيلاء والاستحواذ الكلى والجزئى ، وقطع
منفعة الغير ... ولو قليلا ، فيضرب هذا بهذا —
والناس أعداء بعضهم لبعض ، وقلوبهم متنافرة ! —
فيغرى هذا بذلك وذلك بهذا . ومن الناس من سمى
هذا الديوان « ديوان الفتنة » ! .

ومنها : الزيادة الفاحشة فى صرف المعاملة ،
والنقص فى وزنها وعيارها . وذلك أن حضرة الباشا
أبقى دار الضرب على ذمته ، وجعل خاله ناظرا عليها ،
وقرر لنفسه عليها فى كل شهر خمسمائة كيس ، بعد
أن كان شهرتها ، أيام نظارة المحرقى ، خمسين
كيسا فى كل شهر . ونقصوا وزن القرش نحو
النصف عن القرش المعتاد ، وزادوا فى خلطه حتى
لا يكون فيه مقدار ربه من الفضة الخالصة .
ويصرف بأربعين نصفا . وكذلك المحبوب نقصوا
من عياره ووزنه .

ولما كان الناس يتساهلون فى صرف المحبوب ،
والريال الفرانسة ، ويقبضونها فى خلاص الحقوق
من الماطلين والفلسين ، وفى المبيعات الكاسدة
بالزيادة لضيق المعاش ، حتى وصل صرف الريال
الى مائتين وخمسين نصفا ، والمحبوب الى مائتين
وثمانين .

ثم زاد الحال فى التساهل فى الناس بالزيادة أيضا
عن ذلك . فينادى الحاكم بمنع الزيادة ، ويمشى
الحال أياما قليلة ويعود لما كان أو أزيد . فتحصل
المناداة أيضا ، ويعقبونها بالتشديد والتنكيل بمن
يفعل ذلك ، ويقبض عليه أعوان الحاكم ، ويجس
ويضرب ، ويغرمونه غرامة ... وربما مثلوا به ،

وخرموا أنفسه ، وصلبوه على حانوته ، وعلقوا
الريال فى أنفه ردعا لغيره ... وفى أثناء ذلك : اذا
بالمناداة بأن يكون صرف الريال بمائتين وسبعين ،
والمحسوب بثلاثمائة وعشرة !
فاستمع وتعجب من هذه الأحكام الغريبة التى لم
يطرق سمع سامع مثلها ! .

هذا مع عدم الفضة العددية فى أيدي الناس .
فيدور الشخص بالقرش ، وهو ينادى على صرفه
بنقص أربعة أنصاف ، نصف يوم ، حتى يصرفه
بقطع أفرنجية : منها ما هو بائنى عشر ، أو خمسة
وعشرين ، أو خمسة فقط ... أو يشتري من يريد
الصرف شيئا من الزيات أو الخضرى أو الجزار ،
ويبقى عنده الكسور الباقية يوعد به غلاقتها .
فيعود اليه مرارا حتى يتحصل عنده غلاقتها ...
وليس هو فقط بل أمثاله كثير !

وسبب شحة الفضة العددية أنه يضرب منها كل
يوم بالضربخانة ألوف مؤلفة يأخذها التجار بزيادة
مائة نصف فى كل ألف يرسلونها الى بلاد الشام
والروم ، ويعوضون بداها فى الضربخانة الفرانسة
والذهب ، لأنها تصرف فى تلك البلاد بأقل مما
تصرف به فى مصر . وزاد الحال بعد هذا التاريخ
حتى استقر على صرف الألف مائتين ، وتقرر ذلك
فى حساب الميرى . فيدفع الصارف ثلاثين قرشا !
عنها ألف ومائتان ، ويأخذ ألفا فقط . والفرانسة
والمحسوب بحسابه المتعارف بذلك الحساب .
والأمر لله وحده .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :
فلم يمته من مشاهير الفقهاء من له شهرة ولا
ذكر . وأما الأمراء ، فقد تقدم ذكرهم وما وقع
لهم ، ومقتلهم اجمالا ، فأغنى عن التكرار ، فالحمد
لرحمنا أجمعين .

المحترم

السبت ١٠ منه (٢٥ يناير ١٨١٢ م) :

وصل كثير من كبار العسكر الذين تخلفوا بالمويلح . فحضر معهم حسين بيك دالى باشا وغيره . فوصلوا الى قبة النصر جهة العادلية . ودخلت عساكرهم المدينة شيئا فشيئا ... وهم فى أسوأ حال من الجوع وتغير الألوان وكآبة المنظر والسجن ، ودوابهم وجمالهم فى غاية العى . ويدخلون الى المدينة فى كل يوم ، ثم دخل أكابرهم الى بيوتهم ... وقد سخط عليهم الباشا ، ومنع أن لا يأتيه منهم أحد ولا يراه . وكأنهم كانوا قادرين على النصر والغلبة وفرطوا فى ذلك ! ويلومهم على الانهزام والرجوع .

وظفوا يتهم بعضهم البعض فى الانهزام ... فتقول الخيالة : سبب هزيمتنا القراية ، وتقول القراية بالعكس

ولقد قال لى بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع « أين لنا بالنصر ... وأكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لا يتدين بدين ، ولا يتحل مذهباً ؟ وصحبنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع فى عرضنا أذان ، ولا تقام به فريضة ، ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين ! والقوم اذا دخل الوقت أذن المؤذنون ، وينتظمون صفوفاً خلف امام واحد بخشوع وخضوع . واذا حان وقت الصلاة ، والحرب قائم ، أذن المؤذن

وصلوا صلاة الخوف ! فتتقدم طائفة للحرب ، وتتأخر الأخرى للصلاة ... وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعو به فضلاً عن رؤيته . وينادون فى معسكرهم : هلموا الى حرب المشركين ، المحلقين الذقون ، المستبيحين الزنا واللواط ، الشارين الخمر ، التاركين للصلاة ، الآكلين الربا ، القاتلين الأنفس ، المستحلين المحرمات ! ... وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر ، فوجدوهم غلفاً غير محتونين .

« ولما وصلوا بدر ، واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف — وبها خيار الناس ، وبها أهل العلم والصلحاء — نهبهم ، وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم ... فكانوا يفعلون فيهم ، ويبعوثهم من بعضهم لبعض ، ويقولون هؤلاء الكفار الخوارج ... حتى اتفق أن بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته ، فقال له : حتى تبيت معى هذه الليلة ، وأعطيتها لك من الغد » !

وفيه : خرج العسكر المجرد الى السويس — وكبيرهم بونا بارتته الخازندار — ليذهب لمحافظة الينع صحبة طوسون باشا .

وفيه : وصل جماعة من الانجليز ، وصحبتهم هدية الى الباشا ، وفيها طور بيغا هندية خضر الألوان وملونة ، وريالات فرانسة تقود معبأة فى براميل ، وحديد وآلات . ومجيئهم وحضورهم فى طلب أخذ الغلال . وفى كل يوم تساق المراكب المشحونة بالغلال الى بحرى . وكلما وردت مراكب

سيرت الى بحرى ، حتى شحت الغلال ، وغلا
سرعا ، وارتفعت من السواحل والرقع ، ولا يكاد
يساع الا ما دون الويبة . وكان سعر الأردب من
أربعمائة نصف الى ألف ومائتين ... والفول
كذلك ... وربما كان سعره أزيد من القمح لقلته ،
فانه هاف زرعه في هذه السنة ، ولم يتحصل من
رميه الا نحو التقاوى .

وحصل للناس في هذه الأيام شدة بسبب ذلك .
ثم بعد قليل وردت غلال ، وانحلت الأسعار ،
وتواجدت الغلال بالسواحل والرقع .

الخميس ١٥ منه (٣٠ يناير ١٨١٢ م) :

حضر رجل نصراني من جبل الدروز ، وتوصل
الى الباشا ، وعرفه أنه يحسن الصناعة بدار
الضرب ، ويوفر عليه كثيرا من المصاريف ، وانها بها
نحو الخمسمائة صانع ، وأن يقوم بالعمل بأربعين
شخصا لاغير ، وأنه يصنع آلات وعددا لضرب
القروش وغيرها ، ولا تحتاج الى وقود بيران ولا
كثير من العمل . فصدق الباشا قوله ، وأمر بأن
يفرد له مكان ، ويضم اليه ما يحتاجه من الرجال
والحدادين والصناع ، ليعمل لصناعته العدد
والآلات التي يحتاجها ، وشرع في أشغاله ، واستمر
على ذلك شهورا .

وفيه : التفت الباشا الى خدمة الضربانة
وأفنديتها . وطمعت نفسه في مصادرتهم وأخذ
الأموال ، لما يرى عليهم من التجمل في الملابس
والمراكب ، لأن من طبعه داء الحسد والشره والطمع
والتطلع لما في أيدي الناس وأرزاقهم ! فكان ينظر
اليهم ويرمقهم ، وهم ينفدون ويروحون الى
الضربانة هم وأولادهم ، راكبون البغال
والرهوانات الجملة ، وحولهم الخدم والأتباع ...
فيسأل عنهم ، ويستخير عن أحوالهم ودورهم
ومصارفهم .

وقد اتفق أنه رأى شخصا خرج آخر الصنّاع ،
وهو راكب رهوانا ، وحوله ثلاثة من الخدم .
فسأل عنه ، فقيل له : ان هذا البواب الذي يغلّق
باب الضربانة بعد خروج الناس منها ، ويفتّحه لهم
في الصباح . فسأل عن مرتبه في كل يوم ، فعرفوه
أن له في كل يوم قرشين لاغير . فقال : « ان هذا
المرتّب له لا يكفي خدمه الذين هم حوله ... فكيف
بمصرف داره ، وعليق دوابه ، وجميع لوازمه مما
ينفقه ويحتاجه في تجملاته وملابسه وملابس أهله
وعياله ! ان هؤلاء الناس كلهم سراق ، وكل ما هم
فيه من السرقة والاختلاس ، ولا بد من اخراج
الأموال التي اختلسوها وجمعوها » .

وتناجى في ذلك مع المعلم غالى وقرنائه ثم
طلب أولا اسماعيل أفندي ليلا — وهو الأفندي
الكبير — وقال له : « عرفنى خيانة فلان النصراني ،
وفلان اليهودى المورد » ا فقال : « لا أعلم على أحد
منهم خيانة ... وهذا شيء يدخل بالميزان ويخرج
بالميزان » . ثم صرفه وأحضر النصراني وقال له :
« عرفنى بخيانة اسماعيل أفندي وأولاده ، والممداد ،
وابراهيم أفندي الحضراوى الغتّام وغيره » فلم
يزد على ما قاله اسماعيل أفندي . ثم أحضر الحاج
سالم الجواهرجى وهدده فلم يزد على قول الجماعة
شيئا فقال « الجميع شركاء لبعضهم البعض ،
ومتفقون على خيائتى » . ثم أمر بحبس الحاج
سالم وأحضر شخصا آخر من الجواهرجية يسمى
صالح الدنف ، وألبسه فروة وجعله في خدمة
الحاج سالم .

ثم ركب الباشا الى بيت الأزيكية ، وطلب
اسماعيل أفندي ليلا هو وأولاده فأحضرهم
بجماعة من العسكر في صورة هائلة ، وهددهم
بالقتل ، وأمر باحضار المشاعلى فأحضره ،
وأوقدوا المشاعل وسعت المتكلمون في العفو عنهم
من القتل ، وقرروا عليهم مبلغا عظيما من الأكياس ،

الاحد ١٥ منه (٢٩ مارس ١٨١٢ م) :

حضر أحمد أغا لاف ، الذى كان أميراً بقنا وقوص ، وباقي الكشاف بعد أن راكوا جميع البلاد القبلية والأراضى ، وفرضوا عليها الأموال : على كل فدان سبعة ريالات — وهو شئ كثير جداً — وأحصوا جميع الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والبر والصدقة ، بالصعيد ومصر ، فبلغت ستمائة ألف فدان . وأشاعوا بأنهم يطلقون للمرصد على المساجد خاصة نصف المفروض ، وهو ثلاثة ريال ونصف .

فضجت أصحاب الرزق ، وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ . فركبوا الى الباشا ، وتكلموا معه فى شأن ذلك . وقالوا له : « هذا يترتب عليه خراب المساجد » . فقال : « وأين المساجد العامرة ؟ الذى لم يرض بذلك ، يرفع يده ، وأنا أعمر المساجد المتخربة ، وأرتب لها مايكفيها » . ولم يفد كلامهم فائدة ، فنزلوا الى بيوتهم .

اواخره (حوالى منتصف ابريل ١٨١٢ م) :

انتقل السيد عمر مكرم النقيب من دمياط الى طنطا ، وسكن بها .

وسبب ذلك : أنه لما طالت اقامته بدمياط ، وهو ينتظر الفرج وقد أبطأ عليه ، وهو يتنقل من المكان الذى هو فيه ، الى مكان آخر على شاطئ البحر ، وتشاغل بعمارة خان أنشأه هناك ، والحرس ملازمون له . فلم يزل حتى ورد عليه صديق أفندى قاضى العسكر فكلمه بأن يتشفع له عند الباشا فى انتقاله الى طنطا ... ففعل . وأجاب الباشا الى ذلك .

ربيع الآخر

٤ منه (١٧ ابريل ١٨١٢ م) :

وصل الحجاج المغاربة . ووصل أيضا مولاى

التزموا بدفعها خوفا من القتل افترضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيسا ، وعلى ابراهيم المداد مائتى كيس ، وعلى أحمد أفندى الوزان مائتى كيس ، وعلى أولاد الشيخ السحيمى مائتى كيس لأن لهم بها آلات ختم ووظائف يستغلون أجرتها . وأخذ الجماعة فى تحصيل ما فرض عليهم . فشرعوا فى بيع أمتعتهم ، وجهات ايرادهم ، ورهنوا ، وتداينوا بالربا ، وحولت عليهم الحوالات ... لطف الله بنا وبهم !

ص

٧ منه (٢١ فبراير ١٨١٢ م) :

حضر السيد محمد المحرقى الى مصر ، ووصل من طريق القصير ، ثم ركب بحر النيل . ولم يحضر الشيخ المهدي ، بل تخلف عنه بقنا وقوص لبعض أغراضه .

وفيه : ألبس الباشا صالح أغا السلحدار خلعة ، وجعله سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر الى الحجاز . وكذلك ألبس باقى الكشاف .

١٠ منه (٢٤ فبراير ١٨١٢ م) :

ورد قايتى وعلى يده مرسوم بيشارة مولود ولد للسلطان محمود ، وتسمى بمراد ، وصحبته أيضا مقرر للباشا على ولاية مصر . فضربوا مدافع لوروده ، وطلع الى القلعة فى موكب وقرئت المراسيم . وعللوا شنكا ومدافع تضرب فى الأوقات الخمسة ، سبعة أيام ، من القلعة والأزبكية وبولاق والجيزة .

ربيع الأول

الاحد غرقه (١٥ مارس ١٨١٢ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلية .

ابراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب .
وسبب تأخيرهم الى هذا الوقت : أنهم أتوا من
طريق الشام ، وهلك الكثير من فقراهم المشاة
وأخبروا أنهم قضوا مناسكهم ، وحجوا ، وزاروا
المدينة ، وأكرمهم الوهاية أكراما زائدا ، وذهبوا
ورجعوا من غير طريق العسكر .

١٠ منه (٢٣ ابريل ١٨١٢ م) :

حضر تامر كاشف ومحو بيك وغبد الله أغا —
وهم الذين كانوا حضروا الى المويلح بعد الهزيمة
— فاقاموا به مدة ، ثم ذهبوا الى ينبع البحر عند
طوسون باشا ، ثم حضروا في هذه الأيام باستدعاء
الباشا . وكان محو بيك في مركب من مراكب الباشا
الكبار التي أنشأها ، فانكسر على شعب ، وهلك
من عسكره أشخاص ، ونجا هو بمن بقى معه .
وأخبروا عنه أنه كان أول من تقدم في البحر هو
وحسين بيك ، فقتل من عسكرهما الكثير من دون
البقية الذين استعجلوا الفرار .

وفيه : خرجت أوراق الفرضة ، على نسق العام
الأول ، عن أربع سنوات ، مال وفائظ ومضاف
وبراني ورزق وأوسية . واستقر طلبها في دفعة
واحدة ، ويؤخذ من أصل حسابها الغلال من
الأجران : بحساب ثمانية ريال عن كل أردب .
ويجمع غلال كل اقليم في نواحي عينوها ، لتساق
الى الاسكندرية ، وتباع على الافرنج .

- فشحت الغلال ، وغلا سعرها ... مع كون
الفلاح لا يقدر على رفع غلته المتحصلة له من زراعة
أرضه التي غزم عليها المغارم بطول السنة ، بل
تؤخذ منه قهرا مع الاجحاف في الثمن والكيل ،
بحيث يكال الأردب أردبا ونصفا ! ثم يلزمونه
بأجرة حملها للمحل المعد لذلك . ويلزم أيضا بأجرة
الكيل وعوائد المباشرين لذلك من الأعوان ،

وخدمة الكشوفية ، وأجرة المعادى . وبعض البلاد
يطلق له الادن بدفع المطلوب بالثمن ، والبعض
النصف غلال والنصف الآخر دراهم ، حسب رسم
المعلم غالى وأوامره واذنه ، فانه هو المرخص في
الأمر والنهي . فيبيع المأذون له غلته بأقصى قيمة
يرأى من المسكين الآخر الذي لم تسعده الأقدار .
وحضر الكثير من الفلاحين ، وازدحموا بباب المعلم
غالى ، وتركوا بيادرهم ، وتعطلوا عن الدراس !

١٥ منه (٢٨ ابريل ١٨١٢ م) :

ذهب الباشا الى قصر شبرا ، وسافر تلك الليلة
الى ثغر الاسكندرية . ورجع ابنه ابراهيم بيك الى
الجهة القبلىة . وكذلك أحمد أغا لاط لتحرير وقبض
الأموال .

وفيه : ورد الخبر بأن العسكر قبلى ذهبوا
خلف الأمراء القبليين القارين الى خلف أبريم ،
وضيفوا عليهم الطرق ، وماتت خيولهم وجمالهم ،
وتفرق عنهم خدمهم ، واضمحل حالهم ، وحضر
عدة من مماليكهم وأجنادهم الى ناحية أسوان
بامان من الأتراك . فقبضوا عليهم ، وقتلوه عن
آخرهم ! وفعلوا قبل ذلك بغيرهم كذلك .

اواخره (حوالى منتصف مايو ١٨١٢ م) :

سافر عدة من عسكر المغاربة الى ينبع .
ووصل جملة كبيرة من عسكر الأروام الى
الاسكندرية . فصرف عليهم الباشا علائف ،
وحضروا الى مصر ، وانتظموا في سلك من بها ،
وبعين منهم للسفر من يعين .

وفيه : وقعت حادثة بخط الجامع الأزهر . وهو
أنه من مدة سابقة ، من قبل العام الماضى ، كان
يقع بالخطبة ونواحيها من الدور والحوائيت سرقات
وضياع أمتعة . وتكرر ذلك حتى ضج الناس ،
وكثر لعظهم ، وضاع تخمينهم . فمن قائل : أنه

مستترعات يدخلون من نواحي السور ، ويتفرقون في الخطة ، ويفعلون ما يفعلون . ومنهم من يقول : ان ذلك فعل طائفة من المسكر الذين يقال لهم الحيلة في بلادهم ... الى غير ذلك .

ثم في تاريخه سرق من بيت امرأة رومية صندوق ومتاع ، فاتهمت أشخاصا من العميان المجاورين بزوايتهم تجاه مدرسة الجوهريه الملاصقة للأزهر . فقبض عليهم الأغا ، وقررههم . فأنكروا وقالوا : « لسنا سارقين . وانما سمعنا فلانا — سموه ، وهو محمد بن أبي القاسم الدرقاوى المغربى ، المنفصل عن مشيخة رواق المغاربة — ومعه اخوته وآخرون ، ونعرفه بصوته ، وهم يتذكرون في ذلك ونحن نسمعهم » .

فلما تحققوا ذلك ، وشاع بين الناس والأشياخ ، ذهب بعضهم الى أبي القاسم ، وخطبوه وكلموه سرا ، وخوفوه من العاقبة . وكان المذكور جعل نفسه مريضا ومنقطعا في داره ... فقال لهم . فقالوا له : « نحن قصدنا بخطابك التستر على أهل الخرقه المنتسبين الى الأزهر ، في العمل بالشرعية وأخذ العلم . أوما علمت ما قد جرى في العام السابق من حادثة الزغل ؟ » وغير ذلك . فلم يزالوا به حتى وغدهم أنه يتكلم مع أولاده ، ويفحصون على ذلك بنباهتهم ونجابتهم .

وفي اليوم الثالث — وقيل الثاني — أرسل أبو القاسم المذكور فأحضر السيد أحمد ، الذى يقال له جندى المطبخ ، وابن أخيه — وهما اللذان يتعاطيان الجسبة والأحكام بخط الأزهر ، ويتكلمان على الباعة والخضرية والجزارين الكائنين بالخطة — فلما حضرا عنده ، عاهدهما وحلفهما بأن يسترأ عليه وعلى أولاده ، ولا يفضحاهم ، ويمعدا عنهم هذه القضية . وأخبرهما بأن ولده لم يزل يتفحص ببطاته حتى عرف السارق ، ووجد بعض الأمتعة .

ثم فتح خزانة بمجلسه ، وأخرج منها أمتعة . فسأله عن الصندوق ، فقال : « هو باق عند من هو عنده ، ولا يمكن احضاره في النهار . فاذا كان آخر الليل ، انتظروا ولدى محمدا هذا عند جامع الفكهاى بالعقادين الرومى ، وهو يأتيكم بالصندوق مع سارقه ، فاقبضوا عليه ، واتركوا أولادى ولا تذكروهم ولا تتعرضوا لهم » . فقالوا له « كذلك » .

وحضر الجندى وابن أخيه في الوقت الذى وعدهم به ، وصحبتهما أشخاص من أتباع الشرطة ، ووقفوا في انتظاره عند جامع الفكهاى . فحضر اليهم ، وصحبته شخص صرمانى ، فقالا لهم : « مكانكم حتى نأتيكم » . ثم طلعا الى ريع بعطفة الماطيين ، ورجعا في الحال بالصندوق حامله الصرمانى على رأسه . فقبضوا على ذلك الصرمانى ، وأخذوه بالصندوق الى بيت الأغا ، فعاقبوه بالضرب .. وهو يقول : « أنا لست وحدى ، وشركائى ابن أبى القاسم وأخواه ، وآخر يسمى شلاطة ، وابن عبد الرحيم ... الجميع خمسة أشخاص » !

فذهب الأغا وأخبر كتخدائيك . فأمره بطلب أولاد أبى القاسم . فأرسل اليه ورقة يطلبهم . فأجابه بأن أولاده حاضرون عنده بالأزهر ، من طلبة العلم ، وليسوا بسارقين . فبالاختصار أخذهم الأغا ، وأحضر ذلك الصرمانى معهم لأجل المحاكمة . فلم يزل يذكر لابن أبى القاسم ما كانوا عليه في سرحاتهم القديمة والجديدة ، ويقول له : « أما كنا كذا وكذا ، وفعلنا ما هو كذا في ليلة كذا ، واقتسمنا ما هو كذا وكذا ؟ » وقيم عليه أدلة وقرائن وأمارات ، ويقول له « أنت رئيسنا وكبيرنا في ذلك كله ، ولا نمشى الى ناحية ولا سرحة ، الا بإشارتك » .

فعند ذلك لم يسع ابن أبى القاسم الانكار .

القبطان ، ثم أنزلوهم في مركب ، وصحبهم أبوهم أبو القاسم وولده الآخراں اللذان لم تقطع أيديهما ، وسفروهم الى الاسكندرية . وذلك في منتصف شهر جمادى الأولى من السنة .

جمادى الآخرة

غرة (١٢ يونيه ١٨١٢ م) :

حضر الثلاثة أشخاص المقطوعين الأيدي . وذلك أنهم لما وصلوا الى الاسكندرية — وكان الباشا هناك — تشفع فيهم المتشفعون عنده قائلين : « انه جرى عليهم الحد بالقطع ، فلا حاجة الى نفيهم وتغريبهم » . فأمر بنفى أبى القاسم وولديه الصغار الى أبى قير . ورجع ولده الآخر مع رفيقه الصرماتى والصباغ الى مصر فحضروا اليها ، وذهبوا الى دورهم .

وأما ابن أبى القاسم فذهب الى داره ، وسلم على والدته ، ونزل الى السوق يطوف على أصحابه ويسلم عليهم ، وهو يتألم مما حصل في نفسه ، ولا يظهر ذلك لشدة وقاحته وجمودة صدغه وغلاظة وجهه ... بل يظهر التجلد وعدم المبالاة بما وقع له من النكال وكسوف البال . ومر في السوق والأطفال حوله وخلفه وأمامه ، يتفرجون عليه ، ويقولون : « انظروا الحرامى » ... وهو لا يبالى بهم ، ولا يلتفت اليهم . حتى قيل انه ذهب الى مسجد خرب بالباطلية ، ودعا اليه غلاما يهواه بناحية الدرب الأحمر ، فجلس معه حصة من النهار ، ثم فارقه وذهب الى داره ! واشتد به الألم ، لأن الذى باشر قطع يده لم يحسن القطع ، فمات في اليوم الثالث .

وفي هذا الشهر وما قبله : وردت عساكر كثيره من الأتراك ، وعينوا للسفر ، وخرجوا الى مخيم العرضى ، خارج بابى النصر والفتوح ، فكاثروا يخرجون مساء ، ويدخلون في الصباح ، ويقع منهم

وأقر واعترف هو واخوته ، وحبسوا سوية . وأما شلاطه ورفيقه فانهما نغييا وهربا واختفيا .

وشاعت القضية في المدينة ، وكثر القول والقليل في أهل الأزهر ونواحيه ، وتذكروا قضية الدراهم الزغل التى ظهرت قبل تاريخه ، وتذكروا أقوالا آخر . واجتمع كثير من الذين سرق لهم : فمنهم رجل يبيع السمن أخذ من محزنه عدة مواعين سمن ، وصينية الفطاطرى التى يعمل عليها الكنافة ، وأمتعة وفرش وجدوا في ثلاثة أماكن ، وخاتم باقوت ذكروا أنه بيع بجملته دنابير ، وعقد لؤلؤ وغير ذلك .

وامستمروا أياما ... والناس يذهبون الى الأغا ، ويذكرون ما بهرق لهم . ويسألهم فيقرون بأشياء دون أشياء ، ويذكرون ضياع أشياء تصرفوا فيها وباعوها وأكلوا بشمنها .

ثم اتفق الحال على المرافعة في المحكمة الكبيرة ، فذهبوا بالجميع . واجتمع العالم الكثير من الناس ، وأصحاب السرقات وغيرهم ، نساء ورجالا ، وادعوا على هؤلاء الأشخاص المقبوض عليهم . فأحضروا بعض ما ادعوا به عليهم ، وقالوا : أخذنا ، ولم يهولوا سرقنا . وبرأ محمد بن أبى القاسم أخويه ، وقال : « انهما لم يكونا معنا في شيء من هذا » .

وحصل الاختلاف في ثبوت القطع بلفظ أخذنا ... وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ . ثم ان القاضى كتب اعلاما للكتخدا بيك بصورة الواقع ، وفوض الأمر اليه . فأمر بهم الى بولاق ، وأنزلوهم عند القبطان — وصحبهم أبوهم أبو القاسم — فأقاموا أياما . ثم ان كتخدا بيك أمر بقطع أيدي الثلاثة ، وهم : محمد بن أبى القاسم الدرقاوى ، ورفيقه الصرماتى ، والصباغ الذى ثبتت عليه السرقة في الحادثه الأخرى . فقطعوا أيدي الثلاثة في بيت

مايقع من أخذ الدواب ، وخطف بعض النساء والأولاد كعادتهم !

٢٢ منه (٣ يوليه ١٨١٢ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية ليلا ، وصحبته حسن باشا ، الى القصر بشبرا وطلع في صباحها الى القلعة . وضربوا لقدمه مدافع من الأبراج . فكان مدة غيبته في هذه المدة شهرين وسبعة أيام . واجتهد فيها في عمارة سور المدينة وأبراجها ، وحصنها تحصينا عظيما ، وجعل بها جيخانات وبارودا ومدافع وآلات حرب . ولم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه منها على الرسم الذى رسمه لهم . وأخذ جميع ماورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ، ثم باعه للمتسبين بما أحب من الثمن .

وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الأفرنجى ، وجبه أخضر ، وجرمه أكبر من حب البن اليمنى الذى يأتى الى مصر فى مراكب الحجاز ... أخذه فى جملة ما أخذ فى معاوضة الغلال ، ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة وعشرين فرانسة القنطار والتجار يبيعونه بالزيادة ، ويخلطونه مع البن اليمنى

وفى ابتداء وروده كان يباع رخيصة ، لأنه دون البن اليمنى فى الطعم واللذة فى شربه وتعاطيه ، وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف ألبته .

وفيه : وصل مرسوم صحبة قابجى من الديار الرومية . مضمونه : وكالة دار السعادة باسم كتخدا بيك ، وعزل عثمان أغا الوكيل تابع سنعيد أغا .

فعمل الباشا ديوانا يوم الأحد ، وقرىء المرسوم ، وخلع على كتخدا بيك خلعة الوكالة وخلعة أخرى باستمراره فى الكتخدائية على عادته ، وركب فى موكب الى داره .

فلما استقر فى ذلك ، أرسل فى ثانى يوم فأحضر الكتبة من بيت عثمان أغا ، وأمرهم بعمل حسابيه من ابتداء سنة ١٢٢١ لغاية تاريخه . فشرعوا فى ذلك . وأصبح عثمان أغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه ، ويطالب بما دخل فى طرفه ، وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين وأوقافهما وغير ذلك .

غايته (١٠ يوليه ١٨١٢ م) :

وصل صالح قوج ومحويك وسليمان أغا و خليل أغا ، من ناحية الينبع على طريق القصير من الجهة القبلية ، وذهبوا الى دورهم .

رجب

٣ منه (١٢ يوليه ١٨١٢ م) :

طلع الجماعة الواصلون الى القلعة ، وسلموا على الباشا ... وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم ، لأنه طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم ، فحضرُوا بجملة عساكرهم . وقد كان ثبت عنده أنهم هم الذين كانوا سببا للهزيمة : لمخالفتهم على ابنه ، واضطراب رأيهم ، وتقصيرهم فى نفقات العساكر ، ومبادرتهم للهرب والهزيمة عند اللقاء ، ونزولهم بخاستهم الى المراكب ، وما حصل بينهم وبين ابنه طوسون باشا من المكالمات . فلم يزالوا مقيمين فى بيوتهم ببولااق ومصر ... والأمر بينهم وبين الباشا على السكوت نحو العشرين يوما ، وأمرهم فى ارتجاج واضطراب ، وعساكرهم مجتمعة حولهم . ثم ان الباشا أمر بقطع خرجهم وعلائقهم فعند ذلك تحققوا منه المقاطعة .

٢٤ منه (٣ أغسطس ١٨١٢ م) :

أرسل اليهم علائقهم المنكسرة — وقدرها ألف

أغا وطباهر آغا ، وهم راكبون أمامه ، وطوائف الأرثوذكس .. عدد كبير مشاة حوله .

شعبان

٤ منه (١٤ أغسطس ١٨١٢ م - ٧ مسرى ١٥٢٨ ق) :
أوفى النيل المبارك أذرع ، ونزل الباشا في صبح يوم الخميس في جم فقير ، وعدة وافرة من العساكر . وكسر السيد بهضرته وحضرة القاضي ، وجرى الماء في الخليج ، ومنع المراكب من دخولهم الخليج .

١٥ منه (٢٤ أغسطس ١٨١٢ م) :
سافر سليمان آغا ومحو بيك ، بعد أن قضوا أشغالهم ، وباعوا تملقاتهم ، وقبضوا علائقهم .

١٩ منه (٢٨ أغسطس ١٨١٢ م) :
سافر صالح آغا قوج ، وصحبته نحو المائتين ممن اختارهم من عساكره الأرثوذكسية ، وتفرق عنه الباقون ، وانضموا إلى حسن باشا وأخيه عابدين بيك وغيرهما .

٢٠ منه (٢٩ أغسطس ١٨١٢ م) :
برزت خيام الباشا إلى خارج باب النصر ، وعزم على الخروج والسفر بنفسه إلى الحجاز . وقد اطمأن خاطره عندما سافر الجماعة المذكورون ... لأنه لما قطع خرجهم ورواتبهم ، وأمرهم بالسفر ، جمعوا عساكرهم إليهم وخيولهم ، وأخذوا الدور والبيوت ببولاق وسكنوها ، وصارت لهم صورة هائلة . وكثرت القالة ، وتخوف الباشا منهم وتحذر ، ونبه على خاصته وسفاسيته وغيرهم بالملزمة والمبيت بالقلعة ، وغير ذلك .

٢١ منه (٣٠ أغسطس ١٨١٢ م) :
اجتمعت العساكر ، وانجر الموكب من باكر النهار : فكان أولهم طوائفه الدلاة ، ثم العساكر وأكابرهم ، وحسن باشا وأخوه عابدين بيك ، وهو

وثمانمائة كيس ، جميعها ريبالات فرانسة - وأمر بحملها على الجمال ، ووجه إليهم بالسفر . فشرعوا في بيع بلادهم وتملقاتهم ، وضاق ذرعهم ، وتكدر طبعهم إلى الغساية ، وعسر عليهم منسارقة أرض مصر ، وما صاروا فيه من التتبع والرفاهية والسيادة والامارة ، والتصرف في الأحكام والمساكن العظيمة ، والزوجات والسراري والحدم ، والمبيد والجواري ... فان الأقل منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الأمراء ، ونسائهم اللاتي قتلت أزواجهن على أيديهم . وطمنوا أن البلاد منبت لهم ... حتى أن النساء المترفات ، ذوات البيوت والإيرادات والالتزامات ، صرن يعرضن أنفسهن عليهم ليحتمن فيهم ، بعد أن كن يعنفنهم ، ويألفن من ذكرهم ... فضلا عن قريبهم

وفيه : ورد آغا قابجي من دار السلطنة وعلى يده مرسوم بالشارة بمولود ولد للسلطان . فعملوا ديوانا يوم الأحد رابع عشرينه ، وطلّسح الأغا المذكور في موكب إلى القلعة ، وقرئ ذلك المرسوم ، وصحبته الأمراء ، وضربوا شنكا ومدافع ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام في وقت كل أذان كأيام الأعياد .

٢٥ منه (٤ أغسطس ١٨١٢ م) :
مات أحمد بيك - وهو من عظماء الأرثوذكس وأركانهم - وكان عندما بلغه قطع خرج المذكورين ، أرسل إلى الباشا يقول له : « اقطع خرجي ، وأعطني غلوفة عساكرى وأسافر مع اخواني . فمنعه الباشا ، وأظهر الرأفة به . فتغير طبعه ، وزاد قهره ، وتمرض جسمه . فأرسل إليه الباشا بكيتته ، فسقاه شربة ، واقتصد ... فمات من ليلته فخرجوا بجنازته من بولاق ودفنوه بالقرافة الصغرى ، وخرج أمامه صالح آغا وسليمان

ماش على أقدامه في طوائفه أمام الباشا ، ثم الباشا ،
وكتنخدا بيك وأغواتهم الصقلية وطوائفهم ، وخلفهم
الطبلخانات . وعند ركوبه من القلعة ، ضربوا عدة
مدافع . فكان مدة مروهم نحو خمس ساعات .
وجروا أمام الموكب ثمانية عشر مدفعا وثلاث قنابر .

رمضان

٢٤ منه (اول أكتوبر ١٨١٢ م) :

وردت هجانة مبشرون باستيلاء الأتراك على عقبة
الصفراء والجديقة من غير حرب ... بل بالمخادعة
والمصالحة مع العرب ، وتدير شريف مكة ، ولم
يجدوا بها أحدا من الوهابيين . فعندما وصلت هذه
البشارة ، ضربوا مدافع كثيرة تلك الليلة من
القلعة ، وظهر فيهم الفرح والسرور .

وفي تلك الليلة : حضر أحمد أغا لاظ ، حاكم
قنا ونواحيها . وكان من خبره : أنه لما وصلت اليه
الجماعة الذين سافروا في الشهر الماضي ، وهم :
صالح أغا ، وسليمان أغا ، ومحو بيك ، ومن معهم ،
واجتمعوا على المذكور بشوا شكواهم ، وأسروا
نحبواهم ، وأضربوا في نفوسهم أنهم اذا وصلوا الى
مصر ووجدوا الباشا منحرفا منهم ، أو أمرهم
بالخروج والعود الى الحجاز ... امتنعوا عليه
وخالفوه . وان قطع خرجهم ، وأعطاهم علائقهم ،
بارزوه ونايذوه وحاربوه .

واتفق أحمد أغا المذكور معهم على ذلك ، وأنه
متى حصل هذا المذكور ، أرسلوا اليه فيأتيهم على
الفور بعسكره وجنده ، وينضم اليه الكثير من
المقيمين بمصر من طوائف الأرثود : كما بدى بيك ،
وحسن باشا وغيرهم ، بعساكرهم لاتحاد الجنسية .

فلما حصل وصول المذكورين ، وقطع الباشا
راتبهم وخرجهم ، وأعطاهم علائقهم المنكسرة ،
وأمرهم بالسفر ، أرسلوا لأحمد أغا لاظ المذكور

بالحضور ... بحكم اتفاقهم معه . فتقاعس وأحب
أن يبدى لنفسه عذرا في شقاؤه مع الباشا ، فأرسل
اليه مكتوبا يقول له فيه : « ان كنت قطعت خرج
اخواني ، وعزمت على سفرهم من مصر واخراجهم
منها فاقطع أيضا خرجي ودعني أسافر معهم » .
فأخفى الباشا تلك المكاتبة ، وآخر عود الرسول —
ويقال له الخجا — لعله بما أضروه فيما بينهم ،
حتى أعطى للمذكورين علائقهم على الكامل ، ودفع
لصالح أغا كل ما طلبه وادعاه ... حتى أنه كان
أنشأ مسجدا بساحل بولاق بجوار داره ، وبني له
منارة ظريفة ، واشترى له عقارا وأمكنة وقفا على
مصالح ذلك المسجد وشعائره . فدفع له الباشا
جميع ما صرفه عليه وثمان العقار وغيره ، ولم يترك
لهم مطالبة يحتجون بها في التأخير . وأعطى الكثير
من رواتبهم لحسن باشا وعابدين بيك أخيه ،
فمالوا عنهم ، وفارقهم الكثير من عسكرهم ،
وانضوا الى أجناسهم المقيمين عند حسن باشا
وأخيه ، فرتبوا لهم العلائق معهم . وأكثرهم
مستوطنون ومتزوجون ، بل ومتناسلون ، ويصعب
عليهم مفارقة الوطن وما صاروا فيه من التمتع ،
ولا يهون بطلاق الحيوان استبدال النعيم بالجهيم !
ويعلمون عاقبة ما هم صائرون اليه ... لأنه — فيما
بلغنا — أن من سافر منهم الى بلاده ، قبض عليه
حاكمها ، وأخذ منه ما معه من المال الذي جمعه من
مصر وما معه من المتاع ، وأودعه السجن ...
ويفرض عليه قدرا ، فلا يطلقه حتى يقوم بدفعه ،
على ظن أن يكون أودع شيئا عند غيره ، فيشتري
نفسه به ، أو يشتريه أقاربه ، أو يرسل الى مصر
مراسلة لعشيرته وأقاربه ... فتأخذهم عليه الغيرة ،
فيرسلون له ما فرض عليه ويفتدونه ، والا فيموت
بالسجن ، أو يطلق مجردا ويرجع الى حالته التي
كان عليها في السابق ! من الخدم المستهنة ،
والاحتطاي من الجبل ، والتكسب بالصنائع الدنية

بيع الأسقاط والكروش والمؤاجرة في حمل الأمتعة ونحو ذلك .

فلذلك يختارون الإقامة ، ويتركون مخاضهم ... خصوصا والخسة من طباعهم !

هذا والباشا يستحث صالح أغا ورفقائه في الرحيل حيث لم يبق له عذر في التأخير .

ف عندما نزلوا في المراكب ، وانحدروا في النيل ... أحضر الباشا الخجا المذكور — وهو عبارة عن الأفندي المخصوص بكتابة سره وإيراده ومصرفه — وأعطاه جواب الرسالة ، مضمونها : تطمينه وتأمينه ، ويذكر له أنه صعب عليه ، وتأثر من طلبه المقاطعة وطلبه المفارقة . وعدد له أسباب انحرافه عن صالح أغا ورفقائه ، وما استوجبوا به ما حصل لهم من الاخراج والابعاد . وأما هو فلم يحصل منه ما يوجب ذلك ، وأنه باق على ما يعهده من المودة والمحبة . فان كان ولا بد من قصده وسفره ، فهو لا يمنعه من ذلك ، فيأتي بجميع أتباعه ويتوجه بالسلامة أينما شاء .. والا بأن صرف عن نفسه هذا الهاجس ، فليحضر في القنجة في قلة ، ويترك وطاقه وأتباعه ليواحجه ويتحدث معه في مشورته وانتظام أموره التي لا يتحملها هذا الكتاب ، ويعود الى محل ولايته وحكمه مكرما .

فراج عليه ذلك التمويه ، وركن الى زخرف القول ، وظن أن الباشا لا يصله بمكروه ، ولا يواجهه بقبيح من القول ، فضلا عن الفعل ، لأنه كان عظيما فيهم ، ومن الرؤساء المعدودين ، صاحب همة وشهامة واقدام ، جسورا في الحروب والخطوب ... وهو الذي مهد البلاد القبلية ، وأخلاها من الأجناد المصرية . فلما خلت الديار منهم ، واستقر هو بقنسا وقوص ، وهو مطلق التصرف ، وصالح أغا قوج بالأسيوطية .

ثم ان الباشا وجه صالح أغا الى الحجاز ، وقلد

ابنه ابراهيم باشا ولاية الصعيد . فكان يساقض عليه أحمد أغا المذكور في أفعاله ، ويمانه التعدي على أطيان الناس وأرزاق الأوقاف والمساجد ، ويحل عقد ابراماته . فيرسل الى أبيه بالأخبار ، فيجقد ذلك في نفسه ، ويظهر خلافه ويتغافل .

وأحمد أغا المذكور على جليلة وخلص نيته ، فلما وصلت الرسالة ، اعتقد صدقه ، وبادر بالحضور في قلة من أتباعه حسب اشارته . وطلع الى القلعة ليلة السبت ، وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، فعبر عند الباشا وسلم عليه ، فحادثه وعاتبه ، وتقم عليه أشياء ، وهو يجاوبه ويرادده ، حتى ظهر عليه الغيظ .

فقام كتخدا بيك و ابراهيم أغا فأخذاه وخرجا من عند الباشا ، ودخلا الى مجلس ابراهيم أغا وجلسوا يتحدثون ، وصار الكتخدا و ابراهيم أغا يلفظان معه القول ، وأشارا عليه بأن يستمر معهما الى وقت السحور وسكون حدة الباشا ، فيدخلون اليه ، ويتسحرون معه . فأجابهم الى رأيهم ، وأمر من كان بصحبته من العسكر — وهم نحو الخمسين — بالنزول الى محلهم . فامتنع كبيرهم ، وقال : « لا نذهب وترتك وحيدا » . فقال الكتخدا : « وما الذي يصيبه ، وهو همشري ومن بلدي ، وان أصيب بشيء كنت أنا قبله !؟ » فعند ذلك نزلوا وفارقوه ، وبقي عنده من لا يستغنى عنه في الخدمة .

فعند ذلك أتاه من يستدعيه الى الباشا .. فلما كان خارج المجلس ، قبضوا عليه ، وأخذوا سيفه وسلاحه ، ونزلوا به الى تحت سلم الركوب . وأشعل الضوى المشعل ، وأداروا كتابه ورموا رقبته ، ورفعوه في الحال ، وغسلوه وكفنوه ودفنوه ... وذلك في سادس ساعة من الليل .

وأصبح الخبر شائعا في المدينة . وأحضر الباشا

الخجا ، وطولب بالتعريف عن أمواله وودائعهم ، وعين في الحال باشجاويش ليذهب الى قنسا ، ويختم على داره ، ويضبط ما له من الغلال والأموال . وطلبت الودائع ممن هي عنده التي استدلوها عليها بالأوراق . فظهر له ودائع في عدة أماكن ، وصناديق مال ، وغير ذلك . ولم يتعرض لمنزله ولا لحريمه .

سؤال

٤ منه (١١ أكتوبر ١٨١٢ م) :

قدم قابجي من اسلامبول ، وعلى يده مقرر للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ، ومعه فروة لخصوص الباشا . فلما وصل الى بولاق ، فنزل كتخد بيك لملاقاته . فركب في موكب جليل ، وخلفه النوبة التركية ، وشق من وسط البلد وصعد الى القلعة . وحضر الأشياخ وأكابر دولتهم ، وقرىء المرسوم بحضرة الجميع . فلما انقضى الديوان ، ضربوا عدة مدافع من القلعة .

وفيه : ألبس شيخ السادات ابن أخيه سيدي أحمد خلعة وتاجا ، وجعله وكيلا عنه في نقابة الأشراف ، وأركبه فرسا بعباءة ، ومشى أمامه أيضا الجاوشية المختصون بنقيب الأشراف . وأمره بأن يذهب الى الباشا ويقابله ليخلع عليه ، وأرسل صحبته محمد أفندي ، فقال : « مبارك » . وأشار اليه محمد أفندي بأن يخلع عليه فروة . فقال الباشا : « ان عمه جعله نائباً عنه ووكيلا . فليس له عندي تلبيس لأنه لم يتقلدها بالأصالة من عندي » . فقام ونزل من غير شيء الى داره بجوار المشهد الحسيني .

٢٣ منه (٣٠ أكتوبر ١٨١٢ م) :

سافر مصطفى بيك دالي باشا بجميع الدلاة وغيرهم من العسكر الى الحجاز .

وخصل للناس في هذا الشهر عدة كربات ، منها — وهو أعظمها — عدم وجود الماء العذب ، وذلك في وقت النيل وجريان الخليج من وسط المدينة ، حتى كاد الناس يموتون عطشا ... وذلك بسبب أخذهم الخمير للسخرة ، والرجال لخدمة العسكر المسافرين ، وغلو ثمن القرب التي تشتري لنقل الماء .

فان الباشا أخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة ، عند الخيلية ، وما كان غيرها أيضا ... حتى أرسل الى القدس والخليل ، فأحضر جميع ما كان بهما وبلغت الغاية في غلو الأثمان ، حتى بيعت القربة الواحدة ، التي كان ثمنها مائة وخمسين نصفا ، بألف وخمسمائة نصف . ويأخذون أيضا الجمال التي تنقل الماء بالروايا الى الأسيلة والصحاريج وغيرهما من الخليج ، فامتنع الجميع عن السراح والخروج .

واحتاج العسكر أيضا الى الماء ، فوقفوا بالطرق يرصدون مرور السقائين أو غيرهم من الفقراء الذين ينقلون الماء بالباليص والجرار على رؤوسهم . فيوجد على كل موردة من الموارد عدة من العسكر ، وهم واقفون بالأسلحة ، ينتظرون من ستنقى من السقائين أو غيرهم . فكان الخدم والنساء والفقراء والبنات والصبيان ينقلون بطول النهار والليل بالأوعية الكبيرة والصغيرة على رؤوسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب . وبيعت القربة الواحدة بخمسة عشر نصف فضة وأكثر ، وشمع وجود اللحم ، وغلا في الثمن زيادة على غلو سعره المستمر ، حتى بيع بثمانية عشر نصف فضة كل رطل ... هذا ان وجد ، والجاموس الجفيط بأربعة عشر .

وطلبوا للسفر طائفة من القبانية ومن الخبازين ومن أرباب الصنائع والحرف ، وشددوا عليهم

وكتبوا بذلك أوراقا ، وألصقوها بحيطان دوائرهم وحاراتهم . ولما حضر الباشا طلع اليه القنصل ، وأخبره بتلك الأخبار ، وأطلعه على الكتب الواردة من بلادهم .

الثلاثاء ١٩ منه (٢٤ نوفمبر ١٨١٢ م) :

عدى الباشا الى بر الجيزة ، وأمر بخروج العساكر الى البر الغربى . وعدى أيضا كتخد بيك ... وذلك بسبب أن عربان أولاد على نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم ، وأكلوا الزروعات فخرج اليهم حسن أغا الشاشرجى ، فوزن نفسه معهم ، فرأى أنه لا يقاومهم لكثرتهم ، فحضر الى مصر وأخبر الباشا .

وتحرك الباشا للخروج اليهم ، ثم بعقيبه أرسل لهم وخادعهم . فحضر اليه عظماءهم ، فأخذ منهم رهائن ، وخلع عليهم وكساهم ، وأعطاهم راحتهم ، وعين لهم جهات ، وشرط عليهم ألا يتعدوها . ثم رجع وعدى الى بر مصر فى ليلة الخميس حادى عشرته .

الثلاثاء ٢٦ منه (اول ديسمبر ١٨١٢ م) :

نهب العرب القافلة القادمة من السويس بحمل بضائع التجار وغيرهم ، وقتلوا العسكر الذين بصحبتهم وخفارتهم ، وأخذوا الجمال بأحمالها ، وذهبوا بها لناحية الوادى . والجمال المذكورة على ملك الباشا وأتباعه ... لأنهم سيروا لهم جمالا وأعدوها لحمل البضائع ، ويأخذون أجرتها لأنفسهم بدلا عن جمال العرب . وذلك من جملة الأمور التى احتكروها طمعا وحسدا فى كل شيء . ولم ينبج من الجمال إلا البعض الذين سبقوهم ، وهم لكتخدا بيك . فحقن لذلك الباشا ، وأرسل فى الحال مراسلات الى سليمان باشا محافظ عكا يعلمه بذلك ، ويلزمه بإحضارها ، ويتوعده ان ضاع منها عقال بغير ... والذي ذهب بالمراسلة ابراهيم أفندى المهردار .

الطلب فى أواخر الشهر ، فتغيبوا وهربوا ، فسمرت بيوتهم وحوانيتهم ... وكذلك الحجازون والفرانون بالطوايين والأفران ، حتى عدم الخبز من الأسواق ، ولم يجد أصحاب البيوت فرنا يخبزون فيه عجينة . فمن الناس ، القادرين على الوقود ، من يخبز عجينة فى داره أو عند جاره الذى يكون عنده فرن ، أو عند بعض الفرائين التى تكون فرنه بداخل عطفة مستورة خفية ، أو ليلا من الخوف من العسس والمرصدين لهم . وكذلك عدم وجود التبن بسبب رصد العسكر فى الطرق لأخذ ما يأتى به الفلاحون من الأرياف ، فيخطفونه قبل وصوله الى المدينة . وحصل بسبب هذه الأحوال المذكورة شبكات ومشاجرات ، وضرب وقتل وتجريح أبدان ... ولولا خوف العسكر من الباشا ، وشدته عليهم ، حتى بالقتل اذا وصلت الشكوى اليه ، لحصل أكثر من ذلك .

ذوالقعدة

الخميس ٧ منه (١٢ نوفمبر ١٨١٢ م) :

سافر الباشا هجانا الى السويس وصحبته حسن باشا .

الجمعة ١٥ منه (٢٠ نوفمبر ١٨١٢) :

وصل مبشرون من ناحية الحجاز ، وهم أنراك على الهجن ، والخبر عنهم أن عساكرهم وصلوا الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها .

الاحد ١٧ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١٢ م) :

رجع الباشا من ناحية السويس الى مصر . وفيه : وردت أخبار لطائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيمين بمصر بأن « بونايارته » وعساكر الفرنساوية ، زحفوا فى جمع عظيم على بلاد المسكوب ، ووقع بينهم حروب عظيمة ، فكانت الهزيمة على المسكوب ، وانكسروا كسرة قوية

ذو الحجة

١٠ منه (١٥ ديسمبر ١٨١٢ م) :

وردت هجانة من ناحية الحجاز ، وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على قلعة المدينة المنورة ، ونزول المتولى بها على حكمهم ، وأن القاصد الذى أتت بشائره وصل الى السويس وصحبه مفاتيح المدينة . فحصل للبasha بذلك سرور عظيم . وضربوا مدافع وشنكا بعد مدافع العيد وانتشرت المبشرون على بيوت الأعيان لأجل أخذ البقاشيش !

١١ منه (١٦ ديسمبر ١٨١٢ م) :

وصل القادمون الى العادلية ، فعملوا لقدمهم شنكا عظيما ، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج فة العزب حيث العرضى المعد للسفر ، وأيضا ضربوا بنادق كثيرة متتابعة من جميع الجهات ، حتى من أسطحة البيوت الساكنين بها ، واستمر ذلك أكثر من ساعتين فلكيتين .. فكان شيئا مهولا مزعجا . وأشيع في الناس دخول الواصلين في موكب ، واختلفت رواياتهم .

وخرج البasha الى ناحية العادلية ، فاصطف الناس على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة . فلما كان قريب الغروب ، دخل طائفة من العسكر ، وصحبهم بعض أشخاص راكبين على الهجن ، وفي يد أحدهم كيس أخضر ، ويده الآخر كيس أحمر ، بداخلهما المكاتبات والمفاتيح . وعاد البasha من ليلته وصعد الى القلعة .

هذا والمدافع والشنك يعمل في كل وقت من الأوقات الخمسة ، وفي الليل .

١٢ منه (١٧ ديسمبر ١٨١٢ م) :

شق الأغا والوالى وأغات التبديل ، وأمامهم

المناداة على الناس بتزيين الأسواق وما فيها من الحوانيت والدور ، ووقود قناديل وتعليق ، ويسهرون ثلاث ليال بآيامها : أولها يوم الخميس ، وآخرها يوم السبت الذى هو خامس عشره وأخرجوا وطاقت وخياما الى خارج بابى النصر والفتوح .

وخرج البasha في ثاني يوم الى ناحية العادلية — وهو ليلة يوم الزينة — وعملوا حراقات ونفوطا وسواربيخ ومدافع من كل ناحية مدة أيام الزينة وكتبت البشائر الى جميع النواحي ، وأنعم البasha بأمریات ومناصب على عشرين شخصا من خواصه ، وعين لطيف بيك ، أغات المفتاح ، للتوجه الى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبه وسافر في صبح يوم الزينة على طريق البر ، وتعين خلفه أيضا للسفر بالبشائر الى البلاد الرومية والشامية والأساكن الاسلامية : مثل بلاد الأنضول والرومنلى ورودرس وسلافيك وأزمير وكريت وغيرها .

اواخره (اوائل يناير ١٨١٢ م) :

وردت الأخبار المترادفة بوقوع الطاعون الكثير بإسلامبول . فأشار الحكماء على البasha بعمل كورتيلة بالاسكندرية على قاعدة اصطلاح الافرنج ببلادهم . فلا يدعون أحدا من المسافرين والواردين في المراكب من الديار الرومية يصعد الى البر الا بعد مضى أربعين يوما من وروده . واذا مات بالمركب أحد في أثناء المدة استأنفوا الأربعين

وفيه : أوشى بعض اليهود على الحاج سالم الجواهرجى — المباشر لايراد الذهب والفضة الى الضربخانة ، وانعزل عنها كما ذكر في وسط السنة ، وذلك عند ورود الرجل النصرانى الدرزى الشامى — بأنه كان في أيام مباشرته لايراد يضرب لنفسه دنائير خارجة عن حساب الميرى خاصة به .

فأمر الباشا بإثبات ذلك وتحقيقه . فحصل كلام كثير .. والحاج سالم يجحد ذلك وينكره . فقال له : « أيوب تابعك الذى كان ينزل آخر النهار بالخرج على حمارة فى كل يوم بحجة الأنصاف العدديّة التى يفرقها على الصيارف بالمدينة .. وأكثر ما فى الخروج خاص بك » . فأحضروا أيوب المذكور ، وطلبوه للشهادة . فقال : « لا أشهد بما لا أعلم . ولم يحصل هذا مطلقا ، ولا يجوز لى ، ولا يخلصنى من الله أن أنهم الرجل بالباطل » . فقال اليهودى : « هذا رفيقه وصاحبه وخادمه ، ولا يمكنه أنه يخبر ويقر الا اذا خوف وعوقب . واذا ثبت قولى ، فانه يطلع عليه ستة آلاف كيس » .

فلما سمع الباشا قول اليهودى « ستة آلاف كيس » ، أمر بحبس الحاج سالم ، ثم أحضروا اخوته والحاج أيوب وسجنوهم وضربوهم ... والباشا يطلب ستة آلاف كيس كما قال اليهودى واستمروا على ذلك أياما . وذلك الحبس عند قرا على بجوار بيت الحريم بالأزبكية .

وسبب خصومة شمعون اليهودى مع الحاج سالم : أنهم احتجوا على اليهودى بأشياء ، وقرروا عليه غرامة أيضا . فطلب من الحاج سالم المساعدة ، وقال له : « ساعدنى كما ساعدتك فى غرامتك » . فقال الحاج سالم : « انك لم تساعدنى بمال من عندك ، بل هو من حسابى معك » . فقال اليهودى : « أأست كنت أدارى عليك فيما تفعله ؟ » .

واتسع الكلام بينهما ... وحضرة الباشا وأعوانه مترقبون لحادث يستخرجون به الأموال بأى وجه كان ، ويتقولون ويوقعون بين هذا وهذا . والناس أعداء لبعضهم البعض .. تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى !

ثم ان السيد محمد المحرقى خاطب الباشا فى

شأن الحاج سالم ، وحلف له أن الغرامة الأولى تأخر عليه منها ثلاثمائة كيس ، استدانها من الأوربيين ، ودفعها ، وهى باقية عليه الى الآن ومطلوبة منه ... وذلك بعد أن باع أملاكه وحصّة التزامه . فاذا كان ولا بد من تفرغه ثانيا فانتا نهمل أصحاب الديون ، وتقوم بدفع الثلاثمائة كيس المطلوبة للمدينين وندفعها للخزينة . فأجابته لذلك ، وأمر بالافراج عن الحاج سالم واخوته ومن معه . فدفعوا لقرا على المتولى سجنهم وعقوبتهم واتباعه سبعة أكياس .

وفيه : اشتد الأمر على اسماعيل أفندى أمين عيار الضربخانة وأولاده ، بالطلب من أرباب الحوالات ، مثل دالى باشا وخلافه . وضيق العسكر المعينون عليهم منافسهم ، ولازموا دورهم ، ولم يجدوا شافعا ولا دافعا ولا رافعا ، فساءوا أملاكهم وعقاراتهم وفراشهم ومصاغ حريمهم وأوانيهم وملابسهم .

وكان الباشا أخذ من اسماعيل أفندى المذكور داره التى بالقلعة عندما انتقل الى القلعة ، فأمره باخلائها ففعل ، ونزل الى دار بحارة الروم بالقرب من دار ابنه محمد أفندى ، فاتخذ الباشا دار اسماعيل أفندى دارا لحريمه ، وأسكنهم بها لأنها دار عظيمة جليّة .. عمرها المذكور وصرف عليها فى الأيام الخالية أموالا جمة . فلما استولى عليها الباشا ، أسكن بها حريمه وجواريه ومراريه . ولما قرر عليه غرامته ، أسقط عنه منها عشرين كيسا لا غير وجعلها فى ثمن داره المذكورة ... وذلك لا يقوم بشئ رخامها فقط !

فلما اشتد الحال باسماعيل أفندى أشار عليه بعض المتشفعين بأن يكتب له عرضحالا ، ويطلع به الى الباشا صحبة المعلم غالى ، كبير الأقباط المباشرين ، ففعل ، ودخل معه المعلم غالى الى الباشا . فعندما رآه مقبلا صحبة المذكور ، أشار

اليه بالرجوع ، ولم يدعه يتكلم فرجع بقهره ،
ونزل الى داره فمرض وتوفى بعد أيام الى رحمة
الله تعالى .

ومات قبله ولده حسن أفندى ، وبقي جميع
الطلب على ولده محمد أفندى . فحصل له مشقة
زائدة ، وباع أثاث بيته وأواني وكتبه التي اقتناها
وحصلها بالشراء والاستكتاب ، فباعها بأبخس
الأثمان على الصحفيين وغيرهم . وطال عليه الحال ،
وانقضت مواعيد المدائنين له ، فطالبوه وكرهوه ،
فتدائين من غيرهم بالربا والزيادة ... وهكذا . والله
يحسن لنا وله العاقبة .

وفيه : قدم الى الاسكندرية قليون من بلاد
الانكليز فيه بضائع وأشياء للبائس ، ومنها خمسون
ألف كيس تقودا ثمن غلال وخيول يأخذونها من
مصر الى بلادهم . فطفقوا يطلبون لهم الخيول من
أربابها ، فيقيسون طولها وعرضها وقوائمها بالأشبار
.. فان وجدوا ما يوافق غرضهم ومطلوبهم في
القياس والقيافة ، أخذوه ... ولو بأعلى ثمن ،
والا تركوه .

وفيه أيضا : أرسل الباشا لجميع كشاف الوجه
القبلي بحجز جميع الغلال والحجر عليها لطرفه :
فلا يدعون أحدا يبيع ولا يشتري شيئا منها ، ولا
يسافر بشيء منها في مركب مطلقا . ثم طلبوا ما عند
أهل البلاد من الغلال ، حتى ما هو مخز في دورهم
لللقوت ، فأخذوه أيضا ! ثم زادوا في الأمر حتى
صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون
من الغلال ، قل أو كثر ، ولا يدفعون له ثمن ، بل
يقولون لهم : « نحسب لكم ثمنه من مال السنة
القابلة » ! ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا
التي استجدها وأعدتها لنقل الغلال ، ثم يسيرون بها
الى بحرى فتنتقل الى مراكب الافرنج بحساب
مائة قرش عن كل أردب .

وانقضت السنة ولم تنقضى حوادثها ... بل
استمر ماحدث بها كالتى قبلها وزيادة :

فمنها ما أحاط به علمنا وذكرنا بعضه ، ومنها
ما لم يحط به علمنا أو أحاط وليسيناه بحدوث غيره .
قبل التثبت .

ومنها : أن الباشا عمل ترسخانه عظيمة بساحل
بولاق ، واتخذ عدة مراكب بالاسكندرية لخصوص
جلب الأخشاب المتنوعة ، وكذلك الحطب الرومى ،
من أماكنها على ذمته ، ويبيعه على الحطابين بما
حدده عليهم من الثمن ، ويحصل في المراكب المختصة
به بأجرة محددة أيضا ، ويأتى الى ديوان الكمرك
ببولاق فيؤخذ كمركه — أى مكسه — وهو
راجع اليه أيضا ... الى أن استقر سعر القنطار
الواحد من الحطب بثلاثمائة وخمسة عشر نصف
فضة ، وأجرة حمله من بولاق الى مصر ثلاثة عشر
نصف فضة ، وأجرة تكسيه مثل ذلك . فيكون
مجموع ذلك ثلاثمائة وأربعين نصف فضة القنطار !
وقد اشترناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين
نصفا ، وأجرة حمله في المركب عشرة أنصاف ،
وأجرته من بولاق الى مصر ثلاثة أنصاف ،
وتكسيه كذلك ، فيكون مجموع ذلك ستة
وأربعين نصفا .

وكذلك فعل في أنواع الأخشاب الكرسة
والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلويات
واستمر ينشئ في المراكب الكبار والصغار التي
تسرح في النيل من قبلى الى بحرى ومن بحرى
الى قبلى ، ولا يبطل الانشاء والأعمال والعمل على
الدوام . وكل ذلك على ذمته ، ومرمتها وعمارتها
ولوازمها وملاجيوها بأجرتهم على طرفه ... لا
بالضمان كما كان في السابق . ولهم قومة ومباثرون
متقيدون بذلك الليل والنهار .

ومنها — وهى من الحوادث الغريبة التى لم
يتفق فى هذه الأعصار مثلها — : أن فى أواخر

ربيع الآخر احترق بحر النيل ، وجف بحر بولاق ، وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول ، وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون الى قريب امبابة بمداساتهم ... وكذلك بحر مصر القديمة بقى مخاضا . وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو ، واشتد بالناس العطش بسبب ذلك ، وبسبب تسخير السقائين . ونادى الأغا والوالى على أن يكون حمل القرية للمكان البعيد باثنى عشر نصف فضة .

واستهل شهر بشنس القبطى فزاد النيل فى أوله ، فى ليلة واحدة ، نحو ذراع . ثم كان يزيد فى كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أبيب ومسرى . وجرى بحر بولاق ومصر القديمة ، وغطى الرمال ، وسارت فيه المراكب الكبار منحدره ومقلعة ، وغرقت المقاتيى مثل : البطيخ والخيار والعبداللاوى ، وما كان مزروعا بالسواحل — وهو شئ كثير جدا — واستمرت الزيادة نحو عشرين يوما ، حتى تغير وابيض وكاد يحمر .

وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التى فى غير وقتها ، حتى اعتقدوا أنه يوفى أذرع الوفاء قبل نزول النقطة ... ولم يعهد مثل ذلك ! . وكان ذلك رحمة من الله بعبده الفقراء العطاش .

ثم انى طالعت فى تاريخ الحافظ المقرئى ، المسمى بالسلوك فى دول الملوك ، فذكر مثل هذه النادرة فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة .

ولما ترادفت هذه الزيادات ، خرج والى الى قنطرة السد ، وجمع الفعلة للعمل فى سد فم الخليج ، ونادى على نزع الخليج وتنظيفه وكسح أوساخه وقطع أرضه . ثم وقفت الزيادة ، بل نقص قليلا . وزاد فى أوان الزيادة على العادة ، وأوفى أذرع فى أيامه المعتادة ... فسبحان الفعال .

ومنها : شحة الغلال وخلو السواحل منها ... فلا يجد الناس الا ما بقى بأيذى فلاحى الجهات البحرية القريبة ، فيحملونه على الحمير الى العرصات والرقع ، ويبيعونه على الناس كل أردب بأربعة وعشرين قرشا خلاف المكس والكلف . واستقر مكس الأردب الواحد أربعة وثلاثين نصف فضة ، وأجرته اذا كان من طريق البحر من المنوفية أو نحوها مائة نصف وأقل وأكثر ، وأجرته من بولاق الى مصر خمسة وعشرون نصفاً .

ومنها : أنه لما انتظم له ملك بلاد الصعيد ، ولم يبق له فيه منازع ، وقلد امارته لابنه ابراهيم باشا ، ورسم بأن يضبط جميع أطيان بلاد الصعيد ، حتى الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والخيرات الكائنة بمصر وغيرها ، وأوقاف سلاطين مصر المتقدمين وخيراتهم ومساجدهم ومكاتبهم وصهاريجهم ، ووظائف المدرسين والمقرئين وغير ذلك . ففعل ذلك وراك الأراضى بأسرها .

وشاع أنه جعل على كل فدان من أراضى الرزق والأوقاف ثلاثة ريالات لا غير ، وعلى باقى فدادين الأطيان ثمانية ريالات خلاف النبارى — وهو مزارع الذرة — فجعل على كل عود من عيدان القطوة سبعة ريالات . فرضى أصحاب الرزق والأطيان بهذا التنظيم ، وظنوا استمراره . فان الكثير من المرتزقة ما كان يحصل له من مزارعى رزقته مقدار ما يحصل له على هذا الحساب .

ومنها : أنه رسم له بالحجر على جميع حصص الالتزام ، فلم يبق لأربابها شيئا الا ما ندر — وهو شئ قليل جدا — واحتج فى ذلك باستيلاء الأمرا المصريين عليها عندما خرجوا من مصر ، وأقاموا بالبلاد القبلية ، فوضعوا أيديهم على ذلك . وأنه حاربهم وطردهم وقتلهم وورث ما كان بأيديهم بحق أو باطل ، وسموه المضبوط . وأما ما كان بأيدي

التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم . واستقر الحال الى أن صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا . وبيع الموجود على ذمته لأهل الأقاليم المتسبين وغيرهم . وهو عن كل أردب مائة قرش بل وزيادة ، وللأفرنج وبلاد الروم والشام بما لا أدري .

ومنها : أنه حصل بين عبد الله أغا بكتاش الترجان وبين النصراني الدرزي منافسة . وهو الذي حضر من جبل الدروز ، ويسمى الياس ، واجتمع بمصر على من أوصله الى الباشا — وهو بكتاش وخلافه — وعرفوه عن صناعته ، وأنه يعمل آلات بأسهل مما يصنعه صناع الضربخانة ، ويوفر على الباشا كذا وكذا من الأموال التي تذهب في الدوايلب والكلف ، وما يأخذه المباشرون من المكاسب لأنفسهم . وأقرده بقعة خاصة به بجانب الضربخانة ، وأمر بحضور ما يطلبه اليه من الحديد والصناع واستمر على ذلك شهورا .

ولما تم الآلة ، صنع قروشاً وضربها ناقصة في الوزن والعيار ، وجعل كتابتها على نسق القروش الرومية ، ووزن القرش درهماً وربع ، وفيه من الفضة الخالصة الربع ، بل أقل ، والثلاثة أرباع نحاس . وكان المرتب في الأموال من النحاس في كل يوم قنطارين ، فضعف الى ستة قناطير ... حتى غلا سعر النحاس والأواني المتخذة منه ، فبلغ سعر الرطل النحاس المستعمل مائة وأربعين نصف فضة ، بعد أن كان سعره في الأزمان السابقة أربعة عشر نصفاً ، والقراضة سبعة أنصاف أو أقل . ثم زاد الطلب للضربخانة الى عشرة قناطير في كل يوم ... والمباشر لذلك كله بكتاش افندي .

ثم ان بكتاش افندي المذكور انحرف على ذلك الدرزي ، وذلك باغراء المعايير ، وحصل بينهما مناقشة بين بدى الباشا ، والمعلم غالى بينهم — وانحط الأمر في ذلك المجلس على منع الدرزي من

أربابه أيام استيلاء المصريين — وهم الملتزمون القاطنون بالبلاد القبلية أو بمصر ، ممن يراعى جانبه — فانه اذا عرض حاله ، وطلب اذنا في التصرف ، وأخبر بأنه كان مفروجا عنه أيام استيلاء المصريين ، وأثبت ذلك بالكشف من الروزنامة وغيرها ... فاما أن يؤذن له في التصرف ، أو يقال له : نعوضك بدلها من البلاد البحرية . ويسوف ، وتتبادى الأيام ، أو يحيل ذلك على ابنه ابراهيم باشا ، ويقول : « أنا لا علقه لى في البلاد القبلية ، والأمر فيها لابراهيم باشا » ، واذا ذهب لابراهيم باشا يقول له : « أنا أعطيك الفائط » ، فان رضى أعطاه شيئاً نزرأ ، ووعده بالاعطاء . وان لم يرض ، قال له : « هات لى اذنا من أفندينا » . وكل منهما : اما مرتحل أو مسافر ، أو أحدهما حاضر والآخر غائب فيصير صاحب الحاجة كالجملة المعترضة بين الشارط والمشرط ... وأمثال ذلك كثير .

ومنها : الاستيلاء على جميع مزارع الأرز بالبحر الغربي والشرقي ، ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون عليهم من الكلف والتقاوى والبهائم . ويؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التي قررهما على النواحي . وعند استغلال الأرز يرفعونها بأيديهم ويسعرونها بما يريدونه ، ويستوفون المصاريف ، ومعاليم القومة والمباشرين المعين لهم . وان فضل بعد ذلك شيء أعطوه للمزارع ، أو أخذوه منه وأعطوه ورقة يحاسب بها في المستقبل . وفرض على كل دائرة من دوائر الأرز خمسة أكياس في كل سنة خلاف المقرر القديم ، وعلى كل عود ثلاثة أكياس . فاذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيراً على أصحاب الدوائر والمناشر ... حتى اذا صلح وابتض ، حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم فان زاد لهم شيء أعطوهم به ورقة ، وحاسبوا بها من قابل . وأبطل تعامل المزارعين مع

بباشرة العمل . ورتب له الباشا أربعة أكياس لمصره في كل شهر ، ومنعوا أيضا من كان معه من نصارى الشوام من الطلوع الى الضربخانة . واستمر بكتاش أفندى ناظرا عليها ، ودقق على أرباب الوظائف والخدم ليأخذ بذلك وجاهة عند مخدومه . ثم ان الباشا بعد أيام أمر بنفى الدرزي من مصر وجميع أهله وأولاده . وانقضى أمره بعد أن تعلموا تلك الصناعة منه .

وفي تلك المدة بلغ ايراد الضربخانة لخزينة الباشا في كل شهر ألفا وخمسمائة كيس . وكان الذى يرد منها ، في زمن المصريين ، ثلاثين كيسا في كل شهر أو أقل من ذلك . فلما التزم بها السيد أحمد المحرقى أوصلها الى خمسين ، واستمرت على ابنه السيد محمد كذلك مدة . فانتبذ لها محمد أفندى طبل المعروف بناظر المهمات ، وزاد عليها ثلاثين كيسا ، وبقيت تحت نظارة المحرقى بذلك القدر . ثم ان الباشا عزل السيد محمد المحرقى عنها ، وأبقاها على ذمته ، وقيد خاله في نظارتها . ولم يزل الباشا يلعب هذه الملاعب حتى بلغت هذا المبلغ المستمر ، وربما يزيد ... وذلك خلاف الغرامات والمصادرات لأربابها .

ثم وشى له على عبد الله أغا بكتاش بأنه يزيد في وزن القروش وينقص منه عن القدر المحدود . فاذا حسب القدر المنقوص ، وعمل معدله في مدة نظارته ، تحصل منه مقدار عظيم من الأكياس . فلما نوقش في ذلك قال : « هذا الأمر يسأل فيه صاحب العيار » . فأحضروه ، وأحضروا محمد أفندى ابن اسماعيل أفندى بدفتره ، وتحققوا في الحساب ، فسقط منهم خمسة أكياس لم تدخل الحساب ... فقالوا : « أين ذهبت هذه الخمسة أكياس » فطفقوا ينظرون الى بعضهم . فقال المورد : « الحق أن هذه الخمسة أكياس من حساب محمد أفندى ، ومطلوبة له ، وتجاوز عنها

لقلان اليهودى المورد من مدة سابقة » . فالتفت الباشا الى محمد أفندى ، وقال : « لأى شيء تجاوزت لليهودى عن هذا القدر ؟ » . فقال : « لعلنى أنه خلى ، لبس عنده شيء ... فأخذتني الرأفة عليه ، وتركت مطالبته حتى يحصل له اليسار » . فقال : « كيف تنعم بمالى على اليهودى ؟ » . فقال : « انه من حسابى » . فقال : « ومن أين كان لك ذلك ؟ » . وأمر به فبطحوه وضربوه بالعصى ، ثم أقاموه ، وأضافوا الخمسة أكياس على باقى الغرامة المطلوبة منه التى هو متخير في تحصيلها ، ولو بالاستدانة من الربويين ، كما قال القائل :

شكوت جلوس انسان ثقیل

فجاءونى بمن هو منه أثقل

فكنت كمن شكك الطاعون يوما

فزادوه على الطاعون دمل

ومحمد أفندى هذا من وجهاء الناس وخيارهم . يفعل به هذه الفعال ! ثم انحط الحال مع بكتاش أفندى على أن فرض عليه ستمائة كيس يقوم بدفعها . فقال : « ويعفونى أفندينا من نظارة الضربخانة » . فلم يجبه الى ذلك . واستمر في تلك الخدمة مكرها خائفا من عواقبها .

ومنها : أن الريال الفرانسة بلغ في مصارفته ، من الفضة العددية ، الى مائتين وثمانين نصفا ... بل وزيادة خمسة أنصاف . فنودى عليه بنقص عشرة ، وشددوا في ذلك . وبعد أيام نودى بنقص عشرة أخرى . فخر الناس حصة من أموالهم . ثم ان ذلك القرش الذى يضاف اليه من الفضة ربع درهم ، ووزن الريال تسعة دراهم فضة ، فيكون الريال الواحد ، بما يضاف اليه من النحاس على هذا الحساب ، ستة وثلاثين قرشا .. يخرج منها ثمن الريال ستة قروش ونصف ، وكلفة الشغل في الجملة قرش أو قرشان ، يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون

قرشا ونصف ، وهو المكسب في الريال الواحد .

وهو من جملة سلب الأموال ، لأن صاحب الريال ، اذا أراد صرف ، أخذ بدله ستة قروش ونصف ، وفيها من الفضة درهم ونصف وثمان ، وهي بدل التسعة دراهم التي هي وزن الريال .

ثم زيد في الطنبور نفعة ، وهي الحجر على الفضة العديدة ، فلا يصرفون شيئا منها للصيارف ولا لغيرهم ... الا بالفرط ، وهو أربعة قروش على كل ألف ، فيعطى للضربخانة تسعة وعشرون قرشا زلاط ، ويأخذ ألف فضة عنها خمسة وعشرون قرشا . ثم زادوا بعد ذلك في الفرط ، فجعلوه خمسة قروش . فيعطى ألفا ومائتين ، ويأخذ بدلها ألفا فانظر الى هذه الزيادة والرذالة ... وكذا السفالة !

ومنها . استمرار غلاء الأسعار في كل شيء ، وخصوصا في الأقوات التي لا تستغنى عنها الغنى والفقر في كل وقت ، بسبب الاحداثات والمكوس التي تروبت على كل شيء ، ومنها المأكولات كاللحم والسمن والعسل والسكر ، وغير ذلك مثل الحضارات

وابطال جميع المذابح خلاف مذبح الحسينية والتزم به المحتسب بمبلغ عظيم مع كفاية لحم الباشا وأكابر دولته بالثمن القليل ، وبوزع الباقي على الجزارين بالسعر الأعلى الذي يخرج منه ثمن لحوم الدولة من غير ثمن فينزل الجزار بما يكون معه من العنة أو الاثنى الجفيط الى بيت أو عطفة مستورة ، فتزدحم عليه المتبعون له والمنظرون اليه ، وفتح يدهم من المضاربة والمشاورة ما لا يوصف وثمان الرطل اثنا عشر نصف . وقد يزيد على ذلك ، ولا ينقص عن الاثنى عشر .

وكذلك الخضراوات التي كانت تباع جزافا ، تباع بأقصى القيمة ... حتى أن الخس مثلا ، الذي كان يباع كل عشرة أعداد بنصف واحد ، صارت

الواحدة تباع بنصف . وقس على ذلك باقى الخضراوات .

وان الباشا لما وضع يده على الأراضي القريبة ، وأنشأ السواقي تجاه القصر والبستان بنساحية شبرا ، وحرث الأراضي الخرس ، وزرع فيها أنواع الخضراوات ، وأجرى عليها المياه ، وقيد لخدمتها المراعين أيضا ، والمزارعين بالمؤاجرة ... والمباثر على ذلك كله ذو الفقار كتنخدا . وعند ما يبدو صلاح البقول والخضراوات ، يبيعها على المتسبين فيها بأعلى ثمن ، وهم يبيعونها على الناس بما أحبوا .

وشاع بين الناس اضافة ذلك الى الباشا ، فيقولون كرب الباشا ، ولقت الباشا ، وملوخية الباشا ، وفجل الباشا ، وقربيط الباشا ! وزرع أيضا بستانه من أنواع الزهور العجيبة المنظر ، والمتنوعة الأشكال . من الأحمر والأصفر والأزرق والملمون وأتوا بنقائلها من بلاد الروم . فنتجت وأقلحت ، وليس لها الا حسن المنظر فقط ، ولا رائحة لها أصلا .

ومنها أن ديوان المكس ببولاق - الذي يعبرون عنه بالكمر - لم يزل يتزايد فيه المترايدون حتى أوصلوه الى ألف وخمسمائة كيس في السنة . وكان في زمن المصريين يؤدي من يلتزمه ثلاثين كيسا ، مع محابة الكثير من الناس ، والعفو عن كثير من البصائع لمن ينسب الى الأمراء وأصحاب الوجاهة من أهل العلم وغيرهم فلا يتعرضون له ، ولو تحامى في بعض أتباعهم ولو بالكذب ، ويعاملون غيرهم بالرفق مع التجاوز الكثير ، ولا يبششون المتاع ولا رباط الشيء المحزوم بل على الصندوق أو المحزوم قدر يسير معلوم فلما ارتفع أمره الى هذه المقادير ، صاروا لا يبقون عن شيء مطلقا ، ولا يسامحون أحدا ... ولو كان عظيما من العلماء أو من غيرهم .

أى ملة كان : من نصارى القبط أو الشوام أو الأروام ، أو من يدعى الاسلام — وهم الأقل — فى الأشياء الدون . والمتولى الآن فى ديوان كمرى بولاق ، شخص نصرانى رومى يسمى كرايت . من طرف طاهر باشا لأنه مختص بإيراده ، وأعوان كرايت من جنسه ، وعنده قواسة أتراك يحجزون متاع الناس ، ويقبضون على المسلمين ، ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم . وإذا عثروا بشخص أخفى عنهم شيئا ، حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به ، وألزموه بغرامة مجازاة لفعله .

والعجب أن بضائع المسلمين يؤخذ عشرها (يعنى من العشرة واحد) ، وبضائع الأفرنج والنصارى ومن ينتسب اليهم ، يؤخذ عليها من المائة اثنان ونصف !

وكذلك أحدث عدة أشياء واحتكارات فى كثير من البضائع ، مثل السكر الذى يأتى من ناحية الصعيد ، وزيادات فى المكوس القديمة خلاف المحدثات . وذلك أن من كان بطالا ، أو كاسد الصنعة ، أو قليل الكسب ، أو خامل الذكر ، فيعمل فكرته فى شيء مهمل مغفول عنه ، ويسعى الى الحضرة بواسطة المتقربين أو بعرضحال يقول فيه : « ان الداعى للحضرة يطلب الالتزام بالصنف الفلانى ، ويقوم للخزينة العامرة بكذا من الأكياس فى كل سنة » . فاذا فعل ذلك تنبه المشار اليه ، فيوعد بالانجاز ، ويؤخر أياما . فتتسامع المتكالبون على أمثال ذلك ، فيزيدون على الطالب حتى تستقر الزيادة على شخص ، اما هو أو خلافه ، ويقيد اسمه فى دفتر الروزنامة . ويفعل بعد ذلك الملتزم ما يريده وما يقرره على ذلك الصنف ، ويتخذ له أعوانا وخدمة وأتباعا يتولون استخلاص المقررات ، ويجعلون لأنفسهم أقدارا خارجة عن الذى يأخذه كبيرهم .

والذى تولى كبر ذلك ، وفتح بابيه ، نصارى

وكان من عادة التجار اذا بعثوا الى شركائهم محزوما من الأقمشة الرخيصة ، مثل العاتكى والنبلسى ، جعلوا بداخل طيها أشياء من الأقمشة الغالية فى الثمن ، مثل المقصات الحلبي والكشميري والهندي ونحو ذلك ، فتندرج معها فى قلة الكمرى . وفى هذا الأوان يحلون رباط المحزوم ، ويقطعون الصناديق ، وينبشون المتاع ، ويهتكون ستره ، ويحصون عدده ، يأخذون عشره — أى من كل عشرة واحدا — أو ثمنه كما يبيعه التاجر ، غالبا أو رخيصة .. حتى البوانيج والأخفاف والمسوت التى تجلب من الروم ، يفتحون صناديقها ، ويمدونها بالواحد ، يأخذون عشورها عينا أو ثمنا . ويفعل ذلك أيضا متولى كمرى الاسكندرية ودمياط واسلامبول والشام .

فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شيء ، لفحش هذه الأمور .. وخصوصا فى الأقمشة الشامية والحلبيه والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف ، فإن عليها بمفردها مكوسا فاحشة قبل نسجها .

وكان الدرهم الحريرى فى السابق بنصف فضة ، فصار الآن بخمسة عشر نصفًا ، وما يضاف اليه من الأصباغ ، وكلف الصناعات ، والمكوس المذكورة ... فبذلك بلغ الغاية فى غلو الثمن ، فيباع الثوب الواحد من القماش الشامى المسمى بالألابة ، الذى كانت قيمته فى السابق مائتى نصف فضة ، بألفين فضة ... مع ما يضاف اليه من ربح البائع وطمع التاجر . والنعل الرومى ، الذى كان يباع بستين نصفًا ، صار يباع بأربعمائة نصف . والذراع الواحد من الجوخ ، الذى كان يباع بمائة نصف فضة ، بلغ فى الثمن الى ألف نصف فضة ... وهكذا مما يستقصى تتبعه ولا تستقصى مفرداته . ويتولى هذه الكمارك كل من تزايد فيها من

وأشيع أنهم وجدوا مخبآت بها ذخائر للملك مصر
الأقسامين .

ومنها : أن الباشا أرسل لقطع الأشجار المحتاج
إليها في عمل المراكب ، مثل التوت والنبق ، من
جميع البلاد القبلية والبحرية . فأنبت الميعون
لذلك في البلاد ، فلم يبقوا من ذلك الا القليل ..
لمصانة أصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم
ما يتركون . فيجتمع بترسخانة الأخشاب لصناعة
المراكب ، مع ما ينضم إليها من الأخشاب الرومية ،
شيء عظيم جدا ، يتعجب منه الناظر من كثرتة
وكلما نقص منه شيء في العمل ، اجتمع خلفه
أكثر منه .

ومنها : أن أحمد أغا ، أخا كنتخدا بيك ، لما
تقلد وكالة دار السعادة وفظارة الحرمين ، انضم
إليه أباليس الكتبة لتحرير الإيراد والمصرف .
وحصروا الأحكار المقررة على الأماكن والأطيان
التي أجزها النظار السابقون ، المدد الطويلة ،
وجعلوا عليها قدرا من المال يقبض في كل سنة
لجهة وقف أصله .. على عادة مصر السابقة واللاحقة
في استئجار الأوقاف من نظارها والأطيان والأماكن
المستأجرة من أوقاف الحرمين وتوابعها : كالديشية
والخاصكية ، والمحمدية ، والمرادية ، وغير ذلك
كثيرة جدا ..

ففتحو هذا الباب ، وتسلطوا على الناس في
طلب ما بأيديهم من السندات ، وحجج التآجرات .
فاذا اطلعوا عليها ، فلا يخلو اما أن تكون المدة
قد انقضت ومضت ، أو بقي منها بقية من السنين .
فإن كان بقي منها بقية ، زادوا في الأجرة المؤجلة .
التي هي الحكر ، مثلها أو مثليها بحسب حال المحل
ورواجه . وإن كانت المدة قد انقضت ومضت .
استولوا على عين المحل وضبطوه ، أو جددوا له
تآجرا وزادوا في حكره ، ويكون ذلك بمصلحة
جميمة . وعلى كلتا الحالتين لا بد من التعریم

الأروام والأرمن . فترأسوا بذلك ، وعلت أسافلهم
ولبسوا الملابس الفاخرة ، وركبوا البغال
والرهوانات ، وأخذوا يبيت الأعيان التي
بمصر القديمة ، وعمروها وزخرفوها ، وعملوا
فيها بساتين وجنانين ... وذلك خلاف البيوت التي
لهم بداخل المدينة . ويركب الكلب منهم ؛ وحوله
وأمامه عدة من الخدم والقواسمة ، يطردون الناس
من أمامه وخلفه . ولم يدعوا شيئا خارجا عن
المكس ... حتى الفحم الذي يجلب من الصعيد ،
والحطب السنط والرتم ، وحطب الذرة الذي كان
يباع منه كل مائة حزمة بمائة نصف ، فلما احتكروه
صار يباع كل مائة حزمة بألف ومائتي نصف .

وبسبب ذلك تشعطت أشياء كثيرة ، وغلت
أثمانها ، مثل الجبس والجير ، وكل ما كان يحتاج
للووقود .. حتى الخبازين في الأفران . فاننا أدركنا
الأردب من الجبس بثمانية عشر نصف فضة ،
والآن بمائتين وأربعين نصفا . وكذلك أدركنا
القنطار من الجير بعشرة أنصاف ، والآن بمائة
وعشرين ، والحال في الزيادة !

ومنها : أن الباشا شرع في عمارة قصر العيني ،
وكان قد تلاثى ، وخربته العسكر وأخذت أخشابه ،
ولم يبق فيه ولا الجدران . فشرع في انشائه
وتعميره وتجديده على هذه الصورة التي هو عليها
الآن .. على وضع الأبنية الرومية .

ومنها أنه هدم سراية القلعة ، وما اشتملت
عليه من الأماكن . فهدم المجالس التي كانت بها
والدواوين ، وديوان قايتباي — وهو المقعد المواجه
للداخل الى الحوش ، علو الكلار. الذي به
الأعمدة — وديوان القورى الكبير ، وما اشتمل
عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الأفندية
والقلقاوات ، أيام الدواوين ، وشرع في بنائها على
وضع آخر واصطلاح رومى . وأقاموا أكثر الأبنية
من الأخشاب ، ويبنون الأعلى قبل بناء السفلى

والمصالحات الجوانية والبرانية للكتاب والمباشرين والخدم والمعينين ، ثم المرافعة الى القاضي ، ودفع المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة السندات التي يأخذها واضع اليد .

ومنها : التحجير على الأجراء والمعمرين المستعملين في الأبنية والعمائر ، مثل البنائين والتجارين والتشارين والخراطين ، والزاهم في عمائر الدولة بمصر وغيرها بالأجرة والتسخير . واختفى الكثير منهم ، وأبطل صناعته ، وأغلق من له حانوت حانوته . فيطلبه كبير حرفته الملزم باحضاره عند معمار باشا : فاما أنه يلزم الشغل ، أو يفقد نفسه ، أو يقيم بدلا عنه ويدفع له الأجرة من عندد ! فترك الكثير صناعته وأغلق حانوته ، وتكسب بحرفة أخرى . فتعطل بذلك احتياجات الناس في التعمير والبناء .. بحيث أن من أراد أن يبنى له كائونا أو مذودا لدابته ، تحير في أمره ، وأقام أياما في تحصيل البناء وما يحتاجه من الطين والجير والقصرمل .

وكان الباشا اشترى ألف حمار ، وعملوا لها مزابل ، وأعدوها لنقل أترية عمائره وشيئ القصرمل من مستودعات الحمامات بالمدينة ببولاق ، ونودي في المدينة بمنع الناس كافة عن أخذ شيء من القصرمل . فكان الذي تلزمه الضرورة لشيء منه ، ان كان قليلا ، أخذه كالسرقة في الليل من المستودع بأغلى ثمن ، وان كان كثيرا لا يأخذه الا بفرمان بالأذن من كتخد بيك ، بعد أن كان شيئا مبتذلا ، وليس له قيمة ... ينقلونه اذا كثر بالمستودعات الى الكيمان بالأجرة . وان احتاجه الناس في أبنيتهم : اما نقلوه على حبيرهم ، أو نقله خدمة المستودع بأجرتهم : كل فردين بنصف وأقل وأزيد ... ونحو ذلك . كما اذا ضاع لانسان مفتاح

خشب ، لا يجد نجارا يصنع له مفتاحا آخر الا خفية ، ويطلب ثمنه خمسة عشر نصف فضة ! وكان من عادة المفتاح نصف فضة ان كان كبيرا ، أو نصف نصف ان كان صغيرا .

ومنها : أن الذي التزم بعمل البارود قرر على نفسه مائتي كيس ، واحتكر جميع لوازمه ، مثل الفحم وخطب الترمس والذرة والكبريت ، فقرر على كل صنف من ذلك قدرا من الأكياس ، وأبطل الذين كانوا يعملون في السباخ بالكيمان ، ويستخرجون منه ملح البارود ، ثم يؤخذ منهم عبيطا الى المعمل ، فيكررونه حتى يخرج ملحا أبيض يصلح للعمل . وهي صناعة قدرة متنهنة ، فأبطلهم منها ، وبنى أحواضا بدلا عن الصناديق ، وجعلها متسعة ، وطلاها بالخافقي ، وعمل ساقية ، وأجرى الماء منها الى تلك الأحواض ، وأوقف العمال لذلك بالأجرة يعملون في السباخ المذكور .

ومنها : شحة الخطب الرومي في هذه السنة ، واذا ورد منه شيء حجزه الباشا لاحتياجاته ، فلا يرى الناس منه شيئا . فكان الخطابة يبيعون بدله خشب الأشجار المقطوعة من القطر المصري ، وأفضلها السنط ، فيباع منه الحملة بثلاثمائة نصف فضة ، وأجرة حملها عشرة ، وتكسيها عشرة . وعز وجود الفحم أيضا حتى بيعت الأقة بعشرين نصفا ، وذلك لانقطاع الجالب ... الا ما يأتي قليلا من ناحية الصعيد مع العسكر .. يتسبون فيه ويبيعونه بأعلى ثمن : كل حصيرة بائني عشر قرشا وخمسة عشر قرشا - وبني دون القنطار - وكانت تباع في السابق بستين نصفا ، وهي قرش ونصف وغير ذلك أمور واحداثات وابتداعات لا يمكن استقصاؤها ، ولم يصل اليها خبرها ... اذ لا يصل اليها الا ما تعلق به اللوازم والاحتياجات الكلية . وقد يستدل بالبعض على الكل .

أما من مات في هذه السنة ممن له ذكر :

فمات الشيخ الامام العلامة ، والتحرير الفهامة ،
الفقيه الأصولي النحوي ، شيخ الاسلام والمسلمين :

الشيخ عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشافعي
الأزهري الشهير بالشرقاوي ، شيخ الجامع الأزهر .

ولد ببلدة تسمى « الطويلة » بشرقية بلبس
بالقرب من القرين ، في حدود الخمسين بعد المائة ،
وتربى بالقرين فلما ترعرع ، وحفظ القرآن ،

قدم الى الجامع الأزهر ، وسمع الكثير من
الشهابين : الملو ، والجوهري ، والحفني ، وأخيه
يوسف ، والدمهوري ، والبليدي ، وعطية
الأجهوري ، ومحمد الفارسي ، وعلى المنسفي

الشهير بالصعيد ، وعمر الطحلاوي .. وسمع
الموطأ فقط على علي بن العربي الشهير بالسقاط

وبأخرة تلقن بالسلوك والطريقة على شيخنا الشيخ
محمود الكردي ، ولازمه ، وحضر معنا في أذكاره
وجمعياته ، ودرس الدروس بالجامع الأزهر ،
وبمدرسة البنائية بالصنادقية ، وبرواق الجبرت
والطبرسية وأفتى في مذهبه ، وتميز في الالقاء
والتنحير . وله مؤلفات دالة على سعة فضله ..

من ذلك : حاشيته على التحرير ، وشرح نظم يحيى
العريطي ، وشرح العقائد المشرقية والمتن له أيضا ،
وشرح مختصر في العقائد والفقه والتصوف —
مشهور في بلاد داغستان — وشرح رسالة
عبد الفتاح العادلي في العقائد ، ومختصر الشمائل
وشرحه له ، ورسالة في لا اله الا الله ، ورسالة
في مسألة أصولية في جمع الجوامع ، وشرح الحكم

والوصايا الكردية في التصوف ، وشرح ورد سحر
للبركي ، ومختصر المغنى في النحو .. وغير ذلك .

ولما أراد السلوك في طريق الخلوتية ، ولقنه
الشيخ الحفني الاسم الأول حصل له وله واختلال
في عقله ، ومكث بالمارستان أياما ، ثم شفى ، ولازم
الاقراء والافادة ، ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود
الكردي ، وقطع الأسماء عليه ، وألبسه التاج ،
وواظب على مجالسته

وكان في قلة من خشونة العيش ، وضيق المعيشة ،
فلا يطبخ في داره الا نادرا ، وبعض معارفه
يواسونه ، ويرسلون اليه الصحن من الطعام ، أو
يدعونه ليأكل معهم .

ولما عرفه الناس ، واشتهر ذكره ، واصله
بعض تجار الشوام وغيرهم بالزكوات والهدايا
والصلوات ... فراج حاله ، وتجل بالملابس ، وكبر
تاجه . ولما توفي الشيخ الكردي ، كان المترجم من
جملة خلفائه ، وضم اليه أشخاصا من الطلبة
والمجاورين الذين يحضرون في درسه : يأتون اليه
في كل ليلة عشاء يذكرون معه ، ويعمل لهم في
بعض الأحيان ثريدا ، ويذهب بهم الى بعض البيوت
في مياثم الموتى ، وليالي السبح والجمع المعتادة ،
ومعهم منشدون ومولهون ، ومن يقرأ الأعشار عند
ختم المجلس ، فيأكلون العشاء ، ويسهرون حصاة
من الليل في الذكر والانشاد والتولة ، وينادون في
انشادهم بقولهم : « يابكري مدد ، يا حفني مدد ،
يا شرقاوي مدد » . ثم يأتون اليهم بالطاري ، وهو
الطعام ، بعد انقضاء المجلس ، ثم يعطونهم أيضا

دراهم . ثم اشترى له دارا بحارة كتامة ، المسماة بالعينية ، وساعده في ثمنها بعض من يعاشره من المياسير ، وترك الذهاب الى البيوت ... الا في التادر .

واستمر على حاله حتى مات الشيخ أحمد العروسي ، فتولى بعده مشيخة الجامع الأزهر ، فزاد في تكبير عمامته وتعظيمها ، حتى كان يضرب بعظمها المثل . وكانت تعارضت فيه وفي الشيخ مصطفى الصاوي . ثم حصل الاتفاق على المترجم ، وأن الشيخ الصاوي يستمر في وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية ، المجاورة لضريح الامام الشافعي بعد صلاة العصر ، وهي من وظائف مشيخة الجامع . ولما تولاهما الشيخ العروسي ، تعدى على الوظيفة المذكورة الشيخ محمد المصليحي الضرير ، وكان يرى في نفسه أنه أحق بالمشيخة من العروسي .. فلم ينازعه فيها حسما للشر .

فلما مات المصليحي تنزه عنها العروسي ، وأجلس فيها الصاوي ، وحضر درسه في أول ابتدائه لكونه من خواص تلامذته . فلما مات العروسي وتولى المترجم للمشيخة ، اتفقوا على بقاء الصاوي في الوظيفة ، ومضى على ذلك أشهر . ثم ان المجتمعين على الشرقاوي وسوسوا له ، وحرضوه على أخذ الوظيفة ، وأن مشيخته لا تتم الا بها — وكان مطواعا — فكلّم في ذلك الشيخ محمد بن الجوهري ، وأيوب بيك الدفتردار ، ووافقاه على ذلك ، واغتر بها ، وذهب بجبايته ومن انضم اليهم — وهم كثيرون — وقرأ بها درسا .

فلم يحتمل الصاوي ذلك ، وتشاور مع ذوى الرأي والمكاييد من رفقائه — كالشيخ بدوي الهيتي وأضرابه — فبيتوا أمرهم ، وذهب الشيخ مصطفى الى رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك الكبير — وله به صداقة ومعاملة ومقارضة — فسامحه في

مبلغ كان عليه له . فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور ، وحضر عند الشرقاوي ، وتكلم معه وأفحمه . ثم اجتمعوا في ثاني يوم بيت الشرقاوي ، وحضر الصاوي وعزوته ، وباقي الجماعة ، فقال الشرقاوي : « اشهدوا يا جماعة أن هذه الوظيفة استحقاقى ، وأنا نزلت عنها الى الشيخ مصطفى الصاوي » . فقال له الصاوي : « ارجع .. أما الآن فلا . ولا جميلة لك الآن في ذلك » . وبأكثره بكلام كثير ، وبانفاذه لرأى من حوله ، وغير ذلك .

وانفض المجلس على منعه من الوظيفة ، واستمرار الصاوي فيها الى أن مات ، فعادت الى المترجم عند ذلك من غير منازع ، فواظب الاقراء فيها مدة ، وطالب سدة الضريح بعلومها ، فمطلوه ، فتشاجر معهم وسبهم ، فشكوه للمعاضدين لهم ، وهم أهل المكاييد من الفقهاء وغيرهم ، وتعصبوا عليه ، وأنهوا الى الباشا ، وضموا الى ذلك أشياء ... حتى أوغروا عليه صدره ، واتفقوا على عزله من المشيخة . ثم انخط الأمر على أن يلزم داره ولا يخرج منها ، ولا يتداخل في شيء من الأشياء . فكان ذلك أياما ، ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضى ، فركب وقابله ، ولكن لم يعد الى القراءة في الوظيفة .. بل استتاب فيها بعض الفقهاء ، وهو الشيخ محمد الشبراويني . ولما حضرت الفرنساوية الى مصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ، ورتبوا ديوانا لاجراء الأحكام بين المسلمين ، جعلوا المترجم رئيس الديوان . وانتفع في أيامهم بما يتحصل اليه من المعلوم المرتب له عن ذلك ، وقضايا وشفاعات لبعض الأجناد المصرية ، وجعالات على ذلك ! واستيلاء على تركات وودائع خرجت أربابها في حادثة الفرنساوية ، وهلكوا .

واتسعت عليه الدنيا ، وزاد طمعه فيها ، واشترى دار بن يبره بظاهر الأزهر — وهي دار واسعة من مساكن الأمراء الأقدمين — وزوجته بنت الشيخ

على الزعفراني هي التي تدبر أمره وتحرز كل ما ياتيه ويجمعه ، ولا يروح ولا يغدو الا عن أمرها ومشورتها . وهي أم ولده سيدى على .. الموجود الآن .

وكانت قبل زواجه بها في قلة من العيش ، فلما كثرت عليه الدنيا ، اشترت الأملاك والعقار ، والحمامات والحوانيت ، بما يغل ايراده مبلغا في كل شهر له صورة . وعمل مهتمًا لزواج ابنه المذكور في أيام محمد باشا خسرو سنة سبع عشرة ومائتين وألف ، ودعا اليه الباشا وأعيان الوقت ، فاجتمع اليه شيء كثير من الهدايا . ولما حضر اليه الباشا أنعم على ابنه بأربعة أكياس عنها ثمانون ألف درهم ، وذلك خلاف البقاشيش .

واتفق للمترجم في أيام الأمراء المصرية أن طائفة المجاورين بالأزهر ، من الشرقاوين ، يقطنون بمدرسة الطيرسية بباب الأزهر ، وعمل لهم المترجم خزائن يرواق معمر ، فوقع بينهم وبين بعض المجاورين بها مشاجرة ، فضربوا قليب الرواق . فتعصب لهم الشيخ ابراهيم السجيني — شيخ الرواق — على الشرقاوين ، ومنعواهم من الطيرسية وخزائنها ، وقهروا المترجم وطاقفته . فتوسط بامرأة عبياء فقيهة — تحضر عنده في درسه — الى عديلة هانم ابنة ابراهيم بيك . فكلمت زوجها ابراهيم بيك — المعروف بالوالى — بأن يبنى له مكانا خاصا بطائفته . فأجابه الى ذلك ، وأخذ سكن امام الجامع المجاور لمدرسة الجوهريّة ، من غير ثمن ، وأضاف اليه قطعة أخرى ، وأنشأ ذلك رواقا خاصا بهم ، ونقل اليه الأحجار والعمود الرخام الذى بوسطها من جامع الملك الظاهر بيبرس ، خارج الحسينية ، وهو تحت نظر الشيخ ابراهيم السجيني ، ليكون ذلك نكاية له نظير تعصبه عليه . وعمل به قوائم وخزائن ، واشترى له غلالا من

جرايات الشون وأضافها الى أخباز الجامع ، وأدخلها في دفتره ، يستلمها خباز الجامع ويصرفها خبز قرصة لأهل ذلك الرواق في كل يوم . ووزعها على الأتقار الذين اختارهم من أهل بلاده .

ومما اتفق للمترجم أن بخارج باب البرقية «خانكاه» أنشأتها خوند طغاي الناصرية بالصحراء ، على يمنة السالك الى وهدة الجبانة المعروفة الآن بالبستان ، وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له « ابن الشاهيني » . فلما مات تقرر في نظرها المترجم ، واستولى على جهات ايرادها . فلما ولج الفرنساوية أراضي مصر ، وأخذوا القلاع فوق التلول والأماكن المستعيلة حوالى المدينة . هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط الشمالية ، وتركوها على ذلك .

فلما ارتحلوا عن أرض مصر بقيت على وضعها في التخرب ، وكانت ساقيتها تجاه بابها في علوة يصعد اليها بمزلقان ، ويجرى الماء منها الى الخانكاه على حائط مبنى ، وبه قنطرة يمر من تحتها المارون ، وتحت الساقية حوض لسقى الدواب . وقد أدركنا ذلك ، وشاهدنا دوران الثور في الساقية .

ثم ان المترجم أبطل تلك الساقية ، وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عليه قبة ، وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عالٍ مربع ، وعلى أركانه عساكر فضة ، وبنى بجانبها قصرا ملاصقا لها يحتوى على أروقة ومساكن ، ومطبخ وكلاز .

وذهبت الساقية في ضمن ذلك وجعلها بئرا وعليه خرزة يملأون منها بالدلو ، ونسيت تلك الساقية وانطمست معالمها ، وكأنها لهم تكن .

وقد ذكر هذه الخانكاه العلامة المقرئى في خطه عند ذكر الخوانك — لا بأس بإيراد ما نصه للمناسبة — فقال :-

« خانكاه أم أنوك ... هذه الخانكاه خارج باب البرقية بالصحراء ، أنشأتها الخاتون طغاي تجاه تربة الأمير طاشتمر الساقى . فجاءت من أجل المباني ، وجعلت بها صوفية وقراء ، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة ، وقررت لكل جارية من جواربها مرتبا يقوم بها » .

ثم ترجمها بقوله : « طغاي الخوندة الكبرى ، زوج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأم ابنه الأمير « أنوك » كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ، ويقال انها أخت الأمير آقبعأ عبد الواحد ، وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال ، رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ، وتنعمت فى ملاذ ما وصل سواها لمثلها ، ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها ، وصارت خونده بعد ابنة توكاى ... أكبر نسائه ، حتى من ابنة الأمير « تنكز » ، وحج بها القاضى كريم الدين الكبير ، واحتفل بأمرها ، وحمل لها البقول فى محابر طين على ظهور الجمال ، وأخذ لها الأبقار الحلابة ، فسارت معها طول الطريق ، لأجل اللبن الطرى والجبن ، وكان يقلى لها الجبن فى الغداء والعشاء .

« وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن واللبن فى كل يوم بطريق الحج ! فما عساه يكون بعد ذلك !

« وكان القاضى كريم الدين ، وأمير مجلس ، وعدة من الأمراء يترجلون عند النزول ، ويسرون بين يدى محفتها ويقبلون الأرض لها ، كما يفعلون بالسلطان .

« ثم حج بها الأمير بشتاك فى سنة تسع وثلاثين وسبعماية ، وكان الأمير تنكز اذا جهز من دمشق مقدمة للسلطان لا بد أن يكون لخوند طغاي منها جزء وافر .

« فلما مات السلطان الملك الناصر ، استمرت عظمتها من بعده الى أن ماتت فى شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعماية ، أيام الوباء ، عن ألف جارية وثمانين خصيا ، وأموال كثيرة جدا وكانت غفيرة طاهرة ، كثيرة الخير والصدقات والمعروف ... جهزت سائر جواربها ، وجعلت على قبر ابنها — بقبة المدرسة الناصرية ، بين القصرين — قراء ، ووقفت على ذلك وقفا ، وجعلت من جملته خبرا يفرق على الفقراء ، ودفنت بهذه الخانكاه ، وهى من أعر الأماكن الى يومنا هذا » .

يقول الحقيق : انى دخلت هذه الخانكاه فى أواخر القرن الماضى ، فوجدت بها روحانية لطيفة ، وبها مساكن وسكان قاطنون بها ، وفيهم أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء ، ودخلت الى مدفن الواقعة وعلى قبرها تركية من الرخام الأبيض ، وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرسى بخط جليل وهى مذهبة ، وعليها اسم الواقعة رحمها الله تعالى ... فلو أن الشيخ المترجم عمر هذه الخانكاه بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة وذكر حسن فى حياته ، وبعد مائة . وبالله التوفيق .

وللمترجم طبقات جمعها فى تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين من أهل عصره ، ومن قبلهم من أهل القرن الثانى عشر ... نقل تراجم المتقدمين من طبقات السبكي والأسنوى ، وأما المتأخرون فنقلهم من تاريخنا هذا بالحرف الواحد .

وأظن أن ذلك آخر تأليفاته ، وعمل تاريخا قبله مختصرا فى نحو أربعة كراريس — عند قدوم الوزير يوسف باشا الى مصر ، وخروج الفرنساوية منها — وأهداه اليه ، عدد فيه ملوك مصر ، وذكر فى آخره خروج الفرنسيين ودخول العثمانية — فى نحو ورقتين — وهو فى غاية البرود ، وغلط فيه غلطات ، منها : أنه ذكر الأشرف شعبان بن الأمير حسين

ابن الناصر محمد بن قلاوون . فجعله ابن السلطان حسن .. ونحو ذلك .

ولم يزل المترجم حتى تعلق ومات ، في يوم الخميس ثاني شهر شوال من السنة ، وصلى عليه بالأزهر في جمع كثير ، ودفن بمدفنه الذي بناه لنفسه كما ذكر ، ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة ، أكبر من طييزته التي كان يلبسها في حياته بكثير ، وعموها بشاش أخضر ، وعصبوها بشال كشميري أحمر ، ووقف شخص عند باب مقصورته ، ويده مفرعة يدعو الناس لزيارته ، يأخذ منهم دراهم !

ثم ان زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ابتلعوا له مولدا وعيدا في أيام مولد العفيفي ، وكتبوا بذلك فرماتا من الباشا ، ونادى به تاج الشرطة بأسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد ، وكتبوا أوراقا ورسائل للأعيان ، وأصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور ، وذبحوا ذبائح ، وأحضروا طبائخين وفراشين ، ومدوا أسبطة بها أنواع الأطعمة والحلاوات والمحمرات والخشافات لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والأعيان وأرباب الأشراف والبدع ، ونصبوا قبالة تلك القبة صواري علقوا بها قناديل وبيارق وشراريف حمراء وصفراء يلوحها الريح . واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس ، وعملوا قهاوى وبياعين الحلوى والمخللات والترمس المصح والبول المقل ، ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الأموات ، وأوقدوا بها النيران ، وصبوا عليها القاذورات ... مع ما يلحقهم من البول والغائط . وأما ضجة الأوباش والأولاد وصراخهم وفرقتهم بالبارود ، وصياحهم وضجيجهم ، فقد شاهدنا به ما كنا نسمعه من غفارت الترب ، وضرب المثل بهم ، فهم أقبح منهم ، فان الغفارت الحقيقة لم نر لهم أفعالا مثل هذه !

ولما مات الشيخ المترجم ، ومضى على موته ثلاثة أيام ... اجتمع المشايخ في يوم الأحد ، خامسه ، وطلعوا القلعة ، ودخلوا الى الباشا ، وذكروا له موت المترجم ، ويستأذنه فيمن يجعلونه شيخا على الأزهر . فقال لهم الباشا : « أعملوا رأيكم ، واختاروا شخصا يكون خاليا عن الأغراض ، وأنا أقبله ذلك » . فقاموا من مجلسه ، ونزلوا الى بيوتهم ، واختلفت آراؤهم : فالبعض اختار الشيخ المهدي ، والبعض ذكر الشيخ محمد الشنواني ، وأما الشيخ محمد الأمير فانه امتنع من ذلك ، وكذلك ابن الشيخ العروسي .

والشيخ الشنواني المذكور منعزل عنهم ، وليس له درس بالأزهر ، ويقرأ دروسه بجامع الفاكهاني — الذى فى العقادين — ويده وظائف خدم الجامع ، وعند فراغه من الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ، ويغسل القناديل ، ويعمرها بالزيت والفتائل ... حتى يكنس المرايض ! فلما بلغه أنهم ذكروه ... تغيب .

ثم ان الباشا أمر القاضى ، وهو بهجة أفندى ، بأن يجمع المشايخ عنده ، ويتفقوا على شخص يجتمع رأيهم عليه بالشرط المذكور . فأرسل اليهم القاضى وجمعهم .. وذلك في يوم الثلاثاء سابعه . وحضر فقهاء الشافعية ، مثل القويسنى والفضالى ، وكثير من المجاورين والشوام والمغاربة ، فسأل القاضى : « هل بقى أحد ؟ » . فقالوا : « لم يكن أحد غائبا عن الحضور الا ابن العروسي ، والهيتمى ، والشنوانى » . فأرسلوا اليهم . فحضر العروسي والهيتمى . فقال : « وأين الشنوانى ؟ فلا بد من حضوره » . فأرسلوا رسولا فغاب ورجع ويده ورقة ، ويقول الرسول : « انه له ثلاثة أيام غائبا عن داره ، وترك هذه الورقة عند أهله ، وقال ان طلبوني أعطوهم هذه الورقة » . فأخذها القاضى

وقراها جهارا، يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، لحضرة شيخ الاسلام ، اننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوى الهيتى » الى آخر ما قال . فعندما سمع الحاضرون ذلك القول ، قاموا قومة ، وأكثرهم طائفة الشوام ، وقال بعضهم : « هو لم يثبت له مشيخة حتى أنه ينزل عنها لغيره » . وقال كبارهم من المدرسين : « لا يكون شيخا من يدرس العلوم ، ويفيد الطلبة » . وزادوا فى اللفظ ، فقال القاضى : « ومن الذى ترضونه ؟ » ، فقالوا : « نرضى الشيخ المهدي » ، وكذلك قال البقية . وقاموا وصافحوه ، وقرأوا الفاتحة .

وكتب القاضى اعلاما الى الباشا بما حصل ، وانقض الجمع ، وركب الشيخ المهدي الى بيته فى كبكبة ، وحوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين ، وشربوا الشربات ، وأقبلت عليه الناس نلتهنة .

وانتظر جواب الاعلان بقية ذلك اليوم ، فلم يأت الجواب . ومضى اليوم الثانى والمدبرون يدبرون شغلهم ، وأحضروا الشيخ الشنوانى من المكان الذى كان متغييا فيه بمصر القديمة ، وتمموا شغلهم ، وأحضروا السيد منصور اليافاوى — المنفصل عن مشيخة الشوام — ليلا ، ليعيده الى مشيخة الشوام ، ويمنعوا الشيخ قاسما المتولى قمعا له ولطائفته ، الذين تناولوا فى مجلس القاضى بالكلام ، وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل ، وركبوا فى الصباح الى القلعة ، فقابلوا الباشا ، فخلع على الشيخ محمد الشنوانى فروة سمور ، وجعله شيخا على الأزهر ، وكذلك على السيد منصور اليافاوى ، ليكون شيخا على رواق الشوام كما كان فى السابق . ثم نزلوا وركبوا وصحبهم أغات الينكجيرية بهيئة الموكب ، وعلى رأسه المجوزة الكبيرة ، وأمامه الملازمون بالبراقع والريش على

رؤوسهم . وما زالوا سائرين حتى دخلوا حارة خوشقدم ، فنزلوا بدار ابن الزليجى ، لأن دار ذات الشيخ الشنوانى صغيرة وضيقة لا تسع ذلك الجمع . والذى أنزله فى ذلك المنزل السيد محمد المحروقى ، وقام له بجميع الاحتياجات ، وأرسل من الليل الطباخين والفراشين والأغنام والأرز والحب والسمن والعسل والسكر والقهوة ، وأوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام والتهنئة ، ومناولة القهوة والشربات ، والبخور وماء الورد . وازدحمت الناس عليه ، وأتوا أفواجا اليه ، وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره .

ووصل الخبر الى الشيخ المهدي ومن معه ، وحصل لهم كسوف ، وبطلت مشيخته .

ولما كان يوم الجمعة ، حضر الشيخ الجديد الى الأزهر ، وصلى الجمعة ، وحضر باقى المشايخ ، وعملوا الختم للشيخ الشرقاوى ، وحصل ازدحام عظيم ، وخصوصا للتفرج على الشيخ الجديد ، وكأنه لم يكن طول دهره بينهم ولا يلتفتون اليه ! وبعد فراغ الختم أنشد المنشد قصيدة يرثى بها المتوفى ، من نظم الشيخ عبد الله العدوى ، المعروف بالقاضى ، وانقض الجمع .

ومات الأستاذ المكرم ، بقية السلف الصالحين ، ونتيجة الخلف المعتقد : الشيخ محمد ، المكنى أنا السعود ، ابن الشيخ محمد جلال ابن الشيخ محمد أفندى ، المكنى بأبى المكارم ، ابن السيد عبد المنعم ابن السيد محمد ، المكنى بأبى السرور ، صاحب الترجمة ابن السيد ، القطب الملقب بأبى السرور البكرى ، الصديقى العبرى من جهة الأم ، تولى خلافة سجادتهم فى سنة سبع عشرة ومائتين وألف عندما عزل ابن عمه السيد خليل البكرى . ولم تكن الخلافة فى فرعهم ، بل كانت فى أولاد الشيخ احمد بن عبد المنعم ،

وآخرهم السيد خليل المذكور . فلما حضرت
العثمانية الى مصر ، واستقر في ولايتها محمد باشا
خسرو ، سعى في السيد خليل الكارهون له ،
وأنهوا اليه فيه ، ورموه بالقبايح ، ومنها : تداخله
في الفرنسيين ، وامتزاجه بهم . وعزلوه من نقابة
الأشراف ، وردت للسيد عمر مكرم . ولم يكتفوا
بذلك ، وذكروا أنه لا يصلح لخلافة البكرية ،
فقال الباشا : « وهل موجود في أولادهم
خلافة ؟ » . قالوا : « نعم » . وذكروا المترجم
فيمن ذكروه ، وأنه قد طعن في السن ، وفقير من
المال ، فقال الباشا : « الفقر لا ينفي النسب ! »
وأمر له بفرس وسرج وعباءة - كمادة مركوبهم -
فأحضروه وألبسوه التاج والفرجية ، وخلع عليه
الباشا فروة سمور ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ،
وأن يأخذ له فائظا في بعض الاقطاعات ، ويعفى من
الجلوان . وسكن بدار جهة باب الخرق ، وراج
أمره ، واشتهر ذكره من حينئذ ، ومار سيرا حسا
مقرونا بالكمال ، جاريا على نسق نظامهم بحسب
الحال ، ويتحاكم لديه خلفاء الطرائق الصوفية ،
وأصحاب الأشرار البدعية كالأحمدية والرافعية
والبرهامية والقادرية فيفصل فوائدهم العادية
وينتقل في أوائل شهر ربيع الأول الى دار بالأزبكية
بدرج عبد الحق ، فيعمل هناك وليمة المولد
النبوي على العادة ، وكذلك مولد المعراج في شهر
رجب بزواية الدشطوطى ... خارج باب العدوى .

ولم يزل على حاله وطريقته - مع انكسار
النفس - الى أن ضعفت قواه ، وتعلل ولازم
الفراش . فعند ذلك طلب الشيخ الشنوائى ، وباقي
المشايع ، وعرفهم أن مرضه الذى هو به مرض
الموت ، لأنه بلغ التسعين وزيادة ، وأنه عهد
بالخلافة على سجداتهم لولده السيد محمد لأنه بالغ
رشيد ، والتمس منهم بأن يركبوا معه من الغد ،

ويطلعوا الى القلعة ، ويقابلوا به الباشا فأجابوه
الى ذلك ، وركبوا من الغد ، سحبتة ، الى القلعة ،
فخلع عليه الباشا فروة سمور ، ونزل الى داره
بالأزبكية بدرج عبد الحق .

وتوفى المترجم في أواخر شهر شوال من السنة ،
وحضروا بجنائزته الى الأزهر ، فصلوا عليه ،
وذهبوا به الى القرافة ، ودفن بمشهد أسلافهم .
رحمه الله تعالى .

ومات الأجل المكرم ، المهذب في نفسه ، النادرة
في أبناء جنسه : محمد افندى الودنلى ، الذى عرف
بناظر المهمات ، ويعرف أيضا بـ « طبل » ، أى
الأعرج ، لأنه كان به عرج .

قدم الى مصر في أيام قدوم الوزير يوسف باشا ،
ولاه محمد باشا خسرو كشنوفية أسسيوط ثم
رجع الى مصر في ولاية مجمد على باشا ، فجعله
ناظرا على مهمات الدولة ، وسكن بيت سليمان
أفندى ميسوا ، بعطفة أبى كلبه بناحية الدرب
الأحمر ، فتقيد بعمل الخيام والسروج واليرقات ،
ولوازم الحروب ، فضاقت عليه الدار ، فاشترى
بيت ابن الدالى باللبودية ، بالقرب من قنطرة عمر
شاه - وهى دار واسعة عظيمة متخربة - هى وما
حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن
بها ، رتب بها ورشات أرباب الأشغال والصنائع
والمهمات المتعلقة بالدولة ، كسبك المدافع والجلل
والقناير والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام
والسروج ، ومصاريف طوائف العساكر الطبقجية
والعربجية والرماة ، وعمر ما حول تلك الدار من
الرباع والحوانيت والمسجد الذى بجواره ، ومكتبا
لاقراء الأطفال ، ورتب تدريسا في المسجد المذكور
بعد العصر ، وقرر فيه السيد أحمد الطحطاوى
إنحفى ، ومعه عشرة من الطلبة ، ورتب لهم ألف

عثمانى ، تصرف لهم من الروزنامة ، وللأطفال وكسوتهم خلاف ذلك ، ويشترى في عيد الأضحى جواميس وكباشا ، يذبح منها ويفرق على الفقراء والموظفين ، ويرسل الى أصحابه عدة كباش في عيد الأضحى الى بيوتهم — الكبش والكبشين — على قدر مقاديرهم ، ويرسل في كل ليلة من ليالى رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم الى الفقراء بالجامع الأزهر .

واتفق أن الباشا قصد تعبير المجرة والسواقى التى تنقل الماء من النيل الى القلعة . وكانت قد تهست وتخربت وتلاشت ، وبطل عملها مدة سنين . فأحضروا المعمارية ، فحولوا عليه أمرها ، وأخبروه أنها تحتاج خمسمائة كيس تنفق في عمارتها ، فعرض ذلك على المترجم فقال له : « أنا أعرها بمائة كيس » . قال : « كيف تقول ؟ » . قال : « بل بشمانين كيسا » .

والتزم بذلك ، ثم شرع في عمارتها حتى أتمها على ما هو عليه الآن ، وأهدى اليه رجال دولتهم عدة أثوار معونة له ، فعمل أيضا سواقىها ، وأدارها ، وجرى فيها الماء الى القلعة ونواحيها ، وافتتح بها أهل تلك الجهات ، ورخص الماء ، وكثر في تلك الأخطاط ، وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء عدة سنين .

ومما عد من مناقبه أن القلقات المقيدين بالمراكز وأبواب المدينة ، كانوا يأخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين ، من الفلاحين وغيرهم ، ومعهم أشياء أو أحنال — ولو حطبا أو برسيا أو تبنا أو سرجينا — دراهم على كل شيء ، ولو امرأة فقيرة معها ، أو على رأسها ، مقطف من رجيع البهائم تبيعه في الشارع وتقتات بشمنه ... فيحجزونها ولا يدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف

فضة ، ثم يأخذون أيضا من ذلك الشيء ، ويأخذون على كل حمل حمار أو بغل أو جمل نصف فضة . وإذا اشترى شخص من ساحل بولاق أو مصر القديمة أردب غلة أو حملة حطب لعياله ، أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون . فإذا خلص منهم استقبله الكائنون بالباب الحديد ... وهكذا سائر الطرق التى يدخل منها المارة الى المدينة ويخرجون ، مثل باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب الشعرية ، وباب العدوى ، وطرق الأزبكية وباب القرافة والبرقية وطرق مصر القديمة . فسعى المترجم بإبطال ذلك ، وتكلم مع الباشا ، وعرفه تضرر الناس ... وخصوصا الفقراء . وهؤلاء المتقيدون لهم علائف يقبضونها من الباشا كغيرهم — وهذا قدر زائد — فرخص له في إبطال هذا الأمر ، وكتب له « بيورلدى » بمنع هؤلاء المركوزين عن أخذ شيء من الناس جملة كافية . وقيد بكل مركز شخصا من أتباعه لمراقبتهم ، وأشاع ذلك في الناس . فأنكفوا وامتنعوا عن أخذ شيء من عامة الناس .

وكانوا يجمعون من ذلك مقادير من الفضة العددية يتقاسمونها آخر النهار ، وذلك خلاف ما يأخذونه من الأشياء المحمولة ، كالجن والزبد والحيار والقثاء ، وأنواع البطيخ والفاكهة والبرسيم والأحطاب والخضارات وغير ذلك .

ومن مناقبه أيضا : أن الجاويشية والقواسة الأتراك ، المختصين بخدمة الباشا والكتخدا ، كان من عوائدهم القبيحة أنهم في كل يوم جمعة يلبسون أحسن ملابسهم ، وينتشرون بالمدينة ، ويطوفون على بيوت الأعيان ، وأرباب المظاهر ، وأصحاب المناصب ، ويأخذون منهم البقاشيش ، ويسمونهم الجمعية — فما هو الا أن يصطحب أحد من ذكر ، ويجلس مجلسه ، الا واثنان أو ثلاثة عابرون عليه من غير استئذان ، فيقفون قبالة وبأيديهم العصي

المفضضة ، فيعطيههم القرشين أو الثلاثة ... بحسب منطبه ومقامه . فاذا ذهبوا وانصرفوا حضر البه خلافهم ... وهكذا . ولا يرون في ذلك ثقلا ولا رذالة ، بل يرون أن ذلك من اللزمات الواجبة . فلا يكفي أحد المقصودين : الخمسون قرشا ، أو أقل ، أو أكثر — في ذلك اليوم — تذهب سهلا . فكان منهم من ينقطع في حريمه ذلك اليوم ، أو يتوارى ويتغيب عن منزله . فاذا صادفوه مرة أخرى ذاكروه فيما فاتهم في السابق : فاما سائحوه وامتنوا عليه بتركها ، أو طالبوه بها ان لم يكن ممن يخشوه ، فسعى أيضا المترجم مع الباشا في منعهم من ذلك .

ومن مساويه : أنه أول من فتح باب الزيادة في متحصل الضريبة ، حتى تنبه الباشا من ذلك الوقت لأهل الضريبة ، وأوقع بهم ما تقدم ذكره . ومنها احداث المكس على اللبان والحناء والصمغ على ما قيل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلا أن تعد معاياه

وبالجملة « فمن رأس العين يأتي الكدر » كما قاله الليث بن سعد لما سأله الرشيد ، وقال له : « يا أبا الحرث . ما صلاح بلدكم ؟ » . فقال له : « أما صلاح أمر زراعتها وجدها وخصبها ... فبالليل . وأما صلاح أحكامها ... فمن رأس العين يأتي الكدر » . فقال له : « صدقت » . ذكر ذلك الحافظ بن حجر في « المرحمة الغيثية في الترجمة الليثية » .

وعلى كل ... فكان المترجم أحسن من رأينا في هذه الدولة . وكان قريبا من الخير وفعله ، مواظبا على الصلوات الخمس في أوقاتها ، ملازما على الاشتغال ومطالعة الكتب ، والممارسة في دقائق

الفنون . واقتنى كتباً كثيرة في سائر الفنون واستنباط الصنائع ، حتى أنه صنع الجوخ الملون الذي يعمل ببلاد الافرنج ، ويجلب الى الآفاق ، ويلبسه الناس للتجمل ... وكان قل وجوده بمصر ، وغلا ثمنه . فعمل عدة أنوال ومناسج غريبة الوضع ، وأحضر أشخاصا من النساجين ، فنسجوا البصوف بعد غزله مدات حددها لهم في الطول والعرض ، ثم يتسلمه رجال أعدهم لتخيره وتلييده بالقلى والصابون ، منشورا ومطويا بكيفيات في أوقات وأيام ، بمباشرة لهم في العمل وإشارته ، ثم يضعونه مطويا في أحواض من خشب تخين مزفت ، تمتلئ بالماء من ساقية ، صنعها لخصوص ذلك ، يصب منها الماء الى تلك الأحواض ، تديرها الأنوار . وعلى تلك الأحواض مدقات شبيهة بمدقات الأرز ، تتحرك في صعودها وهبوطها من ترس خاص يدور بدوران الساقية ، وما يفيض من ماء الأحواض يجري الى بستان زرعه حول ذلك ، فيسقى ما به من الأشجار والمزارع ، فلا يذهب الماء هدرا ، ثم يخرجونه بعد ذلك ويبردخونه ويصبغونه بأنواع الأصباغ ، ويضعونه في مكبس كبير يقال له « التخت » صنعه لذلك ، وعند ذلك يتم عمله . فكان الناس يذهبون للتفرج على ذلك لغرابته عندهم .

ثم حضر اليه شخص فرساوى ، وأشار عليه بإشارات في تغيير المدقات ، وأقصد العمل ، واشتغل هو بكثرة المهمات ، فتكاسل عن اعادة ثانيا ، وبطل ذلك .

وكان ، مع كثرة أشغاله ومصاريفه ، ليس له كاتب ، بل يكتب ويحسب لنفسه ، وبين يديه عدة دفاتر : لكل شيء دفتر مخصوص ، ولا يشغله شيء عن شيء .

ولما اتسعت دائرته ، وكثرت حاشيته ، واجتمعت

بأنواع الليق ، ويعيد على النقوشات بالسندروس
المحلول ، ويضعها في صندوق من الزجاج صمعه
لخصوص تلك الأشياء والقبورات ، وجفاف دهانها
بحرارة الشمس المحجوب بالزجاج عن الهواء
والغبار . وعند تمامها تكون في غاية الحسن والنظافة
والبهجة ، بحيث لا يشك من يراها بأنها من صناعة
الهند أو الافرنج المتقنين الصناعة .

وكان كلما سمع بشخص ذى معرفة لصناعة من
الصنائع أو المعارف ، اجتهد في تحصيلها وتلقيها
عنه بأى وجه كان — ولو يبذل الرغائب وأعد
بمنزله أماكن لأشخاص من أرباب المعارف : ينزلهم
فيها ، ويجرى عليهم النفقات والكساوى حتى
يجتنى ثمار معارفهم وصنائعهم . ويجتمع عنده في
كل ليلة جمعة جماعة من القراء التى مساكنهم قريبة
من داره فيذكر الله معهم حصّة من الليل ، ثم يفرق
فيهم دراهم .

ولما طال به الالهال ، وقتور الأحوال ...
وبالشا قليل الإقامة بمصر ، وأكثر أيامه غائب
عنها ، فحسن بباله الرحلة من مصر الى الديار
الرومية ، ويذهب الى بلاده فاستأذن الباشا عند
وداعه ، وهو متوجه الى ناحية قبلى ، فأذن له .
وأخذ في أسباب السفر ، فأرسل الكتخدا الى
الباشا ، ودس اليه كلاما ، فأرسل بمنعه ويرتب له
خروجا لمطبخه ... فتعوق عن السفر على غير
خاطره .

وفي أوائل السنة حضرت اليه والدته وابنته
وزوجها ، فأنزلهم في دار تجاه داره ، وأجرى عليهم
ما يحتاجون اليه من النفقة . فاتفق أن صهره
المذكور حلف يمينا بالطلاق الثلاث ، وحنث فيه ،
ففرق بينه وبين ابنته ، وطرده ، فشكاه الى كتخدا
ت ، فدلّمه في شأن ، فلم يقبل وقال . « لا يجوز

فيه عدة مناصب ، مضافة لنظر المهمات — مثل :
معمل البارود ، وقاعة الفضة ، ومدافع الجلود ،
وغير ذلك — فكان كتخدا ييك يحقّد عليه في
الباطن لأموور بينهما ، حتى قيل ان نفسه طمحت في
الكتخدائية . فكان يتصدر في الأمور والقضايا ،
ويرافع ويدافع ويهزل مع الباشا ويضاحكه
ويرادده ، ويدخل عليه من غير استئذان . فلم يزل
الكتخدا يلقي فيه الدسائس ، ويعمل معدّل الأشغال
التى تحت نظره ، ويعرف الباشا بما يتوفر من
ذلك ... حتى نزعه من نظارة جميع المهمات ، وقلدها
صالح كتخدا الرزاز .

ومما تلمه عليه ، أن الكتخدا حضر لزيارة المشهد
الحسينى في عصرية يوم من رمضان ، ثم ركب
متوجها الى داره قبيل الغروب فصادف في طريقه
عدة قصاع كبار مغطاة ، تحملها الرجال . فسأل
عنها فعرفوه أن المترجم يرسلها في كل ليلة من ليالى
رمضان الى فقراء الجامع الأزهر — وبها الثريد
واللحم — فامتعض من ذلك ، وعرف الباشا أنه
يؤلف الناس ويتودد اليهم بأموالك ، ونحو ذلك !

واستمر المترجم بطالا نحو السنتين ، ولم
بتضعف ، ولم يظهر عليه تغير ، ونظامه ومطبخه
على حاله ، وطعامه مبدول ، وراتبه جار . وفي تلك
المدة اشتغل بمطالعة الكتب والممارسة والمدايسة ،
وعانى الحسابيات وصناعة التقويم ... حتى مهر في
ذلك ، وعمل الدستور السنوى ، وما يشتمل عليه
من تقويم الكواكب السيارة ، وتداخل التواريخ
والأهلة ، والاجتماعات والاستقبالات . وطوال
التحاويل والنصبات . ويصنع بيده أيضا الصنائع
الفائقة : مثل الظروف التى تأتى من بلاد الهند
والافرنج والروم ، ويضع فيها الكتب محابرهم
وأقلامهم ، فيصنعها أولا من الخشب الرقيق
والقرطاس المقوم المتلاصق ، ويصبغها ويتقشها

والبستان خارج قناطر السباع ، وما زاد عن حاجته من الأشياء والأمتعة ، واشترى عبيدا وجواري ، وقضى لوازمه ، وسافر الى رشيد ... فعند ما مضى من نزوله يومان أو ثلاثة ، كتبوا الى خليل بيك ، حاكم الاسكندرية ، مرسوما بقتله . فبلغه خبر ذلك ، وهو بشفر رشيد ، فلم يصدق ، وقال : « أى ذنب أستوجب به القتل ؟ ولو أراد قتلى ما الذى يمنعه منه وأنا عنده بمصر . وأنا سافرت بأذنه وودعته ، وقبلت يديه وطرفه ، وأخذت خاطره ، وهو مبشوش معى كعادته ا » .

فلما حصل بالاسكندرية ، واستقر بالسفينة ، ومضى أيام وهم ينتظرون اعتدال الريح ، والاذن من الحاكم بالاقتلاع ، ووصل المرسوم الى خليل بيك ، أرسل اليه فى وقت يدعو ليتغذى معه فى رأس التين . ونظر الى خليل بيك ، وهو واقف فى انتظاره على بعد منه فوق علوة ، فأجاب ، وخرج من السفينة ، فوصل اليه جماعة من العسكر ، وأحاطوا به ... فتحقق عند ذلك ما كان بلغه وهو برشيد ، ونظر الى خليل بيك فلم يره ، فقال : « أمهلونى حتى أتوضأ وأصلى ركعتين » . وقام من حلاوة الروح وألقى بنفسه فى البحر ، ف ضربوا عليه بالرصاص ، وأخرجوه وتمموا قتله ، وأخرجوا صناديقه ، وأخذوا ما فيها من الكتب لأن الباشا أرسل بطلبها . وأخذ ما معه من المال والدرهم خليل بيك ، فأعطى لولده جانبا منه ، وأذن له بالسفر مع عياله . وانقضى أمره ، ووصلت الكتب الى سراية الباشا ، وأودعت عند ولى خوجا ، وتبدد الكثير منها ، وفرق منها عدة على غير أهلها . وكانت قتلته فى أواخر شهر صفر من السنة . والله أعلم .

أن أحل المحرم لأجلك » . واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقى ما يلقيه فى حقه من النسيمة ، ويذكر له عنه فى حقه ما يزيده غيظا وكراهة ، ويقول له : « انه يجمع أناسا فى كل ليلة جمعة يقرءون ويدعون عليك وعلى مخدمك » ، وذكر له أنه يقول لكم ان قصده السفر الى بلده ، وانما قصده السفر الى اسلامبول ، وليجتمع على مخدمه الاول لكونه تولى قبودان باشا ورياسة الدونامة ، ويقول عندما آكون بدار السلطنة أفعل وأفعل ، وأخبرهم بحقيقة هؤلاء وأفاعيلهم ، وأنقض عليهم أمرهم . وذكر له أيضا أنه استخرج من أحكام النجوم التى يعانها ، أن الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قريبة ، ويحصل ما يحصل من القتن ... فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك ، ونحو ذلك .

فلما رجع الباشا من سفرته ، توسل المترجم بالكتخدا فى أن يأخذ له اذنا من الباشا بالسفر — وهو لا يعلم سريره — ففاوض الباشا فى ذلك ، وألقى اليه ما ألقاه ، حتى أوغر صدره منه ، ثم رد عليه بقوله : « انى استأذنت الباشا فلم يسهل به مفارقتك ، وقال : ان كان عن ضيق فى المعيشة ، فأطلق له فى كل شهر كيسين ، عنها أربعون ألف نصف فضة » . فلما قال له ذلك قال : « أنا لا يكفينى هذا المقدار ، فان كان فيطلق لى خمسة أكياس » . فقال : « لم يرض بأزيد مما ذكرته لك » . وبكل ذلك مخادعة من الكتخدا ليحقق ما حشده فى صدر مخدمه . وما زال يتردد فى طلب الاذن ، حتى أذن له ، وأضر له القتل بعد خروجه من مصر ا

فعند ذلك باع داره ، وما استجده حولها ،

المحترم

الأثنين غرته (٤ يناير ١٨١٣ م) :

فيه : وصل الخبر من الجهة القبلية بأن ابراهيم بيك — ابن الباشا — قبض على أحمد أفندى ابن حافظ أفندى ، الذى يئده دفاتر الرزق الأعباسية ، وشنقه ، وضرب قاسم أفندى ابن أمين الدين — كاتب الشهر — علقة قوية . وكان والده أضجبهما معه لياشرا معه الأمور ، ويعرفاه الأحوال . وكان قاسم أفندى خصيصا به مثل الوزير ، والصاحب ، والنديم ، ورتب له الباشا فى كل سنة ثمانين كيسا خلاف الخروج والكساوى ، وشرط عليه المناصحة فى كشف المستورات ، وما يكون فيه تحصيل الأموال ... فكأنه قصر فى كشف بعض الأشياء ، وأرسل الى والده يعلمه بخيائته ، هو وكاتب الأرزاق ، وأنها منمكان فى ملاذهما ، فأذن له فى فعله بهما ما ذكر ، وأخذ ما كانا جمعا لآنفسهما ، وأظهر أنه انما فعل بهما ذلك عقوبة على ارتكابهما المعصية .

السبت ٢٠ منه (٢٣ يناير ١٨١٣ م) :

حضر ابراهيم بيك المذكور الى مصر .

وفيه : حصلت منافسة بين حسين أفندى الروزنامجى وبين شخصين من كتابه ، وهما : مصطفى باش جاجرت ، وقيطاس أفندى ، ولعل ذلك باغراء باطنى على حسين أفندى ، فرفعا أمرهما الى الباشا وعرفاه عن مصارف وأمرور يفعلها حسين أفندى

ويخفيها عن الباشا ، وأنه اذا حوسب على السنين الماضية ، يطلع عليه ألوف من الأكياس .

فعندما سمع ذلك أمرهما بمباشرة حسابه عن أربع سنوات متقدمة . فخرجا من عنده ، وأخذوا صحبتهما مباشرة تركيا ، ونزلوا على حين غفلة بعد العصر ، وتوجهوا الى منزل أخيه عثمان أفندى السرجى ، ففتحوا خزانة الدفاتر ، وأخذوها بتمامها ، الى بيت ابن الباشا ابراهيم بيك الدفتردار .

واجتمعوا فى صبيها للمحاسبة والحساب مع أخيه عثمان أفندى المذكور ، واستمروا فى المناقشة والمحاكمة عدة أيام ... مع المرافعة والمدافعة ، والميل الكلى على حسين أفندى ، ويذهبون فى كل ليلة يخبرون الباشا بما يفعلون ، وبالقدر الذى ظهر عليه . فيعجبه ذلك ، ويثنى عليهما ، ويحرضهما على التدقيق ، فتنتفخ أوداجهما ، ويزيدان فى الممانعة والمدافعة والمرافعة فى الحساب .

وحسين أفندى على جليته ، ويظن أنه على عادته فى كونه مطلق التصرف فى الأموال الميرية ، ويبلغها اذا سئل فيها للقائم بالدولة ، ايرادا ومصرفا ، ليكون اجمالا لا تفصيلا ، لكونه أمينا وعدلا .

وكان الايراد والمصرف محررا ومضبوطا فى الدفاتر التى بأيدي الأفندية الكتاب ، ومن انضم اليهم من كتاب اليهود فى دفاترهم أيضا بالعبرانى ، لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الأخرى .

فلما استقل هذا الباشا بمملكة الديار المصرية ، واستفول فى تحصيل الأموال بأى

وجهه ، واستحدث أقلام المكوس ، وجعلها في دفاتر تحت أبدي الأفسدية وكتبه الروزنامة ، فصارت من جملة الأموال الميرية : في قبضها وصرفها ، وتحاولها .. والباشا مرخى العنان للروزنامجي ، ومرخص له في الاذن والتصرف ... والروزنامجي كذلك مرخى العنان لأحد خواص كتابه ، المعروف بأحمد اليتيم ، لفظاته ، ودرايته . فكان هو المشار اليه من دون الجميع ، ويتناول عليهم ، ويمقت من فعل فعلا دون اطلاعه ، وربما سبه — ولو كان كبيرا أو أعلى منزلة منه في فنه — فيمتلى غيظا ، وينقطع عن حضور الديوان ، فيهله ولا يسأل عنه .. والأفندي الكبير لا يخرج عن رأيه لكونه سادا مسد الجميع . فدبروا على أحمد أفندي المذكور ، وحفروا له ، وأغروا به حتى نكبه الباشا ، وصادره في ثمانين كيسا ، ومخدومه حسين أفندي ، في أربعمئة كيس .

وانقطع أحمد أفندي عن حضور الديوان ، وتقدم المتأخر ، وضم الباشا الى ديوانهم من طرفه خليل أفندي ، وسموه « كاتب الذمة » بمعنى أنه لا يكتب تحويلا ، ولا ورقة ميري ، ولا خلاف ذلك ، مما يسطر في ديوانهم ، حتى يطلع عليه خليل أفندي المذكور ، ويرسم عليه علامته . فأحاط غله بجميع أسرارهم ... وكل قليل يستخبر منه الباشا ، فيحيطه بمعلوماته . ولم يزل حتى تحول ديوانهم ، وانتقل الى بيت خليل أفندي تجاه منزل ابراهيم بيك ابن الباشا بالأزبكية ، وترأس بالديوان قاسم أفندي كاتب الشهر وقريه قيطاس أفندي ومصطفى أفندي باش جاجرت .

وبعد عدة أشهر سافر ابراهيم بيك ، وأخذ صحبته قاسم أفندي على الصورة المتقدمة ... والروزنامجي وولده محمد أفندي يراعيان جانب رفيقيه ولا يتعرضان لهما فيما يتصدران له ، ويضمانه في عهدتهما . فلما وصل الخبر بنكبة

ابراهيم بيك لقاسم أفندي ، فعند ذلك قصرا معهما ، وأظهر ابن الروزنامجي مكمون غيظه في حقهما ، ومانعهما أيضا ، وخشن القول لهما ، فاتفقا على انهاء الحال الى باب الباشا ففعلا ما ذكر .

وكان حسين أفندي عند ما استأذن الباشا في صرف الجامكية السائرة ، للعامه والخاصة ، فأذن له في صرف ما يتعلق بمشايع العلم والأفسدية الكتبة ، والسيد محمد المحروقي بالكامل ، وما عداهم ربع استحقاقهم ، وكتب له فرمانا بذلك ... فقال له الروزنامجي : « في بعضهم من يستحق المراجعة كبعض أهل العلم الخاملين ، وأهل الحرمين المهاجرين ، ومستوطنين بمصر بعيالهم ، وليس لهم ايراد يتعيشون منه إلا ما هو مرتب لهم من العلائف في كل سنة ، وكذلك بعض الملتزمين الذين اعتادوا سداد ما عليهم من الميري ، وبعضه بما لهم من الاتلافات ، والعلائف والغلال » . فقال له : « النظر في ذلك في ذلك لرأيك ... فان هذا شيء يعسر ضبط جزئياته » . فاعتمد ذلك ، ووفق يفعل في البعض بالنصف ، والبعض بالثلث ، أو الثلثين . وأما العامة والأرامل ، فيصرف لهم الربع لا غير ، حسب الأمر ، ويقاسون في تحصيل ربع استحقاقهم الشدائد من السعي وتكرار الذهاب ، والتسويق ، والرجوع في الأكثر من غير شيء ، مع بعد المسافة ، وفيهم الكثير من العواجز .

فلما ترفعوا في الحساب ، مانع المتصدر فيما زاد على الربع ، وطلع الى الباشا فعرقه بذلك ، فقال الباشا : « لا تخصصوا له الا ما كان باذني وفرماني ، وما كان بدون ذلك فلا » . وأنكر الحال السابق منه له ، وقال : « هو متبرع فيما فعله » . فتأخر عليه مبلغ كبير في مدة أربع سنوات . وكذلك كان يحول عليه حوالات لكبار العسكر يرسل من أتباعه ، فلا يسعه الممانعة ، ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان ، اتكالا على الحالة التي هو معه

الثلاثاء ٧ منه (٩ فبراير ١٨١٣ م) :

وردت يشائر من البلاد الحجازية ، باستيلاء
العساكر على جدة ومكة من غير حرب . وذلك أنه
لما انهزمت الأتراك في العام الماضي ، ورجعوا على
الصورة التي رجعوا عليها ، مشتين ومتفرقين ،
وفيه من حضر من طريق السويس ، ومنهم من
أتى من البر ، ومنهم من حضر من ناحية القصير ،
ونفى الباشا من استعجل بالهزيمة والرجوع من غير
أمره ، ويخشى صولته ، ويرى في نفسه أنه أحق
بالرياسة منه — مثل صالح قوج ، وسليمان ،
وحجو — وأخرجهم من مصر ، واستراح منهم ،
ثم قتل أحمد أغا لاط ... جدد ترتيبا آخر .

وعرفه كبراء العرب الذين استمالهم واندرجوا
معه ، وشيخ الحويطات ، أن الذي حصل لهم إنما
هو من العرب المؤهين — وهم عرب حرب —
والصفراء ، وأنهم مجهودون ... والوهابية لا
يعطونهم شيئا ، ويقولون لهم : « قاتلوا عن دينكم
وبلادكم » . فاذا بذلتهم لهم الأموال ، وأغدقتهم
عليهم بالانعام والعطاء ، ارتدوا ورجعوا وصاروا
معكم ، وملكوكم البلاد .

فاجتهد الباشا في جمع الأموال بأي وجه كان ،
واستأنف الطلب ، ورتب الأمور ، وأشاع الخروج
بنفسه ، ونصب العرضى خارج باب النصر ، وذلك
في شهر شعبان . وخرج بالموكب كما تقدم ، وجلس
بالصبيان ، وقرر للسفر في المقدمة بونابارته
الخازن دار ، وأعطاه صناديق الأموال والكساوى ،
ورافق معه عابدين بيك ومن يصحبهما ، وواظب
على الخروج الى العرضى ، والرجوع تارة الى
القلعة ، وتارة الى الأزبكية والجيزة وقصر شبرا ،
ويعمل الرماحة والميدان في يومى الخميس والاثنين ،
والمصاف على طرائق حرب الافرنج .

وسافر بونابارته في أواخر شعبان ، واستمر
العرضى منصوبا ، والطلب كذلك مطلوبا ،

عليها . فرجعوا عليه في كثير من ذلك ، وتأخر عليه
مبلغ كبير أيضا ، فتمسوا حساب سنة واحدة على
هذا النسق ، فبلغت نحو الألف كيس ومائتى كيس
وكسور تبلغ في الأربع سنوات خمسة آلاف كيس .
فتقلق حسين أفندى ، وتحير في أمره ، وزاد
وسواسه ، ولم يجد مغيثا ولا شافعا ولا دافعا .

أواخره (اواخر يناير ١٨١٣ م) :

عمل الباشا مهما لختان ابن بونابارته الخازن دار
الغائب ببلاد الحجاز ، وعملوا له زفة في يوم الجمعة
بعد الصلاة ، اجتمع الناس للفرجة عليها .

وفيه أيضا : زاد الارجاف بحصول الطاعون
وواقع الموت منه بالأسكندرية ، فأمر الباشا بعمل
كرتيلة بشعر رشيد ودمياط والبرلس وشبرا ،
وأرسل الى الكاشف الذى بالبحيرة بمنع المسافرين
المارين من البر . وأمر أيضا بقراءة صحيح البخارى
بالأزهر ، وكذلك يقرأون بالمساجد والزوايا سورة
الملك والأحقاف في كل ليلة بنية رفع الوباء
فاجتمعوا الا قليلا بالأزهر نحو ثلاثة أيام ، ثم
تركوا ذلك ، وتكاسلوا عن الحضور .

الاثنين ٢٩ منه (اول فبراير ١٨١٣ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة . وكان المنكسف
نحو ثلاثة أرباع الجرم ، وكانت الشمس في برج
الدلو أيام الشتاء فأظلم الجو الا قليلا ، ولم ينتبه
له كثير من الناس لظنهم أنها غيوم متراكمة لأنهم
في فصل الشتاء .

سفر

الاربعاء غرته (٣ فبراير ١٨١٣ م) :

في أخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة
باردة ، واستمرت لعصر يوم السبت ، وكانت قوتها
يوم الجمعة . أثارت غبارا أصفر ، ورمالا ، مع غيم
مطبق وقتام ، ورش مطر قليل في بعض الأوقات

والعساكر واردة من بلادها على طريق الاسكندرية ودمياط ، ويخرج الكثير الى العرضى ، ويستمرون * على الدخول الى المدينة فى الصباح لقضاء أشغالهم ، والرجوع أخريات النهار مع تعدى أذاهم للباعه والحصارة وغيرهم .

ولما غدر الباشا بأحمد أغا لاذ وقتله فى أواخر رمضان ، ولم يبق أحد ممن يخشى سطوته ، وسافر عابدين بيك فى شوال ، وارتحل بعده بنحو شهر مصطفى بيك دالى باشا ، وصحبته عدة وافرة من العسكر ، ثم سافر أيضا يحيى أغا ومعه نحو الخمسمائة ، وهكذا ... كل قليل ترحل طائفة بعد أخرى . والعرضى كما هو ، وميدان الراحة كذلك .

ولما وصل بونا برته الى ينبع البر ، أخذوا فى تأليف العربان واستمالتهم ، وذهب اليهم ابن شديد الحويطى ومن معه ، وتقابلوا مع شيخ حرب ، ولم يزالوا به حتى وافقهم . وحضروا به الى بونا برته ، فأكرمهم وخلع عليه الخلع ، وكذلك على من حضر من أكابر العربان ، فألبسهم الكساوى والفراوى السور والشالات الكشميرى ... ففرق عليهم من الكشمير ملء أربع سحاحير وصب عليهم الأموال ، وأعطى لشيخ حرب مائة ألف فرانسة عين . وحضر باقى المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم ، فخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة . ثم رتب لهم علائف تصرف لهم فى كل شهر : لكل شخص خمسة فرانسة ، وغرارة بقسماط ، وغرارة عدس . فعند ذلك ملكوهم الأرض ، والذى كان متآمرا بالمدينة من جنسهم استمالوه أيضا ، وسلم لهم المدينة . وكل ذلك بخامرة الشريف غالب أمير مكة ، وتديره وإشاراته . فلما تم ذلك أظهر الشريف غالب أمره ، وملكهم مكة والمدينة .

وكان ابن سعود الوهابى حضر فى الموسم وحج ،

ثم ارتحل الى الطائف . وبعد رحيله فعل الشريف غالب فعله ، وسيلقى جزاءه !

ولما وصلت البشائر بذلك فى يوم الثلاثاء سابعه ، ضربوا مدافع كثيرة ، ونودى فى صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق ، فزينوا خمسة أيام : أولها الأربعاء ، وآخرها الأحد . وقاسى الناس فى ليالى هذه الأيام العذاب الأليم من شدة البرد والصقيع وسهر الليل الطويل . وكان ذلك فى قوة فصل الشتاء ، وكل صاحب حانوت جالس فيها ، وبين يديه مجرة نار يتدفأ ويصطفى بحرارتها ، وهو ملتف بالعباءة والأكسية الصوف أو اللحاف . وخرج الباشا من ليلة الأربعاء المذكور ، ونصبت الخيام ، وخرجت الجمال المحملة باللوازم من الفرش والأواني وأزيار الماء ، والبارود لعمل الشنالك والحرائق . وفى كل يوم يعمل مرماح وشنك عظيم مهول بالمدافع وبساق الرصاص المتواصلة من غير فاصل ، مثل الرعود والطبول ، من طلوع الشمس الى قريب الظهر .

وفى أول يوم من أيام الرمي أصيب ابراهيم بيك ابن الباشا برصاصة فى كتفه .. أصابت شخصا من السواس ، ونفذت منه اليه وهى باردة ، فتعلل بسببها ، وخرج بعد يومين فى عربة الى العرضى ثم رجع .

ولما كان يوم الأحد وقت الزوال ، ركب الباشا وطلع الى القلعة ، وقلعوا خيام الشنك ، وحملوا الجمال ، ودخلت طوائف العسكر . وأذن للناس بقلع الزينة ونزول التعاليق ... وكان الناس قد عمروا القناديل ، وأشاعوا أنها سبعة أيام .

فلما حصل الاذن بالرفع فكأنما نشطوا من عقال ، وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر ، وتعطيل الأشغال وكساد الصنائع ، والتكليف بما لا طاقة لهم به . وفيهم من لا يملك قوت عياله ، أو تعبير سراحه ، فيكلف مع ذلك هذه التكاليف .

بطلب خمسمائة كيس من أصل الحساب ، فضاقت
خناقه ، ولم يجد له شافعا ولا ذا مرحلة . فأرسل
ولده الى محمود بيك الدويدار يستجير فيه ،
وليكون واسطة بينه وبين الباشا — وهو رجل
ظاهره خلاف باطنه — فذهب معه الى الباشا
فبش في وجهه ورحب به ، وأجلسه محمود بيك
في ناحية من المجلس ، وتناجى هو مع الباشا ،
ورجع اليه يقول له : « انه يقول : ان الحساب لم
يتم الى هذا الحين ، وأنه ظهر على أريك تاريخ
أمس ، خمسة آلاف كيس وزيادة ، وأنا تكلمت
معه ، وتشفعت عنده في ترك باقي الحساب والمساحة
في نصف المبلغ والكسور ، فيكون الباقي ألفين
 وخمسمائة كيس تقومون بدفعها ! »

فقال : « ومن أين لنا هذا القدر العظيم ..
وقد عزلنا من المنصب أيضا حتى كنا تتداين !؟ ولا
يأمننا الناس اذا كان القدر دون هذا أيضا » .
فرجع الى الباشا وعاد اليه يقول له : « لم
يمكنني تضعيف القدر سوى ما سامح فيه . وأما
المنصب فهو عليكم ... وفي غد يطلع والدك
ويتجدد عليه الابقاء ، وينكمد الخصم . وعلى
الله السداد » .

ونفض وقبل يده ، وتوجه فنزل الى دارهم ،
وأخبر والده بما حصل ... فزاد كربه ، ولم يسعه
الا التسليم ، وركب في صباحها وطلع الى الباشا ،
فخلع عليه ، ونزل الى داره بقهره ، وشرع في بيع
تعلقاته وما يتحصل لديه !

الاثنين ١٢ منه (١٥ فبراير ١٨١٣ م) :
خلع الباشا على مصطفى أفندي ، ونزل إلى
داره ، وأتاه الناس يهنئونه بالمنصب !

الأربعاء ٢٢ منه (٢٤ فبراير ١٨١٣ م) :
وردت بشارت بتسليم الطائف ، وهروب
المضايقي منها . فعملوا شنكا ، وضربوا مدافع



ابراهيم

وكتب الباشا بالبشائر الى دار السلطنة ،
وأرسلها صحبة أمين جاويز . وكذلك الى جميع
النواحي ، وأنعم بالمناصب على خواصه .
وفي هذا الشهر : وردت أخبار بوقوع أمطار
وثلوج كثيرة بناحية بحرى وبالأسكندرية ورشيد
بحدود الغربية والمنوفية والبحيرة ، وشدة برد .
ومات من ذلك أناس وبهائم ، والزروع البدرية ،
وطف على وجه الماء أسماك موتى كثيرة ، فكان
موج البحر يلقيه على الشطوط ، وغرق كثير من
السفن من الرياح العواصف التي هبت في أول
الشهر .

وفيه : أحضر الباشا حسين أفندي الروزناجي ،
وخلع عليه خلعة الابقاء على منصبه في الروزنامه ،
وقرر عليه ألفين وخمسمائة كيس ! وذلك أنهم لما رفعوه
في الحساب على الطريقة المذكورة أرسل اليه الباشا

كثيرة من القلعة وغيرها ، ثلاثة أيام ، في كل وقت
أذان . وشرع الباشا في تشهيل ولده اسماعيل
باشا بالبشارة ليسافر الى اسلامبول . وتاريخ
تملكها في سادس عشرين المحرم (٢٩ يناير ١٨١٣) .

وفي هذه الأيام : ابتدعوا تحرير الموازين ،
وعملوا لذلك ديوانا بالقلعة ، وأمروا بإبطال
موازين الباعة واحضار ما عندهم من الصنج ...
فيزنون الصنجة : فان كانت زائدة أو ناقصة ،
أخذوها وأبقوها عندهم ، وان كانت محررة
الوزن ، ختموها بختم . وأخذوا على كل ختم
صنجة ثلاثة أنصاف فضة ، وهى النصف أوقية
والأوقية ... الى الرطل الذى يكون وزنه غير
محرر يعطوه رطلا من حديد ويدفع ثمنه مائة
نصف فضة ، والنصف رطل خمسون ... وهكذا .
وهو باب يتجمع منه أكياس كثيرة .

وفيه أيضا : طلب الباشا من عرب الفوائد غرامة
سبعين ألف فرانسة فعصوا ورمحوا باقليم
الجيزة ، وأخذوا المراثى ، وشلحوا من صادفوه .
ورمح كاشف الجيزة عليهم ، فصادف منهم أباعر
محملة أمتعة لهم ، وصحبتهن نساء وأولاد ،
فأخذهم ورجع بهم .

وفيه : سافر ابراهيم بيك ابن الباشا الى ناحية
قبلى ، ووصلت الأخبار بوقوع الطاعون
بالاسكندرية . فاشتد خوف الباشا والعسكر مع
قساوتهم وعسفهم وعدم مرحمتهم !

ربيع الأول

الخميس فرته (٤ مارس ١٨١٣ م) :

قلدوا شحصا يسمى حسين البرلى ، وهو
الكتخدا عند كتخدا بيك ، وجعلوه فى منصب بيت
المال ، وعزلوا رجب أغا ... وكان انسانا سهلا
لا بأس به . فلما تولى هذا ، أرسل لجميع مشايخ

الأحد : منه (٧ مارس ١٨١٣ م) :

طلب الباشا حسين أفندى الروزنامجى ، وطلب
منه ما قرره عليه — وكان قد باع حصصه وأملاكه
ودار مسكنه ، فلم يوف الا خمسمائة كيس — فقال
له : « ما لك لم توف القدر المطلوب ؟ وما هذا
التأخير وأنا محتاج الى المال ؟ » . فقال : « لم يبق
عندى شيء ، وقد بعث التزامى وأملاكى ويبنى ،
وتدائنت من الربويين حتى وفيت خمسمائة كيس
وها أنا بين يديك » ! فقال له : « هذا كلام لا
يروج على ، ولا ينفك ، بل أخرج المال المدفون » .
فقال : « لم يكن عندى مال مدفون . وأما الذى
أخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله » !

فحقق منه وسبه ، وقبض على لحيته ، ولطمه
على وجهه ، وجرد السيف ليضربه فترجى فيه
الكتخدا والحاضرون فأمر به فبطحوه ، وأمر
القواصة الأتراك بضربه ، فضربوه بالعصى المفضضة
التي بأيديهم ، بعد أن ضربه هو بيده عدة عصي ،
وشج جبهته ... حتى أتوا عليه ثم أقاموه
والبسوه فروته ! وحملوه وهو مغشى عليه ، وأركبوه
حمارا ، وأحاط به خدمه وأتباعه حتى أوصلوه الى
منزله ، وأرسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ،
ولا يدعونه بدخل الى حريمه ، ولا يصل إليهم منه
أحد .

وركب فى أثره محمود بيك الدويدار بأمر
الباشا ، وعبر داره ودار أخيه عثمان أفندى
المذكور ، وأخذته صحبته الى القلعة ، وسجنوه
... وأما ولده وأخواه ، فانهم تغيبوا من وقت
الطلب ، واختفوا .

أخباره ، وأرسل الى أمراء الثغور بالاسكندرية
ودمياط بالاعتناء بملاقاته عند وروده على ثغر منها
وفيه : حضر خليل بيك حاكم الاسكندرية الى
مصر فرارا من الطاعون لأنه قد فشا بها ، ومات
أكثر عسكره وأتباعه

ربيع الآخر

٨ منه (١٠ أبريل ١٨١٣ م) :

حضر الباشا على حين غفلة من الفيوم الى
الجيزة . وأخبروا أنه لما وصل الى ناحية بنى
سوريف ، ركب بغلة سريعة العدو ، ومعه بعض
خواصه على الهجن والبغال ، فوصل الى الفيوم في
أربع ساعات ، واقطع أكثر المرافقين له ، ومات
منهم سبعة عشر هجينا .

١٠ منه (١٢ أبريل ١٨١٣ م) :

عملوا مولد المشهد الحسيني المعتاد ، وتعيد
لتنظيمه السيد المحروقي الذي تولى النظارة عليه
وجلس بييت السادات المجاور للمشهد بعد أن
أخلوه له .

وفي ذلك اليوم : أمر الباشا بعمل كورتيلة
بالجيزة ، ونوه بأقامته بها ، وزاد به الخوف والوهم
من الطاعون لحصول القليل منه بمصر . وهلك الحكيم
الفرنساوى ، وبعض نصارى أروام ... وهم
يعتقدون صحة الكورتيلة ، وانها تمنع الطاعون
وقاضى الشريعة ، الذى هو قاضى العسكر ، يحقق
قولهم ، ويمشى على مذهبهم . ولرغبة الباشا فى
الحياة الدنيا ، وكذلك أهل دائرته ، وخوفهم من
الموت ... يصدقون قولهم حتى انه اتفق أنه مات
بالمحكمة عند القاضى شخص من أتباعه ، فأمر بحرق
ثيابه ، وغسل المحل الذى مات فيه ، وتبخره
بالبخورات .. وكذلك غسل الأواني التى كان
يمسها ، وبخروها . وأمروا أصحاب الشرطة أنهم

ونزل اليه فى اليوم الثانى ابراهيم أغا أغات
الباب ، يطلبه بطلاق ثمانمائة كيس وقتئذ ا فقال له :
« وكيف أحصل شيئا وأنا رجل ضعيف ، وأخى
عثمان عندكم فى الترسيم ؟ وهو الزعيم يعيننى
ويقضى أشغالى ، وأخذتم دفاترى المختصة
بأحوالى مع ما أخذتموه من الدفاتر . فأقام عنده
ابراهيم أغا برهة ، ثم ركب الى الباشا وكلمه فى
ذلك فأطلقوا له أخاه ليسعى فى التحصيل .

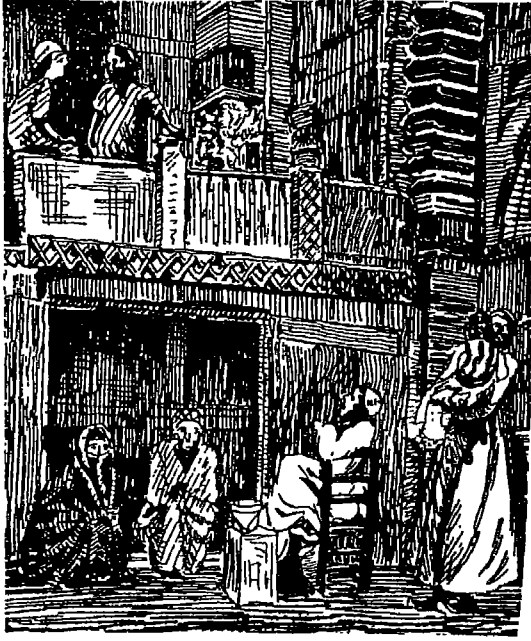
الأحد ١١ منه (١٤ مارس ١٨١٣ م) :

عدى الباشا الى بر الجيزة بقصد السفر الى
بلاد الفيوم ، وأخذ صحبته كتبة مباشرين ، مسلمين
ونصارى ، وأشاع أن سفره الى الصعيد ليكشف
على الأراضى وروكها . وارتحل فى ليلة الثلاثاء
ثالث عشره بعد أن وجه ابنه اسماعيل الى الديار
الرومية فى تلك الليلة بالبشارة .

الأحد ٢٥ منه (٢٨ مارس ١٨١٣ م) :

حضر لطيف أغا راجعا من اسلامبول ، وكان قد
توجه ببشارة فتح الحرمين . وأخبروا أنه لما وصل
الى قرب دار السلطنة ، خرج لملاقاته الأعيان .
وعند دخوله الى البلدة ، عملوا له موكبا عظيما ...
مشى فيه أعيان الدولة وأكابرها ، وصحبته عدة
مفاتيح ، زعموا أنها مفاتيح مكة وجدة والمدينة ،
وضعوها على صفائح الذهب والفضة ، وأمامها
البخورات فى مجامر الذهب والفضة والمطر
والطيب ، وخلفهم الطبول والزمر . وعملوا لذلك
شنكا ومدافع ، وأنعم عليه السلطان ، وأعطاه خلعاً
وهدايا ... وكذلك أكابر الدولة . وأنعم عليه
الخنكار بطوخين ، وصار يقال له لطيف باشا .

وفيه : وردت الأخبار بقدم قهوجى باشا ،
ومعه خلع وأطواق للباشا ، وعدة أطواخ بولايات
لمن يختار تقليده . فاحتفل الباشا به عند ما وصلته



اسرة احتجبت بالبيت

جمادى الأولى

٧ منه (٨ مايو ١٨١٣ م) :

نودى بالأسواق : بأن السيد محمد المحروقى شاه بندر التجار بمصر ، وله الحكم على جميع التجار ، وأهل الحرف ، والمتسبين ... فى قضاياهم وقوانينهم ، وله الأمر والنهى فيهم .

وفيه وصل الى مصر عدة كبيرة من العساكر الرومية على طريق دمياط ، ونصبوا لهم وطافا خارج باب النصر ، وحضر فيهم نحو الخمسمائة نفر ... أرباب صنائع : بنائين ونجارين وخراطين ، فأنزلوهم بوكالة بخط الخليفة .

٨ منه (٩ مايو ١٨١٣ م) :

تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن ، ولبس الخلعة ، وركب وشق المدينة وأمامه الميزان ، فرسم برد الموازين الى الأرطال الزياتى ، التى عبرة الرطل منها أربع عشرة أوقية ، فى جميع الأدهان

يأمرون الناس ، وأصحاب الأسواق ، بالكنس والرش والتنظيف فى كل وقت ونشر الثياب . وإذا ورد عليهم مكاتبات خرقوها بالسكاكين ، ودخنوها بالبخور قبل ورودها .

ولما عزم الباشا على كورتنيلة الجيزة ، أرسل فى ذلك اليوم بأن ينادوا بها على سكانها : بأن من كان يملك قوته وقوت عياله ستين يوما ، وأحب الإقامة ... فليمكث بالبلدة . والا فليخرج منها ويذهب . ويسكن حيث أراد فى غيرها . ولهم مهلة أربع ساعات . فانزعج سكان الجيزة ، وخرج من خرج ، وأقام من أقام .

وكان ذلك وقت الحصاد ، ولهم مزارع وأسباب مع مجاورهم من أهل القرى . ولا يخفى احتياجات الشخص لنفسه وعياله وبهائمه ... فمنعوا جميع ذلك ، حتى سدوا خروق السور والأبواب ، ومنعوا المعادى مطلقا .

وأقام الباشا بيت الأزبكية لايجتمع بأحد من الناس الى يوم الجمعة فعدى فى ذلك اليوم ، وقت الفجر ، وطلع الى قصر الجيزة ، وأوقف مركبين : الأولى ببر الجيزة ، والأخرى فى مقابلتها ببر مصر القديمة . فاذا أرسل الكتخدا أو المعلم غالى البه مراسلة ، ناولها المرسل للمقيد بذلك فى طرف مزراق ، بعد تبخير الورقة بالشيخ واللبن والكبريت ، ويتناولها منه الآخر بمزراق آخر ، على بعد منهما ، وعاد راجعا . فاذا قرب من البر ، تناولها المنتظر له أيضا بمزراق ، وغمسها فى الخل ، وبخرها بالبخور المذكور ، ثم يوصلها لحضرة المشار اليه بكيفية أخرى ! فأقام أياما وسافر الى الفيوم ، ورجع كما ذكر . وأرسل مماليكه ، ومن يعز عليه ويخاف عليه من الموت ، الى أسيوط .

والخضراوات على العادة القديمة ، ونقص من أسعار اللحم وغيره . فرح الناس بذلك ... ولكن لهم يستمر ذلك .

١١ منه (١٢ مايو ١٨١٣ م) :

بين الظهر والعصر كانت السماء مصحبة ، والشمس مضيئة صافية ... فما هو الا والسماء والجو طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غربية جنوبية ، وأظلم ضوء الشمس ، وأرعدت رعدتين : الثانية أعظم من الأولى ، وبرق ظهر ضوؤه ، وأمطرت مطر متوسطا . ثم سكن الريح ، وانجلت السماء وقت العصر .. وكان ذلك سابع شنس القبطى ، وآخر يوم من نيسان الرومى . فسبحان الملك الفعال ، مغير الشئون والأحوال .

وحصل فى تاليه — يوم الجمعة — مثل ذلك الوقت أيضا ، غيوم وعود كثيرة ، ومطر أزيد من اليوم الأول .

جمادى الآخرة

السبت ١٢ منه (١٢ يونية ١٨١٣ م) :

وصل فى النيل على طريق دمياط ، أغا من طرف الدولة ، يقال له قهوجى باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه ، وحضر الى قصره بشبرا ، وأمر بإحضار عدة من المدافع وآلات الشنك . وعملوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقداث . ونبه على الطوائف بالاجتماع بملايسهم وزينتهم .

ووصل الأغا المذكور يوم الأحد ، فخرج الأغوات ، والسفاشية ، والصقلية ، وهم لابسون القواويق ، وجميع العساكر الخيالة ليلا ... فما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا ، وانتظروا فى موكب ، ودخلوا من باب النصر ، ويقدمهم طوائف الدلاة وأكابرهم ، ويتلوهم أرباب المناصب ، مثل : الأغا ، والوالى ،

والمحتسب ، وبواقى وجاقات المصرية ... ثم موكب كتخدا بيك ، وبعده موكب الأغا الواصل ، وفى أثره ما وصل معه من الخلع ، وهى : أربع بقج ، وخنجران مجوهران ، وسيف ، وثلاث شلنجات عليها ريش مجوهره ... وخلف ذلك العساكر الخيالة ، والتفكجية ، وخلفهم النوبة التركية .. فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع . وليس فيهم رجاله مشاة سوى الخدم ، وقليل عسكر مشاة ، وأما بقية العسكر فهم متفرقون بالأسواق والأزقة ، كالجراد المنتشر ، خلاف من يرد منهم فى كل وقت من الأجناس المختلفة برا وبحرا . فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا ، وهو فروة ، وخنجر ، وريشة بشلنج ، وأطواخ ، ولابنه ابراهيم بيك مثل ذلك .

وأسكنوا ذلك الأغا ورفيقه وأتباعهما ، بمنزل ابراهيم بيك ابن الباشا بالأزبكية ، بقنطرة الدكة وأرسل بإحضار ولده من ناحية قبلى ، فحضر على الهجن ، ولبس الخلعة بولايته على الصعيد . فنزل بالجيزة ، وعدى الى بر مصر عند أبيه بقصر شبرا ، ولبس الخلعة ، وأقام عند أبيه ثلاث ليال ، ثم عدى الى بر الجيزة . وعندما وصل الى البر أمر بتغريق السفينة بما فيها من الفرش ، ثم أخرجوها ! وكذلك أمر من معه من الرجال بالغطوس فى الماء وغسل ثيابهم ... كل ذلك خوفا من رائحة الطاعون ، وتطيرا وهروبا من الموت !

الجمعة ٢٥ منه (٢٥ يونية ١٨١٣ م) :

سافر ابراهيم بيك راجعا الى الصعيد . وفيه حضر عرضى الباشا الذى كان سافر فى ربيع الأول الى الجهة القبلية ، ومعه الكتبة أيضا المسلمون ، لتحرير حساب الأقباط ، ومساحة الأراضى .

في اواخره (اواخر يونية ١٨١٣ م) :

نودى على أهل الجيزة : باستمرار الكورتيلة شهرى رجب وشعبان ، وأن يعطوا لهم فسحة للمتسبين والباعة ، ثلاثة أيام : وكذلك لمن يخرج ، أو اذا دخل لا يخرج اذا كان عنده ما يكفيه ويكفى عياله في مدة الشهرين والثلاثة أيام المفسح لهم فيها ليقضوا أشغالهم واحتياجاتهم . فخرج أهل البلدة بأسرهم ... لم يبق منهم الا القليل النادر ، القادر . وأيضا تفرقوا في البلاد ، وبقي الكثير منهم حول البلدة ، وفي الغيطان حول بيادهم وأجرانهم ، وعملوا لهم أعشاشا تظلمهم من حر الشمس ووهج الهجير . وينادى المقيم بالبلدة بحاجته من أعلى السور لرفيقه أو صاحبه الذى هو خارج البلدة ، فيجيبه ويرد جوابه من مكان بعيد ، ولا يمكنونهم من تناول الأشياء .^١ وأما العسكر فانهم يدخلون ويخرجون ويقضون حوائجهم ، ويشترون الخضراوات والبطيخ وغيره ويبيعونه على المقيمين بالبلدة بأعلى الأثمان . واذا أراد أحد من أهل البلدة الخروج ، منعه من أخذ شيء من متاعه أو بهيمته أو شاته أو حماره ، ولا يخرج الا مجردا بطوله !

وفيه : وصل من الديار الرومية واصل ، وعلى يده مرسوم ، فقرئ بالمحكمة في يوم الأحد ، ثامن عشره ، بحضرة كتخدا بيك ، والقاضى والمشايع وأكابر الدولة ، والجم الغفير من الناس . ومضمونه : الأمر للخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر ، بأن يقولوا عند الدعاء للسلطان ، فيقولوا : السلطان ابن السلطان (بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات) محمود خان ، ابن السلطان عبد الحميد خان ، ابن السلطان أحمد خان المنغازى ، خدام الحرمين الشريفين ... لأنه استحق أن ينعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين ، وغزت الخوارج ، وأخرجتهم

منها . لأن المفتى أفتاهم بأنهم كفار ... لتكفيرهم المسلمين . ويجعلونهم مشركين ، ولخروجهم على السلطان ، وقتلهم الأنفس ، وأن من قاتلهم يكون مغازيا ، ومجاهدا ، وشهيدا اذا قتل .

ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة ، وعملوا شنكا . واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان ، عشرة أيام ، وذلك ونحوه من الخور .

رجب

١٥ منه (١٤ يولية ١٨١٣ م) :

حضر بونا بارت الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير .

في اواخره (اواخر يولية ١٨١٣ م) :

سافر قهوجى باشا ، الذى تقدم ذكر حضوره ، بالخلع والشلنجات والخناجر ، بعد ما أعطى خدمته مبلغا من الأكياس ، وأصبح معه الباشا هدية عظيمة لصاحب الدولة وأكابرها ، وقدره من الذهب العين أربعون ألف دينار ، ومن النصفيات — يعنى نصف الدينار — ستون ألفا ، ومن فروق البن خمسمائة فرق ، ومن السكر المكرر مرتين مائة فنطار ، ومن المكرر مرة واحدة مائتى قنطار ، ومائتا قدر صينى ، الذى يقال له « أسكى معدن » ، مملوءة بالمربيات وأنواع الشرابات ، المسك المطيب المختلف الأنواع ، ومن الخيول خمسون جة اذا مرخته بالجواهر والنمكش واللؤلؤ والمرجان ، وخمسون حصانا من غير رخوت ، وأقمشة هندية كشميرى ، ومقصبات وشاهى ، ومهترخان في عدة تعابى بقيق ، وبخور عود وعنبر ، وأشياء أخرى . وفيه أيضا : حضر أغا يقال له « جانم افندى » وصحبته مرسوم قرئ بالديوان في يوم الاثنين . مضمونه : البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه

« عثمان » . واجتمع لسماع ذلك المشايخ والأعيان ، وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع ، واستمر ذلك سبعة أيام في كل وقت من الأوقات الخمسة .

شعبان

٢٠ منه (١٩ افسطس ١٨١٣م - ١٢ مسرى ١٥٢٩ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بعد ذلك في الأمواق على العادة ، وكثر اجتماع غوغاء الناس للخروج الى الروضة ، وناحية السد ... والولائم في البيوت المطلة على الخليج ، وما يحصل من اجتماع الأخلاط أمام جرى الماء — كما هو المعتاد في كل سنة — وأنه اذا نودى بالوفاء حصل ذلك الاجتماع في تلك الليلة ، وكسروا السد في صباحها... عادة لا تتخلف فيما نعلم .

فلما كان آخر النهار ، ورد الخبر بأن الباشا أمر بتأخير فتح الخليج الى يوم الخميس ثانيه ، فكان كذلك . وخرج الباشا في صباح يوم الخميس ، وكسر السد ، وجرى الماء في الخليج ، وتكلف أرباب الدور المطلة على الخليج كلفة ثانية لضيقاتهم .

رمضان

٥ منه (أول سبتمبر ١٨١٣م) :

حضر ابن الباشا — المسمى باسماعيل — من الديار الرومية ، ووصل الى ساحل النيل بشبرا ، وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا والجيزة وتقدم أنه توجه ببشارة الحرمين ، وأكرمه الدولة ، وأعطوه أطواخا .

١٠ منه (٦ سبتمبر ١٨١٣م) :

حضر قاصد من الديار الرومية ، ووصل الى ساحل النيل ، وصحبته ببشارة بمولودة ولدت لحضرة السلطان . فعملوا الديوان بالقلعة ، واجتمع

به المشايخ والأعيان ، وأكابر الدولة . وقرىء فرمان الواصل في شأن ذلك . وفي مسمونه : الأمر للكافة بالفرح والسرور !!! وعمل الشنك ! وبعد الفراغ من ذلك ضربت المدافع من أبراج القلعة ، واستمر ضربها ، في كل وقت إذان ، خمسة أيام . وهذا لم يعهد في الدول الماضية الا للأولاد الذكور . وأما الاناث فليس لهم ذكر .

٢٧ منه (٢٣ سبتمبر ١٨١٣م) :

عمل الباشا جمعية بيت الأزبكية ، وأحضر الأعيان والمشايخ والقضاة الثلاثة ، وهم : بهجت أفندي المنفصل عن قضاء مصر ، وصديق أفندي المتوجه الى قضاء مكة ، المنفصل عن قضاء مصر العام الذي قبله ، والقاضي المتوجه الى المدينة .. ف عقدوا عقد ابنه اسماعيل باشا ، على ابنة عارف بيك التي حضرت بصحبته من الديار الرومية ، وعقدوا عقد أخته ، ابنة الباشا ، على محمد أفندي الذي تقلد الدفتردارية .

ولما تم ذلك قدموا لهم تماثيل بقج ، في كل واحدة أربع قطع من الأقمشة الهندية . وهي : شال كشميري ، ومطاقة مسجر ، ومطاقة قطني هندي ، ومطاقة شاهي . وفرقوا على الدون من الناس الحاضرين محارم .

ثم ان الباشا شرع في الاهتمام الى سفر الحجاز ، وتشهيل المطالبين واللوازم . فمن جملة ذلك : أربعون صندوقا من الصفيح المشمع داخلها بالشع والمصطكى وبالخشب من خارج ، وفوق الخشب جلود البقر المدبوغ ، ليودع بها ماء النيل المغلى لشربه وشرب خاصته ، ومثلها في كل شهر ... يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد المحروقي ، ويرسله في كل شهر !

شمال

٧ منه (٣ أكتوبر ١٨١٣ م) :

أداروا كبوة الكعبة ، وكانت مصنوعة من نحو خمس سنوات ، ومودوعة في مكان بالمشهد الحسيني ، فأخرجوها في مستهل الشهر ، وقد توسخت لطول المدة ، فحلوها ومسحوها . وكان عليها اسم السلطان مصطفى ، فغيروه ، وكتبوا اسم السلطان محمود . فاجتمع الناس للفرجة عليها ، وكان المباشر لها الرئيس حسن المحروقي ، فركب في موكبها .

١٤ منه (١٠ أكتوبر ١٨١٣ م) :

خرج محمد علي باشا مسافرا إلى الحجاز ... وكان خروجه ، وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور ، إلى بركة الحاج . وخرج الأعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار ، فأخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار . وركب هو متوجها إلى السويس بعد مضي ثماني ساعات وربع من النهار ، وبرزت الخيالة والسفاشية إلى خارج باب النصر ، ليذهبوا على طريق البر . وقبل خروج الباشا يومين قدمت هجانة مبشرون بالقبط على عثمان المصايفي بناحية الطائف . وكان قد جرد على الطائف ، فبرز إليه الشريف غالب ، وصحبته عساكر الأتراك والعربان ، فحاربوه وحاربهم ، فأصيب جواده ، فنزل إلى الأرض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه ، فخرج من بينهم ومشى ، وتباعد عنهم نحو أربع ساعات ، فصادفه جماعة من جند الشريف ، فقبضوا عليه ، وأصابته جراحة ... وعندما سقط من بين قومه ، ارتفع الحرب فيما بين الفريقين أخريات النهار . ولما أحضروه إلى الشريف غالب ، جعل في رقبته الجنزير .

والمصايفي هذا زوج أخت الشريف . وخرج عنه ، وانضم إلى الوهابيين ، فكان أعظم أعوانهم ... وهو الذي كان يحارب لهم ويقاتل ، ويجمع قبائل العربان ، ويدعوهم عدة سنين ، ويوجه سرايا على المخالفين . ونما أمره ، واشتهر لذلك ذكره في الأقطار . وهو الذي كان افتتح الطائف ، وحاربها وحاصرها ، وقتل الرجال ، وسبى النساء ، وهدم قبة ابن عباس ، الغربية الشكل والوصف . وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب في العام الماضي بناحية الصفراء والجديدة ، وهزمهم وشنت شملهم .

ولما قبضوا عليه أحضروه إلى جدة ، واستمر في الترسيم عند الشريف ليأخذ بذلك وجاهة عند الأتراك الذي هو على ملتهم ، ويتحقق لديهم نصحه لهم ، ومسالته إياهم ... وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ، ووبال أمره ، كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل .

ذوالقعدة

أوائله (أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر ١٨١٣ م) :

وردت أخبار من الجهة الرومية ، بأن عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من أيدي طائفة الصرب . وكانوا استولوا عليها نيفا وأربعين سنة . والله أعلم بصحة ذلك !

وفيه : عزل محمود حسن من الحسبة ، وتقلدها عثمان أغا المعروف بالورداني .

الثلاثاء ١٥ منه (٩ نوفمبر ١٨١٣ م) :

وصل عثمان المصايفي ، صحة المسافرين معه ، إلى الريدانية آخر الليل ، وأشيع ذلك . فلما طلعت الشمس ، ضربوا مدافع من القلعة ... اعلاما وسرورا بوصوله أسيرا .

فقال لهم : « انه سافر الى الدولة ، وأما الصلح فلا نأباه بشروط ، وهو أن يدفع لنا كل ماصرفناه على العساكر ، من أول ابتداء الحرب الى وقت تاريخه ، وأن يأتي بكل ما أخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التي كانت بالحجرة الشريفة ، وكذلك ثمن ما استهلك منها ، وأن يأتي بعد ذلك ويتلاقى معي وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك . وان أبى ذلك ولم يأت ... فنحن ذاهبون اليه » . فقالوا له : « اكتب له جوابا » . فقال : « لا أكتب جوابا ، لأنه لم يرسل معكم جوابا ، ولا كتابا ... وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا اليه كذلك » . فلما أصبح الصباح ، وقت انصرافهم ، أمر باجتماع العساكر ... فاجتمعوا ، ونصبوا ميدان الحرب ، والرمل المتتابع من البنادق والمدافع ، ليشاهد الرسل ذلك ، ويروه ، ويخبروا عنه مرسلهم .

ذو الحجة

١٩ منه (١٣ ديسمبر ١٨١٣ م) :

وقعت كائنة لطيف باشا . وذلك أن المذكور مملوك الباشا ... أهده له عارف بك — وهو عارف أفندي ابن خليل باشا المنفصل عن قضاء مصر نحو خمس سنوات — واختص به الباشا ، وأحبه ، ورقاه في الخدم والمناصب ... الى أن جعله أنختار أغاسي ، أي صاحب المفتاح ، وصار له حرمة زائدة ، وكلمة في باب الباشا ، وشهرة .

فلما حصلت النصر للعسكر ، واستولوا على المدينة ، وأتوا بمفاتيح زعموا أنها مفاتيح المدينة ، كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة ، وأرسلوا صحبته « مضيان » الذي كان متأمرا بالمدينة . ولما وصل الى دار السلطنة ، ووصلت أخباره ، احتفل أهل الدولة بشأنه احتفالا زائدا ، ونزلوا لملاقاته في المركب في مسافة بعيدة ،

وركب صالح بك السلحدار في عدة كبيرة ، وخرجوا للملاقاته واحضاره . فلما واجهه صالح بك ، نزع من عنقه الحديد ، وأركبه هجينا ، ودخل به الى المدينة ، وأمامه الجاويشة والقواسة الأتراك ، وبأيديهم العصي المفضضة ، وخلفه صالح بك ، وطوائفه ، وطمعوا به الى القلعة ، وأدخله الى مجلس كتبخدا بك ، وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقي أعيانهم ، ونجيب أفندي قبي كتبخدا الباشا ووكيله بباب الدولة . وكان متأخرا عن السفر ينتظر قدوم المضايقي ليأخذه بصحبته الى دار السلطنة .

فلما دخل عليهم ، أجلسوه معهم ، فحدثوه ساعة ... وهو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب ، وأفصح جواب . وفيه سكون وتؤدة في الخطاب ، وظاهر عليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ، ومعرفة مواقع الكلام ، حتى قال الجماعة لبعضهم البعض : « يا أسفا على مثل هذا ! اذا ذهب الى اسلامبول يقتلونه » .

ولم يزل يتحدث معهم حصة ، ثم احضروا الطعام فواكلهم ، ثم أخذه كتبخدا بك الى منزله فأقام عنده مكرما ثلاثا ، حتى تم نجيب أفندي أشغاله ، فأركبوه ، وتوجهوا به الى بولاق ، وأنزلوه في السفينة مع نجيب أفندي ، ووغسوا في عنقه الجنزير ، وانحدروا طالبين الديار الرومية . وذلك يوم الاثنين حادي عشرينه .

اواخره (النصف الثاني من نوفمبر ١٨١٣ م) :

وصلت أخبار بأن مسعودا الوهابي أرسل قصادا من طرفه الى ناحية جدة ، فقابلوا طوسون باشا ... والشريف غالب خلع عليهم ، وأخذهم الى أبيه ، فخطبهم وسألهم عما جاءوا فيه ، فقالوا : « الأمير مسعود الوهابي يطلب الافراج عن المضايقي ، ويقبديه بمائة ألف فرانسة ، وكذلك يريد اجراء الصلح بينه وبينكم ، وكف القتال » .

ودخلوا الى اسلامبول في موكب جليل وأبهة عظيمة الى الغاية ، وسعت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانا . وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وقتلوا « مضيان » المذكور في ذلك اليوم وعلقوه على باب السراية ، وعملوا شنانك ومدافع ، وأقراها وولائم . وأنعم السلطان على لطيف المذكور ، وأعطاه أطواخا ، وأرسل اليه أعيان الدولة الهدايا والتحف ، ورجع الى مصر في أبهة زائدة .

وداخله الغرور ، وتعاضم في نفسه ، ولم يحتفل الباشا بأمره ، وكذلك أهل دولته لكونه من جنس المماليك ، وأيضا قد تأسست عداوتهم في نفوسهم ، وكرهتهم له أشد من كراهتهم لأبنائنا ، وخصوصا كنتخدا بيك ، فانه أشد الناس عداوة وبغضا في جنس المماليك ، وطفق يلقي لمخدومه ما يغير خاطره عليه ، ومنها : أنه يضم اليه أجناسه من المماليك البطالين ، ليكونوا عزوته ويفترون به ، بحيث أن الباشا فوض اليه الأمر ان ظهر منه شيء في غيابه .

وسافر الباشا في اثر ذلك ، واستمر لطيف باشا مع الجماعة في صلف ، وهم يحدقون عليه ، ويرصدون حركاته ، ويتوقعون ما يوجب الايقاع به ... وهو في غفلة توتيه لا يظن بهم سوءا . فطلب من الكتخدا الزيادة في رواتبه وعلائقه ، لسعة دائرته ، وكثرة حوائيه ، ومصاريفه . فقال له الكتخدا : « أما أنا لست صاحب الأمر ، وقد كان هنا ولم يزدك شيئا ... فراسله وكتبه . فان أمر بشيء ، فأنا لا أخالف مأمورياته » . وتزايد هو والحاضرون في الكلام والمفاكمة ... ففارقهم على غير حالة ، ونزل الى داره وأرسل في العشية الى مماليك الباشا ليحضروا اليه في الصباح ، ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة ، وأمر اليهم أن

يصحبوا ما خف من متاعهم واسلحتهم . فلما أصبحوا استعدوا ، كما أشار اليهم ، وشدوا خيولهم ، فوصل خبرهم الى الكتخدا فطلب كبيرهم وسأله ، فأخبره أن لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة ، فقال : « ان هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة » ومنعهم من الركوب . وفي الحال أحضر حسن باشا ، وظاهر باشا ، وأحمد أغا — المسمى بونا بارتة الخازندار — وصالح بيك السلحدار ، وإبراهيم أغا ، آغات الباب ، ومحو بيك وخلافهم ودبوس أوغلي ، واسماعيل باشا ، ابن الباشا ومحمود بيك الدويدار ... وتوافق الجميع على الايقاع به . وأصبحوا يوم السبت مجتمعين ، وقد بلغه الخبر ، وأخذ عليه الطرق ، وأرسلوا يطلبونه للحضور في مجلسهم ... فامتنع ، وقال : « ما المراد من حضوري ؟ » ، فنزل اليه دبوس أوغلي وخدعه فلم يقبل ، فركب وعاد اليه ثانيًا يأمره بالخروج من مصر ان لم يحضر مجلسهم ، فقال : « أما الحضور فلا يكون ، وأما الخروج فلا أخالف فيه بشرط أن يكون بكفالة حسن باشا أو ظاهر باشا ، فإني لا آمن أن يتبعوني ويقتلونني خصوصا وقد أوقفوا بجميع الطرق » . ففارقه دبوس أوغلي . فتحير في أمره وأمر بشد الخيول ، وأراد الركوب ، فلم يتسع له ذلك . ولم يزل في قفص وإبرام الى الليل فشرکوا الجهات ، وأبواب المدينة أيضا ، بالعساكر ، وكثر جمعهم بالقلعة وأبوابها .

وفي تاسع ساعة من الليل نزل حسن باشا ومحو بيك في نحو الألفين من العسكر ، واحتاطوا بداره بسويقة العزى ، وقد أغلق داره ، فصاروا يضربون عليه بالبنادق والقرايين ... الى آخر الليل . فلما أغياهم ذلك ، هجموا على دور الناس التي حوله ، وتسلقوا عليه من الأسطحة ، ونزلوا الى سطح داره ، وقتلوا من صادفوه من عسكره وأتباعه ، واختفي هو في مخبأة أسفل الدار مع ستة أشخاص

الأعيان والأكابر من الناس الأتراك وغيرهم ، وفي جيبه من ذلك الحمص ، فيفرق على أهل المجلس منه ، ويلطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ، ويعرف باللغة التركية ، ويجانس الفريقين ، فمن أعطاه شيئا أخذته ، ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئا . وبعضهم يقول له : « انظر ضميرى أو فالى » فيعد على سبخته أزواجا وأفرادا ، ثم يقول : « ضميرك كذا وكذا » . فيضحكون منه .

فوشى بحسن أفندى هذا الى كنتخدا بيك وباقى الجماعة ، بأنه كان يقول للطف باشا انه سيلي سيادة مصر وأحكامها ، ويقول له : « هذا وقت انتهاز الفرصة في غيبة الباشا » . ونحو ذلك وجسموا الدعوى ، وأنه كان يعتقد صحة كلامه ، ويزوره في داره ، ورتب له ترتيبا . وأشاعوا أنه أراد أن يضم اليه أجناس المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ، ويعطيهم نفقات ويريد اثارة فتنة ، ويغتال الكتخدا بيك ، وحسن باشا ، وأمثالهما على حين غفلة ، ويتملك القلعة والبلد ، وأن اللبلى يغريه على ذلك .. وكل وقت يقول له : « جاء وقتك » . ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله أعلم بصحته .

فأرسل كنتخدا بيك الى اللبلى ، فحضر بين يديه في يوم الاثنين ، فسأله عنه ، فقال : لا أدرى . فقال : « انظر في حسابك هل نجده أم لا ؟ » . فمسك سبخته وعدّها كعادته وقال : « انكم تجدونه وتقتلونه » . ثم ان الكتخدا أشار الى أعوانه ، فأخذوه ونزلوا به ، وأركبوه على حماره ، وذهبوا به الى بولاق ، فأنزروه فى مركب ، وانحدروا به الى شلقان ، وشلحوه من ثيابه ، وأغرقوه فى البحر !

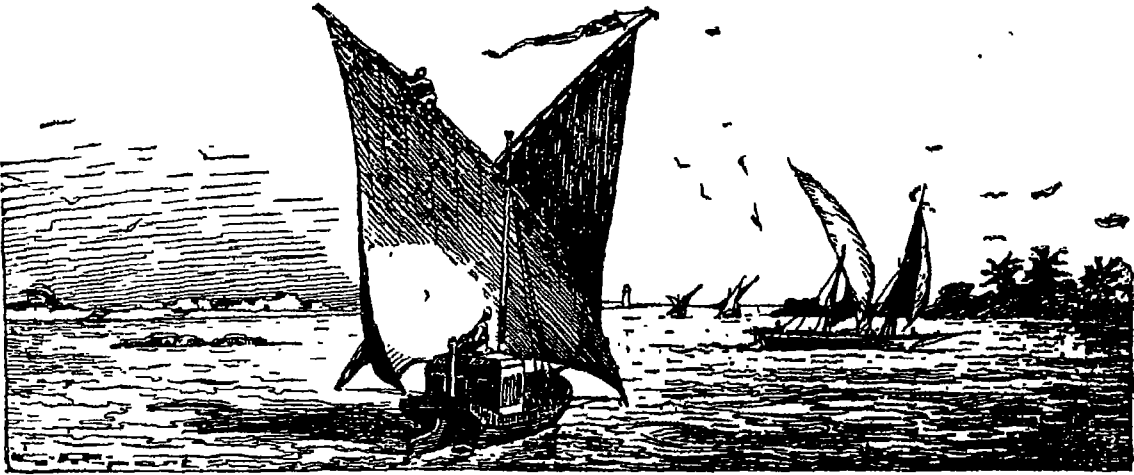
وفيه : عرفهم أغات حريم لطيف باشا ، بعد أن هددوه وقرروه ، عن محل أستاذة ،

من الجوارى ، ومملوك واحد ، وعلم بمكانهم أغات الحريم ... فداروا بالدار يفتشون عليه فلم يجدوه ، فنهبوا جميع ما فى الدار ، ولم يتركوا بها شيئا ، وسبوا الحريم والجوارى ، والمماليك ، والعبيد ... وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ، ودور حواشيه ، وهم نيف وعشرون دارا ، حتى حوانيت الباعة وغيرهم التى بالخطه ، ودار على كنتخدا صالح الفلاح !

هذا ما جرى بتلك الناحية ، وباقى نواحى المدينة لا يدرون بشئ من ذلك ... الا أنهم لما طلع نهار يوم الأحد ، وخرج الناس الى الأسواق والشوارع ، وجدوا العساكر مائجة ، وأبواب البلد مغلقة ، وحولها العساكر مجتمعة ، ومنهم من يعدو ومعه شئ من المنهوبات ، فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوى التى من عادتهم التبكير بفتحها ، وظنوا ظنا .

واستمر لطيف باشا بالمخبة الى الليل ، واشتد به الخوف ، وتيقن أن العبد الطواشى سينم عليه ، ويعرفهم بمكانه . فلما أظلم الليل ، وفرغوا من النهب والتفتيش ، وخلا المكان ، خرج من المخبة بمفرده ، ونظ من الأسطحة حتى خلص الى دار خازن داره ، وصحبته كبير عسكره ، وآخر يسمى يوسف كاشف دياب من بقايا الأجناد المصرية ، وباتوا بقية تلك الليلة ويوم الاثنين ... والكتخدا وأهل دولته يدأبون فى الفحص والتفتيش عليه ، ويتهمون كثيرا من الناس بمعرفة مكانه . ومحمود بيك داره بالقرب من داره ، أوقف أشخاصا من عسكره على الأسطحة ليلا ونهارا لرصده !

وكان المذكور له اعتقاد فى شخص يسمى حسر أفندى اللبلى — ولبلب لفظ تركى علم على الحمص المجوهر أى المقلد — ومن شأن حسن أفندى هذا أنه رجل درويش ، يدخل الى بيوت



اللبى في فيضة اعوان الكتخدا منحدرين به الى شلقان

فلما طلع نهار يوم الثلاثاء طلع به محمود بيك الى القلعة ... وقد اجتمع اكايرهم بديوان الكتخدا ، واتفقوا على قتله . ووافقهم على ذلك اسماعيل ابن الباشا بما تمقوه عليه ، لأنه في الأصل مملوك صهره عارف بيك . فعندما وصل الى الدرج ، قبض عليه الأعوان ، وهو بجانب محمود بيك ، قبض بيده على علاقة سيفه وهو يقول له بالتركى : « عزلنداييم » ، يعنى أنا فى عرضك ، ومات يده على قيطان السيف ، فأخرج بعضهم سكيناً وقطع القيطان ، وجذبوه الى أسفل سلم الركوبة وأخذوا عمامة ، وضربه المشاعلى بالسيف ضربات ، ووقع الى الأرض ولم يقطع عنقه ، فكمّلوا ذبحه مثل الشاة ، وقطعوا رأسه ، وفعلوا برفيقه كذلك ، وعلقوا رؤوسهما تجاه باب زويلة طول النهار .

٢٢ منه (١٦ ديسمبر ١٨١٣ م) :

أحضروا أيضا يوسف كاشف دياب ، وقتلوه أيضا عند باب زويلة ، وانقضى أمرهم ... والله أعلم بحقيقة الحال .

وفتح أهل الأسواق حوانيتهم بعد ما تخيل الناس بأنها ستكون فتنة عظيمة ، وأن العسكر

وأخبرهم أنه فى المخبأة ، وأراهم المكان ، ففتحوه فوجدوا به الجوارى الستة والمملوك ، ولم يجدوه معهم ، فسألوهم عنه ، فقالوا : « انه كان معنا ، وخرج فى ليلة أمس ، ولم يعلم أين ذهب » . فأخرجوهم ، وأخذوا ما وجدوه فى المخبأة من متاع وسروج ومصاغ وتقود ، وغير ذلك .

فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء ، اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق ، فأراد أن ينتقل من بيت الخازندار الى مكان آخر ، فطلع الى السطح ، وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكباشى ، ليخلص الى حوش مجاور لتلك الدار ، فنظرهما شخص من العسكر المرصد بأعلى سطح دار محمود بيك الدوبدار ، فصاح على القريين منه لينتبهوا له . فعندما صاح ، ضربه لطيف باشا رصاصة ، فأصابته ، وتنبه المرصدون بالنواحي عند سماع الصيحة ، وبندقية الرصاصة ، وتسارعوا اليه من كل ناحية ، وقبضوا عليه وعلى رفيقه ، وأتوا بهما الى محمود بيك ... فبات عنده ، ورمخ المبشرون الى بيوت الأعيان يبشرونهم بالقبض عليه ، ويأخذون على ذلك البقاشيش !

ينهبون المدينة ، وخصوصا الكائنون بالعرضى — خارج باب النصر — فانهم جياع وبردانون ، وغالبهم مفلس . لأن معظمهم من الجدد الواردين الذين لم يحصل لهم كسب من نهب أو حادث واقع أدركوه ، ولولا أنهم أوقفوا عساكر عند الأبواب منعتهم من العبور لحصل منهم غاية الضرر .

وانقضت السنة وحوادثها التى ربما استمرت الى ما شاء الله بدوامها واقضائها .

فمنها : أن الباشا لما فرغ من أمر الجهة القبلية بعد ما ولى ابنه ابراهيم باشا عليها ، وحرر أراضى الصعيد ، وقاس جملة أراضيه وفدنه ، وضبطه بأجمعه ، ولم يترك منه الا ما قل . وضبط لديوانه جميع الأراضى الميرية والاقطاعات التى كانت للملتزمين من الأمراء والهواره وذوى البيوت القديسة ، والرزق الاحباسية ، والسراوى ، والمتأخرات والمرصد على الأهالى والخيرات وعلى البر والصدقة ، وغير ذلك مثل : مصارف الولاية التى رتبها أهالى الخير المتقدمون لأربابها رغبة منهم فى الخير ، وتوسعة على الفقراء المحتاجين ، وذوى البيوت والدواوير المفتوحة ، المعدة لأطعام الطعام للضيغان والواردين والقاصدين ، وأبناء السبيل والمسافرين .

فمن ذلك أن بناحية سهاج ، دار الشيخ عارف ، وهو رجل مشهور كآسلافه ، ومعتقد بتلك الناحية وغيرها ، ومنزله محط لرجال الوافدين والقاصدين من الأكابر والأصاغر والفقراء والمحتاجين .. فيقرى الكل بما يليق بهم ، ويرتب لهم الترتيب والاحتياجات ، وعند انصرافهم — بعد قضاء أشغالهم — يزودهم ويهاديهم بالغلل والسنن والعسل والتمر والأغنام ... وهذا دأبه ودأب أسلافه من قبله على الدوام والاستمرار . ورزقته

المرصدة التى يزرعها وينفق منها ستمائة فدان ، فضبطوها ولم يسمحوا له منها الا بمائة فدان بعد التوسط ، والترجى ، والتشفع ، وأمثال ذلك بجرجا وأسيوط ومنفلوط وفرشوط وغيرهم . واذا قال المتشفع والمترجى للمتأمر : « ينبغى مراعاة مثل هذا ومسامحته لأنه يطعم الطعام ، وتنزل يداره الضيفان » . فيقول : « ومن كلفه بذلك ؟ » . فيقال له : « وكيف يفعل اذا نزلت به الضيوف على حسب ما اعتادوه ؟ » . فيقول : « يشتركون ما يأكلون بدراهمهم من آكياسهم ، أو يغلقون أبوابهم ، ويستقلون بأنفسهم وعيالهم ، ويقتصدون فى معاشهم ، فيعتادون ذلك ، وهذا الذى يفعلونه تبذير واسراف ! » . ونحو ذلك على حسب حالهم وشأنهم فى بلادهم . ويقول : « الديوان أحق بهذا ، فان عليه مصاريف ونفقات ومهمات ومحاربات الأعداء ، وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز » .

ولما حضر ابراهيم باشا الى مصر — وكان آيوه على أهبة السفر الى الحجاز — حضر الكثير من أهالى الصعيد يشكون ما نزل بهم ، ويستغيثون ويتشفعون بوجهاء المشايخ وغيرهم . فاذا خوطب الباشا فى شئ من ذلك يعتذر بأنه مشغول بالبال ، واهتمامه بالسفر ، وأنه أناط أمر الجهة القبلية وأحكامها وتعلقاتها لابنه ابراهيم باشا . وأن الدولة قلدته ولاية الصعيد فأنا لا علاقة لى بذلك ! واذا خوطب ابنه أجابه بعد الحاجة بما تقدم ذكره ، ونحو ذلك . واذا قيل له هذا على مسجد . فيقول : « كشفت على المساجد فوجدتها خرابا ، والنظار عليها يأكلون الايراد ، والخزينة أولى منهم ، ويكفيهم أنى أسامحهم فيما أكلوه فى السنين الماضية ، والذى وجدته عامرا أطلقت له ما يكفيه وزيادة . وانى وجدت لبعض المساجد أطيانا واسعة ، وهى خراب ومعطلة ، والمسجد يكفيه مؤذن واحد ، وأجرته نصفان ، وامام مثل ذلك ،

وأما فرشه واسراجه فاني أرتب له راتباً من الديوان في كل سنة . فإذا تكرر عليه الرجاء أحال الأمر على أبيه ، ولا يمكن العود إليه لحركاته ، وتنقلاته وكثرة أشغاله وزوغانه .

ولما زاد الحال بكثرة المتشكين والواردين وبرز الباشا للسفر ، بل وسافر بالفعل ، فلم يمكث بعده ابنه الا أياماً قليلة : يبيت بالجيزة ليلة ، وعند أخيه ببولاق ليلة أخرى ، ثم سافر راجعاً الى الصعيد ، يتم ما بقى عليه لأهله من المذاب الشديد ، فانه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالأقطار . وأذل أعزّة أهله ، وأساء أسوأ السوء معهم في فعله ، فيسلب نعمهم وأموالهم ، ويأخذ أبقارهم وأغنمهم ، ويحاسبهم على ما كان في تصرفهم واستهلكوه ، أو يحتاج عليهم بذنب لم يقترفوه ، ثم يفرض عليهم المغارم الهائلة ، والمقادير من الأموال التي ليست أيديهم إليها طائلة . ويلزمهم بتحصيلها وغلقها وتعجيلها . فتعجز أيديهم عن الاتمام ، فعند ذلك يجري عليهم أنواع الآلام من الضرب والتعليق ، والكي بالنار والتحريق . فانه بلغنى — والمهدة على الناقل — أنه ربط الرجل ممدوداً على خشبة طويلة ، ومسك بطرفيها الرجال وجعلوا يقلبونه على النار المضرة مثل الكباب ! وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل ، سنة دون العشرين عاماً ، وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه : لم يؤدبه مؤدب ، ولا يعرف شريعة ولا مأمورات ولا منهيات . وسمعت أن قائلاً قال له : « وحق من أعطاك » . قال : « ومن هو الذي أعطاني ؟ » . قال له : « ربك » . قال له : « انه لم يعطني شيئاً ، والذي أعطاني أبى ... فلو كان الذي قلت ، فانه كان يعطيني وأنا ببلدى ! وقد جئت وعلى رأسى قبع مزفت مثل اللقلاقة » . فلهذا لم تبلغه دعوى ولم يتخلق الا بالأخلاق التي دربه عليها والده ، وهى تحصيل المال بأى وجه كان .

فأنزل بأهل الصعيد الذل والهوان ، فلقد كان به من المقادم والهواره ، كل شهم يستحق الرئيس من مكالمته ، والنظر اليه بالملابس الفاخرة ، والأكرام السور ، والخيول المسومة والأنعام والأتباع والجند والعبيد ، والأكام الواسعة والمضايف والانعامات والاعداقات والتصدقات ، وخصوصاً أكابرهم المشهورون ... وهمام — وما أدراك ما همام ! — وقد تقدم في ترجمته ما يغنى عن الاعادة . فخربت دور الجميع ، وتشتتوا وماتوا غرباء . ومن عسر عليه مفارقة وطنه ، جرى عليه ما جرى على غيره ، وصار في عداد المزارعين .

وقد رأيت بعض بنى همام وقد حضروا الى مصر ليعرضوا حالهم على الباشا لعله يرفق بهم ويسامحهم في بعض ما ضبطه ابنه من تعلقاتهم يتعيشون به ، وهم أولاد عبد الكريم وشاهين ولدى همام الكبير ومعهم حريمهم وجوارهم وزوجة عبد الكريم — ويقولون لها الست الكبيرة — وهى أم أولاده . فلما وصلوا الى ساحل مصر القديمة ، ورأى أرباب ديوان المكس الجوارى — وعدتهم ثلاثة — حجزوهم وطلبوهم بكركهن ! فقالوا : « هؤلاء جوارنا للخدمة ، وليسوا مجلوسين للبيع » . فلم يعبأوا بذلك ، وقبضوا منهم ما قبضوه ، ثم انهم لم يتمكنوا من الباشا — وكان اذ ذاك قد توجه الى الفيوم ، وعاد الى العرضى مسافراً الى الحجاز — فاستمروا بمصر حتى نفدت نفقاتهم ، ورأيتهم مرة مارين بالشارع ، وهم مخلقون ، وفيهم صغير مراهق . واتفق أنهم تفاقموا مع ابن عمهم ، وهو عمر ، وشكوه الى مصطفى بك دالى باشا بأنه حاف عليهم في أشياء من استحقاقهم ... دعوى مفلس على مفلس ! فأحضره وحبسه مدة وما أدري ما حصل لهم بعد ذلك .

وهكذا .. تخفض العالى وتعالى من سفل ، اللهم
انا نعوذ بك من زوال النعم ، ونزول النقم .

وأما من مات فى هذه السنة ، فمات الأستاذ
الشهير ، والجهيد التحرير ، الرئيس المفضل ،
والفريد المبجل ، نادرة عصره ، ووحيد دهره :
الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد
الرحمن ، المعروف بابن عارفين ، سبط بنى الوفاء ،
وخليفة السادات الحنفاء ، وشيخ سجادتها ، ومحط
رحال سيادتها ... وشهرته غنية عن مزيد الإفصاح ،
ومناقبه أظهر من البيان والابضاح وأمه السيدة
صفية بنت الأستاذ جمال الدين يوسف أبى الارشاد
ابن وفا ، تزوج بها الخواجه عبد الرحمن المعروف
بعارفين ، فأولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف --
-- وكان أسن منه -- فتربى مع أخيه فى حجر
السيادة والصيانة والحشمة ، وقرأ القرآن ، وتولع
بطلب العلم .

وحضر دروس أشياخ الوقت ، وتلقى طريفة
أسلافه وأورادهم وأحزابهم ، عن خساله
الأستاذ شمس الدين محمد أبو الاشراق بن وفا ،
عن عمه الشيخ عبد الخالق ، عن أبيه الشيخ يوسف
أبى الارشاد ، عن والده أبى التحصيص عبد
الوهاب ... الى آخر السند المنتهى الى الأستاذ أبى
الحسن الشاذلى . ولأزم العلامة القدوة : الشيخ
موسى البجيرمى ، فحضر عليه -- كما ذكره فى
برنامج شيوخه -- أم البراهين ، وشرح المصنف
عليها ، والآجرومية وشرحها للشيخ خالد ، وشرح
الستين مسألة للجلال المحلى -- وهو أول أشياخه
-- ثم لازم الشيخ خليل المغربى ، فحضر عليه شرح
إيساغوجى لشيخ الاسلام زكريا الأنصارى ،
وشرح العصام على السمرقندية ، وإلهاكم على

القطر ، ومتن التوضيح والأشمونى على الخلاصة ،
ورسالة البوضع والمغنى .

وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد الميجرى
الملوى فى صحيح البخارى ، والشيخ عبد السلام على
الجوهرية ، وأجازته بروياته ومؤلفاته الاجازة
العامة ، وكذلك أجازته الشيخ أحمد الجوهري
الشافعى ، اجازة عامة واجازة خاصة ، بطريقة
مولاي عبد الله الشريف ، ولأزم وقرأ وشارك ولده
الشيخ محمد الجوهري الصغير .

وحضر أيضا دروس الأستاذ الحنفى فى شرح
التلخيص للسعد التفتازانى ، وشرح التحرير لشيخ
الاسلام ، وشرح الألفية لابن عقيل ، والأشمونى .
وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوى المالكى فى
شرح الآجرومية للشيخ خالد ، وشيئا من شرح
الهزمية للحافظ بن حجر ، وشيئا من تفسير الجلالين
والبيضاوى .

وحضر الشيخ مصطفى السندوبى الشافعى فى
شرح بن قاسم العزى على أبى شجاع ، وعلى السيد
البليدى فى شرح التهذيب للخبصى ، وعلى الشيخ
عطيه الأجهورى الشافعى فى شرح الخطيب على أبى
شجاع ، وشرح التحرير لشيخ الاسلام ، وتفسير
الجلالين ، وعلى الشيخ محمد النارى شرح السلم
لمصنفه ، وشرح التحرير ، وعلى الشيخ أحمد
القوصى شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادى .

وسمع المسلسل بالأولية من عالم أهل المغرب فى
وقته الشيخ محمد بن سودة التاودى ، الفاسى
المالكى ، عند وروده مصر فى سنة اثنتين وثمانين
ومائة وألف بقصد الحج ، وكتب له اجازة بخطه
مع سنده ، وأجازته أيضا بدلائل الخيرات ،
وأحزاب الشاذلى .

وكذلك تلقى الاجازة من الأستاذ المسلك عبد
الوهاب بن عبد السلام العفيفى المرزوقى ، وتلقى

أيضا من امام الحرم المكي الشيخ ابراهيم ابن الرئيسى محمد الزمزمى الاجازة بالمسبغات ، واستجازه هو أيضا بما لأسلافه من الأحزاب ، وكناه بأبى الفوز وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة وألف بمكة ... سنة حجة المترجم .

ولما مات السيد محمد أبو هادى ، وانقضت بموته سلسلة أولاد الظهور — وذلك فى سنة ست وسبعين ومائة وألف — تافت نفس المترجم لخلافة بيتهم ، وتهيا لذلك ، ولبس التاج أيضا ، والعصابة التى يجعلونها عليه ... فلم يتم له ذلك ، وعورض بسيدى أحمد بن اسماعيل بيك ، المعروف بالدالى — المكنى بأبى الامداد — لأنه فى طبقته فى النسب ، وأمه السيدة « أم المفاخر » ابنة الشيخ عبد الخالق ، باتفاق أرباب الحل والعقد ، لكونه من بيت الامارة . وقد صار منزلهم كمنازل الأمراء فى الاتساع والتأنق والمجالس المزخرفة ، والقيعان والقصور ، وفى ضمنه البستان بالنخيل والأشجار ، وما يجتنى منها من الفواكه والثمار ... لأن معظم الوجاهة والسيادة فى هذه الأزمان بالمساكن الأنيقة والملابس الفاخرة ، وكثرة الايراد والخدم والحشم ، خصوصا ان اقترن بذلك شئ من المزايا المتعدية : من بذل الاحسان ، واکرام الضيفان . فعند ذلك يصير ربه قطب الزمان ، وفريد العصر والأوان . فلو فرضنا أن شخصا اجتمعت فيه أوصاف الكمالات المعنوية ، والمعارف الدنية ، وخلا عما ذكر — وكان صعلوكا قليل المال ، كثير العيال — فلا يعد فى الرجال ، ولا يلتفت اليه بحال ... حكم الهية ، وأحكام ربانية !

فلما تقلدها سيدى أحمد المذكور دون المترجم ، بقى متطلعا يسلى نفسه بالأمانى ، ثم قصد الحج فى سنة تسع وسبعين كما ذكر . فلما عاد من الحج ، تزوج بوالدة الشيخ محمد أبى هادى ، وأسكنها

بمنزل ملاصق لدار الخليفة .. توصلا وتقربا لمأموله . ولم تطل مدة الشيخ أبى الامداد ، وتوفى سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه فى ترجمته . وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض ... وقد مهد أحواله ، وثبت أمره مع من يخشى صولته ومعارضته من الأشيخ وغيرهم .

ودفن السيد أحمد ، وركب المترجم فى صباحها مع أشياخ الوقت ، والشيخ أحمد البكرى ، وجماعة الحزب ونقبائهم الى الرباط بالخرنفس . ودخل الى خلوة جدهم ، فجلس بها ساعة ، وقرأ أرباب الحزب وظيفتهم ، ثم ركب مع المشايخ الى أمير البلدة — وكان اذ ذاك على بيك — فخلع عليه ، وركبوا الى دارهم ومحل سيادتهم المعهودة ... وأصبح متقلدا خلافة أسلافهم ، ومشىخة سجادتهم ... فكان لها أهلا ومحلا . وتقدم على أخيه الشيخ يوسف — مع كونه أسن منه — لما فيه من زيادة الفضيلة ، ولما ثبطه به من مخادعته ، وسلامة صدر أخيه وحسن ظنه فيه .

وانتظم أمره ، وأحسن سلوكه بشهامة وحشمة ووراسة وتؤدة وأدب مع الأشياخ والأقران ، وتحجب الى أرباب المظاهر والأكابر ، واستجلاب الخواطر ، وسلوك الطرائق الحميدة ، والتباعد عن الأمور المخلة بالمروءة ، والأخذ بالحزم والرفق ... مع الاشتغال فى بعض الأحيان بالمطالعة والمذاكرة فى المسائل الدينية والأدبية ، ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم ، والمناقشة معهم فى النكات ، واقتناء الكتب من كل فن ... كل ذلك مع الجد والتحصيل للأسباب الدنيوية ، وما يتوصل به الى كثرة الايراد .. بحسن تداخل ، وجميل طريقة مبعدة عما يخل بالمقدار ... بحيث يقضى مرامه من العظيم ، وجميل الفضل له .

ويراسل ويكتاب ، ويشاخص على أدنى شيء ، ويحاسب ، ولا يدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة في الدفاتر ... بل يرون أن أخذها منه من الكبائر ! وكذلك دواوين المكوس المبنى على الاجحاف ، فكل ما نسب له فيها فهو معاف . وكلما طال الأمل ، زاد المدد ، وخصوصا اذا تقلبت الدول ، وارتفعت السفل . كان الأسبق القديم في أعينهم ، هو الجليل العظيم ... وهم لديه صغار ، لا ينظر اليهم الا بعين الاحتقار .

ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين كان يهابهم ، ويخضع لهم ، ويتأدب معهم ... وكانوا على طرائق الأقدمين في العفة والانجماع عما يخل بتعظيم العلم وأهله ، والتباعد عن بنى الدنيا الا بقدر الضرورة ، وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك — وهم أعظم مدرسى الوقت — فأحدقوا به ، وأكثروا من التردد عليه وعلى موائده ، وبالغوا في تعظيمه وتقييل يده ، ومدحوه بالقصائد البليغة طمعا في صلاته وجوائز القليلة ، وحصول الشهرة لهم ، وزوال الخمول ، والتعارف بمن يتردد الى داره من الأمراء والأكابر ... وزاد هو أيضا وجها ووجاهة بمجالستهم ، ولا يريهم فضلا يسعيهم اليه ، ويزداد كبرا وتيها . وبلغ به انه لا يقوم لأكثرهم اذا دخل عليه ، ومنهم من يدخل بغاية الأدب فيضم ثيابه ويقول عند مشاهدته : « يا مولاي يا واحد » ، فيجيبه هو بقوله : « يا مولاي يا دائم » ، يا على يا حكيم » . فاذا حصل بالقرب منه ، ينحو ذراعين ، جبا على ركبتيه ، ومد يمينه لتقييل يده أو طرف ثوبه . وأما الأدون ، فلا يقبل الا طرف ثوبه . وكذلك أتباعه وخدمه الخواص .

واذا كان من أهل الذمة أو كبار المباشرين ، وقبلوا يده وخاطبهم في أشغاله — وهم قيام — وانصرفوا ... طلب الطهيت والابريق ، وغسل

يده بالصابون لازالة أثر أفواههم ! ولا يجيب في رد التحية الا يقول : « خير . خير » . ولا يقطع غالب أوقاته مع مجالسيه وحاصته ومسامريه الا باتقاد أهل مصره ، وغيبة غالب أهل عصره . وتنسبط نفسه لذلك ، واليه يصغى ... كلا ان الانسان ليطنى !

وفي سنة تسعين ومائة وألف ، ورد الى مصر عبد الزقاق أفندى رئيس الكتاب ، ومن أكابر أهل الدولة ، فتدخل معه ، واصطحب به ، وأهدى اليه هدايا ، واستدعاه وأضافه .

وحضر في ذلك العام محمد باشا — المعروف بالزتى — واليا على مصر ، فأتهى اليه بمعونة الرئيس المذكور احتياج زاوية أسلافه للعمارة ، ودعا الباشا لزيارة قبورهم في يوم المولد المعتاد السنوى ، وذكر له المقصود ، وأظهر له بعض الخلل ، وزين له ذلك الفعل ، وأنه من تمام الشعائر الاسلامية ، والمشاهد التي يجب الاعتناء بشأنها ، والسعى والطواف بحرما .

وكان المعين والسفير والمساعد في ذلك أيضا ، شيخنا محدث العصر ، السيد محمد مرتضى ، وهو عند العثمانيين مقبول القول ، وكان عبد الرزاق الرئيس يتلقى عنه المسلسلات والاجازات ، وقرأ عليه مقامات الحريري ، فأجاب الباشا ووعد باتمام ذلك وكاتب الدولة ، وورد الأمر باطلاق خمسين كيسا لمصرف العمارة من خزينة مصر . فشرع في هدم حوائطها ووسعها عن وضعها الأصلي ، واندرس في جدرانها قبور ومدافن ، وحوطها وزخرفها بالنقوش ، وأنواع الرخام الملون والمموه بالذهب ، والأعمدة الرخام .

ثم كاتب الدولة ، وأنهى أن ذلك القدر لم يكف ، وأن العمارة لم تكمل ، والاحسان بالاتمام ... فاطلقوا له خمسين كيسا أخرى ، وأتمها على

هذا الوضع الذى هى عليه الآن ، وأنشأ حولها مساكن ومخادع ، ووسع القصر الملاصق لها ، المختص به لجلوسه ، ومواضع الحريم أيام الموالد .

ثم أرسل فى اثر ذلك كتخداه ووزيره الشيخ إبراهيم السندوبى ، الى دار السلطنة بمكاتبات ، وأعرض لرجال الدولة ، والتمس رفع ما على قرية ذفتا وغيرها ، مما فى حوزة من الالتزام ، من المال الميرى الذى يدفع الى الدبوان فى كل سنة .

وكان إبراهيم المذكور غاية فى الدهاء والحيل الساسانية ، والتصنعات الشيطانية ، والتخليطات الوهمية وتقلبات الملامية ، فتمم مرامه بما ابتدعه من المخرفة ، والايهات الملققة ... ولم يدفع ما جرت به العادة من العوائد ، بل اجتلب خلاف ذلك فوائد .

ولما حضر حسن باشا للجزايرلى الى مصر على رأس القرن ، وخرج الأمراء المصريون الى الجهة القبلية ، واستباح أموالهم ، وقبض على نسائهم وأولادهم ، وأمر بانزالهم سوق المزاد وبيعهم زاعما أنهم أرقاء لبيت المال ، وفعل ذلك . فاجتمع الأشياخ ، وذهبوا اليه ... فكان المخاطب له المترجم ، قائلا له : « أنت أتيت الى هذه البلدة ، وأرسلك السلطان الى اقامة العدل ، ورفع الظلم ... كما تقول ، أو لبيع الأحرار ، وأمهات الأولاد ، وهتك الحريم ؟ » . فقال : « هؤلاء أرقاء لبيت المال » . فقال له : « هذا لا يجوز ، ولم يقل به أحد » . فاغتاظ غيظا شديدا ، وطلب كاتب ديوانه ، وقال له : « اكتب أسماء هؤلاء ، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره » . فقال له السيد محمود البنوفرى : « اكتب ماتريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا » فأفحم ، وانكف عن اتمام قصده ، وأيضا تتبع أموالهم وودائعهم .

وكان إبراهيم بيك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة ، وكذلك مراد بيك أودع عند محمد أفندى البكرى وديعته ، وعلم ذلك حسن باشا فأرسل عسكرا الى السيد البكرى ، فلم تسعه المخالفة ، وسلم ما عنده ، وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة إبراهيم بيك ... فامتنع من دفعها قائلا : « ان صاحبها لم يت » ، وقد كتبت على نقصى وثيقة ، فلا أسلم ذلك مادام صاحبها فى قيد الحياة » . فاشتد غيظ الباشا منه ، وقصد البطش به ، فحماء الله منه ببركة الانتصار للحق . فكان يقول : « لم أر فى جميع الممالك التى ولجتها من اجترأ على مخالفتى مثل هذا الرجل ؟ فانه أحرق قلبى » .

ولما ارتحل من مصر ، ورجع المصريون الى دولتهم ، حصل من مراد بيك فى حق السيد البكرى ما حصل ، وغرمه مبلغا عظيما ، باع فيه أقطاعه فى نظير تفریطه فى وديعته ، واحتج عليه بامتناع نظيره ، وحصل له قهر تمرض بسببه وتسلسل به المرض حتى مات . ويقال ان مراد بيك أرسل اليه الحكيم ودس له السم فى العلاج ، ثم مات رحمه الله . وكانت منه هفوة . ولا يد للجواد من كبوة . ومن لم ينظر فى العواقب فليس له الدهر بصاحب ... حتى قيل انه هو الذى عرف حسن باشا عن ذلك لينال به زيادة فى الخطوة عنده ، ويترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه فى عقب ذلك من التوسع . وقد غلب على ظنه ، بل وظن غالب الناس ، انقراض المصريين ، وغفلوا عن تقلبات الدهر فى كل حين . وأما المترجم فانه لما أخذ بالحزم سلم ، ورد الأمانة الى صاحبها حين قدم ، وحسنت فيهم سيرته ، وزادت عندهم محبته . وفى عقب ذلك نزل السيد محمد أفندى البكرى المذكور عن وظيفة نظير المشهد الحسينى للمترجم ، وأرسل اليه بصندوق دفاتر الوقف — وكان نظر المشهد بييتهم مدة طويلة —

مهد له الطريق سرا قبل الايقاع به . فانه لما أراد ضرب السيد بدوى ، طاف على الشيخ العروسى وأمثاله ، وأسّرهم ما فى نفسه .

وامتدت يده أيضا الى شهود بيت القاضى . فكان اذا بلغه أن أحدهم كتب حجة استبدال أو اجارة مكان ، مدة طويلة ، لناظر أو مستحق وكان ذلك المكان يؤول ، بعد انقراض مستحقه ، لضريح من الأضرحة التى تحت نظره — أحضر ذلك الكاتب ووبخه ولعنه ، ولربما ضربه ، وأبطل تلك المكتبة ، ومحاها من سجل القاضى ، أو يصلحونه على تنفيذ ذلك — مع أنها لا تؤول الى تلك الجهة الا بعد سنين وأعوام متطاولة .

وقد نص علماء الشرع على أن الوقف والنذر للقبور والأضرحة ... باطل . فان قيل بصحته على الفقراء ، قلنا : ان سدة هذه الأضرحة ليسوا بفقراء ، بل هم الآن أغنى الناس . والفقراء حقيقة خلفهم من أولاد الناس الذين لا كسب لهم ، والكثير من أهل العلم الخاملين ، والذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .

ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسينى ، قهر السيد بدوى المباشر المذكور ، وأخذ دار سكنه شرقى المسجد ، وأخرجه منها ، وهدمها وأنشأها دارا لنفسه ، ينزل بها أيام المولد المعتاد ، ويأتى اليها فى كل جمعة أو جمعتين . ولما تم بناؤها ونظامها ، وقرب وقت أيام المولد ، انتقل اليها بخدمة وحريمه ، وتقدم الى حكام الشرطة بأمر الناس والمناداة على أهل الأسواق والحوانيت : بالسهر بالليل ، ووقود السرج والقناديل ، خمس عشرة ليلة المولد ، وكان فى السابق ليلة واحدة . وأحدثوا فى تلك الليالى سيارات ، وجمعيات ، وطبولا ، وزمورا ، ومناور ومشاعل ، وجمع خلائق من أوباش العالم الذين يتسبون الى الطرائق ،

ووعده المترجم بأن يبدله عنه وظيفة النظر على وقف الشافعى . فلما حصل الفراغ واحتوى على الدفاتر ، نكث وطمس على الوظيفتين ، بل ومد يده الى غيرهما لعدم من يعارضه ، ولا يدافعه من الأمراء وغيرهم ، مثل نظر المشهد النفيسى والزينبى ، وباقى الأضرحة الكثيرة الايراد ... التى يصاد بها الدينامى كل ناد ، وتأتيها الخلائق بالقرابات وأنواع النذورات . وأخذ يحاسب المباشرين وخدمة الأضرحة المذكورة على الايرادات والنذورات . ويحافظهم على الذرات ، ويسبهم ويهينهم ، ويضربهم بالجريد المحمص على أرجلهم . وفعل ذلك بالسيد بدوى ، مباشر المشهد الحسينى ، وهو من وجهاء الناس الذين يخشى جانبهم ، ومشهور ومذكور فى المصر وغيره .

وكان معظم انقباض السيد البكرى ، ونزوله عن نظر المشهد ... ضيق صدره من المذكور ، ومناكدته له ، واستيلائه على المحل ، ومحصول الوقف ، والتقصير فى بصارفه اللازمة ... وينسب التقصير للناظر . وكان — رحمه الله عظيم الهمة ، يغلب عليه الحياء والسامحة ، ويرى خلاف ذلك من سفاسف الأمور ... فتتصل من ذلك ، وترك فعله لغيره .

فلما أوقع المترجم بالسيد بدوى وباقى عظماء السدة ما أوقع ، انقمع الباقون ، وذلوا ، وخافوه أشد الخوف ، ووشوا على بعضهم البعض . وطلق يطالبهم بالنذور والشموع والأغنام والعجول ، وما يتحصل بصندوق الضريح من المال — وكانوا يختصون بذلك كله ، وأقلهم فى رفاهية من العيش ، وجمع المال مع السفالة والشحاذة ... حتى من الفقير المعدم المفلس والكسرة الناشفة !

وكان اذا أراد الايقاع بشخص أو اهاتته ، وخشى عاقبة ذلك ، أو لوما يلحقه ممن ينتصر له ،

كالأحمدية والسعدية والشيعية ، ويتجاوبون في وسط الطبول بألفاظ مستهجنة ، ينادون بها مشايخ طرقيهم بكلمات وعبارات تشتمز منها الطباع ! وأمرهم بأن يروا من تحت داره ، ودعا أمراء البلدة في ظرف تلك الأيام متفرقين ، ودعا عابدين بأشياء يوم المولد .

ولما سكن بتلك الدار — وهى قبالة الميضاة والمراحيض — فكان يتضرر من الرائحة ، فقصد إبطالها من تلك الجهة ، فاشتري دارا قبلى المسجد — وهى بجانب حائط المسجد الجنوبيّة الفاصلة بينها وبين المسجد — وأدخل منها جانبا فى المسجد ، وزاد فيه مقدار باكية ، وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لتمتاز عن البناء القديم ، وجعل به محرابا ، ومن خلفه خلوة يسلك اليها من باب يصدر الليوان المذكور الى فسحة لطيفة أمام الخلوة ... وبالخلوة شباك مطل على الليوان الصغير الذى بقبة الضريح . وأنشأ فيما بقى من الدار ميضاة ومراحيض ، وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل ، وأبطل الميضاة القديمة ، لانحراف مزاجه وتأذيه من رائحتها .

وتحول عبور الناس من داخل وخارج الى هذه الجديدة ، وأتت عليها عدة أيام ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد ، وما انضاف الى ذلك أيضا من البلل والتقذير من أرجل الأوباش لقربها من المسجد . فلغظ الناس ومن يحضر فى أوقات الصلاة ، من أتراك خان الخليلى والتجار ، وشنعوا القالة ، وقاموا قومة واحدة ، وأغلقوا الباب ، وأبطلوا تلك الميضاة ، ومنعوا من دخولها . وساعدهم المتصوفون من أجناسهم ، فانكسف بال المترجم لذلك ، ولم يكتفه تنفيذ فعله ، وأعاد الميضاة القديمة كما كانت ، وجعل المستجدة مربطا للحمير يستغل أجرته ! بعد أن أزال تلك الميضاة ، ومحا أثر ذلك .

وكان بناء هذه الزيادة سنة ست بعد المائتين . ثم زاد فى منزل سكنهم زيادة من ناحية البركة المعروفة ببركة الفيل — خلف البستان — أخذ فى تلك الزيادة مقدارا كبيرا من أرض البركة ، وأنشأه مجلسا مربعا متسعا ، مطلا على البركة من جهتيه ، وبوسطه عمود من الرخام ، وبلط دور قاعته بالرخام ، وجعل به مخدعا ، وخارجه فسحة كبيرة ، وشبائيكها مطلقة على البركة . وصارت القاعة القديمة ، المعروفة بالغزال الملتفت ، بابها فى ضمن الفسحة ، وبها باب القيطون . وسمى هذه المنشية « الأسعدية » ، وبتلك الفسحة باب يدخل منه الى منافع ومرافق . ثم عن له التغيير والتبديل لأوضاع البيت من ناحية أخرى ، فهدم السائر على القاعة الكبيرة وفسحتها ، وهى التى يسمونها « بأم الأفراح » ، وهى من انشاء الشيخ أبى التخصيص ، وهى أعظم المجالس التى بدارهم .. مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشاني الصينى بجميع حيطانها والرخام الملون ، وبها الفسقية والسلسيل ، والقمريات الملونة . فكشف حائطها وأدخل فسحتها فى رحبة الحوش ، وهدم القاعة الأخرى التى كان يصعد اليها بسلم من الفسحة الأخرى ، وأبطل الحواصل التى أسفلها ، وسأواها بالأرض ، وعمل بها فسقية بالرخام ، ومرافقها من داخلها ، وبها باب يتوصل منه الى الحريم ، وسماها « الأنوارية » نسبة لكنيته ، وأمامها فسحة عظيمة — ديوان بذلك وكراسى — بجانب البستان ، وبها الطريقة والدهليز الممتد بوسط البستان الموصل إلى القاعة المسماة « بالغزال والأسعدية » ، وهدم المقعد القديم الذى به العمود وقناطره ، وما كان بظاهر الحاصل — المسمى بحاصل السجادة — من الحواصل السفلية ، وجعله مسجدا يصلى فيه الجمعة ، ونصب فيه منبرا للخطبة .. وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره ، وتعاضله عن السعى الكثير ، والاختلاط بالعامّة .

وأخذ قطعة وافرة من بيت كتحدا الجاويشية وسع بها البستان ، وغرس بها الأشجار والرياحين والثمار .

وأقنى غالب عمره في تحصيل الدنيا ، وتنظيم المعاش والزفاهة ، واقتناء كل مرغوب للنفس ، وشراء الجوارى والماليك والعبيد والحيوش والخصيان ، والتأنيق في المآكل والمشارب والملابس ، واستخراج الأدهان والعطريات والمركبات المفرحة ، والمنعشة لقوة .

وتعاطف في نفسه ، وتعالى على أبناء جنسه ... حتى أنه ترفع على لبس التاج ، وحضور المحيا بالأزهر ليلة المعراج ، وكذا الحضور في مجلس وردهم ، الذي هو محل عزهم وفخرهم ، وصار يلبس قاووقا بعمامة خضراء ، تشبها بأكابر الأمراء ، وبعدا عن التشبه بالمتعممين والفقهاء والمقرئين .

ولما طالت أيامه ، وماتت أقرانه ، والذين كان يستحى منهم ويهابهم ، وتقلبت عليه الدول ، واندرجت أكابر الأمراء ، وتأمرأتباعهم وماليكهم الذين كانوا يقومون على أقدامهم بين يدي مخاديعهم وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم ... لا جرم كانت هيئته في قلوبهم أعظم من أسلافهم ، واستصغاره هو لهم كذلك . فكان يصدعهم بالكلام وينفذ أمره فيهم ، ويذكر الأمير الكبير بقوله : « ولدنا الأمير فلان » . وحوائجه عندهم مقضية ، وكلامه لديهم مسموع ، وشفاعته مقبولة ، وأوامره نافذة فيهم وفي حواشيهم وحرماناتهم .

واتفق أن بعض أعظم المباشرين من الأقباط توقف معه في أمر ، فأحضره ولعنه وسبه ، وكشف رأسه وضربه على دماغه بزعمة من الجلد ، ولم يراع حرمة أميره ، وهو اذ ذاك أمير البلدة .

ولما شكوا الى مخدمه ما فعل به ، قال له : « وما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا » ! فرحم الله عظامهم .

واتفق أيضا أن جماعة من أولاد البلد ووجهائها اجتمعوا ليلة بمنزل بعض أصحابهم وتباسطوا ، فأخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض أصحاب المظاهر . فوشى للمترجم مجلسهم ، وأنهم أدرجوه في سخرتهم ، فتسامهم ، وأحضرهم واحدا بعد واحد ، وعزهم بالضرب والاهانة ... فكان كل قليل يقع في بيته الضرب والاهانة لأفراد من الناس ، وكذلك فلاحو الحصص التي حازها والتزم بها ... فانه زاد في خراجهم عن شركائه ، ويفرض عليهم زيادات ، ويجبسهم عليها شهورا ، ويضربهم بالكراييج .

وبالجملة فقد قلب الموضوع ، وغير الرسم المطبوع ، بعد أن كان منزلهم محل سلوك ورشاد ، وولاية واعتقاد ، فصار كبيت حاكم الشرطة ، يخافه من غلط أدنى غلطة ، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس ... وجلساؤه ومراقبوه لا يعارضونه في شيء ، بل يوافقونه ، ولا يتكلمون معه الا بميزان ، وملاحظة الأركان ، ويتأدبون معه في رد الجواب ، وحذف كاف الخطاب ، ونقل الضمائر عن وضعها في غالب الألفاظ — بل كلها — حتى في الآثار المروية ، والأحاديث النبوية ... وغير ذلك من المبالغات وتحسين العبارات ، والوصف بالمناقب الجليلة ، والأوصاف الجميلة ... حتى أن السيد حسين المنزلاوى الخطيب ، كان ينشئ خطبا يخطب بها يوم الجمعة التي يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسيني ، وبزاويتهم — أيام المولد — ويدرج فيها الاطراء العظيم في المترجم والتوسل به في كشف المهمات ، وتفريج الكروب ، وغفران الذنوب ! حتى انى سمعت قائلا يقول بعد الصلاة : « لم يبق على الخطيب الا أن يقول : اركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات » !

ولما قدمت الفرنساوية الى الديار المصرية في أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف لم يتعرضوا

له في شيء ، وراعوا جانبه ، وأفرجوا عن تعلقاته ، وقبلوا شفاعاته ، وتردد اليه كبيرهم وأعاضهم . وعمل لهم ولأثم ، وكنت أصحابه في الذهاب الي مساكنهم ، والتفرج على صنائعهم وتقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم ...

الى أن حضر ركب العثمانيين في سنة خمس عشرة ، وحصلت بينهم المصالحة على انتقال فرنساوية من أرض مصر ، ورجوعهم الي بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية ، ومنها حسابات تدفع اليهم ، وأخرى تخصم عليهم . وظن المترجم وخلافه اتمام الأمر والارتحال لا محالة . فعند ذلك لحقه الطمع ، فذكر مصلحة دفعها لكاتب جيشهم في نظير الافراج عن تعلقاته ، وأرسل يطلبها من «بوسليك» مدبر الجمهور ، وكذلك ما قبضه ترجمانه . فقال : « هذه عوائد لا بد منها ، ودخلت في حساب الجمهور » . وتغير خاطرهم منه ، وكانت منه هفوة ، ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة .

ولما انتقض الصلح ، وحصلت المفاقمة ، ووقعت المحاربة في داخل المدينة ، وترست العساكر الاسلامية ، وأهل البلد ، في النواحي والجهات ، وانقطع الجالب عن أهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما - التزم أغنياء الناس وأصحاب المظاهر ، الاطعام والانفاق على المحاربين والمقاتلين في جهتهم ونواحيهم ، والتزم المترجم كغيره الانفاق على من حوله .

فلما انقضت أيام المحاربة ، وانتصر فرنساوية ، ورجع الوزير ومن معه الى جهة الشام منهزمين ... فعند ذلك انتقم فرنساوية من البارزين لهم بأخذ المسال بدلا عن الأرواح ، وقبضوا على المترجم وحبسوه وأهانوه أياما ، وفرضوا عليه قدرا عظيما من المال ... قام بدفعه ، كما ذكرنا ذلك مفصلا في

مجله . وقيل ان الذي زاد فرنساوية اغراء به ، مراد بيك ، حين اصططح معهم ، وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة .

وسببه : أنه لما دهمت فرنساوية ، وطلعوا الاسكندرية ، ووصل الخبر الى مصر .. اجتمع الأمراء بالمساطب ، وطلبوا المشايخ ليشاوروا في هذا الحادث ، فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ ، وقال : « كل هذا سوء فعالكم وظلمكم . وآخر أمرنا معكم ملكتمونا للافرنج » . وشافه مراد بيك « ... وخصوصا بأفعالك وتمديدك أنت وأمرائك على متاجرهم وأخذ بضائعهم واهانتهم » . فحقدها عليه ، وكنها في نفسه حتى اصططح مع فرنساوية ، وألقى اليهم ما ألقاه . ففعلوا به ما ذكر .. وذلك في ثاني يوم الضيافة .

فلما رجع العثمانية في السنة الثانية الى مصر بمعونة الانكليز ، وصاروا بالقرب من المدينة ، حبسوا المترجم مع من حبس بالقلعة من أرباب المظاهر ... خوفا من احداثهم فتنة بالبلدة .

ومات ولده ، الذي كان ساء : محمد نور الله ، وهو معوق ومنوع ، فأذنوا له في حضوره جنازة ولده ، فنزل وصحبته شخص حرس منهم ، فلازمه حتى واره ، وعاد به ذلك الحرس الى القلعة وكان هذا الولد مراهقا له من العمر اثنتا عشرة سنة ... كان في أمله أن يكون هو الخليفة في بيتهم من بعده ، ويأبى الله الا ما يريد !

ولما انفصل الأمر ، وارتحل فرنساوية من أرض مصر ، ودخل اليها يوسف باشا الوزير ومن معه ، تقدم المترجم يشكو اليه حاله وما أصابه ، وادعى الفقر والاملاق ... مع أن فرنساوية لم يحجزوا عنه شيئا من تعلقاته وإيراده ، وجعل شكواه وما حصل له سلما للافراج عن جميع تعلقاته وإيراده من غير حلوان كغيره من

الناس ، وزاد على ذلك أشياء ومطالب ومسامحات ، ودعا الوزير الى داره ، وأفراد رجال الدولة الذين ييدهم مقاليد الأمور ، وعاد الى حالته فى التعاطف والكبرياء .

وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر — وكان سموها — وكذلك شريف أفندى الدفتردار ، فرمح فى غفلتهما ، واستكثر من التحصيل والايراد ... الى أن تقلبت الأحوال ، وعادت للمصريين فى سنة ثمان عشرة ، ثم خروجهم ، وما وقع من الحوادث التى تقدم ذكرها .

واستقر محمد على باشا ، وثبتت قدمه بمعونة العامة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر ، وشرع فى تمهيد مقاصده ، فكان السيد عمر يماضيه . فدبر على اخراجه من مصر ، وجمع المشايخ ، وأحضر المترجم ، وخلع عليه وقلده النقابة ، وأخرج السيد عمر من مصر منقيا الى دمياط ... وذلك فى سنة أربع وعشرين . كما تقدم . ووافق فعله ذلك غرض المترجم ، بل ربما كان بمعونته لحقده الباطنى على السيد عمر ، وتشوفه الى النقابة ، وادعائه أنها كانت بييتهم ... لكون الشيخ أبى هادى تولاهما أياما ، ثم تولاهما بعده أبو الامداد ، ثم نزل عنها لمحمد أفندى البكرى الكبير — فلم يزل فى نفس المترجم التطلع لنقابة الاشراف ويصرح بقوله : « انها من وظائفنا القديمة » وأحضر بها مرسوما من دار السلطنة وأخفاه ولم يظهره مدة حياة محمد أفندى البكرى الكبير . فلما مات وتقلدها ولده محمد أفندى .. ادعاها وأظهر المرسوم ، وشاع خبر ذلك . فاجتمع الجرم الغفير من الاشراف بالمشهد الحسينى ممانعين وقائلين : « لا لرضاه تقييا ولا حاكما علينا » ، فلم يتم له مراده .. فلما توفى محمد أفندى الصغير ، ظن أنه لم يبق له فيها منازع ... فلا يشمر الا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بك

وابراهيم بك ، لصحبته معهما ، ومراقبته لهما فى الغربية حين كان المصريون بالصعيد . فسكت على ضغن وغيط ، يخفيه تارة ويظهره أخرى ، وخصوصا وهو يرى أن السيد عمر فى ذلك ... دون ذلك بكشير .

فلما خرج الفرنسيات ، ودخل الوزير الى مصر ، وصحبته السيد عمر متقلدا للنقابة كما كان ، وانفصل عنها السيد خليل البكرى ، وارتفع شأن السيد عمر ، وزاد أمره بمباشرة الوقائع ، وولاه محمد على باشا ، وصار بيده الحل والعقد ، والأمر والنهى ، والمرجع فى الأمور الكلية والجزئية ... والمترجم يحقد عليه فى الباطن ويظهر له خلافه ، وهو الآخر كذلك ، كقول الشاعر :

أصادقه كرها ، ويظهر أنه

صديقى كرها .. والعداوة تشتد

ولست بمعتبد له بصداقة

كما أنه منى بها ليس يعتد

وذلك لأنى عالم ، وهو عالم ،

فعلمى منه اننى مثله ضد

ولكننى أخشاه وهو يخافنى

فيخفى ويبدو بيننا البغض والود

فلما أخرج الباشا السيد عمر ، وتقلد المترجم النقابة ، وبلغ مأمله ... عند ذلك أظهر الكامن فى نفسه ، وصرح بالمكروه فى حق السيد عمر ومن ينتمى اليه أو يواليه ، واطر فيه عرضا محضرا الى الدولة ، نسب اليه فيه أنواعا من الموبقات التى منها أنه أدخل جماعة من الأقباط فى دفتر الاشراف ، وقطع أناسا من الشرفاء المستحقين ، وصرف راتبهم للأقباط المدخلين .. ومنها : أنه تسبب فى خراب الاقليم واثارة الفتن ، وموالة البغاة المصريين ، وتطليمهم فى المملكة ... حتى أنه وعدهم بالهجوم على

ضعفت قواه تقاعد عن القيام لأعظم الناس اذا دخل عليه ، محتجا بالاعياء والضعف ، ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة ، ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر !

وفي شهر شوال من السنة التي توفي فيها ، أحضر ابن أخيه سيدى أحمد الذى تولى المشيخة بعده ، وألبسه خلعة وتاجا ، وجعله وكيلا عنه فى نقابة الأشراف ، وأركبه فرسا بعباءة ، وأرسله الى الباشا صحبة سيدى محمد ، المعروف بأبى دفيه ، وأمامه جاويزية النقابة على العادة . فلما دخلا الى الباشا وعرفه الرسول بأن عمه أقامه وكيلا عنه ، فقال : « مبارك » . فأشار اليه أن يلبسه خلعة ، فقال : « ان موكله ألبسه ولم يتقلدها بالاصالة ، ولو كنت قلدته أنا ، كنت أخلع عليه وألبسه » ، فقام ونزل الى داره التي أسكنه بها عمه ، وهى الدار التي عند المشهد الحسينى ، وحضر اليه الناس للسلام والتهنئة .

وفي هذه السنة أيضا ، عن المترجم أن يزيد فى المسجد الحسينى زيادة مضافة لزيادته الأولى التي كان زاده فى سنة ست ومائتين وألف ، فهدم الحائط التي كان بناها الجنوبية ، وأدخل القطعة التي كان عمل بها الميضاة ، وزاد باكية أخرى ، وصف عواميد ، وصارت مع القدمة ليوانا واحدا . وشرع فى بناء دار عظيمة لينزل فيها وقت مجيئه هناك فى أيام المولد وغيره — عوضا عن الدار التي نزل عنها لابن أخيه — فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضاة القديمة ، وتكون بالشارع ، وتمر من تحتها مواكب الأشراف ، ولا يحتاجون الى تعديهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة . وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة ، شبايك مطلة على المسجد ، لينظر منها المجالس والوقودات ، من يكون بالدار من الحريم وغيرهم .. فما هو الا وقد قرب اتمام

البلدة يوم قطع الخليج فى غفلة الباشا والناس والعساكر ، وأنه هو الذى أغرى المصريين على قتل على باشا برغل الطرابلسى حين قدم واليا على مصر ، وهو الذى كاتب الانجليز وطمعهم فى البلاد مع الألفى حين حضروا الى سكندرية وملكوها ونصر الله عليهم العساكر الاسلامية ... وغير ذلك من عبارات عكس القضية ، وتنميق الأغراض النفسانية . وكتب الأشياخ عليه خطوطهم ، وطبعوا تحتها ختمهم ، ما عدا الطحطاوى الحنفى ، فانه تنحى عن الشرور ، وامتنع من شهادة الزور ، فأوسعوه سخطا ومقتا ، وعزلوه من الافتاء .

وقد تقدم خبر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين ، وانما المعنى باعادة ذلك هنا تنمة لترجمة المشار اليه ، وحذرا من قصصها مع النسيان لأكثر جملها ... فلو سلمت الفكرة من النسيان ، لفاقت سيرته كان وكان .

وفي سنة ست وعشرين أنشأ دارا عظيمة بجانب المنزل ، وصرف جملا من المال ، وأنشأ بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقى ، وأنشأ فيها بستانا غرس فيه أنواع الأشجار المثمرة ، وأدخل به ما حازه من دور الأمراء المتخربة .

وكان السيد خليل البكرى اشترى دارا بدرب القرن ، وذلك بعد خروج الفرنساوية ، وخمول أمره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة ، وأنشأ بها بستانا أنيفا ، وأنشأ قصرا برسم ولده مطلا على البستان . فلما توفي السيد خليل ، تعدى على ولده سيدى أحمد وقهره ، وأخذ منه ذلك البستان بأبخس الأثمان ، وخلطه ببستان الدار الجديدة ، وبنى سوره وأحاطه ، وأقام حائطا بينه وبين دار المذكور ، وطمسها وأعماسها ، وسدت الحائط شبايك ذلك القصر وأظلمته . ولم يزل كلما طال عمره ، زاد كبره ، وقل بره ، وتعدى شره . ولما

وكنيته : أبو الاقبال — باجتماع من الخاص والعام ،
وجلس هو وأخوه سيدى يحيى لتلقى العزاء .

وفي الصباح : حضر الى الرباط بالخرنقش
وكان بزاوية الرباط المذكور ، خلوة جدهم ... أقام
بها حين حضر من الغرب الى مصر . وعادتهم اذا
تولى شخص منهم المشيخة لابد أن يأتي في
الصباح ، ويدخل الخلوة فيجلس بها حصّة
لطيفة ، فيتروحن وتلبسه الولاية .

فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخلوة ، زاعما
أنه خاتمة أوليائه ، وأنه لم يأت من يصلح للمشيخة
سواه ... وكأنه أخذ بذلك عهدا وميثاقا ، ولم يعلم
أن ربه لم يزل خلّاقا ، وأن الولاية ليست بفعل
العبد ، ولا بالسعى والقصد . قال تعالى في محكم
آياته : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، وقال
سبحانه : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يَحْزَنُونَ ، الذين آمنوا وكانوا يتّقون » ، « ان
أولياؤه الا المتّقون » . نسأله التوفيق والهداية ،
والحفظ عن أسباب الغواية .

ولما كان ذلك ، وأحبوا اجراء العادة القديمة ،
حضر المتولى وصحبته أشياخ الوقت ، والسيد
محمد المحروقي ، وجنّاعة الحزب وغيرهم من
المتفرجين ، وقد جعلوا على محل الخلوة ساترا
— بدل الحائط المهْدوم — ودخل المتولى خلفها ،
وقرأ جماعة الحزب شيئا من القرآن ، ثم قام
النقيب مع الشيخ البكرى ، فتلّقوا الشيخ ، فخرج
على الحاضرين متطيّلا ، وصافحهم ، وركب
بصحبتهم الى القلعة ، فخلع عليه كتّخدا بيك خلعة
سمور ، وقاموا ونزلوا الى زاويتهم بالقرافة ،
وأمامهم جماعة الحزب ، وجاويشية النقابة ،
فجلسوا حصّة ، وقرأوا أحزابهم ، ثم ركب ورجع
الى المنزل ، وجلس مع أخيه لعمل المآثم والقراءة
الجمعية على العادة .

ذلك الا وقد زاد به الاعياء والمرض ، وانقطع عن
النزول من الحرم ... وتمت الزيادة ، ولم يبق الا
اتمام الدار ، فيستعجل ويشتم المشد والمهندس ،
وينسب اليهم اهمال استحثاث العمال ويقول : « قد
قرب المولد ، ولم تكمل الدار ، فأين لجلس أيام
المولد ؟ » . هذا وكل يوم يزيد مرضه ، وتورمت
قدماء ، وضعف عن الحركة ... وهو يقول ذلك
ويؤمل الحياة !

فلما زاد به الحال ، وتحقق الرحيل الى
مغفرة المولى الجليل ، أوصى لأتباعه بدراهم ،
ولذى الفقار — الذى كان كتّخدا الألفى ، والآن في
خوالة بستان الباشا الذى بشبرا — بخمسمائة ريال
لكون زوجته خشداشة حريمه ، وهما من جواري
اسماعيل بيك الكبير ، وليكون مغينا لها ومسيّعا
في مهماتها ، ولسيدى محمد أبى ذفية مثلها في نظير
خدمته وتقيدته وملازمته له وأوصى ألا يغسل
الا على سريريه الهندي الذى كان ينام عليه في
أحياته ليكون مخالفا للعالم .. حتى في حال الموت !

فلما كان يوم الاحد ثامن عشر ربيع الأول من
السنة انقضى نحبّه ، وتوفى الى رحمة الله تعالى ،
وقت العصر ، وبات بالمنزل ميتا . فلما أصبح يوم
الاثنين ، غسل وكفن — كما أوصى — على
السري ، وخرجوا بجنازته من المنزل ، ووصلوا
بها الى الأزهر ، فصلى عليه ، بعد ما أنشد المنشد
مرثية من انشاء العلامة الشيخ حسن العطار ،
وجعل براعة استهلها الاشارة الى ما كان عليه
المترجم من التعاضل والتفاخر فقال : « سلام على
الدنيا فقد ذهب الفخر » ، ثم حمل الى مشهد
أسلافه بالقرافة ، ودفن في التربة التى أعدها لنفسه
بجانب مقام جدهم .

وتقلد مشيخة سجادتهم في ذلك اليوم السيد
أحمد بن الشيخ يوسف — وهو ابن عمه وعصبته ،

وأرسل كتخدا بيك ساعيا بخبر مونه الى الباشا بالفيوم ... لأنه لما سافر الى جهة قبلى ، ووصل الى ناحية بنى سويف ، رك بغلة سريعة العدو ، وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال ، فوصلها فى أربع ساعات ، وانقطع أكثر المتوجهين معه ، ومات منهم سبعة عشر هجينا . ورجع الساعى بعد ثلاثة أيام بجواب الرسالة ومضمونها : عدم التعرض لورثة المتوفى ، حتى يقدم الباشا من غيبته . فبقى الأمر على السكوت أربعة عشر يوما .

وحضر الباشا ليلة الأحد ، ثامن ربيع الآخر ، فبمجرد وصوله الى الجيزة . أرسل بالختم على منزلهم ، فما يشعرون الا وحسين ، كتخدا الكتخدا بيك وبيت المال ، واصل اليهم ومعه آخرون ، فختبوا على المجالس التى بالحريم ، ومجلس الجلوس الرجالى ... ختموا على خزائنه ، وقبضوا على الكاتب القبطى ، المسمى « عبد القدوس » والفراش ... وجسوهما .

وعدى الباشا من ليلته الى بر مصر ، وطلع الى القلعة . فركب اليه فى صباحها المشايخ ، وصحبته ابن أخى المتوفى — وهو الذى تولى المشيخة — فخطبوه ، وقالوا له كلاما معناه أن يوت الأشياء مكرمة ، ولم تجر العادة بالختم على أماكنهم ، وخصوصا أن هذا المتوفى كان عظيما فى بابه ، وأنتم أخبر به ، وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة ، فقال : « نعم .. انى لا أريد اهانة بيتهم ، ولا أطلع فى شئ مما يتعلق بمشيختهم ، ولا وظائفهم القديمة . ولا يخفاكم أن المتوفى كان طماعا وجامعا للمال ، وطالت مدته ، وحاز التزامات واقطاعات ، وكان لا يجب قرابته ، ولا يخصهم بشئ ، بل كتب ما حازه لزوجته ، وهى جارية نهاية ثمنها ألفا قرش أو أقل أو أكثر ، ولم يكتب لأولاد

أخيه شيئا ... فلا يصح أن أمة تختص بذلك كله ، والخزينة أولى به لاحتياجات مصاريف العساكر ، ومحاربة الخوارج ، واستخلاص انحرمين ، وخزينة السلطان ... وأنا أرفع الختم رعاية لخواطركم » !

فدعوا له ، وقاموا الى مجلس الكتخدا ، وخلع على الشيخ المتولى فروة سمور أخرى ، وقلد السيد محمد الدواخلى نقابة الأشراف ، وخلع عليه فروة سمور عوضا عن سيدى احمد أبى الاقبال ، المتولى على خلافة السادات ، فانفصل من النقابة ، ونزلت الجاوشية ولوازم النقابة — مثل باش جاويش والكاتب — أيام الدواخلى وخلفه . وقلد السيد المحرقى نظارة المشهد الحسينى عوضا عن المتوفى . وكان فرغ بها لابن أخيه ، فلم ينفذ الباشا ذلك .

وفى ثانى يوم حضر الأعوان الى بيت السادات ، وفكوا الختم ، وطلبوا سقاء الحريم ، فأخذوه معهم ، وأوجعوه بالضرب ، وأحضروا البناء ، وسألوهما عن محل الخبايا ثم رجعوا الى المنزل ، ففتحوا مخبأة مسدودة بالبناء ، فوجدوا بها قوالب مساند قطيفة غير محشوة ، ووجدوا نحاسا وقطنا وأوانى صينية ، فتركوا ذلك وذهبوا ، وأبقوا بالدار عسدة من العسكر ، فباتوا بها .

ثم رجعوا فى ثالث يوم ، وفتحوا مخبأة أخرى فوجدوا بها أكياسا مربوطة ، فظنوا بداخلها المال ففتحوها ، فوجدوا بها بن قهوة ، وبغيرها صابون وشموع عسل ، ولم يجدوا شيئا من المال ، فتركوا تلك الأشياء ، ونزلوا الى قاعة جلوسه ، وفتحوا خزانة فوجدوا بها نقودا ، فعدها وحصرها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسا ، فأخذوها .

ثم سعى السيد محمد المحروقي في مصالحة الباشا حتى قرر عليهم ألف كيس وخمسين كيسا وخمسة أكياس براني لبيت المال، وخصموا منها الذي وجدوه بالخزائن ، وطولبوا بالباقي ... وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة ، وتوعدها بالتفريق في البحر ان لم تظهر المال .

وأمر الكاتب بحساب ايراده ومصرفه في كل سنة ، وما صرفه في الأبنية ، وينظر ما يتبقى بعد ذلك في مدة سنين ماضية ... فلم يزل السيد محمد المحروقي يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور، والتزم هو بدفعه ، وحولت هليه الحوالات . وضبط الباشا حصص الالتزام التي كتبت باسم الزوجة ، ومنها قلقثندة بالقليويية ، وسوادة ودفرينة بالجهة القبلية ، وغير ذلك .

وبعد انقضاء عدة الزوجة ، استأذن السيد المحروقي الباشا في عقد نكاحها على ابن أخى المتوفى ... الذي هو السيد احمد أبو الاقبال ، الذي تولى خلافة بيتهم ، فادن بذلك . فحضر في الحال وأجرى العقد بعد أن حكمت عليه بطلاق التي في عصمته ، وهي جاريته ، زوجته بها في حياة عمه ، ورزق منها أولادا .

واستقر المشار اليه في المنزل ، خليفة وشيخا على سجادتهم ومحل سيادتهم ، وسكن معه أخوه سيدي يحيى ، زادهما الله توفيقا وخيرا واتفاقا ، وأشرق نجم المتصدر على أفق السعادة اشراقا ، فهو أبو الاقبال المتحلى بالجمال والكمال .

في المهد ينطق عن سعادة جده
أثر النجاة واضح البرهان
ان الهلال اذا رأيت نسوه
أيقنت أن سيزيد في اللعان

ومات الشيخ الناسك : محمد بن عبد الرحمن البومى المغربى . ورد الى مصر وجج ورجع ، ونزل بدار الحاج مصطفى الهجين المطار ، منجما عن خلطة الناس ، والسعى على طريقة حميدة ، ومذاكرة حسنة . ويأتى اليه الناس يزورونه ، ويتبركون به ويسألونه الدعاء ، ويستفهمون منه مسائل ... فيجيب كل انسان بما ينسر منه ، بتواضع وانكسار وتزهد في الدنيا . وتمرض سنينا ، وتوفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم ، وصلى عليه بالأزهر في مشهد حافل ، ودفن بجانب الخطيب الشريينى ، بتربة المجاورين ، وهى القرافة الكبرى .

المحترم

الجمعة ٨ منه (٣١ ديسمبر ١٨١٢ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية ، وفيها الاخبار بأن الباشا قبض على الشريف غالب ، أمير مكة ، وقبض على أولاده الثلاثة ، وأربعة عبيد طواشية من عبيده ، وأرسلهم الى جدة ، وأنزهم في مركب من مراكبه ، وهى واصلة بهم . والذي وصل بالخبر وصل في مركب صغيرة تسمى « السبحان » سبقتهم في الحضور الى السويس .

وأخبروا أيضا في المكاتبة : أنه لما قبض عليهم ، أحضر يحيى ابن الشريف سرور وقلده الامارة عوضا عن عمه غالب ، وقبضوا أيضا على وزيره الذى بجدة ، وأصبحوه معهم ، وقلد مكانه فى الكمارك شخصا من الأتراك ، يسمى على الوجاقل .

فلما وصل الهجان بهذه المكاتبة الى السيد محمد المحروقي ليلا ، ركب من وقته الى كتخدا بيك فى بيته ، وأطلعهم على المكاتبات . فلما طلع النهار — نهار يوم الجمعة — ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما وسرورا بذلك .

وفيه : احتفل كتخدا بيك بعمل مهم أيضا لزواج اسماعيل باشا ، ابن محمد على باشا ، ومحمد بيك الدفتردار على ابنة الباشا ، واسماعيل باشا ، على ابنة عارف بيك ابن خليل باشا ، التى أحضرها صحبتته من اسلامبول . وقد

تقدم ذكر العقد عليهما فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية ، قبل توجه الباشا الى الحجاز .

فألزم كتخدا بيك ، السيد محمد المحروقي ، بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم واتفقوا على أن يكون نصبة الفرح ببركة الأزيكية — تجاه بيت حريم الباشا وظاهر باشا — وتعمل اللائم ، واجتماع المدعوين بيت ظاهر باشا ، والمطبخ بخرائب بيت الصابونجى . وأرسلوا أوراق التنايه للمدعوين على طبقات الناس بالترتيب ، ونصبوا بوسط البركة عدة صواري لأجل الوقفات والقناديل التى تعمل عليها التصاوير من القناديل ... فترى من البعد صورة مركب ، أو سبعين متقابلين ، أو شجرة ، أو محل على جبل ، أو كتابة مثل « ماشاء الله » ونحو ذلك

وصفوا بوسط البركة عدة مدافع ، صفين متقابلين ، ونصب بهلوان الجبل جبله : أوله من تجاه بيت الباشا ، وآخره برأس المنارة التى جهة حارة الفوالة خلف رصيف الخشاب ، حيث الأبنية المتخربة فى الحوادث الماضية ، بالقرب من القشلة ، وعمارات محمد باشا خسرو التى لم تكمل ... وبهلوان آخر شامى بالناحية الأخرى . وانتقل السيد محمد المحروقي من داره الى بيت الشرايبي — تجاه جامع أزيك — لأجل مباشرة المهمات . فلما أصبح يوم السبت — وهو يوم الابتداء ودعوة الأشياء — رتبوهم فرقتين : فرقة تأتى ضحوة النهار ، وأخرى بعد العصر . واجتمع بالأزيكية أصناف أرباب الملاعب والمغزلكين

والجلباذية والحبيظية والحواة والقرداتية والرقاصين والبرامكة ، وغير ذلك أصناف وأشكال ... فاحتفلت . وأقبل من كل ناحية أصناف الناس . رجال ونساء ، وأقارب وأباعد ، وأكابر وأصاغر ، وعساكر وفلاحون ، ويهود ونصارى وأروام ... لأجل التفرج ، حتى ازدحمت الطرق الموصلة الى الأزيكية من جميع النواحي بأصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددن . واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور الى ليلة الجمعة التالية الأخرى ، ليلاً ونهاراً ، والحراق والنفوط والسواريح في الليل . ولعبت أرباب الملاعب والبهلوانات على الجبال . وكذلك احتفل النصارى ، وعملوا وقداث وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم ، وصادف ذلك عيد الميلاد ، وعملوا لهم مراجيح وملابس .

وفي أثناء ذلك : وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشككة وممشلة بحرفتهم وصنائعهم ليمشوا بهم في زفة العروس . فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنسيق وتزيين شكله ، وتباهوا وتناظروا ، وتفاخروا على بعضهم البعض .

فكان كل من سولت له نفسه ، وحده الشيطان بأحداث شيء ... فعله ، وذهب الى المتعين لذلك ، فيعطيه ورقة ... لأن ذلك لم يكن لأناس مخصوصة أو عدد مقدر ، بل بتحكماهم ، والزام بعضهم البعض . فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم ، وينفقها على العرب ، وما يلزمها من أخشاب وجبال وحمير أو خيل أو رجال يسحبونها ، وما يكثره أو يستعيره لزيتها من المزركشات والمقصبات والظلميات ، وأدوات الصنعة التي تتميز بها عن غيرها ، فتصير في الشكل كأنها حانوت والبائع جالس فيها : كالحلواني وأمامه الأواني فيها أنواع

فلما كان يوم الأربعاء ، سحبوا تلك الوانجروا بمواكبهم وطبولهم وزمورهم ، وعربه أهل حرفتها وصناعها ، مشاة خلف والزمور ، وهم مزينون بالملابس ، وملابسهم — وأكثرها مستعارة — فكانوا ينزلون الى من ناحية باب الهواء ، ويمرون من تحت بيت

الى ناحية رة الخشاب . ويأت الحرفة بورقة المتعين . للملاقاة عليه بخلمة ود فيعطى البعض ش كشميرى وألبن والبعض طاقة تفا قطنى أو أربعة جوخ — على قد الصنعة وأهلهم



مير الحرفة

الأحد ١٧ منه (٩ يناير ١٨١٤ م) :

وصل السيد غالب — شريف مكة — الى مصر القديمة . وقد آتت به السفينة من القلزم الى مرسة ثغر القصير ، قتلناه ابراهيم باشا ، وحضر صحبته الى قنا وقوص ، ثم ركب النيل بمن معه من اولاده وعبيده ، والعسكر الواصلون صحبته ، وحضر الى مصر القديمة . فلما وصل الخبر الى كتخدا بيك ، ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما بوصوله واكراما ... على حد قوله تعالى : « ذق انك انت العزيز الكريم » .

وركب صالح بيك السلحدار ، وأحمد أغا — أخو كتخدا بيك — في طائفة لملاقاته واحضاره ، وهياؤا له مكانا بمنزل أحمد أغا — أخى كتخدا بيك — بعطفا ابن عبد الله بيك بخط السروجية ، لينزل فيه ، وانتظره الكتخدا هناك ، وصحبته بونا بارت الخازندار ، ومحمود بيك ، ومحو بيك ، وابراهيم أغا أغات الباب ، والسيد محمد المحرقى . فلما وصل الى الدار ، نزل الكتخدا والجماعة ولاقيه عند سلم الركوبة ، وقبلوا يده . ولزم الكتخدا يده تحت ابطه ، حتى صعد الى محل الجلوس الذى أعدوه له . واستمر الكتخدا قائما على قدميه ، حتى أذن له فى الجلوس هو وباقي الجماعة . وعرفه الكتخدا عن السيد محمد المحرقى ، فتقدم وقبل يده ... فقام له ، وسلم عليه ، وجلس بحذاء الكتخدا ليترجم عنه فى الكلام ويؤانسوه ، ويطمئنونوا خاطره . ثم ان الكتخدا اعتذر له باشتغاله بأحوال الدولة ، واستأذنه فى الذهاب الى ديوانه ، وعرفه أن أخاه تنوب عنه فى الخدمة ولوازمه ... فقبل عذره . وقام منصرفا هو وباقي الجماعة ، ما عدا السيد محمد المحرقى ، ومحمود بيك ، فان الكتخدا أمرها بالتخلف عنده ساعة ، فجلسا معه ، وتفديا صحبته ، ومعه اولاده الثلاثة وعبيده ، ثم انصرفا الى منزلها . ولم يأذن

واستمر مروورهم من أول النهار الى بعد الغروب ، واصطفوا بأسرهم عند رصيف الخشاب .

ولما أصبح يوم الخميس ، رتبوا مرور الزفة ، وعين لترتيبها أشخاصا ، ومنهم السيد محمد ضرب الشمس — وهو كبير المنظمين — وكان خروجها من بيت الحريم ، وهو الذى كان سكن الشيخ خليل البكرى ، وذهبوا وانجروا على طريق الموسكى ، على تحت الربع ، الى باب زويلة ، الى الغورية ، الى بين القصرين ، الى سوق مرجوش ، الى باب الحديد ، الى بولاق ، الى سراية اسماعيل باشا التى جدوها قبل بولاق قريبا من الشون ... فلم تصل الى منزلها الا عند الغروب .

وكان فى أول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ، ثم والى الشرطة ، ثم المحتسب ، ثم موكب أغات اليكجرية ، وبعدهم المبخاخ والنقاير — وعدتها عشرة نقاير — وعلى كل نقارة تفصيلة ، ثم العربات المذكورة ، وفيها أيضا تجار الغورية ، وطائفة تجار خان الخليلي — فى موكب حفل — وتجار الحمزاوى من نصارى الشوام وغيرهم . وكان يوما مشهودا ، اجتمعت فيه الخلائق للفرجة فى طرقها ، حتى طريق بولاق ، واكثرى الناس الأماكن المطلة على الشارع والحوانيت بأعلى الأثمان

ولما وصلت العروس الى قصرها ، ضربوا عدة مدافع من بولاق والأزبكية والجيزة . وكان العزم على عمل المهم الثانى ، والابتداء فيه من يوم السبت الذى بعد الجمعة ، فرسموا بتأخيرها الى الجمعة الأخرى لتأخر أم العروس ومن بصحبها من النساء ، وأقمن ببولاق تلك الجمعة ، واستمرت نصبة الصواري والحيال والآلات ، على حالها ، بالأزبكية .

الكتخذ لأحد من الأشياخ أو غيرهم من التجار
بالسلام عليه ، والاجتماع به .

والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه : أنه لما ذهب
الباشا الى مكة ، واستمر هو وابنه طوسون باشا
مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة ،
وجدد معه العهد والأيمان فى جوف الكعبة : بأن
لا يخون أحد صاحبه . وكان الباشا يذهب اليه
فى قلة ، وهو الآخر يأتى اليه والى ابنه كذلك ،
واستمروا على ذلك خمسة عشر يوما من ذى
القعدة ... دعاه طوسون باشا اليه ، فأتى اليه
كعادته فى قلة ، فوجد بالدار عساكر كثيرة ، فعند
ما استقر به المجلس ، وصل عابدين بيك فى عدة
وافرة ، وطلع الى المجلس ، فدنا منه ، وأخذ
الجنبية من حزامه ، وقال له : « أنت مطلوب
للدولة » . فقال : « سمعا وطاعة ، ولكن حتى أفضى
أشغالى فى ظرف ثلاثة أيام وأتوجه » . فقال : « لا
سبيل الى ذلك ، والسفينة حاضرة فى انتظارك » !
فحصل فى جماعة الشريف وعبيده رجة ،
وصعدوا على أبراج سرايته ، وأرادوا الحرب .
فأرسل اليهم الباشا يقول لهم : « ان وقع منكم
حرب ، أحرقت البلدة ، وقتلت أستاذكم » . وأرسل
لهم أيضا الشريف يكفهم عن ذلك ، وكان بها أولاده
الثلاثة ، فحضر اليهم الشيخ أحمد تركى ، وهو من
خواص الشريف وخدمهم ، وقال لهم : « لم يكن
هناك بأس ، وانما والدكم مطلوب فى مشاورة
مع الدولة ويعود بالسلامة ... وحضرة الباشا يريد
أن يقلد كبيركم — نيابة عن أبيه — الى حين
رجوعه » .

ولم يزل حتى انخدع كبيرهم لكلامه ،
وقاموا معه ، فذهب بهم الى محل خلاف الذى به
والدهم ... محتفظا بهم . وفى الوقت أحضر الباشا
الشريف يحيى بن سرور — وهو ابن أخى الشريف

غالب — وخلع عليه ، وقلده امارة مكة ، ونودى فى
البلدة باسمه . وعزل الشريف غالب حسب الأوامر
السلطانية ، واستمر الشريف غالب أربعة أيام عند
طوسون باشا ، ثم أركبوه وأصحبوا معه عدة من
العسكر ، وذهبوا به وبأولاده الى بندر جدة ،
وأززلوهم السفينة ، وساروا بها من ناحية القصير
من صعيد مصر ، وحضر كما ذكر .

الأربعاء ٢٠ منه (١٢ يناير ١٨١٤ م) :

وصل قاصد من الديار الرومية ، وعلى يده
مثالان ، فعمل كتخدا بيك ديوانا فى صبيحة يوم
الخميس حادى عشرينه ، وقرىء ذلك . وهما مثالان
يتضمن أحدهما : التقرير لمحمد على باشا على ولاية
مصر على السنة الجديدة ، والثانى : الاخبار
والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد الصرب . ولما
فرغوا من قراءة هما ضربوا عدة مدافع من القلعة .

وفى عصرية ذلك اليوم : حضر حريم الباشا من
بولاق الى الأزبكية فى عربات ، ف ضربوا الحضورهن
مدافع من الأزبكية ، وشرعوا فى عمل المهم الثانى
لابنة الباشا على الدفتردار ، وافتتحوا ذلك من ليلة
السبت — على النسق المتقدم — وعملوا العزائم
والولائم ، واحتفلوا أزيد من المهم الأول .
وأحضروا الشريف غالب ، وأعدوا له مكانا ببيت
الشرابى — على حدته — هو وأولاده ، ليتفرجوا
على الملاعب والبهلوانات نهارا ، والشنك والحراقات
ليلا . وعلى الشريف وأولاده الحرس ، ولا يجتمع
بهم أحد ، على الوجه والضرورة التى كانوا عليها
بالمنزل الذى أنزلوا فيه .

وفيه : اجتمع أرباب العربات وأصحابها ، وقد
زادوا عن الأولى خمس عشرة عربة — وفيهم معمل
الزجاج — وباتوا بنواحي البركة ، على النسق
المتقدم ، ونصبوا لهم خياما تقيهم من البرد والمطر ،
لأن الوقت شات .

الخميس ٢١ منه (١٣ يناير ١٨١٤ م) :

ولما أصبح يوم الخميس انجرت العربات ، وموكب الزفة من ناحية باب الهواء ، على قنطرة الموسيقى ، على باب الخرق ، على درب الجمايز . وعطفوا من الصليبة على المظفر ، على السروجية ، على قصبة رضوان بيك ، على باب زويلة ، على شارع النورية ، على الجمالية ، على سوق مرجوش ، على بين السورين ، على الأزيكية ، على باب الهواء ... الى المنزل الذى أعدوه لها ، وهو بيت ابنة اسماعيل بيك ، وهى بنت ابراهيم بيك ، وكانت متزوجة باسمايل بيك ، ولما مات تزوج بها مملوكه محمد أغا — ويعرف بالألفى — وقد تولى أغاوية مستحفظان فى هذه الدولة ، واعتنى بهذه الدار ، وعمر بها مكانين بداخل الحريم ، وزخرفها ونقشها نقشا بديعا — صناعة صناعات العجم — واستمروا فى نقشها سنتين . ولما ماتت المذكورة فى أوائل هذه السنة ، واستمر هو ساكنا فيها ، وأنزل الباشا عنده القاضى المنفصل عن قضاء مصر ، المعروف ببهجة أفندى ، وقاضى مكة « صادق أفندى » حين حضر من اسلامبول ثم أمره الباشا بالخروج منها وإخلاؤها ، لأجل أن يسكن بها ابنته هذه المزفوفة ، فخرج منها فى أوائل شوال ، وكذلك سافر القاضيان الى الحجاز ، بصحبة الباشا ، وعند ذلك ييوضوها ، وزادوا فى زخرفتها ، وفرشوها بأنواع الفرش الفاخرة ، ونقلوا اليها جهاز العروس والصناديق ، وما قدم اليها من الهدايا والأمتعة والجواهر والتحف ، من الأعيان وحريماتهم ... حتى من نساء الأمراء المصريين المنكوبين ا وقد تكلفوا فوق طاقتهم ، وباعوا واستدانوا وغرموا فى النقود والتقادم والهدايا فى هذين المهمين ، ما أصبحوا به مجردين ومديونين .

وكان اذا قدمت إحدى المشهورات منهن هديتها عرضوها على أم العروسين ، التى هى زوجة الباشا ، فقلبت ما فيها من المصاغ المجوهر ، والمقصبات وغيرها ... فان أعجبتها تركتها ، والا أمرت بردها ، قائلة : « هذا مقام فلانة التى كانت بنت أمير مصر ، أو زوجته ؟ » ، فتكلف المسكينة للزيادة ونحو ذلك ، مع ما يلحقها من كسر خاطر ، وانكساف البال .. ثم أدخلوا العروس الى تلك الدار عندما وصلت بالزفة .

ومما حصل : أنه قبل مرور موكب الزفة بيومين ، طاف أصحاب الشرطة ، ومعهم رجال ، وبأيديهم مقياس ... فكلما مروا بناحية أو طريق يضيق عن القياس ، هدموا ما عارضهم من مساطب الدكاكين أو غيرها ، من الجهتين ، لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعب وغيرها ، فأتلفوا كثيرا من الأبنية . ونودى فى يوم الأربعاء بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس .

ومما حصل من الحوادث السماوية : أن فى يوم الخميس المذكور ، عندما توسطت الزفة فى مرورها بوسط المدينة ، أطبق الجو بالغيام ، وأمطرت السماء مطرا غزيرا ، حتى تبهرت الطرق ، وتوحدت الأرض ، وابتلت الخلائق من النساء والرجال المتجمعين للفرجة ... وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب . وأما المتعينون بالمشى فى الموكب ولا بد ... الذين لا مفر لهم من ذلك ولا مهرب ، فاختل نظامهم ، وابتلت ثيابهم ، وتكدرت طباعهم ، وابتقتضت أوضاعهم ، وزادت وساوسهم ، وتلفت ملاسهم . وهطل الغيث على الأبرسم والحرير ، والشالات الكرخانة ، والسليمى والكشمير ، وما زينت به العربات من أنواع المزركش والمقصبات ، ونفذت على من بداخلها من القيان والأغاني الحسان .. وكثير من الناس وقع بعد ما تزحلق ، وصار ثوبه

بالوحد أبلق ومنهم من ترك الزفة ، وولى هاربا في عطفة ، يسبح يديه في المحيط ، بما تلتطخ بها من الرطريط . وتعارجت الحمير ، وتعثرت البياجير ، وانهدم تنور الزجاج ، ولم ينفع به العلاج ، وتلف للناس شيء كثير ، ولا يدفع قضاء الله حيلة ولا تدبير !

ولم تصل العروس الى دارها ، الا قبيل دنو الشمس من غروبها . وعند ذلك انجلى الجو ، وانكشفت بيوت النو . ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبة ، من شهور القبط المحسوبة ، وحصل بذلك الفيث العميم ، النفع لمزارع الغلة والبرسيم . وفيه : وردت مكاتبات من العقبة فيها الاخبار بوصول قافلة الحج ، صحبة المحمل ، وأميرها مصطفى بيك دالى باشا .

الجمعة ٢٩ منه (٢١ يناير ١٨١٤ م) :

وصل كثير من الحجاج الأتراك وغيرهم ، وردوا في البحر الى بندر السويس . ووصل تابع قهوجى باشا ، وأخبر عنه أنه فارق مخدمه من العقبة ، ونزل في مركب مع أم عابدين بيك ، وحضر الى السويس .

سفر

الأحد غرته (٢٣ يناير ١٨١٤ م) :

ما وقع في ذلك اليوم من الحوادث : أن صناع البارود ، الكائنين بباب اللوق ، حملوا نحو عشرة أحمال من الجبال ، أوعية ملأة بارود — وهى الظروف المصنوعة من الجلود التى تسمى البطط — يريدون بها القلعة ، فمروا من باب الحرق الى ناحية تحت الربع . فلما وصلوا تجاء معمل الشمع ... وبصحبة الجبال شخص عسكرى ، فتشاجر مع الجبال ، ورد عليه القول ، فحنق منه ، فضربه بفرد الطبنجة فأصابته إحدى البطط ،

فالتهمت بالنار ، وسرت الى باقى الأحمال ، فالتهب الجميع ، وصعد الى عنان السماء ... فاحترقت المسقفة المظلة على الشارع ، وما بناحيتهما من البيوت ، والذى أسفلها من الحوانيت ، وكذلك من صادف مروره في ذلك الوقت ، واحترق ذلك العسكرى والجبال فيمن احترق . واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها ، فاحترقت ثيابها مع رفيقتها ، وذهبت تجرى والنار ترعى فيها ، وكانت دارها بالقرب من تلك الناحية ، فما وصلت الى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب ، واحترق أكثر جسدها ، ووصلت الأخرى بعدها وهى محترقة وحريرة ... فماتت من ليلتها ، ولحققتها الأخرى في ضحوة اليوم الثانى .

ومات في هذه الحادثة أكثر من المائة نفس ، من رجال ونساء وأطفال وصبيان . وأما الجبال فأخذوها الى بيت أبى الشوارب — وهى سود محترقة الجلود ، وفيها من خرجت عنه — فاما يعالجوها أو ينحروها ... وكل هذا الذى حصل من الحرق والموت والهدم في طرفه عين .

الاثنين ٢ منه (٢٤ يناير ١٨١٤ م) :

وصل مصطفى بيك ، أمير ركب الحجاج ، الى مصر ، وترك الحجاج بالدار الحمراء ، فبات في داره ، وأصبح عائدا الى البركة ، فدخل مع المحمل يوم الأربعاء ، ودخل الحجاج ، وأتمبهم بحيث أنه أخذ المسافة في أحد وعشرين يوما .

وسبب حضور المذكور ، أنه ذهب بمساكره وعساكر الشريف من الطائف الى ناحية تربة ، والمتأمر عليها امرأة ، فحاربته ، وانهزم منها شر هزيمة ، فحنق عليه الباشا ، وأمره بالذهاب الى مصر مع المحمل .

وفيه : أرسل الباشا يستدعى ثنتين أو ثلاثا — عينهن — من محاطيه ، وصحبتهن خمس من

بذلك تعب للمتسببين الفقراء ، والقطاعين ، ومن يشتري بالقنطار أو دونه . فهذه المناداة يدفع المشتري ما يشاء من جنس المعاملات : قروشاً أو ذهباً أو فرانسة ، أو أى صنف من المعاملات ، ويحسبه المعاملة والريال المعروف بين الناس — الذى صرفه تسعون نصفاً فضة — وإذا سمي سعر القنطار فلا يسمى الا بهذا الريال . وهذه المناداة بإشارة السيد محمد المحرقى ، بسبب ما كان يقع من تعطيل الأسباب .

وفيه : سافر محمود بيك ، وصحبته المعلم غالى ، للكشف عن قياس الأراضى البحرية ، التى نزل إليها القياسون بصحبة مباشرهم من النصارى والمسلمين — من وقت انحصار الماء عن الأراضى — وانتشروا بالأقاليم البحرية ، وهم يقيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة .

الاثنين ٩ منه (٣١ يناير ١٨١٤ م) :

وصل حريم الشريف غالب من السويس ، فأزلوهن بيت السيد محمد المحرقى ... وعدتهن خمس : احدهن جارية بيضاء ، والأربع حبشيات ، ومعهن جوارى سود وطواشية ، وحضر اليهم سيدهم وصحبته أحمد أغا أخو كتحدا بيك وصحبته نحو العشرين نفراً من العسكر . واستمر الجميع مقيمين بمنزل المذكور ، وهو يجرى عليهم النفقات اللائقة بهم والمصاريف ، وفصل لهم كساوى من مقصبات وكشميرى وتفاصيل هندية .

السبت ١٤ منه (٥ فبراير ١٨١٤ م) :

خرج محو بيك الى ناحية الآثار بعساكره ، ليسافر من ساحل القصير الى الحجاز ، باستدعاء الباشا . فاستمر مقيماً هناك عدة أيام — لمخالفة الريح — وارتحل فى أواخره .

وفى أوائل هذا الشهر ، بل والذى قبله ، عملوا كورتيلة فى سكندرية ودمياط .

الجوارى السود ، الاسطاوات فى الطبخ وعمل أنواع الفطور ، فأرسلوهن فى ذلك اليوم الى السويس ، وصحبتهن نفيسة القهرمانه — وهى من جواريه أيضاً — وكانت زوجاً لقاضى أوغلى المحتسب الذى مات بالحجاز فى العام الماضى .

وفيه أيضاً : وصل حريم الشريف غالب ، فعينوا له داراً يسكنها مع حريمه جهة سوقة العزى ، فسكنها معه أولاده ، وعليهم المحافظون . واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب ، من نقود وأمتعة ، وودائع ومخبات ، وشرك وتجارى ، وبن وبهار ، ونقود بمكة وجدة والهند واليمن ... شئ لا يعلم قدره الا الله . وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهن من الثياب ، بعدما فتشوهن تفتيشاً فاحشاً ، وهتك حرمة ا

قل اللهم مالك الملك ... هذا الشريف غالب اتزع من مملكته ، وخرج من دولته وسيادته وأمواله وذخائره ، وانسل من ذلك كله كالشجرة من العجين ... حتى انه لما ركب وخرج مع العسكر ، وهم متوجهون به الى جدة ، أخذوا ما فى جيوبه ... فليعتبر من يعتبر ا

وكل الذى وقع له ، وما سيقع له بعد — من التغريب وغيره — فيما جناه من الظلم ، ومخالفة الشريعة ، والطمع فى الدنيا ، وتحصيلها بأى طريق . نسأل الله السلامة وحسن العاقبة .

الخميس ٥ منه (٢٧ يناير ١٨١٤ م) :

طاف الأغا أيضاً بأسواق المدينة ، وأمامه المناداة على أبواب الخانات والوكائل من التجار : بأنهم لا يتعاملون فى بيع البن والبهار الا بحساب الريال المتعارف فى معاملة الناس — وهو الذى يصرف تسعين نصفاً — لأن باعة البن لا يسمون فى بيعه الا بالفرانسة ، ولا يقبضون فى ثمنه الا اياها بأعيانها ، ولا يقبلون خلافها من جنس المعاملات . فيحصل

ربيع الأول

الاثنين غرته (٢١ فبراير ١٨١٤ م) :

فيه : رجع محمود بيك والمعلم غالى من سرحتها .

وفيه : انتقل الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقي الى المنزل الذي أعدوه له — وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزى — بعدما أصلحوه وبيضوه ، وأسكنوه به ، وعليه اليسق والمسكر الملازمون لبابه .

وفيه : أبرز كتخدا بيك فرمانا وصل اليه من الباشا يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ، ورفع أيدى الملتزمين عن التصرف ، بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزينة .

فلما أشيع ذلك ، ضج الناس ، وكثر فيهم اللغظ ، واجتمعوا على المشايخ ، فطلعوا الى كتخدا بيك ، وسألوه . فقال : « نعم . ورد من أفندينا أمر بذلك ، ولا يمكنني مخالفته » . فقالوا له : « كيف تقطعون معاش الناس وأرزاقهم ، وفيهم أرامل وعواجز ، وللواحدة قيراط أو نصف قيراط يتعيشن من إرادته ، فينقطع عنهن ؟ ! » . فقال : « يأخذن الفائظ من الخزينة العامة » .

فرددوه وناقشوه ، وهو يهون ويقرب ويبعد ، الى أن قالوا له : « نكتب للباشا عرضحالا ، وننتظر الجواب » . فأجابهم الى ذلك من باب المسaire وفك المجلس ! وشرع الشيخ المهدي في ترصيف العرضحال ... فكتبوه ، وختموا عليه بعد امتناع البعض ، الذي ليس له التزام ، وكثر اللغظ فيهم بسبب ذلك .

الجمعة ٥ منه (٢٥ فبراير ١٨١٤ م) :

حضر جمع كثير من النساء الملتزمات الى

الجامع الأزهر ، وصرخوا في وجوه الفاء وأبطلوا الدروس ، وبددوا محافظهم وأور فتفرقوا وذهبوا الى دورهم .

وكان قد اجتمع معهم الكثير من ال واستمروا في هرج الى بعد العصر ، ثم جا يقول لهم كلاما كذبا سكن به حديثهم . الجمع ، وذهب النساء وهن يقلن : « تأثر يوم على هذا المنوال ، حتى يفرجوا لنا عن ومعاشنا وأرزاقنا » .

وفي ظن الناس وغفلتهم أن في الاء بقية ، يدفعون الرزية . وما علموا أن البساط قد وكل قد ضل وأضل وغوى ، ومال عن واتبع الهوى ، وكلب الجور قد كثر أليابه ولم يجد له طاردا ، ولا معارضا ولا معانا ولما وصل الخبر الى كتخدا بيك ، طل المشايخ ، وقال له : « ما خبر هذه ال بالأزهر ؟ » فقال له : « بسبب مابلغهم معاشهم » . قال : « ومن قطع معاشهم ؟ والذين تسلطونهم على هذه الفعال ، لأغرا ولا بد أنى أستخبر على من أغراهم وأخ حقه » .

وطلب على أغا الوالي وقال له : « أخب هؤلاء النساء من أى البيوت ؟ » . فقال على : « ومن يميزهن ... وغالبهن وأكثره العساكر ، ولا قدرة لى على منعهن ؟ » . المجلس ، وبردت همتهم ، وانكمشوا ، وش تنفيذ ما أمروا به ، وترتيبه وتنظيمه !

وفيه : حضر محمود بيك والمعلم غالى أياما ، وسافرا في ثالث عشره .

وفيه : أحضروا حسن أغا محرم — بنجائى — من اقليم المنوفية وهو مريض في ثالى يوم ودفن .

الاثنين ١٥ منه (٧ مارس ١٨١٤ م) :

مر الأغا والوالى وأغات التبديل ، وهم يأمرؤن الناس بكس الأسواق ورشها حالا فى ذلك الوقت من غير تأخير . فابتدر الناس ، ونزلوا من حوانيتهم ، وبأيديهم المكائس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها .

الجمعة ١٩ منه (١١ مارس ١٨١٤ م) :

حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور ... أرسله الباشا الى مصر من ناحية القصير منفيا من أرض الحجاز . فأنزلوه بمنزل أحمد أغا ، أخى كتخدا بيك ، محجورا عليه . ولم يجتمع بعه ، ولم يره .

وفيه : كثر الطلب للريال الفرنسية ، بسبب احتياج دارالضرب وما يرسل الى الباشا من ذلك . وألزموا التجار باحضار جملة من ذلك ، ويأخذون بدلها قروشاً ، فوزعوا مقادير على أفرادهم بسا يحتمله ، وجمعوا ما قدروا عليه منها .

وفيه : شنع شخص ، يسمى صالح ، عند باب زويلة ، واستمر معلقاً يومين . وسبب ذلك أنه يدعى الجذب والولاية ، وتزوج امرأة وأخذ متاعها وبألها ، وحصل لها خلل فى عقلها . فأنهوا أمره الى كتخدا بيك ، فأمر بحبسه ، واستخلصوا منه جانباً مما أخذ من متاع المرأة ، وكثر كلام الناس فى حقه ، فأمر الكتخدا بشنقه .

فى اواخره (النصف الاخير من مارس ١٨١٤ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلىة ، ونزل بالبيت الذى اشتراه بناحية الجبالية ، بدرب المسقط ، وهو بيت أحمد بن محرم .

ربيع الآخر

الاثنين ٦ منه (٢٨ مارس ١٨١٤ م) :

حضر ميمش أغا من ناحية الحجاز ، مرسل من عند الباشا باستعجال حسن باشا للحضور الى الحجاز . وكان قبل ذلك بأيام أرسل يطلب سبعة آلاف عسكرى ، وسبعة آلاف كيس . فشرع كتخدا بيك فى استكتاب أشخاص من أخلط العالم ما بين مغاربة وصعيدة ، وفلاحى القرى . فكان كل من ضاق به الحال فى معاشه يذهب ويعرض نفسه ، فيكتبونه . وان كان وجيها جعله أميراً على مائة أو مائتين ، ويعطيه أكياساً يفرقها فى أنفاره ، ويشتري فرساً وسلاحاً ، ويتقلد بسيف وطبجات ... وكذلك أنفاره ، ويلبسون قناطيش ولباساً مثل لبس العسكر . ويعلق له وزنة بارود تحت إبطه ، ويأخذ على كتفه بندقية ، ويشون أمام كبيرهم مثل الموكب ، وفيهم أشخاص من الفعلة الذين يستعملون فى شيل التراب والطين فى العمائر ... وبرابرة .

وأرسل الكتخدا الى الفيوم وغيرها بطلب رجال من أمثال ذلك ، وجمعوا الكثير من أرباب الصنائع ، مثل : الخبازين والفرانين والتجارين والحدادين والبيطرة وغيرهم من أرباب الصنائع ، ويسحبونهم قهراً . فأغلق الفرانون مخابزهم ، وتعطل خبز الناس أياماً .

وفيه : ورد الطلب لحسن باشا ، فشرع فى تشهيل أحواله ، ولوازم سفره . ثم حضر ميمش أغا باستعجاله واستعجال المطلوبات من الأموال وغيرها .

وفيه : قبضوا على اليهود الموردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب ... بسبب احضار الفرنسية ، وقد قلت بأيدي الناس جداً

لكثرة أخذها والطلب لها واقطاع مجيئها من بلادها ، فحبسوه وضربوهم ، ونزلوا في أسوأ حال متحيرين وذلك أن راتب الضربخانة سبعة آلاف في كل يوم : عنها ثلاثة وستون ألف درهم ، وقدرها ثلاث مرات من النحاس ... يضربون ذلك قروشاً ، حتى بلغ سعر النحاس القراضة مائة وعشرين نصفاً فضة .

الخميس ٩ منه (٢١ مارس ١٨١٤ م) :

حضر محمود بيك الدويدار والمعلم غالى من سرحتهما الى مصر . وهما المتأمران على مباشرة قياس الأراضى ، وتشهيل المال المفروض . وسبب حضورهما : أن ابراهيم باشا ، أرسل يطلبهما الحضور ، ليتشاور معهما في أمر ، فأقاما أربعة أيام ، وعادا راجعين الى شغلها .

الاربعاء ١٥ منه (٦ ابريل ١٨١٤ م) :

سافر ابراهيم باشا عائدا الى أسيوط ، وذهب صحبته أخوه اسماعيل باشا والبيكات الصغار ... خوفاً وهربوا من الطاعون .

وفيه : كمل تعمير الجامع الذى عمره دبوس أوغلى ، الذى بقرب داره التى بغيظ العدة — وهو جامع جوهر العيني — وكان قد تخرّب فهدمه جميعه ، وأنشأ وزخرفه ، ونقل لمعارثه أنقاضاً كثيرة ، وأخشاباً ورخاماً من بيت أبى الشوارب ، وعمل به منبرا بديع الصنعة ، واستخلص جهة أوقافه أطياناً وأماكن من واضعى اليد .

وفيه : أرسلوا جملة أخشاب الى الحجاز مطلوبة الى الباشا .

وفيه أيضاً : نادوا على سكان الجيزة بالخروج منها بعد عصر يوم السبت . ومن لا يريد الخروج ، فلا يخرج بعد ذلك . ومن خرج ، فلا يدخل ، وأمهلوهم الى الغروب . فخرجوا بآمتعتهم وأطفالهم

وأولادهم وأوانيهم الى خارج البلدة . وبات الأكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل الى بلدة أخرى . وخرج أيضاً الكثير من عساكرهم وأتباعهم ممن لا يريد المقام والحبس . فكانوا كلماً وجدوا من حمل متاعه من أهل البلدة على حمار ، ليذهب الى جهة يستقر بها ، رموا به الى الأرض وأخذوا الحمار .

وحصل لأهل الجيزة فى تلك الليلة ما لا مزيد عليه من الكرب ، والجلأء عن أوطانهم . وكل ذلك مجرد وهم ، مع قلة وجود الطعن ... الا التزر اليسير .

الخميس ٢٣ منه (١٤ ابريل ١٨١٤ م) :

سافرت خزينة المال المطلوبة الى الباشا الى جهة السويس . وأصبحوا معها عدة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها ، وقدرها ألفان وخمسمائة كيس ... جميعها قروش .

جمادى الأولى

٣ منه (٢٣ ابريل ١٨١٤ م) :

خرج حسن باشا بعساكره ، ونزل بوطاقه وخيامه التى نصبت له بالعادية قبل خروجه بيومين .

٤ منه (٢٤ ابريل ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بيك دالى باشا ، وأخشاب واحتياجات وجمال . والذى أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره : أن طوسون باشا وعابدين بيك ، ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التى بها المرأة ... التى يقال لها غالية ، ف وقعت بينهم حروب ثمانية أيام ، ثم رجعوا منهزمين ، ولم يظفروا بطائل ، ولأن العربان نفرت طباعهم من الباشا لما حصل منه فى حق الشريف ، من القبض عليه . وهاجر الكثير من

والأشراف ، وانضموا الى الأخصام ، وتفرقوا في النواحي ، ومنهم شخص يقال له : الشريف راجح ، فأتى من خلف العسكر — وقت قيام الحرب — وحاربهم ، ونهب الذخيرة والأحمال ، وقطع عنهم المدد

وأخبروا أن الجمال قل وجودها عند الباشا ، ويشتريها من العربان المسالين له بأغلى ثمن . وأخبروا أيضا أنه واقع بالحرمين غلاء شديد لقلّة الجالب ، واحتكار الباشا للفلال الواصلة اليه من مصر ، فيبيعه حتى على عسكره بأغلى ثمن ، مع التحجير على المسافرين والحجاج في استصحابهم شيئا من الحب والدقيق ، فيفتشون متاعهم في السويس ، ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودون به في سفرهم ، من القمح أو الدقيق ، وما يكون معهم من الفرائسة لنفقتهم ، وأعطوهم بدلها من القروش .

١٥ منه (٥ مايو ١٨١٤ م) :

وصلت قافلة من السويس ، وفيها جملة من العسكر المتمرضين ، ونحو العشرة من كبارهم نفاهم الباشا الى مصر وفيهم حجّو أوغلى ، ودالى حسن ، وعلى أغا درمنلى ، وترجوا ، وحسن أغا أزرجنلى ، ومصطفى ميسوا ، وأحمد أغا قنبور .

وفيه أيضا : خرج عسكر المغاربة ، ومن معهم من الأجناس المختلفة ، الى مصر العتيقة ليذهبوا من ناحية القصير الى الحجاز . وأما محوريك ، فانه لم يزل بقنا لقلّة المراكب بالقصير التى تحملهم الى الحجاز .

١٦ منه (٦ مايو ١٨١٤ م) :

وصلت قافلة وفيها أنفار من أهل مكة والمدينة ، وسفار وبضائع تجارة بن وأقمشة وبياض ... شئ كثير . وقد أتت الى جدة من تحارات الشريف غالب ، ولسم يبلغهم خبر الشريف غالب ، وما حصل له .

فلما حضروا ، وضع الباشا يده عليه جميعه ، وأرسله الى مصر . فتولى ذلك السيد محمد المحرقى ، وفرقها على التجار بالثمن الذى قدره عليهم ، وألزمهم ألا يدفعوه الا فرائسة .

وفي هذا الشهر : وصل الخبر بموت الشيخ مسعود ، كبير الوهاية ، وتولى مكانه ابنه عبد الله . وفيه : خرج طائفة الكتبة والأقباط والروزنامجي والجاجرتية ، وذهب الجميع الى جزيرة شلقان ، ليحرروا دفاتر على الروك الذى راكوه من قياس

وفيه : بلغ صرف الريال الفرائسة من الفضة المعدنية ، ثمانمائة وعشرين نصفا ، عنها ثمانية قروش ، والمشخص عشرون قرشا . وقل وجود الفرائسة والمشخص ، بل والمحجوب المصرى ، بأيدي الناس جدا . ثم نودى على أن يصرف الريال بسبعة قروش ، والمشخص بستة عشر قرشا . وشددوا في ذلك ، ونكلوا بمن يخالف ذلك ، وعاقبوا من زاد على ذلك في قبض أثمان المبيعات ، وأطلقوا في الناس جواسيس وعيونا ... فمن عثروا عليه في مبيع أو غيره ، أنه قبض بالزيادة ، أحاطوا به وأخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتغريم ... وربما أرسلوا من طرفهم أشخاصا متنكرين ، يأتى أحدهم للبائع ، فيساومه السلعة كأنه مشتر ، ويدفع له في ضمن الثمن ريالا ، أو مشخصا ، ويحسبه بحسابه الأول ، ويناكره في ذلك . فربما تجاوز البائع ... خوفا من بوار سلعته ،

الأراضي ، وزيادة الأطنان وجفل الكثير من
الفلّاحين وأهالي الأرياف ، وتركوا أوطانهم
وزروعهم . وهالهم هذا الواقع لكوبهم لم يعتادوه
ويألفوه ، وباعوا مواشيهم ، ودفعوا أثمنها في
الذي طلع عليهم في الزيادات الهائلة ، وسيعودون
مثل الكلاب ، ويعتادون سلخ الأهاب !

وأما الملتزمون ، فبقوا حيارى باهتين ، وارتفع
أيدي تصرفهم في حصصهم ، ولا يدرون عاقبة
أمرهم ... منتظرين رحمة ربهم . وآن وقت الحصاد
وهم ممنوعون عن ضم زرع وسايامهم ، الى أن أذن
لهم الكتخذا بذلك ، وكتب لهم أوراكا ، وتوجهوا
بأنفسهم أو بمن ينوب عن مخدومه ، وأراد ضم
زرعه ، ولم يجد من يطيعه بهم . وتناولوا عليهم
بالألسنه ، فيقول الحرفوش منهم اذا دعى للشغل
بأجرته : « روح انظر غيري أنا مشغول في شغلي ،
أتم ايش بقالك في البلاد ؟ قد انقضت أيامكم ...
أحنا صرنا فلّاحين الباشا » .

وقد كانوا مع الملتزمين أذل من العبيد المشتري .
فريما أن العبد يهرب من سيده اذا كلفه فوق طاقته ،
أو أهانه بالضرب . وأما الفلاح فلا يمكنه ولا يسهل
به أن يترك وطنه وأولاده وعياله ويهرب . واذا هرب
الى بلدة أخرى ، واستعلم أستاذه مكانه ، أحضره
قهرًا ، وازداد ذلا ومقتا واهانة !

وكان من طرائقهم : أنه اذا آن وقت الحصاد
والتخضير ، طلب الملتزم ، أو قائم مقامه ، الفلاحين
فينادي عليهم الغفير أمس اليوم المطلوبين في صبحه
بالتبكير الى شغل الملتزم . فمن تخلف لعذر ،
أحضره الغفير أو المشد ، وسحب من شنبه ،
وأشبعه سبا وشتما وضربا — وهو المسمى عندهم
بالعونة والسخرة — واعتادوا ذلك ... بل يرونه من
اللازم والواجب . وهذا خلاف ما يلقونه من الازلال
والتحكم من مشايخهم ، والشاهد والنصراني
الصراف — وهو العدة والعهدة — خصوصا

عند قبض المال ، فيغالطهم وينساكرهم ... وهم له
أطوع من أستاذهم ، وأمره نافذ فيهم ، فيأمر
قائمقام بحبس من شاء أو ضربه ، محتجا عليه
ببواقى لا يدفعها .

واذا غلق أحدهم ما عليه من المال الذي
وجب عليه في قائمة المصروف ، وطلب من المعلم
ورده — وهى ورقة الغلاق — وعده لوقت
آخر حتى يحرر حسابه ، فلا يقدر الفلاح
على مرادته خوفا منه . فاذا سأل من بعد
ذلك قال له : « بقى عليك حبتان من فدان ، أو
خروبتان » أو نحو ذلك ! ولا يعطيه ورقة الغلاق
حتى يستوفى منه قدر المال ، أو يصانعه بالهدية
والرشوة وغير ذلك ... أمور وأحكام خارجة عن
ادراك البهيمية ... فضلا عن البشرية ، كالشكاوى
ونحوها .

وذلك كما اذا تشاجر أحدهم مع آخر
على أمر جزئى ، بادر أحدهم بالحضور الى الملتزم ،
 وتمثل بين يديه قائلا : « أشكو اليك فلانا بمائة
ريال مثلا » . فبمجرد قوله ذلك ، يأمر بكتابه ورقة
خطابا الى قائمقام أو المشايخ : باحضار ذلك الرجل
المشتكى ، واستخلاص القدر الذى ذكره الشاكي
— قليلا أو كثيرا — أو حبسه وضربه حتى يدفع
ذلك القدر ، ويرسل الورقة مع بعض أتباعه ،
ويكتب بهامشها كراء طريقه ، قليلا أو كثيرا ،
فيسمونه حق الطريق . فعند وصوله : أول شيء
يطالب به الرجل حق الطريق المعين ، ثم الشكاوى ..
فإن بادر ودفعها ، والا حبس أو حضر به المعين الى
بيت أستاذه ، فيوعده الحبس ، ويعاقبه بالضرب
حتى يوفى القدر الذى تلفظ به الشاكي . وإن
تأخر عن حضوره ، أو حضور المعين ، أرفده بأخر
وحق طريق الآخر كذلك ، ويسمونها الاستعجاله ،
وغير ذلك ... أحكام وأمور غير معقولة المعنى ، قد
ربوا عليها واعتادوها ، لا يرون فيها بأسا ولا عيبا !

٢٧ منه (١٧ مايو ١٨١٤ م) :

قبل الغروب بنحو نصف ساعة ، وصل جراد كثير مثل الغمام ، وصار يتساقط على الدور والأسطحة والأزقة مثل الغمام ، وأفسد كثيرا من الأشجار ، وانقطع أثره في ثاني يوم .

جمادى الآخرة

١٠ منه (٣٠ مايو ١٨١٤ م) :

ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قمر الى بركة الحج .

١٥ منه (٤ يونيه ١٨١٤ م) :

حضر الروزنامجى والأفندية بعد أن استملى منهم القبط الدفاتر وأسماء الملتزمين ، ومقادير حصصهم ، ثم حضر محمود بيك والمعلم غالى ، ومن معهم من الكتبة الأقباط . وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الأراضى ، وروك البلاد . وهو أن الأراضى زادت فى القياس بالقصبة التى قاسوا بها ، وحددوها مقدار الثلث ، أو الربع ، حتى قاسوا الرزق الأعباسية بأسماء أصحابها ومزارعيها ، وأطيان الوسايا على حدتها ... حتى الأجران وما لا يصلح للزراعة ، وما يصلح من البور ... الصالح وغير الصالح .

فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالأفدنة ثم جعلوها ضرائب ، منها : ضريبة خمسة عشر ريالاً ، وأربعة عشر ، واثني عشر ، وأحد عشر ، وعشرة ... مال الفدان بحسب جودة الاقليم والأرض . فبلغ ذلك مبلغا عظيما ... بحيث ان البلدة التى كانت يفرض عليها فى مغارم الفرض التى كانوا فرضوها قبل ذلك فى سنيهم الماضية ، ويتشكى منها الفلاحون والملتزمون ويستغيثون ، ويبقى منها بواقي ويمجزون عنها ... ألف ريال — طلع عليها فى هذه

وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين : بسوء أفعالهم ، وعدم دياتهم ، وخياتهم ، واضرارهم لبعضهم البعض .. من لا يرحمهم ، ولا يعفو عنهم . كما قال فيهم البدر الحجازى :

وسبعة بالفلس قد أنزلت
لما حووه من قبيح الفعال :

شيوخهم ، أستاذهم ، والمشدد
والقتل ، فيما بينهم ، والقتال
مع النصارى كاشف الناحية
وزد عليها كدهم فى اشتغال

وققرهم ما بين عينيهم
مع اسوداد الوجه ... هذا النكال

واذا التزم بهم ذو رحمة ، ازدروه فى أعينهم : واستهانوا به وبخدمه ، وماطلوه فى الخراج ، وسموه بأسماء النساء ، وتمنوا زوال التزامه بهم ، وولاية غيره من الجبارين الذين لا يخافون ربهم ، ولا يرحمهم ... لينالوا بذلك أغراضهم بوصول الأذى لبعضهم .

وكذلك أشياخهم : اذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم أيضا من ظلم فلاحهم ... لأنهم لم يحصل لهم رواج الا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم ، فياخذون لأنفسهم فى ضمنها ما أحبوا ، وربما وزعوا خراج أطيانهم وزراعاتهم على الفلاحين .

وقد انخرم هذا الترتيب بما حدث فى هذه الدولة من قياس الأراضى والقدن ، وما سيحدث بعد ذلك من الاحداثات التى تبدو قرائنها شيئا بعد شيء .

٢٢ منه (١٢ مايو ١٨١٤ م) :

برز حسن بيك دالى باشا خيامه الى خارج باب النصر ، وخرج هو فى ثاني يوم فى موكب ، ونزل بوطاقه ليتوجه الى الحجاز على طريق البر .

اللفة عشرة آلاف ريال ، الى مائة ألف ، وأقل وأكثر .

وأحضر الكتخدا ابراهيم أغا الرزاز ، والشيخ أحمد يوسف ، وخلق عليهما خلعتين ، وجعلوا لهما ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر الذى تحرر على حصته التى فى تصرفه ... فيعطونه ورقة تصرف ، ويكتب على نفسه وثيقة بأجل معلوم : يقوم يدفع ذلك ، ويتصرف فى حصته بشرط ألا يكون له إلا أطيان الأوسية : ان شاء زرعها وأخذ غلتها ، وان شاء أجرها لمن شاء . وليس له من مال الخراج إلا المال الحر ، المعين بسند الديوان — المعروف بالتقسيط . وما زاد فى قياس الأرض من طين الفلاحة والأوسية ، فهو للميرى ... قل أو كثر .

وأما الرزق الأجبسية ، المرصدة على البر والصدقة ، ولأهل المساجد والأسبلة ، والمكاتب والخيرات .. فانهم مسحوها بقياسهم . فما وجدوه زائدا عن الحد الأصلي جعلوه للديوان ، وما بقى قيدوه وحرروه باسم واضع اليد عليها ، واسم واقفها وزارعها ، أو ما يمليه المزارع الحاضر وقت القياس ، وسؤال المباشرين . وقرروا عليها المال ، مثل ضريبة البلد . فان أثبتتها صاحبها ، وكان ييده سند جديد من أيام الوزير وشريف أفندى ، وما بعده ... على سبقة لوقت تاريخه ، قيدوا له نصف مال تأجرها ، والنصف الثانى الباقى للديوان .

ورسموا لكاتب الرزق أن يعمل ديوانا لذلك ، ومعه عدة من الكتب ، ويأتى اليه الناس بأوراق سنداتهم : فمن وجد يده سندا جديدا ، كتب له صورة — قيد الكشف بموجب ما هو بدفتره — فى ورقة ، فيذهب بها الى الديوان ، فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين .

ويقع الاشتباه الكثير فى أسماء أربابها وأسماء حيضانها وغيطانها ، فيكلفون صاحب الحاجة باثبات ما ادعاه ، ويكتب له أوراقا لمشايخ الناحية وقاضيا باثبات ما يدعيه ، ويعود مسافرا ، ويقاسى ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ، ومعاكسة المشايخ وقاضى الناحية ، ثم يعود الى الديوان بالجواب ، ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة أخرى ... وربما كان سعيه وتعبه على فدان واحد ، أو أقل أو أكثر !

وازدهم الناس على بيت كاتب الرزق ، وانفتح له بذلك باب ، لأنه لا يكتب كشفا حتى يأخذ عليه دراهم ... تعينت على قدر الأفدنة .

وأضاع الكثير من الناس ما تلقوه عن أسلافهم ، وما كانوا يرتقون منه ، وأهملوا تجديد السندات ، واتكلوا على ما بأيديهم من السندات القديمة لجهلهم ، أو ظنهم انقضاء الأمر ، وعدم دوام الحال ، وتغير الدولة ، وعود النسق الأول ، أو لفقرهم وعدم قدرتهم على ما ابتدعوه من كثرة المصاريف التى تصرف على تجديد السند ، واشتغال مال الحماية ... التى قدرها شريف أفندى على أراضى الرزق عن كل فدان عشرة أنصاف أو خمسة فكثير من الناس استعظم ذلك ، واعتمد على أوراقه القديمة ، فضاعت عليه رزقته ، وانحلت ، وأخذها الغير . والذى لم يرض بالتوت ، بل ولا حصل خطبه ، رضى بالولاش !

وكان الشأن فى أمر الرزق : أن أراضيا تزيد عن موقع أراضى البلاد زيادة كثيرة ، وخارجها أقل من خراج أراضى البلاد ... الذى يقال له المال الحر الأصلي . وليس عليها مصاريف ولا مغارم ولا تكاليف ... فالمزارع من الفلاحين اذا كان تحت يده تأجر رزقة أو رزقتين ، فانه يكون مغبوطا ومحسودا فى أهل بلده ، ويدفع لصاحب الأصل القدر النزر . والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن خلف ، ولا يقدر صاحب الأصل أن يزيد

عليه زيادة ... وخصوصا اذا كانت تحت يد بعض مشايخ البلاد ، فلا يقدر أحد أن يتعدى عليه من الفلاحين ، ويستأجرها من صاحبها . وان فعل لا يقدر على حمايتها .

والكثير من الرزق واسعة القياس جدا ، ومالها قليل جدا ، وخصوصا في الأراضى القبلية ، فان غالبها رزق وشرأوى ومتأخرات لم تمسح ، ولم يعلم لها فدادين ولا مقادير . وقد تزيد أيضا بانحسار البحر عن سواحلها ، وكذلك في البلاد البحرية ... ولكن دون ذلك .

ومعظم أراضى الرزق القبلية مرصدة على جهات الأوقاف بمصر وغيرها . والواضعون أيديهم عليها لا يدفعون لجهات ولا لمستحقيها ، الا ما هو مرتب ومقرر من الزمن الأول السابق — وهو شيء قليل — وليتهم لو دفعوه ! فان في أوقاف السلاطين المتقدمة القطعة من الأراضى التى عبرتها أكثر من ألف فدان ، وخارجها خمسون ذكبية ، والذكبية خمس وبيات ، أو من الدراهم ألفان فضة ، وأقل وأكثر ، وهى تحت يد بعض كبراء البلاد ، يزرعها ويأخذ منها الألوف من الأرباب من أجناس الغلال ، ويضن ويبخل بدفع ذاك القدر اليسير لجهة وقته ، ويكسر السنة على السنة . فان كانت يد صاحب الأصل قوية ، أو كان واضح اليد فيه خيرية — وقليل ما هم ! — دفع لأربابها ثمنها ، بعد أن يرد الحسين الى الأربعين بالتكسير والخلط ، ثم يبخس الثمن جدا . فان كان ثمن الأرباب أربعمئة حسبه بأربعين نصفًا ، أو أقل ، فيعود ثمن الحسين ذكبية الى ثمن ذكيتين ... وقس على ذلك !

والذى يكون تحت يده شيء من أطيان هذه الأوقاف ، وورثها من بعده ذريته فزرعوها وتقاسوها ، معتقدين ملكيتها ، تلقوها بالارث من مورثهم ، ولا يرون أن لأحد سواهم فيها حقًا ،

ولا يهون بهم دفع شيء لأربابه — ولو قل — الا قهرا !

وبالجملة ما أصاب الناس الا ما كسبت أيديهم ، ولا جنوا الا ثمرات أعمالهم .

وكان معظم ادارات دوائر عطاء النواحي ، وتوسعاتهم ومضايقتهم من هذه الأرزاق التى كانت تحت أيديهم ... بغير استحقاق . الى أن سلط الله عليهم من استحوذ على جميع ذلك ، وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة ، وتشتتوا فى النواحي ، وتغربوا عن أوطانهم ، وخربت دورهم ومضايقتهم ، وذهدت سيادتهم . « وكم أهلكنا قبلهم من قرن ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا »

وفى بعض الأرزاق من مات أربابه ، وخربت جهاته ، ونسى أمره ، وبقي تحت يد من هو تحت يده من غير شيء أصلا . وقد أخبرنى بنحو ذلك ، شمس الدين بن حمودة من مشايخ برما بالمنوفية ، عندما أحضر الى مصر فى وقت هذا النظام ، أنه كان فى حوزهم ألف فدان لإعلم للملتزم ولا غيره بها ، وذلك خلاف ما بأيديهم من الرزق التى يزرعونها بالمال اليسير ، وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التى لم يبق لها أثر . وكذلك الأسبله وغيرها ... وأطيانهم تحت أيديهم من غير شيء وخلاف فلاحتهم الظاهرة بالمال القليل لمصارف الحج ، لأنها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات أمير الحاج ... وقد اتسخ ذلك كله !

وفيه : أخير المخبرون : أن مراكب الموسم وصلت فى هذا العام الى جدة ... وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول خوفا من جور الشريف وزواله ، وتملك الدولة البلاد ، وظنهم فيهم العدل فاطمأنوا وعبوا متاجرهم ، وحضروا الى جدة . فجمع الباشا مكوسهم فبلغت أربعة وعشرين « لكا » واللك الواحد مائة ألف فرانسا ، فيكون أربعة

الأربعاء ١١ منه (٢٩ يونية ١٨١٤) :

هرب الشريف عبد الله ابن الشريف سرور في وقت الفجرية ، ولم يشعروا بهروبه الا بعد الظهر . فلما بلغ كتحدا بيك الخبر ، فتكدر لذلك ، وأرسل مشايخ الحارات وغيرهم ، وبث العربان في الجهات ، فلما كان ليلة السبت ، حضروا به في وقت الغروب وقد حجزوه بحلوان ، وأتوا به الى بيت السيد مجمد المحروقي ، فأخذه الى كتحدا بيك ، فأرسله الى بيت أخيه أحمد أغا .. ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ، ومنعوه من الخروج والدخول ، بعد أن كان مطلق السراح : يخرج من بيت أحمد أغا ، ويذهب الى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده . فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه أيضا .

الخميس ١٩ منه (٧ يولية ١٨١٤ م) :

حضر المشايخ عند كتحدا بيك ، وعادوه في الخطاب فيما أحدثوه على الرزق ، وعرفوه أنه يلزم من هذا الاحداث ابطال المساجد والشعائر . فتتصل من ذلك ، وقال : « هذا شيء لا علاقة لى فيه ، وهذا شيء أمر به أفندينا ومحمود بيك والمعلم غالى » . ثم كلموه أيضا في صرف الجامكية ، المعروفة بالسائرة والدعاجوى ، للفقراء والعامه . فوعدهم بصرفها وقت ما يتحصل المال ، فان الحزينة فارغة من المال !

السبت ٢١ منه (٩ يولية ١٨١٤ م) :

حضر محمود بيك والمعلم غالى من سرختها . فذهب اليهما المشايخ في ثانى يوم ، ثم خاطبوهما بالكلام في شأن الرزق . فأجابهم المعلم غالى بقوله : « يا أسيادنا .. هذا أمر مفروغ منه بأمر أفندينا من عام أول — من قبل سفره — فلا تتعبوا خاطركم . وواجب عليكم مساعدته خصوصا في خلاص كعبتكم ولييكم من أيدى الخواارج » ... فلم يردوا عليه جوابا ، وانصرفوا .

وعشرين مائة ألف فرانس . فقبضها منهم بضائع وتقودا ، وحسب البضائع بأبخس الأثمان . ثم التفت الى التجار الذين اشتروا البضائع ، وقال لهم : « انى طلبت منكم مرارا أن تقرضونى المال ، فادعيتهم الافلاس . ولما حضر الموسم ، بادرتهم بأخذه ، وظهرت أموالكم التى كنتم تبخلون بها . فلا بد أن تقرضونى ثلثمائة ألف فرانسة » ! فصالحوه على مائتى ألف دفعوها له تقودا وبضائع مشترواتهم ... حسبها لهم العشرة ستة ، ثم فرض على أهل المدينة ثلاثين ألف فرانسة .

رجب

الخميس ٥ منه (٢٣ يونية ١٨١٤ م) :

ضربوا عدة مدافع ، وأخبروا بوصول بشارة ، وأن عساكرهم حاربوا « قنفذه » واستولوا عليها ، ولم يجدوا بها غير أهلها .

الجمعة ٦ منه (٢٤ يونية ١٨١٤ م) :

سار حسين بيك دالى باشا بعساكره الخيالة برا . وفيه : عزم على السفر والد محرم بيك ، زوج ابنة الباشا الى بلاده ، وذلك بعد عوده من الحجاز . فأرسلوا الى الأعيان تناييه بالأمر لهم بمهاداته ففعلوا وعبوا له بقجا وبنا وأرزا وأقمشة هندية ومحلوية ... كل أمير على قدر مقامه .

الاثنين ٩ منه (٢٧ يونية ١٨١٤ م) :

حصلت في وقت أذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين ، وكان المؤذنون طلوعوا على المنارات ، وشرعوا فى الأذان .. فلما اهتزت بهم ظن كل من كان على منارة سقوطها ، فأسرعوا بالنزول . فلما علموا أنها زلزلة ، طلوعوا وأعادوا الأذان ، وسقط من شرائف الجامع الأزهر شرافة ، وتحركت الارض أيضا في خامس ساعة من الليل ، ولكن دون الأولى ، وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة .

الأحد ٢٩ منه (١٧ يولية ١٨١٤ م) :

حصل كسوف شمس ، وكان ابتدؤه بمسد الشروق ، ومقداره قريبا من ثلثي الجرم ، وتم انجلاؤه في ثالى ساعة من النهار . وكانت الشمس بـرج السرطان أربعاً وعشرين درجة في حادي عشر أيـب القبطى .

وفيه : وصلت القافلة من ناحية السويس . وأخبر الواصلون عن واقعة «قنفلة» وما حصل بها بعد دخول العسكر اليها . وذلك أنهم لما ركبوا عليها — برا وبحرا — وكبيرهم محمود بيك ، وزعيم أوغلى ، وشريف أغا ... فوجدوها خالية ، فطلعوا اليها وملكوها من غير ممانع ولا مدافع ، وليس بها غير أهلها ، وهم أناس ضعاف ، فقتلوهم وقطعوا آذانهم ، وأرسلوها الى مصر ، ليرسلوها الى اسلامبول .

وعندما علم العربان بمجيء الأتراك خلوا منها — ويقال لهم عرب العسير — وتراقعوا عنها ... وكبيرهم يسمى « طامى » . فلما استقر بها الأتراك ، ومضى عليهم بها نحو ثمانية أيام ، رجموا عليهم وأحاطوا بهم ، ومنعهم الماء . فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم ... فانهزموا ، وقتل الكثير منهم ، ونجا محويك بنفسه في نحو سبعة أنفار ، وكذلك زعيم أوغلى ، وشريف أغا ، فنزلوا في سفينة وهربوا . فغضب الباشا — وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيالة — فحاربهم العرب ، ورجعوا منهزمين من ناحية البر ، وتواتر هذا الخبر .

شعبان

الأربعاء ٢ منه (٢٠ يولية ١٨١٤ م) :

حضر ميمش أغا من الديار الحجازية ، وعلى يده فرامانات ... خطابا لدبوس أوغلى وآخرين ، يستدعيهم الى الحضور بعساكرهم . وكان دبوس أوغلى في بلدة البرلس ، فتوجه اليه الطلب . وكذلك

فرع كئخدا بيك في استكتاب عساكر أتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك .

الجمعة ٤ منه (٢٢ يولية ١٨١٤ م) :

سافر طائفة من العسكر ، وأرسل كئخدا بيك بمنع الحجاج الواردين من بلاد الروم وغيرهم من النزول الى السفائن الكائنة بساحل السويس والقصير ، وبأن يخلوها لأجل نزول العساكر المسافرين ، ويتأخير الحجاج .

وذلك أنه لما وصلت البشائر الى الديار الرومية بفتح الحرمين ، وخلص مكة وجدة والطائف والمدينة ، ووصول ابن مضيان والمضايقي وغيرهم ، الى دار السلطنة ، وهروب الوهابيين الى بلادهم — فعملوا ولائم وأفراحا وتهنئى ، وكتبت مراسيم سلطانية الى بلاد الروملي والأنفول : بالبشائر بالفتح ، والاذن والترخيص والاطلاق لمن يريد الحج الى الحرمين ... بالأمن والأمان والرفاهية والراحة . فتحركت همم مريدى الحج ، لأن لهم سنين وهم مستعنون ومتخوفون عن ورود الحج . فعند ذلك أقبلوا أفواجا بحريمهم وأولادهم ومتاعهم ، حتى أن كثيرا من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته ، وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين بأهله وعياله . ولم يبلغهم استقرار الحروب ، وما بالحرمين من الغلاء والقحط الا عند وصولهم الى ثغر سكندرية ، ولم يتحققوا الا بمصر . فوقعوا في حيرة ، ما بين مصدق ومكذب : فمنهم من قصد السفر ولم يرجع عن عزمه ، وسلم الأمر لله ، ومنهم من تأخر بمصر الى أن ينكشف له الحال .

وقرروا على كل شخص من المسافرين في مراكب السويس عشرين فرانسة ، وذلك خلاف أجرة متاعه وما يتزود به في سفره ... فانهم يزولوا بالميزان ، وعلى كل أفة قدر معلوم من الدراهم . وأما من يسافر في بحر النيل

أنزل صحبته الى بولاق ، وصالحوه عما أخذ منه من المال وغيره بخمسمائة كيس . فأرادوا دفعها له قروشا ، فامتنع قائلا : « انهم أخذوا مالي ذهباً مشخصاً وقرانسة ، فكيف آخذ بدل ذلك نحاساً لا نفع بها في غير مصر ؟ » . فأعطوه مائتي كيس ذهباً وقرانسة ، وتحول بالباقي وكيله مكى الخولاني ، ثم زودوه وأعطوه سكرًا وبنا وأرزا وشربات وغير ذلك ، ونزل مسافرا الى المراكب صحبة المعين الى الحجاز من ناحية القصير . وبرز ابن ناشت طرابلس وصحبته عساكر أيضا الى ناحية المادلية ، وآخر يقال له قنجة بيك ، ومعهم نحو الألف خيال من العرب والمغاربة ، على طريق البر الى الحجاز .

الخميس ٢٤ منه (١١ أغسطس ١٨١٤ - ٦ مسرى ١٢٣٠) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، فداروا بالرايات ، ونودي بالوفاء ، وكسروا السد — في صبح يوم الجمعة — بحضرة كتخدا بيك والقاضي ، والجم الغفير من العساكر .

في أواخره (حوالى منتصف أغسطس ١٨١٤ م) :
وصلت الأخبار بأن الباشا توجه الى الطائف وأبقى حسن باشا بمكة .

رضان

السبت ٤ منه (٢٠ أغسطس ١٨١٤ م) :

حضر موسى أغا تفكجي باشا من الديار الحجازية . وكان فيمن باشر حراة قنفدة ، ومن جملة من انهزم بها . وهلك جميع عساكره وخدمه ، ورجع الى مصر وصحبته أربعة أنفار من الخدم .

الجمعة ١٠ منه (٢٦ أغسطس ١٨١٤ م) :
خرجت العساكر المجردة لسفر الحجاز الى

— على جهة القصير — في مراكب الباشا ، فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة الى ساحل قنا ثلاثون قرشا ، ثم عليه أجره حمله من قنا الى القصير ، ثم أجره بحر القلزم — ان وجد سفينة حاضرة — والا تأخر اما بالقصير أو السويس حتى يتيسر له النزول ، ويقاسى ما يقاسيه في مدة انتظاره — وخصوصا في الماء وغلو ثمنه وردائه — ولا يسافر شخص ويتحرك من مصر الا باذن كتخدا بيك ، ويعطيه مرسوما بالاذن .

وبلغنى أن الذين خرجوا من اسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف ، خلاف من وصل من بلاد الروملى والأنضول وغيرهما وحضر الكثير من أعيانهم ، مثل امام السلطان وغيره ، فنزل البعض بمنزل عثمان، أغا — وكيل دار السعادة سابقا — والبعض بمنزل السيد محمد المحروقي ، وببيت شيخ السادات ، ومنهم من استأجر دورا في الخانات والوكائل .

وفيه : حضر قاصد من باب الدولة ، وعلى يده مرسوم ، مضمونه : الأمر باسترجاع ما أخذ من الشريف غالى ، من المال والذخائر ، اليه .

وكان الباشا أرسل الى الدولة بسبجتي لؤلؤ عظام من موجودات الشريف ، فحضر بهما ذلك القبجي ، وردهما الى الشريف غالب ، ثم سافر ذلك القبجي بالأوامر الى الباشا بالحجاز .

الاثنين ٧ منه (٢٥ يولية ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة باستعجال العساكر ، وتوالى حضور الهجانة لخصوص الاستعجال .

السبت ١٩ منه (٦ أغسطس ١٨١٤ م) :

أنزلوا الشريف غالب الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده . وكان قد وصل الى مصر أغا معين بقصد سفر المذكور الى سلانيك ،

بركة الحج — وهم مغاربة وعربان — رارفعوا
يوم الأحد ثانی عشره .

الأربعاء ١٥ منه (٢١ أغسطس ١٨١٤ م) :

برز دبوس أوغلى خارج باب الفتوح ليسافر
بمساركه الى الحجاز ، وكذلك حسن أغا مرششة .
ونصبوا خيامهم .

واستمرروا يخسرجون من المدينة ويذهبون
غدا وعشيا ، وهم يأكلون ويشربون جوارا في نهار
رمضان ، ويقولون : « نحن مسافرون وغدا ندون » .
ويمرون بالأسواق ، ويجلسون على المساطب ...
وبأيديهم الأقباب ، والشبكات التي يشربون فيها
الدخان ، من غير احتشام ولا حياء ، ويجسوزون
بحارات الحسينية على القهاوى في الضحوة ،
فيجدونها مغلقة ، فيسألون عن القهوجى ويطلبونه
ليفتح لهم القهوة ، ويوقد لهم النار ، ويغلى لهم
القهوة ، ويسقيهم ... فرما هرب القهوجى واختفى
منهم ، فيكسرون الباب ، ويمشون بالآلة وأوانيهم ،
فما يسمعه الا المجرى وإيقاد النار .

وأشنع من ذلك ، أنه اجتمع بنساجية
عرضيهم وخيامهم الجمل الكثير من النساء
الخطاطى والبغايا ، ونصبوا لهم خياما
وأخصاصا ، وانضم اليهم يساع البوطة والعرقى
والحشاشون والغوازي والرقاصون ، وأمثال
ذلك ، وانحشر معهم الكثير من الفساق وأهل
الأهواء والعياق من أولاد البلد ... فكانوا جمعا
عظيما : يأكلون الحشيش ، ويشربون المسكرات ،
ويزنون ويلوطون ، ويشربون الجوزة ، ويلعبون
القمار جهارا في نهار رمضان ولياليه ، مختلطين مع
العساكر ، كأنما سقط عن الجميع التكليف ،
وخلصوا من الحساب !

وسمعت من شاهد بعينه محمود بيك
المهردار ... الذى هو أعظم أعيانهم ، وهو

المتولى على قياس الأراضي مع المعلم غالى ،
وهو جالس في ديوانهم المخصوص — بالقرب من
سريفة اللالا — وهو يشرب في النارجيلة التنباك ،
ويأتونه بالخداء جهارا ، ويقول : « أنا مسافر
الشرقية لعمل نظام الأراضي » !

الثلاثين ثلثته (١٥ سبتمبر ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة باستعجال العساكر .

شمال

في فوكة (١٦ سبتمبر ١٨١٤ م) :

في ليلته : قلدوا عبد الله كاشف الدردلى أميرا
على ركب الحجاج .

٣ منه (١٨ سبتمبر ١٨١٤ م) :

مخرج دبوس أوغلى في موكب الى مخيمه ،
وكذلك حسن أغا مرششة ليسافر الى الحجاز .

١١ منه (٢١ سبتمبر ١٨١٤ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة ، بالطبول والزمور ، الى
المشهد الحسينى . واجتمع الناس على عاداتهم
للفرجة .

وفيه : انتقل محمود بيك والمعلم غالى الى بيت
حسن أغا نجاتي ، وعملوا ديوانهم فيه ، وأتلفوا
الجنينة التي به ، وجلسوا تحت أشجارها ، وربط
الأقباط عميرهم فيها اوشرع محمود بيك في عمارة
الجهة القبلىة منه ، وانزوت صاحبة المنزل في ناحية
منه

١٧ منه (٢ أكتوبر ١٨١٤ م) :

ارتحل دبوس أوغلى وحسن أغا مرششة .
ومن معهم من العساكر ، من منزلتهم متوجهين الى
الديار الحجازية .

٢٢ منه (٧ أكتوبر ١٨١٤ م) :

رسم كتحدا بيك بنفى طائفة من الفقهاء من ناحية طندتا إلى أبى قير بسبب فتيا أفتوها فى حادثة يبلدهم ، وقضى بها قاضيههم . وأنهت الدعوى ، إلى ديوان مصر ، فطلبوا إلى إعادة الدعوى ، فحضرُوا وترافعوا إلى قاضى العسكر ، وأثبتوا عليهم الخطأ .. فرسم بنفى الشاكى والمفتين والقاضى رابعهم .

٢٤ منه (٩ أكتوبر ١٨١٤ م) :

عملوا موكبا لخروج المحمل ، واستعد الناس للفرجة على عادتهم . فكان عبارة عن نحو مائة جمل تحمل روايا الماء والقرب ، وعدة من طائفة الدلاة ، على رؤسهم طراير سود قلابق ... وأمير الحج على شكلهم ، وخلفه أرباب الأشاير ببيارقهم وشراميطهم وطبولهم وزمورهم وجوقاتهم ، وخلفهم المحمل ... فكان مدة مرورهم — مع تقطيعهم وعدم نظامهم — نحو ساعتين . فأين ما كان يعمل من المواكب بمصر ... التى يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل فى الدنيا ؟ فسبحان مغير الشئون والأحوال !

وفيه : خرجت زوجة الباشا الكبيرة — وهى أم أولاده — تريد الحج ... إلى خارج باب النصر فى ثلاثة تخوت ، والمتسفر بها بونابارته الخازندار . وقد حضر لوداعها ولدها إبراهيم باشا من الصعيد ، وخرج لتشيعها هو وأخوه اسماعيل باشا وصحبتهما محرم بيك — زوج ابنتها — حاكم الجيزة ، ومصطفى بيك دالى باشا ، ويقال انه أخوها . وكذلك محمد بيك الدفتردار — زوج ابنتها أيضا — وطاهر باشا ، وصالح بيك السلحدار . وارتحلت ومن معها فى سادس عشرته

إلى بندر السويس . وفى ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة ، وغيرهم ممن تعسكر . وارتحل أمير الحج من الحصوة إلى البركة .

٢٧ منه (١٢ أكتوبر ١٨١٤ م) :

خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر .

٢٩ منه (١٤ أكتوبر ١٨١٤ م) :

ارتحل أمير الحج ومن معه من البركة فى تاسع ساعة من النهار . وفى ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة ، واشتد هبوبها أواخر النهار ، وأطبقت السماء بالغيوم والقتام ، وأبرق البرق برقًا متتابعًا ، وأرعدت رعدًا له دوى متصل . ولما قرب من سمت رءوسنا ، كان له صوت عظيم مزعج ، ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ، ثم سكن بعد أن تبحرت منه الأزقة والطرق . وكان ذلك اليوم رابع شهر بابة القبطى .

وفيه : ورد الخبر من السويس : أن امرأة الباشا لما وصلت إلى هناك ، وجدت عالمًا كبيرًا من الحجاج المختلفة الأجناس ممنوعين من نزول المراكب .. فصرخوا فى وجهها ، وشكوا إليها تخلفهم ، وأن أمير البندر مانعهم من النزول فى المراكب ، وبذلك المنع يفوتهم الحج الذى تجشسوا الأسفار ، وصرفوا أيضًا الأموال من أجله . وهم فى مشقة عظيمة من عدم الماء ، ولا يمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم ، وأن أمير البندر يشتط عليهم فى الأجرة ، ويأخذ على كل رأس خمسة عشر فرانسا . فحلفت أنها لا تنزل إلى المركب حتى ينزل جميع من بالسويس من الحجاج ... المراكب ، ولا يؤخذ منهم إلا القدر الذى جعلته على كل فرد منهم . فكان ما حكمت به هذه الحرمة صار لها به منقبة حميدة ، وذكرًا حسنًا ، وفرجًا لهؤلاء الخلائق بعد الشدة !



الغلام ..

وفي ذلك الوقت حصل في الناس فزعة ، وأغلقت
أهل سوق الغورية ، والشوائين والفحامين ...
حواليتهم . وبقي ذلك الغلام مجبوسا ، ومات
الدلائي المضروب ، في ليلة السبت خامس عشرة ،
فأحضروا ذلك الغلام الى باب زويلة وقطعوا رأسه
ظلما ... ولم يكن هو الضارب !

الخميس ٢٠ منه (٣ نوفمبر ١٨١٤ م)
سافر ابن باشت طرابلس ، وسافر معه عسكر
المغاربة الخيالة .

ذو الحجة

الاثنين غرته (١٤ نوفمبر ١٨١٤ م) :
ورد نجاب من الحجاز ، وأخير بموت طاهر

الاثنين ٣ منه (١٧ أكتوبر ١٨١٤ م) :

نادى المنادى بوقود قناديل سهارى على
البيوت والوكائل . وكل أربع دكاكين قنديل .

السبت ٨ منه (٢٢ أكتوبر ١٨١٤ م) :

جرسوا شخصا ، وأركبوه على حمار بالمقلوب ،
وهو قابض بيده على ذئب الحمار ، وعمبوه
بمصارين ذبيحة ، وعلى كتفه كرش ، بعد أن حلقوا
نصف لحيته وشواربه !

قيل : ان سبب ذلك أنه زور حجة تقرير على
أماكن تتعلق بامرأة أجنبية ، وباع بعض الأماكن .
وكانت تلك المرأة غائبة من مصر ، فلما حضرت ،
وجدت مكانها مسكونا بالذى اشتراه ... فرفعت
قصتها الى كتخدا بيك ، ففعل به ذلك بعد
وضوح القضية .

الاربعاء ١٢ منه (٢٦ أكتوبر ١٨١٤ م) :

سافر عبد الله ابن الشريف سرور الى الحجاز ،
باستدعاء من الباشا ، فأعطوه آكياسا ، وقضى
أشغاله وخرج مسافرا .

وفيه : وقعت حادثة بحارة الكعكيين بين
شخصين من الدلائية رمحا خلف غلام بدوى عمل
نفسه عسكريا مع طائفة المغاربة ، يدعى أحدهما أن
له عنده دراهم ، فهرب منهما الى الخطة المذكورة ،
فرمحا خلفه ، ويبد كل منهما سيفه مسلولا ، فدخل
الغلام الى عطفة الحمام . وفزعت عليهما المغاربة
المتعسكرون القاطنون بتلك الناحية . وضربوا
عليهما بنادق ، فسقط حصان أحد الدلاة ، وأصيب
راكبه ، وهرب رفيقه الى كتخدا بيك ، فأخبره ،
فأمر باحضار كبار المغاربة ، وطالبهم بالضارب
فلم يتبين أمره ، وقبضوا على الغلام الهارب
فحبسوه .

أفندى — وهو أفندى ديوان الباشا — وكان موته في شهر شوال بالمدينة ... حتف أنه .

وورد الخبر أيضا بصلح الشريف راجح مع الباشا ، وأنه قابله ، وأكرمه ، وأنعم عليه بمائتي كيس . وأخبر أيضا بأنه تركه الباشا بناحية الكلخة . وهى ما بين الطائف وتربة .

وانقضت السنة بحوادثها .

وأما من مات في هذه السنة : فمات العمدة الفاضل ، الفقيه النبيه ، الشيخ حسين ، المعروف بابن الكاشف الدمياطى ، ويعرف بالرشيدى .

تعلق بالعلم ، وانخلع من الأمرية والجندية ، وحضر أشياخ العصر ، ولازم حضور الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وانتقل من مذهب الحنفية الى الشافعية ، لملازمته لهم في المعقول والمنقول ، وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات ، وحفظ القرآن في مبدأ أمره برشيد ، وجوده على السيد صديق ، وحفظ شيئا من المتون قبل مجيئه الى مصر ، وأكب على الاشتغال بالأزهر ، وتزيا بزي الفقهاء .. يلبس العمامة والفرجية ، وتصدر ودرس في الفقه والمعقول وغيرهما .

ولما وصل محمد باشا خسرو الى ولاية مصر ، اجتمع عليه عند قلعة أبى قير ، فجعله اماما يصلى خلفه الأوقات ، وحضر معه الى مصر ولم يزل مواظبا على وظيفته ، وانتفع بنسبته اليه ، واقتنى حصصا واقطاعات ، وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ، ويأخذ ممن بتولاها الجمالات والهدايا . وأخذ أيضا نظر وقف أزبك وغيره ، ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو . واستمر المذكور على القراءة والاقراء حتى توفى أواخر السنة .

ومات الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل — وهو أخو الشيخ سليمان الجمل — تفقه على أخيه ، ولازم دروسه ، وحضر غيره من أشياخ العصر ، ومشى على طريقة أخيه في التقشف والانجماع عن خلطة الناس . ولما مات أخوه — وكان يملئ الدروس بجامع المشهد الحسينى ، بين المغرب والعشاء على جمع من مجاورى الأزهر والعامه — تصدر للاقراء في محله في ذلك الوقت . فقرأ السمايل والمواهب والجلالين ، ولم يزل على حالته حتى توفى ثانى عشر ذى الحجة .

ومات الشيخ المفيد محمد الاسناوى ، الشهير بجاد المولى ... ممن جاور بالأزهر ، وحضر دروس أشياخ الوقت من أهل عصره ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى في دروسه وبه تخرج ، وواظب عليه في مجالس الذكر ، وتلقى عنه طريقة الخلوتية وألبسه التاج ، وتقدم في خطابة الجمعة والأعياد بالجامع الأزهر ، بدلا عن الشيخ عبد الرحمن البكرى عندما رفعوها عنه . وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل في سنة ثلاث وعشرين ، وتأخر في الزيادة عن أوانه .

ولما حضر محمد باشا خسرو الى مصر ، وصلى صلاة الجمعة بالأزهر ، في سنة سبع عشرة ، خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور ، فكان يخرجها من الخزنة ، ويلبسها وقت خطبة الجمعة والأعياد .

وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين : كالشيخ خالد والأزهريه ، ثم قرأ شرح الأشموني على الخلاصة . واشتهر ذكره ، ونما أمره في أقبل زمن . وكان فصيحاً مفوهاً في التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة . ولم يزل على حالة حميدة في حسن السلوك والطريقة حتى توفى في شهر ذى الحجة ، وقد ناهز الأربعين .

المحترم

٥ منه (١٨ ديسمبر ١٨١٤ م) :

وصل نجاب من الحجاز ، وعلى يده مكاتبات ،
بالاخبار عن الباشا والحجاج ، بأنهم حجوا ووقفوا
بعرفة ، وقضوا المناسك ..

٩ منه (٢٢ ديسمبر ١٨١٤ م) :

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية الى داره
الجمالية .

١٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٨١٤ م) :

وصل في ليلته قابجي وعلى يده تقرير للباشا من
الحجاز الى ساحل القصير ، ف ضربوا لذلك مدافع
من القلعة .

وفي صباحها : خرج ابن الباشا وأخوه ، وكذلك
أكابر دولتهم الى ناحية البساتين ، ومنهم من عدي
النيل الى البر العربي لملاقاته على مقتضى عادته في
عجلته في الحضور ، وعلى حساب مضي الأيام ، من
يوم وصوله الى القصير ... فغابوا في انتظاره حتى
انقضى النهار ، ثم رجعوا .

١١ منه (٢٤ ديسمبر ١٨١٤ م) :

في صبحه : خرجوا ثم عادوا الى دورهم آخر
النهار ، واستمروا على الخروج والرجوع ، ثلاثة
أيام ، ولم يحضر .

وكثر لفظ الناس عند ذلك ، واختلفت رواياتهم
وأقوالهم مدة أيام ، ليلا ونهارا ، ثم ظهر كذب
هذا الخبر ، وأن الباشا لم يزل بأرض الحجاز .

وقيل ان سبب اشاعة خبر مجيئه أنه وصل الى ساحل
القصير سفينة بها سبعة عشر شخصا من العسكر ،
فسألهم الوكيل الكائن بالقصير عن مجيئهم ،
فأجابوه انهم مقدمة الباشا ، وأنه واصل في أثرهم
فعندما سمع جوابهم ، أرسل خطابا الى كاتب من
الأقباط بقنا يعرفه بقدم الباشا . فكتب ذلك
القبطي خطابا الى وكيل شخص من أعيان كتبة
الأقباط بأسيوط ، يسمى المعلم بشارة ،
فعندما وصله الجواب أرسل جوابا الى موكله
بشارة المذكور بمصر ... بذلك الخبر . وفي
الحال طلع به الى القلعة ، وأعطاه لابراهيم باشا ،
فانتقل به ابراهيم باشا الى مجلس كتخدا بيك .
فخلع كتخدا بيك على بشارة خلعة ، وأمر بضرب
المدافع ، ونزل المبشرون ، وانتشروا بالبشائر
الى بيوت الأعيان ، وأخذ البقاشيش .

ولما حصل التراخي والتباطؤ والتأخر في الحضور
بعد الاشاعة ، أخذ الناس في اختلاق الروايات
والأقاويل ، كعادتهم ... فمنهم من يقول : « انه
حضر مهزوما » ، ومنهم من يقول : « مجروحا » ،
ومنهم من يثبت موته ... والشئ الذي أوجب في
الناس هذه التخليطات ، ما شاهدوه من حركات
أهل الدولة ، وانتقال نسائهم من المدينة ، وطلوعهم
الى القلعة بمتاعهم ، وإخلاء الكثير منهم البيوت ،
وانتقال طائفة الأرثوود من الدور المتباعدة ،
واجتماعهم ، وسكناهم بناحية خطة عابدين ...
وكذلك انتقل ابراهيم باشا الى القلعة ، ونقل اليها
الكثير من متاعه .

وأغرب من هذا كله ، اشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية ابراهيم باشا على الأحكام — عوضا عن أبيه — في يوم الخميس . ويرتبوا له موكبا يركب فيه ذلك اليوم ، ويشق من وسط المدينة . واجتمع الناس للفرجة عليه ، واصطفوا على المصاطب والدكاكين ... فلم يحصل . وظهر كذب ذلك كله وبطلانه .

واتفق في أثناء ذلك من زيادة الأوهام والتخيلات ، أن رضوان كاشف — المعروف بالشعراوى — سد باب داره التى بالشارع ، بخط باب الشعرية ، وفتح له بابا صغيرا من داخل العطفة التى بظاهره ... فأوشى بعض مبغضيه الى كتحدا بيك فعلته فى هذا الوقت — والناس يزداد بهم الوهم ، ويعتقدون صحة ما دار بينهم من الأكاذيب ، وخصوصا كونه من الأعيان المعروفين — فطلبه كتحدا بيك وقال له : « لآى شئ سددت باب دارك ؟ وما الذى قاله المنجم لك ؟ » . فقال : « ان طائفة من المسكر تشاجروا بالخطه ، ودخلوا الى الدار وأزعجونا ، فسددتها من ناحية الشارع بعدا من الشر ، وخوفا مما جرى على دارى سابقا من النهب » . فلم يلتفت لكلامه ، وأمر بقتله . فشفع فيه صالح بيك السلحدار ، وحسن أغا مستحفظان . فعفا عنه من القتل ، وأمر بضربه ! فبطحوه وضربوه بالعصى . ثم نزل بصحبته الأغا الى داره وفتح الباب كما كان .

٢٤ منه (٦ يناير ١٨١٥ م) :

وصلت مكاتبات من الديار الحجازية — من عند الباشا وخلافه — مؤرخة فى ثالث عشر ذى الحجة ، يذكرون فيها أن الباشا بمكة ، وطوسون باشا ابنه بالمدينة ، وحسن باشا وأخاه عابدين بيك وخلافهم بالكلخة ، ماين الطائف وتربة .

صفر

الاثنين ٢٥ منه (٦ فبراير ١٨١٥ م) :

نودى بنقص مصارفة أصناف المعاملة ... وقد وصل صرف الريال الفرنسية من الفضة العديدة الى ثلثمائة وأربعين نصفا ، عنها ثمانية قروش ونصف ، فنودى عليه بنقص نصف قرش . والمحجوب وصل الى عشرة قروش ، فنودى عليه بتسعة قروش . وشددوا فى هذه المناداة تشديدا زائدا ، وقتل كل من زاد على ذلك من غير معارضة . وكتبوا مراسيم الى جميع البنادر وفيها التشديد والتهديد ، والاتقام ممن يزيد .

اواخره (اوائل فبراير ١٨١٥ م) :

التزم المعلم غالى بمال الجزية التى تطلب من النصارى ، على خمسة وثمانين كيسا . وسبب ذلك أن بعض أتباع المقيد لقبض الجوالى قبض على شخص من النصارى ، وكان من قسوسهم ، وشدد عليه فى الطلب وأهاناه فأنهوا الأمر الى المعلم غالى ، ففعل ذلك ، قصدا لمنع الايذاء عن أبناء جنسه ، ويكون الطلب منه عليهم ، ومنع المتظاهرين بالاسلام عنهم .

ربيع الأول

الاحد ٩ منه (١٩ فبراير ١٨١٥ م) :

وصلت قافلة طيارى من الحجاز . قدم صحبتها السيد عبد الله الأقماعى ، ومعها هجانة من الحجاز ، وعلى يدهم مكاتبات ، وفيها : الاخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب ، وأنه استولى على « تربة » وغنم منها جمالا وغنائم ، وأخذ منهم أمرى . فلما وصلت الاخبار بذلك ، انطلق المبشرون الى بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ! وضربوا فى صباحها مدافع كثيرة من القلعة .

الثلاثاء ١١ منه (٢١ فبراير ١٨١٥ م) :

كان المولد النبوى ، فنودى فى صبحه يزينة المدينة وبولاق ، ومصر القديمة ، ووقود القناديل ، والسهر ثلاثة أيام بلياليها . فلما أصبح يوم الأربعاء — والزينة بحالها الى بعد أذان العصر — نودى برفعها . ففرح أهل الأسواق بازالتها ورفعها ... لما يحصل لهم من التكاليف والسهر فى البرد والهواء ، خصوصا وقد حصل فى آخر ليلة رياح شديدة باردة .

وفى هذه الأيام : سافر محمود بيك والمعلم غالى ، ومن يصحبهم من النصارى الأقباط ، وأخذوا معهم طائفة من الكتبة الافندية المختصين بالروزنامة ، ومنهم محمد أفندى ابن حسين أفندى — المنفصل عن الروزنامة — ونزلوا لاعادة قياس الأراضى ، وتحرير الرى والشراقى . وسبقهم القياسون بالأقصاب ... نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة أيام وشرع كشاف النواحي فى قبض الترويجة من المزارعين ، وفرضوا على كل فدان : الأدنى تسع ريالات الى خمسة عشر ... بحسب جودة الأراضى ورداءتها . وهذا الطلب فى غير وقته ، لأنه لم يحصل حصاد للزروع ، وليس عند الفلاحين ما يقتاتون منه .

ومن العجب أنه لم يقع مطر فى هذه السنة أبدا ، ومضت أيام الشتاء ودخل فصل الربيع ، ولم يقع غيث أبدا ... سوى ما كان يحصل فى بعض الأيام من غيوم وأهوية غربية ، ينزل مع هبوبها بعض رشاش قليل : لا تبتل الأرض منه ، ويجف بالهواء بمجرد نزوله .

أواخره (أوائل مارس ١٨١٥ م) :

ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الإنكليز ، وفيها طيور مختلفة الأجناس والأشكال ، كبار وصغار ، وفيها من يتكلم ويحاكى ،

وآلة مصنوعة لنقل الماء ، يقال لها « الطلمبة » ، وهى تنقل الماء الى المسافة البعيدة ، ومن الأسفل الى العلو ، ومراة زجاج نجف كبيرة — قطعة واحدة — وساعة تضرب مقامات موسيقى فى كل ربع يمضى من الساعة ... بأنغام مطربة ، وشمعدان به حركة غريبة ، كلما طالت فتيلة الشمعة غمز بحركة لطيفة ، فيخرج منه شخص لطيف من جانبه ، فيقط رأس الفتيلة بقص لطيف يده ، ويعود راجعا الى داخل الشمعدان ... هذا ما بلغنى ممن ادعى أنه شاهد ذلك .

وفيه : عملوا تسعيرة على المبيعات والمأكولات ، مثل : اللحم والسمن والجبن والشمع ، ونادوا بنقص أسعارها تقصا فاحشا ، وشددوا فى ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق ، وخرم الآناف . فارتفع السمن والزبد والزيت من الحوانيت ، وأخفوه ، وطفقوا يبيعونه فى العشيات بالسعر الذى يختارونه على الزبون . وأما السمن فلكثرة طلبه لأهل الدولة شح وجوده ، وإذا ورد منه شيء خفوه وأخذوه من الطريق بالسعر الذى سعره الحاكم . وانعدم وجوده عند القبانية ، وإذا بيع منه شيء ... يبع سرا بأقصى الثمن . وأما السكر والصابون فبلغا الغاية فى غلو الثمن ، وقلة الوجود ، لأن إبراهيم باشا احتكر السكر بأجمعه الذى يأتى من الصعيد — وليس بغير الجهة القبلية شيء منه — فيبيعه على ذمته .. وهو فى الحقيقة لأبيه . ثم صار نفس الباشا يعطى لأهل المطابخ بالثمن الذى يعينه عليهم ، ويشاركهم فى ربحه . فزاد غلو ثمنه على الناس ، وبيع الرطل من السكر الصعدي ، الذى كان يباع بخمسة أنصاف فضة ، بشانين نصفاً . وأما الصابون ففرضوا على تجاره غرامة ، فامتنع وجوده ، وبيع الرطل الواحد منه — خفية — بستين نصفاً وأكثر .

وفى هذه الأيام غلا سعر الحنطة والفول وبيع

الأردب بألف ومائتى نصف فضة — خلاف الكلف والأجرة — مع أن الأهراء والشون ببولاقي ملانة بالغلل ، ويأكلها السوس ، ولا يخرجون منها للبيع شيئا ... حتى قيل لكتخدا بيك في اخراج شيء منها يباع في الناس ، فلم يأذن ... وكأنه لم يكن مأذونا من مخدمه .

ربيع الآخر

الاثنين ٨ منه (٢٠ مارس ١٨١٥ م) :

عمل محرم بيك الكورتنيلة بالجيزة على نسق السنة الماضية ، من اخراج الناس وازعاجهم ، تطيرا وخوفا من الطاعون .

وفيه : خوزقوا شيخ عرب بلوى — فينا بين قبة العزب والهيايل — بعد حبسه أربعة أشهر .

٢٨ منه (٩ ابريل ١٨١٥ م) :

ضربت مدافع ، وأشيع الخبر بوصول شخص عسكري بمكاتبات من الباشا وخلافه ، والخبر بقدوم الباشا .

واتشرت المبشرون الى بيوت الأعيان وأصحاب المظاهر — على عاداتهم — لأخذ البقاشيش . فمن قائل انه وصل الى القصير ، ومن قائل انه نزل الى السفينة بالبحر ، ومنهم من يقول انه حضر الى السويس . ثم اختلفت الروايات وقالوا : ان الذى وصل الى السويس حريم الباشا فقط . ثم تبين كذب هذه الأقاويل ، وأنها مكاتبات فقط مؤرخة أواخر شهر صفر ، يذكرون فيها أن الباشا حصل له نصر ، واستولى على ناحية يقال لها يشة وريثة ، وقتل الكثير من الوهابيين ، وأنه عازم على الذهاب الى ناحية قنفدة ، ثم ينزل بعد ذلك الى البحر ، ويأتى الى مصر .

ووصل الخبر بوفاة الشيخ ابراهيم كاتب الصرة .

جمادى الأولى

الأحد ٦ منه (١٦ ابريل ١٨١٥ م) :

ضربت مدافع بعد الظهيرة لورود مكاتبة بأن الباشا استولى على ناحية من النواحي ، جهة قنفدة .

الجمعة ١٨ منه (٢٨ ابريل ١٨١٥ م) :

وصل المحمل الى بركة الحج ، وصحبته من بقى من رجال الركب ، مثل خطيب الجبل ، والصيرفى ، والمحملية . ووردت مكاتبات بالقبض على طامى ، الذى جرى منه ما جرى فى وقائع « قنفدة » السابقة ، وقتله العساكر ... فلم يزل راجح الذى اصطلىح مع الباشا ينصب له الجبال حتى صاده

وذلك أنه عمل لابن أخيه مبلغا من المال ان هو أوقعه فى شركه . فعمل له وليمة ، ودعاه الى محله ، فأتاه آمنا ، فقبض عليه واغتاله طمعا فى المال !

وأتوا به الى عرضى الباشا فوجهه الى بندر جدة فى الحال ، وأنزلوه السفينة ، وحضروا به الى السويس ، وعجلوا بحضوره . فلما وصل الى البركة — والمحمل اذ ذاك بها — خرجت جميع العساكر فى ليلة الاثنين ، حادى عشرته ، وانجروا فى صبحها طوائف وخلفهم المحمل . وبعد مرورهم دخلوا بطامى المذكور ، وهو راكب على هجين ، وفى رقبتة الحديد ، والجنزير مربوط فى عنق الهجين ... وصورته : رجل شهيم عظيم اللحية ، وهو لابس عباءة عبدانى ، ويقراً وهو راكب وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضر أيضا عابدين بيك ، وتوجه الى داره فى ليلة الاثنين .

جمادى الآخرة

الاثنين ٥ منه (١٥ مايو ١٨١٥ م) :

وصلت عساكر فى داوات الى السويس ، وحضروا

الأطفال جلبية وغوغاء في ذهابهم ورجوعهم في الأسواق ، وعلى بيت الذى يقسم عليهم .

رجب

الأربعاء ٦ منه (١٤ يوية ١٨١٥ م) :

وصلت هجانة من ناحية قبلى ، وأخبروا بوصول الباشا الى القصير . فخلع عليهم كتخدًا بيك كسناوى ، ولم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر .

الجمعة ٨ منه (١٦ يوية ١٨١٥ م) :

احترق بيت طاهر باشا بالأزبكية ، والبيت الذى بجواره أيضا .

وفيه - قبل العصر - ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة ، وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا الى قنا وقوص . ووصل أيضا حريم الباشا ، وطلعوا الى قصر شبرا ، وركب للسلام عليها جميع نساء الأكابر والأعيان ... بهداياهم وتقادهم . ومنعوا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الأرياف ... المرور من تحت القصر ، الذى هو الطريق المعتادة للمسافرين فكانوا يذهبون ويمرون من طريق استحدثوها ، منعطفة خلف تلك الطريق ، ومستبعدة بمسافة طويلة .

الخميس ١٤ منه (٢٢ يوية ١٨١٥ م) :

انخسف جرم القبر جميعه بعد الساعة الثالثة ، وكان فى آخر برج القوس .

الجمعة ١٥ منه (٢٣ يوية ١٨١٥ م) :

وصل الباشا الى الجيزة ليلا ، فأقام بها الى آخر الليل ، ثم حضر الى داره بالأزبكية فأقام بها يومين . وحضر كتخدًا بيك وأكابر دولته للسلام عليه ، فلم يأذن لأحد ... وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا . ولم يجتمع به أحد سوى ثالى

الى مصر ، وعلى رؤوسهم شلنجات فضة ... اعلاما واشارة بأنهم مجاهدون ، وعائدون من غزو الكفار ، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين ، وطرّدوا المخالفين لديانتهم . حتى أن ملوسون باشا وحسن باشا كتبوا فى امضائهما على المراسلات - بعد اسمهما - لفظة « المغازى » والله أعلم بخلقه .

الجمعة ٩ منه (١٩ مايو ١٨١٥ م) :

أخرجوا عساكر كثيرة ... وجهوهم الى الثغور ومحافظة الأساكل خوفا من طارق بطرق الثغور لأنه أشيع أن بونايرته كبير الفرساوية خرج من الجزيرة التى كان بها ، ورجع الى فرنسا وملكها ، وأغار على بلاد الجورنة ، وخرج بمسيرة كبيرة لا يعلم قصده الى أى جهة يريد ... فرجا طرق ثغر الاسكندرية أو دمياط على حين غفلة وقيل غير ذلك .

وسئل كتخدًا بيك عن سبب خروجهم ، فقال : « خوفا عليهم من الطاعون ، ولئلا يوخسوا المدينة » لأنه وقع فى هذه السنة موتان بالطاعون ، وهلك الكثير من العسكر وأهل البلدة والأطفال والجوارى والعبيد - خصوصا السودان - فانه لم يبق منهم الا القليل النادر ، وخلت منهم الدور .

الخميس ١٥ منه (٢٥ مايو ١٨١٥ م) :

أخرج كتخدًا بيك صدقة تفرق على الأولاد الأيتام الذين يقرأون بالكتاتيب ، ويدعون برفع الطاعون ! فكانوا يجمعونهم ، ويأتى بهم فقهاؤهم الى بيت حسين ، كتخدًا الكتخدًا ، عند حيضان مصلى ، ويدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفًا فضة : يأخذ منها جزء الذى يجمع الطائفة منهم ويدعى أنه معلّمهم ، زيادة عن حصته . لأن معظم المكاتب مغلوقة ، وليس بها أحد بسبب تعطيل 'أوقاف وقطع ايرادهم . وصار لهذه

وفيه : حضر محمود يسك والمعلم غالى من سرحتها ، وقابلا الباشا ، وخلع عليهما وكساهما ، وألبسهما فراوى سمور . فركب المعلم غالى ، وعليه الخلعة ، وشق من وسط المدينة ، وخلفه عدة كثيرة من الأقباط ليراه الناس ، ويكمد الأعداء ، ويبطل ما قيل من التقولات . ثم قام هو ومحمود يسك أياما قليلة ، ورجعا لأشغالهما وتتميم أفعالهما من تحرير القياس وجبى الأموال . وكانا أرسلتا قبل حضورهما عدة كثيرة من الجمال الحاملة للأموال : فى كل يوم قطارات بعضها اثر بعض ، من الشرقية والغربية والمنوفية وباقي الأقاليم .

وفيه : حضر شيخ طرهونة بجهة قبلى ، ويسمى كريم — بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء وسكون الميم — وكان عاصيا على الباشا ، ولم يقبله أبدا . فلم يزل يحتال عليه ابراهيم باشا ، ويصالحه ويمنيه ، حتى أتى اليه وقابله وأمنه . فلما حضر الباشا — أبوه — من الحجاز ، أتاه على أمان ابنه ، وقدم معه هدية وأربعين من الابل .. فقبل هديته ، ثم أمر برمى عنقه بالرميلة !

شعبان

الأحد غرته (٩ يولية ١٨١٥ م) :

استهل .. والناس فى أمر مريج من قطع أرزاقهم . وأرباب الالتزامات والخصص التى ضبطها الباشا ، ورفع أيديهم عن التصرف فى شىء منها — خلاطين الأوسية — فانه ساعهم فيه ... سوى ما زاد عن الروك الذى قاسنوه ، فانه لديوانه . ووعدهم بصرف المال الحر المعين بالسند الديوانى فقط ... بعد التحرير والمحاققة ، ومناقضة الكتبة الأقباط فى القوائم . وأقاموا منتظرين انجاز وعده ، أياما ، يغدون ويروحون ، ويسألون الكتبة ومن له صلة بهم .. وقد ضاق خناقهم من التفليس ، وقطع الايراد ، ورضوا بالأقل ، وتشوفوا لحصوله . وكل

يوم . وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع : من أكابر الدولة ، والنصارى بأجناسهم ، خصوصا الأرمن وخلافهم .. بكل صنف من التحف ، حتى السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك ! وأشيع فى الناس ، فى المصر وفى القرى ، بأنه تاب عن الظلم ، وعزم على اقامة العدل . وأنه نذر على نفسه : أنه اذا رجع منصورا ، واستولى على أرض الحجاز ، أفرج للناس عن حصصهم ، ورد الأرزاق الاحباسية الى أهلها . وزادوا على هذه الاشاعة أنه فعل ذلك فى البلاد القبلية ، ورد كل شىء الى أصله . وتناقلوا ذلك فى جميع النواحي ، وباتوا يتخيلونه فى أحلامهم !

ولما مضى من وقت حضوره ثلاثة أيام ، كتبوا أوراقا لمشاهير الملتزمين . مضمونها : أنه بلغ حضرة أفندينا ما فعله الأقباط من ظلم الملتزمين والجور عليهم فى فائظهم ، فلم يرض بذلك ... والحال أنكم تحضرون بعد أربعة أيام ، وتحاسبوا على فائظكم وتقبضونه ، فان أفندينا لا يرضى بالظلم ... وعلى الأوراق امضاء الدفتردار .

ففرح أكثر المغفلين بهذا الكلام ، واعتقدوا صحته . وأشاعوا أيضا أنه نصب تجاه قصر شبرا خوازيق للمعلم غالى وأكابر القبط .

الأحد ٢٤ منه (٢ يولية ١٨١٥ م) :

حضر الكثير من أصحاب الأرزاق الكائنين بالقرى والبلاد ، مشايخ وأشرافا وفلاحين ، ومعهم بيارق وأعلام ... مستبشرين وفرحين بما سمعوه وأشاعوه ، وذهبوا الى الباشا — وهو يعمل رماحة بناحية القبة ، برمى بنادق كثيرة وميدان تعليم — فلما رأهم وأخبروه عن سبب مجيئهم ، فأمر بضربهم وطردهم ! ففعلوا بهم ذلك ، ورجعوا خائبين ..

فليل يوعدون : بعد أربعة أيام أو ثلاثة أيام ، حتى تحرر الدفاتر . فإذا تحررت قيل أن الباشا أمر بتغييرها وتحريرها على نسق آخر . ويكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت المتحصل في السنين ، وما يتوفر في الخزينة قليلا أو كثيرا . وفيه : وصل رجل تركى على طريق دمياط ، يزعم أنه عاش من العمر زمنا طويلا ، وأنه أدرك أوائل القرن العاشر ، ويذكر أنه حضر الى مصر مع السلطان سليم ، وأدرك وقته وواقته مع السلطان العورى ، وكان في ذلك الوقت تابعا لبعض البيروقراطية ! وشاع ذكره ، وحكى من رآه أن ذاته تخالف دعواه ، وامتحنه البعض في مذاكرة الأخبار والوقائع ، فحصل منه تخطيط . ثم أمر الباشا بنفيه وابعاده ، فأنزلوه في مركب ، وغاب خبره ، فيقال أنهم أغرقوه . والله أعلم .

الأربعاء ٢٥ منه (٢ أغسطس ١٨١٥ م) :

عملوا الديوان بيت الدفتردار ، وفتحوا باب صرف الفائض على أرباب حصص الالتزام . فجعلوا يعطون منه جانبا ... وأكثر ما يعطونه نصف القدر الذى قرروه ، وأقل وأزيد قليلا .

وفيه : أمر الباشا لجميع العساكر بالخروج الى الميدان لعمل التعليم والراحة ، خارج باب النصر ، حيث قبة العزب . فخرجوا من ثلث الليل الأخير ، وأخذوا فى الراحة والبندقة المتواصلة المتتابة مثل الرعود — على طريقة الافرنج — وذلك من قبيل الفجر الى الضحوة . ولما انقضى ذلك رجعوا داخلين الى المدينة فى كبكة عظيمة ، حتى زحموا الطرق بخيولهم من كل ناحية ، وداسوا أشخاصا من الناس بخيولهم ... بل وحميرا أيضا .

وأشيع أن الباشا قصده احصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد ، وأوضاع الافرنج ، ويلبسهم الملابس المقمطة ، ويغير شكلهم .

وركب فى ثانى يوم الى بولاق ، وجمع عساكر ابنه اسماعيل باشا ، وصنفهم على الطريقة المعروفة بالنظام الجديد ، وعرفهم قصده ... فعل ذلك بجميع العساكر ، ومن أبى ذلك ، قابله بالضرب والطرده والنفى ، بعد سلبه حتى من ثيابه ، ثم ركب من بولاق وذهب الى شبرا . وحصل فى العسكر قلقلة ولغط ، وتناجوا فيما بينهم ، وتفرق الكثير منهم عن مخاديمهم وأكابرهم ، ووافقهم على النفور بعض أعيانهم ، واتفقوا على غدر الباشا . ثم أن الباشا ركب من قصر شبرا ، وحضر الى بيت الأربكية — ليلة الجمعة ثامن عشرينه — وقد اجتمع عند عابدين بيك ، بداره ، جماعة من أكابرهم فى ولية ، وفيهم حجوب بيك ، وعبد الله أغا صارى جلّه ، وحسن أغا الازرنجلى ... فتفاوضوا بينهم أمر الباشا وما هو شارع فيه ، واتفقوا على الهجوم عليه فى داره بالأربكية فى الفجيرية . ثم ان عابدين بيك غافلهم ، وتركهم فى أنسهم ، وخرج متسكرا مسرعا الى الباشا وأخبره ورجع الى أصحابه . فأمرع الباشا فى الحال الركوب فى سادس ساعة من الليل ، وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه ، وحوط المنزل بالعساكر . ثم أخلف الطريق ، وذهب على ناحية الناصرية ومرمى الشباب ، وصعد الى القلعة ، وتبعه من يثق به من العساكر .

وانخرم أمر المتوافقين ، ولم يسعهم الرجوع عن عزميتهم ، فساروا الى بيت الباشا يريدون نهبه فمانعهم المرابطون ، وتضاربوا بالرصاص والبنادق ، وقتل بينهم أشخاص ، ولم ينالوا غرضا . فساروا على ناحية القلعة ، واجتمعوا بالرميلة وقراميدان ، وتحيروا فى أمرهم ، واشتد غيظهم ، وعلموا أن وقوفهم بالرميلة لا يجدى شيئا ... وقد أظهروا المخاصمة ، ولا ثمة تعود عليهم فى رجوعهم وسكونهم ، بل ينكسف بهم ،

وتنذل أنفسهم ، ويلحقهم اللوم من أقرانهم الذين لم ينضموا إليهم .

فأجمع رأيهم — لسوء طباعهم وخبت عقيدتهم وطرائقهم — أنهم يتفرقون في شوارع المدينة ، وينهبون متاع الرعية وأموالهم ، فإذا فعلوا ذلك فيكثر جمعهم ، وتقوى شوكتهم ، ويشاركهم المتخلفون عنهم لرغبة الجميع في القبائح الذميمة ، ويعودون بالغبينة ، ويحصلون من الحواصل ، ولا يضيع سعيهم في الباطل ، كما يقال في المثل : « ما قدر على ضرب الحمار ، ف ضرب البرذعة » ! ونزلوا على وسط قصبة المدينة ، على الصليبة ، على السروجية ... وهم يكسرون ويهشمون أبواب الحوائيت المغلقة ، وينهبون ما فيها ، لأن الناس لما تسامعوا بالحركة ، أغلقوا حوائيتهم وأبوابهم ، وتركوا أسبابهم ... طلبا للسلامة .

وعند ما شاهد باقيهم ذلك أسرعوا للحقوق ، وبادروا معهم للنهب والخطف ... بل وشاركهم الكثير من الشطار والزرع والعامّة المقلين والجياع ، ومن لا دين له . وعند ذلك كثر جمعهم ، ومضوا على طريقهم الى قصبة رضوان ، الى داخل باب زويلة ، وكسروا حوائيت السكرية ، وأخذوا ما وجدوه من الدراهم ، وما أحبوه من أصناف السكر . فجعلوا يأكلون ويحملون ، ويبددون الذى لم يأخذوه ويلقونه تحت الأرجل في الطريق . وكسروا أوانى الحلوى ، وقمدور المربيات ... وفيها ما هو من الصينى والبياغورى والأفرنجى ، ومجامع الأشربة وأقراص الحلوى الملونة والرشال والملبس والفانيد والحماض والبنفسج .

وبعد أن يأكلوا ، ويحملوا هم وأتباعهم ، ومن انضاف لهم من الأوباش البلدية والحرافيش والجميذية ، يلقون ما فضل عنهم على قارعة الطريق .. بحيث صار السوق — من حد باب

زويلة الى المناخلية ، مع اتساعه وطوله — مرسوما ومنقوشا بألوان السسكاكر ، وأقراص الأشربة الملونة ، وأعسال المربيات سائلة على الأرض .

وكان أهل ذلك السوق ، المتسبيون ، جددوا وطبخوا أنواع المربيات والأشربة عند وفور الفواكه وكثرتها في هوانها — وهو هذا الشهر المبارك — مثل الخسوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع المسير ، والحصرم والسفرجل . وملأوا الأوعية ، وصففوها في حوائيتهم للمبيع ... وخصوصا على موسم شهر رمضان .

ومضوا في سيرهم الى العقبادين الرومى ، والغورية ، والأشرفية ، وسوق الصاغة . ووصلت طائفة الى سوق مرجوش ، فكسروا أبواب الحوائيت والوكائل ، والحانات ، ونهبوا ما في حواصل التجار من الأقمشة المحلاوى والبز والحرير والزردخان .

ولما وصلت طائفة الى رأس خان الخليلي ، وأرادوا العبور والنهب ... فزعت فيهم الأتراك والأرتود ، الذين يتعاطون التجارة ، الساكنون بخان اللبن والنحاس وغيرها ، وضربوا عليهم بالرصاص . وكذلك من سوق الضرماتية ، والأتراك الخردجية — الساكنون بالرباع بباب الزهومة — جعلوا يرمون عليهم من الطيقان بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم .

وكذلك تعصبت طائفة المغاربة ، الكائنون بالمفحامين وحارة الكعكيين ... رموا عليهم بالرصاص ، وطردهم عن تلك الناحية ، وأغلقوا البوابات التى على رءوس العطف . وجلس عند كل درب أناس ، ومن فوقهم أناس من أهل الخطة بالرصاص ، تمنع الواصل إليهم .

ووصلت طائفة الى خان الحمزاوى ، فعالجوا في يابه جتى كسروا الخوخة التى في الباب ، وعبروا الخان ، وكسروا حواصل التجار

لأنفسهم . وإذا هشتت العساكر حانوتا ، وخطفوا منها شيئا ، ولحقهم من يطردهم عنها ... استأصل اللاحقون ما فيها ، واستباح الناس أموال بعضهم البعض !

وكان هذا الحادث ، الذى لم نسمع بنظيره فى دولة من الدول ، فى ظرف خمس ساعات ، وذلك من قبيل صلاة الجمعة الى قبيل العصر .. حصل للناس فى هذه المدة السيرة من الانزعاج والخوف الشديد ، ونهب الأموال ، واتلاف الأسباب والبضائع ... ما لا يوصف . ولم تصل الجمعة فى ذلك اليوم ، وأغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة ، وأخذ الناس حذرهم ، ولبسوا أسلحتهم ، وأغلقتوا البوابات ، وقعدوا على الكرائك والمرايط والتاريس ، وسهروا الليالى ، وأقاموا على التحذر والتخفظ والتخوف ... أياما وليالى .

السبت ٢٨ منه (٥ اغسطس ١٨١٥ م - ٣٠ ابيب ١٢٣١ ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، وكان ذلك اليوم أيضا ليلة رؤية هلال رمضان ، فصادف حصول الموسمين فى آن واحد ، فلم يعمل فيها موسم ولا شنك — على العادة — ولم يركب المحتسب ولا أرباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم . وكذلك شنك قطع الخليج ، وما كان يعمل فى ليلته من المهرجان فى النيل وسواحله ، وعند السد ، وكذلك فى صبحه ، وفى البيوت المظلة على الخليج ... فبطل ذلك جميعه ، ولم يشعر بهما أحد ، وصام الناس باجتهادهم .

وكان وفاء النيل فى هذه السنة من النوادر . فان النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الأيام التى مضت من شهر ابيب ، الا شيئا يسيرا ، حتى حصل فى الناس وهم زائد ، وغلا سعر الغلة ، ورفعوها من السواحل والعرصات . فأفاض المولى فى النيل واندفعت فيه الزيادة العظيمة . وفى ليتين أوفى

من نصارى الشوام وغيرهم ، ونهبوا ما وجدوه من النقود ، وأنواع الأقمشة الهندية والشامية ، والمقصبات ، وبالات الجوخ والقטיפه ، والأصطوفة وأنواع الأطلس ، والألارجات والستلاوى ، والجنفس والصندل والحبر ، وأنواع الشيت والحرير الخام والأبريسم ... وغير ذلك .

وتبعهم الخدم والعامه فى النهب ، وأخرجوا مافى الدكاكين والحواصل من أنواع الأقمشة ، وأخذوا ما أعجبهم واختاروه وانتقوه ، وتركوا ما تركوه ، ولم يقدرروا على حمله ... مطروحا على الأرض ودهلز الخان وخارج السوق ، يطأون عليه بالأرجل والنعال .

ويعدو القوى على الضعيف فيأخذ ما معه من الأشياء الثمينه ، وقتل بعضهم البعض ، وكسروا أبواب الدكاكين التى خارج الخان بالخطه ، وأخرجوا مافيهما من التحف والأوانى الصينى ، والزجاج المذهب ، والكاسات البلور ، والصحن والأطباق والفناجين البيشة ، وأنواع الخردة وأخذوا ما أعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم ، وهشموا البواقي وكسروه ، وألقوه على الأرض تحت الأرجل ... شقافا متنوعه .

وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين وما به من حوانيت العطارين ، وطرحوا أنواع الأشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالأرجل أيضا !

وفعلوا ما لا خير فيه ، من نهب أموال الناس والاتلاف . ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والكرانك وغلق البوابات ، لكان الواقع أفظع من ذلك ، ولنهبوا أيضا البيوت وفجروا بالنساء ، والعياذ بالله ، ولكن الله سلم . وشاركهم فى فعلهم الكثير من الأوباش ، والمغاربة المدافين أيضا ... فانهم أخذوا أشياء كثيرة ، وكانوا يقبضون على من يربهم — ممن يقدرن عليه من النهاين — ويأخذون ما معهم

رضان

الاثنين غوته (٧ أغسطس ١٨١٥ م) :

استهل ... والناس في أمر مريع ، وتخوف شديد ، وملازمون للسهر على الكرائك ، ويتحاشون المشى والذهاب والمجيء . وكل أهل خطة ملازم لخبطته وحارته . وكل وقت يذكرون وينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع مزعجات . وتناولت أيدي العساكر بالتعدي والأذية والفتك والقتل لمن يتفردون به من الرعية .

الثلاثاء ٢ منه (٨ أغسطس ١٨١٥ م) :

في ليلته : طلع السيد محمد المحروقي ، وطلع صحبتته : الشيخ محمد الدواخلي ثقيب الاشراف ، وابن الشيخ العروسي ، وابن الصاوي ، المتعينون في مشيخة الوقت ، وصحبتهم شيخ الغورية وطائفته . وقد ابتدأوا بهم في املاء ما نهب لهم من حوائثهم بعدما حرروها عند السيد محمد المحروقي، وتحليفهم — بعد الاملاء — على صدق دعواهم . وبعد التحليف والمحاكمة ، يتجاوز عن بعضه لحضرة الباشا ، ثم يثبتون له الباقي ... فاستقر لأهل الغورية خاصة مائة وثمانون كيسا . فدفعت لهم ثلثيها ، وآخر لهم الثلث ، وهو ستون كيسا ، يستوفونها فيما بعد : اما من عروضهم ان ظهر لهم منها شيء ، أو من الخزينة . ولازم الجماعة الطلوع والنزول ، في كل ليلة ، لتحرير بواقي المنهوبات . وأيضا استقر لأهل خان الحمزاوي نحو من ثلاثة آلاف كيس كذلك ، ولطائفه العسكرية نحو من سبعين كيسا خصمت لهم من ثمن السكر الذي يتناعون من الباشا .

واستمر الباشا بالقلعة يدبر أموره ، ويجذب قلوب الناس من الرعية ، وأكابر دولته ... بما

أذرعته قبل مظنته .. فان الوفاء لا يقع في الغالب الا في شهر مسرى ، ولم يحصل في أواخر أييب الا في النادر . واني لم أدركه في سنين عمرى أوفى في أييب الا مرة واحدة ... وذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف ، فتكون المدة بين تلك وهذه المدة سبعا وأربعين سنة .

وفيه : أرسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقي . فطلع اليه ، وصحبته عدة كبيرة من عسكر المغاربة لخفارته . فلما واجهه قال له : « هذا الذي حصل للناس من نهب أموالهم .. في صحائف ، والقصد أنكم تتقدمون لأرباب المنهوبات ، وتجمعونهم بديوان خاص — طائفة بعد أخرى — وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضلح لهم ، على وجه التحرير والصحة ، وأنا أقوم لهم بدفعه بالغ ما بلغ » . فشكر له ودعاه ، ونزل الى داره .

وعرف الناس بذلك ، وشاع بينهم فحصل لأربابه بعض الاطمئنان .

وطلع الى الباشا كبار العسكر ، مثل : عابدين بيك ، ودبوس أوغلي ، وحجوب بيك ، ومحو بيك ... واعتذروا ، وتنصلوا ، وذكروا وأقروا أن هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر ، وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ، ولا يخفاه خبث طباعهم . فتقدم اليهم بأن يتفقدوا بالفحص ، واحصاء ما حازه وأخذ كل من طوائفهم وعساكرهم . وشدد عليهم في الأمر بذلك .. فأجابوه بالسمع والطاعة ، وامتثلوا لأمره ، وأخذوا في جمع ما يمكنهم وارساله الى القلعة ، وركبوا وشقوا بشوارع المدينة ، وأمامهم المناداة بالأمان !

وأحضر الباشا المعمار ، وأمره بجمع النجارين والمعمرين واشغالهم في تعمیر ما تكسر من أخشاب الدكاكين والأسواق ، ويدفع لهم أجرتهم ، وكذلك الأخشاب على طرف الميرى .

لهم بخمسة وعشرين كيسا ، ففرقت فيهم ... فسكتوا !

وفيه : نزل كنتخدا بيك ، وشق من وسط المدينة ، ونزل عند جامع الغورية ، وجلس فيه ، ورسم لأهل السوق بفتح حوانيتهم ، وأن يجلسوا فيها ... فامتثلوا ، وفتحوا الحوانيت ، وجلسوا على تخوف .. كل ذلك مع عدم الراحة والهدوء ، وتوقع المكروه ، والتطير من العسكر ، وتعدي السفهاء منهم في بعض الأحيان ، والتحرز والاحتراس .

وأما النصارى فانهم حصنوا مساكنهم ونواحيهم وحاراتهم ، وسدوا المنافذ ، وبنوا كراك ، واستعدوا بالأسلحة والبنادق ، وأمدهم الباشا بالبارود وآلات الحرب — دون المسلمين — حتى أنهم استأذنوا كنتخدا بيك في سد بعض الحارات النافذة التي يخشون وقوع الضرر منها ، فمنع من ذلك . وأما النصارى فلم ينعمهم . وقد تقدم ذكر فعله مع رضوان كاشف ... عندما سد باب داره ، وفتح من جهة أخرى ، وعززه وضربه وبهدله بوسط الديوان .

وفيه : وصل نجيب أفندي — وهو قبي كنتخدا الباشا عند الدولة — الى بولاق . فركب اليه كنتخدا بيك وأكابر الدولة والأغا والوالي ، وقابلوه ونظموا له موكبا من بولاق الى القلعة ، ودخل من باب النصر . وحضر صحبته خلع برسم الباشا وولده طوسون باشا ، وسيفان ، وشلنجان . وهدايا ، وأحقاق نشوق مجوهره . وعملوا لوصولهم شنكا ومدافع من القلعة وبولاق .

وفيه : ارتحل الدلاة المسافرون الى الحجاز ، ودخل حجويك الى المدينة بطائفته .

وفي ضحوة ذلك اليوم — بعد انقضاء أمر الموكب — حصل في الناس زعجة وكرشات ،

يفعله من بذل المال ، ورد المنهوبات ، حتى ترك الناس يستخطون على العسكر ، ويترضون عنه . ولو لم يفعل ذلك ، واثارت العساكر هذه الثورة ، ولم يقع منهم نهب ولا تعد .. لساعدتهم الرعية ، واجتمعت عليهم أهالي القرى ، وأرباب الاقطاعات .. لشدة نكايتهم من الباشا ، بضبط الرزق والالتزامات ، وقياس الاراضى ، وقطع المعاش . وذلك من سوء تدبير العسكر ، وسعادة الباشا ، وحسن سياسته : باستجلابه الخواطر ، وتملقه بالكلام اللين ، والتصنع ، ويلوم على فعل العسكر ، ويقول بسمع الحاضرين : « ما ذنب الناس معهم ؟ خصوصا خصامهم : معى أو مع الرعية ؟ .. ها أنا لى منزل بالأزبكية فيه أموال وجواهر وأمتعة ، وأشياء كثيرة ، وسراية ابنى اسماعيل باشا ببولاق ، ومنزل الدفتردار » ! ونحو ذلك .

ويتحصيل ويتحوقل ، ويعمل فكرته ، ويدبر أمره في أمر العسكر وعظمائهم ، وينعم عليهم ، ويعطيهم الأموال الكثيرة ، والأكياس العديدة ... لأنفسهم وعساكرهم . وتنتبذ طائفة منهم ويقولون : « نحن لم نهب ولم يحصل لنا كسب » ، فيعطيههم ويفرق فيهم المقادير العظيمة . فأنعم على عابدين بيك بألف كيس ، ولغيره دون ذلك .

وفى أثناء ذلك أخرج جردة من عسكر الدلاة ليسافروا الى الديار الحجازية ، فبرزوا الى خارج باب الفتوح — حيث المكان المسمى بالشيخ قمر — ونصبوا هناك وطاقهم ، وخرجت أحمالهم وأثقالهم .

الخميس ٤ منه (١٠ اغسطس ١٨١٥ م) :

اثارت طائفة الطوبجية ، وخاضوا ، وضجوا — وهم نحو الأربعمئة — وطلبوا نفقة ... فأمر

وأغلقوا البوابات والدروب . واتصل هذا الانزعاج بجميع النواحي ... حتى الى بولاق ومصر القديمة ، ولم يظهر لذلك أصل ولا سبب من الأسباب مطلقا .

وفي تلك الليلة : ألبس الباشا حجو بيك خلعه ، وتوجه بطرطور طويل ، وجعله أميرا على طائفة من الدلاة ، وانخلع هو وأتباعه من طريقتهم التركية التي كانوا عليها .

وهؤلاء الطائفة — التي يقال لهم دلاة — نسبوا أنفسهم الى طريقة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأكثرهم من نواحي الشام وجبال الدروز والمتأولة .. وتلك النواحي يركبون الأكادش ، وعلى رؤوسهم الطرايطير السود ، مصنوعة من جلود الغنم الصغار ... طول الطرطور نحو ذراع ، وإذا دخل الكنيف نزعه من على رأسه ووضع على عتبة الكنيف ! وما أدري : أذلك تعظيم له عن مصاحبته معه في الكنيف ، أو لخوف وحذر من سقوطه ان انصدم بأسكفة الباب في صحن المرحاض أو الملاقى ؟

وهؤلاء الطائفة مشهورة في دولة العثمانيين بالشجاعة والاقدام في الحروب ، ويوجد فيهم من هو على طريقة حميدة ، ومنهم دون ذلك — وقليل ما هم . ولكونهم من تمام النظام ، رتبهم الباشا من أجناسه وأتراكه خلاف الأجناس الغربية ومن بقى من أولئك يكون تبعا لا متبوعا .

الثلاثاء ١٦ منه (٢٢ اغسطس ١٨١٥ م) :

حصل مثل ذلك المتقدم من الانزعاج والكرشات ... بل أكثر من المرة الأولى . ورمح الرامحون ، وأغلقت الحوانيت ، وطلبت الناس السقائين ، الذين ينقلون الماء من الخليج ، ويبيعون القربة بعشرة أنصاف فضة ، والراوية بأربعين . فنزل الأغا ، وأغات التبديل ، وأمامهم المناداة بالأمان ،

وينادون على العساكر أيضا ، ومنعهم من حمل البنادق ، ويأمرون الناس بالتحفظ .

واستمر هذا الأمر والارتجاج الى قبيل العصر ، وسكن الحال ، وكثر مرور السقائين ، وبيعت القربة بخمسة أنصاف ، والراوية بحمسة عشر ... ولم يظهر لهذه الحركة سبب أيضا . وتقول الناس بطول نهار ذلك اليوم أصنافا وأنواعا من الروايات والأقاويل التي لا أصل لها

الأربعاء ١٧ منه (٢٣ اغسطس ١٨١٥ م) :

حضر الشريف راجح من الحجاز ، ودخل المدينة وهو راكب على هجين ، وصحبته خمسة أنصار على هجن أيضا ، ومعهم أشخاص من الأرمنود من أتباع حسن باشا الذي بالحجاز ... فطلعوا به الى القلعة ، ثم أنزلوه الى منزل أحمد أغا ، أخى كتحدا بيك .

الخميس ١٨ منه (٢٤ اغسطس ١٨١٥ م) :

قلد الباشا عبد الله أغا — المعروف بصارى جلّه — وجعله كبيرا على طائفة من الينكجربة أيضا ، وجعل على رأسه الطربوش الطويل المرخي على ظهره — كما هي عادتهم هو وأتباعه — وكان من جملة المتهمين بالمخامرة على الباشا .

وفيه : يرز أمر الباشا لكبار العسكر يركوب جميع عساكرهم الخيول ، ومنعهم من حمل البنادق ، ولا يكون منهم راجل أو حامل للبندقية ، الا من كان من أتباع الشرطة والأحكام ، مثل : الوالى ، والأغا ، وأغات التبديل .

ولازم كتحدا بيك ، وأيوب أغا — تابع ابراهيم أغا أغات التبديل — والوالى ... المرور بالشوارع والجلوس في مراكز الأسواق ، مثل : الغورية ، والجمالية ، وباب الحزاوى ، وباب زويلة ، وباب الحرق ... وأكثر أتباعهم مفطرون في نهار رمضان ، ومتجاهرون بذلك .. من غير احتشام ولا مبالاة



ويجلسون على الحوائيت والمسابط ..

آلاف فرانسة ، فلم يذكرها ، ومات قهرا . وكذلك ضاع لأهل خان الحزاي من صرر الأموال والنقود والودائع والرهونات والمصاغ والجوهر — مما يرهته النساء على ثمن ما يشترونه من التجار ، والتفاصيل والمقضبات ، أو على ما يتأخر عليهم من الأثمان — ما لا يدخل تحت الحصر ، ويستحيا من ذكره . وضاع لرجل يبيع الفسيخ والبطارخ تجاه الحزاي — من حانوته — أربعة آلاف فرانسة فلم يذكرها ... وأمثال ذلك كثير .

وانقضى شهر رمضان ، والناس في أمر مريع ، وخوف وانزعاج ، وتوقع المكروه . ولم ينزل الباشا من القلعة بطول الشهر . وذلك على خلاف عادته ، فانه لا يقدر على الاستقرار بمكان أياما . وطبيعته الحركة ... حتى في الكلام .

وكبار العساكر ، والسيد محمد المحروقي ، ومن يصحبه من المشايخ ، وتقيب الأشراف ، مسترون على الطلوع والنزول في كل يوم ليلة . وللمتقيدين بالمنهويين ديوان خاص . وفرق الباشا كساوى العيد على أربابها .

ولم يظهر في هذه القضية شخص معين ، والكثير

باتتهالك حرمة شهر الصوم ، ويجلسون على الحوائيت والمسابط يأكلون ويشربون الدخان . ويأتى أحدهم ويده شبك الدخان فيدنى مجمره لأنف ابن البلد على غفلة منه ، وينفخ فيه على سبيل السخرية والهزيان بالصائم . وزادوا في الغنى والتعدي ، وخطف النساء نهارا وجهارا ... حتى اتفق أن شخصا منهم أدخل امرأة الى جامع الأشرفية ، و ... بها في المسجد بعد صلاة الظهر في نهار رمضان !

أواخره (أواخر أغسطس ١٨١٥ م) :

عملوا حساب أهل سوق مرجوش ، فبلغ ذلك أربعمائة وخمسين كيسا ... قبضوا ثلثها ، وتأخر لهم الثلث . كل ذلك خلاف النقود لهم ولعيرهم مثل تجار الحزاي — وهو شيء كثير ومبالغ عظيمة — فان الباشا منع من ذكرها . وقال « لاى شيء يؤخرون في حوائيتهم وحواصلهم النقود ولا يتجرون فيها ! »

واتفق لتاجر من أهل سوق أمير الجيوش أنه ذهب من حاصله — من حواصل الخان — ثمانية

من العساكر الذين يمشون مع الناس في الأسواق ،
يظهرون الخلاف والسخط ، ويظهر منهم التعدي ،
ويخطفون عتائم الناس والنساء جهارا ، ويتوعدون
الناس بعودهم في النهب ... وكأنما بينهم وبين أهل
البلدة عداوة قديمة ، أو ثارات يخلصونها منهم !
وفيهم من يظهر التأسف والتنهد واللوم على
المتدين ، ويسفه رأيهم ... وهو المحروم الذي
غاب عن ذلك !

وبالجملة : فكل ذلك تقادير الهية ، وقضايا
ساوية ، ونقمة حلت بأهل الأقليم وأهله من كل
ناحية .

نسأل الله العفو السلامة ، وحسن العاقبة .

ومما اتفق أن بعض الناس زاد بهم الوهم ،
فنقل ماله من حانوته أو حاصله — الكائن ببعض
الوكائل أو الخانات — الى منزله ، أو حرز آخر ...
فسرقها السراق ، وحانوته أو حاصله لم يصبه
ما أصاب غيره . وتعدد نظير ذلك لأشخاص
كثيرة . وذلك من فعل أهل البلدة : يراقبون بعضهم
بعضا ، ويداورونهم في أوقات الغفلات في مثل هذه
الحركات !

ومنهم من اتهم خدمه وأتباعه ، وتهدهم ،
وشكاهم الى حكام الشرطة ، ويفرم مالا
على ذلك أيضا ... وهم بريئون ، ولا يفيداه الا
ارتكاب الاثم والفضيحة ، وعداوة الأهل والخدم ،
وزيادة الغرم .

وغالب ما بأيدي التجار ، أموال الشركاء والودائع
والرهونات ، ويطالبه أربابها . ومنهم قليل الديانة ،
وذهب من حانوته أشياء ، وبقي أشياء ، فادعى
ضياع الكل ... لقوة الشبهة !

شمال

غرة (٦ سبتمبر ١٨١٥ م) :

وهو يوم عيد الفطر ، وكان في غاية البرودة

والخمول ... عديم البهجة من كل شيء : لم يظهر
فيه من علامات الأعياد الا فطر الصائمين ، ولم يغير
أحد ملبوسه ، بل ولا فصل ثيابا مطلقا ، ولا شيئا
جديدا . ومن تقدم له ثوب ، وقطعه وفصله في
شعبان ، تأخر عند الخياط — مرهونا على مصاريفه
ولوازمه — لتعطل جميع الأسباب من بطانة وعقادة
وغيرها ... حتى أنه اذا مات ميت ، لم يدرك أهله
كفته الا بمشقة عظيمة !

وكسد في هذا العيد سوق الخياطين وما أشبههم ،
من لوازم الأعياد ، ولم يعمل فيه كعك ولا شريك
ولا سبك ملح ، ولا نقل . ولم يخرجوا الى الجبال
والمدايق أيضا كعادتهم ، ولا نصبوا خياما على
المقابر . ولم يحسن في هذه الحادثة الا امتناع هذه
الأمر ... وخصوصا خروج النساء الى المقابر ،
فانه لم يخرج منهن الا بعض حرافيشهن ، على
تخوف ، ووقع لبعضهن من العسكر ما وقع عند
باب النصر والجامع الأحمر .

٣ منه (٨ سبتمبر ١٨١٥ م) :

نزل الباشا من القلعة من باب الجبل وهو في
بعدة من عسكر الدلاة والأتراك الخيالة والمشاة ،
وصحبته عابدين بيك ، وذهب الى ناحية الآثار ،
فعيد على يوسف باشا — المنفصل عن الشام —
لأنه مقيم هناك لتغيير الهواء بسبب مرضه . ثم
عدى الى الجيزة وبات بها عند صهره محرم بيك .
ولم أصبح ، ركب السفائن وانحدر الى شبرا ،
وبات بقصره ، ورجع الى منزله بالأزبكية ، ثم طلع
الى القلعة .

٨ منه (١٣ سبتمبر ١٨١٥ م) :

عمل ديوانا ، وجمع المشايخ المتصدرين ،
وخطبهم بقوله : « انه يريد أن يفرج عن حصص
الملتزمين ، ويترك لهم وسايهم يؤجرونها ويزرعوها
لأنفسهم ، ويرتب نظاما لأجل راحة الناس . وقد

أمر الأفندية — كتاب الروزنامة — بتحرير دفاتر ،
وأمرهم اثني عشر يوما يحررون في ظرفها الدفاتر
على الوجه المرضي . فآثروا عليه خيرا ،
ودعوا له .

فقال الشيخ الشنوائى : « ولرجو من أفندينا
أيضا الافراج عن الرزق الأحباسية كذلك » . فقال :
« كذلك ننظر في محاسبات الملتزمين ، ونحررها
على الوجه المرضي أيضا ... ومن أراد منهم أن
يتصرف في حصته ، ويلتزم بخلاص ما تحرر عليها
من المال الميرى لجهة الديوان من الفلاحين بموجب
المساحة والقياس ، صرفناه فيها ... والا أبقاها على
ملرفنا ويقبض فائظه الذى يقع عليه التحرير من
الخزينة نقدا وعدا » . فدعوا له أيضا ، وسكتوا .

فقال لهم : « تكلموا ... فانى ما طلبتكم الا
للمشاورة معكم » . فلم يفتح الله عليهم بكلمة
يقولها أحدهم غير الدعاء له .

على أن الكلام ضائع ، لأنها حيل ومخادعة تروج
على أهل الغفلات ، ويتوصل بها الى إبراز ما يرومه
من المراتبات .

وعند ذلك انفض المجلس ، وانطلقت المبشرون
على الملتزمين بالبشائر ، وعود الالتزام لتصرفهم ،
ويأخذون منهم البقاشيش ... مسح أن الصورة
معلولة ، والكيفية مجهولة . ومعظم السبب في
ذكره ذلك أن معظم حصص الالتزام كان بأيدي
العساكر وعظمائهم وزوجاتهم ، وقد انحرفت
ملباعهم ، وتكدرت أمزجتهم بمنعهم عنه ، وحجزهم
عن التصرف ، ولم يسهل بهم ذلك : فمنهم من
كظم غيظه وفي نفسه ما فيها ، ومنهم من لم يطق
الكتمان وبارز بالمخالفة والتسلط على من لا جناية
عليه ... فلذلك الباشا أعلن في ديوانه بهذا الكلام
بمسمع منهم ، لتسكن حداثهم ، وتبرد حرارتهم الى
أن يثم أمر تديبره معهم .

وفيه : وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من
الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون باشا
وعبد الله بن مسعود الذى تولى بعد موت أبيه
كبيرا على الوهاية ، وأن عبد الله المذكور ترك
الحروب والقتال ، وأذعن للطاعة وحقق الدماء .
وحضر من جماعة الوهاية نحو العشرين نفرا من
الأنصار الى طوسون باشا ، ووصل منهم اثنان الى
مصر ... فكأن الباشا لم يعجبه هذا الصلح ، ولم
يظهر عليه علامات الرضا بذلك ، ولم يحسن نزل
الواصلين .

ولما اجتمعا به ، وخاطبهما ... عاتبهما على
المخالفة ، فاعتذرا ، وذكر أن الأمير مسعود المتوفى
كان فيه عناد وحدة مزاج ، وكان يريد الملك واقامة
الدين . وأما ابنه الأمير عبد الله ، فانه لين الجانب
والعريكة ، ويكره سفك الدماء ، على طريقة سلفه
الأمير عبد العزيز المرحوم ، فانه كان مسالما للدولة ،
حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة
كان بينه وبينه غاية الصداقة ، ولم يقع بينهما منازعة
ولا مخالفة في شيء . ولم يحصل التفاقم والخلاف
الا في أيام الأمير مسعود ، ومعظم الأمر للشريف
غالب ... بخلاف الأمير عبد الله ، فانه أحسن
السير ، وترك الخلاف ، وأمن الطرق والسبل
للحجاج والمسافرين ... ونحو ذلك من الكلمات
والعبارات المستحسنات .

وانقضى المجلس ، وانصرفا الى المحل الذى أمرا
بالنزل فيه ، ومعهما بعض أتراك ملازمون
لصحتهما مع أتباعهما فى الركوب والذهاب
والاياب . فانه أطلق لهما الاذن الى أى محل أراداه
... فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن
يصحبهما ، ويتفرجان على البلدة وأهلها ، ودخلا
الى الجامع الأزهر فى وقت لم يكن به أحد من
المتصدرين للاقراء والتدريس ، وسألوا عن أهل
مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، وعن

٢٣ منه (٢٨ سبتمبر ١٨١٥ م) :

وصل قابجى ، وعلى يده تقرير ولاية مصر
لمحمد على باشا على السنة الجديدة . فعلوا لذلك
الواصل موكبا من بولاق الى القلعة ، وضربوا
مدافع وشنكا وبنادق .

ذوالقعدة

١٦ منه (٢٠ أكتوبر ١٨١٥ م) :

سافر الباشا الى الاسكندرية ، وأخذ صحبته
عابدين بك ، واسماعيل باشا ولده ، وغيرهما من
كبرائهم وعظماهم . وسافر أيضا نجيب أفندى
وسليمان أغا ، وكيل دار السعادة سابقا — تابع
صالح بك المصرى المحمدى — الى دار السلطنة .
وأصبح الباشا الى الدولة وأكابرها ، الهدايا من
الخيول والمهارى والسروج المكلفة بالذهب واللؤلؤ
والمخيش ، وتعاين الأقمشة الهندية المتنوعة ، من
الكشمير والمقصبات والتحف ، ومن الذهب
المضروب السكة : أربعة قناطير ، ومن الفضة
الثقيلة فى الوزن والعيار عدة قناطير ، ومن السكر
المكرر مرارا ، وأنواع الشراب ... خافاه فى القندور
الصينى ، وغير ذلك .

وفيه : وردت الأخبار بوصول طوسون باشا
الى الطور ، فهرعت أكابرهم وأعيانهم الى ملاقاته ،
وأخذوا فى الاهتمام واحضار الهدايا والتقديم ،
وركبت الخوندات والنساء والسيدات ، أفواجا
أفواجا ، يطلعن الى القلعة ليهنين والدته بقدمه .

غايته (٣ نوفمبر ١٨١٥ م) :

وصل طوسون باشا الى السويس ، فضربوا
مدافع اعلا ما بقدمه . وحضر نجيب أفندى
راجعا من الاسكندرية لأجل ملاقاته لأنه قبى
كتخذاه اليوم أيضا عند الدولة ، كما هو لوالده .

الكتب الفقهية المصنفة فى مذهبه ، قليل انقروا
من أرض مصر بالكلية . واشتريا نسخا من كتب
التفسير والحديث ، مثل : الحازن ، والكشاف ،
والبغوى ، والكتب الستة المجمع على صحتها ،
وغير ذلك .

وقد اجتمعت بهما مرتين ، فوجدت منهما أنسا
وطلاقة لسان ، واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار
والنوادير . ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق ،
وحسن الأدب فى الخطاب ، والتفقه فى الدين ،
واستحضار الفروع الفقهية ، واختلاف المذاهب
فيها ... ما يفوق الوصف . واسم أحدهما عبد الله
والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حسا ومعنى .

١٩ منه (٢٤ سبتمبر ١٨١٥ م) :

خرجوا بالمحمل الى الحصوة — خارج باب
النصر — وشقوا به من وسط المدينة ، وأمير
الركب شخص من الدلاة ، يسمى أوزون أوغلى ،
وفوق رأسه طرطور الدلاتية . ومعظم الموكب من
عساكر الدلاة ، وعلى رؤوسهم الطرايطير السود ...
بذاتهم المستبشعة . وقد عم الأقاليم المسخ فى كل
شئ : فقد غصّ الطبيعة ، وتكدر النفس اذا
شاهدت ذلك أو سمعت به . وقد كانت نضارة
المواكب السالفة فى أيام المصريين ، ونظامها وحسنها
وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها ، التى لم يكن
لها نظير فى الربع المعمور ... يضرب بها المثل فى
الدنيا كما قال قائلهم فيها :

مصر السعيدة مالها من مثيل

فيها ثلاثة من الهنا والسرور

مواكب السلطان ، وبحر الوفا ،

ومحل الهادى نهار يدور

فقد فقدت هذه الثلاثة فى جملة المفقودات .

ذو الحجة

٤ منه (٧ نوفمبر ١٨١٥ م) :

نودى بزينة الشارع الأعظم لدخول طوسون باشا ... سرورا بقدمه .

٥ منه (٨ نوفمبر ١٨١٥ م) :

احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع ، وعملوا له موكبا خافلا . ودخل من باب النصر ، وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة ، وطلع الى القلعة ، وضربوا في ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكا وحراقات .

١٥ منه (١٨ نوفمبر ١٨١٥ م) :

سافر طوسون باشا المذكور الى الاسكندرية ليراه أبوه ، ويسلم هو عليه ، ويرى هو ولدا له ولد في غيبته يسمى عباس بك ، أصحبه معه جده مع حاضنته ومنه دون السنتين ... يقال ان جده قصد ارساله الى دار السلطنة ، فلم يسهل بأبيه ذلك ، وشق عليه مفارقتة ، وخصوصا كونه لم يره . وسافر صحبة طوسون باشا لجيب أفندي عائدا الى الاسكندرية .

٢٥ منه (٢٣ نوفمبر ١٨١٥ م) :

خضر طوسون باشا الى مصر راجعا من الاسكندرية في تطريدة ، ومعه ولده ... فكانت مدة غيبته ، ذهابا وايابا ، ثمانية أيام . فطلع الى القلعة ، وصار ينزل الى بستان بطريق بولاق ظاهر التبانة — عمره كتحدا بك ، وبنى به قصرا — فيقيم به غالب الأيام التي أقامها بمصر .

واقضت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعات والمكوس والتحكير ، واهمال السوق والتسبيين ... حتى عم غلو الأسعار في كل شيء ، حتى بلغ سعر كل صنف عشرة أمثال سعره في الأيام

الخالية ... مع الحجر على الايراد وأسباب المعاش فلا يهنا بعيش في الجملة الا من كان مكاسا أو في خدمة من خدم الدولة ، مع كونه على خطر . فانه وقع لكثير ممن تقدم في منصب أو خدمة : أنه حوس وأهين ، وألزم بما رافعه فيه — وقد استهلكه في نفقات نفسه وحواشيه — فباع ما يمكنه واستدان ، وأصبح ميتوسا مديونا .

وصارت المعاش ضنكا ، وخصوصا الواقع في اختلاف المعاملات والنقود والزيادة في صرفها وأسعارها ، واحتجاج الباعة والتجار والتسبيين بذلك ، وبما حدث عليها من مال المكس ... مع طمعهم أيضا وخصوصا سفلة الأسواق ، وبيع الخضارات ، والجزارين ، والزيتان ... فانهم يدفعون ما هو مرتب عليهم للمحتسب مياومة ومشاهرة ، ويخلصون أضعافه من الناس ، ولا رادع لهم ، بل يسعون لأنفسهم . حتى أن البطيخ في أوان كثرته تباع الواحدة التي كانت تساوي لصفين ، بعشرين وثلاثين . والرطل من العنب الشرقاوى ، الذي كان يباع في السابق بنصف واحد ، يبعونه يوما بعشرة ويوما باثنى عشر ، ويوما بشمانية .. وقس على ذلك الخوخ والبرقوق والمشمش . وأما الزبيب والتين واللوز والبندق والجوز والأشياء التي يقال لها اليميش ، التي تجلب من بلاد الروم ، فبلغت الغاية في الثمن ... بل قد لا توجد في أكثر الأوقات . وكذلك ما يجلب من الشام ، مثل : الملبن ، والقمر الدبن ، والمشمش الحموى ، والعناب ، وكذلك الفستق والصنوبر ، وغير ذلك ما يطول شرحه ، ويزداد بطول الزمان قبجه .

ومات في هذه السنة العلامة الأوحده ، والفهامه الأمجده ، محقق عصره ، ووحيد دهره ... الجامع لأشتات العلوم ، والمنفرد بتحقيق المنطوق

والمفهوم ، بقية الفصحاء والفضلاء المتقدمين ،
والتميز عن المتأخرين : الشيخ محمد بن أحمد
ابن عرق ، الدسوقي المالكي .

ولد ببلدة دسوق ، من قرى مصر ، وحضر الى
مصر ، وحفظ القرآن ، وجوده على الشيخ محمد
المنير . ولأزم حضور دروس الشيخ على الصعيدي ،
والشيخ الدردير ، وتلقى الكثير من المعقولات عن
الشيخ محمد الجناحي الشهير الشافعي — وهو
مالكي — ولأزم والده حسن الجبرتي مدة طويلة ،
وتلقى عنه ، وبواسطة الشيخ محمد بن اسماعيل
النفراوي ، علم الحكمة والهيئة والهندسة وفن
التوقيت ، وحضر عليه أيضا في فقه الحنفية ، وفي
المطول وغيره ... برواق الجبرت بالأزهر ، وتصدر
للاقراء والتدريس ، وإفادة الطلبة .

وكان فريدا في تسهيل المعالي ، وتبيين
المباني ... يفك كل مشكل بواضح تقريره ،
ويفتح كل مغلق برائق تحريره ، ودرسه
مجيب أذكاء الطلاب ، والمهرة من ذوى الأفهام
والألباب .. مع لين جانب وديانة ، وحسن خلق ،
وتواضع ، وعدم تضنع وإطراح تكلف ... جاريا
على سبيلته : لا يرتكب ما يتكلفه غيره من التعاضم
وفخامة الألفاظ . ولهذا كثر الآخذون عليه ،
والمترددون إليه .

وله تأليفات واضحة العبارات ، سهلة المأخذ ،
ملتزمة بتوضيح المشكل . فمن تأليفه : حاشية على
مختصر السعد على التلخيص ، وحاشية على شرح
الشيخ الدردير على سيدي خليل في فقه المالكية ،
وحاشية على شرح الجلال المحلي على البردة ،
وحاشية على الكبرى للإمام السنوسي ، وحاشية
على شرحه للصغرى ، وحاشية على شرح الرسالة
الوضعية ... هذا ما عني بجمعه وكتابته ، وبقي
مسودات لم يتيسر له جمعها .
ولم يزل على حاله في الافادة والالقاء والافتاء ،

وخطه حسن ، وخلقه أحسن ... الى أن تمل
وتوفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر
ربيع الثاني .

وخرجوا بجنازته من درب الدليل ، وصلى عليه
بالأزهر في مشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين
بالمدفن الذي بداخل المحل الذي يسمى بالطاولية .
وقام بكلفة تجهيزه وتكفينه ، ومصاريف
جنازته ومدفنه ... الجناب المكرم ، السيد
محمد المحروقي ، وكذلك مصاريف المآتم بمنزله
وأرسل من قيده لذلك من أتباعه ... بإدارة المطبخ
ولوازمه من الأغنام والسمن والأرز والعسل
والحطب والفحم والقهوة ، وجميع الاحتياجات
للمقرئين ، ومن يأتي لتعزية أولاده ... جزاه الله
خيرا . واستمر اجراؤه لذلك في الثلاث جمع
المعتادة بالمنزل ، وما يعمل في صبح يوم الجمعة
بالمدفن من الكعك والشريك الذي يفرق على
الفقراء والحاضرين والتربية والخدمة .

وقد رثاه أمثل من عنه أخذ ، وأكمل من له
تتلمذ : صاحبنا العلامة ، وصديقنا الفهامة ، المنفرد
الآن بالعلوم الحكمية ، والمشار اليه في العلوم
الأدبية ... صاحب الانشاء البديع ، والنظم الذي
هو كزهر الربيع : الشيخ حسن العطار ، حفظه
الله من الأغيار ... بقوله شعرا :

أحاديث دهر قد ألم فأوجعما
وحل بنادي جمعنا فتصدعا
لقد صال فينا البين أعظم صولة
فلم يخل من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما
مضى حادث يعقبه آخر مسرعا
وحل بنا ما لم تكن في حسابه
من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا
خطوب زمان لو تبادى أقلها
بشامخ رضوى أو ثبير تضعفعا

وأصبح شأن الناس ما بين عائد
مريضاً وثان للجيب مشيعاً
لقد كان روض العيش بالأمن يانما
فأضحى هشيماً ظله منقشعاً
أيحسن ألا ييذل الشخص مهجة
ويبكي دماً .. أن أفنت العين أدمعاً
وقد سار بالأحباب في حين غفلة
سرير المنايا عاجلاً متسرعاً
وفي كل يوم روعة بعد روعة
قلله ما قاسى الفؤاد وروعاً
عزاء بنى الدنيا بفقد أئمة
لكأس مرير الموت كل تجرعاً
بيننا ... لقد جل المصاب بشيخنا الـ
دسوقي وعاد القلب بالهم مترعاً
وشابت قلوب ، لا مفارق ، عند ما
تنكرت الأسماع صوت الذى نعى
فللناس عذر فى البكاء وللأسى
عليه وأما فى السواء فتجزعاً
وكيف وقد ماتت علوم بفقده
لقد كان فيها جهدياً سيذعاً
فمن بعده يجلو دجنة شجة
ويكشف عن ستر الدقائق مقنعاً
وان ذو اجتهاد قد تعثر فهمه
فياليت شعرى من يقول له : لما ؟
يقرر فى فن البيان بمنطق
بديع معانيه .. يتوج مسجعاً
وسار مسير الشمس غر علومه
ففى كل أفق أشرقت فيه مطلعاً
وأبقى بتأليفاته بيننا هدى
بها يسلك الطلاب للحق مهيماً
وحل بتحريراته كل مشكل
فلم يبق للأشكال فى ذلك مطمعاً

فأى كتاب لم يفك ختامه
إذا ما سواه من تعاصيه ضيعاً ؟
ومن يتبع تعداد حسن خصاله
فليس ملوماً أن أطال وأشبعاً
فللصدق عون للقال فمن يقل
أصاب مكان القول فيه موسماً
تواضع للطلاب فانتفعوا به
على أنه بالحلم زاد ترفعاً
وكان حليماً واسع الصدر ماجداً
تقياً تقياً زاهداً متورعاً
سعى فى اكتساب الحمد طول حياته
ولم نره فى غير ذلك قد سعى
ولم تلمه الدنيا بزخرف صورة
عن العلم كيما أن تفر وتخدعاً
لقد صرف الأوقات فى العلم والتقى
فما أن لها يا صاح أمس مضيعاً
فقدناه لكن تقعه الدهر دائماً
وما مات من أبقى علوماً لمن وعى
فجوزى بالحسنى وتوج بالرضى
وقبول بالاكرام من له دعا
* * *

ومات الأستاذ الفريد ، واللودعى المجيد ،
الامام العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه النحوى ،
الأصولى الجدلى المنطقى : الشيخ محمد المهدى
الحفنى . ووالده من الأقباط ، وأسلم هو صغيراً
دون البلوغ على يد الشيخ الحفنى ، وحلت عليه
أنظاره ، وأشرقت عليه أنواره ، وفارق أهله وتبرأ
منهم ، وحضنه الشيخ ، ورباه وأجبه ، واستمر
بمنزله مع أولاده ، واعتنى بشأنه ، وقرأ القرآن .
ولما ترعرع ، اشتغل بطلب العلم ، وحفظ أبا
شجاع ، وألفية النحو ، والمتون . ولازم دروس
الشيخ ، وأخيه الشيخ يوسف ، وغيرهما من

أشياخ الوقت مثل : الشيخ العدوى ، والشيخ عطية الأجهوري ، والشيخ الدردير ، والبلي ، والجبل ، والخرشي ، وعبد الرحمن المقرئ ، والشرقاوي ، وغيرهم .

واجتهد في التحصيل ليلا ونهارا ، ومهر وأنجب ، ولازم في غالب مجالس الذكر عن الشيخ الدردير — بعد وفاة الشيخ الحفنى — وتصدر للتدريس في سنة تسعين ومائة وألف .

ولما مات الشيخ محمد الهلباوى سنة اثنتين وتسعين ، جلس مكانه بالأزهر ، وقرأ شرح الألفية لابن عقيل ، ولازم الالقاء ، وتقرير الدروس ... مع الفصاحة وحسن البيان والتفهيم ، وسلسلة التعبير ، وإيضاح العبارات ، وتحقيق المشكلات . ونما أمره ، واشتهر ذكره ، وبعد صيته . ولم يزل أمره ينمو ، واسمه يسمو ، مع حسن السمت ، ووجهة الطلبة ، وجمال الهيئة ، وبشاشة الوجه ، وطلاقة اللسان ، وسرعة الجواب ، واستحضار الصواب في ترداد الخطاب ، ومسيرة الأصحاب .

وصاهر الشيخ محمدا الحرير الحفنى ، على ابنته ، وأقبلت عليه الدنيا ، وتداخل في الأكابر ، ونال منهم حظا وافرا بحسن معاشرته ، وحلاوة ألفاظه ، وتنميق كلماته . ويقضى أشغاله وقضاياهم ، ومن حواشيهم وحرمانهم ، ويخاطب كلا بما يليق به ويناسبه . واتحد بإسماعيل بيك كتحدا حسن باشا الجزايرلى ، وعاشره وأكثر من الترداد عليه . فلما آتته ولاية مصر ، واستقر بالقلعة ، واظب على الطلوع والنزول الى القلعة ، وببيت عنده غالب الليالى ، وأنعم عليه بالخلع والعطايا والكساوى ، ورتب له وظائف في الضربخانة والسلخانة والجوالى .

ووقع في ولايته الطاعون الذى أفنى غالب أمراء مصر وأهلها ، وذلك سنة خمس ومائتين وألف ... فاختص بما أحبه مما انحل عن الموتى من اقطاعات

ورزق وغيرها ، وزادت ثروته ورغبته وسعيه في أسباب تحصيل الدنيا ، وعانى الشركات والمتاجر في كثير من الأشياء مثل : الكتان والقطن والأرز ، وغير ذلك من الأصناف . والتزم بعدة حصص بالبحيرة مثل شابور ، وخلافها بالمنوفية والجيزة والغربية ، وابتنى دارا عظيمة بالأزبكية ، بناحية الرويعى ، بما يقابلها من الجهة الأخرى عند السباط .

ولما حضرت فرنساوية الى الديار المصرية ، وخافهم الناس ، وخرج الكثير من الأعيان وغيرهم — هاربا من مصر — تأخر المترجم عن الخروج ، ولم ينقبض كغيره عن المداخلة فيهم ... بل اجتمع بهم ، وواصلهم ، وانضم اليهم وسائرهم ، ولطفهم في أغراضهم ، وأحبوه وأكرموه وقبلوا شفاعاته ، ووثقوا بقوله ... فكان هو المشار اليه في دولتهم ، مدة اقامتهم بمصر ، والواسطة العظمى بينهم وبين الناس ، في قضاياهم وحوائجهم ، وأوراقه وأوامره نافذة عند ولاية أعمالهم ، حتى لقب عندهم وعند الناس ، بكاتم السر . ولما رتبوا الديوان الذى رتبوه لاجراء الأحكام بين المسلمين في قضاياهم ودعاويهم ، كان هو المشار اليه فيه ، وخدمة الديوان الموظفون فيه تحت أوامره . واذا ركب أو مشى يمشون حوله وأمامه ، وبأيديهم العصى يوسعون له الطريق .

وراج أمره في أيامهم جدا ، وزاد إيراده وجمعه ، واحتوى بلادا وجهات وأرزاقا ، وأقاموه وكيلا عنهم في أشياء كثيرة ، وبلاد وقرى : يجبى اليه خراجها ، ويصرف عنها ما يصرفه ، ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والأغنام والسمن والعسل ... وما جرت به العادة ، ويتقدمون اليه بدعاويهم وشكاويهم ، ويفعل بهم ما كان يفعلهم أرباب الالتزامات من الحبس والضرب وأخذ المصالح . وصار له أعوان وأتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم : يرسل منهم ليجبى

الأموال من القرى، وفي مراسلاته في القضايا العامة ،
ويبحث الأمان للفارين والهاربين والمتحوفين من
الفرسيين ... الراحلين الى بلاد الشام ، والمختفين
بالقرى من الأجناد وغيرهم ، فيرسل اليهم أوراقا
بالعود الى أوطانهم . اما باستدعائهم وطلبهم
ذلك ، واما من باب الشفقة والمعروف منه عليهم ،
ويحى دورهم وحرهم ، ويمنع عنهم في غيابهم ،
ويكون له المنة العظيمة التي يستحق بها الجوائز
الجزيلة .

وبالجملة فكان بوجوده وتصدره في تلك الأيام
النفع العام سد بعقله ثقوبا واسعة وخروقا ،
وداوى برأيه جروحا وفتوقا ... لا سيما أيام
الهيازع والخصومات والتنازع ، وما يكدر طباع
الفرنساوية من مخارق الرعية ، فيتلافاه بمراهم
كلماته ، ويسكن حدتهم بملاطفاته .

ولما مضت أيامهم ، وتنكست أعلامهم ،
وارتحلوا عن الأقطار المصرية ، ووردت الدولة
العثمانية ... كان المترجم أعظم المتصدرين في
مقابلتهم ، وأوجه الوجاه في مخاطبتهم ومكالمتهم .
ولم يتأخر عن حالته في ظهوره ، ولازمهم في
عشياته وبكوره ، وبهرهم بتحيله واحتياله ،
واسترهبهم بسحره وجباله . واتحد بشريف
أفندي الدفتردار ، وواظبه الليل والنهار ، وتم
معه أغراضه في جميع تعلقاته ، وتقرير وظائفه
والتزاماته ومسموحاته ، واستجد غير ذلك مما
ينتقيه من الديوان ، وكل ذلك من غير مقابلة ولا
حلوان .

وتزوج بعدة زوجات ، ورزق أولادا ذكورا
واناثا ... فمنهم الشيخ محمد أمين ، وهو من ابنة
الشيخ الحريري وتمذهب حنفيا على مذهب جده .
وآخر يسمى محمد تقي الدين ... توفي في حياة
والده — من نحو خمس عشرة سنة أو أكثر —

عن نحو عشرين سنة ، وكان مالكيها بإشارة أبيه
والشيخ عبد الهادي ، وتوفي بعد أبيه ، وكان
شافعي المذهب ، وعقدوا له درسا بعد موت أبيه
فلم تطل أيامه .

وزوج أولاده وبناته ، وعمل لهم مهمات
وأفراحا ... استجلب بها هدايا من أعيان المسلمين
والنصارى والنساء الأكابر والتجار وغيرهم ! ثم
احترقت داره التي أنشأها بالأزبكية في حراة
الفرنساوية مع العثمانية والمصريين — عند مجي
الوزير المرة الأولى — فشرع في بناء دار عند باب
الشعرية ، ولم يتمها ... بل تركها وأهلها وهي
منهدمة ، ولم يحدث بها شيئا من الأبنية ثم انه
تزوج بابنة الشيخ أحمد البشارى ، وكانت تحت
بعض الأجناد في دار جهة التبانة — بالقرب من
سوق السلاح وسوق العزى — يذهب اليها في
بعض الأحيان .

واشترى دارا عظيمة بناحية الموسيقى — وكانت
لبعض عتقى بقايا الأمراء الأقدمين — وهي دار
واسعة الأرجاء ، ذات رحبتين متسعيتين والرحبة
الخارجية ، التي يسلك اليها من باب الزقاق الكبير ،
على ظهر قنطرة الخليج التي تعرف الآن بقنطرة
الحفناوى لقربها من داره ... وبهذه الدار مجالس
وقيعان متسعة ، ومن جملتها قاعة عظيمة ذات ثلاث
لواوين ، مفروشة أرضها وحيطانها بأنواع الرخام
الملون والقيشاني ، مظلة على بستان عظيم ،
مغروس بأنواع الأشجار ... وهو أيضا من حقوق
الدار . وتنتهى حدود هذه الدار الى حارة
المناصرة ، والى كوم الشيخ سلامة وحارة الافرنج
من الناحية الأخرى .

ولما عمل بزارها ، وعقد عقد شرائها من
أصحابها ، ودفع لهم بعض دراهم — يقال لها
العربون — وكتب حجة المشتري وسكنها ...

غيابه ، فأمر بدفعها له من الخزينة نقدا بالثمن الذى قدره لنفسه ، وهو خمسة وعشرون كيسا .

وفى اليوم الذى خرج فيه السيد عمر ، أنعم عليه الباشا أيضا بنظر وقف سنان باشا ، ونظر ضريح الشافعى — بعرضه له بطلب النظرين — وكانا تحت يد السيد عمر يتحصل منهما مال كثير . وعند ذلك رجع الى حالته الأولى التى كان قد اقتبس عن بعضها : من كثرة السعى والتردد على الباشا وأكابر دولته ... فى القضايا والشفاعات ، وأمور الالتزام والفائض والرزق والأطيان ، وما يتعلق به فى بلاد الصعيد والقيوم ، ومحاسبة الشركاء .

وازدحمت عليه الناس ، وشرع يقرأ بالأزهر . فاذا حضر ، اجتمع حول درسه طابق من الناس ، فاذا فرغ تكبكب عليه أرباب الدعاوى والفتاوى ، فيكتب لهذا ، ويوعده ذاك ، ويسوف آخر .

يذهب من يريد أن يذهب معه لحاجته ، فيقطع نهاره وليله طوافا وسعيا ، وذهابا وإيابا ، لا يستقر بمكان ، ولا يعثر به صاحب حاجة الا نادرا ولا يبيت فى بيت من بيوته الا فى الجمعة مرة أو مرتين ، ويتفق مجيئه الى داره بعد العشاء الأخير — وغالب لياليه فى غيرها — واذا غاب لا يعلم طريقه الا بعض أتباعه . فيذهب الى بولاق مثلا ، فيقيم بها عدة أيام وليال ، ينتقل فى الأماكن عند شركائه ، ومن يعاملهم من الأمناء والخصاصين ، والإبزار وغيرهم ، أو يذهب الى بلده نية بالجيزة أو غيرها ، فيقيم أياما أيضا ، وهكذا دأبه قديما . واذا قيل له فى ذلك قال : « أنا بيتى ظهر بغلتى » . وعلى ما كان فيه من الغنى ، وكثرة الإيراد والمصرف ... تراه مفقود اللذة ، عديم الراحة البدنية والنفسية . وانما ذلك لأولاده والمقيمين أيضا بداره . ويتفق أنه يذبح بداره الثلاثة أغنام

أخذ يوعدهم بدفع الثمن ، ويماطلهم كمادته فى دفع الحقوق ! ثم تركهم وسافر الى دمياط ، وجعل يطوف البلاد التى تحت التزامه وغيرها ، مثل المحلة الكبيرة وطندنا والأسكندرية ، وغاب نحو الخمس سنوات ، ومات فى غيبته بعض أصحاب الدار التى اشترها منه ، وبقي من مستحقيها امرأة ... فكانت تتظلم وتشتكى ، وتراسله ، فأعرضت أمرها لكتخدا بيك والباشا ... الى أن حضر الى مصر ، وقبضت منه — وهى مطلة — ما أمكنها من ثمن استحقاقها .

وبنى ابنه المسمى بأمين ، بقطعة من أرضها ، دارا جهة حارة المنصرة على البستان ، ومختلطة به ونافذة اليه ، وجعل لها بابا من المنصرة ينفذ منه الى الأزبكية وقنطرة الأمير حسين ، أنفق عليها جملة كبيرة من المال ... بحيث أن المرخين أقاموا فى شغلهم نحو أربع سنوات ، خلاف من عداهم من أرباب الأشغال وتجهيز الأدوات ، من الأخشاب وغيرها من أنواع الاحتياجات . ويتعاطى ابنه المذكور التجارة أيضا والشركة فى كثير من الأصناف ... خلاف الإيراد الواسع الخاص به .

ولما رجع المترجم من سرخته الى مصر ، أقام مصاحبا ليسير الخمول ، وتقيد لالتقاء الدروس بالأزهر أشهرا ، ويعانى مع ذلك الاشتغال والتولع بعلم الصنعة ، ومطالعة ما صنف فيها ، ويدبر مع بعض أصحابه ، فى دورهم ، باغرائه من مالهم ... الى أن بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر مكرم ، فتولى كبر السعى عليه سرا ، هو وباقى الجماعة — حسدا وطمعا — ليخلص لهم الأمر دونه ، حتى أوقعوا به كما تقدم ذكر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين .

وفى أثناء هذه الحادثة ، طلب من الباشا اذنا فى قبض استحقاقه من ثمن غلال الأنبار فى مدة

لضيوف من النساء — عند الحريم — ولا يأكل منها شيئا ، بل يتركها ويذهب الى بعض أغراضه بيولا ق مثلا ، ويتغدى بالجبن الحلوم ، أو الفسيخ أو البطارخ ، ويبيت بأى مكان ... ولو على نخ أو حصير فى أى محل كان !

ولما مات الشيخ سليمان الفيومى عن زوجته ، المعروفة بالسحراوية ، وكانت من نساء القدماء : مشهورة بالفنى وكثرة الإيراد ، وتزوجت بالشيخ الفيومى حماية لمالها . وكانت طاعنة فى السن فاشترت له جارية بيضاء وأعتقتها ، وزوجتها له ، ولم يدخل بها ، ومات عنها وعن زوجته الأخرى .

ثم ماتت السحراوية المذكورة لا عن وارث ، فى غضون طنطنة المترجم ، فوضع يده على دارها ومالها وجواربها وتعلقاتها ... من عقار والتزام وغيره ، وزوج الجارية لابنه عبد الهادى ... وكأنها سقطت بمالها ونوالها فى بئر عميق !

ولما جرد الباشا ، وعين العساكر الى الحجاز ، مع ابنه طوسون باشا ... اختار أن يصحب معه من أهل العلم . فكان المتعين لذلك المترجم مع السيد أحمد الطحطاوى ، وأنعم عليه بأكياس وترحيلة للنفقة . فلما وقعت الهزيمة بالصفراء ، رجع مع الراجعين .

ولما توفى الشيخ الشرفاوى ، تعين المترجم للشيخ الجامع . ثم انتقضت عليه وقلدوها الشيخ الشنوائى ، كما تقدم ذكر ذلك ، فلم يظهر الا الانشراح وعدم التأثير من الانكشاف . وحضر اليه الشيخ الشنوائى ، فخلع عليه قروة سمور خاص ، وزاد فى اكرامه .

وبآخرة ... تملك دارا بالكعكيين — على شريطته فى مشترواته — وهى التى كانت سكن الشيخ الحفنى قبل سكنه بالموسكى ، ثم تملكها الشيخ المرحوم عبد الرحمن العريشى ، ثم ابن الحنفى ،

ثم لا أدري لمن آلت بعد ذلك — فلما أخذها شرع فى تجديددها وتعميرها ، وفتح بها مرمة واسعة ، وأحضر أخشابا كثيرة وأحجارا وبلاطا ورخاما ... وبجانبها زاوية قديمة بها مدافن ، فهدمها وأدخلها فى الدار ، وأخرج عظام الموتى من قبورهم ، ودفنهم بترية المجاورين — كما أخبرنى عن ذلك من لفظه — وعمل مكان الزاوية قاعة لطيفة ، بخارجها فسحة يتوصل اليها من حوش الدار . وجعل مكان القبور مخابى ، وعليها طوابق ، وأسكن فى تلك الدار احدى زوجاته — وهى التى كانت تحت الشيخ الدنجيى الديماطى — تزوج بها بديماط ، وأحضرها الى مصر ، وأسكنها بهذه الدار ومعها ضررتها التى كانت من شابور ، وأكثر من المبيت فيها مع استمرار العمارة .

فلما كان فى آخر المحرم ، توعك أياما ثم عوفى ، وذهب الى الحمام ، وهناك الناس بالعافية . ومشى الى جيرانه يتحدث عندهم كعادته ، مثل الخواجا سيدى محمد ابن الحاج طاهر ، والسيد صالح الفيومى . فخرج ليلة الجمعة ، الثانى من شهر صفر ، وذهب عند عثمان بن سلامة السنارى ، فتحدث عندهم حصّة من الليل وتفكهوا ، ثم قام ذاهبا الى داره ماشيا على أقدامه وصحبته صاحبنا الشيخ خليل الصفتى يحادثه حتى وصل الى داره المذكورة ، وانصرف الشيخ خليل الى داره أيضا ، ومضى نحو ساعة ... واذا بتابع الشيخ المهدي يناديه ، ويطلبه اليه . فقام فى الحين ودخل اليه فوجده راقدًا فى المكان الذى نبش من القبور ، فحس يده ، فقال له النساء : « انه ميت » ، وأخبرت زوجته أنه جامعها ثم استلقى ... وفارق الدنيا عن نحو خمس وسبعين سنة !

وأرسلوا الى أولاده فحضروا ، وحملوه فى تابوت الى الدار الكبيرة بالموسكى ليلا . وشاع موته ، وجهاز ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل

جدا ، ودفن عند الشيخ الحفنى بجانب القبر .
فسبحان الحى الذى لا يموت .

فرحم الله عبدا زهد فى الفانى ، وعمل لما بعده ،
ونظر الى هذه الدار بعين الاعتبار ... نسأله
التوفيق والقناعة وحسن الخاتمة .

وحاصل أمر المرحوم المترجم : أنه كان من
فحول العلماء ، يدرس الكتب الصعاب فى المعقول
والمنقول ، بالتحقيق والتدقيق ، ويقررها
بالحاصل . واتفق عليه الكثير من الطلبة ، ومنهم الآن
مدرسون مشتهرون ومميزون بين نظرائهم من أهل
العصر . ولو استمر على طريقة أهل العلم السابقين
وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا ،
لكان نادرة عصره . وأداه ذلك الى قطع الاشتغال ،
وإذا شرع فى الاقراء فلا يتم الكتاب فى الغالب ،
ويحضر الدرس فى الجمعة يوما أو يومين ، ويهمل
كذلك . ولم يصنف تأليفا ، ولا رسالة فى فن من
الفنون مع تأمله لذلك ، ولم يعان الشعر ولا النظم ،
ونثره فى المراسلات ونحوها ، متوسط فى بعض
القوافى السهلة ، وتقيد بقراءة الحكم لابن عطاء الله
بعد العصر فى رمضان ... الثلاث سنين الأخيرة .

ومات الأستاذ العلامة ، والنحرير الفهامة ،
الفيق النبيه ، المذهب المتواضع : الشيخ مصطفى
ابن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن — الشهير
بالصفوى القلعاوى — الشافعى .

ولد فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين
ومائة وألف ، وتفق على الشيخ الملوى والسحيمى
والبراوى والحفنى ، ولازم شيخنا ، الشيخ أحمد
العروسى ، واتفق عليه ، وأذن له فى الفتيا عن
لسانه ، وجمع من تقريراته ، واقتطف من تحقيقاته ،
وألف وصنف ، وكتب حاشية على ابن قاسم الغزى
على أبى شجاع فى الفقه ، وحاشية على شرح المطول

للسعد التفتازانى على التلخيص ، وشرح شرح
السرقدى على الرسالة العضدية فى علم الوضع .
وله منظومة فى آداب البحث ، وشرحها ، ومنظومة
لمتن التهذيب فى المنطق وشرحها ، وديوان شعر
سماه « اتحاف الناظرين فى مدح سيد المرسلين »
وعدة من الرسائل فى معضلات المسائل ، وغير ذلك .

وكان سكنه بقلعة الجبل ، ويأتى فى كل يوم
الى الأزهر للاقراء والافادة . فلما أمر الباشا سكان
القلعة باخلائها والنزول منها الى المدينة ، فنزلوا الى
المدينة ، وتركوا دورهم وأوطانهم ، نزل المترجم مع
من نزل ، وسكن بحارة أمير الجيوش — جهة باب
الشعرية — ولم يزل هناك حتى تمرض أياما ،
وتوفى ليلة السبت ، سابع عشر شهر رمضان ،
وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بزاوية الشيخ سراج
الدين البلقينى بحارة بين السيارج ... رحمه الله
تعالى . فانه كان من أحسن من رأينا سمتا وعلما ،
وصلاحا وتواضعا وانكسارا ، وانجباعا عن خلطة
الكثير من الناس ... مقبلا على شأنه ، راضيا
مرضيا ، طاهرا نقيا ، لطيف المزاج جدا ، محبوبا
الناس . عفا الله عنه ، وغفر لنا وله .

ومات الشيخ الفاضل ، للأجل الأمثل ،
والوجه المفضل : الشيخ حسين بن حسن كنانى
ابن على المنصورى الحنفى . تفقه على خاله الشيخ
مصطفى بن سليمان المنصورى ، والشيخ محمد
إلدجى ، والشيخ أحمد الفارسى ، والشيخ عمر
الدبركى ، والشيخ محمد المصلى . وأقرأ فى
فقه المذهب دروسا فى محل جده لأمه بالأزهر ،
وسكن داره بحارة الجبانية على بركة الفيل ، مع
أخيه الشيخ عبد الرحمن ، ثم انتقلا فى حوادث
الفرنساوية الى حارة الأزهر .

ولما كانت حادثة (نفى) السيد عمر مكرم ،
النقيب من مصر الى دمياط ، وكتبوا فيه عرضا

للدولة ، وامتنع السيد أحمد الطحطاوى من الشهادة عليه — كما تقدم — وتعصبوا عليه ، وعزلوه من مشيخة الحنفية ... قلدوها المترجم ، فلم يزل فيها حتى تمرض وتوفى يوم الثلاثاء ، تاسع عشر المحرم ، وصلى عليه بالأزهر ودفن بترية المجاورين . رحمه الله وإيانا .

ومات البليغ النجيب ، والنبية الأريب ، نادرة الزمان ، وفريد الألوان ... أخونا ، ومحبنا فى الله تعالى ، ومن أجله : السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب .

كان أبوه نجارا ، ثم فتح له مخزنا لبيع الخشب — تجاه تكية الكلشنى ، بالقرب من باب زويلة — وولد له المترجم ، وأخوه : ابراهيم ومحمد — وهو أصغرهما — فتولع السيد اسماعيل ، المترجم ، بحفظ القرآن ، ثم بطلب العلم . ولازم حضور السيد على المقدسى ، وغيره من أفاضل الوقت ، وأنجب فى فقه الشافعية والمعقول ، بقدر الحاجة ، وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض . وتنزل فى حرفة الشهادة بالمحكمة الكبيرة لضرورة التكسب فى المعاش ، ومصارف العيال . وتمسك بمطالعة الكتب الأدبية ، والتصوف والتاريخ ، وأولع بذلك ، وحفظ أشياء كثيرة من الأشعار والمراسلات ، وحكايات الصوفية ، وما تكلموا فيه من الحقائق ... حتى صار نادرة عصره فى المحاضرات والمحاورات ، واستحضر المناسبات ، والماجريات . وقال الشعر الرائق ، ونثر النثر الفائق ، وصحب — بسبب ما احتوى عليه من دماء الأخلاق ، ولطف السجايا ، وكرم الشائل ، وخفة الروح — كثيرا من أرباب المظاهر والرؤساء من الكتاب والأمراء ، والتجار . وتنافسوا فى

صحبته ، وتفاخروا بمجالسته ، ومنهم : مصطفى بيك للمحدى ، أمير الحاج ، وحسن أفندى العربية ، وشيخ السادات ، وغيرهم من الأمائل ... فیرتاحون لمنادمته ، ويتنقلون على طيب مفاكته ، وحسن مخاطبته ، ولطف عباراته .

وكان الوقت اذ ذلك غاصا بالأكابر والرؤساء ، وأرباب الفضائل . والناس فى بلهنية من العيش ، وأمن من المخاوف والطيش . وللمترجم ، رحمه الله ، قوة استحضر فى ابداء المناسبات بحسب ما يقتضيه حال المجلس ... فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور فى الخطاب ، ويجلب عقله بلطف محادثته ، كما يفعل بالعقول الشراب .

ولما رتب فرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين ، تعين المترجم فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان ، وما يقع فيه من ذلك اليوم ... لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق فى ملخص ، يرفع فى سجلهم ، بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش ... حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف ، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم .

فلما رتبوا ذلك الديوان ، كما ذكر ، كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس : من أمر أو نهى ، أو خطاب أو جواب ، أو خطأ أو صواب . وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف نصف فضة . فلم يزل متقيدا فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو ، حتى ارتحلوا من الاقليم ... مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة وديوانهم هذا ، ضحوة يومين فى الجمعة . فجمع من ذلك عدة كراريس . ولا أدري ما فعل بها .

وبعد أن رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته ، مازج المذكور وخاطه ، ورافقه ووافقه ولازمه ... فكان كثيرا ما يبيتان معا ،

ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ،
والطف من اتساق نظم الدرر . وكثيرا ما كانا
يتنادمان بدارى ، لما بينى وبينهما من الصبغة
الأكيدة ، والمودة العتيدة ، فكانا يرتاحان عندي
ويطرحان التكلفات التى هى على النفس شديدة ،
ويتشلان بقول من قال :

فى انقباض وحشة فاذا
رأيت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسى على سجيتهما
وقلت ما قلت غير محتشم

ثم يتجاذبان أطراف الكلام ، فيجولان فى كل
فن من الفنون الأدبية ، والتواريخ والمحاضرات :
فتارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتكدر الاخوان ،
وأخرى يترنمان بحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من
صد وهجران ، ووصل واحسان . فكانت تجرى
بينهما مناديات أرق من زهر الرياض ، وأفتك
بالمقول من الحلق المراض . وهما حينئذ فريدا
وقتها ، ووحيدا مصرهما ... لم يعززا فى ذلك
الوقت بثالث ، اذ ليس ثم من يدانيهما ، فضلا عن
مساواتهما فى تلك الشئون التى أربت على المثانى
والمثالث .

واستمرت صحبتهما ، وتزايدت على طول
الأيام مودتهما ... حتى توفى المترجم ، وبقي بعده
الشيخ حسن : فريدا عن يشاكله ويناشده ،
ويتجارى معه ويحاوره . فسكت بعد حسن البيان ،
وترك نظم الشعر والنثر الا بقدر الضرورة ، ونفاق
أهل العصر ... وذلك لتفاقم الخطوب ، وتزايد
الكروب ، وفقد الاخوان ، وعدم الخلائ . واشتغل
بما هو خير من ذلك ، وأبقى ثوبا فيما هنالك ...
من تقرير العلوم وتحقيقها ، والتأليفات المتنوعة فى
الفنون المختلفة ، وتسميقها . وهو الآن على ما هو

عليه من السعى فى خدمة العلم ، واقرار الكتب
الصعبة . وله بذلك شهرة بين الطلاب .

وقد جمع المذكور للمترجم ديوان شعره ، وهو
صغير الحجم ، له شهرة بين المتأدبين بمصر ، ولهم
به غناية ، ووفور رغبة . وقد كان له فيه غلو زائد ،
وتأدب فى الجلوس والحديث ، انتقد فيه ولهم عليه هذه
الأموار ، حتى كان لا يخاطبه الا بضير الغيبة (١) ،
حتى ربما وقع ذلك فى بعض آيات وأحاديث
— كما قدمنا الاشارة بذلك فى ترجمته — وكان
ذلك يوافق غرضه ، لما جبل عليه من التعظيم .
وقد كان جلساؤه لما رأوا محبته لذلك ، يتشبهون
بالمترجم فى سلوك هذه الشئون ، مع أنه لا داعى
ولا باعث لارتكاب هذه المعاصى ... طلبا لمرضاة
من هو كثير التلون على جلسائه . وانما الناس
شأنهم التقليد ، وفى طباعهم الميل الى أرباب الدنيا ،
ونو لم ينلهم منها شئ . ولم يكن للمترجم شئ
يعاب به الا هذه الارتكابات .

ولما وردت الفرنسية لمصر ، اتفق أن علق شابا
من رؤساء كتابهم ، كان جميل الصورة ، لطيف
الطبع ، عالما ببعض العلوم العربية ، مائلا الى
اكتساب النكات الأدبية ، فصيح اللسان بالعربى ،
يحفظ كثيرا من الشعر ... فلتلك المجانسة مال كل
منهما للآخر ، ووقع بينهما توادد وتصاف ، حتى
كان لا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر . فكان
المترجم تارة ينهب لداره ، وتارة يزوره هو ، ويقع
بينهما من لطف المحاوراة ما يتعجب منه . وعند ذلك
قال المترجم الشعر الرائق ، ونظم الغزل الفائق ،
فما قاله فيه :

علقت له لؤلؤى الشعر باسمه

فيه خلعت عذارى ، بل حلا نسكى ا

(١) لعل هنا سقطا فى الاصل . وقد يكون المقصود بان الخشاب
(المترجم) لا يخاطبه الا بضير الغيبة هو أبو الانوار ، شيخ
السادات ، كما ورد فى ترجمته .

ملكته الروح طوعا ، ثم قلت له :
متى ازديارك لى أفديك من ملك
فقال لى ، وحميا الراح قد عقلت
لسانه ، وهو يثنى الجيد من ضحك :
إذا غزا الفجر جيش الليل وانهمزت
منه عساكر ذاك الأسود الحلك
فجاءنى وجبين الصبح مشرقة
عليه من شغف آثار معترك
فى حلة من أديم الليل رصعها
بمثل أنجمه فى قبة الفلك
فخلت بدرا به حفت نجوم دجا
فى أسود من ظلام الليل محتبك
وإلى ولى بعقل غير مختبل
من الشراب وستر غير منهتك
وله فى آخر يسمى « ريج » :

أدراها على زهر الكواكب والزهر
واشراق ضوء البدر فى صفحة النهر
وهات على نغم المثانى فعاطنى
على خدك المحمر حمراء كالجمر
وموه لجين الكأس من ذهب الطلا
وخضب بنانى من سنا الراح بالتبر !
وهالك عقودا من لآلى جبابها
فم الكاس عنها قد تبسم بالبشر
ومزق رداء الليل وامح بنورها
دجاء ، وطف بالشمس فينا الى الفجر
وأصل بنار الخد قلبى وأطفه
يبرد ثنساياك الشهية والثغر

أريج ! زكى المسك أنفاسك التى
أريج شذاها قد تبسم عن عطر
معبرة يسرى النسيم بطيها
فتغدو رياض الزهر طيبة النشر
وبى ذابل الأجفان كالبيض طرفة
مكحلة أجفانه السود بالسحر
رشافاتك الألحاظ عيناه غادرت
فؤادى فى دمعى دما سائلا يجرى
طويل لجاد السيف ، ألمى ، محجب
شقيق المها ، زاهى البها ، نازل الخصر
رقيق حواشى الطبع يغنى حديثه
عن اللؤلؤ المنظوم والنظم والنشر
يعير الرماح اللين عادل قده
ويزرى الدرارى ضوء مبسم الدر
ويحكيه أغصان الربا فى شمائل
فيرفل فى أثواب أوراقها الخضر
وفوق سنى ذاك الجبين غياها
من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشية
وأسمى بروحى يوم جد النوى سبرى
تباكى لتوديع ، فأبدى شقائقا
مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر (١)
ولم يزل المترجم على حالته ، ورقته ولطافته ،
مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة ،
والتولع بمعالى الأمور ، والتكسب وكثرة الاتفاق ،
وسكنى الدور الواسعة والحزم .

(١) فليسجل التاريخ ما آل إليه أمر الفتاة البواسل !

المستمر

فرته : (٣ ديسمبر ١٨١٥ م) :

استهل .. وحاكم مصر وصاحبها واقطاعها
وثلغورها ، وكذلك بندير جندة ومكة والمدينة
المنورة وبلاد الحجاز ... محمد علي باشا ، وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء . ولاظ محمد — الذي
هو كنتخدا بيك — قائمقامه هو المتصدر
لاجراء الأحكام بين الناس عن أمر مخدومه .
وابراهيم أغا .. آغات الباب . والدفتردار : محمد
أفندي ... صهر الباشا : والروزنامجي : مصطفى
أفندي — تابع محمد أفندي باش جاكرت سابقا —
وغيطاس أفندي سرجي ، وسليمان أفندي الكماخي
... باشمخاسب ، ورفيقه أحمد أفندي ... باش
قلقة ، وصالح بيك السلحدار ، وحسن أغا ... آغات
الينكجيرية ، وعلى أغا الشعراوي ، وزعيم مصر
— وهو الوالي — وآغات التبديل أحمد أغا ، وهو
أخو حسن أغا المذكور ، وكاتب الخزينة ولي خوجه ،
ورئيس كتبة الأقباط المعلم غالي ... وأولاد الباشا .
ابراهيم باشا حاكم الصعيد ، وطوسون باشا فاتح
بلاد الحجاز ، واسماعيل باشا ببولاقي ، ومحرم
بيك — صهر الباشا أيضا على ابنته — بالجيزة ،
وأحمد أغا ... المعروف ببونابارته الخازندار .
وباقى كشاف الأقاليم ، وأكابر أعيانهم ، مثل :
دبوس أوغلي ، وحسن أغا مرشومة ، وحججو
بيك ، ومحو بيك وخلافهم .

وفي ذلك اليوم : قبض كنتخدا بيك على المعلم
غالي وأمر بحبسهم ، وكذلك أخوه المسمى فرئيس

وخازنداره المعلم سمعان ... وذلك عن أمر مخدومه
من الاسكندرية ، لأنه حول عليه الطلب بسنة
آلاف كيس ، تأخر أدائها اياه من حسابه القديم ،
فاعتذر بعدم القدرة على أدائها في الحين ، لأنها
بواقى على أربابها ... وهو ساع في تحصيلها ،
ويطلب المهلة الى رجوع الباشا من غيبته فأرسل
الكتخدا بمقالته واعتذاره الى الباشا .

واتبذ طائفة من الأقباط في الحط على غالي مع
الكتخدا ، وعرفوه أنه اذا حوسب يظهر عليه ثلاثون
آلف كيس ، فقال لهم : « وان لم يتأخر عليه هذا
القدر تكونوا ملزومين به الى الخزينة » فأجابوه الى
ذلك . فأرسل يعرف الباشا بذلك ، فورده الأمر
بالقبض عليه وعلى أخيه وخازنداره وحبسهم ،
وعزله ومطالبته بسنة آلاف كيس القديمة أولا ،
ثم حسابه بعد ذلك .

فأحضر المرافعين عليه ، وهم . المعلم جرجس
الطويل ، ومنقريوس البتولي ، وحنا الطويل ،
والبسهم خلعا على رئاسة الكتاب ... عوضا عن
غالي ومن يليه .

واستمر غالي في الحبس . ثم أحضره مع
أخيه وخازنداره ، فضربوا أخاه أمامه ، ثم
أمر بضربه . فقال : « وأنا أضرب أيضا ؟ » .
قال : « نعم » . ثم ضربه على رجليه بالكرابيج
ورفع ، وكرر عليه الضرب ، وضرب سمعان
آلف كبرياج ، حتى أشرف على الهلاك
ووجدوا في جيبه آلف شخص بندقي ، ومائتى
محبوب ، عنها اثنان وعشرون آلف قرش .

ثم بعد أيام أفرجوا عن أخيه وسمعان ليسعيا في التحصيل ، وهلك سماعيل ، واستمر غالى في السجن ، وقد رفعوا عنه وعن أخيه العقاب لئلا يموتا .

١٠ منه (١٢ ديسمبر ١٨١٥ م) :

رجع الباشا من غييته من الاسكندرية . وأول ما بدأ به اخراج العساكر مع كبرائهم الى ناحية بحرى ، وجهة البحيرة والثغور . فنصبوا خيامهم بالبر الغربى والشرقى تجاه الرحمانية ، وأخذوا صحتهم مدافع وبارودا ، وآلات الحرب . واستمر خروجهم فى كل يوم ، وذلك من مكائده معهم ، وابعادهم عن مصر جزاء فعلتهم المتقدمة ... فخرجوا أرسالا .

صفر

(يناير ١٨١٦ م)

فيه : تشفع جونى الحكيم فى المعلم غالى وأخذه من الحبس الى داره . والعساكر مستمرون فى التشهيل والخروج ، وهم لا يعلمون المراد بهم . وكثرت الروايات والأخبار والايهامات والظنون ... ومعنى الشعر فى بطن الشاعر !

ربيع الأول

الأربعاء غرقه (٣١ يناير ١٨١٦ م) :

فيه : سافر طوسون باشا وأخوه اسماعيل باشا ، الى ناحية رشيد ، ونصبوا عرضيهما عند الحماد وناحية أبى منصور . وحسين بيك دالى باشا وخلافه ، مثل حسن آغا أرزجلى ، ومحو بيك ، وصرارى جلة ، وحجو بيك ... جهة البحيرة . وكل ذلك توطين وتلبيس للعساكر بكونه أخرج حتى أولاده العزاز للمحافظة ، وكذلك الكثير من كبرائهم الى جهة البحر الشرقى ودمياط .

الأحد ١٢ منه (١١ فبراير ١٨١٦ م) :

طلب الباشا المشايخ . فلما جلسوا مجلسهم ، وفيهم الشيخ البكرى ، أحضروا خلعة وألبسوها له على منصب نقابة الأشراف ... عوضا عن السيد محمد المحرقى . وفاوضه فى ذلك ورأى أن يقلده اياه ، فاعتذر السيد محمد المحرقى ، واستغفى ، وقال : « أنا متقيد بخدمة أفندينا ومهمات المتاجر والعرب والحجاز » . فقال : « قد قلدتك اياها فأعطها لمن شئت » . فذكر أنها كانت مضافة للشيخ البكرى .. وهو أولى من غيره . فلما حضروا ، وتكاملوا ، ألبسوه الخلعة ، واستصوب الجماعة ذلك ، وانصرفوا .

وفى الحال .. كتب فرمان باخراج الدواخلى منفا الى قرية دسوق ، فنزل اليه السيد أحمد الملا ، الترجمان ، وصحبته قواس تركى ، وييده فرمان . فدخلوا اليه على حين غفلة — وكان بداخل حريمه ، لم يشعر بشئ مما جرى — فخرج اليهم ، فأعطوه فرمان . فلما قرأه ، غاب عن حواسه ، وأجاب بالطاعة ، وأمره بالركوب ، فركب بغلته ، وسارا به الى بولاق الى المنزل الذى كان شراه بعد موت ولده ، والشيخ سالم الشرقاوى . وانسل مما كان فيه كانشلال الشعرة من العجين ، وتفرق الجمع الذى كان حوله .

وشرع الأتياخ فى تنميق عرضحال على لسانهم ، بأمر الباشا ، بتعداد جنيات الدواخلى ، وذنوبه ، وموجبات عزله ... وأن ذلك بترجيهم والتماسهم عزله ونفيه ، ويرسل ذلك العرضحال لتقيب الأشراف ، بدار السلطنة ، لأن الذى يكون تقيبا بمصر نيابة عنه ، ويرسل اليه الهدية فى كل سنة فالذى تقوم عليه من الذنوب : أنه تطاول على حسين أفندى شيخ رواق الترك ، وسبه وحبسه من غير جرم . وذلك أنه اشترى منه جارية حبشية بقدر من الفرائسة . فلما أقبضه الثمن ، أعطاه

بدلها قروشاً بدون الفرط الذى بين المعاملتين . فتوقف السيد حسين وقال : « اما تعطينى العين التى وقع عليها الانفصال ، أو تكمل فرط النقص » . وتشاحاً ، وأدى ذلك الى سبه وجبسه ... وهو رجل كبير متضلع ، ومدرس ، وشيخ رواق الأتراك بالأزهر . وهذه القضية سابقة على حادثة نفيه بنحو سنتين .

ومنها أيضاً : أنه تناول على السيد منصور الياق بسبب فتيا رفعت اليه . وهى أن امرأة وقفت وقفاً فى مرض موتها ، وأفتى بصحة الوقف ، على قول ضعيف . فسبه فى ملأ من الجمع ، وأراد ضربه ، ونزع عمامته من على رأسه .

ومنها أيضاً : أنه يعارض القاضى فى أحكامه ، وينقص محاصيله ، ويكتب فى بيته وثائق قضايا صلحا ، ويسبب أتباع القاضى ، ورسل المحكمة ، ويعارض شيخ الجامع الأزهر فى أموره ... ونحو ذلك .

وعندما سطروه ، وتمموا ... وضعوا عليه ختومهم ، وأرسلوه الى اسلامبول .

على أن جنائياته عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة ... بل ولا علم له بها ولا التفات . وانما هى أشياء وراء ذلك كله : ظهر بعضها ، وخفى عنا باقيا . وذلك أن الباشا يجب الشوكة وتفوذ أوامره فى كل مرام ، ولا يصطفى ويجب الا من لا يعارضه ... ولو فى جزئية ، أو يفتح له بابا يهب منه ربح الدراهم والدنانير ، أو يدله على ما فيه كسب ، أو ربح من أى طريق أو سبب ... من أى ملة كان .

ولما حصلت واقعة قيام العسكر فى أواخر السنة الماضية ، وأقام الباشا بالقلعة يدبر أمره فيهم ، وألزم أعين المتظاهرين الطلوع اليه فى كل ليلة ... وأجل المتعممين الدواخلى لكونه معدودا فى العلماء ، وتقيا على الأشراف — وهى رتبة الوالى عند العثمانيين —

فداخله الغرور ، وظن أن الباشا قد حصل فى ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والندور ، ولكونه رآه يسترضى خواطر الرعية المنهوبين ، ويدفع لهم أثمانها ، ويستميل كبار العساكر ، وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من أكياس المال ، ويسترسل معه فى المسامرة والمسايرة ، ولين الخطاب والمذاكرة والمضاحكة . فلما رأى اقبال الباشا عليه ، زاد طمعه فى الاسترسال معه ، فقال له : « الله يحفظ حضرة أفندينا ، وينصره على أعدائه والمخالفين له ، ونرجو من احسانه — بعد هدو سره ، وسكون هذه الفتنة — أن ينعم علينا ويجرينا على عوائدنا فى الجبايات والمسامحات فى خصوص مايتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق » .

فأجابه بقوله : « نعم يكون ذلك ، ولا بد من الراحة لكم ولكافة الناس » . فدنا له ، وأنس فؤاده ، وقال : « الله تعالى يحفظ أفندينا ، وينصره على أعدائه ... كذلك يكون تمام ما أشرتكم به من الراحة لكافة الناس ، الافراج عن الرزق الأحباسية على المساجد والفقراء » . فقال : « نعم » ووعد مواعيده العرقية . فكان الدواخلى اذا نزل من القلعة الى داره ، يحكى فى مجلسه ما يكون بينه وبين الباشا من أمثال هذا الكلام ، ويذيعه فى الناس .

ولما أمر الباشا الكتاب بتحرير حساب المتزمين على الوجه المرضى : بديوان خاص لرجال دائرة الباشا وأكابر العسكر — وذلك بالقلعة — تطييباً لخواطرهم ، وديوان آخر فى المدينة لعامة المتزمين ، فيحررون للخاصة بالقلعة ما فى قوائم مصروفهم ، وما كانوا يأخذونه من المضاف والبرانى والهدايا ، وغير ذلك ... والديوان العام التحتانى بخلاف ذلك .

فلما رأى الدواخلى ذلك الترتيب ، قال للباشا :

« وأنا الفقير محسوبكم من رجال الدائرة » .
فقال : « نعم » . وحرروا قوائمه مع الأكابر ،
وأكابر الدولة ، وأنعم عليه الباشا بأكياس أيضا
كثيرة زيادة على ذلك .

فلما راق الحال ، ورتب الباشا أموره مع العسكر ،
أخذ يذكر الباشا بانجاز الوعد ويكرر القول عليه ،
وعلى كتفها ييك بقوله : « أتم تكذبون علينا ،
ونحن نكذب على الناس » .

وأخذ يتناول على كتفه الأقباط بسبب أمور
يلزمهم ويكلفهم باقائهم وعذرهم يخفى عنه في
تأخيرها . فيكلفهم بحضرة الكتخدا ، ويشتمهم
ويقول لبعضهم : « أما اعتبرتم بما حصل للعين غالي ؟ »
فيحقدون عليه ، ويشكون منه للباشا والكتخدا ...
وغير ذلك أمور ، مثل تعرضه للقاضي في قضاياها ،
وتشكيه منه .

واتفق أنه لما حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية ،
وكان بصحبته أحمد جلبى ابن ذى الفقار كتخدا
الفلاح — وكأنه كان كتخداه بالصعيد — وتشكت
الناس من أفاعيله واغوائه ابراهيم باشا ... فاجتمع
به الدواخلى عند السيد محمد المحروقي ، وحضر
قبل ذلك اليه للسلام عليه . وفي كل مرة يوبخه
بالكلام ، ويلومه على أفاعيله بالقول الخشن ،
في ملا من الناس . فذهب الى الباشا ، وبالن في
الشكوى ، ويقول فيها : « أنا نصحت في خدمة
أفندينا جهدى ، وأظهرت من المخبات ما عجز عنه
غيري ، فأجازى عليه من هذا الشيخ ما أسمعني
من قبيح القول ، وتجيهي بين الملأ . وإذا كان
محبا لأفندينا فلا يكره نفعه ، ولا النصح في
خدمته » وأمثال ذلك مما يخفى عنا خبره . فمثل
هذه الأمور هي التي أوغرت صدر الباشا على

الدواخلى ، مع أنها في الحقيقة ليست خلافا عند
من فيه قابلية للخير !

وأنا أقول : ان الذى وقع لهذا الدواخلى ، إنما
هو قصاص ، وجزاء فعله في السيد عمر مكرم ...
فانه كان من أكبر الساعين عليه الى أن عزله ،
وأخرجوه من مصر ... والجزاء من جنس العمل ،
كما قيل :

فقل للشامتين بنا آفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

ولما جرى على الدواخلى ماجرى من العزل
والنفى ، أظهر الكثير من نظرائه المتفقهين الشامة
والفرح ، وعملوا ولائم وعزائم ومضاحكات
كما يقال :

أمور تضحك السفهاء منها

- ويكى من عواقبها اللبيب

وقد زالت هيئتهم ووقارهم من النفوس ،
وانهمكوا في الأمور الدنيوية ، والحفظوظ
النفسانية ، والوساوس الشيطانية ، ومشاركة
الجهال في المآثم ، والمسارة الى الولايم في الأفراح
والمآثم ... يتكالبون على الأسطة كالبهائم .
فتراهم في كل دعوة ذاهبين ، وعلى الخوانات
راكمين ، وللكباب والمحمرات خاطفين ، وعلى
ما وجب عليهم من النصح تاركين .

في أواخره (أواخر فبراير ١٨١٦ م) :

شرعوا في عمل مهم عظيم بمنزل ولى
أفندى — ويقال له : ولى خجا — وهو كاتب
الخزينة العامة ، وهو من طائفة الأرثوود ...
واختص به الباشا ، واستأمنه على الأمور ، وضم
اليه دفاتر الايراد ، من جميع وجوه جبايات
الأموال ، من خراج البلاد والمحدثات ، وحسابات
المباشرين .

خارجها ، وحولها مرابطين ، لحفظ الثغور من طارق على حين غفلة أو حادث خارجي . وليس لهم الا رواتبهم وعلائقهم تأتيهم في أماكنهم ومراكزهم والسر الخفي اخراج الذين قصدوا غدره وخيائته ، ووقع بسبب حركتهم ما وقع من النهب والازعاج في أواخر شعبان من السنة الماضية .

وكان قد بدأ باخراج أولاده ، وخواصه — من تحيله — واحدا بعد واحد . وأسر الى أولاده بما في ضميره ، وأصبح مع ولده طوسون باشا شخصا من خواصه ، يسمى أحمد أغا البحورجي المدللى . وأخذ طوسون باشا في تدير الايقاع مع من يريد به ، فبدأ محو بيك — وهو أعظمهم ، وأكثرهم جندا — فأخذ في تأليف عساكره حتى لم يبق معه الا القليل . ثم أرسل في وقت بطلب محو بيك عنده في مشورة . فذهب اليه أحمد أغا المدللى المذكور ، وأسر اليه ما يراد به ، وأشار اليه بعدم الذهاب . فركب محو بيك في الحال ، وذهب عند الدلاة ، فأرسلوا الى مصطفى بيك — وهو كبير على طائفة الدلاة ، وأخو زوجة الباشا وقريبه — والى اسماعيل باشا ابن الباشا ، ليتوسطا في صلح محو بيك مع الباشا ، وليعفوه ويذهب الى بلاده . فأرسلوا الى الباشا بالخبر ، وبما نقله أحمد أغا المدللى الى محو بيك ، فسفه رأيه في تصديق المقالة ، وفي هروبه عند الدلاة ... ثم يقول : « لولا أن في نفسه خيانة لما فعل ما فعل من التصديق والهروب ! »

وكان طوسون باشا ، لما جرى من أحمد أغا ما جرى من نقل الخبر لمحو بيك ، عوقه ، وأرسل الى أبيه يعلمه بذلك ، فطلبه للحضور اليه بمصر . فلما مثل بين يديه ، وبخه وعزره بالكلام ، وقال له : « ترمى الفتن بين أولادى وكبار العسكر » ، ثم أمر بقتله . فنزلوا به الى باب زويلة ، وقطمروا

وأنشأ دارا عظيمة بخطبة باب اللوق ، على البركة المعروفة بأبى الشوارب ، وأدخل فيها عدة بيوت — بجانيبها وتجاهها — على نسق واصطلاح الأبنية الأفرنجية والرومية ، وتأثق في زخرفتها واتساعها ، واستمرت العمارة بها نحو الستين .

ولما كملت وتمت ، أحضروا القاضى والمشايع ، وعقدوا لولديه على ابنتين من أقارب الباشا ، بمنزلة الأعيان ومن ذكر . واحتفلوا بعمل المهم احتفالا زائدا ، وتقيد السيد محمد المحروقى بالمصاريف ، والتنظيم واللوازم ... كما كان في أفراح أولاد الباشا . واجتمعت الملاعب والبهلوانات بالبركة ، وما حولها وبالشارع ، وعلقوا تغاليق قناديل ونجفات وأحمال بلور وزينات ، واجتمع الناس للفرجة ... وبالليل حراقات ونفوط ، ومدافع ، وسوارىخ ، سبع ليال متوالية ، وعملت الزفة يوم الخميس ، واجتمعت العربات لأرباب الحرف ، كما تقدم في العام الماضى ... بل أزيد . وذلك لأن الباشا لم يشاهد أفراح أولاده ، لكونه كان غائبا بالديار الحجازية . وحضر الباشا للفرجة ، وجلس بمدرسة الغورية ، بقصد الفرجة ، وعمل له السيد محمد المحروقى الغداء ، وخرجوا بالزفة ، أوائل النهار ، وداروا بها دورة طويلة ، فلم يمروا بسوق الغورية الا قريب الغروب أواخر النهار .

ربيع الآخر

فرته (أول مارس ١٨١٦ م) :

فيه : خروج العساكر الى ناحية بجري مستمر . وأفصح الباشا ، وذكر في كلامه — في مجالسه — ويّين السر في اخراجهم من المدينة : بأن العساكر قد كثروا ، وفي اقامتهم بالبلدة ، مع كثرتهم ، ضرر وافساد ، وضيق على الرعية ، مع عدم الحاجة اليهم داخل البلدة . والأولى والأحوط أن يكونوا

رأيه هناك ، وتركوه مرميا طول النهار ، ثم رفعوه الى داره ، وعملوا له في صباحها مشهدا ودفنوه .

وفيه : حضر اسماعيل باشا ، ومصطفى بيك الى مصر .

في اواخره (اواخر مارس ١٨١٦ م) :

حضر شخص يسمى سليم كاشف من الأجناد المصرية ، رسلا من عند بقاياهم من الأمراء وأتباعهم ... الذين رماهم الزمان بكله ، وأقصاهم وأبعدهم عن أوطانهم ، واستوطنهم « دققة » من بلاد السودان ، يتقوتون مما يزرعونه بأيديهم من الدخن ، وبينهم وبين أقصى الصعيد مسافة طويلة ، نحو من أربعين يوما .

وقد طال عليهم الأمد ، ومات أكثرهم ، ومعظم رؤسائهم مثل : عثمان بيك حسن ، وسليم أغا ، وأحمد أغا شويكار ، وغيرهم ممن لاعلم لنا بخبرة أخبارهم ، لبعد المسافة حتى على أهل منازلهم . وبقي ممن لم يمت منهم : ابراهيم بيك الكبير ، وعبد الرحمن بيك — تابع عثمان بيك المرادى — وعثمان بيك يوسف وأحمد بيك الألفى — زوج عديلة ابنة ابراهيم بيك الكبير — وعلى بيك أيوب ، وبواقي صفار الأمراء والمماليك ... على ظن خيانتهم وقد كبر من ابراهيم بيك الكبير ، وعجزت قواه ، ووهن جسده .

فلما طالت عليهم الغربة ، أرسلوا هذا المرسل بمكاتبة الى الباشا ... يستعطفونه ، ويسألون فضله ، ويرجون مراحمه ، بأن ينعم عليهم بالأمان على نفوسهم ، ويأذن لهم بالانتقال من دققة الى جهة من أراضى مصر : يقيمون بها أيضا ، ويتعيشون فيها بأقل العيش تحت أمانه ، ويدفعون ما يجب عليهم من الخراج الذى يقرره عليهم ، ولا يتعدون مراسمه وأوامره .

فلما حضر ، وقابل الباشا وتكلم معه ، وسأله عن حالهم وشأنهم ، ومن مات ومن لم يمت منهم — وهو يخبره خبره — أمره بالانصراف الى محله الذى نزل فيه الى أن يرد عليه الجواب ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ... فأقام أياما حتى كتب له جواب رسالته . مضمونها : أنه أعطاهم الأمان على أنفسهم ، بشروط شرطها عليهم ، ان خالفوا منها شرطا واحدا ... كان أمانهم منقوضا ، وعهدهم منكوثا ، ويحل بهم ما حل بمن تقدم منهم .

فأول الشروط — أنهم اذا عزموا على الانتقال من المحل الذى هم فيه ، يرسلون أمامهم نجابا يخبره بخبرهم وحركتهم وانتقالهم ، ليأتيهم من أعينه لملاقاتهم .

الثانى — اذا حلوا بأرض الصعيد ، لا يأخذون من أهل النواحي كلفة ، ولا دجاجة ، ولا رغيفا واحدا ... وانما الذى يتعين لملاقاتهم يقوم لهم بما يحتاجون اليه من مؤنة وعليق ومصرف .

الثالث — أنى لا أقطعهم شيئا من الأراضى والنواحي ، ولا اقامة فى جهة من جهات أراضى مصر ... بل يأتون عندى ، وينزلون على حكمى ، ولهم ما يلىق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصرف . ومن كان ذا قوة ، قلدته منصبا أو خدمة تليق به ، أو ضمته الى بعض الأكابر من رؤساء العسكر . وان كان ضعيفا أو هرما ، أجريت عليه نفقة لنفسه وعياله .

الرابع — أنهم اذا حصلوا بمصر على هذه الشروط ، وطلبوا شيئا من اقطاع أو رزقة أو قنطرة ، أو أقل مما كان فى تصرفهم فى الزمن الماضى ، أو نحو ذلك — انتقض معى عهدهم ، وبطل أمانى لهم ... بمخالفة شرط واحد من هذه الشروط . وهى سبعة غاب عن ذهنى باقيها . فسبحان المعز المذل ، مقلب الأحوال ، ومتغير الشئون !

فمن العبر : أنه لما حضر المصريون ، ودخلوا الى مصر بعد مقتل طاهر باشا ، وتأمرؤا وتحكمؤا ... فكانت عساكر الأتراك فى خدمتهم ، ومن أرذل طوائفهم ، وعلائفهم تصرف عليهم من أيدى كتابهم وأتباعهم . وإبراهيم بيك هو الأمير الكبير ، وراتب محمد على باشا ... هذا — من الخبز واللحم والأرز والسن الذى عينه له — من كيلاره ! نعوذ بالله من سوء المنقلب .

ورجع سليم كاشف ، المرسل اليهم بالجواب المشتمل على ما فيه من الشروط .

وفيه : أمر الباشا بحبس أحمد أفندى المعايرجى بدار الضرب . وحبس أيضا عبد الله بكتاش ، ناظر الضربخانة ، واحتج عليهما باختلاسات يختلسانهما ، واستمرأ أياما حتى قدر عليهما نحو السبعمائة كيس ، وعلى الحاج سالم الجواهرجى — وهو الذى يتعاطى إيراد الذهب والفضة الى شغل الضربخانة — مثلها . ثم أطلق المذكوران ليحصلأ ما تقرر عليهما ، وكذلك أطلق الحاج سالم . وشرعوا فى التحصيل بالبيع والاستدانة ، واشتد القهر بالحاج سالم ، ومات على حين غفلة . وقيل انه ابتلع فص ألماس ، وكان عليه ديون باقية من التى استدانها فى المرة الأولى ، والغرامة السابقة .

ومن النوادر الغريبة ، والاتفاقات العجيبة : أنه لما مات إبراهيم بيك المداد بالضربخانة — قبل تاريخه — تزوج بزوجته أحمد أفندى المعايرجى المذكور . فلما عوق أحمد أفندى ، خافت زوجته المذكورة أن يدهمها أمر : مثل الختم على الدار ، أو نحو ذلك ... فجبعت مصاغها ، وما تخاف عليه — مما خف حمله وثقل ثمنه — وربطته فى صرة ، وأودعتها عند امرأة من معارفها . فسطا على بيت تلك المرأة شخص حرامى ، وأخذ تلك الصرة ، وذهب بها الى دار امرأة من أقاربه ، بالقرب من

جامع مسكة ، وقال لها : « اتخفظى عندك هذه الصرة حتى أرجع » . ونزل الى أسفل الدار ، فنادته المرأة : « اصبر حتى آتيك بشيء تأكله » ، فقال : « نعم . فأنى جيعان » . وجلس أسفل الدار ينتظر آتيانها له بما يأكله .

وصادف مجيء زوج المرأة تلك الساعة ، فوجده فرحب به — وهو يعلم بحاله ، ويكره مجيئه الى داره — وطلع الى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة ، فسألها عنها ، فأخبرته أن قريبها المذكور أتى بها اليها حتى يعود لأخذها ... فجبسها فوجدتها ثقيلة ، فنزل فى الحال ، ودخل على محمد أفندى سليم — من أعيان جيران الحطة — فأخبره ، فأحضر محمد أفندى أنفارا من الجيران أيضا — وفيهم الخجا المنسوب الى أحمد أغا لاط المقتول — ودخل الجميع الى الدار — وذلك الحرامى جالس ومشتغل بالأكل — فوكلوا به الخدم ، وأحضروا تلك الصرة وفتحوها ، فوجدوا بها مصاغاً وكيسا بداخله أنصاف فضة عديدة — ذكروا أن عدتها أربعون ألفا — ولكنها من غير ختم ، وبدون نقش السكة ... فأخذوا ذلك ، وتوجهوا لكتخذأ بيك ، وصحبتهم الحرامى ، فسألوه وهددوه ، فأقر وأخبر عن المكان الذى اختلسها منه . فأحضروا صاحبة المكان ، فقالت : « هو وديمة عندى لزوجة أحمد أفندى المعايرجى » . فثبت لديهم خيائته واختلاسه .

وسئل أحمد أفندى ، فحلف أنه لا يعلم بشيء من ذلك ، وأن زوجته كانت زوجا لإبراهيم المداد ... فلمل ذلك عندها من أيامه . وسئلت هى أيضا عن تحقيق ذلك ، فقالت : « الصحيح أن إبراهيم المداد كان اشترى هذه الدراهم من شخص مغربى ، عند ما نهب عسكر المغاربة الضربخانة فى وقت حادثة الأمراء المصريين ، وخروجهم من مصر ... عند ما قامت عليهم عسكر

الأتراك » . فلم يزيلوا الشبهة عن أحمد أفندى ، بل زادت .

وكانت هذه النادرة من عجائب الاتفاق ، فقدروا أثمانها ، وخصوها من المطلوب منه .

٢٠ منه (٢٠ مارس ١٨١٦ م) :

حصلت جمعية بيت البكرى ، وحضر المشايخ وخلافهم — وذلك بأمر باطنى من صاحب الدولة — وتذاكروا ما يفعله قاضى العسكر من الجور والطمع فى أخذ أموال الناس والمحاصيل .

وذلك أن القضاة الذين يأتون من باب السلطنة ، كانت لهم عوائد وقوانين قديمة — لا يتعدونها — فى أيام الأمراء المصريين . فلما استولت هؤلاء الأروام على الممالك — والقاضى منهم — فحش أمرهم ، وزاد طمعهم ، وابتدعوا بدعا ، وابتكروا حيلاً لسلب أموال الناس والأيتام والأرامل . وكلما ورد قاض ، ورأى ما ابتكره الذى كان قبله ، أحدث هو الآخر أشياء يمتاز بها عن سلفه . حتى فحش الأمر ، وتعدى ذلك لقضايا أكابر الدولة وكتخدا بيك ... بل والباشا ، وصارت ذريعة وأمرًا محتسباً : لا يختشون منه ، ولا يراعون خليلاً ولا كبيراً ولا جليلاً .

وكان المعتاد القديم : أنه إذا ورد القاضى فى أول السنة التوتية ، التزم بالقسمة بعض الميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم يقوم بدفعه للقاضى ... وكذلك تقرير الوظائف ، كانت بالفراغ أو المحلول . وله شهرات على باقى المحاكم الخارجة : كالمصالحية ، وباب سعادة ، والخرق ، وباب الشعرية ، وباب زويلة ، وباب الفتوح ، وطيلون ، وقناطر السباع ، وبولاق ، ومصر القديمة ونحو ذلك . وله عوائد وإطلاقات وغلال من الميرى ، وليس له غير ذلك الا معلوم الامضاء

— وهو خمسة أنصاف فضة — فإذا احتاج الناس فى قضاياهم ومواريتهم ، أحضروا شاهداً من المحكمة القريبة منهم ، فيقضى فيها ما يقضيه ، ويعطونه أجرته ... وهو يكتب التوثيق ، أو حجة المبايعة أو التورث ، ويجمع العدة من الأوراق فى كل جمعة أو شهر ثم يمضيها من القاضى ، ويدفع له معلوم الامضاء لا غير . وأما القضايا لمثل العتلاء والأمراء ، فبالمسامحة والاکرام .

وكان القضاة يخشون صولة الفقهاء وقت كونهم يصدعون بالحق ، ولا يداهنون فيه . فلما تغيرت الأحوال ، وتحكمت الأتراك وقضاتها ... ابتدعوا بدعا شتى . منها : إبطال نواب المحاكم ، وإبطال القضاة الثلاثة خلاف مذهب الحنفى ، وأن تكون جميع الدعاوى بين يديه ويدي نائبه ... وبعد الانفصال بأمرهم بالذهاب الى كتخداه ليدفع المحصول ، فيطلب منهم المقادير الخارجة عن المعقول ... وذلك خلاف الرشوات الخفية ، والمصالحات السرية . وأضاف التقرير والقسمة لنفسه ، ولا يلتزم بها أحد من الشهود كما كان فى السابق . وإذا دعى بعض الشهود لكتابة توثيق أو مبايعات أو تركة ، فلا يذهب الا بعد أن يأذن له القاضى ، ويصحبه بكجوقه دار لياشر القضية ... وله نصيب أيضاً !

وزاد طمع هؤلاء الجندارية حتى لا يرضون بالقليل ، كما كانوا فى أول الأمر ، وتخلف منهم أشخاص بمصر عن مخاديتهم ، وصاروا عند المتولى لما انتفتح لهم هذا الباب . وإذا ضبط تركة من التركات ، وبلغت مقداراً ، أخرجوا للقاضى العشر من ذلك ، ومعلوم الكتاب والجوخدار والرسول ، ثم التجهيز والتكفين والمصرف والديون ... وما بقى بعد ذلك يقسم بين الورثة . فيتفق أن الوارث واليتيم لا يبقى له شيء ! يأخذ من أرباب الديون عشر ديونهم

أيضا ، ويأخذ من محاليل وظائف التقارير معلوم سنتين أو ثلاث ، وقد كان يصالح عليها بأدنى شيء ... والا اكراما .

وابتدع بعضهم الفحص عن وظائف القباينة والموازن ، وطلب تقاريرهم القديمة ، ومن أين تلقوها . وتعلل عليهم بعدم صلاحية المقرر ، وفيها من هو باسم النساء ، وليسوا أهلا لذلك ، وجمع من هذا النوع مقادارا عظيما من المال . ثم محاسبات نظار الأوقاف ، والعزل والتولية فيهم ، والمصالحات على ذلك . وقرر على نصارى الأقباط والأروام قدرا عظيما في كل سنة ... بحجة المحاسبة على الديور والكنائس !

وما هو زائد الشناعة أيضا : أنه اذا ادعى مبطل على انسان دعوى لا أصل لها ... بأن قال : ادعى عليه بكذا وكذا ... من المال وغيره ، كتب المقيّد ذلك القول — حقا كان أو باطلا ، معقولا أو غير معقول — ثم يظهر بطلان الدعوى ، أو صحة بعضها ... فيطالب الخصم بحصول القدر الذى ادعاه المدعى ، وسطره الكاتب ... يدفعه المدعى عليه للقاضى : على دور النصف الواحد ، أو يحبس عليه حتى يوفيه . وذلك خلاف ما يؤخذ من الخصم الآخر !

وحصل نظيرها لبعض من هو ملتجئ لكتبخدا بيك ، فحبس على المحصول ، فأرسل الكتبخدا يترجى فى اطلاقه ، والمصالحة عن بعضه ... فأبى . فعند ذلك حنق الكتبخدا ، وأرسل من أعوانه من استخرجه من الحبس .

ومن الزادات فى نعمة الطنبور ... كتابة الاعلامات . وهو أنه اذا حضر عند القاضى دعوى بقاصد من عند الكتبخدا أو الباشا ليقضى فيها ، وقضى فيها لأحد الخصمين .. طلب المقضى له اعلاما بذلك الى الكتبخدا أو الباشا يرجع به مع القاصد ... تقييدا واثباتا . فعند ذلك لا يكتب له ذلك الاعلام

الا بما عسى لا يرضيه الا أن يسلم من جلده طاقا أو طاقين ! وقد حكمت عليه الصورة ... وتابع الباشا أو الكتبخدا ملازم له ، ويستعجله ، ويساعد كتبخدا القاضى عليه ، ويسليه على ذلك الظفر والنصرة على الخصم ... مع أن الفرنساوية ، الذين كانوا لا يتدينون بدين ، لما قلدوا الشيخ أحمد العريشى القضاء بين المسلمين بالمحكمة ... حددوا له حدا فى أخذ المحاصيل لا يتعداه ، بأن يأخذ على المائة اثنين فقط : له منها جزء ، والكتاب جزء .

فلما زاد الحال ، وتعدى الى أهل الدولة ... رتبوا هذه الجمعية . فلما تكاملوا بمجلس بيت البكرى ، كتبوا عرضا محضرا ذكروا فيه بعض هذه الاحداثات ، والتسوا من ولى الأمر رفعها ... ويرجون من المراحم أن يجرى القاضى ويسلك فى الناس طريقا من احدى الطرق الثلاث : اما الطريقة التى كان عليها القضاة فى زمن الأمراء المصريين ، واما الطريقة التى كانت فى زمن الفرنساوية ، أو الطريقة التى كانت أيام مجيء الوزير — وهى الأقرب والأوفق — وقد اخترناها ورضيناها بالنسبة لما هم عليه الآن من الجور . وتمسوا العرض محضرا ، وأطلعوا عليه الباشا ، فأرسله الى القاضى فامثل الأمر ، وسجل بالسجل — على مضض منه — ولم تسعه المخالفة .

بمادى الآخرة

الاثنين ١٥ منه (١٣ مايو ١٨١٦ م) :

ورد الخبر بموت مصطفى بيك دالى باشا بناحية الاسكندرية ، وهو قريب الباشا ، وأخو زوجته

رجب

الخميس ٣ منه (٣٠ مايو ١٨١٦ م) :

قبل الغروب حصل فى الناس انزعاج ولغط ،

ونقل أصحاب الحوانيت بضائعهم منها ، مثل سوق الغورية ، ومرجوش ، وخان الحمزاوى ، وخان الخليلى ... وغيرهم . ولم يظهر لذلك سبب من الأسباب ، وأصبح الناس مبهوتين ، ولغطوا بموت الباشا ، وحضر أغات الينكجرية ، وأغات التبديل الى الغورية ، وأقاما بطول النهار ، وهما يأمران الناس بالسكون وفتح الدكاكين ، وكذلك على أغا الوالى بباب زويلة .

السبت ٥ منه (اول يونية ١٨١٦ م) :

ركب الباشا ، وخرج الى قبة العزب ، وعمل رماحة وملعبا ، ورجع الى شبرا . وحضر كتخدايك الى سوق الغورية ، وجلس بالمدفن ، وأمر بضرب شيخ الغورية .. فبطحوه على الأرض فى وسط السوق ، وهو مرشوش بالماء ، وضربه الأتراك بعصيم ، ثم رفعوه الى داره . ثم أمر الكتخدا بكتابة أصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم ، فشرعوا فى ذلك ، وهرب الكثير منهم ، وجبسه فى داره .

ثم ركب الكتخدا ، ومر فى طريقه على خان الحمزاوى ، وطلب البواب . فلما مثل بين يديه ، أمر بضربه كذلك ، وضرب أيضا شيخ مرجوش . وأما طائفة خان الخليلى ، ونصارى الحمزاوى ... فلم يتعرض لهم !

شعبان

الخميس غرته (٢٧ يونيه ١٨١٦ م) :

فيه : من الحوادث أن بعض العيارين — من السراق — تعدوا على قهوة الباشا بشبرا ، وسرقوا جميع ما بالنصبة من الأوانى والبكارج والفناجين والظروف ... فأحضر الباشا بعض أرباب الدرك بتلك الناحية ، وألزمه بإحضار السراق والمسروق ،

ولا يقبل له عذرا فى التأخير ... ولو يصلح على نفسه بخزينة أو أكثر من المال ، ولا يكون غير ذلك أبدا ، والا نكل به نكالا عظيما ... وهو المأخوذ بذلك . فترجى فى طلب المهلة ، فأمله أياما ، وحضر بخمسة أشخاص ، وأحضروا المسروق بتمامه ... لم ينقص منه شيء . وأمر بالسراق ، فخوزقوهم فى نواحى ... متفرقين ، بعد أن قرروهم على أمثالهم ، وعرفوا عن أماكنهم ، وجمع منهم زيادة على الخمسين ، وشنق الجميع فى نواحى متفرقة بالأقاليم ، مثل : القليوبية ، والغربية ، والمنوفية .

الخميس ١٥ منه (١١ يولية ١٨١٦ — ٤ مسرى ١٥٣٢ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وفتح سد الخليج يوم السبت .

وفيه : وقع من النوادر أن امرأة ولدت مولودا برأسين وأربع أيد ، وله وجهان متقابلان ، والوجهان بكتفیهما مفروقان من حد الرأس ، وقيل لحد الصدر ، والبطن واحدة ، وثلاث أرجل ، واحدى الأرجل لها عشرة أصابع . فيقال انه أقام يوما وليلة حيا ... ومات . وشاهده خلق كثير ، وطلعوا به الى القلعة ، ورآه كتخدايك ، وكل من كان حاضرا بديوانه . فسبحان الخلاق العظيم !

رمضان

الثلاثاء ١٩ منه (١٣ أغسطس ١٨١٦ م) :

حصل فيه فى النوادر ، أن فى تاسع عشره علق شخص عسكري غلاما من أولاد البلد ، وصار يتبعه فى الطرقات الى أن صادفه ليلة بالقرب من جامع المساس بالشارع . فقبض عليه ، وأراد الفعل به فى الطريق . فخذه الغلام ، وقال له : « ان كان

واخيره (النصف الثاني من سبتمبر ١٨١٦ م) :

قلد الباشا شخصا من أقاربه — يسمى شريف
أغا — على دواوين المبتدعات ، وضم اليه جماعة
من الكتبة أيضا ، المسلمين والأقباط ، وجعلوا
ديوانهم بيت أبي الشوارب ، وعمروه عمارة عظيمة ،
وواظبوا الجلوس فيه كل يوم لتحرير المبتدعات
ودفاتر المكوس .

ذوالقعدة

الاثنين غرته (٢٣ سبتمبر ١٨١٦ م) :

فيه : انهدم جانب من السواقي التي أنشأها الباشا
بشبرا على حين غفلة . وقد قوى عليها النيل فتهدمت
وتكسرت أخشابها ، وسقط معها أشخاص كانوا
حولها ... فنجا منهم من نجا ، وغرق منهم من غرق
وكان الباشا بقصر شبرا مقيما به وهو يرى ذلك

وانقضت السنة وأخبار بعض حوادثها ، واستمرار
ما تجدد فيها من المبتدعات التي لا حصر لها

منها : الحجر على المزارع التي يزرعها الفلاحون
في الأراضي التي يدفعون خراجها ... من التكتان
والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم وإذا
بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئا كعادتهم ، وإنما
يشتريه الباشا بالثمن الذي يفرضه ويقدره على يد
أمناء النواحي والكشاف ، ويحملونه الى المحل الذي
يؤمرون بحمله اليه ، ويعطى لهم الثمن أو يحسب
لهم من أصل المال . فان احتاجوا لشيء من ذلك ،
اشترروه بالثمن الزائد المفروض ! وكذلك القمح
والقول والشعير ، لا يبيعون منه شيئا لغير طرف
الباشا ... بالثمن المفروض والكيل الوافي !

ومنها : الأمر لكشاف الأقاليم بالمناداة العامة :
بالمنع لمن يأخذ أو يأكل من القول الأخضر والحمص
والحلبة ، وأن المعينين في الحدم والمباشرين وكشاف
النواحي ، لا يأخذون شيئا من الفلاحين ، كعادتهم ،

ولا بد ، فادخل بنا في مكان لا يرانا فيه أحد من
الناس » فدخل معه درب حلب — المعروف الآن
بدرب الحمام ، خير بك حديد — وهناك دور
الأمراء ، التي صارت خرائب ، فحل العسكرى
سراويله ، فقال له الغلام : « أرني بتاعك . فلعله
يكون عظيما لا أتحملة جميعه » ! وقبض عليه — وكان
بيده موسى مخفية في يده الأخرى — فقطع ذكره
بتلك الموصى سريعا ، وسقط العسكرى مغشيا عليه
سارخا ، وتركه الغلام وذهب في طريقه وحضر
فقاء ذلك العسكرى وحملوه ، وأحضروا له سليم
الجرائحي ، فقطع ما بقي من مذاكيره ، وأخذ في
معالجته ، ومداواته . ولم يمت العسكرى !

شوال

السبت غرته (٢٥ أغسطس ١٨١٦ م) :

وكان حقه يوم الأحد ... وذلك أن في أواخر
رمضان حضر جماعة من دمنهور البحيرة ، وأخبروا
عن أهل دمنهور : أنهم صاموا يوم الخميس .
فطلب الباشا حضور من رأى الهلال تلك الليلة ،
فحضر اثنان من العسكر ، وشهدا برؤيته ليلة
الخميس . فأثبتوا بذلك هلال رمضان ، ويكون
تمامه يوم الجمعة . وأخبر جماعة أيضا أنهم رأوا
هلال شوال ليلة السبت ، وكان قوسه في حساب
قواعد الأهلة ، تلك الليلة ، قليلا جدا . ولم ير في
ثاني ليلة منه الا بعسر . وإنما اشتبه على الرائيين
لأن المريخ كان مقارنا للزهرة في برج الشمس من
خلفها ، وبينهما وبين الشمس رؤيا بعدها في شعاع
الشمس ، شبه الهلال . فظن الرءاؤون أنه الهلال ...
فليتنبسه لذلك ، فان ذلك من الدقائق التي تخفى
على أهل الفطنة ... فضلا عن غيرهم من العوام ،
الذين يسارعون الى افساد العبادات — حسبة
بالظنون الكاذبة — لأجل أن يقال : شهد فلان ...
ونحو ذلك .

من غير ثمن ... فمن عثر عليه بأخذ شيء — ولو رغبنا أو تبنا أو من رجع البهائم — حصل له مزيد الضرر ... ولو كان من الأعظم . وكذلك الأمر بتكسيم أفواه المواشى التى تسرح للمرعى حوالى الجسور والغيطان .

ومنها : أن نصرايا من الأرمن التزم بقلم الأبرار التى تأتى من بلاد الصعيد ، مثل : الحبة السوداء ، والشمر ، والأنيسون ، والكمون ، والكراوية ، ونحو ذلك ... بقدر كبير من الأكياس . ويتولى هو شراءها دون غيره ، ويبيعها بالثمن الذى يقرضه ، ومقدار ما التزم بدفعه من الأكياس للخرينة — على مابلغنا — خمسمائة كيس . وكانت فى أيام الأمراء المصريين عشرة أكياس لا غير . فلما تولى على وكالة دار السعادة : صالح بيك المحمدى ، زادها عشرة أكياس .

وكانت وكالة الأبرار والقطن وفقا لمصطفى — أغا دار السعادة سابقا — على خيرات الحرمين وخلافهما . فلما كانت هذه الدولة ، تولوها شخص على مائتى كيس . وعند ذلك سعر الأبرار أضعاف الثمن الأصلي . ومن داخل الأبرار : التمر الأبريى والسلطانى ، والخص والمقاطف ، والسلب والليف . وبلغ سعر المقطف الذى يسع الكيلة من البر : خمسة وعشرين نصفا ، وكان يباع بنصف أو نصفين ، ان كان جيدا . وفى الجملة بأقل من ذلك .

ومنها : أن « كرايت » معلم ديوان الكمرك ببولاى التزم بمشيخة الحمامية ، وأحدث عليها وعلى توابعها حوادث . وعلى النساء البلاطات فى كل جمعة قدرا من الدراهم ، وجعل لنفسه يوما فى كل جمعة ، يأخذ إيراده من كل حمام .

ومنها : ما حصل فى هذه السنة من شحة الصابون ، وعدم وجوده بالأسواق ومع السراحين ،

وهو شيء لا يستغنى عنه الغنى ولا الفقير . وذلك أن تجاره بوكالة الصابون ، زادوا فى ثمنه ، محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لأهل الدولة ... فىأمر الكتخدافيه بأمر ، ويسعره بشمن ، فيدعون الخسران وعدم الربح . وتكرر الحال فيه المرة بعد المرة ، ويتشكون من قلة المطلوب ... الى أن سعر رطله بستة وثلاثين نصفا . فلم يرضوا ذلك ، وبالغوا فى التشكى . فطلب قوائهم ، وعمل حسابهم ، وزادهم خمسة أنصاف فى كل رطل ، وحلف ألا يزيد على ذلك ... وهم مصممون على دعوى الخسران . فأرسل من أتباعه شخصا تركيا لمباشرة البيع ، وعدم الزيادة . فىأتى الى الخان فى كل يوم يباشر البيع على من يشتري بذلك الثمن لأربابه ، ويمكث مقدار ساعتين من النهار ، ويفلق الحواصل ، ويرفع البيع لثانى يوم . وفى ظرف هاتين الساعتين تزدهم العسكر على الشراء ، ولا يتمكن خلافهم من أهل البلد من أخذ شيء . وتخرج العسكر فيبيعون من الذى اشتروه على الناس بزيادة فاحشة ... فىأخذ الرطل بقرش ، ويبيعه على غيره بقرشين .

ورفع التشكى الى كتخدا ، فأمر ببيعه عند باب زويلة فى السبيلين — المواجه أحدهما للباب ، والسبيل الذى أنشأته الست نفيسة المرادية عند الخان تجاه الجامع المؤيدى — ليسهل على العامة تحصيله وشراؤه ، فلم يزد الحال الا عسرا .

وذلك أن البائع يجلس داخل السبيل ، ويفلق عليه بابه ، ويتناول من خروق الشبايك من المشتري الثمن ، ويتناوله الصابون . فازدحت طوائف العساكر على الشراء ، ويتعلقون بأيديهم وأرجلهم على شبايك السبيلين ، والعامة أسفلهم لايتمكنون من أخذ شيء ، ويمنعون من يزاحمهم ... فيكون على السبيلين ضجة وصياح من الفريقين ، فلا يسع ابن البلد ، الفقير المضطر ، الا أن يشتري من

العسكري بما أحب ... والا رجع الى منزله من غير شيء . واستمر الحال على هذا المنوال أياما .

وفي بعض الأحيان يكثر وجود الصابون بين يدي الباعة بوسط السوق ، ولا تجد عليه مزاحمة وأمام البائع كوم عظيم ، وهو ينتظر من يشتري ، وذلك في غالب الأسواق مثل : الغورية والأشرفية وباب زويلة ، والبندقين ، والجهات الخارجة ، ثم يصبحون فلا يوجد منه شيء ، ويرجع الازدحام على السيلين كالأول .

ومنها : أن الباشا أطلق المناداة في البلدة ، وندب جماعة من المهندسين والمباشرين للكشف على الدور والمساكن . فان وجدوا به أو يبعضه خللا ، أمروا صاحبه بهدمه وتعميره . فان كان يعجز عن ذلك ، فيؤمر بالخروج منها وإخلائها ، ويعاد بناؤها على طرف الميرى ، وتصير من حقوق الدولة !

وسبب هذه النكتة : أنه بلغ الباشا سقوط دار بعض الجهات ، ومات تحت ردمها ثلاثة أشخاص من سكانها . فأمر بالمناداة ، وأرسل المهندسين والأمر بما ذكر . فنزل بأهالي البلد من الكرب أمر عظيم ، مع ما هم فيه من الإفلاس ، وقطع الأيراد ، وغلو الأسعار .

على أن من كان له نوع مقدرة على الهدم والبناء ، لا يجد من أدواته شيئا ... بحسب التحجير الواقع على أرباب الأشغال واستعمال الجميع في عمائر الباشا وأكابر الدولة ... حتى ان الانسان اذا احتاج لبناء كانون لا يجد من يبنيه ! ولا يقدر على تحصيل صانع ، أو فاعل ، أو أخذ شيء من رماد الحمام ... الا بفرمان . ومن حصل شيئا من ذلك — على طريق السرقة — في غفلة ، وعثر عليه ... نكلوا به ، وبرئيس الحمام . وحمير الباشا — وهى أزيد من ألفى حمار — تنقل بالزرائب والسرقات ، طول النهار ، ما يوجد بالحمامات

من الرماد ، وتنقل أيضا الطوب والدبش والأتربة وأنقاض البيوت المتهمة لمحل العمائر بالقلعة ، وغيرها . فترى الأسواق والعطف مزدحمة بقطارات الحمير الذاهبة والراجعة .

واذا هدم انسان داره ، التى أمره بهدمها ، وصل اليه في الحال قطار من الحمير لأخذ الطوب الذى يتساقط ... الا أن يكون من أهل القدرة على منعهم . وربما كانت هذه الأوامر حيلة على أخذ الأنقاض . وأما الأتربة فتبقى بحالها — حتى في طرق المارة — للعجز عن نقلها . فترى غالب الطرق والنواحي مردومة بالأتربة .

وأما الهدم ، ونقل الأنقاض من البيوت الكبار ، والدور الواسعة ، التى كانت مساكن الأمراء المصريين بكل ناحية — وخصوصا بركة النيل ، وجهة الجبائية — فهو مستمر ، حتى بقيت خرائب خربة ، ودعائم قائمة ، وكيانا هائلة ، واختلطت بها الطرق ، وأصبحت موحشة ... ولا مأوى بها حتى للبوم ! بعد أن كانت مراتع غزلان . فكنت كلما رأيتها أتذكر قول القائل :

هذى منازل أقوام عهدتهم
في خفض عيش نعيم ما له خطر

صاحت بهم نوب الأيام فارتحلوا
الى القبور فلا عين ولا أثر

وكذلك بولاق ، التى كانت منتزه الأحياء والرفاق ، فانه تسلط عليها كل من سليمان أغا السلحدار واسماعيل باشا ... في الهدم ، وأخذ أنقاض الأبنية لأبنيتهم ببر انبابة ، والجزيرة الوسطى بين انبابة وبولاق . فان سليمان أغا أنشأ بستانا كبيرا ببر انبابة ، وسوره وبنى به قصرا وسواقي ، وأخذ يهدم أبنية بولاق ، من الوكائل والدور ، وينقل أحجارها وأنقاضها في المراكب ، ليلا ونهارا ، الى البر الآخر . واسماعيل باشا كذلك

أنشأ بستانا وقصرا بالجزيرة ، وشرع أيضا في اتساع سرايته ومحل سكنه ببولاق ، وأخذ الدور والمساكن ، والوكائل ... من حد الشون القديم الى آخر وكالة الأبخاز العظيمة طولا فيهدمون الدور وغيرها من غير مانع ولا شافع ، وينقلون الأتقاض الى محل البناء .

وكذلك ولي خوجة شرع في بناء قصر بالبروضة ببستان . فهو الآخر يهدم ما يهدمه من مصر القديمة ، وينقل أتقاضه لبنائه ، وهلك قبل اتمامه ! وأما نصارنى الأرمن — وما أدراك ما الأرمن ! — الذين هم أخصاء الدولة الآن ، فانهم أنشأوا دورا وقصورا وبساتين بمصر القديمة لسكنهم فهم يهدمون أيضا وينقلون لأبنيتهم ماشاءوا ، ولا حرج عليهم ، وانما الحرج والمنع والحجر والهدم على المسلمين ، من أهل البلدة فقط !

ومنها : أن الباشا أمر ببناء مساكن للعسكر الذين أخرجهم من مصر ... بالأقاليم ، يسمونها القشلات ، بكل جهة من أقاليم الأرياف ، لسكن العساكر المقيمين بالنواحي ، لتضردهم من الإقامة الطويلة بالخيام ، في الحر والبرد ، واحتياج الخيام في كل حين الى تجديد وترقيع ، وكثير خدمة . وهى جمع قشلة — بكسر القاف وسكون الشين — وهى فى اللغة التركية المكان الشتوى ، لأن الشتاء فى لغتهم يسمى «قش» — بكسر القاف وسكون الشين — فكتب مراسيم الى النواحي بسائر القرى بالأمر لهم بعمل الطوب اللبن ، ثم حرقه وحمله الى محل البناء . وفرضوا على كل بلد وقرية فرضا ، وعددا معينا . فيفرض على القرية مثلا : خمسمائة ألف لبنه وأكثر ... بحسب كبر القرية وصغرها فيجمع كاشف الناحية مشايخ القرى ، ثم يفرض على كل شيخ قدرا وعددا من اللبن : عشرين ألفا ، أو ثلاثين ألفا ، أو أكثر ، أو أقل . ويلزم بضربها

وحرقتها ورفعها ، وأجلهم مدة ثلاثين يوما . وفرضوا على كل قرية أيضا مقادير من أفلاق النخل ، ومقادير من الجريد ... ثم فرضوا عليهم أيضا أشخاصا من الرجال لمحل الأشغال والعمائر ، يستعملونهم فى فعالة ثقل أدوات العمارة فى النواحي ، حتى الاسكندرية وخلافها . ولهم أجرة أعمالهم ، فى كل يوم ، لكل شخص سبعة أنصاف فضة لاغير ، ولمن يعمل اللبن أجرة أيضا ، ولشمن الأفلاق والجريد قدر معلوم ، لكنه قليل

ومنها : أنه توجه الأمر لكشاف النواحي ، عند انكشاف الماء عن الأراضي ، بأن يتقدموا الى الفلاحين : بأن من كان زارعا فى العام الماضى فدانى كتان ، أو حمص ، أو سمسم ، أو قطن ... فليزرع فى هذه السنة أربعة أفدنة ضعف ما تقدم لأن المزارعين عزموا على عدم زراعة هذه الأشياء لما حصل لهم من أخذ ثمرات متاعهم وزراعاتهم ، للمتى دفعوا خراجها الزائد ، بدون القيمة التى كانوا يبيعون بها ... مع قلة الخراج الذى كانوا يماطلون فيه الملتزمين السابقين ، مع التظلم ، والتشكى . فيزرع الزارع ما يزرعه من هذه الأشياء من التقاوى المتروكة فى مخزنه ، ثم يبيع الفدان من الكتان الأخضر فى غيطه ، ان كان مستعجلا ، بالثمن الكثير ... والا أبقاه الى تمام صلاحه ، فيجمعه ويدقه ويبيع ما يبيعه من البزر ، خاصة ، بأعلى ثمن ، ثم يتم خدمته ، من التعطين والنشر والتمحير ... الى أن يصفى ، وينظف من أدراجه وخشوناته ، وينصلح للغزل والنسج ، فيباع حينئذ بالأوقية والرطل . وكذا القطن والنيلة والعصر .

فلما وقع عليهم التحجير ، وحرموا من المكاسب ، التى كانوا يتوسعون بها فى معاشهم ، باقتناء المواشى والحلى للنساء ، قالوا : ما عدنا نزرع هذه الأشياء . وظنوا أن يتركوا على هواهم ،

والمناشر ، بأجرة العمال على طرفه ، ثم يباع بالثمن المفروض .

واتفق أن شخصا من أبناء البلد ، يسمى حسين جلبى عجوة ، ابتكر بفكره صورة دائرة ، وهى التى يدقون بها الأرز ، وعمل لها مثالا من الصفيح تدور بأسهل طريقة ... بحيث أن الآلة المعتادة اذا كانت تدور بأربعة أثوار ، فيدير هذه ثوران . وقدم ذلك المثال الى الباشا ، فأعجبه ، وأنعم عليه بدراهم ، وأمره بالمسير الى دمياط ، ويبنى بها دائرة ويهندسها برأيه ، ومعرفته . وأعطاه مرسوما بما يحتاجه من الأخشاب والحديد والمصرف ... ففعل ، وصح قوله ... ثم فعل أخرى برشيد ، وراج أمره ، بسبب ذلك .

ومنها : أن الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين شلبي هذا ، قال : « ان فى أولاد مصر نجابة ، وقابلية للمعارف » . فأمر ببناء مكتب بحوش السراية ، ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ، ومبايك الباشا ، وجعل معلمهم حسن أفندى — المعروف بالدوريش الموصلى — يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة ، وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات ، واستخراج المجهولات ... مع مشاركة شخص رومى ، يقال له : روح الدين أفندى ... بل وأشخاصا من الافرنج . وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الانكليز ، يأخذون بها الأبعاد ، والارتفاعات ، والمساحة . ورتب لهم شهريرات . وكساوى فى السنة .

واستبروا على الاجتماع بهذا المكتب ، وسبوه مهندس خانة ، فى كل يوم من الصباح الى بعد الظهر ، ثم ينزلون الى بيوتهم ، ويخرجون فى بعض الأيام الى الخلاء ، لتعليم مساحات الأراضى وقياساتها بالأقصاب ... وهو الغرض المقصود للباشا !

ونسوا مكر أوليائهم ، فنزل عليهم الأمر والالزام ، بزرع الضعف ... فضجوا ، وترجوا واستشفعوا ، ورضوا بمقدار العام الماضى ، فمنهم من سومح ، ومنهم من لم يسامح ... وهو ذو المقدرة .

وبعد اتمامه وكمال صلاحه ، يؤخذ بالثمن المفروض على طرف الميرى ، ويبيع لمن يشتري ، من أربابه أو خلائفهم ، بالثمن المقدر . وربح زيادته لطرف حضرة الباشا ... مع التضييق والحجر البليغ والفحص عن الاختلاس . فمن عثروا عليه باختلاس شيء ، ولو قليلا ، عوقب عقابا شديدا ليرتدع خلائفه . والكتبة والموظفون لتحرير كل صنف ووزنه وضبطه فى تنقالات أطواره ، وعند تسليم الصناع .

وتتج من ذلك وأثر عزة الأشياء ، وغلو الأسعار على الناس ، منها : أن المقطع القماش ، الذى كان ثمنه ثلاثين نصفًا ، بلغ سعره عشرة قروش ... مع عزة وجدانه بالأمسواق المعدة لبيعه ، مثل : سوق مرجوش وخلائفه ... خلا الطوافين به . والثوب البطانة ، الذى كان ثمنه قرشين ، بلغ ثمنه سبعة قروش ، وأدركناه فى الأزمان السابقة يباع بعشرين نصفًا . وبلغ ثمن الثوب من البفتة المحلاوى أربعة عشر قرشا ، وكان يباع — فيما أدركنا — بدكان التاجر بستين نصفًا ... وقس على ذلك !

وبسبب التحجير على النيلة ، غلا صبغ ثياب الفقراء ، حتى بلغ صبغ الذراع الواحد ، نصف قرش ... والله يلفظ بحال خلقه . وما دام «توزون» له امرأة مطاعة فالليل فى الجمر !

ومنها : استمر التحجير على الأرز ومزارعه ، على مثل هذا النسق ، بحيث أن الزراعين له التعبانين فيه ، لا يمكنون من أخذ حبة منه ، فيؤخذ بأجمعه لطرف الباشا ، بما قدره من الثمن ، ثم يخدم ويضرب ويبيض فى المداوير والمدقات ،

ومنها : استمرار الانشاء فى السفن الكبار والصغار ، لنقل الغلال من قبلى وبحرى لناحية الاسكندرية ، لتباع على الافرنج ... من سائر اصناف الجبوب . فيشحنون السفن من سواحل البلاد القبلية ، وتأتى الى ساحل بولاق ، ومصر القديمة ، فيصبونها كيما هائلة ، عظيمة ، صاعدة فى الهواء . فتصل المراكب البحرية لنقلها ، فتصبح ولا يبقى شئ منها . ويأتى غيرها ، وتعود كما كانت بالأمس ... ومثل ذلك بساحل رشيد . وأما الجبوب البحرية فانها لا تأتى الى هذه السواحل ، بل تذهب من سواحلها الى حيث هى برشيد ، ثم الى الاسكندرية .

ولما بطل البغاز ، جمعوا الحمبر الكثيرة والجمال ، ينقلون عليها على طريق البر بالأجرة القليلة ، فكافت تموت ، من قلة العلف ، ومشقة الطريق ، وتوسق بها السفن الواصلة بالطلب الى بلاد الافرنج بالثمن ، عن كل أردب من البر ستة آلاف فضة . وأما الفول والشعير ، والحلبة والذرة ، وغيرها من الجبوب والأدهان فأسعارها مختلفة ، ويعوض بالبضائع والنقود من الفرائسة ، معبأة فى صناديق صغيرة تحمل الثلاثة منها على بعير الى الخزينة — وهى مصفحة بالحديد — يرون بها قطارات الى القلعة .

وعند قلة الغلال ، ومضى وقت الحصاد ، يتقدم الى كشف النواحي القبلية والبحرية ، بفرض مقادير من الغلال على البلدان والقرى ، فيلزمون مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد ، من القمح والفول والذرة ، ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين ، وهم أيضا يعملون بفلاحي بلادهم ما يعملون بجورهم وأغراضهم ، ويأخذون الأقوات المدخرة للميال ، وذلك بالثمن : عن كل أردب من البر ثمانية ريال ، يعطى له نصفها ، ويبقى له النصف الثانى

ليحسب له من أصل المال الذى سيطالب به فى العام القابل .

ومنها : أن الباشا سنج له أن ينشئ بالمحل المعروف برأس الوادى ، بشرقية بليس ، سواقى وعمارات ومزارع وأشجارتوت وزيتون . فذهب هناك ، وكشف عن أراضيه ، فوجد لها متسعة ، وخالية من المزارع ... وهى أراضى رمال وأودية — فوكل أناسا لاصلاحها وتمهيدها ، وأن يحفروا بها جملة من السواقى ، تزيد عن الألف ساقية ، وينوا أبنية ومساكن ، ويزرعوا أشجار التوت لتربية دود القز ، وأشجارا كثيرة من الزيتون لعمل الصابون .

وشرعوا فى العمل والحفر والبناء ، وفى انشاء توايت خشب للسواقى ، تصنع بيت الجبجى بالتبانة ، وتحمل على الجمال الى رأس الوادى ، شيئا بعد شئ ، وأمر أيضا ببناء جامع الظاهر ببرس خارج الحسينية ، وأن يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه ، مثل الذى يصنع ببلاد الشام ، وتوكل بذلك السيد أحمد بن يوسف فخر الدين ، وعمل به أحواضا كبيرة للزيت والقلى .

ومن المتجددات أيضا : محل بخطة تحت الربع ، يعمل به وتسبك أوانى ودسوت من النحاس ، فى غاية الكبر والعظم .

ومنها : شغل البارود ، وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة ، بالقرب من المقياس ، بعد أن يستخرجوه من كيما السباح ، فى أحواض مبنية ومخففة ، ثم يكرروه بالطبخ ، حتى يكون ملح غاية فى البياض والحدة ، كالذى يجلب من بلاد الانكليز

والمتقيد كبيرا على صناعه شخص أفرنكى ، ولهم معالم تصرف فى كل شهر ، ومكان أيضا بالقلعة عند باب النكجيرية ، لسبك المدافع ، وعملها ، وقياساتها ، وهندستها ... والبنبات ، وارتفاعها

ومقاديدها ، وسمى ذلك المكان « الطبخانة »
وعليه رئيس وكتبة ، وصناع ، ولهم شهریات .
ومنها : شدة رغبة الباشا في تحصيل الأموال
والزيادة من ذلك من أى طريق بعد استيلائه على
البلاد ، والاقطاعات ، والرزق الأعباسية ، وابطال
الفراغ ، والبيع ، والشراء ، والمحلول عن الموتى
من ذلك ، والعلوفات ، وغلل الأنبار ، ونحو ذلك .
فكل من مات عن حصته أو رزقه أو مرتب ، انحل
بسوته ما كان على اسمه ، وضبط ، وأضيف الى
ديوانه ... ولو له أولاد ، أو كان هو كتبه باسم
أولاده ، وماتت أولاده قبله ، انحل عنه ، وأصبح
هو وأولاده من غير شيء . فان أعرض حاله على
الباشا ، أمر بالكشف عن إيراده ، فان وجدوا
بالدفاتر جهة أو وظيفة أخرى ، قيل له : هذه تكفيك .
وان لم يوجد في حوزة خلافها ، أمر له بشيء
يستغله من أقلام المكوس : اما قرش ، أو نصف
قرش في كل يوم ، أو نحو ذلك .

هذا مع التفاته ورغبته في أنواع التجارات
والشركات ، وانشاء السفن ببحر الروم والقلزم .
وأقام له وكلاء بسائر الأساكن ، حتى ببلاد فرانسة
والانكليز ، ومالطة ، وأزمير ، وتونس ، والنابلطان
والونديك والبنادقة ، واليمن والهند ، وأعطى
أناسا جملا عظيمة من أموال يسافرون بها ،
ويجلبون البضائع ، وجعل لهم الثلث في الربح ،
في نظير سفرهم ، وخدمتهم . فمن ذلك أنه أعطى
للرئيس حسن المحروقي خمسمائة ألف فرانسة
يسافر بها الى الهند ويشتري البضائع الهندية ،
ويأتى بها الى مصر ، ولشخص نصراني أيضا
ستمائة ألف فرانسة . وكذلك لمن يذهب الى بيروت ،
وببلاد الشام لمشتري القز والحريز ، وغير ذلك .

وعمل بمصر أماكن ومصانع لنسج القطنى ،
التي يتخذها الناس في ملابسهم من القطن والحريز ،
وكذلك الجنفس والصندل . واحتكر ذلك بأجمعه ،

وأبطل دواليب الصناعات لذلك ومعلمهم ، وأقامهم
يشتغلون ، وينسجون في المناسج التي أحدثها
بالأجرة ، وأبطل مكاسبهم أيضا وطرائقهم التي
كانوا عليها . فيأخذ من ذلك ما يحتاجه في اليكيات
والكساوى ، وما زاد يرميه على التجار ، وهم
يبيعونه على الناس بأعلى ثمن ، وبلغ ثمن الدرهم
من الحريز خمسة وعشرين نصفا ، بمقد أن كان
يبيع بنصفين .

ومنها : أنه أبطل ديوان المنجرة ، وهى عبارة عما
يؤخذ من المعاشات ، وهى المراكب التي تندو
وتروح لموارد الأرياف مثل : شيبين السكوم ،
وسمنود والبلاد البحرية ، وعليها ضرائب وفرائض
للملتزم بذلك ، وهو شخص يسمى : على الجزار .
وسبب ذلك أن معظم المراكب التي تصعد ببحر
النيل وتنحدر من انشاء الباشا ، ولم يبق لغيره
الا القليل جدا . والعمل والانشاء بالترسخانة
مستمر على الدوام ، والرؤساء والملاحون يخدمون
فيها بالأجرة ، وعمارة خللها وأجبالها ، وجميع
احتياجاتها على طرف الترسخانة ، ولذلك مباشرين
وكتاب وأمناء يكتبون ، ويقيدون الصادر والوارد .
وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الأخشاب
الكثيرة والمتنوعة ، وما يصلح للعمائر والمراكب ،
ويأتى اليها المجلوب من البلاد الرومية ، والشامية .
فاذا ورد شيء من أنواع الأخشاب سمحوا للخشابة
بشيء يسير منها ، بالثمن الزائد ، ورفع الباقي الى
الترسخانة . وجميع الأخشاب الواردة والأحطاب
جميعها في متاجر الباشا ، وليس لتجارها الا ما كان
من داخل متاجره ، وهو القليل .

ومن النوادر : أنه وصل من بلاد الانكليز
سواقى بالآلات الحديد تدور بالماء ، فلم يستقم
لها دوران على بحر النيل .

ومنها : أنه أنشأ جسرا منتدا من ناحية قنطرة
الليمون — على يمنة السالك الى طريق بولاق —

متصلا الى شبرا على خط مستقيم . وزرعوا
حافتيه أشجار التوت ، وعلى هذا النسق جسور
ب طرق الأرياف والأقاليم .

ومنها : أن اللحم قل وجوده من أول شهر
رجب الى غاية السنة ، وغلا سعره مع رداءته
وهزاله ... حتى بيع الرطل بعشرين نصفا ، وأزيد
وأقل ، مع ما فيه من العظام وأجزاء السقط
والشفت . وسبب ذلك رواتب الدولة ، وأخذها
بالثمن القليل ، فيستعوض الجزائريون خسارتهم
من الناس . وكان البعض من العسكر يشتري
الأغنام ويذبحها ، ويبيعها بالثمن الغالي ، وينقص
الوزن ، ولا يقدر ابن البلد على مراجعته .

ومنها : أن ابراهيم آغا — الذي كان كتخدا
ابراهيم باشا — قلده الباشا كشوفية المنوفية ، فمن
أفاعيله : أنه يطلب مشايخ البلدة أو القرية ، فيسال
الشخص منهم على من شيخه فيقول : « أسناد
البلدة » . فيقول له : « في أي وقت ؟ » ، فيقول :
« سنة كذا » . فيقول : « وما الذي قدمته له في
شياختك ؟ » . ويهدده أو يجسه على الانكار ، أو
يخبر من بادىء الأمر ، ويقول : « أعطيته كذا
وكذا » . اما دراهم ، أو أغناما ، فيأمر الكاتب
بتقييده وتحريره وضبطه على الملتزم ، وسطر
بذلك دفترا وأرسله الى الديوان ليخضم على
الملتزمين من فائظهم المحرر لهم بالديوان . فيتفق
أن المحرر عليه يزيد على القدر المطلوب له فيطالب
بالباقى أو يخضم عليه من السنة القابلة !

ومنها : التحجير على القصب الفارسي ، فلا يتمكن
أحد من شراء شيء منه — ولو قصبه واحدة — إلا
برسوم من كتخدا بيك . فمن احتاج منه في عمارة
أو شبك ، أو لدورات الحرير ، أو أقصاب
الدخان ، أخذ فرمانا بقدر احتياجه ، واحتاج الى
وسائط ومعالجات واحتجاجات حتى يظفر بمطلوبه .
ومنها : — وهى من محاسن الأفعال — أن

الباشا أعمل همته في إعادة السد الأعظم المتسد
الموصل الى الاسكندرية ، وقد كان اتسع أمره
وتخرب من مدة سنين ، وزحف منه ماء البحر
المالح ، وأتلف أراضى كثيرة ، وخربت منه قرى
ومزارع ، وتعطلت بسببه الطرق والمسالك ،
وعجزت الدول في أمره ، ولم يزل يتزايد في التهور
وزحف المياه المالحة على الأراضى حتى وصلت
الى خليج الأشرفية — التى يمتلىء منها صهاريج
الشعر — فكانوا يجسرون عليه بالأثربة والطين ،
فلما اعتنى الباشا بتعبير الاسكندرية ، وتشيد
أركانها وأبراجها وتحصينها ولم تزل بها
العمارات ، اعتنى أيضا بأمر الجسر ، وأرسل اليه
المباشرين والقومة والرجال والفعلة والتجارين
والبنائين والمسامير وآلات الحديد والأحجار والمؤن
والأخشاب العظيمة ، والسبوم والبراطيم حتى
تممه وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه
الأزمان فلو وفقه الله بشيء من العدالة — على
مافيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير
والمطاولة — لكان أعجوبة زمانه ، وفريد أوانه

وأما أمر العاملة ، فلم يزل حالها فى التزايد حتى
وصل صرف الريال الفرانسة الى تسعة قروش ،
وهو أربعة أمثال الريال المتعارف ولما بطل
ضرب القروش من العام الماضى ، ضربوا بدلها
أنصاف قروش وأرباعها وأثمانها ، وتصرف بالقرط
والأنصاف العادية لا وجود لها بأيدي الناس ...
الا ما قل جدا . فاذا أراد انسان منها ، دفع
فى ابدالها عشرة قروش : عنها أربعمائة نصف فضة
زيادة على المبدل ان كان ذهباً أو فرانسة أو قروشا
ووصل صرف البندقى الى ثمانمائة نصف ، والمحر
ثمانية عشر قرشا ، والمحجوب المصرى الى أربعمائة ،
والاسلامبولى الى أربعمائة وثمانين ... كل ذلك أسماء
لا مسميات لانعدام الانصاف ، مع أنه يضرب
منها المقادير والقناطير ، يأخذها التجار الشاميون

والروميون بالفرط ، ثم يرسلونها متاجر بدلا عن البضائع ، لأن الريال في تلك البلاد صرفه ثلثائة نصف فقط . فيكون فيه من الربح ستون نصفا في كل ريال .

ولما علم الباشا ذلك . جعل يرسل لوكلائه بالشام في كل شهر ألف كيس من الفضة العديدة ويأتيه بدلها فرانسة ، فيضيف عليها ثلاثة أمثالها نحاسا ، ويضربها فضة عديدة فيربح فيها ربحا — بدون جاء (أى بدون ربا) — عظيما ، وهكذا من هذا الباب فقط .

ومن حوادث السنة الآفاقية : واقعة الانكليز مع أهل الجزائر ، وهو أن لأهل الجزائر صولة واستعدادا وغزوات في البحر ، ويغزون مراكب الافريج ، ويغتسمون منها غنائم ، ويأخذون منهم أسرى ، وتحت أيديهم من أسارى الانكليز وغيرهم شيء كثير ، وميتهم حصينة يدور بها سور خارج في البحر كصف الدائرة في غاية الضخامة والمتانة ، ذو أبراج مشحونة بالمدافع والقنابر والمراطين والمحارين ، ومراكبهم من داخله ، فوصل اليهم بعض مراكب الانكليز ، ومعهم مرسوم من السلطان العثماني . ليفتدوا أسارهم بمال ، فأعطوهم ما يزيد عن الألف أسير ، ودفعوا عن كل رأس أسير مائة وخمسين فرانسا ، ورجعوا من حيث أتوا .

وبعد مدة وصل منهم بعض سفائن الى خارج المينا ، رافعين أعلام السلم والصلح . فعبروا داخل المينا من غير ممانع ، ونزل منهم أنصار في فلوكة ، ويدهم مرسوم بطلب باقى الأسرى ، فامتنع حاكمهم من ذلك ، وترددوا في المخاطبات ، وفي أثناء ذلك وصلت عدة مراكب من مراكبهم ، وشلنبات — وهى المراكب الصغار المعدة للحرب — وعبروا مع مساعدة الريح الى المينا ، وأثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة ، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر مع المضاربة أيضا من أهل

المدينة ، مع تأخر استعدادهم ، وسرعة استعداد الخضم ، ومدافع الأبراج الداخلة لا تصيب الشلنبات الصغيرة المتسقلة — وهم لا يخطئون . ثم هم في شدة الغارة والحرب ، اذ قيل للحاكم بأن عساكره الأتراك تركوا المحاربة ، واشتغلوا بنهب البلدة ، ولحراق الدور ، فسقط في يده ، واحتار في أمره ... ما بين قتال العدو الواصل ، أو قتال عسكره ومنعهم وكفهم عن النهب والاحراق والفساد — وهذا شأنهم — فلم يسعه الا خفض الأعلام ، وطلب الأمان من الانكليز ، فعند ذلك أبطلوا الحرب ، وكفوا عن الضراب .

وترددوا في الصلح على شرائطهم .. التى منها : تسليم بواقى الأسرى ، واسترداد المال الذى سلموه في الفداء السابق حالا من غير مهلة . فكان ذلك ، وتسلموا الأسرى .

وفيه من كان صغيرا وأسلم وقرأ القرآن واتفقوا على المتاركة والمهلة زمنا مقداره ستة أشهر ، ورجعوا الى بلادهم بالظفر والأسرى .
والأمر لله وحده !

ثم ان الجزائرية اجتهدوا في تعمير مათهم وتخرب من السور والأبراج والجامع في الحرب ، وكذلك ما أخربه عساكرهم ، الذين هم أعدى من الأعداء — وأضر ما يكون على الاسلام وأهله . وسارت الأخبار بذلك فى الآفاق ، وأمدتهم سلطان المغرب مولاي سليمان ، وبعث اليهم مراكب عوضا عن الذى تلف من مراكبهم ، فأرسل اليهم معمرين وأدوات ولوازم عمارات ، وكذلك حاكم تونس وغيرها ، ومن السلطان العثماني أيضا .

ولم يتفق فيما نعلم لأهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة ، ولا أشنع منها . وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوال من السنة ، وهو يوم عيد القطر ، وكان عيدا عليهم فى غاية الشناعة ...

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ...

يحفظ جمع الجوامع ، مع شرحه للجلال المحلى فى الأصول ، ومختصر السعد ، ويقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة .

وكان انسانا حسنا مهذبا متواضعا ، ولا يرى لنفسه مقاما ... عاش معانقا للخمول فى جهد وقلة من العيش ، مع العفة وعدم التطلع لغيره ، صابرا على مناكدة زوجته . وبأخرة أصيب فى شقه بداء الفالج انقطع بسببه أشهرا ، ثم انجلى عنه يسيرا مع سلامة حراسه ، وعاد الى الاقراء والافادة .

ولم يزل على حسن حاله ، ورضاه وانشراح صدره ، وعدم تضجره وشكواه للمخلوقين الى أن توفى فى شهر جمادى الثانية سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف . رحمه الله وايانا .

ومات الشيخ العلامة ، والنحرير الفهامة : السيد أحمد بن محمد بن إسماعيل ، من ذرية السيد محمد الدوقاطى الطهطاوى الحنفى .

والده رومى حضر الى أرض مصر متقلدا القضاء بطهطا — بلدة بالقرب من أسيوط بالصعيد الأدنى — فتزوج بامرأة شريفة فولد له منها المترجم ، وأخوه السيد اسماعيل . ولم يزل مستوطنا بها الى أن مات وترك ولديه المذكورين وأختا لهما .

حضر المترجم الى مصر فى سنة احدى وثمانين ومائة وألف — وكان قد بدأ نبات لحيته — بعدما حفظ القرآن ببلده ، وقرأ شيئا من النحو ، فدخل الأزهر ولازم الحضور فى الفقه على الشيخ أحمد

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر : مات الشيخ الفهامة ، والنحرير العلامة ، الفقيه النحوى الأصولى .. ابراهيم البسيونى البجيرمى الشافعى . وهو ابن أخت الشيخ موسى البجيرمى .. الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد .

حضر جل الأشياء المتقدمين ، وهو فى عداد الطبقة الأولى ، ودرس وأفاد ، وانتفع به الطلبة ... بل غالب الناس .

كان طارحا للتكلف ، متقشفا مع التواضع والانكسار ، ملازما على العبادة ، مستحضرا للفروع الفقهية والمعقولية ، والمناسبات الشعرية ، والشواهد النحوية والأدبية .. جيد الحافظة ، لا تمل مجالسته ومؤانسته . ولم يزل على حالته وافادته ، وانجماعه وعفته ، حتى تمرض وتوفى يوم السبت ، منتصف المحرم من السنة ، عن نحو الخمسة وسبعين ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل . رحمه الله تعالى وايانا .

ومات الشيخ العلامة ، الأصولى ، الفقيه النحوى : على الحضاوى الشافعى ... نسبة الى بلدة بالقليوبية تسمى الحصنة .

حضر الى الجامع الأزهر صغيرا ، وحفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس الأشياء : كالشيخ على العدوى المنفى الشهير بالصعيدى ، والشيخ عبد الرحمن النحرورى الشهير بالمقبرى . ولازم الشيخ سليمان الجمل ، وبه تخرج . وحضر على الشيخ عبد الله الشرفاوى مصطلح الحديث . وكان

الناحية وأكابرهم ، واعتنوا بشأنه ، وأسكنوه في دار تليق به ، وهادوه ، وواسوه ، وأكرموه .

وكانت تلك الناحية عامرة بأكابرها . وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم ، وأصله من جنس الأتراك ، وخلو تلك النواحي من أهل العلم — وخصوصا الأحناف — وملازمة المترجم للحالة المحمودة من الافادة ... مع ترف النفس ، والتباعد عما يخل بالمروءة — الا ما يأتيه عفوا — فازدادت محبتهم له ، ووثقوا فيما يقضيه .

ثم تصدى لوقف الشيخونيتين وإيرادهما ، واستخلاص أماكنهما ، وشرع في ترميمهما . وساعده على ذلك كل من كان يحب الإصلاح ، فجدد عمارة المسجد والتكية ، وأنشأ بها صهريجا . وفي أثناء ذلك انتقل بأهله الى دار مليحة بجوار المسجد — بالدرب المعروف بدرب الميضاة — وقفها بانيها على المسجد .

كل ذلك والمترجم لم ينقطع عن الحضور الى الأزهر في كل يوم ، ويقرا درسه أيضا بالجامع . ولما كثرت جماعته ، انتقل الى المدرسة العينية بالقرب من الأزهر .

ولما عمر محمد أفندي الودنلي الجامع المجاور لمنزله ، تجاه القنطرة المعروفة بعمارشاه ، والمكتب ... قرر المترجم في درس الحديث بها في كل يوم بعد العصر ، وقرر له عشرة من الطلبة ، ورتب للشيخ والطلبة معلوما وأفرا يقبض من الديوان .

ولما مات الشيخ إبراهيم الحريري ، عين المترجم لمشيخة الحنفية ، فتقلدها على امتناع منه ، فاستبرأ الى أن أخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيًا ، وكتبوا في شأنه عرضحالا الى الدولة ، نسبوا اليه فيه أشياء لم تحصل منه ، وطلبوا الشهادة فيها ... فامتنع . فشنعوا عليه ، وبالغوا في

الحماقي ، والمقدسي ، والحريري ، والشيخ مصطفى الطائي ، والشيخ عبد الرحمن العريشي ... حضر عليه من أول كتاب الدر المختار الى كتاب البيوع ، وتم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة ، لتوجه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن أمر على بيك في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف . فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الوالد ، فأجابهم لذلك . فكانوا يأتون للتلقى عنه في المنزل ، والمترجم معهم .

وفي أثناء ذلك قرأت مع المترجم على الوالد متن نور الايضاح بعد انصراف الجماعة عن الدرس وتخلف المترجم ... وذلك لعلو السند ، فان الوالد تلقاه عن ابن المؤلف ، وهو عن جد الوالد ، عن المؤلف . وجد الوالد والمؤلف يسميان « بحسن » فهو من عجب الاتفاق .

وكان المترجم يلائم طبع الفقير في الصحبة ، فكنت معه في غالب الأوقات ، اما في الجامع أو في المنزل ، للطاقة طبعه . وقرب سني من سنه . وكان الوالد يرى ذلك ، ويسألني عنه اذا تخلف في بعض الأحيان ، ويقول : « أين رفيقك الصعيدي ؟ » . فكان يعيد معي ويفهمني ما يصعب على فهمه . ولم يزل يدأب في الاشتغال والطلب ، مع جودة ذهنه ، وخلو باله وتفرغه ... والفقير بخلاف ذلك (١) .

وتلقى المترجم الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ عبد العليم الفيومي ... ثلاثتهم عن الشيخ على العدوي المنسي ، عن الشيخ محمد عقيلة بسنده المشهور .

ولما ترشح للافادة والتدريس — وكان مسكنه بناحية الصليبة — جلس للاقراء بالمدرسة الشيخونية والمرغتمشية ، واحتف به سكان تلك

(١) يعني نفسه .

سامعه أنه مجيد في ذلك الفن ، منفرد به . وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك بقوة الفهم والحفظ ، وما فيه من القابلية ، فيستغنى بذلك عن التلقى من الأشياء .

وأيضاً فقد انقضى أهل الفنون ، فيحفظ اصطلاحات الفن وأوضاع أهله ، ويبرزه في ألفاظ ينمقها ويحسنها ، ويذكر أسماء كتب مؤلفة ، وأشياء وحكما يقل الاطلاع عليها والوصول إليها . ولمعرفته باللغات خالط كل ملة حتى يظن أهل كل ملة أنه واحد منهم ، ويحفظ كثيراً من الشبه والمدرجات العقلية والبراهين الفلسفية .

وأهل الواجبات الشرعية والفرائض القطعية ... وربما قلد كلام الملحنين وشكوك المارقين ، ويزلق لسانه في بعض المجالس بغلطيات من ذلك ووساوس . فلذلك طعن الناس عليه في الدين ، وأخرجوه عن اعتقاد المسلمين ، وساءت فيه الظنون ، وكثر عليه الطاعنون ، وصرحوا بعد موته بما كانوا يخفونه في حياته لالتقاء شره وسطواته .

وكان له تداخل عجيب في الأعيان ، ومع كل أهل دولة وزمان ، ورؤساء الكتبة والمباشرين من الأقباط والمسلمين ... بالمعزة الزائدة ، واستجلاب الفائدة . لا تمل مجالسته ولا معاشرته .

وبأخرة لما رغب الباشا في انشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة ، تعين المترجم رئيساً ومعلماً لمن يكون متعلماً بذلك المكتب . وذلك أنه تداخل بتحليلاته لتعليم ممالك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ، ورتب له خروجاً وشهرة ، ونجب تحت يده بعض الممالك في معرفة الحسابيات ونحوها .

وأعجب الباشا ذلك ، فذاكره وحسن له بأن يفرد مكاناً للتعليم ، ويضم إلى ممالكه من يريد

الحظ عليه ، وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسين المنصوري . فلما مات المذكور ، أعيد المترجم إلى مشيخة الحنفية — وذلك في غرة شهر صفر سنة ألف ومائتين وثلاثين — ولبس الخلع من الشيخ الشنواني ، شيخ الجامع ، ثم من الباشا ، وباقي المشايخ أرباب المظاهر ، ولم يختلف عليه اثنان .

وفي هذه السنة استأذن الفقير في بناء مقبرة يدفن فيها إذا مات ، بجوار الشيخ أبي جعفر الطحاوي بالقرافة ، لكوني ناظراً عليها . فأذنت له في ذلك ، فبنى له قبراً بجانب مقام الأستاذ . ولما توفي دفن فيه .

وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد الغروب ، خامس عشر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف . وله من المآثر حاشية على الدر المختار : شرح تنوير الأبصار في أربعة مجلدات ، جمع فيها المواد التي على الكتاب ، وضم إليها غيرها .

ومات النجيب الأريب ، والنادرة العجيب ... أعجوبة الزمان ، وبهجة الخلان : حسن افندي — المعروف بالدرويش الموصلي ، كما أخبر عن نفسه — الذكي الألمي ، والسميدع اللودعي . كان انساناً عجيباً في نفسه ، مميّزاً شهيراً في مصره . طاف البلاد والنواحي ، وجال في الممالك والضواحي ، واطلع على عجائب المخلوقات ، وعرف الكثير من الألسن واللغات ، ويعتزى لكل قبيل ، ويخالط كل جيل : فمرة ينتسب إلى فارس ، وأخرى إلى بنى مكائن ، فكأنه المعنى بما قيل :

طسورا يمان اذا لاقيت ذا يمن

وان رأيت معسدياً فعدناني

هذا مع فصاحة لسان ، وقوة جنان ، والمشاركة في كل فن من الرياضيات والأديبات ... حتى يظن

التعليم من أولاد الناس . فأمر بإنشاء ذلك المكتب، وحضر اليه أشياء من آلات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الانجليز وغيرهم .

واستجلب من أولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية للتعليم . ورتبوا لكل شخص شهرية وكسوة في آخر السنة . فكان يسعى في تعجيل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين أقرانه ، ويواسى من يستحق المواساة ، ويشترى لهم الحميم مساعدة لطلوعهم ونزولهم الى القلعة ... فيجتمعون للتعليم في كل يوم من الصباح الى بعد الظهر .

وأضيف اليه آخر حضر من اسلامبول له معرفة بالحسابات والهندسيات لتعليم من يكون أعجميا لا يعرف العربية ، مساعدا للترجم في التعليم ، يسمى روح الدين أفندي . فاستمر نحو من تسعة أشهر .

ومات المترجم ... وذلك أنه افتصد وطلع الى القلعة ، فحنق على بعض المتعلمين وضربه ، فانحلت الرفادة ، فسال منه دم كثير فحمى مختلطة ، واستمر أياما وتوفى ، ودفن بجامع السراج البلقيني بين السيارج .

وعند ذلك زاد قول الشامتين ، وصرحوا بما كانوا يخفونه في حياته . فيقول البعض : « مات رئيس الملحدين » ! وآخر يقول : « انهدم ركن الزندقة » . ونسبوا اليه أن عنده الكتاب الذي ألفه ابن الراوندي لبعض اليهود وسماه « دافع القرآن » ، وأنه كان يقرأه ويعتقد به . وأخبروا بذلك كتخدا بيك ، فطلب كتبه ، وتصفحوها فلم يجدوا بها ذلك الكتاب . وما كفى مبغضه وحاسده من الشناعات حتى رأوا له منامات شنيعة تدل على أنه من أهل النار ! والله أعلم بخلقه .

وبالجملة فكان غريبا في بابه . وكانت وفاته يوم

الخميس سابع عشرى جمادى الثانية من السنة ، وانفرد برياسة المكتب روح الدين أفندي المذكور .

ومات الأجل المكرم « الشريف غالب » بسلانيك وهو المنفصل عن عمارة مكة وجدة والمدينة وما انضاف الى ذلك من بلاد الحجاز ... فكانت امارته نحو من سبع وعشرين سنة ، فانه تولى بعدموت الشريف سرور في سنة ثلاث ومائتين وألف .

وكان من دهاة العالم ، وأخباره ومناقبه تحتاج الى مجلدين . ولم يزل حتى سلط الله عليه بأفاعيله هذا الباشا ، فلم يزل يخادعه ، حتى تمكن منه وقبض عليه ، وأرسله الى بلدة سلانيك . وخرج من سلطنته وسيادته الى بلاد الغربية ، ونهبت أمواله ، وماتت أولاده وجواريه ، ثم مات هو في هذه السنة .

ومات الأمير مصطفى بيك دالى باشا ، وهو قريب الباشا ونسيبه أيضا ، وكان من أعظم أركان دولته ... شهير الذكر ، موصوفا بالاقدام والشجاعة . ومات بالاسكندرية . ولما وصل خبره الى الباشا اغتم غما شديدا ، وتأسف عليه .

وكان الباشا ولاء كشوفية الشرقية ، وقرن به على كاشف ... فأقام بها نحو الستين ، ومهد البلاد ، وأخاف العربان وأذلهم ، وقتل منهم الكثير وجمع لمخدومه أموالا جبة .

وكان جسيما بطينا ... يأكل التيس المخصى وحده ، ويشرب عليه الزق من الشراب ، ثم يتبعه بشالية أو اثنتين من اللبن ، ويستلقى نائما مثل العجل العظيم ذى الحوار ! الا أنه كان يقضى حاجة من التجأ اليه ، ويجب أولاد الناس ويواسيهم ، ويتجاوز عن الكثير ، ويعطى ما يلزمه من الحقوق لأربابها .

ولما تحققت أخته ، التى هى زوج الباشا ، وكذلك والدته ... أمرتا باحضار رمتة الى مصر ، وبدفن بمدفنتهم . وتعين لذلك سليمان أغا السلحدار ، فسافر الى الاسكندرية ، ووضعها فى صندوق مزفت على عريية ، ووصل به بعد اثنى عشر يوما من موته . وكان وصوله فى ثالى ساعة من ليلة الجمعة سادس عشرى جمادى الثانية . وذهبوا به الى المدفن فى المشاعل من خلف المجرة .

فلما وصلوا الى المدفن ، أرادوا النزاله الى القبر بالصندوق ، فلم يمكنهم . فكسروا الصندوق ، فعمقت رائحته ، وقد تهرى ، فهرب كل من كان حاضرا ، فكبوه على حصير ولفوه فيه ، وأنزلوه الى الحفرة . وغشى على الفحارين ، وجزعت النفوس من رائحة أخشاب الصندوق . فحثوا عليه الأتربة ... وليس من يفكر أو يعتبر !

ومات أيضا حسن أغا ، حاكم بندر السويس ، مطعوناً . فولى الباشا عوضه السيد أحمد الملا الترجبان .

ومات أيضا سليمان أغا حاكم رشيد .

ومات الأمير الكبير الشهير بإبراهيم بيك المحمدي ... عين أعيان أمراء الألوف المصريين . وومات بدقلة متغربا عن مصر وضواحيها ، وهو من ممالك محمد بيك أبى الذهب .

تقلد الامرة والامارة فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، فى أيام على بيك الكبير ، وتقلد مشيخة البلد ورياسة مصر ، بعد موت أستاذة ، فى سنة تسع وثمانين ومائة وألف ، مع مشاركة خشدائه مراد بيك وباقى أمرائهم ... والجميع راضون برأسته وامارته : لا يخالفهم ولا يخالفونه ،

ويراعى جانب الصغير منهم قبل الكبير ، ويحرص على جميعية أمرهم وألفة قلوبهم ... فطالت أيامه ، وتولى قائم مقامية مصر على الوزراء نحو العشرة مرارا .

وطلع أميرا على الحج فى سنة ست وثمانين ، وتولى الدفتردارية فى سنة سبع وثمانين ... وكلاهما فى حياة أستاذة ، واشترى المالك الكثيره ورباهم وأعتقهم ، وأمر وقلد منهم صنابق وكشافا ، وأسكنهم الدور الواسعة ، وأعطاهم الاقطاعات . ومات الكثير منهم فى حياته ، وأقام خلفهم من ممالكه ، ورأى أولاد أولاده ... بل وأولادهم ، وما زال يولد له ، وأقام فى الامارة نحو ثمان وأربعين سنة ، وتنعم فيها ، وقاسى فى أواخر أمره شدائد واغترابا عن الأهل والأوطان . وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ، وبأشر عدة حروب . وكان ساكن الجاش ، صبورا ذا ثؤدة وحلم ، قريبا للاقتياد للحق ، متجنباً للمزل .. الا نادرا ، مع الكمال والحشمة . لا يحب سيفك الدماء ، مرخصا لخشداشيينه فى أفاعيلهم ، كثير التغافل عن مساوئهم مع معارضتهم له فى كثير من الأمور ... وخصوصا مراد بيك وأتباعه . فيغضى ويتجاوز ، ولا يظهر غما ولا خلافا ولا تأثرا ... حرصا على دوام الألفة وعدم المشاغبة . وإن حدث فيما بينهم ما يوجب وحشة ، تلافاه وأصلحه .

وكان هذا الاهمال والترخص والتغافل سببا لمبادئ الشرور ، فانهم تبادوا فى التعدى ، وداخلهم الغرور ، وغمرتهم الغفلة عن عواقب الأمور ، واستصغروا من عداهم ، وامتدت أيديهم لأخذ أموال التجار وبضائع الافرنج الفرنساوية وغيرهم ، بدون الثمن ... مع الحقارة لهم ولغيرهم ، وعدم المبالاة والاكتراث بسلطانهم الذى يدعون أنهم فى طاعته ، مع مخالفة أوامره ، ومنع خزنته ، واحتقار الولاة ، ومنعهم من التصرف ، والحجر

عليهم ، فلا يصل للمولى عليهم الا بعض صدقاتهم ... الى أن تحرك عليهم حسن باشا الجزائريلى فى سنة مائتين وألف ، وحضر على الصورة التى حضر فيها ، وساعدته الرعية . وخرجوا من المدينة الى الصعيد ، و انتهكت حرمتهم ... ثم رجعوا — بعد الفصل — فى سنة ست ومائتين الى امارتهم ودولتهم ، وعادوا الى حالتهم الأولى ... بل وأزيد منها فى التعدى ، فأوجب ذلك ركوب الفرنساوية عليهم .

ولم يزل الحال يتزايد ، والأهوال يتلو بعضها بعضا حتى اقبلت أوضاع الديار المصرية ، وزالت حرمتها بالكلية . وأدى الحال بالمرجئ الى الخروج والتشتيت والتشريد ، هو ومن بقى من عشيرته ، الى بلاد العبيد : يزرعون الدخن ، ويتقوتون منه ، وملابسهم القمصان التى يلبسها الجلابة فى بلادهم ... الى أن وردت الأخبار بموته فى شهر ربيع الأول من السنة .

وأما جملة أخباره فقد تقدمت فى ضمن السوابق والماجريات واللواحق .

ومات الأمير الأجل : أحمد أغا الخازندار ، المعروف « بيونبارته » . وهو أيضا شهير الذكر من أعظم الدولة ، وقد تقدم كثير من أخباره وسفره الى الحجاز . وكان عمر دارا عظيمة على بركة الأزيكية — جهة الرويعى — ثم عمل مهما كبيرا لزواج ابنه ، وهو اذ ذاك مريض فى حياض الموت ، حتى أشيع فى الناس يوم زفة العروس ، ثم مات بعد أيام قليلة مضت من الفرح . وذلك يوم الأربعاء ثالث شهر جمادى الثانية .

وماتت الست الجليلة « خاتون » ، وهى سرية على بيك بلوط قبان الكبير . وكانت محظيته ،

وبنى لها الدار العظيمة على بركة الأزيكية بدرب عبد الحق ، والساقية والطاحون بجانبها . ولما مات على بيك ، وتأمر مراد بيك ، تزوج بها . وعبرت طويلا مع العز والسيادة والكلمة النافذة . وأكثر نساء الأمراء من جوارىها ، ولم يأت ، بعد الست شويكار ، من اشتهر ذكره وخبره ... سواها .

ولما كان أيام الفرنساوية ، واصطلح معهم مراد بيك ، حصل لها منهم غاية الكرامة ، ورتبوا لها من ديوانهم فى كل شهر مائة ألف نصف فضة ، وشفاعتها عندهم مقبولة لا ترد .

وبالجملة فانها كانت من الخيرات . ولها على الفقراء بر واحسان ، ولها من المآثر الخان الجديد والصهرىج داخل باب زويلة .

توفيت يوم الخميس لعشرين من شهر جبادى الأولى بمنزلها المذكور . بدرب عبد الحق ، ودفنت بحوشهم فى القسرافة الصغرى بجوار الامام الشافعى ، وأضيفت الدار الى الدولة ، وسكنها بعض أكابرها ... وسبحان الحى الذى لا يموت .

ومات المقر الكريم المخدم : أحمد باشا ، الشهير بطوسون ، ابن حضرة الوزير محمد على باشا مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور وما أضيف اليها .

وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية ، وتوجهه الى الاسكندرية ، ورجوعه الى مصر ، ثم عوده الى ناحية رشيد ... وعرضى خيسامه جهة الحماد بالعسكر على الصورة المذكورة . وهو ينتقل من العرضى الى رشيد ، ثم الى برنال وأبى منصور والعزب .

ولما رجع من هذه المرة ، أخذ صحبته من مصر المغنين ، وأرباب الآلات المطربة بالعود والقانون ، والناس الكينجات ، وهم : ابراهيم الوراق ،

من غير ترتيب ، والجميع مشاة أمامه وخلفه ، وليس فيها من جوقات الجنائز المعتادة — كالفقهاء وأولاد الكتائب والأحزاب — شيء ، من ساحل بولاق على طريق المدابغ ، وباب الخرق على الدرب الأحمر ، على التبانة الى الرميّة ... فصلوا عليه بمصلى المؤمنين ، وذهبوا به الى المدفن الذى أعده الباشا لنفسه ولمواته .

كل هذه المسافة ووالده خلف نعشه ينظر اليه ويكى ، ومع الجنازة أربعة من الحمير تحمل القروش وربعات الذهب ودراهم أنصاف عديدة ، ينثرون منها على الأرض وعلى السكيان ! وعن يمين الكتخدا ويساره شخصان يتناول منهما قراطيس الفضة يفرق على من يتعرض له من الفقراء والصبيان فاذا تكاثروا عليه ، نثر ما بقى فى يده عليهم ، فيشتغلون عنه بالتقاطها من الأرض . فكان جملة ما فرق وبدر من الأنصاف العديدة فقط ، خمسة وعشرين كيسا : عنها خمسمائة ألف فضة ... وذلك خلاف القروش أيضا وربعات الذهب !

وساقوا أمام الجنازة ستة رءوس من الجواميس الكبار ، أخذ منها خدمة التربة ومن حولهم ، وخدمة ضريح الامام الشافعى . ولم ينل الفقراء الا ما فضل عنهم وأخرجوا لاسقاط صلاة المتوفى خمسة وأربعين كيسا ! تناولها فقراء الأزهر ، وفرقت بجامع الفاكهاني بحسب الأغراض . للغنى منهم أضعاف قسم الفقير وأكثر الفقراء من الفقهاء لم ينالوا ولا القليل .

ولما وصلوا الى المدفن هدموا التربة ، وأنزلوه فيها يتابوته الخشب لتسر اخراجه منه بسبب اتفاحه وتهريه ... حتى أنهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات فى المجامر الذهب ، والرائحة غالبية على ذلك . وليس ثم من يتعظ أو يعتبر ! ولما مات لم يخبروا والدته بموته الا بعد

والجبابى ، وقشوه ، ومن يصحبهم من باقى رفقاءهم ... فذهب ببعض خواصه الى رشيد — ومعه الجماعة المذكورون — فأقام أياما ، وحضر اليه من جهة الروم جوار وغلمان أيضا رقاصون ، فانتقل بهم الى قصر برنال ... ففى ليلة حلوله بها نزل به ما نزل به من المقدور ، فتمرض بالطاعون ، وتلملل نحو عشر ساعات ، وانقضى نحبه . وذلك ليلة الأحد ، مابيع شهر القعدة ، وحضره خليل أفندى قوللى حاكم رشيد .

وعندما خرجت روحه ، انتفخ جسمه ، وتغير لونه الى الزرقة ، فغسلوه وكفنوه ، ووضعوه فى صندوق من الخشب ، ووصلوا به فى السفينة منتصف ليلة الأربعاء عاشره .

وكان والده بالجيزة ، فلم يتجاسروا على اخباره ، فذهب اليه أحمد أغا أخو كتخدا ييك . فلما علم بوصوه ليلا ، استنكر حضوره فى ذلك الوقت ، فأخبره عنه أنه ورد الى شبرا متوعكا ، فركب فى الحين القنجة ، وانحدر الى شبرا ، وطلع الى القصر ، وصار يمر بالمخادع ويقول : « أين هو » ؟ فلم يتجاسر أحد أن يصرح بموته .

وكانوا ذهبوا به ، وهو فى السفينة ، الى بولاق ، ورسوا به عند الترسخانة . وأقبل كتخدا ييك على الباشا فرآه ييكى فانزعج انزعاجا شديدا ، وكاد أن يقع على الأرض ، ونزل السفينة ... فأتى بولاق آخر الليل .

وانطلقت الرسل لاجبار الأعيان ، فركبوا بأجمعهم الى بولاق ، وحضر القاضى والأشياخ ، والسيد المحرقى . ثم نصبوا تظلك ساترا على السفينة ، وأخرجوا الناوس والدم والصيد يقطر منه ، وطلبوا القلاظة لسد خروقه ومنافسه ، ونصبوا غودا عند رأسه ، ووضعوا عليه تاج الوزارة ... المسمى بالطلخان ! وانجروا بالجنازة

دفنسه ، فجزعت عليه جزعا شديدا ، ولبست السواد . وكذلك جميع نسائهم وأتباعهم ، وصبغوا براقعهم بالسواد والزرقة ، وكذلك من ينافقهم من الناس ... حتى لطحوا أبواب البيوت بسولاق وغيرها بالوحل .

وامتنع الناس ، بالأمر عليهم ، من عمل الأفراح ودق الطبول مطلقا ، ونوبة الباشا واسماعيل باشا وظاهر باشا ... حتى ما يفعله دراويش المولوية في تكاياهم عند المقابلة ، من الناي والطبل ... أربعين يوما .. وأقاموا عليه العزاء عند القبر ، وعدة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدة الأربعين يوما . ورتبوا لهم ذبائح ومأكلا وكل ما يحتاجونه . ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته وأخواته والواردين من أقارب وغيرهم على حد قول القائل : « مضائب قوم عند قوم فوائد » !

ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين ، وكان أبيض جسيما ، كما قد دارت لحيته ... بطلا شجاعا جوادا : له ميل لأولاد العرب ، منقادا لملة الاسلام ، ويعترض على أبيه في أفعاله ، تخافه العسكر وتهابه . ومن اقترب ذنبا صغيرا قتله ... مع احسانه وعطاياه للمنقاد منهم ، ولأمرائه . ولغالب الناس اليه ميل ، وكانوا يرجون تأمره بعد أبيه ، ويأبى الله الا ما يريد .

ومات الوزير المعظم يوسف باشا ، المنفصل عن إمارة الشام ، وحضر إلى مصر من نحو ثلاث سنوات هاربا وملتجئا إلى حاكم مصر ، وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين أو مائتين وألف . وأصله من الأكراد الدكرلية ، وينسب إلى الأكراد المليية . وابتداء أمره باخبار من يعرفه : أنه هرب من أهله — وعمره اذ ذاك خمس عشرة سنة — فوصل إلى حماة ، وتعاطى بيع الحشيش والسرجين والروث . ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدة سنين إلى

أن ألبسه قلبق ، ثم خدم بعده ملا اسماعيل بلكتاش ، وتعلم الفروسية والراحة ، فلعب يوما في القمار وخسر فيه ، وخاف على نفسه فخرج هاربا إلى عمر أغا باسيلي — من اشراقات ابراهيم باشا المعروف بالأزدن — فتوجه معه إلى غزة .

وكان مع المترجم جواد أشقر من جياد الخيل ، فقلد على أغا — متسلم غزة — عمر أغا المذكور وجعله دالي باشا . ففى بعض الأيام طلب المتسلم من المترجم الجواد ، فقال له : « ان قلدتنى دالي باشا قدمته لك » . فأجابه إلى ذلك ، وعزل عمر أغا ، وقلد المترجم المنصب عوضا عنه . وامتنع من اعطائه ذلك الجواد ، وأقام في خدمته مدة ، فوصل مرسوم من أحمد باشا الجزار ، خطابا للمترجم ، بالقبض على المتسلم واحضاره إلى طرفه ، وان فعل ذلك ينعم عليه بمبلغ خمسين كيسا ومائة يبرق ... ففعل ذلك ، وأوقع القبض على أغا المتسلم ، وتوجه إلى عكة بلدة الجزار .

فقال المتسلم للمترجم في أثناء الطريق : « تعلم أن الجزار رجل سفاك دماء ، فلا توصلى إليه ، وان كان وعدك بمال أنا أعطيك أضعافه ، وأطلقنى أذهب حيث شاء الله ، ولا تشاركه في دمي » . فغلم يجه إلى ذلك وأوصله إلى الجزار فحبسه ، ثم قتله ورماه في البحر !

وأقام المترجم بيباب الجزار أياما ، ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى حيث يريد ، فانه لا خير فيه لخياته لمخدومه . فذهب إلى حماة ، وأقام عند أغاته اسماعيل أغا — وهو متولى من طرف عبد الله باشا المعروف بابن المعظم — فأقام في خدمته كلارجى زمنا نحو الثلاث سنوات .

وكان بين عبد الله باشا وأحمد باشا الجزار عداوة ، فتوجه عبد الله باشا إلى الدورة . فأرسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق ، فسلط طريقا أخرى . فلما وصل إلى جينى — وهى مدينة قريبة

من بلاد الجزائر — وجه الجزائر عساكره عليه . فلما تقارب العسكران ، وتسامعت أهل النواحي ... امتنعوا من دفع الأموال . فما وسع عبد الله باشا إلا الرحيل ، وتوجه الى ناحية نابلس ، مسافة يومين ، وحاصر بلدة تسمى صوفين ، وأخذ مدافع من يافا ، وأقام محاصرا لها ستة أيام ... ثم طلبوا الأمان فأمّنهم ، ورحل عنهم الى طرف الجبل ، مسيرة نصف ساعة ، وفرق عساكره لقبض أموال الميرى من البلاد ، وأقام هو في قلة من العسكر .

فوصل اليه خيال ، وقت العصر في يوم من الأيام يخبره بوصول عساكر الجزائر ، وأنه لم يكن بينه وبينهم الا نصف ساعة ، وهم خمسة آلاف مقاتل . فارتبك في أمره ، وأرسل الى النواحي ، فحضر اليه من حضر — وهم نحو الثلثمائة خيال ، وهو بدائرتة نحو الثمانين — فأمر بالركوب . فلما تقاربا هاله كثرة عساكر العدو ، وأيقنوا بالهلاك . فتقدم المترجم الى العسكر ، وأشار عليهم بالثبات ، وقال لهم : « لم يكن غير ذلك ، فانا ان فررنا هلكنا عن آخرنا » .

وتقدم المترجم مع أغاته ملا اسماعيل ، وتبعهم العسكر ، وولجوا وسط خيل العدو ، وصدقوا الحملة بجيلة واحدة ، فحصلت في العدو الهزيمة ، وركبوا أفقيتهم ، وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم ، فرجعوا براء وس القتلى والقلائع . فلما أصبح النهار عرضوها على الوزير — وهي نحو الألف رأس وألف قليعة — فخلع عليهم ، وشكرهم ، وارتحلوا الى دمشق .

وذهب المترجم مع أغاته الى مدينة حماة ، واستمر هناك الى أن حضر الوزير الأعظم يوسف باشا ، المعروف بالمعدن ، الى دمشق بسبب الفرنسيين . ففارق المترجم مخدمه في نحو السبعين خيالا ، وجعل يدور بأراضي حماة بطلا ، ويقال له قيس ، فيراسل الجزائر لينضم اليه .

وكان الجزائر ، عند حضور الوزير ، انفصل حكمه عن دمشق ، ووجه ولايتها الى عبد الله باشا العظم . فلما بلغ المترجم ذلك توجه الى لقاء عبد الله باشا بالمعرة ، فأكرمه عبد الله باشا ، وقلده دالي باشا كبيرا على جميع الخيالة . حتى على أغاته ملا اسماعيل أغا . وأقام بدمشق مدة الى أن حاصر عبد الله باشا مدينة طرابلس . فوصل اليه الخبر بأن عساكر الجزائر استولوا على دمشق وبلادها . فركب عبد الله باشا وذهب الى دمشق ، ودخلها بالسيف ، ونصب عرضيه خارجها .

فوصل خبر ذلك الى الجزائر ، فكاتب عساكر عبد الله باشا يستميلهم لأن معظمهم غرباء ، فاتفقوا على خيائته ، والقبض عليه وتسليمه الى الجزائر . وعلم ذلك وثبته ، فركب في بعض مماليكه وخاصته الى وطاق المترجم — وهو اذ ذاك دالي باشا — وأعلمه الخبر ، وأنه يريد النجاة بنفسه . فركب بمن معه ، وأخرجه من بين العسكر قهرا عنهم ، وأوصله الى شول بغداد .

ثم ذهب على الهجن الى بغداد ، ورجع المترجم الى حماة . فقيل وصوله اليها ورد عليه مرسوم الجزائر يستدعيه ، فذهب اليه ، فجعله مقدم ألف ، وقلده باش الجردة ، فسافر الى الحجاز بالملاقة . وكان أمير الحاج الشامي اذ ذاك سليمان باشا عوضا عن مخدمه أحمد باشا الجزائر . فلما حصلوا في نصف الطريق ، وصلهم خبر موت الجزائر ، فرجع يوسف المترجم الى الشام ، واستولى اسماعيل باشا على عكا ، وتوجه منصب ولاية الشام الى ابراهيم باشا المعروف بقطر اغاسي (أى أغات البغال) . وفي فرمان ولايته الأمر بقطع رأس اسماعيل باشا ، وضبط مال الجزائر .

فذهب المترجم بخيله وأتباعه الى ابراهيم باشا ، وخدم عنده ، وركب الى عكا وحصروها ، وحطوا في أرض الكرداني — مسيرة ساعة من عكا —

وكانت الحرب بينهم سجلا ، وعساكر اسماعيل باشا نحو العشرة آلاف ، والمترجم يباشر الوقائع ، وكل واقعة يظهر فيها على الخصم .

ففى يوم من الأيام لم يشعر الا وعسكر اسماعيل باشا نافذ اليهم من طريق أخرى . فركب المترجم ، وأخذ صحبته ثلاثة مدافع ، وتلاقى معهم ، وقاتلهم وهزمهم الى أن حصرهم بقرية تسمى دعوق ، ثم أخرجهم بالأمان الى وطاقة وأكرمهم ، وعمل لهم ضيافة ثلاثة أيام ، ثم أرسلهم الى عكا بغير أمر الوزير .

ثم توجه ابراهيم باشا الى الدورة ، وصحبته المترجم ، وتركوا سليمان باشا مكانهم ، وخرج اسماعيل باشا من عكا ، وأغلقت أبوابها فانفقت عساكره ، وقبضوا عليه ، وسلموه الى ابراهيم باشا فعند ذلك برز أمر ابراهيم باشا بتسليم عكا الى سليمان باشا ، وذهب بالمرسوم المترجم ، فأدخله اليها ورجع الى مخدومه ، وذهب معه الى الدورة ثم عاد معه الى الشام .

وورد الأمر بعزل ابراهيم باشا عن الشام ، وولاية عبد الله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد . فخرج المترجم للملاقاته من على حلب ، فقلده دالى باشا على جميع العسكر فلما وصل الى الشام ، ولأه على حوران وأربد والقنطرة ليقبض أموالها ، فأقام نحو السنة ، ثم توجه صحبة الباشا مع الحج . وتلاقوا مع الوهابية فى الجديدة ، فحاربهم المترجم وهزمهم ، وحجوا واعتصموا ورجعوا . ومكثوا الى السنة الثانية ، فخرج عبد الله باشا بالحج ، وأبقى المترجم نائبا عنه بالشام فلما وصل الى المدينة المنورة منعه الوهابيون ، ورجع من غير حج .

ووصل خبر ذلك الى الدولة ، فورد الأمر بعزل عبد الله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على

الشام وضواحيها ، فارتاعت النواحي والعربان ، وأقام السنة ، ولم يخرج بنفسه الى الحج ... بل أرسل ملاحين عوضا عنه ، فمنع أيضا عن الحج . فلما كانت القابلة ، انفتح عليه أمر الدورة ، وعنى عليه بعض البلاد ، فخرج اليها ، وحاصر بلدة تسمى كردانية ، ووقع له فيها مشقة كبيرة الى أن ملكها بالسيف وقتل أهلها ثم توجه الى جبل نابلس وقهرهم ، وجبى منهم أموالا عظيمة .

ثم رجع الى الشام ، واستقام أمره ، وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل فى الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة ، وأبطل البدع والمنكرات ، واستتاب الخواطيء ، وزوجهن ، وطقق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمر بترك الاسراف فى المآكل والملابس . وشاع خبر عدله فى النواحي ، ولكن ثقل ذلك على أهل البلاد بترك مألوفهم .

ثم انه ركب الى بلاد النصيرية ، وقاتلهم وانتصر عليهم ، وسبى نساءهم وأولادهم ... وكان خيرهم بين الدخول فى الاسلام أو الخروج من بلادهم ، فامتنعوا وحاربوا ، وانخذلوا ، وبيعت نساؤهم وأولادهم فلما شاهدوا ذلك أظهروا الاسلام تقية فعفا عنهم ، وعمل بظاهر الحديث ، وتركهم فى البلاد ، ورحل عنهم الى طرابلس ، وحاصرها بسبب عصيان أميرها بربر باشا على الوزير ، وأقام محاصرا لها عشرة أشهر حتى ملكها واستولى على قلعتها . ونهبت منها أموال للتجار وغيرهم .

ثم ارتحل الى دمشق ، وأقام بها مدة ، فطرفه خبر الوهابية أنهم حضروا الى المزيريب ، بسادر مسرعا ، وخرج الى لقائهم فلما وصل الى المزيريب وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال ، فأقام هناك أياما ، فوصل اليه الخبر بأن سليمان باشا وصل الى الشام وملكها ، فعاد مسرعا الى الشام ، وتلاقى

التاريخ المذكور ، فلاقاه صاحب مصر وأكرمه ،
وقدم اليه خيولا وقماشاً ومالا ، وألزمه إمداد واسعة
بالأزبكية ، ورتب له خروجاً زائداً من لحم وخبز
وسمن وأرز وحطب ، وجميع اللوازم المحتاج إليها ،
وأنعم عليه بجوارى وغير ذلك .

وأقام بمصر هذه المدة ، وأرسل في شأنه إلى
الدولة ، وقبلت شفاعته محمد علي باشا فيه ، ووصله
العفو والرضا . — ماعدا ولاية الشام — وحصلت
فيه علة ذات الصدر ؟ فكان يظهر به شبه السمعة
مع الفواق بصوت يسمعه من يكون بعيداً عنه ،
ويذهب إليه جماعة الحكماء من الأفرنج وغيرهم ،
ويطالع في كتب الطب مع بعض الطلبة من
المجاورين ... فلم ينجع فيه علاج ، وانتقل إلى قصر
الآثار بقصد تبديل الهواء . ولم يزل مقيماً هناك
حتى اشتد به المرض ، ومات في ليلة السبت العشرين
من شهر ذي القعدة ، وحملت جنازته من الآثار إلى
القرافة من ناحية الخلاء ، ودفن بالحوش الذي
أنشأه الباشا وأعد له لموته . وكانت مدة إقامته
بمصر نحو الست سنوات ... فسبحان الحي الذي
لا يموت ، الدائم الملك السلطان .

سمع عسكر سليمان باشا ، وتحارب العسكران إلى
المساء ، وبات كل منهم في محله . ففي نصف الليل
— في غفلتهم ... والمترجم نائم وعساكره أيضاً
هاملة — فلم يشعروا إلا وعساكر سليمان باشا
كبستهم ، فحضر إليه كتخداه وأيقظه من منامه ،
وقال له : « ان لم تسرع ، والا قبضوا عليك » .
فقسام في الحين ، وخرج هارباً ، وصحبته ثلاثة
أشخاص من مماليكه فقط ، ونهبت أمواله ويرقه ،
وزالت عنه سيادته في ساعة واحدة .

ولم يزل حتى وصل إلى حماة فلم يتمكن من
الدخول إليها ، ومنعه أهلها عنها وطرده . فذهب
إلى سيجر ، وارتحل منها إلى بلدة يعمل بها
البارود ، ومنها إلى بلدة تسمى ريمة ، ونزل عند
سعيد أغا فأقام عنده ثلاثة أيام . ثم توجه إلى
لواحي انطاكية ، بصحبته جماعة من عند سعيد أغا
المذكور ، ثم إلى السويدية ، ولم يبق معه سوى
فرس واحد !

ثم انه أرسل إلى محمد علي باشا — صاحب
مصر — واستأذنه في حضوره إلى مصر ، فكاتبه
بالحضور إليه والترحيب به ، فوصل إلى مصر في



المقدم

الخميس غرته (٢١ نوفمبر ١٨١٦ م) :

استهل المحرم وحاكم مصر والمتولى عليها ، وعلى ضواحيها ونفورها من حد رشيد ودمياط الى أسوان وأقصى الصعيد ، وأسكلة القصير والسويس ، وساحل القلزم وجدة ومكة والمدينة والأقطار الحجازية بأسرها ... محمد على باشا القولى . وزيره وكتخده : محمد أغا لآظ . والدفتردار : محمد بيك — صهر الباشا وزوج ابنته — وآغات الباب : ابراهيم أغا . ومدير أمور البلاد والأطبان والرزق والمساحات ، وقبض الأموال الميرية وحساباتها ومصارفها : محمود بيك الخازندار . والسلحدار سليمان أغا . وحاكم الوجه القبلى : محمد بيك الدفتردار — صهر الباشا — عوض ابراهيم باشا ولد الباشا ، لانفصاله عن اماره الوجه القبلى ، وسفره الى الحجاز آنفا لمحاربة الوهابيين . وباقي أمراء الدولة : مثل عابدين بيك ، واسماعيل باشا ابن الباشا ، و خليل باشا — وهو الذى كان حاكم الاسكندرية سابقا — وشريف أغا ، وحسين بيك دالى باشا ، وحسين بيك الشماشرجى ، وحسن بيك الشماشرجى الذى كان حاكما بالقيوم ... وغير هؤلاء ، وحسن أغا آغات الينكجرية ، وأحمد أغا آغات التبديل ، وعلى أغا الوالى ، وكاتب الروزنامة مصطفى أفندى ، وحسن باشا بالديار الحجازية . وشاه بندر التجار : السيد محمد المحروقى ، وهو المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان

ومخاطباتهم ، وملاقة الأخبار الواصلة من الديار الحجازية ، والمتوجه اليها ، وأجر المحمول ، وشحنة السفن ، ولوازم الصادرين والواردين والمنتجين والمقيمين والراجلين ، والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشير وغوائلهم ومحاكماتهم وارغابهم وارباهم وسياستهم على اختلاف أخلاقهم وطباعهم ... وهو المتعين أيضا لفصل قضايا التجار والباعة وأرباب الحرف البلدية وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم ، وتأديب المنحرفين منهم والنصايين ، وبعوثات الباشا ومراسلاته ، ومكاتباته ، وتجاراته ، وشركاته وابتداعاته ، واجتهاده فى تحصيل الأموال من كل وجه وأى طريق ، ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر الى نواحي الحجاز للاغارة على بلاد الوهابية .

وأخذ الدرعية مستمر لا ينقطع ، والمرضى منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح ... واذا ارتحلت طائفة خرجت أخرى مكانها

وفيه : سومحت أرباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والخضرية والحسازون ونحوهم من المسانحات والمشاهرات واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ، ونودى برقعها أمام المحتسب فى الأسواق ، وعوض المحتسب عنها خمسة أكياس فى كل شهر يستوفىها من الخزينة العامة .

وعملوا تسعيرا بترخيص أسعار المبيعات ، بدلا عما كانوا يفرمونه للمحتسب ، ولكن من غير مراعاة النسبة والمعادلة فى غالب الأصناف . فان

المادة عند اقبال وجود الفاكهة أو الخضراوات تباع بأعلى ثمن لمزتها وقلتها حينئذ ، وشهوة الطباع ، واشتياق النفوس لجديد الأشياء ، وزهدها في القديم الذي تكرر استعماله وتعاطيه ... كما يقال « لكل جديد لذة » . فلم يراعوا ذلك ، ولم ينظروا في أصول الأشياء أيضا . فإن غالب الأصناف داخل في المحتكرات ، وزيادة المكوس الحادثة في هذه السنين ، وما يضاف الى ذلك من طمع الباعة والسوقة وغشهم وقبحهم وعدم دياتهم وخبث طباعهم .

فلما نودى بذلك ، وسمع الناس رخص المبيعات ، ظنوا بغفلتهم حصول الرخاء ، ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السمرانة ، وخطفوا ما كان بالأسواق — بموجب التسعيرة — من اللحم وأنواع الخضراوات والفاكهة والأدهان !

فلما أصبح اليوم الثاني لم يوجد بالأسواق شيء من ذلك ، وأغلقت الفكهاينة حوانيتهم ، وأخفوا ما عندهم ، وطفقوا يبيعونه خفية ، وفي الليل ، بالثمن الذي يرتضونه ... والمحتسب يكثر الطواف بالأسواق ، ويتجسس عليهم ، ويقبض على من أغلق حانوته أو وجدها خالية ، أو عثر عليه أنه باع بالزيادة ، وينكل بهم ، ويسحبهم مكشوفين الرؤوس مشنوقين وموثقين بالحبال ، ويضربهم ضربا مؤلما ، ويصلبهم بمفارق الطرق مخزومين الأنوف ، ومعلق فيها النوع المزاد في ثمنه ... فلم يرتجعوا عن عادتهم .

ثم إن هذه المناداة والتسعيرة ظاهرها الفرق بالرية ورخص الأسعار ، وباطنها المكر والتحيل والتوصل لما سيظهر بعد عن قريب . وذلك أن ولي الأمر لم يكن له من الشغل الا صرف همته وعقله وفكرته في تحصيل المال والمكاسب ، وقطع أرزاق المسترزقين ، والحجر والاحتكار

لجميع الأسباب . ولا يتقرب اليه من يريد قربه الا بمساعدته على مراداته ومقاصده . ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقا ، ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح أو فعل مناسب — ولو على سبيل التشفع — حثد عليه ، وربما أقصاه وأبعدته وعاداه معاداة من لا يصفو أبدا .

وعرفت طباعه وأخلاقه في دائرته وبطاقته ، فلم يمكنهم الا الموافقة والمساعدة في مشروعاته : اما رهبة أو خوفا على سيادتهم ورياستهم ومناصبهم ، واما رغبة وطمعا وتوصلا للرياسة والسيادة — وهم الأكثر — وخصوصا أعداء الملة من نصارى الأرمن وأمثالهم الذين هم الآن أخصاء لحضرته ومجالسته ، وهم شركاؤه في أنواع المتاجر ، وهم أصحاب الرأي والمشورة ، وليس لهم شغل ودرس الا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدمهم ، وموافقة أغراضه ، وتحسين مخترعاته . وربما ذكروه ونهسوه على أشياء تركها أو غفل عنها من المبتدعات ، وما يتحصل منها من المال والمكاسب التي يسترزقها أرباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم . ثم يقع الفحص على أصل الشيء ، وما يتفرع منه ، وما يؤول اذا أحكم أمره وانتظم ترتيبه ، وما يتحصل منه بعد التسعير الذي يجعلونه مصاريف الكتبة والمباشرين ... أبرزت مبادئه في قالب العدل والرفق بالرية !

ولما وقع الالتفات الى أمر المذابح والسلخانة ، وما يتحصل منها ، وما يكتسبه الموظفون فيها ... فأول ما بدأوا به : ابطال جميع المذابح التي بجهاث مصر والقاهرة وبولاق ، خلاف السلخانة السلطانية التي خارج الحسينية . وتولى رياستها شخص من الأتراك ، ثم سمرت هذه التسعيرة : فجعل الرطل الذي يبيعه القصاب بسبعة أنصاف فضة ، وثمنه على القصاب من المذبح ثمانية

أنصاف ونصف ١ وكان يباع قبل هذه التسمية بالزيادة الفاحشة ، فشح وجود اللحم ، وأغلقت حوانيت الجزائريين ، وخسروا في شراء الأغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر .

وأنهى أمر شحة اللحم الى ولى الأمر ، وأن ذلك من قلة المواشى ، وغلو أثمان مشترواتها على الجزائريين ، وكثرة رواتب الدولة والعساكر . أشيع أنه أمر بمراسيم الى كشف الأقاليم — قبلى وبحرى — لشراء الأغنام من الأرياف لخصوص رواتبه ورواتب العسكر والخاصة وأهل الدولة ، ويترك ما يذبحه جزاؤ المذبح لأهل البلدة . وعند ذلك ترخص الأسعار ... ثم تبين خلاف ذلك ، وأن هذه الاشاعة توطئة وتقدمة لما سيتلى عن قريب .

الخميس ١٥ منه (٥ ديسمبر ١٨١٦ م) :

وصلت أغنام وعجول وجواميس من الأرياف ... هزيلة ، وازدادت باقامتها هزالا من الجوع وعدم مراعاتها . فذبحوا منها بالمذابح أقل من المعتاد ، ووزعت على الجزائريين ، فيخص الشخص منهم الاثنان أو الثلاثة . فعندما يصل الى حانوته — وهو مثل الحرامى — فيتخاطفها العساكر التى بتلك الخطة ، وتزدهم الناس فلا ينوبهم شئ ، وتذهب فى لمح البصر ، ثم امتنع وجودها ، واستمر الحال ... والناس لا يجدون ما يطبخونه لعيالهم .

وكذلك امتنع وجود الخضراوات ، فكان الناس لا يحصلون القوت الا بفانة المشقة ، واقتاتوا بالفول المصلوق والعفس والبيصار ، ونحو ذلك .

وانعدم وجود السمن والزيت والشيرج ، وزيت البزر وزيت القرطم ... لاحتكارها لجهة الميرئ وأغلقت المعاصر والسيارج ، وامتنع وجود الشمع

العسل والشمع المصنوع من الشحم ، لاحتكار الشحم ، والحجز على عمال الشمع فلا يصنع الشماعون ولا غيرهم . ونودى على بيع الموجود منه بأربعة وعشرين نصفا ، وكان يباع بثلاثين وأربعين ، فأخفوه ، وطفقوا يبيعونه خفية بما أحبوا . وانعدم وجود بيض الدجاج لجعلهم العشرة منه بأربعة أنصاف ، وكان قبل المناذاة اثنان بنصف .

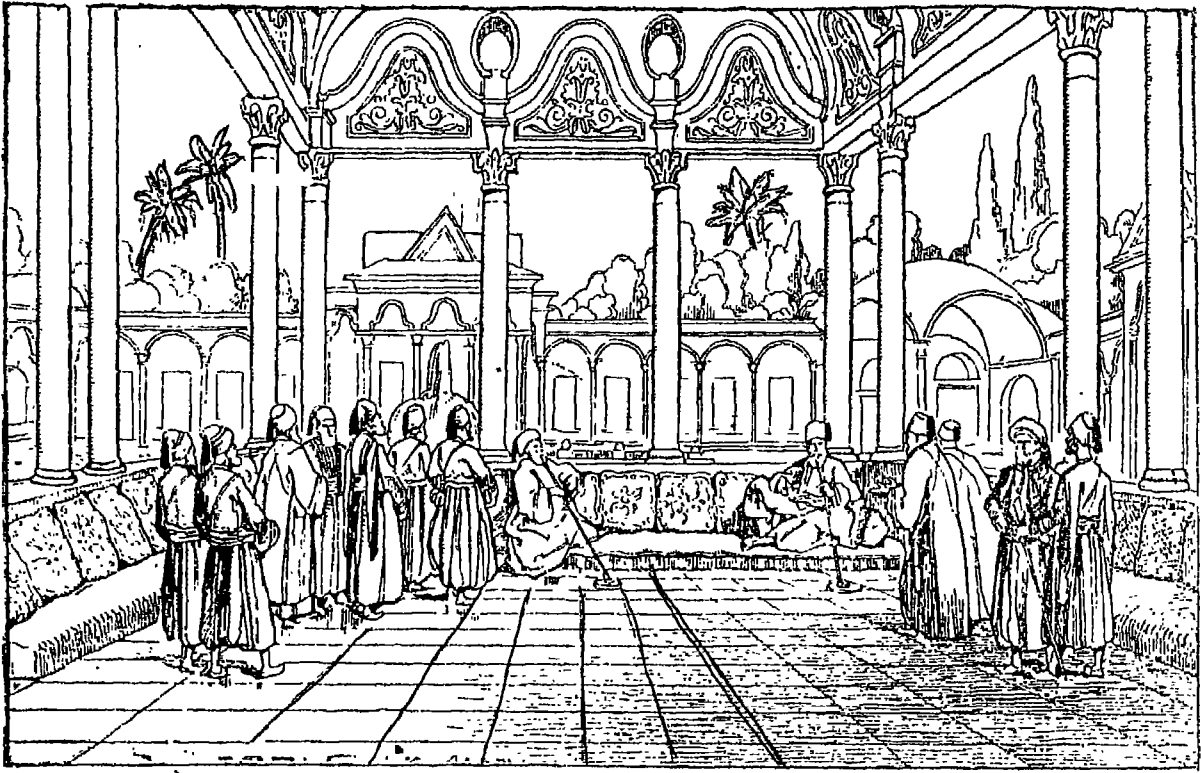
وكل ذلك والمحاسب يطوف بالأسواق والشوارع ، ويشدد على الباعة ويؤلمهم بالضرب والتجريس . وفقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالأسواق دجاجة ، لأنه نودى على الدجاجة باثنى عشر نصفا ، وكان الثمن عنها قبل ذلك خمسة وعشرين فأكثر .

سفر

(٢١ ديسمبر ١٨١٦ — ١٨ يناير ١٨١٧ م)

فيه : حضر المعلم غالى من الجهة القبلية ، ومعه مكاتبات من محمد بيك الدفتردار — الذى تولى اماره الصعيد عوضا عن ابراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه الى البلاد الحجازية لمحاربة الوهاية — يذكر فيها نصح المعلم غالى ، وسعيه فى فتح أبواب تحصيل الأموال للخزينة ، وأنه ابتكر أشياء وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال ... فقبول بالرضا والاكرام ، وخلع عليه الباشا ، واختص به ، وجعله كاتب سره ، ولأزم خدمته . وأخذ فيما ندب اليه وحضر لأجله .. التى منها حسابات جميع الدفاتر ، وأقلام المبتدعات ومباشرها وحكام الأقاليم .

وفيه : تجردت عدة عساكر أترك ومغاربة الى الحجاز ، وصحبهم أرباب صنائع وحرف . وفيه : أرسل الباشا الى بندر السويس أخشابا



حمام الأقاليم بعد أن عزلهم محمد علي وطلبهم للحضور

ويحررون أثمان مفرق الأشياء ، من غنم أو دجاج أو تبن أو عليق أو بيض أو غير ذلك ، في المدة التي أقامها أحدهم بالناحية . فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر ، وكذلك من اتقى اليهم ، فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان .

وفيه : حضر على كاشف من شرقية بليس معزولا عن كشوفيتها ، وقلدها خلافة ، وكان كاشفاً بالأقاليم عدة سنوات . وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية ، وحضر أيضاً حسن بيك الشماشجي من الفيوم معزولا ، ووجهه الباشا الى ناحية درنة لمحاربة أولاد علي .

ربيع الآخر

(١٨ فبراير - ١٨ مارس ١٨١٧ م)

فيه : حصل الحجز والمنع على من يذبح شيئاً من

وأدوات عمارة ، وبلاط كذان وحديد ، وصناعا بقصد عمارة قصر لخصوصه اذا نزل هناك .

ربيع الأول

(١٩ يناير - ١٧ فبراير ١٨١٧ م)

فيه : شحت المبيعات والغلال والأدهان ، وغلا سعر الجبوب ، وقتل وجودها في الرقع والسواحل ... فكان الناس لا يحصلون شيئاً منها الا بفعاية المشقة !

وفيه : عزل الباشا حكام الأقاليم والكشاف ونوابهم ، وطلبهم للحضور ، وأمر بحسابهم وما أخذوه من الفلاحين زيادة على ما فرضه لهم . وأرسل من قبله أشخاصاً مفتشين للفحص والتجسس على ماعسى يكون أخذوه منهم من غير ثمن . فأخذوا يقررون الميثاينخ والفلاحين ،

للميرى . وكذلك يفعل فيما يرد لخاصية الناس من الأغنام ... يفعل بها كذلك ، ولا يأخذ الا قدر راتبه في كل يوم من المذبح .

وفيه : شح وجود الغلال في الرقع والسواحل حتى امتنع وجود الخبز في الأسواق ، فأخرج الباشا جانب غلة ، ففرقت على الرقع ، وبيعت على الناس ، وهى ألف أردب انقضت في يومين ، ولا يبيعون أزيد من كيلة أو كيلتين . وبيع الأردب بألف ومائتين وخمسين نصفا .

وفيه : أفرد محل لعمل الشمع الذى يعمل من الشحوم ، بعطفة ابن عبد الله بيك جهة السروجية . واحتكروا لأجل عمله جميع الشحوم التى من المذبح وغيره . وامتنع وجود الشحم من حوانيت الدهانين . ومنعوا من يعمل شيئا من الشمع في داره أو في القواليب الزجاج ، وتتبعوا من يكون عنده شئ منها فأخذوها منه ، وحذروا من عمله ، خارج العمل ، كل التحذير ، وسعروا رطله بأربعة وعشرين نصفا .

جسادى الأولى

(١٩ مارس - ١٧ إبريل ١٨١٧ م)

فيه : حول معمل الشمع الى جهة الحسينية ، عند الدرب الذى يعرف بالسبع والضبع . وفيه : ارتحلت عساكر مجردة الى الحجاز . وفيه : برزت أوامر الى كشاف النواحي باحصاء عدد أغنام البلاد والقرى ، ويفرض عليها كل عشرة شياه ، واحدة من أعظمها : اما كبش أو نعجة بأولادها ... يجمعون ذلك ويرسلون به الى مجمع أغنام الباشا . وفرض أيضا على كل فدان رطلا من السمن ، يجمع الأرطال مشايخ البلاد من الفلاحين عند كشاف النواحي ، ويرسلونها الى مصر . وسبب هذه المحدثات : أنه لما عملت التسعيرة ،

المواشى في داره أو غيرها ، ولا يأخذ الناس لحوم أطعمتهم الا من المذبح ، وأوقفت عساكر بالطرق وصدا لمن يدخل المدينة بشئ من الأغنام .

وذلك أنه لما نزلت المراسيم الى الكشاف بمشترى المواشى من الفلاحين وارسالها الى المكان الذى أعده الباشا لذلك ، ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسليخة في كل يوم لرواتب الدولة والبيع . وطلب كشاف النواحي شراء الأغنام والمجول والجواميس بالثمن القليل من أربابها ... فهرب الكثير من الفلاحين بأغنامهم ، فيخرجون من القرية ليلا ، ويدخلون المدينة ، ويمرون بها في الأسواق ، وبيعونها بما أحبوا من الثمن على الناس . فانكب الناس على شرائها منهم لجودتها ، ويشترك الجماعة في الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم ... وذلك لقلّة وجدان اللحم كما سبقت الإشارة اليه ، وان تيسر وجوده فيكون هزيلا رديئا : فان في كل يوم ترد الجملة الكثيرة من بحرى وقبلى الى المكان المعد لها ، ولم يكن ثم من يراعيها بالعلف والسقى ، فتهمز وتضعف .

فلما كثر ورود الفلاحين بالأغنام ، وشراء الناس لها ، ووصل خبر ذلك الى الباشا ، فأمر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية ، فيأخذون الشاة من الفلاحين اما بالثمن أو يذهب صاحبها معها الى المذبح فتذبح في يومها أو من الغد ، ويوزن اللحم خالصا ويعطى صاحبها ثمنه : عن كل رطل ثمانية فضة ونصف ، ويوزن على الجزارين بذلك الثمن بما فيه من القلب والكبد والمنحر والمذاكير ، والمخرج بما فيه من الزيل أيضا ... والجزارون يبيعونها على من يشتري — لشدة الطلب — بزيادة النصف والنصفين ، بل والثلاثة والأربعة ، ان كان به نوع جودة . وأما الأسقاط من الرؤوس والجلود والكروش ، فهو

وصولها الى دورهم ، فشكوا الى الباشا فأطلق
الاذن فيما دون العشرة .

وفيه أيضا : امتنع وجود الغلال بالمرصات
والسواحل بسبب احتكارها ، واستمرار انجرارها
وتقلها في المراكب ، قبلى وبحسرى ، الى جهة
الاسكندرية للبيع على الافرنج بالثمن الكثير كما
تقدم .

ووجهت المراسيم الى كشف النواحي بمنع
بيع الفلاحين غلالهم لمن يشتري منهم من المتسبين
والتراسين وغيرهم ، وبأن كل ما احتاجوا لبيعه ،
مما خرج لهم من زراعتهم ، يؤخذ لطرف الميرى
بالثمن المفروض بالكيل الواقى .

واشتد الحال في هذا الشهر وما قبله حتى قل
وجود الخبز من الأسواق ، بل امتنع وجوده في
بعض الأيام . وأقبلت الفقراء نساء ورجالا الى
الرقع بمقاطفهم ، ورجعوا بها فوارغ من غير شيء .
وزاد الهول والتشكى ، وبلغ الخبر البائسا ،
فأطلق أيضا ألف أردب توزع على الرقع ويباع
على الناس ، اما ربع واحد أو كيلة فقط ، وكل
ربع ثمنه قرش ، فيكون الأردب بأربعة وعشرين
قرشا .

وفيه : حضر حسن بيك الشماشجى من ناحية
درة وبلد أخرى يقال لها « سيوة » ، وصحبته
فرقة من أولاد على . وذلك أن أولاد على افترقوا
فرقتين : احدهما طائفة ، والأخرى عاصية عن
الطاعة ومنحازون الى هذه الناحية . فجرد الباشا
عليهم حسن بيك المذكور ، فحاربهم فهزمهم ،
وهزموه ثانيا . فرجع الى مصر ، فضم اليه الباشا
جملة من العساكر ، وأصبح معه الفرقة الأخرى
الطائفة ، فسار الجمع ودهموهم على حين غفلة ،
وتقدم لحربهم اخوانهم الطائفة ، وقتلوا منهم ،
وأغاروا على مواشيهم وأباعرهم وأغنصامهم ،

وتسعر رطل السمن بستة وعشرين نصفا ، ويبيعه
السمان والزيتات بزيادة نصفين ... امتنع وجوده
وظهوره : فيأتى به الفلاح ليلا في الخفية ، ويبيعه
للزبون أو للمتسبب بما أحب ، ويبيعه المتسبب أيضا
بالزيادة لمن يريده سرا ، فيبيعون الرطل بأربعين
وخمسين . ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه
بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن ، فيصفو على
النصف ، ولا يقدر مشتره على رد غشه للبائع
لأنه ما حصله الا بنائة المشقة والعزة والانكار
والمنع ... وان فعل ، لا يجد من يعطيه ثانيا !

وتقف الطائفة من العسكر بالطرق ليلا وفي وقت
الغفلات ، يرصدون الواردين من الفلاحين ،
ويأخذونه منهم بالتهر ، ويعطونهم ثمنه بالسعر
المرسوم ، ويحتكرونه هم أيضا ، ويبيعونه لمن
يشتره منهم بالزيادة الفاحشة . وامتنع وروده الا
في النادر خفية مع الفرر أو الخفارة ، والتحامى في
بعض العساكر من أمثالهم .

واشتد الحال في انعدام السمن ، حتى على أكابر
الدولة ، فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعة ،
وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلا من
السمن ، ويعطى في ثمن الرطل عشرين نصفا .
فاشتغلوا بتحصيل ما دهمهم من هذه النازلة ،
وطولب المزارع بمقدار ما يزرعه من الأفدنة أرطالا
من السمن ، ومن لم يكن متأخرا عنده شيء من
سمن بهيمته ، أو لم يكن له بهيمة ، أو احتاج الى
تكملة موجود عنده ... فيشتريه ممن يوجد عنده
بأعلى ثمن ليسد ما عليه اضطرابا جزاء وفقا !

وفيه : حصل الاذن بدخول مادون العشرة من
الأغنصام الى المدينة ، وكذلك الاذن لمن يشتري
شيئا منها من الأسواق وسبب اطلاق
الاذن بذلك مجيء بعض أغنام الى أكابر الدولة —
ولا غنى عن ذلك لأدنى منهم أيضا — وحجزوا عن

فأرسلوا المنهوبات الى جهة الفيوم ، وفي ظن العرب
أن الغنائم تطيب لهم !

وحضر حسن بيك وصحبته كبار العرب من
أولاد على الطائعين ، وفي ظنهم الفوز بالغنيمة ،
وأن الباشا لا يطمع فيها لكون النصره كانت
بأيديهم ، وأنه يشكر لهم ويزيدهم انعاما .. وكالوا
نزلوا ببر الجيزة . وحضر حسن بيك الى الباشا ،
فطلب كبار العرب ليخلع عليهم ويكسوهم . فلما
حضروا اليه أمر بحبسهم واحضار الغنيمة من ناحية
الفيوم بتمامها ، فأحضروها بعد أيام وأطلقهم .
فيقال ان الأغنام ستة عشر ألف رأس ، أو أكثر ،
ومن الجمال ثمانية آلاف جبل وناقة . وقيل أكثر
من ذلك .

وفيه : نجزت عمارة السواقي التي أنشأها
الباشا بالأرض المعروفة برأس الوادي ، بناحية
شرقية بليس ... قيل انها تزيد على ألف ساقية ،
وهي سواقي دواليب خشب تعمل في الأرض التي
يكون منبع الماء فيها قريبا . واستمر الصناعات مدة
مستطلة في عمل آلاتها عند بيت الجبجي — وهو
بيت الرزاز الذي جهة التبانة بقرب المحجر —
وتحمل على الجمال الى الوادي ، وهناك المباشرون
للعمل المقيدون بذلك . وغرسوا بها أشجار التوت
الكثيرة لتربية دود القز واستخراج الحرير ، كما
يكون بنواحي الشام وجبل الدروز .

ثم برزت الأوامر الى جميع بلاد الشرقية بأشخاص
أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم أطياف
فلاحة يستوطنون بالوادي المذكور ، وتبنى لهم
كفور يسكنون فيها ، ويتعاطون خدمة السواقي
والمزارع ، ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير .
واستجلب أناسا من نواحي الشام والجليل — من
أصحاب المعرفة بذلك — ويرتب للجميع نفقات

الى حين ظهور النتيجة ، ثم يكولون شركاء في ربح
المتحصل .

ولما برزت المراسيم يطلب الأشخاص من بلاد
الشرق ، أشيع في جميع قرى الأقاليم المصرية
اشاعات ، وتقولوا أقاويل ، منها : أن الباشا يطلب
من كل بلدة عشرة من الصبيان البالغين وعشر من
البنات ، يزوجهن بهن ، ويمهرهن من ماله ، ويرتب
لهم نفقات الى بدو صلاح المزارع !

ثم أشاعوا الطلب للصبيان الغير مختونين
ليرسلهم الى بلاد الافرنج ليتعلموا الصنائع التي لم
تكن بأرض مصر . وشاع ذلك في أهل القرى ،
وثبت ذلك عندهم ! فختن الجميع صبيانهم .
ومنهم من أرسل ابنه أو بنته وغيها عند معارفه
بالمدينة ... الى غير ذلك من الأقاويل التي لم
يثبت منها الا ما ذكر أولا من أن المطلوب جلب
الفلاحين البطالين من بلد الشرقية لا غير . وقد
تعمر هذا الوادي بالسواقي والأشجار والسكان
من جميع الأجناس ، وانتشأ دنيا جديدة متسمة
لم يكن لها وجود قبل ذلك ... بل كانت بركة خرابا
وفضاء واسعا .

وفيه : سافر جملة من عساكر الأتراك والمغاربة ،
وكبيرهم ابراهيم أغا — الذي كان كتخدا ابراهيم
باشا ، ثم تولى كشوفية المنوفية — وصحبته
خزينة وجبخانه ومطلوبات لمخدومه .

جداى الآخرة

في أوائله (النصف الثاني من ابريل ١٨١٧ م) :

حضر الى مصر ابن يوسف باشا — حاكم
طرابلس — ومعه أخوه أصغر منه ، يستأذنان
الباشا في حضور والدهما الى مصر فارا من
والده . وكان ولاء على ناحية درنة وبنى غازى ،
فحصل منه ما غير خاطر والده عليه ، وعزم على

أو ادرة ، فليذهب الى خان بالموسكى به أربعة من حكماء الافرنج أطباء يداوونه من غير مقابلة شىء . فتعجب الناس من هذا وتحاكوه ، وسعوا الى جهتهم لطلب التداوى .

وفيه : حضر ابن باشت طرابلس ، ودخل الى المدينة — وصحبته نحو المائتى نفر من أتباعه — فانزله الباشا فى منزل أم مرزوق بيك بحارة عابدين ، وأجرى عليه النفقات والرواتب له ولأتباعه .

٢١ منه (٨ مايو ١٨١٧ م) :

وصل خبر الأطباء ومناداتهم الى كتبخدا بيك ، فأحضر حكيم باشا وسأله فأنكر معرفتهم ، وأنه لا علم عنده بذلك ، فأمر باحضارهم وسألهم ، فخلطوا فى الكلام ، فأمر باخراجهم من البلدة ، ونفوهم فى الحال ، وذهبوا الى حيث شاء الله ... ولو فعل مثل هذه الفعلة بعض المسلمين ، لجوزى بالقتل أو الخازوق !

وكان صورة جلوسهم أن يجلس أحدهم خارج المكان والآخر من داخل ، وبينهما ترجمان . ويأتى مريد العلاج الى الأول — وهو كأنه الرئيس — فيجس نبضه أو ييضه ، وكأنه عرف علته ، ويكتب له ورقة فيدخل مع الترجمان بها لآخر بداخل المكان ، فيعطيه شيئا من الدهن أو السفوف أو الحب المركب ، ويطلب منه اما قرشا أو قرشين أو خمسة بحسب الحال ... وذلك ثمن الدواء لاغير !

وشاع ذلك ، وتسامع الناس — وأكثرهم معلول ! ومن طبيعتهم التقليد والرغبة فى الوارد الغريب — فتكاثروا وتزاحموا عليهم ، فجمعوا فى الأيام القليلة جملة من الدراهم . واستلطف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطيب من الافرنج . واصطلاحهم :

أن يحدد عليه ! فأرسل أولاده الى صاحب مصر بهدية ، ويستأذن فى الحضور الى مصر والالتجاء اليه . فأذن له فى الحضور . وهو ابن أخى الذى بمصر أولا ، وسافر مع الباشا الى الحجاز ، ورجع الى مصر ، واستمر ساكنا بالسبع قاعات .

وفيه : وصل الخبر بأن ابراهيم أغا ، الذى سافر مع الجردة ، لما وصل الى العمبة أمر من بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل . فلما ارتحلوا ركب هو فى خاصته وذهب على طريق الشام .

١٦ منه (٣ مايو ١٨١٧ م) :

وصل جراد كثير ليلا ، ونزل بيستان الباشا بشبرا ، وتعلق بالأشجار والزهور ، وصاحت الخولة والبستانجية : وأرسل الباشا الى الحسينية وغيرها ، فجمعوا مشاعل كثيرة وأوقدوها ، وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده . وأمر الباشا لكل من جمع منه رطلا فله قرشان ، فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيرا !

١٩ منه (٦ مايو ١٨١٧ م) :

وصل قبل الغروب جراد كثير من ناحية المشرق ، مارا بين السماء والأرض مثل السحاب ، وكان الريح ساكنا فسقط منه الكثير على الجنائن والمزارع والمقائى . فلما كان فى نصف الليل هبت رياح جنوبية ، واستمرت ، واشتد هبوبها عند انتصاف النهار ، وأثارت غبارا أصفر وعبوقا بالجو ، ودامت الى بعد العصر يوم السبت ، فطردت ذلك الجراد وأذهبتة ... فسبحان الحكيم المدير اللطيف !

٢٠ منه (٧ مايو ١٨١٧ م) :

طاف مناد أعمى يقوده آخر بالأسنواق ، ويقول فى ندائه : « من كان مريضا أو به رمد أو جراحة

رجب

٢ منه (١٩ مايو ١٨١٧ م — ١٢ بشنس ١٥٣٣ ق) :

قبل الغروب بنحو ساعة ، تغير الجو بسحاب وقتام ، وحصل رعد متتابع ، وأعقبه مطر بعد الغروب . ثم انجلى ذلك .

والسبب في ذكر مثل هذه الجزئية شيئان : الأول وقوعها في غير زمانها لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد . الثاني : الاحتياج اليها في بعض الأحيان في العلامات السماوية ، وبالأكثر في الوقائع العامية . فان العامة لا يؤرخون غالبا بالأعوام والشهور ، بل بحادثة أرضية أو سماوية ، خصوصا اذا حصلت في غير وقتها ، أو ملحمة أو معركة أو فصل أو مرض عام أو موت كبير أو أمير ا فاذا سئل الشخص عن وقت مولده أو مولد ابنه أو ابنته أو موت أبيه أو سنة بلوغه سن الرشد ، يقول : كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الأيام . ثم لا يدري في أى شهر أو عام ... وخصوصا اذا طال الزمان بعدها .

وقد تكرر الاحتياج الى تحرير الوقت في مسائل شرعية في مجلس الشرع — في مثل الحضانة ، والعدة ، والنفقة ، وسن اليأس ، ومدة غيبة المفقود — بأن يتفق قولهم على أن الصبى ولد يوم السيل الذى هدم القبور ، أو يوم موت الأمير فلان ، أو الواقعة الفلانية ... ويختلفون في تحقيق وقتها . وعند ذلك يحتاجون الى السؤال ممن عساه يكون أرخ وقتها . وفي غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشيء من ذلك ، لاعتيادهم اهمال العلوم التى كان يعتنى بتدوينها الأوائل ... الا بقدر اقامة الناموس الذى يحصلون به الدنيا . ولولا تدوين العلوم — وخصوصا علم الأخبار — ماوصل اليها شيء منها ، ولا الشرائع الواجبة . ولا

اذا دعى الواحد منهم لمعالجة المريض ، فأول مايبداً به تقل قدمه بدراهم يأخذها اما ريال فرانسة أو أكثر ، بحسب الحال والمقام ، ثم يذهب الى المريض فيجسه ويزعجهم أنه عرف علته ومرضه ... وربما هول على المريض داءه وعلاجه . ثم يقول على سعيه في معالجته بمقدار من الفرانسة ، اما خمسين أو مائة ، أو أكثر بحسب مقام العليل ، ويطلب نصف الجعالة ابتداء ، ويجعل على كل مرة من الترددات عليه جعالة أيضا ، ثم يزاوله بالعلاجات التى تجددت عندهم ، وهى مياه مستقطرة من الأعشاب أو أدهان ... كذلك يأتون بها للمرضى في قوارير الزجاج اللطيفة في المنظر يسمونها بأسماء بلغاتهم ، ويعربونها بدهن البادزهر ، وأكسير الخاصة ونحو ذلك فان شفى الله العليل ، أخذ منه بقية ماقالوله عليه... أو أماته ، طالب الورثة بباقي الجعالة وثنم الأدوية طبق مايدعيه . واذا قيل له : انه قد مات . قال في جوابه : « انى لم أضمن أجله ، وليس على الطبيب منع الموت ولا تطويل العمر » وفيهم من جعل له في كل يوم عشرة من الفرانسة .

وفيه : رأى رأيه حضرة الباشا حفر بحر عميق يجرى الى بركة عميقة ، تحفر أيضا بالاسكندرية ، تسير فيها السفن بالغالل وغيرها ... ومبدؤها من مبدأ خليج الأشرفية عند الرحمانية . فطلب لذلك خمسين ألف فأس ومسحة يصنعها صناع الحديد ، وأمر بجمع الرجال من القرى — وهم مائة ألف، فلاح — توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالأجرة . وبرزت الأوامر بذلك ، فارتبك أمر الفلاحين ومشايخ البلاد ، لأن الأمر برز بحضور المشايخ وفلاحهم . فشرعوا فى التشهيل وما يتزودون به فى البرية ، ولا يدرون مدة الاقامة : فمنهم من يقدرها بالسنة ، ومنهم بأقل أو أكثر .



ابراهيم . . في حروبه مع الوهابية

١٨ منه (٤ يونية ١٨١٧ م) :

سافر الباشا الى أسكلة السويس — وصحبته
السيد محمد المحروقي — ليتلقى سفائنه الواصلة
بالبضائع الهندية .

شعبان

فيه : رجع الباشا من السويس ، وأخلوا
للبضائع الواصلة ثلاث خانات توضع في
حواصلها ، ثم توزع على الباعة بالثمن الذي
يفرضه .

يشك شك في فوائد التدوين وخصائصه بنص
التنزيل قال تعالى : « وكلا نقض عليك من أنباء
الرسل ما ثبت به قوادك وجاءك في هذه الحق
وموعظة وذكرى للمؤمنين » .

١٠ منه (٢٧ مايو ١٨١٧ م) :

وصلت هجانة وأخبار عن ابراهيم باشا من
الحجاز : بأنه وصل الى محل يسمى الموتان ، فوق
بينه وبين الوهابية ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأخذ
منهم أسرى وخياما ومدفعين . ف ضربوا لتلك
الأخبار مدافع سرورا بذلك الخبر .

وفيه : وصل الخبر أيضا بوصول سفائن الى بندر جدة ، وفيها ثلاثة من الفيلة .

وفيه : قوى اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة الى الاسكندرية كما تقدم ، وأن يكون عرضها عشرة أقصاب ، والعمق أربعة أقصاب بحسب علو الأراضي وانخفاضها .

وتعينت كشاف الأقاليم لجمع الرجال ، وفرضوا أعدادهم بحسب كثرة أهل القرية وقلتها ، وعلى كل عشرة أشخاص شخص كبير . وجمعت الغلجان ، ولكل غلق فأس وثلاثة رجال لخدمته ، وأعطوا كل شخص خمسة عشر قرشا ترحيلة ، ولكل شخص ثلاثون نصفا في أجرته كل يوم وقت العمل . وحصل الاهتمام لذلك في وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس ، وزراعة الذرة التي هي معظم قوتهم . وشرعوا في تشييل احتياجاتهم وشراء القرب للماء ... فان بتلك البرية لا يوجد الماء الا ببعض الحفائر التي يخفرها طالب الماء ، وقد تخرج مالهة لأنها أراض مسبخة .

وتعين جماعة من مهندسخانة ، ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها ، فقاموا من فم ترعة الأشرفية حيث الرحمانية ، الى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالاسكندرية ، فبلغ ذلك ستة وعشرين ألف قصبة ثم قاموا من أول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية — وابتدأوها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوة — فكان أقل من ذلك ، ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر . فوقع الاختيار على أن يكون ابتداءها هناك .

وفى أثناء ذلك : زاد النيل قبل المنادة عليه بالزيادة — وذلك فى منتصف يؤونة القبطى — وغرق المقائىء من البطيخ والخيار والعبدلاوى ، وأهمل أمر الحفر فى الترعة المذكورة الى ما بعد

النيل ، واستردت الدراهم التى أعطيت للفلاحين لأجل الترحيلة ! وفرحوا بذلك الاهمال . وقد كان أطلق الباشا لمصارفها أربعة آلاف كيس من تحت الحساب ، ورجع المهندسون الى مصر وقد صوروا صورتها فى كواغد ليطلع عليها الباشا عيانا ، وكان رجوعهم فى ثامن عشر شعبان .

وفيه : تقلد ابراهيم أغا — المعروف بأغات الباب — أمر تنظيم الأصناف والمحدثات وعمل معدلاتها ، لبيان سرقات ومخفيات المتقلدين أمر كل صنف من الأصناف ، بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الأشياء .

وفيه : وصل نحو المائتى شخص من بلاد الروم ... أرباب صنائع : معمرين ، ونجارين ، وحدادين ، وبنائين . وهم ما بين أرمنى ونجريجي ، ونحو ذلك .

وفيه أيضا : اهتم الباشا ببناء حائطين بحرى رشيد — عند الطينة على يمين البغاز وشماله — لينحصر فيما بينهما الماء ، ولا تظمى الرمال وقت ضعف النيل ، ويقع بسبب ذلك العطب للمراكب وتلف أموال المسافرين ، وقد كمل ذلك فى هذا الشهر . وهذه القعلة من أعظم الهمم الملوكية التى لم يسبق بمثلا .

السبت ٢٠ منه (٥ يولية ١٨١٧ م) :

شنق شخص بباب زويلة بسبب الزيادة فى المعاملة ، وعلقوا بأثقة ريال فراصة .. مع أن الزيادة سارية فى المبيعات والمشتريات من غير انكار !

وفيه أيضا : خرم المحتسب آلاف أشخاص من الجزارين فى نواحى وجهات متفرقة وعلق فى آناهم قطعا من اللحم . وذلك بسبب الزيادة فى ثمن اللحم ، وبيعهم له بما أجبوه من الثمن فى بعض

يرحمهم ، ولا يهملهم » ! فوق اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا ، فقلده ذلك ، وأطلق له الأذن .

فعند ذلك ركب في كبكبة ، وخلفه عدة من الخيالة ، وترك شعار المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه ، وكذلك الذى أمامه بالميزان ، ومن بأيديهم الكراييج لضرب المستحق والمنقص فى الوزن . وبات يطوف على الساعة ، ويضرب بالدبوس هشما بأدنى سبب ، ويعاقب بقطع شحمة الأذن . فأغلقوا الجوانيت ، ومنعوا وجود الأشياء — حتى ماجرت به العادة فى رمضان ، من عمل الكعك والرقاق المعروف بالسحير وغيره — فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الجوانيت ، وزاد فى العسف ، ولم يرجع عن سعيه واجتهاده . ولأزم على السعى والطواف ليلا ونهارا ، لا ينام الليل ... بل ينام لحظة وقت ما يدركه النوم فى أى مكان ، ولو على مصطبة حانوت !

وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه ، المخزون فى الحواصل ، ويخرجه ، ويدفع ثمنه لأربابه بالسعر المفروض ، ويوزعه لأرباب الجوانيت ليعيونه على الناس بزيادة نصف أو نصفين فى كل رطل .

وذهب الى بولاق ومصر القديمة ، فاستخرج منهما سنا كثيرا ... ومعظم ذلك فى مخازن للعسكر . فان العسكر كانوا يرصدون لفلاحين وغيرهم ، فيأخذونه منهم بالسعر المفروض — وهو مائتان وأربعون فى العشرة منه — ثم يبيعونه على المحتاجين اليه بما أحبوا من الزيادة الفاحشة ... فلم يراع جانبهم ، واستخرج مخباتهم قهرا عنهم . ومن خالف عليه منهم ، ضربه وأخذ سلاحه ، ونكل به .

وذهب فى بعض الأوقات الى بولاق فأخرج من حاصل بيع بعض الوكائل ثلثمائة وخمسين ماعونا

الأماكن خفية ... لأن الجزارين اذا نزلوا باللحم من المذبح — وأكثره هزيل ونعاج ومعر ، والقليل من المناسب الجيد — فيعلقون الردىء بالحوانيت ويبيعونه جهارا بالثمن المسعر ، ويخفون الجيد ويبيعونه فى بعض الأماكن بما يحبون .

الخميس ٢٥ منه (١٠ يولية ١٨١٧ م) :

وصلت الأفيال الثلاثة من السويس — أحدها كبير عن الاثنين ، ولكن متوسط فى الكبر — فعبروا بها من باب النصر ، وشقوا من وسط المدينة ، وخرجوا بها من باب زويلة على الدرب الأحمر ، وذهبوا بها الى قراييدان . وهرولت الناس والصبيان للفرجة عليها ، وذهبوا خلفها ، وازدحموا فى الأسواق لرؤيتها ... وكذلك العسكر والدلاة ، ركبانا ومشاة ، وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من الخشب .

رمضان

الثلاثاء غرته (١٥ يولية ١٨١٧ م) :

عملت الرؤية تلك الليلة ، وركب المحتسب ، وكذا مشايخ الحرف كعادتهم . وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة ، وكان عمر الرؤية جدا .

وفى صبح ذلك اليوم : عزل عثمان آغا الوردانى من الحسبة ، وتقلدها مصطفى كاشف كرد ... وذلك لما تكرر على سماع الباشا أفعال السوفة وانحرافهم ، وقلة طاعتهم ، وعدم مبالاتهم بالضرب والايذاء وخزم الأنوف والتجريس ... قال فى مجلس خاصته : « لقد سرى حكى فى الأقاليم البعيدة فضلا عن القرية ، وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم ... خلاف سوقة مصر ، فانهم لا يرتدعون بما يفعله فيهم ولالة الحسبة من الاهانة والايذاء ، فلا بد لهم من شخص يقهرهم ولا

لكبير من العسكر . فحضر اليه بطائفته ، فلم يلتفت اليه ووبخه ، وقال له : « أأنتم عساكر ... لكم الرواتب والعلائف واللحوم والأسمان وخلافها ، ثم تحتكرون أيضا أقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزائد » ! وأعطاه الثمن المفروض ، وحمل المواعين على الجمال الى الأمكنة التى أعدها لها عند باب الفتوح .

وعندما رأى أرباب الخوانيت الجدد عدم الاهتمام ، والتشديد عليهم — فتح المغلق منهم حانوته ، وأظهروا مخبأتهم أمامهم ، وملأوا السدريات والطسوت من السمن وأنواع الجبن ... خوفا من بطش المحتسب ، وعدم رحمته بهم . ويقف بنفسه على باعة البطيخ والقاوون !

الثلاثاء ١٥ منه (٢٩ يولية ١٨١٧ م) :

وصلوا برمة ابراهيم بيك الكبير من دققة . وذلك أنه لما وصل خبر موته استأذنت زوجته أم ولده الباشا فى ارسالها امرأة تدعى نفيسة لاحضار رمته . فأذن بذلك ، وأعطى المتسفرة ، فيما بلغنا ، عشرة أكياس ، وكتب لها مكاتبات لكشاف الوجه القبلى بالمساعدة . وسافرت وحضرت به فى تابوت — وقد جف جلده على عظمه لنحافته — وذلك بعد موته بنحو ستة شهور . وعملوا له مشهدا وأمامه كفارة ، ودفنوه بالقرافة الصغرى عند ابنه مرزوق بيك .

الخميس ١٧ منه (٣١ يولية ١٨١٧ م) :

طلب المحتسب حجاج الخضرى ، الشهبى بنواحي الرميلى ، فأخذه الى الجبالية ، وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة ، وذلك فى سادس ساعة من الليل وقت السحور ، وتركوه معلقا لمثلها من الليلة القابلة ! ثم أذن برفعه ، فأخذه أهله ودفنوه .

وحجاج هو الذى تقدم ذكره غير مرة فى واقعة خورشيد باشا وغيرها . وكان مشهورا بالاقدام والشجاعة ، طويل القامة ، عظيم الهمة . وكان شيخا على طوائف الخضرية ، صاحب صولة وكلمة بتلك النواحي ، ومكارم أخلاق . وهو الذى بنى البوابة بآخر الرميلى عند عرصة الغلة أيام الفتنة ، واختفى مرارا ، بعد تلك الحوادث ، وانضم الى الألفى ، ثم حضر الى مصر بأمان . ولم يزل على حاله فى هدو وسكون ، ولم يؤخذ فى هذه بجرم فعله يوجب شنقه ... بل قتل مظلوما لحقد سابق ، وزجرا لغيره !

الاثنين ٢٨ منه (١١ اغسطس ١٨١٧ م — ٦ مسرى ١٥٣٣ ق) :

أوفى النيل أذرع بالوفاء ، وكسر السد — صبح يوم الثلاثاء — بحضرة كتخد بيك والقاضى وغيره ، وجرى الماء فى الخليج ، ولم يقع فيه مهرجان مثل العادة .

هذا والمحتسب مواظب على السروح ليلا ونهارا ، ويعاقب بجرح الإذنان والضرب بالدبوس ، وأقعد بعض صناع الكنافة على صوانهم التى على النار ، وأمر بكس الأسواق ومواظبة زشها بالماء ، ووقود القناديل على أبواب الدور ، وعلى كل ثلاثة من الخوانيت قنديل .

ويركب آخر الليل ، ثم يذهب الى بولاق ، ليتلقى الواردين بالبطيخ الأخضر والأصفر ، ويعرف عدة الشروات ، ويأمرهم بدفع مكوسها المفروض ، ثم يأمرهم بالذهاب الى مراكز بيعهم ... ولا يبيعون شيئا حتى يأتيهم بنفسه ، أو بحضرة من يرسله من طرفه . ثم يعود طائفا عليهم فيحصى ما فى فرش أحدهم عددا ، ويميز الكبير بثن والصغير بثن ، ويترك عند البائع من يياشره ، أو يقف هو بنفسه ، ويبيع على الناس بما فرضه ، ويعطى لصاحبه

الثلث والربح ، فبراه قد ربح العشرة قروش وأكثر بعد مكسه ومصارفه ، فيقول له : « أما يكفي مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع أيضا في الزيادة عليه ؟ » وهو مع ذلك يكر ويطوف على غيره .

ويخلق على ما يرد من السمن الوارد الذى تقرر على المزارعين ، فيزنه منهم بالسعر المفروض — وهو أربعة وعشرون نصفًا الرطل — ويرد عليهم الفوارغ ، ويعطيه للبائع بالثلث المقرر — وهو ستة وعشرون — وهم يبيعونه بزيادة نصفين في كل رطل — وهو ثمانية وعشرون — ويناله الناس بأسهل وجدان ، سألما من الخلط والغش ، ويأمرهم بإعادة ما عسى يوجد فيه من المنة والعكر الى مواعينه ليوزن مع فوارغه .

ورصد أيضا ما يرد للناس — ولو لأكابر الدولة — من السمن ، فيطلق البعض ، ويأخذ الباقي بالثلث . وكذلك ما يأتيهم من البطيخ والدجاج ولو كان لصاحب الدولة ، حسب اذنه له بذلك — كل ذلك للحرص على كثرة وجدان الأشياء .

وتعدت أحكامه الى بضائع التجار والأقمشة الهندية وأهل مرجوش والمحلاوية وخلافهم ، وطلب قوائم مشترواتهم ، والنظر في مكاييلهم . فضاق خناق أكثر الناس من ذلك ، لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله . وكأنه وصله خبر ولادة الحسبة وأحكامهم في الدول المصرية القديمة : فان وظيفة أمين الاحتساب وظيفة قضاء ، وله التحكيم والعدالة ، والتكلم على جميع الأشياء .

وكان لا يتولاها الا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ونظام العدالة ، حتى على من يتصدر لتقرير العلوم . فيجوز مجلسه ويباحثه ، فان وجد فيه أهلية للالقاء أذن له بالتصدر ، أو منعه حتى يستكمل . وكذلك الأطباء والجراحية ...

حتى البيطارية والبزدرية ، ومعلمو الأطفال في المكاتب ، ومعلمو السباحة في الماء ، والنظر في وسق المراكب في الأسفار ، وأعمال الدواب في نقل الأشياء ومقادير روايا الماء ، مما يطول شرحه . وفى ذلك مؤلف للشيخ ابن الرفعة . وقد يسهل بعض ذلك مع العدالة ، وعدم الاحتكار ، وطمع المتولى وتطلعه لما فى أيدي الناس وأرزاقهم . ومما يحكى : أن الرشيد سأل الليث بن سعد فقال له : « يا أبا الحرث ... ما صلاح بلدكم ؟ » يعنى مصر . فقال له : « أما صلاح أمرها ومزارعها فبالنيل . وأما أحكامها ... فمن رأس العين يأتى الكدر » ١٠

فى اواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٨١٧ م) :

زاد المحتسب فى نعمات الطنبور ، وهو أنه أرسل مناديه فى مصر القديمة ينادى على نصارى الأرمن والأروام والشوام : باخلاء البيوت التى عمروها وزخرفوها ، وسكنوا بها بالانشاء والملك والمؤاجرة ... المطة على النيل ، وأن يعودوا الى زعيم الأول من لبس العمام الزرق ، وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهوانات الفارحة ، واستخدامهم المسلمين . فتقدم أعظمهم الى الباشا بالشكوى ، وهو يراعى جانبهم لأنهم صاروا أخصاء الدولة وجلساء الحضرة ، ولدناء الصلبة . وأيضا : نادى مناديه على المردان ، ومحلقى اللحى : بأنهم يتركونها ولا يحلقونها . وجميع العسكر ، وغالب الأتراك ، سنتهم جلق اللحى — ولو طعن فى السن — فأشيع فيهم أن يأمرهم بترك لحاهم ، وذلك خرم لقواعدهم ... بل يرويه من الكبراء . وكذلك السيد محمد المحروقي بسبب تعرضه الى بضائع التجار وأهل الغورية ، فان ذلك منوط به .

وفى أثناء ذلك ، ورد الى عابدين بيك مواعين

السبت ١٠ منه (٢٣ أغسطس ١٨١٧ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة ، وشقوا بها من وسط الشارع الى المشهد الحسيني .

السبت ١٧ منه (٣٠ أغسطس ١٨١٧ م) :

أداروا المحمل ، وخرج أمير الركب الى خارج باب النصر ، ووصلت حجاج كثيرة من فاحية المغرب الى بر انبابة وبولاق ، وطفقوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافا من غير وزن . ويذهب الكثير من الناس الى الشراء منهم فيقعون في الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف وأكثر . وضرورتهم في الشراء منهم ، رداءة ما يحصله القصابون من المذبح من أغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى ، وقد هزلت من السفر والاقامة بالجوع والعطش ، ويموت الكثير منها فيسلخونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس . وفيه المتغير الرائحة ، وما تعافه النفوس . فبسبب ذلك اضطر الناس الى الشراء من هؤلاء الأجناس بالغبن ، وتحمل سوء أخلاقهم . وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور ، وقتل بينهم قتلى ومجاريح ... والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفا من وقوع الفتن . ثم ارتحلوا لأنهم كثروا وملأوا الأزقة والنواحي .

وحضر أيضا الركب الفاسي ، وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما ، فأحسن الباشا نزلهم ، وتقيد السيد محمد المحروقي ببلاقاتهم ولوازمهم . وأنزلوهم في منزل بجوار المشهد الحسيني ، وأجريت عليهم نفقات تليق بهم ، وأهديا للباشا هدية وفيها عدة بغال وبرانس حرير ، وغير ذلك .

الأربعاء ٢٨ منه (١٠ سبتمبر ١٨١٧ م) :

ارتحل الحج المصري من البركة ، وكانت الحجوج في هذه السنة كثيرة من سائر الأجناس :

سمن ، فأرسل الجمال الى حملها من ساحل بولاق ، فبلغ خبرها المحتسب ، فأخذها وأدخلها مخزنه ، وعادت الجمال فارغة . وأخبروا مخدومهم بحجز المحتسب لها ، فأرسل عدة من العسكر فأخرجوها من المخزن وأخذوها ولم يكن المحتسب حاضرا . واتفق أنه ضرب شخصا من عسكر المذكور أرثوودي بالدبوس حتى كاد يموت ، فاشتد بعابدين بيك الحق ، وركب الى كتخدا بيك وشنع على المحتسب . وتعددت الشكاوى ، وصادفت في زمن واحد ... فأنهى الأمر الى الباشا ، فتقدم اليه بكف المحتسب عن هذه الأفعال ، فأحضره الكتخدا وزجره ، وأمره ألا يتعدى حكمه الباعة ، ومن كان يسرى عليهم أحكام من كان في منصبه قبله ، وأن يكون أمامه الميزان ، ويؤدب المستحق بالكرابيج دون الدبوس .

سؤال

الخميس غرته (١٤ أغسطس ١٨١٧ م) .

ترك المحتسب السروح في أيام العيد . وأشيع بين السوق عزله ، فأظهروا الفرح ، ورفعوا ما كان ظاهرا بين أيديهم من السمن والجبن وأخفوه عن الأعين ، ورجعوا الى حالتهم الأولى في الفش والخيانة وغلاء السعر ، وأغلق بعضهم الحانوت ، وخرجوا الى المنتزهات وعملوا ولائم .

الأحد ٤ منه (١٧ أغسطس ١٨١٧ م) :

شنعوا عدة أشخاص في أماكن متفرقة قيل انهم سراق وزغلية ، وكانوا مسجونين في أيام رمضان . ولهم يركب المحتسب حسب الأمر ، بل أركب خازن داره ، وشق بالميزان عوضا عنه ، ثم ركب هو أيضا ، ويده الدبوس ، لكن دون الحالة الأولى في الجبروت ، ولم يسر حكمه على النصارى فضلا عن غيرهم .

أتراك ، وطر ، وبشناق ، وجركس ، وفلاحين ،
ومن سائر الأجناس . ورجع الكثير من المسافرين
على بحر القلزم الى الحجاز من السويس لقلّة
المراكب التي تحملهم ، وغصت المدينة من كثرة
الزحام ... زيادة على ما بها من ازدحام العساكر
وأخلاق العالم : من فلاحى القرى المشيعين
والمسافرين ، ومن يرد من الآفاق والبلاد الشامية ،
ونصارى الروم والأرمن ، والدلاة ، والواردين ،
والذين استدعاهم اليأشا من الدروز ، والمتنولة
والنصيرية وغيرهم ، لعمل الصنائع والمزارع وشغل
الحرير ، وما استجده بواى الشرق ... حتى ان
الانسان يقاسى الشدة والهول اذا مر بالشارع من
كثرة الازدحام ، ومرور الحيلة وحير الأوسية
والجمال التي تحمل الأتربة والأقراض والأحجار
لعبائر الدولة ، سوى من عداها من حمول الأخطاب
والبضائع والتراسين ... حتى الزحمة فى داخل
العطف الضيقة !

وزيادة على ذلك كثرة الكلاب ! بحيث يكون
فى القطعة من الطريق نحو الحسين ثم صياحها
ولباحها المستمر — وخصوصا فى الليل — على
المارين ، وتشاجرهما مع بعضها ، مما يزعج
النفوس ، ويمنع الهجوع !

وقد أحسن الفرنسيات بقتلهم الكلاب : فانهم
لما استقروا ، وتكرر مرورهم ، ونظروا الى كثرة
الكلاب من غير حاجة ولا منفعة سوى الهبة
والعواء — وخصوصا عليهم لغرابة أشكالهم —
فطاف عليها طائف منهم باللحم المسموم ، فما أصبح
النهار الا وجميعها موتى مطروحة بجميع
الشوارع فكان الناس والصغار يسحبونها كذا
بالجبال الى الخلاء ، واستراحت الأرض ومن فيها
منها فالله يكشف عنا مطلق الكرب فى الدنيا
والآخرة بمنه وكرمه .

ذوالقعدة

٥ منه (١٦ سبتمبر ١٨١٧ م) :

ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة .

اواخره (اوائل اكتوبر ١٨١٧ م) :

حصل الأمر للفقهاء بالأزهر بقراءة صحيح
البخارى . فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين ،
وفرقوا بينهم أجزاء وكراريس من البخارى يقرأون
فيها فى مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق .
فاستمروا على ذلك خمسة أيام ... وذلك بقصد
حصول النصر لابراهيم باشا على الوهاية ! وقد
طالت مدة انقطاع الأخبار عنه ، وحصل لآييه قلق
زائد ولما انقضت أيام قراءة البخارى ، نزل
للفقهاء عشرون كيسا فرقت عليهم ، وكذلك على
أطفال المكاتب .

ذوالحجّة

الأربعاء ٤ منه (١٥ اكتوبر ١٨١٧ م) :

شنقوا أشخاصا قيل انهم خمسة ، ويقال انهم
جرامية .

وفيه : أرسلت الأفيال الثلاثة الى دار السلطنة
صحبة الهدايا المرسله . ثلاثة سروج ذهب ، وفيها
سرج مجوهر ، وخيول ، وكباش ، وتقود ، وأقمشة
هنديّة ، وسكاكر وأرز .

وفيه وصل فيل آخر كبير ، مربوا به من وسط
المدينة ، وذهبوا به الى رحبة بيت السيد محمد
المحروقى .. وقفوا به فى أواخر النهار ، والناس
تجتمع للفرجة عليه الى أواخر النهار ثم طلعوا به
الى القلعة وأوقفوه بالطبخانة ، وهى محل عمل
المدافع

وحضر بصحبته شخص يدعى العلم والمعرفة
بالطب والحكمة ، ومعه مجلد كبير فى حجم الوسادة

يحتوى على الكتب الستة الحديثة ، وخطه دقيق ، قال انه نسخه بيده . ونزل بيت السيد محمد المحروقي ، وركب له معجون الجواهر أنفق فيه جملة من المال ، وكحلا . وركب أيضا تراكيب لغيره ، وشرط عليهم في الاستعمال بعد مضي ستة أشهر ، وثنى منها بعد شهرين وثلاثة . وأقام أياما ، ثم سافر راجعا الى صنعاء .

الثلاثاء ١٠ منه (٢١ أكتوبر ١٨١٧ م) :

كان عيد النحر ، ولم يرد فيه مواشى كثيرة ، كالأعياد السابقة ، من الأغنام والجواميس التى تأتى من الأرياف ، فكانت تزدهم منها الأسواق لكثرتها ، والوكائل والرميلة ... فلم يرد الا النزر القليل قبل النحر بيومين ، ويبيع بالثمن الغالى . ولم يذبح الجزارون في أيام النحر للبيع كمادتهم... الا القليل منهم ، مع التحجير على الجلود وعلى من يشتريها ، وتباع لطرف الدولة بالثمن الرخيص جدا .

واقضت السنة ... مع استمرار ما تجدد فيها من الحوادث التى منها ما حدث في آخر السنة : من الحجر وضبط أنوال الحباكة ، وكل ما يصنع بالمكوك ، وما ينسج على نول أو نحوه من جميع الأصناف من ابريسم ، أو حرير ، أو كتان — الا الخيش والفل والحصير — في سائر الاقليم المصرى ، طولا وعرضا ، قبلى وبحرى : من الاسكندرية ودمياط الى أقصى بلاد الصعيد والفيوم ، وكل ناحية تحت حكم هذا المتولى .

وانتظمت لهذا الباب دواوين بيت محمود بيك الخازن دار ، وأياما بيت السيد محمد المحروقي ، وبحضرة من ذكر والمعلم غالى . ومتولى كبرذلك ، والمفتتح لأبوابه : المعلم يوسف كنعان الشامى ، والمعلم منصور أبو سريعون القبطى . ورتبوا لضبط ذلك كتابا ومباشرين يتقرون بالنواحى والبلدان

والقرى ، وما يلزم لهم من المصاريف والمعاليق والمشاهرات ما يكفيهم في نظير تقيدهم وخدمتهم . فيمضى المتعينون لذلك فيحصون ما يكون موجودا على الأنوال بالناحية ، من القماش والبز والأكسية الصوف المعروفة بالزعايط والدقافى ، ويكتبون عدده على ذمة الصانع ، ويكون ملزوما به ... حتى اذا تم نسجه ، دفعوا لصاحبه ثمنه بالفرض الذى يفرضونه . وان أرادها صاحبها ، أخذها من الموكلين بالثمن الذى يقدرونه ، بعد الختم عليهما من طرفيها بعلامة الميرى . فان ظهر عند شخص شئ من غير علامة الميرى ، أخذت منه ... بل وعوقب ، وغرم تأديبا على اختلاسه ، وتحذيرا لغيره !

هذا شأن الموجود الحاصل عند النساجين ، واستئناف العمل المجدد : فان الموكل بالناحية ومباشرها يستدعون من كل قرية شخصا معروفا من مشايخها ، فيقيسونه وكيلا ، ويعطونه مبلغا من الدراهم ، ويأمرونه باحصاء الأنوال والشفالين والبطالين منهم في دفتر ، فيأمرون البطالين بالنسج على الأنوال التى ليس لها صناع بأجرتهم كغيرهم على طرف الميرى . ويدفع المتوكل لشخصين أو ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتى يغزلن الكتان بالنواحي ، ويجعلنه أذرا ، فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض ، ويأتون به الى النساجين ، ثم تجمع أصناف الأقمشة في أماكن للبيع بالثمن الزائد . وجعلوا لمبيعها أمكنة مثل : خان أبو طليقة ، وخان الجلال . وبه يجلس المعلم كنعان ومن معه ، وغير ذلك .

وبلغ ثمن الثوب القطن ، الذى يقال له البطانة ، الى ثلثمائة نصف فضة ، بعدما كان يشتري بمائة نصف ، وأقل وأكثر ، بحسب الرداءة والجودة ... وأدركناه يباع في الزمن السابق بعشرين نصفا . وبلغ ثمن المقطع القماش الغليظ الى ستمائة نصف

فضة ، وكان يساع بأقل من ثلث ذلك ... وقس على ذلك باقى الأصناف . وهذه البدعة أشنع البدع المحدثه ، فان ضررها عم الغنى والفقير ، والجليل والحقير . والحكم لله العلى الكبير .

ومنها : أن المشار اليه هدم القصر الذى بالآثار ، وأنشأه على الهيئة الرومية التى ابتدعوها فى عمائرهم بمصر ، وهدموه وعمره وبيضوه فى أيام قليلة . وذلك أنه بات هناك ليلتين فأعجبه هواؤه ، فاختار بناءه على هواه . وعند تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف ، جعل يتردد الى المبيت به بعض الأحيان مع السرارى والعلماء ، كما يتنقل من قصر الجيزة وشبرا والأزبكية والقلعة وغيرها من سرايات أولاده وأصهاره . والملك لله الواحد القهار .

ومنها : أن طائفة من الافرنج الانكليز قصدوا الاطلاع على الأهرام المشهورة الكائنة ببر الجيزة غربى القسطنطينية ، لأن طبيعتهم ورغبتهم الاطلاع على الأشياء المستغربات ، والفحص عن الجزئيات ... وخصوصا الآثار القديمة ، وعجائب البلدان والتساوير والتماثيل التى فى المغارات والبرابى بالناحية القبلىة وغيرها . ويطوف منهم أشخاص فى مطلق الأقاليم بقصد هذا الغرض ، ويصرفون لذلك جملا من المال فى تقباتهم ولوازمهم ومؤاجريهم .

حتى انهم ذهبوا الى أقصى الصعيد ، وأحضروا قطع أحجار عليها نقوش وأقلام وتساوير ، ونواويس من رخام أبيض ، كان بداخلها موتى بكافانها وأجسامها باقية بسبب الأطلية والأدهان الحافظة لها من البلى ، ووجه المقبور مصور على تماثيل صورته التى كان عليها فى حال حياته ، وتماثيل آدمية من الحجر السناقى الأسود المنقط الذى لا يعمل فيه الحديد جالسين على كراسى ، واضعين أيديهم على الركب ، ويبد كل واحد شبه مفتاح

بين أصابعه اليسرى ، والشخص مع كرسية قطعة واحدة مفرغ معه أطول من قامة الرجل الطويل ، وعلو رأسه نصف دائرة منه فى علو الشبر ... وهم شبه العبيد المشوهين الصورة ، وهم ستة على مثال واحد كأنما أفرغوا فى قالب واحد ، يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين ، وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصورة . وأحضروا أيضا رأس صنم كبير ، دفعوا فى أجرة السفينة التى أحضروه فيها ستة عشر كيسا : عنها ثلثمائة وعشرون ألف نصف فضة ، وأرسلوها الى بلادهم لتباع هناك بأضعاف ما صرفوه عليها ... وذلك عندهم من جملة المتاجر فى الأشياء الغريبة ١

ولما سمعت بالصنور المذكورة ، ذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير ، المعروف بالساعاتى ، وسنيدى ابراهيم المهدي الانكليزى ، الى بيت قنصل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة جهة الأزبكية ، وشاهدت ذلك كما ذكرته ، وتعجبنا من صناعتهم وتشابهم ، وصقالة أبدانهم الباقية على ممر السنين ، والقرون التى لا يعلم قدرها الا علام الغيوب .

وأرادوا الاطلاع على أمر الأهرام ، وأذن لهم صاحب المملكة ، فذهبوا اليها ونصبوا خيمة ، وأحضروا الفعلة والمساحى والغلقان ، وعبروا الى داخلها ، وأخرجوا منها أتربة كثيرة من زبل الطوطا وغيره ، ونزلوا الى الزلافة ، ونقلوا منها ترابا كثيرا وزبلا ، فأتتهوا الى بيت مربع من الحجر المنحوت غير مسلوك — هذا ما بلغنا عنهم — وحفروا حوالى الرأس العظيمة التى بالقرب من الأهرام ، التى تسميها الناس رأس أبى الهول ، فظهر أنه جسم كامل عظيم من حجر واحد ، ممتد كأنه راقد على بطنه ، رافع رأسه — وهى التى يراها الناس — وباقى جسمه مغيب بما انهار عليه من الرمال ، وساعده من مرفقيه ممتدان أمامه ،

وكان قد ختم القرآن ، فجهوده على الشيخ النير ، على طريقة الشاطبية والدرة ، وحبب اليه طلب العلم . فأول ما حفظ : متن الأجرومية ، وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدي علي بن العربي السقاط ، وحضر دروس أعيان عصره ، واجتهد في التحصيل . ولأزم دروس الشيخ الصعيدي في الفقه وغيره من كتب المعقول ، وحضر على السيد البليدي شرح السعد على عقائد النسفي والأربعين النووية ، وسمع الموطأ على هلال المغرب وعلمه : الشيخ محمد التاودي ابن سودة ، بالجامع الأزهر سنة وروده بقصد الحج ، ولأزم المرحوم الوالد حسن الجبرتي سنين ، وتلقى عنه الفقه الحنفي ، وغير ذلك من الفنون : كالهئية ، والهندسة ، والفلكيات ، والأوقاف ، والحكمة عنه ، وبواسطة تلميذه الشيخ محمد بن اسماعيل النفراوي المالكي .. وكتب له اجازة مثبتة في برنامج شيوخه . وحضر الشيخ يوسف الحنفي في آداب البحث وبانت سعاد ، وعلى الشيخ محمد الحنفي أخيه ، مجالس من الجامع الصغير والشمايل والنجم الغيطي في المولد ، وعلى الشيخ أحمد الجوهري في شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام ، وسمع منه المسلسل بالأولية ، وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاي عبد الله الشريف . وشملته اجازة الشيخ الملوي ، وتلقى عنه مسائل في أواخر أيام انقطاعه بالمنزل .

ومهر وأنجب ، وتصدر لالقاء الدروس في حياة شيوخه ، ونما أمره ، واشتهر فضله — خصوصا بعد موت أشيخه — وشباع ذكره في الآفاق ، وخصوصا بلاد المغرب ، وتأتية الصلوات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام . ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه والتلقي منه ، وتوجه في بعض لمقتضيات الى دار السلطنة ، وألقى هناك دروسا حضره فيها علماءهم ، وشهدوا بفضله ،

وبينهما شبه صندوق مربع الى استطالة ، من سماق أحمر عليه نقوش شبه قلم الطير : في داخله صورة سبع مجسم من حجر مدهون بدهان أحمر رابض ، باسط ذراعيه في مقدار الكلب ، رفعوه أيضا الى بيت القنصل ، ورأته يوم ذاك . وقيس المرتفع من جسم أبي الهول من عند صدره الى أعلى رأسه ، فكان اثنين وثلاثين ذراعا ، وهي نحو الربع من باقى جسمه ، وأقاموا في هذا العمل نحو من أربعة أشهر .

وأما من مات في هذه السنة من المشاهير : فمات العالم العلامة ، الفاضل الفهامة ، صاحب التحقيقات الرائقة ، والتأليفات الفائقة ... شيخ شيوخ أهل العلم ، وصدر صدور أهل الفهم ، المتفنن في العلوم كلها ، ثقلها وعقلها وأديها . اليه انتهت الرياسة في العلوم بالديار المصرية ، وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية . استنبط الفروع من الأصول ، واستخرج نقائص الدرر من بحور المعقول والمنقول ، وأودع الطروس فوائد ، وقلدها عوائد فرائد : الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد ابن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنباوي ، المالكي الأزهرى ، الشهير بالأمير ، وهو لقب جده الأدنى أحمد . ومببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما امرة بالصعيد .

وأخيرنى المترجم من لفظه أن أصلهم من المغرب ، نزلوا بمصر عند سيدي عبد الوهاب أبى التخصيص ، كما أخبر عن ذلك وثائق لهم ، ثم التزموا بحصة بناحية سنبل ، وارتحلوا اليها وقطنوا بها ، وبها ولد المترجم .

وكان مولده في شهر ذى الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وألف بأخبار والديه ، وارتحل معهما الى مصر وهو ابن تسع سنين .

وله أيضا :

تخيلت أن الشمس والبحر تحتها
وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح أتى المرأة بنظر وجهه
ففى وجهها من وجهه الضوء دافق
وله أيضا :

يامالك القلب من بين الملاح وان
توهم الغير أن القلب مشترك
انى أغار على حظى لديك ففسر
أيضا على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم ينتهوا عما تسوله
نفوس سومهم طرق الردى سلخوا
توهبوا أنهم حلوا وقد ملكوا
ويعلم الله ما حلوا وما ملكوا
ياسبد الكل ياقطب الجمال ومن
فى دولة الحسن يروى أنه الملك
ما كان قلبى يهوى الغير ياأملى
فابعث ريمى أذ أهل الهوى هلكوا
وأسقط البين وارفع جب شأنك لى
ليشتنى خاطر بالفكر يعتك
بلطف ذاتك لا تقطع رجاء فتى
على عيوب له بالعهد يبتسك

وله أيضا :

دع الدنيا فليس بها مرور
يتم ولا من الأحزان تسلم
ونعرض أنه قد تم فرضا
فغصم زواله أمر محتم
فكن فيها غريبا ثم عبي
الى دار البقا ما فيه تغنم
وان لا بد من لهو فلهو
بشئ نافع والله أعلم

واستجازوه وأجازهم بما هو مجاز به من أشياخه .
وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بأيدي الطلبة ،
وهى فى غاية التحرير ، منها مصنف فى فقه مذهبه
سماه « المجموع » حاذى به مختصر خليل : جمع
فيه الراجح فى المذهب ، وشرحه شرحا نفيسا .
وقد صار كل منهما مقبولا فى أيام شيخه
العدوى ... حتى كان اذا توقف شيخه فى موضع
يقول : « هاتوا مختصر الأمير » ، وهى منقبة
شريفة وشرح مختصر خليل ، وحاشية على المغنى
لابن هشام ، وحاشية على الشيخ عبد الباقي على
المختصر ، وحاشية على الشيخ عبد السلام على
الجوهرية ، وحاشية على شرح الشذور لابن هشام ،
وحاشية على الأزهرية ، وحاشية على الشنشورى
على الرحبية فى الفرائض ، وحواشى على المعراج ،
وحاشية على شرح الماوى على السمرقندية ،
ومؤلف سماه : مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين ،
واتحاف الأنس فى الفرق بين اسم الجنس وعلم
الجنس ، ورفع التلبس عما يسأل به ابن خميس ،
وثمر التمام فى شرح آداب الفهم والافهام ،
وحاشية على المجموع ، وتفسير سورة القدر .
ومن نظمه قوله متغزلا :

أيها السيد المدلل ضاعت

فى الهوى ضيغتى وأنسيت لسكى

يالك الله لا تمل لسوائى

وتحكم ولو بما فيه فتكى

وانظر الحق فى علو غناه

كل شئ يحويه غير الشرك

وله فى التشبيه :

ياحسن لون الشمس عند غروبها

فى روض أنس نزهة للأنفس

فكأنه وكأنه فى ناظرى

ذهب يجول على بساط سندس

وله غير ذلك من النظم المليح ، والدوق الصحيح ،
واللسان الفصيح .

وكان رحمه الله رقيق القلب ، لطيف المزاج ،
ينزعج طبعه من غير انزعاج ... يكاد الوهم يؤلمه ،
وسماع المتأفر يوهنه ويسقمه . وبأخرة ضعفت
قواه ، وتراخت أعضائه ، وزاد شكواه . ولم يزل
يتعلل ، ويزداد أئينه ويتململ ، والأمراض به
تسلسل ، وداعى المنون عنه لا يتحول ... الى أن
توفي يوم الاثنين عاشر ذى القعدة الحرام . وكان
له مشهد حافل جدا ، ودفن بالصحراء بجوار مدفن
الشيخ عبد الوهاب العفيفي ، بالقرب من عمارة
السلطان قايتباي . وكثر عليه الأسف والحزن .
وخلف ولده العلامة التحرير الشيخ محمد الأمير ،
وهو الآن أحد الصدور كوالده : يقرأ الدروس ،
ويفيد الطلبة ، ويحضر الدواوين والمجالس العالية
... بارك الله فيه .

ومات الشيخ الفقيه العلامة : الشيخ خليل
المدائني ... لكونه يسكن بحارة المدابغ .

حضر دروس الأشياخ من الطبقة الأولى ،
وخلص الفقه والمعقول ، واشتهر فضله ، مع فقره ،
وانجماعه عن الناس ... متقشفا متواضعا ،
ويكتسب من الكتابة بالأجرة . ولم يتجمل
بالملايس ، ولا بزي الفقهاء . يظن الجاهل به أنه
من جملة العوام . توفي يوم الاثنين ثامن عشر ذى
القعدة من السنة .

ومات الشيخ الفقيه الورع : الشيخ علي ،
المعروف بأبي زكري البولاقى ... لسكنه ببولاق .
وكان ملازما لأقراء الدروس ببولاق ، ويأتى الى
الجامع الأزهر فى كل يوم : يقرأ الدروس ، ويفيد
الطلبة ، ويرجع الى بولاق بعد الظهر .

ومات حمارة الذى كان يأتى عليه الى الجامع
الأزهر ، فلم يتخلف عن عادته ، ويأتى ماشيا ثم
يعود مدة ... حتى أشفق عليه بعض المشفقين من
أهالى بولاق ، واشتروا له حمارا . ولم يزل على
حالته وانكساره حتى توفي يوم الخميس ثامن
شهر ذى القعدة من السنة ، رحمه الله وإيانا ،
وجمعنا فى مستقر رحمته ... آمين .

ومات من أكابر الدولة ، المسمى ولى افندي ،
ويقال له : ولى خوجا . وهو كاتب خزينة الباشا ،
وأشأ الدار العظيمة التى بناحية باب اللوق ،
وأدخل فيها عدة بيوت ، ودورا جليلة تجاهها
وملاصقة لها من الجهتين ، وبعضها مظل على
البركة المعروفة ببركة أبى الشوارب .

وتقدم فى أخبار العام الماضى أن الباشا صاهره ،
وزوج ابنته لبعض أقارب الباشا الخصيصين به
— مثل الذى يقال له شريف أغا ، وآخر — وعمل
له مهما عظيما احتفل فيه الى الغاية ، وزفة وشنكا
... كل ذلك وهو ممرض ، الى أن مات فى ثالى
عشرين ربيع الثانى ، وضبطت تركته فوجد له
كثير من النقود والجواهر والأمتعة وغير ذلك .
فسبحان الحى الذى لا يموت .

المحرم

في غرته (١١ نوفمبر ١٨١٧ م) :

استهل ... ووالى مصر وحاكمها : الوزير محمد على باشا ، وهو المتصرف فيها : قبلها وبحريها ، بل والأقطار الحجازية وضواحيها . وييده أزمة الثغور الاسلامية .

وزيره : محمديك لاظ — المعروف بكتخدا بيك — وهو قائم مقامه في حال غيابه وحضوره ، والمتصدر في ديوان الأحكام الكلية والجزئية ، وفصل الخصومات ، ومباشرة الأحوال ... نافذ الكلمة ، وافر الحرمة .

وأغات الباب : ابراهيم أغا ، ومتولى أيضا أمر تعديل الأصناف ليوفر على الخزينة ما يأكله المتولى على كل صنف ، ويخفى أمره . فيشدد الفحص في المكيل والموزون والمذروع ... حتى يستخرج المخبأ ، ولو قليلا ، فيجتمع من القليل الكثير من الأموال ، فيحاسب المتولى مدة ولايته ، فيجتمع له ما لا قدرة له على وفاء بعضه ... لأن ذلك شيء قد استهلك في عدة أيدي أشخاص وأتباع . ويلزم الكبير بأدائه ، ويقاسى ما يقاسيه من الحبس والضرب ، وسلب النعمة ، ومكابدة الأهوال .

وسلحدار الباشا : سليمان أغا — عوضا عن صالح بيك السلحدار لاستغفائه عنها في العام السابق — وهو المسلط على أخذ الأماكن وهدمها ، وبناءها خانات وزبعا وحوانيت . فيأتى الى الجهة

التي يختار البناء فيها ، ويشرع في هدمها . ويأتيه أربابها فيعطيههم أثمانها ، كما هي في حججهم القديمة . وهو شيء نادر بالنسبة لغلو أثمان العقارات في هذا الوقت ... لعموم التخرب ، وكثرة العالم ، وغلاء المؤن ، وضيق المساكن بأهلها . حتى ان المكان الذى كان يؤجر بالقليل ، صار يؤجر بعشرة أمثال الأجرة القديمة ... ونحو ذلك .

ومحمود بيك الخازندار ، وخدمته : قبض أموال البلاد والأطيان والرزق ، وما يتعلق بذلك من الدعاوى والشكاوى . وديوانه بخط سوقية اللالا .

والمعلم غالى ، كاتب سر الباشا ، ورئيس الأقباط . وكذلك الدفتردار : محمد بيك ، صهر الباشا وحاكم الجهة القبلية . والروزنامجى : مصطفى أفندى . وأغا مستحفظان حسن أغا البهلوان ، والزعيم على أغا الشعراوى .

ومصطفى أغا كرد : المحتسب ، وقد بردت همته عما كان عليه ، ورجع الحال في قلة الأدهان كالأول ، وازدحم الناس على معمل الشمع ... فلا يحصل الطالب منه شيئا الا بشق الأنفس . وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المطلوب ، ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شيء منه من الفلاحين الداخلين الى المدينة من القرى ، فيأخذونه منهم بدون القيمة ... حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين . وأما المعاملة فلم يزل أمرها في اضطراب بالزيادة والنقص ، وتكرار المنادة كل قليل ،

أيام . وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وفى هذا الشهر : انعدم وجود القناديل الزجاج ، وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة أنصاف بستين نصفاً ... اذا وجد !

ربيع الآخر

١٤ منه (٢٢ فبراير ١٨١٨ م) :

سافر أولاد سلطان المغرب والكثير من حجاج المغاربة . وكانوا فى غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم أسواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع الطرق : فكانوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها على الناس جزافاً من غير وزن بعد أن يتركوا لأنفسهم مقدار حاجتهم . فذهب الكثير للشراء منهم بسبب رداءة اللحم الموجود بحوانيت الجزائريين ... ولو وقف عليهم بالثمن الزائد .

فى أواخره (أوائل مارس ١٨١٨ م) :

حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لإبراهيم باشا ، وأنه استولى على بلدة تسمى الشقراء ، وأن عبد الله بن مسعود كان بها فخرج منها هارباً الى الدرعية ليلاً ، وأن بين عسكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين . فلما وصل هذا المشر ، ضربوا لقدمه مدافع من أبراج القلعة . وذلك وقت الغروب من يوم الأربعاء سادس عشرينه .

جمادى الأولى

فى غرته (٩ مارس ١٨١٨ م) :

نودى على طائفة المخالفين للملة — من الأقباط والأروام — بأن يلزموا زيهم من الأزرق والأسود ، ولا يلبسون العمائم البيض ... لأنهم

وصرف الريال الفرنسية الى أربعمئة نصف فضة ، والمحجوب الى أربعمئة وثمانين ، والبندقى الى تسعمئة نصف ، والمجر الى ثمانمئة نصف . وأما هذه الأصناف العديدة التى تذكر فهمى أسماء لا وجود لمسمياتها فى الأيدى !

١٢ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١٧ م) :

سافر الباشا الى جهة الاسكندرية لمحاسبة الشركاء ، والنظر فى بيع الغلال والمتاجر والمراسلات .

١٩ منه (٢٩ نوفمبر ١٨١٧ م) :

ارتحلت عساكر أتراك ومغاربة مجردة الى الحجاز .

سفر

١٣ منه (٢٣ ديسمبر ١٨١٧ م) :

وصل الكثير من حجاج المغاربة .

١٧ منه (٢٧ ديسمبر ١٨١٧ م) :

وصل جاويز الحاج . وفى ذلك اليوم — وقت العصر — ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من إبراهيم باشا بأنه حصلت له نصرة ، وملك بلدة من بلاد الروهاية ، وقبض على أميرها ، ويسمى عتيبة ، وهو طاعن فى السن .

٢١ منه (٣١ ديسمبر ١٨١٧ م) :

وصل ركب الحاج المصرى والمحملى . وأمير الحاج من الدلاة .

ربيع الأول

الجمعة غرته (٩ يناير ١٨١٨ م) :

وصل قابجى من دار السلطنة . فعملوا له موكباً ، وطلع الى القلعة ، وضربوا له شنكا سبعة

جداى الآخرة

١٥ منه (٢٢ ابريل ١٨١٨ م) :

حصل خسوف للقمر في سادس ساعة من الليل .
وكان المنخسف منه مقدار النصف ، وحصل الأمر
أيضا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر .
وفيه : ورد الخبر بسوت الشريف حمود ، وأنه
أصيب بجراحة ومات بها .

٢٩ منه (٦ مايو ١٨١٨ م) :

حصل كسوف للشمس في ثالث ساعة من النهار .
وكان المنكسف منها مقدار الثلث .
وفيه : ضربت مدافع لوصول بشارة من ابراهيم
باشا بأنه ملك جانبا من الدرعية ، وأن الوهابية
محصورون ، وهو ومن معه من العربان محيطون
بهم .

شعبان

(٦ يونية - ٤ يولية ١٨١٨ م)

فيه : حضر خليل باشا وحسين بيك دالى باشا
من الجهة البحرية ، ونزلوا بدورهم .

رمضان

الأحد ١٥ منه (١٩ يولية ١٨١٨ م) :

وصل نجاب ، وأخبر بأن ابراهيم باشا ركب الى
جهة من نواحي الدرعية لأمر ببتغيه ، وترك عرضيه
فاغتتم الوهابية غيابه ، وكبسوا على العرضى على
حين غفلة ، وقتلوا من العساكر عدة وافرة ،
وأحرقوا الجبخانه .

فمنذ ذلك قوى الاهتمام ، وارتحل جملة من
العساكر في دفعات ثلاث ، برا وبحرا ، يتلو بعضهم
بعضا ... في شعبان ورمضان . وبرز عرضى خليل
باشا الى خارج باب النصر ، وترددوا في الخروج

خرجوا عن الحد في كل شيء ، ويتعممون بالشيلا
الكشميري الملونة والغالية في الثمن ، ويركبون
الرهوانات والبغال والخيول ، وأمامهم وخلفهم
الخدم بأيديهم المعصى يتردون الناس عن طريقهم ،
ولا يظن الراى لهم الا أنهم من أعيان الدولة ،
ويلبسون الأسلحة ، وتخرج الطائفة منهم الى
الخلاء ، ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق
الرصاص وغير ذلك .

فما أحسن هذا النهى .. لو دام !

٢١ منه (٢٩ مارس ١٨١٨ م) :

حضر الباشا من غيبته بالاسكندرية أواخر
النهار ، فضربوا لقدمه مدافع ، فبات بقصر شبرا .
وطلع في صباحها الى التلعة ، فضربوا بها مدافع
أيضا . فكان مدة غيبته بالاسكندرية أربعة أشهر
وتسعة أيام .

في اواخره (اوائل ابريل ١٨١٨ م) :

وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن
ابراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد
الوهابية ، ولم يبق بينه وبين الدرعية الا ثمانى
عشرة ساعة . فضربوا شنكا ومدافع .

وفيه : وصل هجان من حسن باشا ، الذى
بجدة ، بمراسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود
بناحية يمن الحجاز ، وأنه حاصر من بتلك النواحي
من العساكر وقتلهم ، ولم ينج منهم الا القليل ،
وهو من فر على جوائد الخيل .

ورقع فيه أيضا : الاهتمام في تجريد عساكر
للسفر . وأرسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور
من ناحية بحرى هو وخلافه . وحصل الأمر بقراءة
صحيح البخارى بالأزهر ، فقرئ يومين ، وفرق
على مجاورى الأزهر عشرة أكياس ، وكذلك فرقت
دراهم على أولاد المكاتب !

والدخول ، واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر ! فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ، ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن ، من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم ... وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الاسلام !
وانقضى شهر الصوم ... والباشا متكرر الخاطر ومتقلق ، ومنتظر ورود خبر ينسر بسماعه .

شوال

غرفته (٣ أغسطس ١٨١٨ م - ٢٨ ايب ١٥٣٤ ق) :
كان هلاله عسر الرؤية جدا . فحضر جماعة من الأتراك الى المحكمة وشهدوا برؤيته .

وفيه : أوفى النيل أذرعه ، فأخروا فتح سد الخليج ثلاثة أيام العيد ، ونودي بالوفاء يوم الأربعاء ، وحصل الجمع يوم الخميس رابعة . وحضر فتح الخليج كخدا بيك والقاضي ، ومن له عادة بالحضور ... فكان جمعا وازدحاما عظيما من أخلاط العالم في جهة السد والروضة ... تلك الليلة . واشتعلت النار في الحديقة واحترق فيها أشخاص ، ومات بعضهم .

٦ منه (٨ أغسطس ١٨١٨ م) :

خرج خليل باشا المعين الى السفر في موكب ، وشق من وسط المدينة ، وخرج من باب النصر ، وعطف على باب الفتوح ، ورجع الى داره في قلة من أتباعه في طريقه التي خرج منها !

وفيه : انتدب مصطفى أغا المحتسب ، ونادى في المدينة ، ويأمر الناس بقطع أراضي الطرقات والأزقة ... حتى العطف والحدائق الغير النافذة . فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم في قطع الأرض والحفر ، ونقل الأتربة وحملها ... من خوفهم من أذيته ، ولعدم الفعلة والأجراء

واشتغال حمير الترايين باستعمالهم في عمائر أهل الدولة . فلو كان هذا الاهتمام في قطع أرض الخليج الذي يجري به الماء ! فانه لم تقطع أرضه . وينقطع جريانه في أيام قليلة لعلو أرضه من الطمي ، وبما يتهدم عليه من الدور القديمة ، وما يلقيه السكان فيه من الأتربة ... وزاد على ذلك — بهذه الفعلة — القاء ما يحفرونه وينقلونه من أتربة الأزقة والبيوت القديمة القريبة منه ... فيه ، ليلا ونهارا .

٨ منه (١٠ أغسطس ١٨١٨ م) :

ارتحل خليل باشا مسافرا الى الحجاز من القزم ، وعساكره الخيالة على طريق البر .

١٣ منه (١٥ أغسطس ١٨١٨ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة الى المشهد الحسيني على العادة .

٢٢ منه (٢٤ أغسطس ١٨١٨ م) :

عمل الموكب لأمر الحاج — وهو حسين بيك دالي باشا — وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمايل ، ثم انتقل في يوم الأربعاء الى البركة ، وارتحل منها يوم الاثنين تاسع عشرينه .

وسافر الكثير من الحجاج ، وأكثر فلاحى القرى والصعايدة ، ومن باقى الأجناس — مثل المغاربة والقرمان والأتراك — أنفار قليلة .

وفيه : وصل قابجى وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنة الجديدة ، وطلع الى القلعة في موكب ، وقرئ التقرير بحضرة الجمع ، وضربت مدافع كثيرة . وكذلك وصل قبله قابجى صبحته فرمان بشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، فعمل له شئك ومدافع ، ثلاثة أيام في الأوقات الخمسة ، وذلك في منتصفه .

ذوالقعدة

(٢ سبتمبر — أول أكتوبر ١٨١٨ م)

لهذا الخبر سرورا عظيما ، والجللى عنه الضجر والقلق ، وأنعم على الميشر . وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش

الثلاثاء ١٢ منه (١٣ أكتوبر ١٨١٨ م) :

وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع ، وذلك قبيل العصر ، فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة ، واستمر الضرب من العصر الى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع .

وصادف ذلك شباك أيام العيد . وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها ، وبولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشباك علي بحر النيل تجاه الترسخانة ببولاق ، من النجارين والخراطين والحدادين . وتقيد لذلك أمين أفندي المعمار ، وشرعوا في العمل . وحضر كشاف النواحي والأقاليم بعساكرهم ، وأخرجوا الخيام والصواوين

انقضى ... والباشا منفعل الخاطر ، لتأخر الأخبار ، وطول الانتظار . وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، ويفرق على صغار المكاتب والفقراء دراهم . ولضيق صدره ، واشتغال فكره ، لا يستقر بمكان : فيقيم بالقلعة قليلا ، ثم ينتقل الى قصر شبرا ، ثم الى قصر الآثار ، ثم الأزبكية ، ثم الجيزة ... وهكذا .

ذوالحجة

الخميس ٧ منه (٨ أكتوبر ١٨١٨ م) :

وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان أغا الورداني ، أمير الينبع ، بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية . فانسر الباشا



قصر شبرا

الأنوال التي تقدم ذكرها ، وكان يتعيش منها ألوف من العالم .

ولما اشتد الضنك بالملتزمين ، وتكرر عرض حالهم ، فأمر لهم بصرف الثلث . وتحول المصرفي على بعض الجهات ، فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحالة من لوازم عساكر السف المجردين .

واقضى العام ... وأكثر الناس لم يحصل على شيء ، وذلك لكثرة المصاريف والارساليات : من الذخائر والغلل والمؤن ، وخزائن المال من أصناف خصوص الريال الفرنسية والذهب البندي والمحبوب الاسلامي ... بالأحمال ، وهي الأصناف الرائجة بتلك النواحي . وأما القروش فلارواج لها الا ببصر وضواحيها فقط .

أخبرني أحد أعيان كتاب الخزينة عن أجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة في مرة من المرات : خمسة وأربعين ألف فرانسة ، وذلك من الينبع الى المدينة ، حسابا عن أجرة كل بعير ستة فرانسة : يدفع نصفها . أمير الينبع ، والنصف الأخير يدفعه أمير المدينة عند وصول ذلك . ثم من المدينة الى الدرعية ما يبلغ المائة والأربعين ألف فرانسة . وهو شيء مستمر التكرار والبعوث ، ويحتاج الى كنوز قارون وهامان ، واكسير جابر بن خيان !

ومنها : العمارة التي أمر بإنشائها الباشا المشار اليه بين السورين ، وحارة النصارى ، المعروفة بخميس العدس ، المتوصل منها الى جهة الخرتقش . وذلك بإشارة أكابر نصارى الافرنج ليجتمع بها أرباب الصنائع الواصلون من بلاد الافرنج وغيرهم ، وهي عمارة عظيمة ابتدأوا فيها من العام الماضي ، واستمروا مدة في صناعة الآلات الأصولية التي يصطنع بها اللوازم ، مثل السندالات والمخارط

والوطاقات ، خارج باب النصر وباب الفتوح . وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرته .

ونودى بالزينة — وأولها الأربعاء — فشرع الناس في زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ، ووقود القناديل والسهر ، وأظهروا الفرح والملاعب .

كل ذلك ... مع ما الناس فيه من ضيق الحال ، والكسب في تحصيل أسباب المعاش ، وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار . وكذا السمن فإنه شح وجوده ، ولا يوجد منه الا القليل عند بعض الزياتين ، ولا يبيع الزيادات زيادة عن الأوقية . وكذلك اللحم : لا يوجد منه الا ما كان في غاية الرداءة من لحم النعاج الهزل ، وامتنع أيضا وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة ... حتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق !

ولما أنهى الأمر الى من لهم ولاية الأمر ، فأخرجوا من شون الباشا مقدارا ليبيع في الرقع ، وقد أكلها السوس ، ولا يباع منها أزيد من الكيلة ... أكثرها مسوس ! وكذلك لما شكوا الناس من عدم ما يسرج به في القناديل ، أطلقوا للزياتين مقدارا من الشيرج في كل يوم ، يباع في الناس لوقود الزينة . وفي كل يوم يطوف المنادى ، ويكرر المناداة بالشوارع على الناس : بالسهر والوقود والزينة ، وعدم غلق الحوانيت ليلا ونهارا !

واقضى العام بحوادثه ، ومعظمها مستمر .

فمنها — وهو أعظمها — شدة الأذية والضيق — وخصوصا بذوى البيوت والمسائير من الناس — بسبب قطع إيرادهم وأرزاقهم : من الفئات والجامكية السائرة ، والرزق الأعباسية ، وضبط

للحديد والقواديم والمناشير والتزجات ونحو ذلك .
وأفردوا لكل حرفة وصناعة مكانا وصناعا ، يحتوى
المكان على الأنوال والدواليب والآلات الغريبة
الوضع ، والتركيب لصناعة القطن ، وأنواع الحرير
والأقمشة والمقصبات .

وفى أواخر هذا العام : جمعوا مشايخ الحارات
وألزموهم بجمع أربعة آلاف غلام من أولاد البلد
ليشتغلوا تحت أيدي الصناع ، ويتعلموا ويأخذوا
أجرة يومية ، ويرجعوا لأهاليهم أواخر النهار :
فمنهم من يكون له القرش والقرشان والثلاثة ،
بحسب الصناعة وما يناسبها ... وربما احتيج الى
نحو العشرة آلاف غلام بعد اتمامها . والمحتاج اليه
فى هذا الوقت القدر المذكور ، وهى كرخانة عظيمة
صرف عليها مقادير عظيمة من الأموال .

ومنها : أنه ظهر بأراضى الأرز — بالبحر الشرقى
بناحية دمياط — حيوان يخرج من البحر الشرقى
فى قدر الجاموس العظيم ولونه ، فى رعى الفدان من
الزرع ثم يتقايأ أكثره ، وكان ظهوره من العام
الماضى ، فيجتمع عليه الكثير من أهل الناحية ،
ويرجمونه بالحجارة ، ويضربون عليه بنادق
الرصاص ، فلا تؤثر فى جلده ، ويهرب الى
البحر ، واتفق أنه ابتلع رجلا ... الى أن أصيب فى
عينه وسقط ، وتكاثروا عليه وقتلوه وسلخوا
جلده وحشوه تبنا ، وأتوا به الى بولاق ، وتفرج
عليه الباشا والناس .

وأخبرنى غير واحد ممن رآه أنه أعظم من
الجاموس الكبير : طوله ثلاث عشرة قدما ، ولونه
لونه ، وجلده أملس ، ورأسه عظيم يشبه رأس
ابن عرس ، وعيناه فى أعلى دماغه ، واسع الفم ،
وذنبه مثل ذنب السمك ، وأرجله غلاظ مثل أرجل
الفيل فى أواخرها أربع ظلوف طوال ، وأسفلها
كخف الجمل . وأدخلوه الى بيت الافرنج ، وأنعم

به الباشا على بغوص الترجمان الأرمنى ، وهو
يبيعه على الافرنج بثمان كبير .

ومنها : أن امرأة ، يقال لها الشيخة رقية ، تنزر
بمنزر أبيض ، ويدها خيزرانة وسبحة ، تطوف
على بيوت الأعيان ، وتقرأ وتصلى ، وتذكر على
السبحة ... ونساء الأكابر يعتقدن فيها الصلاح ،
ويسألن منها الدعاء ، وكذلك الرجال حتى بعض
الفقهاء . وتجتمع على الشيخ العالم المعتقد الشيخ
تعيلب الضرير ، ويكثر من مدحها للناس فيزدادون
فيها اعتقادا ، ولها بمنزل خليل بيك طوقان النابلسى
مكان مفرد تأوى اليه على حديثها ، وإذا دخلت
بيتا من البيوت قام إليها الخدم ، واستقبلوها
بقولهم : « نهارنا سعيد ومبارك » ونحو ذلك .
وإذا دخلت على الستات قمن إليها ، وفرحن
بقدموها ، وقبلن يدها ، وتبيت معهن ومع
الجوارى .

فذهبت يوما الى دار الشيخ عبد العليم الفيومى
— وذلك فى شهر شوال — فتمرضت أياما وماتت .
فضجوا وتأسفوا عليها ، وأحبوا تغيير ما عليها من
الثياب ، قرأوا شيئا معجرا بين أفخاذها فظنوه
صرة دراهم ... وإذا هو آلة الرجال : الخصيتان
والذى فوقهما ! فبهت النساء وتعجن ، وأخبروا
الشيخ تعيلب بذلك فقال : « استروا هذا الأمر » .
وغسلوه وكفنوه ، وواروه فى التراب ، ووجدوا فى
جيبه مرآة وموسا وملقاطا . وشاع أمره ، واشتهر
وتناقله الناس بالتحدث والتعجب !

ومنها : زيادة النيل فى هذا العام الزيادة المفرطة
التي لم نسمع ولم نر مثلها ، حتى غرق الزروع
الصيفية ، مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب
والأرز وأكثر الجنائن ، بحيث صار البحر وسواحله
والملى لجة ماء . وانهدم بسببه قرى كثيرة ، وغرق

الكثير من الناس والحيوان ... حتى كان الماء ينبع بين الناس من وسط الدور .

واختلط بحر الدبيزة ببحر مصر العتيقة ، حتى كانت المراكب تمشى فوق جزيرة الروضة . وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع ، وخصوصا الذرة الذى هو معظم قوتهم . وكثير من أهل البلاد ندبوا بالدفوف .

ومنها : أن الباشا زاد فى هذه السنة الخراج ، وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية ، وذكر أنها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج ... فدهمى الفلاحون بهاتين الداهيتين : وهى زيادة النيل ، وزيادة الخراج فى غير وقت وأوان .

فان من عادة الفلاحين وأهل القرى اذا انقضت أيام الحصاد والدراوى ، وشطبوا ما عليهم من مال الخراج للتمزيهم — ويكون ذلك فى مبادئ زيادة النيل — وارتفع عنهم الطلب ، وارتحلت كشاف النواحي ، وقائمقام الملتزمين والصيارف والمعينون ، وخلت النواحي منهم ... فعند ذلك تراح نفوسهم ، وتجتمع حواسهم ، ويعملون أعراسهم ، ويجددون ملبوسهم ، ويزوجون بناتهم ، ويختنون صبيانهم ، ويشيدون بنايتهم ، ويصلحون جسورهم وجبوسهم . فاذا أخذ النيل فى الزيادة ، شرعوا فى زراعة الصيفى الذى هو معظم قوتهم وكسبهم ... حتى اذا انحسر الماء ، وانكشفت الأراضي ، وآن أوان التخضير وزراعة الشتوى ، من البرسيم والغلة ، وجدوا ما يسدون به مال التجهية ، وما يرقعون به أحوالهم من بهائم الحرث ومحارث وتقاوى وأجر عمال ونحو ذلك ، فدهموا هذه السنة بهاتين الآفتين : الأرضية والسماوية ، ورحل الكثير عن أهله ووطنه . وكان ابتداء طلب هذه

الزيادة قبل زيادة النيل ، ومجئء خبر النصرة ، فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك .

ومنها : الاضطراب فى المعاملة بالزيادة والنقص والمناداة عليها كل قليل ، والتنكيل والترك .

وبلغ صرف البندقى ثمانمائة وثمانين نصفا فضة ، والفراصة أربعمئة نصف وعشرة ، والمحبوب أربعمئة وأربعين — وهو المصرى — وأما الاسلامبولى فيزيد أربعين ، والمجر ثمانمائة نصف . وأما هذه الأنصاف — وهى النصف العديدة — فهى أسماء من غير مسميات لمنعها واحتكارها : فلا يوجد منها فى المعاملة بأيدي الناس الا النادر جدا ، ولا يوجد بالأيدى فى محقرات الأشياء وغيرها الا المجرأ بالخمسة والعشرة والعشرين ، وتصرف من اليه سود والصيارف بلقراط والنقص . ومن حصل يده شئ من الأنصاف عَصَ عليه بالنواجذ ، ولا يسمح باخراج شئ منها الا عند شدة الاضطرار اللازم .

ومنها : أن السيد محمد المحروقى أنشأ ببركة الرطلى دارا وبستانا فى محل الأماكن التى تخربت فى الحوادث .

وذلك أنه لما طرقت الفرنساوية الديار المصرية ، واختل النظام ، وجلا أكثر الناس عن أوطانهم — وخصوصا سكان الأطراف — بقيت دور البركة خالية من السكان . وكان بها عدة من الديار الجليلة ، منها : دار حسن كتخدا الشعراوى وتابعه عمر جاويش ، وداره على سمته أيضا ، ودار على كتخدا الخرطلى ، ودار قاضى البهار ، ودار سليمان أغا ، ودار الحموى ، وخلاف ذلك دور كانت جارية فى وقف عثمان كتخدا القسازغلى وغيره . وهذه الدور هى التى أدركنها ، بل وسكننا بها عدة سنين ، وكانت فى الزمن الأول عدة دور

الأشجار ودوالي الكروم ، وهى بمكان حسن
كتخذوا وما كان على سمته من الدور نحو
الثلاثين .

وأنشأ كاتبه السيد عمر الحسينى دارا عظيمة
لخصوصه ، أخذ فيها باقى أراضى الأماكن ،
وزخرفها ، وانتقل إليها بأهله وعياله ، وجعلها دارا
لسكناء صيفا وشتاء . وبني خارج ظاهرها حائطا
يكون لدورها سوراً ، وعلا بها بوابة تفتح
وتغلق . وكان بجوار ذلك جامع متخرب ، يسمى
جامع الحريشى ، فعمره أيضا السيد محمد المحرقى ،
وأقام حوائطه وأعمدته ومقفه ويضه ، وأقام
الخطبة آخر جمعة فى شهر المحرم .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :
فمات شيخ الاسلام ، وعمدة الأنام ... الفقيه
العلامة ، والنحرير الفهامة : الشيخ محمد
الشنوانى — نسبة الى شنوان الغرف — الشافعى
الأزهري ، شيخ الجامع الأزهر ... من أهل الطبقة
الثانية ، الفقيه النحوى المعقولى .

حضر الأسيياخ : أجلهم الشيخ فارس ،
وكالصعيدى والدردير والفرماوى ، وتفقه على
الشيخ عيسى البراوى ، ولزم دروسه وبه تخرج ،
وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة بالجامع المعروف
بالفاكهانى بالقرب من دار مكناه بخشقدم ، مهذب
النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل
أحد من الناس ، ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ،
ويكنس الجامع ، ويسرج القناديل .

ولما توفى الشيخ عبد الله الشراقوى ، اختاروه
للمشيخة . فامتنع وهرب الى مصر العتيقة — بعد
ما جرى ما تقدم ذكره من تصدر الشيخ محمد
المهدى — فأحضروه قهرا عنه ، وتلبس بالمشيخة
مع ملازمته لجامع الفاكهانى كعادته . وأقبلت عليه

مختصرة يسكنها أهل الرفاهية من أهالى البلد .
وكان بها بيت البكرية القديم بالناحية الجنوبية
تجاه زاوية جدهم الشيخ جلال الدين البكرى .
وكان الناس يرغبون فى سكناها لطيب هواها
وانكشاف الريح البحرى بها ، وليس فى تجاهها
من البر الآخر سوى الأشجار والمزارع ، ويعبرها
المراكب والسفائن والقنج فى أيام النيل بالمتفرجين
والمتنزهين وأهل الخلاعة بمزامرهم ومغانيمهم ،
ولصدى أصواتهم المطربة طرب آخر .

فلما انتشع عنها السكان ، تداعت الدور الى
الخراب ، وبقيت مسكنا اليوم والغراب مدة اقامة
الفرنساوية .

فلما حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الأولى
— وذلك سنة أربع عشرة ومائتين وألف —
وانتفض الصلح بينه وبين فرنساوية ، وحصلت
المفارقة ، ووقعت الحروب داخل البلدة ، واحتاطت
الفرنساوية بجهات البلد ... وجرى ما تقدم ذكره
فى الحوادث السابقة ، وكان طائفة من فرنساوية
أتوا الى ناحية هذه البركة ، وملكوا التل المعروف
بتل أبو الريش ، وأخذوا يرمون بالمدافع والقناير
على أهل باب الشعرية وتلك النواحي . فما انجلت
الحروب حتى خربت بيوت البركة ، وما كان بتلك
النواحي من الدور التى بظاهرها ، وبقيت كيما نا .

فحسن ببال السيد المذكور أن يجعل له سكنا
هناك ، فاحتكر أراضى تلك المساكن من أربابها من
مدة سابقة ، ثم تكاسل عن ذلك ، واشتغل بتوسعة
دار سكنه التى بخطة الفحامين ، محل دكة الحسبة
القديمة ، حتى أتمها على الوضع الذى قصده .
ثم شرع فى السنة الماضية فى انشاء سكن لخصوص
بنزاهته ، فشرع فى تنظيف الأتربة واصلاح الأرض ،
وأنشأ دارا متسعة وقيعانا وفسحات ، وهى مفروشة
بالرخام ، وحولها بستان ، وغرس به أنواع

الدنيا فلم يتهنأ بها ، واعتزته الأمراض ، وتملأ بالزحير أشهرا ، ثم عوفي ... ثم بأخرة بالبرودة ، وانقطع بالدار كذلك أشهرا . ولم يزل منقطعا حتى توفي يوم الأربعاء رابع عشر المحرم ، وصلى عليه بالأزهر في مشهد عظيم . ودفن بتربة المجاورين ، وله تأليف منها : حاشية جلييلة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، مشهورة بأيدي الطلبة . وكان يجيد حفظ القرآن ، ويقرأ مع فقهاء الجوقة في الليالي .

وتقلد المشيخة بعده الشيخ العلامة السيد محمد ابن شيخنا الشيخ أحمد العروسي من غير منازع ، وباجتماع أهل الوقت . ولبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكرى والسادات وباقي أصحاب المظاهر ، ومن يجب التظاهر .

ومات العمدة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد — المعروف هو بالدواخلي — الشافعي . ويقال له السيد محمد ، لأن أباه تزوج بفاطمة بنت السيد عبد الوهاب البردني فولد له المترجم منها ، ومنها جاءه الشرف ، وهم من محلة الداخل بالغريرية .

وولد المترجم بمصر ، وتربى في حجر أبيه ، وحفظ القرآن ، واجتهد في طلب العلم ، وحضر الأشياخ من أهل وقته : كالشيخ محمد عرفة الدسوقي ، والشيخ مصطفى الصاوي وخلافه من أشياخ هذا العصر . ولازم الشيخ عبد الله الشرفاوي في فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية ، واقتسب له ، وصار من أخص تلامذته .

ولما مات السيد مصطفى الدمنهوري — الذي كان بمنزلة كخداه — قام مقامه ، واشتهر به ، وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولة ، وحف به الطلبة ، وتداخل في قضايا الدعاوى والمصالح بين الناس .

واشتهر ذكره — وخصوصا أيام الفرنساوية حين تقلد شيخه رأسه ديوانهم — وانتفع في أيامهم انتفاعا عظيما من تصديه لقضايا نساء الأمراء المصرية وغيرهم .

ومات والده فأحرز ميراثه ، وكذلك لما قتل عدله الحاج مصطفى البشتيلي في الحراية ببولاك لاعن وارث ، فاستولى على تعلقاته وأطيانه وبستانه التي ببشتيل . واتسع حاله ، واشترى العييند والجوازي والخدم .

ولما ارتحل الفرنساوية ، ودخلها العثمانيون ، انطوى الى السيد أحمد المحروقي ، لأنه كان يرأسه سرا بالأخبار حين خرج مع العثمانيين في الكسرة الى الشام ... فلما رجع ، راعاه وراثاه ، ونوه بذكره عند أهل الدولة ، وفي أيام الأمراء المصريين — حين رجعوا الى مصر بعد قتل طاهر باشا في سنة ثمان عشرة — واحتوى على رزق وأطيان وحصص التزام ، ولبس القراوى بالأقبية ، وركب البغال ، وأحدق به الأشياخ والأتباع . وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسة ، ولا يقتنع بالكثير .

ولما وقع ماوقع في ولاية محمد علي باشا ، وانفرد السيد عمر أفندي في الرياسة ، وصار بيده مقاليد الأمور ... ازداد به الحسد ، فكان هو من أكبر الساعين عليه سرا مع المهدي وباقي الأشياخ ، حتى أوقعوا به ، وأخرجوه الباشا من مصر كما تقدم . فعند ذلك صفا لهم الوقت ، وتقلد المترجم النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا ، وركب الخيول ، ولبس التاج الكبير ، ومشت أمامه الجاويشية والمقدمون وأرباب الخدم ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوى والشكاوى . وعمر دار سكنهم القديمة بكفر الطماعين ، وأدخل فيها دورا ، وأنشأ تجاهها مسجدا لطيفا ، وجعل فيه منبرا وخطبة ، وعمر دارا ببركة جنات ، وأسكنها إحدى

وكان ناظرا على ديوان الكبرك ببولاق وعلى الخماير ... ومصارفه من ذلك . وشرع في عمارة داره التي بالأزبكية ، بجوار بيت الشرايبي — تجاه جامع أزبك — على طرف الميرى . وهى فى الأصل بيت المدنى ومحمود حسن ، واحترق منه جانب ... ثم هدم أكثرهما ، وخرج بالجدار الى الرحبة وأخذ منها جانبا ، وأدخل فيه بيت رضوان كتخدأ — الذى يقال له « ثلاثة ولىة » ، تسمية له باسم العامودين الرخام الملتفين على مكسلى الباب الخارج — وشيد البناء بخرجات فى العلو متعددة ، وجعل بابه مثل باب القلعة ، ووضع فى جهتيه العمودين المذكورين . وصارت الدار كأنها قلعة مشيدة فى غاية من الفخامة . فما هو الا أن قارب الانتماء ، وقد اعتراه المرض ، فسافر الى الاسكندرية بقصد تبديل الهواء ، فأقام هناك أياما ، وتوفى فى شهر جمادى الآخرة . وأحضروا رمته فى أواخر الشهر ، ودفنوه بمدفنه الذى بناه محل بيت الزعفرانى بجوار السيدة بقناطر السباع ، وترك ابنا مراهما فأبقاه الباشا على منصب أبيه ونظامه وداره .



ومات الأمير أيوب كتخدأ الفلاح ، وهو مملوك الأمير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح . وكان آخر الأعيان المبجلين من جماعة الفلاح المشهورين ، وله عزوة وأتباع ، وبيته مفتوح للواردين ، ويجب العلماء والصلحاء ، ويتأدب معهم . وكان الباشا يجله ويقبل شفاعته ، وكذلك أكابر الدولة فى كل عصر . وعلى كل حال كان لا بأس به ... توفى يوم الأربعاء لعشرين من شهر شعبان ، وقد جاوز السبعين ، رحمه الله تعالى .

زوجاته . وداخله الضرور ، وظن أن الوقت قد صفا له .. فأول ما ابتدأه به الدهر من نكباته ، أن مات ولده أحمد — وكان قد ناهز البلوغ — ولم يكن له من الأولاد الذكور غيره ، فوجد عليه وجدا شديدا ... حتى كان يتكلم بكلام تقمه الناس عليه ، وعمل له ميتما ودفنه بمسجده تجاه بيته ، وعمل عليه مقاما ومقصورة مثل المقامات التى تقصد للزيارة ، وكان موته فى منتصف سنة تسع وعشرين . ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا فى أواخر شهر شعبان من السنة المذكورة ، والمترجم اذ ذاك من أعيان الرؤوس : يطلع وينزل فى كل ليلة الى القلعة ، ويشار اليه ، ويحل ويعقد فى قضايا الناس ، ويسترسل معه الباشا ، كما تقدم ذكر ذلك ، وداخله الغرور الزائد . ولقد تطاول على كبار الكتبة الأقباط وغيرهم ، ويراجع الباشا فى مطالبه ، بعد انقضاء الفتنة ، الى أن ضاق صدر الباشا منه ، وأمر باخراجه ونفيه الى دسوق ... وذلك فى سنة احدى وثلاثين . فأقام بها أشهرا ، ثم توجه بشفاعته السيد المحرقى الى المحلة الكبرى ، فلم يزل بها متعلق الحواس ، منحرف المزاج ، متكدر الطبع . وكل قليل يرسل السيد المحرقى فى أن يشفع فيه عند الباشا ، وليأذن له فى الحج ، ومرة يحتج بالمرض — ليموت فى داره — فلم يؤذن له فى شىء من ذلك . ولم يزل بالمحلة حتى توفى فى منتصف شهر ربيع الأول من السنة ، ودفن هناك . وكان — رحمه الله — يميل الى الرياسة طبعاً ، وفيه حدة مزاج ، وهى التى كانت سبباً لموته بأجله ... رحمه الله تعالى واينانا .



ومات الصدر المعظم ، والدستور المكرم : الوزير طاهر باشا . ويقال انه ابن أخت محمد على باشا .

الخيالة المتراحمين ، رعدوا هائلة . ورتبوا المدافع
أربع صفوف .

ورسم الباشا أن الخيالة ينقسمون كذلك
طواير ، ويكمنون في الأعلى ، ثم ينزلون متراحمين
وهم يضربون بالبنادق ، ويهجمون على المدافع في
حال اندفاعها بالرمل . فمن خطف شيئا من أدوات
الطبيعية الرماة ، يأتي به الى الباشا ويعطيه البقشيش
والانعام . فمات بسبب ذلك أشخاص ومواس ،
ويكون مبادئ نهاية وقوف الخيالة نهاية محط جلة
المدفع . فانهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع
معنورة بالجلل بعدد الطواير ، فتستعد الخيالة ،
ويقف كل طابور عند مرمى جلته ، ويأخذون أهبتهم
من ذلك الوقت الى بعد شروق الشمس ، ويتدئون
في الرمي والرماحة الحصاة المذكورة .

وبعد العشاء الأخيرة يعمل كذلك الشنك برمي
المدافع المتتالية المختلطة أصواتها بدون الرماحة ،
ومع المدافع الحراقة والنفوط والسواربخ التي
تصعد في الهواء وفيها من خشب الزان بدل
القصب ، وكرنجة بارودها أعظم من تلك ... بحيث
أنها تصعد من الأسفل الى العلو مثل عمود النار ...
وأشياء أخر لم يسبق نظائرها ، تفنن في عملها
الافرنج وغيرهم . وحول محل الحراقة حلقة دائرة
متسعة حولها ألوف من المشاعل الموقدة .

وطلبوا لعمل آكياس بارود المدافع مائتي ألف
ذراع من القماش البز . وكان راتب الأرز الذي
يطبخ في القزانات ، ويفرق في عراضى العساكر في
كل يوم أربعمئة أردب وما يتبعها من السمن ...

المحتم

السبت غرته (٣١ أكتوبر ١٨١٨ م) :

استهل ... وسلطان الاسلام : السلطان
محمود شاه ابن عبد الحميد بداز سلطنته
اسلامبول . ووالى مصر وحاكمها : محمد على
باشا القوللى . وكتخذاه وباقى أرباب المناصب على
حالهم وما هم عليه في العام الماضى .

ووردت الأخبار من شرق الحجاز والبشائر
بنصرة حضرة ابراهيم باشا على الوهاية قبل
استهلال السنة بأربعة أيام . فعند ذلك نودى
بزينة المدينة سبعة أيام ، أولها الأربعاء سابع
عشرى الحجة ، ونصبت الصواوين خارج باب النصر
عند الهمايل ، وكذلك صيوان الباشا . وباقى
الأمراء والأعيان خرجوا بأسرهم لعمل الشنك
والحرائق ، وأخرجوا من المدافع مائة مدفع وعشرة ،
وتماثيل وقلاعا وسواقى وسواربخ ، وصورا من
بارود .

وبدأوا في عمل الشنك من يوم الأربعاء :
فيضربون بالمدافع ، مع رماحة الخيالة ، من أول
النهار — مقدار ساعة زمانية وربيع — قريبا من
عشرين درجة ضربا متتابعيا لا يتخلله سكون — على
طريقة الافرنج في الحروب — بحيث انهم يضربون
المدفع الواحد اثنتى عشرة مرة ، وفيل أربع عشرة
مرة في دقيقة واحدة . فعلى هذا الحساب يزيد
ضرب المدافع في تلك المدة على ثمانين ألف مدفع
بحيث يتخيل الانسان أصواتها ، مع أصوات بنادق



القيان والراقصات ...

هذا ... والتهيو والأشغال والاستعداد لعمل
الدونامة على بحر النيل ببولاق ، فصنعوا صورة
قلعة بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف دوائر
وخورتقات وطيقان للمدافع ، وطلوها وبيضوها
وقشوها بالألوان والأصباغ ، وصورة باب مالطة ،
وكذلك صورة بستان على سفائن : وفيه الطين ،
ومغروس به الأشجار ، ومحيط به درابزين مصبغ ،
وبه دوالي العنب وأشجار الموز والفاكهة والنخيل ،
والرياحين في قصارى لطيفة على حافته ، وصورة
عربة يجرها أفراس ، وبها تماثيل وصور جالسين
وقائمين ، وتمثال مجلس وبه جنك رقصات من
تماثيل مصورة تتحرك بالآلات ... ابتكار بعض
المبتكرين . لأن كل من تخيل بفكره شيئا ملعوبا
أو تصويرا ، ذهب الى الترسخانة ، حيث الأخشاب
والصناع ، فيعمله على طرف الميرى حتى يبرزه في
الخارج ، يأخذ على ابتكاره البقشيش . وأكثرها

وهذا خلاف مطابخ الأعيان ، وما يأتيهم من
بيوتهم ، من تعابى الأطعمة وغيرها .

واستمر هذا الضرب والشنك الى يوم الثلاثاء
رابع المحرم ... وأهل البلد ملازمون للسهر والزينة
على الحوانيت والدور ، ليلا ونهارا ، وتكرار
المناداة عليهم في كل يوم .

وركب حضرة الباشا وتوجه الى داره بالأزبكية ،
وهدمت الصواوين والحيام ، وبطل الرمي ، ودخلت
العساكر والبيانات بمتاعهم وعازقهم أقولجا الى
المدينة ، وذهبوا الى دورهم . ورفع الناس الزينة
— وكان معظمها حيث مساكن الاقرنج والأرمن —
فانهم تفننوا في عمل التصاوير والتماثيل ، وأشكال
السرَج والفتيات الزجاج والبلور وأشكال
النجف ، ومعظمها في جهات المسلمين بخان الخليلي
والغورية والجمالية ، وبعض الأماكن والخانات
ملاهى وآغانى وساعات وقيان وكنك رقصات .

لخصوص الحراقات والنفوط والبارود والسواريوخ وغير ذلك .

وبعد انقضاء السبعة أيام المذكورة ، حصل السكون — من يوم الثلاثاء المذكور الى يوم الأحد التالى له من الجمعة الأخرى — مدة خمسة أيام . فى أثناءها اجتهد الناس من الأعيان ، وكل من له اسم من أكابر الناس ، وأهل الدائرة والإفندية الكتبة ... حتى الفقهاء أرباب المناصب والمظاهر ، ومشايخ الافتاء والنواب والمتفرجين ، فى نصب الخيام بحافتى النيل ، واستأجروا الأماكن المطلة على البحر ، ولو من البعد ، وتنافسوا واشتط أربابها فى الأجرة حتى بلغ أجرة أحقر طبقة — بمثل وكالة الفسيخ — الى خمسمائة قرش وزيادة .

وكان الباشا أمر بإنشاء قصر لخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق ، قبلى قصر ابنه اسماعيل باشا ، وتمموا بياضه ونظامه فى هذه المدة القليلة . فلما كان ليلة الاثنين — وهو يوم عاشوراء — خرج الباشا فى ليلته ، وعدى الى القصر المذكور وخرج أهل الدائرة والأعيان الى الأماكن التى استأجروها وكذلك العامة أفواجا . وأصبح يوم الاثنين المذكور ، فضربت المدافع الكثيرة التى صفوها بالبرين ، وزين أهالى بولاق أسواقهم وحوالياتهم وأبواب دورهم ، وذقت الطبول والمزامير والنقرزانات فى السفائن وغيرها . وطبلخانة الباشا تضرب فى كل وقت ، والمدافع الكثيرة فى ضحوة كل يوم وعصره ... وبعد العشاء كذلك ، وتوقد المشاعل ، وتعمل أصناف الحراقات والسواريوخ والنفوط والشعل ، وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ، ويرمون منها المدافع على هيئة المتحارين ، وفيها فوانيس وقناديل ، وهيئة باب مالطة ... بوابة مجسمة مقوصرة لها بدنان ، ويرى بداخلها سرج وشعل ، ويخرج منها حراقات

وسواريوخ ... وغالب هذه الأعمال من صناعة الافرنج .

وأحضروا سفائن رومية صغيرة — تسمى الشلنبات — يرمى منها مدافع وشنابر وشييطيات وغلايين مما يسير فى البحر المالح . وفى جميعها وقذات وسرج وقناديل ، وكلها مزينة بالبيارق الحرير والأشكال المختلفة الألوان .

ودبوس أوغلى بيولاق التكرور ، وعنده أيضا الحراقات الكثيرة والشعل والمدافع والسواريوخ . وبالجيزة عباس بيك ابن طوسون باشا . والنصارى الأرمن بمصر القديمة وبولاق والافرنج ، وأبرز الجميع زينتهم وتمائيلهم وحرائقهم . وعند الأعيان ، حتى المشايخ ، فى القنج والسفائن المعدة للسروح والتفرج والنزاهة ، والخروج عن الأوضاع الشرعية والأدبية ، واستمروا على ما ذكر الى يوم الاثنين سابع عشره .

الاثنين ١٧ منه (١٦ نوفمبر ١٨١٨ م) :

فى ذلك اليوم : وصل عبد الله بن سعود الوهابى ، ودخل من باب النصر — وصحبته عبد الله بكتاش قبطان السويس — وهو راكب على هجين ، وبجانبه المذكور ، وأمامه طائفة من الدلاة . فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما .

وانقضى أمر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ، ورفعوا الزينة . وركب الباشا الى قصر شبرا فى تلك السفينة ، وانقض الجمع ، وذهبوا الى دورهم .

وكان ذلك من أغرب الأعمال التى لم يقع نظيرها بأرض مصر ... ولا مايقرب من ذلك ! ومطبخ الميرى يطبخ به الأرز على النسق المتقدم والأطعمة ، ويؤتى لأرباب المظاهر منها فى وجبتى الغداء والعشاء ، بخلاف المطابخ الخاصة بهم ،

وما يأتيهم من بيوتهم . وأما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء ، فخرجوا أفواجا ، وكثر زحامهم في جميع الطرق الموصلة الى بولاق ليلا ونهارا ، بأولادهم وأطفالهم ركبانا ومشاة .

وقد ذهب في هاتين الملعبتين من الأموال ما لا يدخل تحت الحصر ، وأهل الاستحقاق يتلظون من القشل والتفليس ! مع ما هم فيه من غلاء الأسعار في كل شيء ، وانعدام الأدهان — وخصوصا السمن والشيرج والشحم — فلا يوجد من ذلك الشيء اليسير الا بغاية المشقة ، ويكون على حانوت الدهان الذي يحصل عنده بعض السمن شدة الزحام والصياح ، ولا يبيع بأزيد من خمسة ألصاف ، وهي أوقية اثنا عشر درهما ، بما فيها من الخلط . وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن ، فيحجزونه لمطالب الدولة ومطابخهم ودورهم في هذه الولائم والجمعيات ، ويدفع لهم ثمنه على موجب التسعيرة ، ثم يوزع ما يوزعه — وهو الشيء القليل — على المتسبين ، وهم يبيعونه على هذه الحالة ، ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش .

وفيه : وصل عبد الله الوهابي ، فذهبوا به الى بيت اسماعيل باشا ابن الباشا فأقام يومه ، وذهبوا به في صباحها عند الباشا بشبرا ، فلما دخل عليه قام له ، وقابله بالبشاشة ، وأجلسه بجانبه ، وحادثه وقال له : « ما هذه المطاولة ؟ » فقال : « الحرب سجال » . قال : « وكيف رأيت ابراهيم باشا ؟ » . قال : « ماقصر ، وبذل همته ، ونحن كذلك ... حتى كان ما كان قدره المولى » . فقال : « أنا ان شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان » . فقال : « المقدر يكون » . ثم ألبسه خلعة وانصرف عنه الى بيت اسماعيل باشا ببولاق .

ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة ، وسافر

الى جهة دمياط . وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح ، فقال له الباشا : « ما هذا ؟ » ، فقال : « هذا ما أخذه أبى من الحجرة أصحبه معى الى السلطان » . وفتح فوجد به ثلاثة مصاحف قرآنا مكلفة ، ونحو ثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحنة زمرد كبيرة ، وبها شريط ذهب . فقال له الباشا : « الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا » ، فقال : « هذا الذي وجدته عند أبى فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة » . فقال الباشا : « صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك » .

الأربعاء ١٩ منه (١٨ نوفمبر ١٨١٨ م) :

سافر عبد الله بن سعود الى جهة الإسكندرية ، وصحبته جماعة من الططر الى دار السلطنة ، ومعه خدم لزومه .

صفر

الأربعاء ٣ منه (٢ ديسمبر ١٨١٨ م) :

وصلت طائفة من الحجاج المغاربة يوم الأربعاء وصحبتهم حجاج كثيرة من الصعائدة وأهل القرى ، فدخلوا على حين غفلة . وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب أولاد على يسمى الجبالي ، وهذا لم يتفق نظيره فيما وعيناه ، وسببه أمن الطريق ، وانكماش العربان وقطاع الطريق .

وفيه : أخبر المخبرون بأن الباشا أقام بدمياط أياما قليلة ، ثم توجه الى البرلس ، ونزل في قفيرة ، وذهب الى الاسكندرية على ظهر البحر المالح . وقد استعد أهلها لقدموه ، وزينوا البلد ، والذي تولى الاعتناء بذلك طائفة الاقرنج : فانهم نصبوا طريقا من باب البلد الى القصر الذي هو سكن الباشا ، وجعلوا بناحيته — يمنى ويسرى —

أنواع الزينة والتماثيل والتصاوير والبلور والزجاج والمرايات ، وغير ذلك من البدع البديعة الغريبة .

الاثنين غايته (٢٨ ديسمبر ١٨١٨ م) :

وصل الحاج المصرى ، ودخلوا أرسالا شيئا فشيئا ، ومنهم من دخل ليلا ، وخصوصا ليلة الاثنين ، وفي صبحه دخل حسن باشا أرثوود الذى كان مقيما بجدة . وفي ذلك اليوم دخل بواقى الحاج الى منازلهم .

ربيع الأول

الثلاثاء غرته (٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م) :

في صبحه : دخلوا بالمجمل المدينة ، وأكثر الناس لم يشعر بدخوله ، وهذا لم يتفق فيما تعلم تأخر الحاج الى شهر ربيع الأول .

الثلاثاء ٨ منه (٥ يناير ١٨١٩ م) :

احترق سوق الشرم والجميلون ، الكائن أسفل جامع الغورية ، بما فيه من الحوانيت وبضائع التجار والأقمشة الهندية وخلافها ، فظهرت به النار من بعد العشاء الأخيرة . فحضر الوالى وآغات التبديل ، فوجدوا الباب الذى من جهة الغورية مغلوقا من داخل ، وكذلك الباب الذى من الجهة الأخرى — وهما في غاية المتانة — فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتلات والكسر الى بعد نصف الليل ، والنار عمالة من داخل . وهرب الخفير ، واحترق ليوان الجامع البرانى والدهليز ، وأخذوا فى الهدم وصب المياه بآلات القصارين ، مع صعوبة العمل ، بسبب علو الحيطان الشاهقة والأخشاب العظيمة والأحجار الهائلة والعقود ، فلم يخمد لهب النار الا بعد حصّة من النهار . وسرحت النار فى أخشاب الجامع التى بداخل

البناء ، ولم يزل الدخان صاعدا منها ، وسقطت الشبائيك النحاس العظام ، وبقيت مفتحة ومكلسة ، واستمر العلاج فى اطفاء الدخان ثلاثة أيام .

ولولا لطف المولى ، وتأخير فتح الباب لكونه مصفحا بالحديد فلم تعمل فيه النار ... فلو لم يكن كذلك لاحترق ، وسرحت النار الى الحوانيت الملاصقة به ... وهى كلها أخشاب ، ويعلوها سقائف أخشاب كذلك ، ومن فوق الجميع السقيفة العظيمة الممتدة على السوق من أوله الى آخره ، وهى فى غاية العلو والارتفاع وكلها أخشاب وحجّة وسهوم وبراطيم من أعلى ومن أسفل لحملها من الجهتين ، ومن ناحيتها الرباع والوكايل والدور ، وحيطان الجميع من الحجّة والأخشاب العتيقة التى تشتعل بأدنى حرارة . فلو وصلت النار — والعاذ بالله تعالى — الى هذه السقيفة لما أمكن اطفائها بوجه ، وكان حريقا دوميا ، ولكن الله سلم .

السبت ١٢ منه (٩ يناير ١٨١٩ م) :

حضر السيد عمر أفندى تقيب الأشراف سابقا . وذلك أنه لما حصلت النصرة والمسرة للبasha ، كتب اليه مكتوبا بالتهنئة ، وأرسله مع خفيده السيد صالح الى الاسكندرية . فتلقاه بالشاشة ، وطفق يسأله عن جده ، فيقول له : « بخير ، ويدعو لكم » . فقال له : « هل فى نفسه شيء أو حاجة تقضيها له ؟ » . فقال : « لا يطلب غير طول البقاء لحضرتكم » . ثم انصرف الى المكان الذى نزل به . فأرسل اليه فى ثانى يوم عثمان السلانكلى ليسأله ويستفسره عما عسى أن يستحى من مشافهة الباشا بذكره ، فلم يزل يلاطفه حتى قال : « لم يكن فى نفسه الا الحجج الى بيت الله ان أذن له أفندينا بذلك » . فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك ، وأذن له بالذهاب الى مصر ، وأن يقيم

الامام الشافعى ، وطلع الى القلعة ، وقابل الكتخدا وسلم عليه . وهنته الشعراء بقصائدهم ، وأعطاهم الجوائز ، واستمر ازدحام الناس أياما . ثم امتنع عن الجلوس فى المجلس العام نهارا ، واعتكف بحجرته الخاصة فلا يجتمع به الا بعض من يريده من الأفراد ، فانكف الكثير عن التردد ... وذلك من حسن رأى !

ربيع الآخر

فيه : حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالأشرفية الموصلة الى الاسكندرية . وقد تقدم فى العام الماضى ، بل والذى قبله ، اهتمام الباشا . ونزل اليها المهندسون ، ووزنوا أرضها ، وقاسوا طولها وعرضها وعمقها المطلوب . ثم أهمل أمرها لقرب مجىء النيل ، وتركوا الشغل فى مبدئها ، ولم يترك الشغل فى منتهاها عند الاسكندرية بالقرب من عمود السوارى . فحفروا هناك منبتها — وهى بركة متسعة — وحوطوها بالبناء المحكم المتين ، وهى مرسى المراكب التى تعبر منها الى الاسكندرية بدلا عن البغاز ، وهو ملتقى البحرين ، وما يقع فيه من تلف المراكب ... فتكون هذه أسلم وأقرب وأقل كلفة — ان صحت — بل وأقرب مسافة .

ونزل الأمر لكشاف الأقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب مزارع الفدادين ، فيحصون رجال القرية المزارعين ، ويدفعون للشخص الواحد عشرة ريال ، وبخصم له مثلها من المال . واذا كان له شريك ، وأحب المقام لأجل الزرع الصيفى ، أعطاه حصته وزاده عليها حتى يرضى خاطره ، وزوده بما يحتاج اليه أيضا ، وعند العمل يدفع لكل شخص قرش فى كل يوم .

ويخرج أهل القرية أفواجا ، ومعهم أنفار من مشايخ البلاد ، ويجتمعون فى المكان المأمورين

بداره الى أوان الحج ... ان شاء برا ، وان شاء بحرا . وقال : « أنا لا أتركه فى الغربة هذه المدة الا خوفا من الفتنة ، والآن لم يبق شئ من ذلك ، فانه أبى ، ويبنى وبينه ما لا أنساه من المحبة والمعروف » . وكتب له جوابا بالاجابة . وصورته بحروفه :

« مظهر الشمائل سنيها ، حميد الثئون وسميها ، سلالة بيت المجد الأكرم : والدنا السيد عمر مكرم ، دام شأنه .

« أما بعد : فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف ، تهنة بما أنعم الله علينا ، وفرحا بمواهب تأييده لدينا ... فكان ذلك مزيدا فى السرور ، ومستديما لحمد الشكور ، ومجلبة لثناكم ، واعلانا بنيل مناكم . جزيتم حسن الثناء مع كمال الوقار وليل المنى .

« هذا وقد بلغنا نجلكم عن طلبكم الاذن فى الحج الى البيت الحرام ، وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام ... للرغبة فى ذلك ، والترجى لما هنالك . وقد أذناكم فى هذا المرام تقريبا لذى الجلال والاكرام ، ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر العظام ، فلا تدعوا الابتهاال ولا الدعاء لنا بالقال والحال ، كما هو الظن فى الطاهرين ، والمأمول من الأصفياء المقبولين .

« والواصل لكم جواب منا خطابا الى كتخدائنا . ولكم الاجلال والاحترام ، مع جزيل الثناء والسلام » .

وأرسل اليه المكتوبين صحبة حفيده السيد صالح ، وأرسل الى كتخدا بياك كتابا وصل اليه قبل قدومه . فأرسل الكتخدا ترجمانه الى منزله ليبشرهم بذلك . وأشيع خبر مقدمه ، فكان الناس بين مصدق ومكذب ، حتى وصل فى اليوم المذكور الى بولاق . فركب من هناك ، وتوجه الى زيارة

باجتماعهم فيه ، ثم سيرون مع الكاشف الذى بالناحية ، ومعهم طبول وزمور وبيارق ونجارون وبناءون وحدادون ، وفرضوا على البلاد التى فيها النخيل غلقانا ومقاطف وعراجين وسلبا ، وعلى البنادق فوسا ومساحى ... شئ كثير بالثمن . وطلبوا أيضا طائفة الغواصين لأنهم كانوا اذا تسفلوا فى قطع الأرض — فى بعض المواضع منها — ينبع الماء قبل الوصول الى الحد المطلوب .

٢٠ منه (١٦ فبراير ١٨١٩ م) :

ورد مرسوم من الباشا بعزل كتخد بيك عن منصب الكتخدائية ، وتولية محمود بيك فيها عوضا عنه . وحضر محمود بيك فى ذلك اليوم قادما من الاسكندرية ، وطلع الى القلعة ، وحضر أيضا حسن باشا . وكان قد ذهب الى الاسكندرية ليسلم على الباشا لكونه كان بالديار الحجازية المدة المديدة ، وحضر الى مصر والباشا بالاسكندرية ، فتوجه اليه ، وأقام معه أياما ، وعاد الى مصر صحبة محمود بيك . وحضر أيضا ابراهيم افندى من اسلامبول — وهو ديوان افندى الباشا — فتقلد فى نظر الاطيان والرزق والالتزام عوضا عن محمود بيك .

جمادى الأولى

الخميس ٧ منه (٤ مارس ١٨١٩ م) :

ضربت مدافع كثيرة وقت الشروق بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية باستيلاء خليل باشا على يمن الحجاز صلحا .

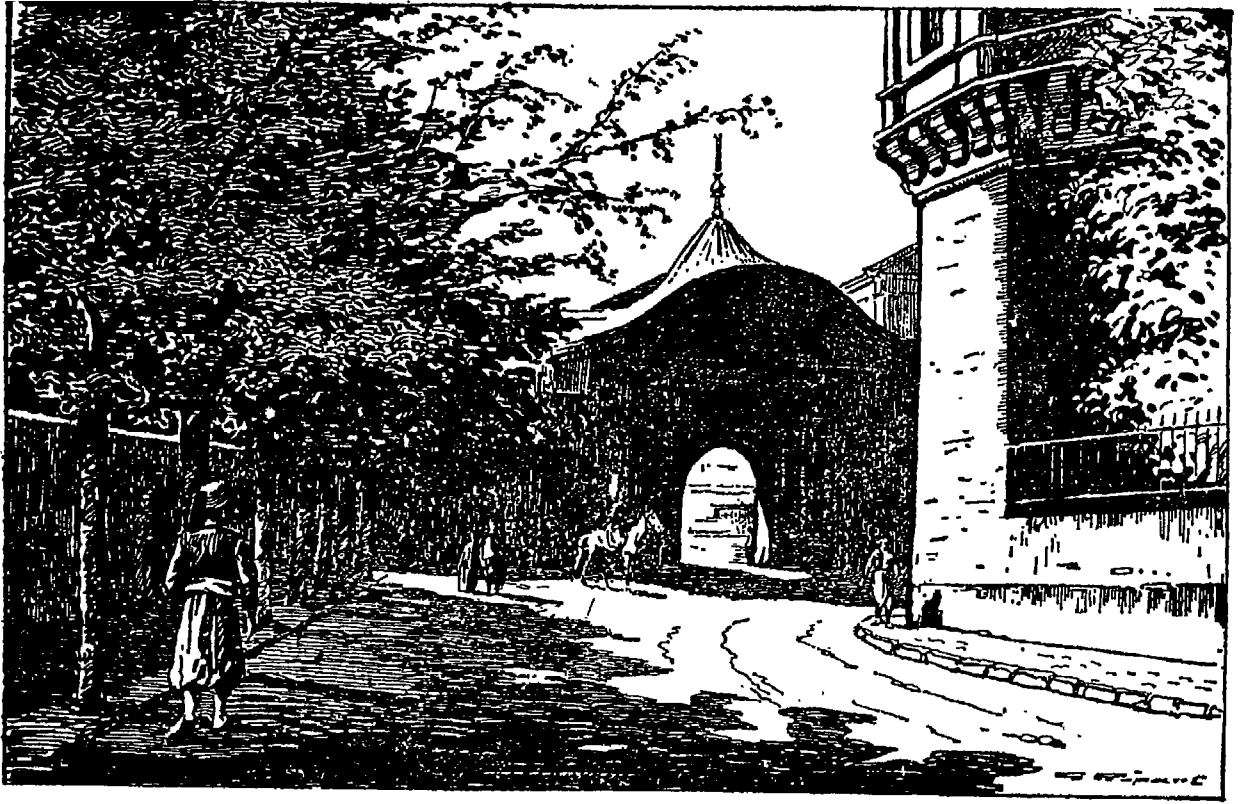
وفيه : وصلت الأخبار أيضا عن عبد الله بن سعود ، أنه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة ، وقتلوه عند باب همايون ، وقتلوا أتباعه أيضا فى نواح متفرقة ... فذهبوا مع الشهداء ! وفيه : أشيع وصول قابجى كبير من طرف

الدولة ، يقال له قهوجى باشا ، الى الاسكندرية ، وورد الأمر بالاستعداد لحضوره مع الباشا . فطلعوا بالمطابخ الى ناحية شبرا ، وطلبت الخيول من الريع ، واستمر خروج العساكر ودحرجهم ، وكذلك طبخ الأطعمة ، وفى كل يوم يشيرون الورود ، فلم يأت أحد ، ثم ذكروا أن ذلك القابجى ، حين قرب من الاسكندرية ، رده الريح الى رودس ، واستمر هذا الريح الى آخر الشهر ! وفيه : قوى الاهتمام بأمر حفر التربة المتقدم ذكرها ، وسيقت الرجال والفلاحون من الأقاليم البحرية ، وجدوا فى العمل بعدما حددوا لكل أهل اقليم أقصا بما توزع على أهل كل بلد من ذلك الاقليم . فمن أتم عمله المحدود ، انتقل الى مساعدة الآخرين . وظهر فى حفر بعض الأماكن منها صورة أماكن ومساكن وقيعان ، وحمام بعقوده وأحواضه ومغاطسه . ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كقرية قديمة ، وأخرى لم تفتح — لا يعلم ما فيها — رفعوها للباشا مع تلك .

الأربعاء ٢٧ منه (٢٤ مارس ١٨١٩ م) :

حضر الباشا الى شبرا ، ووصل فى اثره قهوجى باشا . وعملوا له موكبا فى صبيحة يوم الخميس ، وطلعوا الى القلعة ، ومع الأغا المذكور ما أحضره برسم الباشا وولده ابراهيم باشا الذى بالحجاز ، وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعة ، وخنجر مجوهر لكل واحد ، وشلنجان مجوهران ، وساعة جوهر وغير ذلك . وقرىء القرمان بحضرة الجمع ، وفيه الشاء الكثير على الباشا والعفو عن بقى من الوهاية . وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة ، وكذلك عند ورودهم . واستمر ضرب المدافع ثلاثة أيام فى جميع الأوقات الخمس .

ونزل القابجى المذكور بيت طاهر باشا



باب همايون ... حيث قتل عبد الله بن سعود

في أواخره (أواخر أبريل ١٨١٩ م) :

رجع الكثير من فلاحى الأقاليم الى بلادهم من
الاشرفية ، وهم الذين أتموا ما لزمهم من العمل
والحفر . ومات الكثير من الفلاحين من البرد
ومقاساة التعب !

وفيه : حصل بعض موت بالطاعون . فداخل
الناس وهم بسبب ما حدث فى أكابر الدولة
والنصارى من التحجب وعمل الكورتيلات ، وهى
التباعد من الملامسة ، وتبخير الأوراق والمجالس
ونحو ذلك .

رجب

الجمعة ٥ منه (٣٠ أبريل ١٨١٩ م) :

مات عبود النصرانى كاتب الخزينة . وكان
مشكور السيرة فى صناعته ، وعنده مشاركة

بالأزبكية ، وحضر أيضا عقبه أطواخ لكل من
عباس بيك ابن طوسون باشا ابن الباشا ، ولأحمد
بيك ابن طاهر باشا . وفى ضمن الفرمان الاذن
للباشا بتولية أمرىات وقبجيات لمن يختار .

الجمعة ٢٩ منه (٢٦ مارس ١٨١٩ م) :

خلع الباشا على أربعة أو خمسة من أمرائه
بقبجيات باشا ، وهم : على بيك السلانكلى قابجى
باشا ، وحسن أغا أزرجانلى كذلك ، و خليل أفندى
حاكم رشيد ، وشريف بيك .

جمادى الآخرة

الأحد غرته (٢٨ مارس ١٨١٩ م) :

فيه : حضر محمد بيك الذفتردار من الجهة
القبلىة ، فأقام أياما وعاد الى قبلى .

ودعوى عريضة ودعوى علم ، ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ، ويضمن انشاءاته ومراسلاته آيات وأمثالا وسجعات ، وأخذ دار القيسرى بدرب الجنينة وما حولها ، وأنشأها دارا عظيمة وزخرفها ، وجعل بها بستانا ومجالس مفروشة بالرخام الملون ، وفساقى وشازروانات وزجاج بلور ... وكل ذلك على طرف الميرى ، وله مرتب واسع . وكان الباشا يحبه ويشق به ، ويقول « لولا الملازمة لقلدته الدفتردارية » .

الأحد ٧ منه (٢ مايو ١٨١٩ م) :

حضر الى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بيك أبو نبوت معزولا عن ولايته فأرسل الى الباشا يستأذنه فى الحضور الى مصر فأطلق له الاذن فحضر ، فأنزله بقصر العينى وصحبته نحو الخمسمائة مملوك وأجناد وأتباع ، واجتمع بالباشا وأجله وسلم عليه ، وأقام معه حصة من الليل ، ورتب له مرتبا عظيما ، وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية أتباعه .

فمن جملة ما رتب له : ثلاثة آلاف تذكرة كل تذكرة بألفين وستمائة نصف فضة فى كل شهر ، وذلك خلاف المعين واللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والأرز والفحم والشمع والصابون ، فمن الأرز خاصة فى كل يوم أردبان ، وللعليق خمسة وعشرون أردبا فى كل يوم .

السبت ١٣ منه (٨ مايو ١٨١٩ م) :

سافر قهوجى باشا عائدا الى اسلامبول ، واحتفل به الباشا احتفالا زائدا ، وقدم له ولمخدومه وأرباب الدولة من الأموال والهدايا والخيول والبن والأرز والسكر والشربات وتعابى الأقمشة الهندية وغيرها شيئا كثيرا ، وكذلك قدم له أكابر الدولة هدايا كثيرة ، ولأنه لما حضر الى مصر قدم لهم هدايا

فقابلوه بأضعافها ، وعند ما سافر احتجب الباشا ، وأمر كل من كان يلزم ديوانه بالانصراف والتحجب ، فتكرتن منهم من تكرتن فى داره ومنهم فى القصور ، وسافر مع قهوجى باشا سليمان أغا السلحدار وشربتشى باشا وآخرون لتشيعه الى الاسكندرية .

الخميس ١٨ منه (١٣ مايو ١٨١٩ م) :

حضر بواقى الوهاية بحريمهم وأولادهم — وهم نحو الأربعمائة نسمة — وأسكنوا بالقشلة التى بالأزبكية ، وابن عبد الله بن سعود بدار عند جامع مسبكة هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويحيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ، ويمشون فى الأسواق ، ويشترون البضائع والاحتياجات .

شعبان

(٢٦ مايو — ٢٣ يونية ١٨١٩ م) :

فيه : وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز ، وصحبتهم ابن حمود أمير يمن الحجاز . وذلك أنه لما مات أبوه تأمر عوضه ، وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة . فلما توجه خليل باشا الى اليمن ، أخلى له البلاد ، واعتزل فى حصن له ، ولم يخرج لدفعه ومحاربه كما فعل أبوه . وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه ، وحضر عند خليل باشا . فقبض عليه وأرسله مع الهجانة الى مصر .

وفيه : صرفوا الفلاحين عن العمل فى التربة لأجل حصاد الزرع ، ووجهوا عليهم طلب المال !

رمضان

الخميس غرته (٢٤ يونية ١٨١٩ م) :

امتثل والباشا مكرتن بشبرا ، ولم يطلع الى القلعة كعادته فى شهر رمضان .

الأربعاء ٢٨ منه (٢١ يولية ١٨١٩ م) :

طلع الى القلعة ، وعيد بها

شوال

١٤ منه (٥ اغسطس ١٨١٩ م — آخر ايبب ١٥٣٥ ق) :

نودى بوفاء النيل ، وكان الباشا سافر الى جهة
لأسكندرية بسبب ترعة الأشرفية ، وأمر حكام
الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل . فأخذوا
في جمعهم ، فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال ،
ويوزلون بهم المراكب . وتعطلوا عن زرع الدراوى
الذى هو قوتهم ، وقاسوا شدة بعد رجوعهم من
المرّة الأولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير
منهم من البرد والتعب ، وكل من سقط أعالوا عليه
من تراب الحفر ... ولو فيه الروح !

ولما رجعوا الى بلادهم للحصيدة ، طولبوا
بالمال ، وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من
التبن وكيلة قمح وكيلة فول ، وأخذ ما يبيعونه
من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر ... فما هم
الا والطلب للعود الى الشغل فى التربة ، ونزع المياه
التي لا ينقطع نبعها من الأرض ، وهى فى غاية
الملوحة . والمرّة الأولى كانت فى شدة البرد ، وهذه
المرّة فى شدة الحر ، وقلة المياه العذبة ، فينقلوها
بالروابا على الجمال مع بعد المسافة وتأخر رى
الاسكندرية !

٢٧ منه (١٨ اغسطس ١٨١٩ م) :

ارتحل ركب الحجاج من البركة . وأمير الحاج
عابدين بك أخو حسن باشا .

ذوالقعدة

الأحد غرته (٢٢ اغسطس ١٨١٩ م) :

استهل والعمل فى التربة مستمر .

ذوالحجّة

الثلاثاء ١٥ منه (٥ أكتوبر ١٨١٩ م) :

سافر الباشا الى الصعيد ، وسافر صحبته
حسن باشا طاهر ، ومحمد آغا لاط المنفصل عن
الكتخدائية ، وحسن آغا أزرجابلى ، وغيرهم من
أعيان الدولة .

وفيه : وصل الخبر ببوت سليمان باشا حاكم
عكا ، وهو من ممالك أحمد باشا الجزائر .

فى أواخره (النصف الثانى من أكتوبر ١٨١٩ م) :

وفى أواخره : وصل ابن ابراهيم باشا ، وصحبته
حريم أبيه . فضربوا لوصولهم مدافع ، وعملوا
للصغير موكبا ، ودخل من باب النصر ، وثق من
وسط المدينة .

واقضت السنة وما تجدد بها من الحوادث
التي منها : زيادة النيل الزيادة المفترطة أكثر من
العام الماضى . وهذا من النواذر — وهو الفرق —
فى عامين متتابعين ، واستمر أيضا فى هذه السنة الى
منتصف هاتور ، حتى فات أوان الزراعة ، وربما
نقص قليلا ثم يرجع فى ثانى يوم أكثر ما نقص .

المحتم

الخميس غرته (٢١ أكتوبر ١٨١٩ م) :

كان أول المحرم بالهلال يوم الخميس ، وفيه ، وما قبله بأيام : حصل بالأرياف ، بل وبداخل المدينة ، انزعاجات بسبب تواتر سرقات ، وإشاعة سروح مناسر وحرامية ، وعمر الناس أبواب الدور والدروب ، وحصل منع الناس من المسير والمشي بالأزقة من بعد الغروب . وصار كتحدا بيك وأغات التبديل والوالى يطوفون ليلا بالمدينة ، وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ... ولو كان مالا شبهة فيه ، واستمر هذا الحال الى آخر الشهر .

الثلاثاء ٢٧ منه (١٦ نوفمبر ١٨١٩ م) :

حضر الباشا من الصعيد بعد أن وصل في سرحته الى الشلال . وكان الناس تقولوا على ذهابه الى قبلى أقاويل ، منها : أنه يريد التجريد على بواقي المصريين المنقطعين بدقيلة : فإنهم استفحل أمرهم ، واستكثروا من شراء العبيد ، وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك .

ومنها : أنه يريد التجريد أيضا ، وأخذ بلاد دارفور والنوبة ، ويمهد طريق الوصول إليها .

ومنها : أنهم قالوا انه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد ، وان ذهابه للكشف على ذلك وامتحانه ، وعمل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه .

وبطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه . وأما

قولهم عن هذه المعادن : فالذى تلخص من ذلك أنه ظهر بأرض أحجار خضر تشبه الزمرد ، وليست اياه ، وبمكان آخر شيء أسود مخرفش مثل خرق الحديد يخرج منه بعد العلاج والتصفية رصاص قليل . فقد أخبرنى أخونا الشيخ عمر الناولى ، المعروف بالمخلصى ، أنه أخذ منه قطعة وذهب بها الى الصائغ ودقها ووضعها فى بوط كبير ، وساق عليها بنار السبك ، وانكسر البوط فنقلها الى بوط آخر . ولم يزل يعالجها بطول النهار ، وأحرق عليها زيادة عن القنطار من الفحم . وفيه : حضر أيضا جماعة من الوهاية ، وأنزلوا بدار بحارة عابدين .

صفر

الجمعة غرته (١٩ نوفمبر ١٨١٩ م) :

سافر محمد أغا ، المعروف بأبو نبوت ، الشامى الى دار السلطنة باستدعاء من الدولة ، وذلك أنه لما حضر الى مصر ، ونزل برحاب الباشا كما تقدم ، وكاتب الباشا فى شأنه الى الدولة ، فحضر الأمر بطلبه وأوكد بالاكرام . فعند ذلك هيا له الباشا ما يحتاج اليه من هدية وغيرها ، وتعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصا أرسل اليهم الباشا كساوى وفراوى ، وترك باقى أتباعه بمصر أنزلوهم فى دار بسويقة اللالا — وهم يزيدون عن المائتين — ويصرف لهم الرواتب فى كل يوم والشهرية .

وفيه : وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز ، وصحبهم أسرى من الوهاية نساء وبنات وغلمانا ، نزلوا عند الهمايل ،

وظفوا يبيعونهم على من يشتريهم ... مع أنهم مسلمون وأحرار !

الجمعة ١٥ منه (٣ ديسمبر ١٨١٩ م) :

مات مصطفى أغا وكيل دار السعادة سابقا ، ومات أيضا الشيخ عبد الرحمن القرشي الحنفى .

الأحد ١٧ منه (٥ ديسمبر ١٨١٩ م) :

وصل الحاج المصرى ، ومات الكثير من الناس فيه بالحمى ، وكذلك كثرت الحمى بأرض مصر ، وكأنها تناقلت من أرض الحجاز .

الخميس ٢١ منه (٩ ديسمبر ١٨١٩ م) :

وصل ابراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير . وكان قبل وروده بأيام وصل خبر وصوله الى القصير . وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعة وغيرها ، ورمحت المبشرون لأخذ البقاشيش من الأعيان ، واجتمعت نساء أكابرهم عند والدته ونسائهم للتهنئة ، ونظروا له القصر الذى كان أنشأه ولى خوجة وتمه شريف بيك الذى تولى فى منصبه ، وهو بالروضة بشاطىء النيل تجاه الجيزة وعند وصول المذكور عملوا جبرا من الروضة الى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر الى البر ، وردموه بالأتربة من فوق الأخشاب . وفى ذلك اليوم : وصل قابجى من دار السلطنة بالبشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، وطلع الى القلعة فى موكب .

وفيه : عند وصول ابراهيم باشا نودى بزيئة المدبنة سبعة أيام بلياليها . فشرع الناس فى تزيين الحوانيت والدور والخانات بما أمكنهم ، وقدروا عليه من الملونات والمقصبات . وأما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم فانهم أبدعوا فى عمل تصاوير مجسمات وقنايل وأشكال غريبة . وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج ، فرسموا بجملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع على الناس بقصد ذلك ،

فياخذونها ويبيعونها بأغلى ثمن بعد الانكار والكتمان .

ولما أصبح يوم الجمعة — وقد عدى ابراهيم باشا الى بر مصر — رتبوا له موكبا ، ودخل من باب النصر ، وشق المدينة ، وعلى رأسه الطلخان السليمى — من شعار الوزارة — وقد أرخى لحيته بالحجاز . وحضر والده الى جامع الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه ، وطلع بالموكب الى القلعة ، ثم رجع سائرا بالهيئة الكاملة الى جهة مصر القديمة ، ومر على الجسر ، وذهب الى قصره المذكور بالروضة .

واستمرت الزينة والوقود ، والسهر بالليل ، وعمل الحراقات ، وضرب المدافع فى كل وقت من القلعة ، ومغانى وملاعب فى مجامع الناس ، سبعة أيام بلياليها ، فى مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع الأخطاط .

ورجع ابراهيم باشا من هذه الغيبة متعظما فى نفسه جدا ، وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه . حتى ان المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقُدوم ، فلما أقبلوا عليه — وهو جالس فى ديوانه — لم يقيم لهم ، ولم يرد عليهم السلام . فجلسوا وجعلوا يهنتونه بالسلامة ، فلم يجبههم ... ولا بالاشارة ا بل جعل يحادث شخصا سخرية عنده . وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسرى خاطر .

ربيع الأول

٨ منه (٢٥ ديسمبر ١٨١٩ م) :

مات ابن ابراهيم باشا — وهو الذى تقدمه فى المجيء الى مصر — وعملوا له الموكب ، وعمره نحو ست سنوات . وكان موته فى أول الليل من ليلة الأحد . فأرسلوا التنايه لأعيان الدولة والمشايخ ، فخرج البعض منهم فى ثلث الليل الأخير الى مصر القديمة حيث المعادى ، لأنه مات بقصر

امارة الصعيد ، وقلد عوضه أحمد باشا ابن طاهر باشا ، وسافر في خامسه .

الأحد ٧ منه (٢٣ يناير ١٨٢٠ م) :

سافر الباشا الى الاسكندرية للكشف على التربة ، وسافر صحبته ابنه ابراهيم باشا ومحمد بيك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس أوغلي .

السبت ١٣ منه (٢٩ يناير ١٨٢٠ م) :

حضر الباشا ومن معه من غيبتهم ، وقد انشرح خاطره لتمام التربة وسلوك المراكب وسفرها فيها : وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والقاير بالبضائع . واستراحوا من وعمر البوغاز ، والسفر في المالح الى الاسكندرية ، والنقل والتجريم ، وانتظار الريح المناسب لاقتحام البوغاز والبحر الكبير . ولم يبق في شغل التربة الا الأمر اليسير ، واصلاح بعض جسورها .

واتفق وقوع حادثة في هذا الشهر : وهو أن شخصا من الافرنج الانكليز ورد من الاسكندرية ، وطلع الى بلدة تسمى كفر حشاد ، فمشى بالغيظ ليصطاد الطير ، فضرب طيرا ببندقته فأصاب بعض الفلاحين في رجله . وصادف هناك شخصا من الارثوود بيده هراوة أو مسوكة ، فجاء الى ذلك الافرنجى ، وقال له : « أما تخشى أن يأتى اليك بعض الفلاحين ويضربك على رأسك هكذا » ، وأشار بما في يده على رأس الافرنجى لكونه لا يفهم لغته . فاغتاظ من ذلك الافرنجى ، وضربه ببندقته فسقط ميتا .

فاجتمع عليه الفلاحون ، وقبضوا على الافرنجى ، ورفعوا الارثوودى المقتول ، وحضروا الى مصر ، وطلعوا بمجلس كتخدا بيك . واجتمع الكثير من الأرثوود وقالوا : « لابد من قتل الافرنجى » . فاستعظم الكتخدا ذلك ، لأنهم يراعون جانب الافرنج الى الغاية ، فقال : « حتى نرسل الى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم في ذلك » .

الجيزة . فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة ، وما حضروا به الا قرب الزوال . وانجزوا بالمشهد الى مدفنهم بالقرب من الامام الشافعى ، وعملوا له مأتما ، وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك .

ثم حكى المخبرون عن كيفية موته : أنه كان نائما في حجر دادثه — جارية سوداء — فشاجرتها جارية بيضاء ، ورفصتها برجلها فأصابته الغلام ، فاضطرب . ووصل الخبر الى أبيه ، فدخل اليهم ، وقبض على الجوارى الحاضرات وحسهن في مكان بالقصر ، وقال : « ان مات ولدى قتلتكن عن آخر كن » ، فمات من ليلته . فخنق الجميع وألقاهن في البحر بما فيهن الدادة . قيل انهن خمس ، وقيل ست ... والله أعلم .

في اواخره (حوالى منتصف يناير ١٨٢٠ م) :

انقضى أمر الفجر بترعة الاسكندرية ، ولم يبق من الشغل الا القليل . ثم فتحوا لها شرما ، خلاف قمها المعمول ، خوفا من غلبة البحر . فجرى فيها الماء ، واختلط بالمياه المالحة التى نبعت من أرضها ، وعلا الماء منها على بعض المواطن المسيخة ، — وبها روبة عظيمة — وساح على الأرض ، وليس هناك جسور تمنع ، وصادف أيضا وفورع نوة وأهوية علا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ، ووصل الى التربة . فأشيع في الناس أن التربة فسد أمرها ولم تصح ، وأن المياه المالحة ، التى منها ومن البحر ، غرقت الاسكندرية ، وخرج أهلها منها ... الى أن تحقق الخبر بالواقع — وهو دون ذلك — ورجع المهندسون والفلاحون الى بلادهم بعدما هلك معظمهم .

ربيع الآخر

الاثنين غرته (١٧ يناير ١٨٢٠ م) :

في أوله : عزل الباشا محمد بيك الدفتردار عن

الكثير من أتباعه بالحمى . فتكدر حظهم ، وبطلت الضيافات وحضر الباشا ومن معه — فى أواخره — لعمل الغزاء والميتم . وأخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازية ، حتى قالوا انه لم يبق من طائفة عابدين بيك الا القليل جدا .

ريش الآخ

الثلاثاء ٢٠ منه (٤ ابريل ١٨٢٠ م) :

وردت هدية من والى الشام ، فيها من الخيول الخاص عشرة : بعضها ملبس ، والباقي من غير سروج ، وأشياء أخر لا نعلمها .

أواخره (النصف الأول من ابريل ١٨٢٠ م) :

ورد الخبر بأن حسن بيك الشباشرجى استولى على سيوة .

وفيه : ورد الخبر بأنه وقع باسلامبول حريق كبير .

وفيه : ورد الخبر أيضا عن حلب بأن أحمد باشا — المعروف بخورشيد ، الذى كان سابقا والى مصر — استولى على حلب ، وقتل من أهلها وأعيانها أناسا كثيرة . وذلك أنه كان متوليا عليها ، فيحصل منه ما أوجب قيام أهل البلدة عليه ، وعزلوه وأخرجوه ... وذلك من مدة سابقة . فلما أخرجوه أقام خارجها ، وكاتب الدولة فى شأنهم ، وقال ما قال فى حقهم . فبعثوا أوامر ومراسيم لولاة تلك النواحي بأن يتوجهوا لمعوته على أهل حلب . فاحتاطوا بالبلدة ، وحاربوها أشهرا حتى ملكوها ، وقتكوا فى أهلها ، وضربوا عليهم ضرائب عظيمة ... وهم على ذلك .

وفيه أيضا : تقلد أغوية مستحفظان مصطفى أغا كرد — مضافة للحسبة — عوضا عن حسن أغا الذى توفى فى الحج . فأخذ يعسف كعادته فى مبادئ توليته للحسبة ، وجعل يطوف ليلا ونهارا ، ويحتج على المارين بالليل بأدنى سبب ، فيضرب

وأرسل باحضارهم ... وقد تكاثر الأرثوود وأخذتهم الحمى ، وقالوا : « لآى شىء تؤخر قتله الى مشورة القناصل ؟ وان لم يقتل هذا فى الوقت ، نزلنا الى حارة الافرنج ونهناها وقتلنا كل من بها من الافرنج » . فلم يسع الكتخد الا أن أمر بقتله . فنزلوا به الى الرملة ، وقطعوا رأسه . وطلع أيضا القناصل فى كبكبتهم ... وقد نفذ الأمر . وكان ذلك فى غيبة الباشا .

جداى الأولى

(١٥ فبراير — ١٥ مارس ١٨٢٠ م)

فيه : جرد الباشا حسن بيك الشباشرجى ، حاكم البحيرة ، على سيوة من الجهة القبليّة ، فتوجه اليها من البحيرة بجنده ومعه طائفة من العرب .

وفيه : قوى عزم الباشا على الاغارة على نواحي السودان . فمن قائل انه متوجه الى سنار ، ومن قائل الى دارفور . وصارى العسكر ابنه اسماعيل باشا وخلافه . ووجه الكثير من اللوازم الى الجهة القبليّة ، وعمل بالقسماط والذخيرة ببلاد قبلى والشرقية . واهتم اهتماما عظيما ، وأرسل أيضا باحضار مشايخ العربان والقبائل .

وفيه : خرج الباشا الى ناحية القليوبية ، حيث الخيول بالربيع ، وخرج محويك لضيافته بقلقشندة ، وأخرج خياما وجمالا كثيرة محملة بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والأرز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك ، وأضافه ثلاثة أيام ، وكذلك تامر كاشف الناحية وغيره ، وكذلك أحضر له ضيافة ابن شديد شيخ الحويطات ، وابن الشواربى كبير قليوب ، وابن عسر . وكان صحبة الباشا ولداه ابراهيم باشا واسماعيل باشا ، وحسن باشا .

وفى أثناء ذلك : ورد الخبر بموت عابدين بيك ، أخو حسن باشا ، بالديار الحجازية ، وكذلك

من يصادفه راجعا من سهر ونحوه ، أو يقطع من
أذنه أو أنفه !

رجب

الأحد ٣ منه (١٦ أبريل ١٨٢٠ م) :

تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين أغا
المورلي ، وهو بخشونجي بساتين الباشا .
وفيه : رجع حسن بيك الشماشجي من ناحية
سيوة ، بعد أن استولى عليها ، وقبض من أهاليها
مبلغا من المال والتمر ، وقرر عليها قدرا يقومون به
في كل عام الى الخزينة .

الأربعاء ٢٠ منه (٣ مايو ١٨٢٠ م) :

سافر محمد أغا لاط — وهو المنفصل عن
الكتخدائية — الى قبلى بمعنى أنه فى مقدمة الجردة
يتقدمها الى الشلال .

فى أواخره (النصف الأول من مايو ١٨٢٠ م) :

وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية
فقطع الباشا على أخيه أحمد بيك — وهو ثالث
أخوته — وهو أوسطهم ، وقلده فى منصب أخيه
عوضا عنه ، وأعطى البيروق واللوازم .

وفيه أيضا : توجه الباشا الى ناحية الوادى لينظر
ما تجدد به من العمائر والمزارع والسواقي . وقد
صار هذا الوادى اقليما على حدته ، وعمر به قرى
ومساكن ومزارع .

شعبان

الأحد غرته (١٤ مايو ١٨٢٠ م) :

فيه : سافر ابراهيم باشا الى القليوبية ، ثم الى
المنوفية والغربية ، لقبض الخراج عن سنة تاريخه ،
والطلب بالسواقي التى انكسرت على الفقراء
— وكان الباشا سامح فى ذلك ، وتلك بواقي سبع
سنين — فكان يطلب مجموع ما على القرية من
المال والبواقي فى ظرف ثلاثة أيام . ففزعت الفلاحون

ومشايع البلاد ، وتركوا غلالهم فى الأجران ،
وظفوا فى النواحي بنسائهم وأولادهم . وكان
يجبس من يجده من النساء ويضربهن . فكان
مجموع المال المطلوب تحصيله ، على ما أخبرنى به
بعض الكتاب ، مائة ألف كيس (١) .

الأحد ١٥ منه (٢٨ مايو ١٨٢٠ م) :

حضر الباشا من ناحية الوادى .

فى أواخره (النصف الأول من يونية ١٨٢٠ م) :

وقع حريق ببولاق فى مغالق الخشب التى خلف
جامع مرزة وأقام الحريق نحو يومين حتى طفىء ،
واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر المعروفة
بالكرسنة ، والزفت ، وحطب الأشراق وغيره .

رمضان

الاثنين غرته (١٢ يونية ١٨٢٠ م) :

واستهل والاهتمام حاصل وكل قليل يخرج عساكر
ومغاربة مسافرين الى بلاد السودان ومن جملة
الطلب ثلاثة أنفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة
التجريدة . فوقع الاختيار على محمد أفندى
الأسيوطى ، قاضى أسيوط . والسيد أحمد البقل
الشافعين ، والشيخ أحمد السلاوى المغربى المالكى .
وأقبضوا محمد أفندى المذكور عشرين كيسا
وكسوة ، ولكل واحد من الاثنين خمسة عشر
كيسا وكسوة . ورتبوا لهم ذلك فى كل سنة .

الأحد ٧ منه (١٨ يونية ١٨٢٠ م) :

وقع حريق فى سراية القلعة . فطلع الأغا والوالى
وأغات التبديل ، واهتموا بطفء النار ، وطلبوا
السقائين من كل ناحية ، حتى شح الماء ولا يكاد
يوجد — وكان ذلك فى شدة الحر ، وتوافق شهر
بؤونة ورمضان — وأقاموا فى طفء النار يومين ،
واحترق ناحية ديوان كتخدا بيك ومجلس شريف
بيك ، وتلفت أشياء وأمتعة ودفاتر .. حرقا ونهبا .

(١) فى بعض النسخ « مائة وسبعين ألف كيس » .

عمل مهم لختان عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا — وهو غلام فى السادسة — فشرعوا فى ذلك فى تاسع عشره ، ونصبوا خياما كثيرة تحت القصر . وحضرت أرباب الملاييب والحواة ، والمغزلكون والبهلوانيون ، وطبخت الأطعمة والحلواء والأسمطة ، وأوقدت الوقودات بالليل من المشاعل والقناديل ، والشسوع بداخل القصر ، وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك .

ورسموا باحضار غلمان أولاد الفقراء ، فحضر الكثير منهم وأحضروا المزينين . فختنوا فى أثناء أيام الفرح نحو الأربعمئة غلام ، ويفرشون لكل غلام طراحة ولحافا يرقد عليها حتى يبرأ جرحه ، ثم يعطى لكل غلام كسوة وألف نصف فضة . وفى كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونقوط ومدافع بطول الليل ودعوا فى أثناء ذلك كبار الأشياخ والقاضى والشيخ السادات والبكرى — وهو تقيب الأشراف أيضا — والمقاتى . وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ، ولم يقيم لواحد منهم ، ولم يرد على من يسلم — ولا بالإشارة — السلام . ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها . وحضرت المائدة فتعاطوا الذى تعاطوه . حتى انقضى المجلس ، وقاموا وانصرفوا من سكوت .

الأربعاء ٢٣ منه (٢ أغسطس ١٨٢٠ م) :
خرجوا بالمحمل الى الحصوة ، وأمير الحاج شخص من الدلاة لم نعرف اسمه .

الخميس ٢٤ منه (٣ أغسطس ١٨٢٠ م) :
عملوا الزفة لعباس باشا ، ونزلوا به من القلعة على الدرب الأحمر ، على باب الخرق الى القصر ... وختنوه فى ذلك اليوم . وامتلا طشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيان ، وخلعوا عليه فروة وشال كشميرى ، وأنعموا على باقى المزينين بثلاثين كيسا وانقضى ذلك .

وذلك أن أبنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالأحجار والصخور والعقود ، وليس بها الا القليل من الأخشاب ... فهدموا ذلك جميعه ، وبنوا مكانه الأبنية الرقيقة — وأكثرها من الحجنة والأخشاب ، على طريق بناء اسلامبول والافرنج — وزخرفوها ، وطلوها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش ، وكله سريع الاشتعال ... حتى أن الباشا لما بلغه هذا الحريق — وكان مقيما بشبرا — تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ، ويلوم على تغيير الوضع السابق ، ويقول : أنا كنت غائبا بالحجاز ، والمهندسون وضعوا هذا البناء . وقد تلف فى هذا الحريق ما ينيف عن خمسة وعشرين ألف كيس ... حرقا ونهبا . ولما حصل هذا الحريق ، انتقلت الدواوين الى بيت طاهر باشا بالأزبكية . وانقضى شهر رمضان .

شوال

الثلاثاء غرته (١١ يولية ١٨٢٠ م) :

وقع فى تلك الليلة اضطراب فى ثبوت الهلال لكونه كان عسر الرؤية جدا ، وشهد اثنان برؤيته . ورد الواحد ، ثم حضر آخر . ولم يزالوا كذلك الى آخر الليل ، ثم حكم به عند الفجر ... بعد أن صليت التراويح ، وأوقدت المنارات ، وطاف المسحرون بطبلاهم ، وتسحرت الناس ، وأصبح العيد باردا .

السبت ٥ منه (١٥ يولية ١٨٢٠ م) :

سافر الباشا الى ثغر سكندرية كعادته ، وأقام ولده ابراهيم باشا للنظر فى الأحكام والشكاوى والدعاوى . وكانت اقامته بقصره الذى أنشأه بشاطيء النيل ... تجاه مضرب النشاب ، وتعظم فى نفسه جدا .

ولما رجع ابراهيم باشا من ممرحته ، شرعوا فى

الثلاثاء ٢٩ منه (٨ أغسطس ١٨٢٠ م — ٣ مسرى ١٥٣٦ ق) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد فى صباحها يوم الأربعاء ، وجرى الماء فى الخليج .. وذلك بحضرة كتحدا بيك والقاضى .

وفى هذا الشهر : حضر طائفة من بواقى الأمراء المصرية من دقلة الى بر الجيزة . وهم نحو الخمسة وعشرين شخصا ، وملابسهم قمصان بيض لاغير . فأقاموا فى خيمة ينتظرون الاذن ، وقد تقدم منهم الارسال بطلب الأمان عندما بلغهم خروج التجاريد ، وحضر ابن على بيك أبوب وطلب أمانا لأبيه — فأجيبوا الى ذلك ، وأرسل لهم أمانا لأجمعهم .. ماعدا عبد الرحمن بيك ، والذي يقال له المنفوخ ، فليس يعطيهم أمانا ، ولما حضرت مراسلة الأمان لعلى بيك أيوب ، وتأهب للرحيل .. حقدوا عليه وقتلوه . ووصل خبر موته ، فعملوا نعيه فى بيته — سكن زوجته الكائن بشمس الدولة — وأكثروا من النذب والصراخ عدة أيام .

وفى هذا الشهر أيضا : حضر أشخاص من بلاد العجم ، وصحبته هدية الى الباشا ، وفيها خيول ، فأنزلوهم بيت حسين بيك الشماشرجى بناحية سوقة العزى .

ذوالقعدة

الأحد ٤ منه (١٣ أغسطس ١٨٢٠ م) :

وصل قابجى وعلى يده مرسوم تقرير للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ، وتقرير آخر لولده ابراهيم باشا بولاية جدة . وركب القابجى المذكور فى موكب من بولاى الى القلعة ، وقرئت المراسيم بحضرة كتحدا بيك و ابراهيم باشا وأعيانهم ، وضربوا مدافع .

وفيه : سافر اسماعيل باشا الى جهة قبلى ، وهو أمير العسكر المعينة لبلاد النوبة .. كل ذلك والباشا الكبير على حاله بالأسكندرية .

ذوالحجّة

(٩ سبتمبر — ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م)

فيه : توجه ابراهيم باشا الى أبيه بالأسكندرية فأقام هناك أياما وعاد فى آخر الشهر فأقام بمصر أياما قليلة ، وسافر الى ناحية قبلى ليجمع ما يجده عند الناس من القمح والفلول والعدس الثلاثة أصناف . وأخذوا كل سفينة غصبا ، وساقوا الجميع الى قبلى لحمل الغلال ، وجمعها فى الشون البحرية لتباع على الافرنج والروم بالأثمان العالية . وانقضت السنة . ومن حوادثها : زيادة النيل الزيادة المفرطة وخصوصا بعد الصليب . وقد كان حصل الاعتناء الزائد بأمر الجسور بسبب ما حصل فى العامين السابقين من التلف ، فلما حصلت هذه الزيادة بعد الصليب ، وطف الماء على أعلى الجسور ، وغرق مزارع الذرة والنيلة والقصب والأرز والقطن وأشجار البساتين ، وغالب أشجار الليمون والبرتقان بما عليها من الثمار ، وصار الماء ينبع من الأرض المنوعة نبعا . ولا عاصم من أمر الله !

وطال مكث الماء على الأرض حتى فات أوان الزراعة ، ولم نسمع ولم نر فى خوالى السنين تتابع الغرقات ، بل كان الغرق نادر الحصول . وعلا ماء الخليج حتى سد غالب فرجات القناطر ، ونبع الماء من الأراضي الواطية القريبة من الخليج مثل غيط العدة ، وجامع الأمير حسين ونحو ذلك .

ومنها : أن ترعة الأسكندرية المحدثه — لما تم خفرها ، وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود — فتحوا لها شرما دون قمها المعد لذلك ، وامتلاّت بالماء . فلما بدأت الزيادة زادت ، وطف الماء فى المواضع الواطية ، وغرقت الأراضي ، فسدوا ذلك الشرم ، وأبقوا من داخله فيها عدة مراكب للمسافرين ، فكانوا ينقلون منها الى

مراكب البحر ، ومن البحر الى مراكبها وبقي ماؤها مالحة متغيرا ، واستمر أهل الثغر في جهد من قلة الماء العذب ، وبلغ ثمن الراوية قرشين .

ومنها : أنه لما وقع القياس في أراضي القرى ، قرروا مسموحا لمشايخ البلاد — في نظير مضايقتهم — خمسة أفدنة من كل مائة فدان . وفي هذا العام يدفع مال المسموح ستين ... وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل أوانه ، وما صدقوا أنهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة ، وبيع المواشى والأمتعة ومصاغ النساء . وكانوا أيضا طولبوا بالبواقي في السنين الخوالي التي كانوا عجزوا عنها . ولم يزل رمى الغلال في هذه السنة ، وكذلك الفول وثمر النخيل والفواكه . ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ، ازداد كربهم : فانه ربما يجيء على الواحد ألف ريال وأقل وأكثر ، وقد قاسوا الشدائد في غلاق الخراج الخارج عن الحد ، وعدم زكاء الزرع ، وغرق مزارع النيلة والأرز والقطن والقبص والكتان وغير ذلك .

وفي أثر ذلك : فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشا ، وعلى الجمل ستون قرشا ، وعلى الشاة قرش ، والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفا وثلاث ، والبقرة خمسة عشر ، والفرس كذلك .

ومنها : احتكار الصابون ، ويحجز جميع الوارد على ذمة الباشا . ثم سُمح تجاره بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن — وهو شيء كثير — ويستقر ثمنه على ستين نصفا بعد أن كان بخمسين جردا من غير تقو .

ومنها : ما أحدث على البلح بأنواعه ، وما يجب من الصعيد والأبريمي وأنواع العجوة ، حتى جريد النخل والليف والخص ، يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ، ويباع ذلك للمتسبيين بالثمن الزائد ، وعلى الناس بأزيد من ذلك .

وفي هذه السنة لم تثر النخيل الا القليل جدا ، ولم يظهر البلح الأحمر في أيام وفرته ، ولم يوجد بالأسواق الا أياما قليلة ، وهو شيء ردىء ، وبسر ليس بجيد . ورطله بخمسة أنصاف ، وهى ثمن العشرة أرطال في السابق ، وكذلك العنب لم يظهر منه الا القليل ، وهو الفيسومى والشرقاوى . وقد التزم به من يعصره شرابا بأكياس كثيرة مثل غيره من الأصناف ... وغير ذلك جزئيات ، لم يصل إلينا علمها ، ومنها ما وصل إلينا علمها وأهملنا ذكرها .

ومنها : أن حسن باشا سافر الى الجهة القبلىة ، وصحبته بعض الافرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص بأراضى الصعيد والفحص وفجر الأراضى والكهوف والبرابى ، واستخراج الآثار القديمة والأمم السالفة — من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى — وقطع الصخور بالبارود .

وأشاعوا أنه ظهر لهم شيء مخرفش يشبه خرء الرصاص أو الحديد ، وبه بعض بريق ، ذكروا أنه معدن اذا تصفى خرج منه فضة وذهب ، وأخبرنى بعض من أثق بخبره أنه أخذ منه قطعة تزيد فى الوزن على رطلين ، وذهب بها عند رجل صائغ ، فأوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار ، فخرج منها فى آخر الأمر — وهو ينقلها من بوط الى آخر بعد كسره — قطعة من الرصاص قدر الأوقية .

وذكروا أيضا أن بالجليل أحجارا سودا توقد فى النار مثل الفحم . وذلك لأنهم أتوا بمثل ذلك من بلاد الافرنج ، وأوقدوها بالضربخانة : كريمة الرائحة مثل الكبريت ، ولا تصير رمادا ، بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ، ويحتاج الى قفلها الى الكيمان . وقالوا ان بداخل جبال الصعيد كذلك .

فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشياء وأمثالها ، فأقام نحو ثلاثة أشهر — وذلك بأمر الباشا الكبير — وهم يكسرون الجبل بالبارود ، فظهر بالجبل بحس ينسيل منه دهن أسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه النفط ... وليس هو . وأتوا بشيء منه الى مصر ، وأوقدوا منه في السرج ، فملأوا منه سبعة مصافي ... وانقطع ، وأشيع في الناس قبل تحقق صورته ، بل وصلت مكاتبات بأنه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ، ولا ينقطع جريانها ، يكفى مصر واقطاعها ... بل والدنيا أيضا ! وأخبرني بعض أتباعهم أن الذى صرف في هذه المرة نحو الألفى كيس .

ومن حوادث هذه السنة الخارجة عن أرض مصر : أن السلطان محمود تغير خاطره على على باشا — المعروف بتيه رنلى حاكم بلاد الأرثوود . وجرد عليه العساكر ، ووقع لهم معه حروب ووقائع ، واستولوا على أكثر البلاد التى تحت حكمه ، وتحصن هو في قلعة منيعة .

وعلى باشا هذا في مملكة واسعة وجنود كثيرة ، وله عدة أولاد متأمرين كذلك ، وبلادهم بين بلاد الرومنلى والنيمسا . ويقال ان بعض أولاده دخل تحت الطاعة ، وكذلك الكثير من عساكره . وبقي الأمر على ذلك ، ودخل الشتاء ، واقتضت السنة ولم يتحقق عنه خبر .

ومنها : أمر المعاملة وما يقع فيها من التخليط والزيادة ، حتى بلغ صرف الريال الفرنسية اثنى عشر قرشا ، عنها أربعمائة وثمانون نصفا . والبندقى ألف فضة ، وكذلك المجر والبندقى الاسلامى سبعة عشر قرشا . والقرش الاسلامى — بمعنى المضروب هناك المنقول الى مصر — يصرف بقرشين وربع ، يزيد عن المصرى

ستين نصفا . وكذلك البندقى الاسلامى يصرف في بلدته بأحد عشر قرشا ، وبمصر بسبعة عشر كما تقدم . فتكون زيادته ستة قروش . وكذلك الفرنسا في بلادها تصرف بأربعة قروش ، وباسلامبول بسبعة ، وبمصر باثنى عشر . وأما الأنصاف العديدة ، التى تذكر في المصارفات ، فلا وجود لها أصلا .. الا في النادر جدا . واستغنى الناس عنها لغلو الأثمان في جميع المبيعات والمشتريات . وصار البشلك ، الذى يقال له الخمساوية — أى صرفه خمسة أنصاف — هى بدل النصف ، لأنه لما بطل ضرب القروش بضربخانة مصر ، وعوض عنها نصف القرش وربعه وثمنه الذى هو البشلك ، ولم يبق بالقطر الا ما كان موجودا قبل — وهو كثير ... يتناقل بأيدي الناس وأهل القرى ، ويعود الى الخزينة ، ويصرف في المصارف والمشاهرات وغلائف العساكر ... وهم كذلك يشترون لوازمهم فتذهب وتعود ، وهكذا تدور مع الفلك كلما دار ، ويصرف القرش عند الاحتياج الى صرفه بسبعة من البشلك بنقص الثمن ، فباعتبار كونها في مقام النصف ، يكون القرش بسبعة أنصاف لا غير ، وباعتبار ذلك يكون الألف فضة بمائة وخمسة وسبعين فضة ، لأن الخمسة وعشرين قرشا — التى هى بدل الألف — اذا نقصت في المصارفة الثمن ، تكون احدى وعشرين . واذا ضربنا السبعة في الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وسبعين ، وفيها من الفضة الخالصة ستة دراهم لا غير . وأوزان هذه القطع مختلفة ، لا تجد قطعة وزن نظيرتها . وفي ذلك فرق آخر . والقليل في الكثير كثير !

والذى أدركناه في الزمن السابق أن هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصرى البتة . وأول من أحدثها بمصر على بيك القازدغلى — بعد الثمانين ومائة وألف — عندما استفصل

جديدين — لم يجد عند البائع بقية الخمساوية :
فاما يترك الباقي لوقت احتياج آخر ان كان يعرفه ،
والا تعطلا . واذا كان الانسان بالسوق ولحقه
العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديدا ،
أو يملأ صاحب الحانوت ابريقه بجديد ، وفي هذه
الأيام : اذا كان الشخص لم يكن معه بشلك
يشرب به ، والا بقى عطشانا حتى يشرب من داره ،
ولا يهون عليه أن يدفع ثمن قربة في شربة ماء ...
وذلك لعدم وجود النصف ، وكذلك الصدقة على
الفقراء وأمثالهم .

وقد كان الناس من أرباب البيوت اذا زاد بعد
ثن اللحم والخضار نصف ، يسألون الخادم في اليوم
الثاني عنه لكونه نصف المصروف ، ويحاسبونه
عليه . وكان صاحب العيال وذوو البيوت المحتوية
على عدة أشخاص ، من عيال وجوار وخدم ، اذا
ادخر الغلة والسنن والعسل والحطب ونحو ذلك ،
يكفيه في مصروف يومه العشرة أنصاف في ثمن
اللحم والخضار وخلافه . وأما اليوم فلا يقوم
مقامها العشرة قروش وأزيد ... لغلو الأسعار في كل
شيء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة
والمتجددة كل وقت في جميع الأصناف . ولا يخفى
أن أسباب الخراب التي نص عليها المتقدمون
اجتمعت وتضاعفت في هذه السنين ، وهي زيادة
الخراج ، واختلال المعاملة أيضا والمكوس .

وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف ،
والاستيلاء على أرزاق الناس ... فلا تجد مرزوقا
الا من كان في خدمة الدولة متوليا على نوع من
أنواع المكوس ، أو مباشرة أو كاتباً أو صانعا في
الصنائع المحدثه . ولا يخلو من هفوة ينم بها عليه
فيحاسب مدة امتيلائه ، فيجتمع عليه جملة من
الأكياس ، فيلزم بدفعها ... وربما باع داره ومتاعه
فلا يفي بما تأخر عليه : فاما يهرب ان أمكنه الهرب ،
واما يبقى في الحبس ... هذا ان كان من أبناء

أمره ، وأكثر من العساكر والنفقات ، وأظهر
العصيان على الدولة . ولما استولى محمد بيك
المعروف بأبى الذهب ، أبطلها رأسا من الاقليم .
وخسر الناس بسبب ابطالها حصة من أموالهم مع
فرحهم باطلها ، ولم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة
الخير والمكاسب . ولم يبق من أصناف المعاملة الا
أنواع الذهب الاسلامي والافرنجي والفرانسة
ونصفه وربعه ، والفضة الصغيرة التي يقال لها
نصف فضة ... مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب .
ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس
التي يقال لها الجدد : أما عشرة أو اثنا عشر ، اذا
كانت مضروبة ومختومة ، أو عشرين اذا كانت
صغيرة وبخلاف ذلك ، ويقال لها السحاتة . فكان
غالب المحقرات يقضى بهذه الجدد ، بل وبخلاف
المحقرات ، وفي البيع والشراء .

وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة في
المخالي ، ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن
الأرطال ، ويربحون فيها . فكان الفقير أو الأجير
اذا اكتسب نصفاً وصرفه بهذه الجدد ، كفاه نفقة
يومه مع رخاء الأسعار ، ويشترى منها خبزا
وأدما . واذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة في
الثقيلة ، أخذ من البقال البصل والثوم والسلق
والكسيرة والبقدونس والفجل والكراث
والليمون : الصنف أو الصنفين أو الثلاثة بالجديد
الواحد .

وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية ، واذا وجدت
فلا ينتفع بها أصلا ، وصار النصف الفضة بمنزلة
الجديد النحاس ولا وجود له أيضا ، وصارت
الخمساوية بمنزلة النصف بل وأحقر ... لأنه كان
يصرف بعدد كثير من الجدد ، وهذه بخمسة
فقط . فاذا أخذ الشخص شيئا من المحقرات بنصف
أو نصفين أو ثلاثة — ما كان يؤخذ بجديد أو

العرب وأهالى البلدة . واما ان كان بخلاف ذلك ،
قربا سومج ، أو تصدى له من يخفف عنه ، أو
يدخله فى منصب أو شركة ... فيترفع حاله ويرجع
أحسن ما كان !

ومما حدث أيضا فى هذه السنة : الاستيلاء على
صناعة المخيش والقصب والتلى الذى يصنع من
الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم
وخلافها من الملابس ، وذلك باغراء بعض صناعاتهم
وتحاسدهم ، وأن مكسبها يزيد على ألف كيس فى
السنة — لأن غالب الحوادث باغراء الناس على
بعضهم البعض — وكذلك الاستيلاء على وكالة
الجلابة التى يباع فيها الرقيق من العبيد والجوارى
السود ، وغيرهم من البضائع التى تجلب من بلاد
السودان : كسفن الفيل ، والتمر هندی ، والششم
وروايا الماء ، وريش النعام وغير ذلك .

ومنها : الحجر على عسل النحل وشمعه ،
فيضبط جميعه للدولة ، ويبيع رطل الشمع بستة
قروش ، ولا يوجد الا ما كان مختلسا ويبيع
خفية ، وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش . فاذا
وردت مراكب الى الساحل نزل اليها المفتشون على
الأشياء — ومن جملةا الشمع — فيأخذون
ما يجدونه ، ويحسب لهم بأبخس ثمن ، فان أخفى
شيئا ، وعثروا عليه ، أخذوه بلا ثمن ، ونكلوا
بالشخص الذى يجدون معه ذلك ، وسموه
حراميا ... ليرتدع غيره .

والتولى على ذلك نصارى ، وأعوانهم
لا دين لهم .

وقد هاف النحل فى هذه السنة ، وامتنع وجود
العسل ، وكذلك ثمر النخيل ... بل والغلال . فلم
تزل فى هذه السنين مع كثرة الأسيال التى غرقت
منها الأراضى ، بل وتعطل بسببها الزرع ، وزادت
أثمانها ، خصوصا الفول . وأما العدس فلا يوجد
أيضا الا نادرا .

وكذلك التزم بالملاحة وتوابعها من زاد فى
مالها ، وبلغ ثمن الكيلة قرشا ، وكانت قبل ذلك
بثلاثين نصفا . وفيما أدركنا بثلاثة أنصاف . وأما
أجر الأجراء والفعلة والمعمرين فأبدل النصف
بالقرش ، وكذلك ثمن الجير البلدى والجبس ...
لأن عمائر أهل الدولة مستديمة لا تنقضى أبدا .
ونقل الأتربة الى الكيمان على قطارات الجمال
والحمير من شروق الشمس الى غروبها ... حتى
ستر علوها الأفق من كل ناحية ، واذا بنى أحدهم
دارا فلا يكفيه فى ساحتها الكثير ، ويأخذ ماحولها
من دور الناس ، بدون القيمة ، ليوسع بها داره ،
ويأخذ ما بقى فى تلك الخطة لخاصته وأهل دائرته ،
ثم يبنى أخرى كذلك لديوانه وجميعته وأخرى
لعسكره وهكذا .

وأما سليمان أغا السلحدار فهو الداهية
العظمى والمصيبة الكبرى ، فانه تسلط على بقايا
المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحراء ،
ونقل أحجارها الى داخل باب البريقة المعروف
بالغريب ، وكذلك ما كان جهة باب النصر ، وجمعوا
أحجارها خارج باب النصر ، وأنشأ جهة خان
الخليلى وكالة ، وجعل بها حواصل وطباقا ،
وأسكنها نصارى الأروام والأرمن بأجرة زائدة ،
أضعاف الأجرة المعتادة ، وكذلك غيرهم ممن
رغب فى السكنى ، وفتح لها بابا يخرج منه الى
وكالة الجلابة الشهيرة التى بالخراطين لأنها بظاهرها ،
وأجر الحوانيت كذلك بأجرة زائدة : فأجر الحانوت
بثلاثين قرشا فى الشهر ، وكانت الحانوت تؤجر
بثلاثين نصفا فى الشهر .

والعجب فى اقدام الناس على ذلك ، واسراعهم فى
تأجيرهم قبل فراغ بنائها ، مع ادعائهم قلة المكاسب
ووقف الحال . ولكنهم أيضا يستخرجونها من لحم
الزبون وعظمه !

ثم أخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا

يسمى حوش عطى (بضم العين ، وفتح الطاء وسكون الياء) كان محطا لعربان الطور ونحوهم — اذا وردوا بقوافلهم بالفحم والقلى وغيره — وكذلك أهالى شرقية بلييس . فأنشأ فى ذلك المكان أبنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة ، وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق .

وسكن غالبها أيضا الأرمن وخلصهم بالأجر الزائدة ، ثم انتقل الى جهة خان الخليلى ، فأخذ الخان المعروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والأماكن والحوانيت ، والجامع المجاور لذلك تصلى فيه الجمعة بالخطبة . فهدم ذلك جميعه ، وأنشأه خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها أربعون حائوتا ، أجرة كل حائوت ثلاثون قرشا فى كل شهر .

وأنشأ فوق السبيل وبعض الحوانيت زاوية لطيفة ، يصعد اليها بدرج عوضا عن الجامع ، ثم انتقل الى جهة الخرنفش بخط الامشاطية فأخذ أماكن ودورا وهدمها ... وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك ، فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بدا من الاجابة ، فيدفع له ماسمحت به نفسه ، ان شاء عشر الثمن أو أقل أو أزيد بقليل ، وذلك لشفاعة أو واسطة خير . واذا قيل له انه وقف ولا مسوغ لاستبداله لعدم تخربه ، أمر بتخريبه ليلا ثم يأتى بكشاف القاضى فيراه خرابا فيقضى له .

وكان يثقل عليه لفظة « وقف » ويقول : « ايش يعنى وقف ؟ » . واذا كان على المكان حكر لجهة وقف أصله ... لا يدفعه ، ولا يلتفت لتلك اللفظة أيضا ، ويتم عمائره فى أسرع وقت ، لعسفه وقوة مراسه على أرباب الأشغال والموانة ، ولا يطلق للفعلة الروح ، بل يجسهم على الدوام الى باكر النهار ، ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ،

ويبتدون فى العمل من وقت صلاة الشافعى الى قبيل الغروب ... حتى فى شدة الحر فى رمضان ، واذا ضجوا من الحر والعطش أمرهم مشد العماراة بالشرب ، وأحضر لهم السقاء ليسقيهم !

وظن أكثر الناس أن هذه العمائر انما هى لمخدومه ، لأنه لا يسمع لشكوى أحد فيه .

واشتد فى هذا التاريخ أمر المساكن بالمدينة ، وضافت بأهلها لشمول الخراب وكثرة الأغراب وخصوصا المخالفين للملة ، فهم الآن أعيان الناس : يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الأكابر ، ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات ، وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم ، وبأيديهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ، ويتسرون بالجوارى بيضا وجبوشا ، ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها بأعلى الأثمان ، ومنهم من له دار بالمدينة ، ودار مظلة على البحر للنزاهة ، ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها ألوفاً من الأكياس . وكذلك أكابر الدولة لاستيلاء كل من كان فى خطة على جميع دورها ، وأخذها من أربابها بأى وجه .

وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى اذلال المسلمين لأنهم يحتاجون الى كنية وخدم وأعوان ، والتحكم فى أهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير انكار ، ويقف الشريف والعامى بين يدي الكافر ذليلا . فضافت بالناس المساكن ، وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف ، وأبدل لفظ الريال ، الذى كان يذكر فى قيم الأشياء ، بالكيس وكذلك الأجر . والأمر فى كل شئ فى الازدياد ، والله لطيف بالعباد .

ولو أردنا استيفاء بعض الكليات فضلا عن الجزئيات لطال المقال وامتد الحال .

وعشنا ومتنا ما لرى غير ما نرى
تشابهت العجما وزاد انعجامها
نسأل الله حسن اليقين وسلامة الدين .

المحترم

في أوائله (النصف الأول من أكتوبر ١٨٢٠ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية .

وفيه من الحوادث : أن الشيخ ابراهيم — الشهير بباشا — المالكي بالاسكندرية ، قرر في درس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز أكلها ، وما ورد من اطلاق الآية فانه قبل أن يغيروا ويبدلوا في كتبهم . فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنكروه واستغربوه ، ثم تكلموا مع الشيخ ابراهيم المذكور وعارضوه . فقال : « أنا لم أذكر ذلك بفهمي وعلمي ، وانما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى ، وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه » .

ثم انه أرسل الى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع . فألف رسالة في خصوص ذلك ، وأطلب فيها : فذكر أقوال المشايخ والخلافات في المذاهب ، واعتمد قول الامام الطرطوشى في المنع وعدم الحل ، وحشا الرسالة بالخط على علماء الوقت وحكامه — وهى نحو الثلاث عشرة كراسة — وأرسلها الى الشيخ ابراهيم . فقرأها على أهل الثغر ، فكثرت اللغط والانكار ... خصوصا وأهل الوقت أكثرهم مخالفون للملة ، وانتهى الأمر الى الباشا ، فكتب مرسوما الى كتبخدا بليك بمصر ، وتقدم اليه بأن يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسألة ، وأرسل اليه بالرسالة أيضا المصنفة . فأحضر كتبخدا بليك المشايخ وعرض عليهم الأمر ،

فلطف الشيخ محمد العروسى العبارة ، وقال : « الشيخ على الميلى رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم ، لا ينكر علمه وفضله ، وهو منعزل عن خلطة الناس ... الا أنه حاد المزاج ، وبمقله بعض خلل ، والأولى أن نجتمع به وتتناظر في غير مجلسكم وننتهى بعد ذلك الأمر اليكم » . فاجتمعوا في ثانى يوم ، وأرسلوا الى الشيخ على يدعونه للمناظرة ، فأبى عن الحضور ، وأرسل الجواب مع شخصين من مجاورى المغاربة يقولان : « انه لا يحضر مع الغوغاء ، بل يكون في مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد بن الأمير ، بحضرة الشيخ حسن القوسنى والشيخ حسن العطار فقط ، لأن ابن الأمير يناقشه ويشن عليه الغارة » .

فلما قال ذلك القول ، تغير ابن الأمير وأرعد وأبرق ، وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل . وعند ذلك أمروا بحبسهما في بيت الأغا ، وأمروا الأغا بالذهاب الى بيت الشيخ على واحضاره بالمجلس ... ولوقهرا عنه . فركب الأغا وذهب الى بيت المذكور فوجده قد تغيب ، فأخرج زوجته ومن معها من البيت ، وسمر البيت فذهبت الى بيت بعض الجيران . ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بأن الشيخ على على خلاف الحق ، وأبى عن حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم في تحقيق المسألة ، وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ، ولو كان على الحق ما اختفى ولا هرب ... والرأى لحضرة الباشا فيه اذا ظهر ،

وكذلك في الشيخ ابراهيم باشا السكندري .
وتمموا العرض ، وأمضوه بالختوم الكثيرة ،
وأرسلوه الى الباشا .

وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الأغا ،
ورفعوا الختم عن بيت الشيخ على ، ورجع أهله
اليه : وحضر الباشا الى مصر في أوائل الشهر
ورسم بنفى الشيخ ابراهيم باشا الى بنى غازى .
ولم يظهر الشيخ على من اختفائه .

صفر

في أوائله (النصف الأول من نوفمبر ١٨٢٠ م) :

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية بعد مطاف
الفيوم أيضا ، وأحضر معه جملة أشخاص قبض
عليهم من المفسدين من العربان ، وهم في الجنازير
الحديد ، وشقوا بهم البلد ثم حبسوهم .

ربيع الأول

في أوائله (النصف الأول من ديسمبر ١٨٢٠ م) :

حضر نحو العشرة أشخاص من الأمراء المصرية
البواقي في حالة رثة وضعف وضميم واحتياج
واجتياح . وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان وأجيبوا
الى ذلك .

وفيه : أشهروا العربان الذين أحضرهم ابراهيم
باشا معه وقتلوهم وهم أربعة : اثنان بالرميلة ،
واثنان بباب زويلة .

ربيع الآخر

السبت غرته (٦ يناير ١٨٢١ م) :

أخرج الباشا عبد الله بيك الدردنلى منفيا .
وكان عبد الله بيك هذا يسكن بخطة الخرنفش ،
وهو رجل فيه سكون ، قليل الأذى ، وملك
بتلك الناحية دورا وأماكن ، وله عزوة وعساكر

وأتباع ، وكان يجلس بحضرة الباشا ويتأمله
ويتوسع معه في الكلام والمسامرة .

وسبب تغير خاطر الباشا عليه ، أنه جرى ذكر
على باشا تبدلان الأرثوودى وحروبه ومخالفة
العساكر عليه ، فقال عبد الله المذكور : « ان
العساكر يرون محاربة السلطان معصية » أوكلاما
هذا معناه . فتغير وجه الباشا من ذلك القول ،
ويقال انه أمر بقتله ، فشفع فيه حسن باشا طاهر
من القتل وأن يخرج منفيا . هكذا أشيع واستفيض ،
وانضم الى ذلك أنه قال لشريف بيك أمين الخزنة
عند تأخر علوفته : « خدمة نصرانى أحسن من
خدمتكم » مع المشاجرة . فبلغها شريف بيك
للباشا أيضا ، وأوغر صدره عليه . ودفع له الباشا
علوفته وضمن ما حازه من الأماكن والأموال ،
ووصله ذلك على عدة جمال محملة بالدراهم .
وسافر في ثامنه على طريق البر ، وأبقى حريمه
وأثقاله ليأتوه على سفن البحر .

الاحد ١٦ منه (٢١ يناير ١٨٢١ م) :

أمر الباشا بقراءة صحيح البخارى بالجامع
الأزهر . فاجتمعوا في يوم الاثنين سابع عشره ،
وقرأوا في الأجزاء على العادة ضحوة النهار أربعة
أيام ، آخرها الخميس ، وفرقوا على أولاد المكاتب
دراهم ، وكذلك على مجاورى الأزهر ، في نظير
قراءة البخارى .

جمادى الأولى

(٤ فبراير - ٥ مارس ١٨٢١ م)

فيه : حضر ابراهيم باشا ، ونزل بقصره الجديد
... بل قصوره ، لأنه أنشأ عدة قصور متصلة
وبساتين ومصانع متصلة متسعة مزخرفة : منها
قصر لديوانه ، وقصر لحريمه ، وقصر لخصوص
عباس باشا ابن أخيه ، وغير ذلك .

١٧ منه (٢٠ ابريل ١٨٢١ م) :

ارتحل محمد بيك الدفتردار مسافرا الى دارفور ببلاد السودان ، بعد أن تقدمه طوائف كثيرة ، عساكر أتراك ومغاربة .

٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٨٢١ م) :

أمر الباشا بنفى محمد ، المعروف بالدرويش ، كتحدا محمود بيك ، الذى هو الآن كتحدا بيك ، والسيد أحمد الرشيدى كاتب الرزق ، وسليمان أفندى ناظر المدابغ والجلود ... ثلاثتهم الى قلعة أبى قير لمقتضيات واهية فى خدم مناصبهم . ومحمد كتحدا كان ناظرا على الجلود فى العام الماضى قبل سليمان أفندى المذكور .

اواخره (اوائل مايو ١٨٢١ م) :

حضر جماعة من الممالك المصرية الذين كانوا بدتقلة ، فيهم ثلاثة صناجق : أحدهم أحمد بيك الألفى ، وهو زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير .

شعبان

الجمعة ٨ منه (١١ مايو ١٨٢١ م) :

عمل سليمان أغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالأحمر ، وكان قد تخرب ولم يبق به الا الجدران ، فتصدى لعمارة سليمان أغا المذكور وسقفه أيضا بأفلاق النخيل والجريد والبوص ، وأقام له عمدا من الحجارة ، وجدد منبره وبلاطه وميضاته ومراحضه ، وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية فى ذلك اليوم . واجتمع به عالم كثيرون من الناس ، وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير . وبعد انقضاء الصلاة قرأ درسا ، وأملى فيه حديث « من بنى لله مسجدا ... » . وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة وكذلك على الشيخ العرونى ، وعمل لهم شربات سكر .

جمادى الآخرة

الثلاثاء غرته (٦ مارس ١٨٢١ م) :

عزم ابراهيم باشا على اعادة قياس أراضي قرى مصر ، وأحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصا .

السبت ٥ منه (١٠ مارس ١٨٢١ م) :

عدى الى الجزيرة تجاه القصور ، وجمع القياسين والمهندسين وكذلك مهندسى الأفرنج ، وقاس كل قياسته وكيفية عمله . فعاند المعلم غالى وأحب تأييد أهل حرفته من قياسى القبط ، وقال كل منهم على الصحيح . وعلم ابراهيم باشا أن قياس المهندسين وأرباب المساحة أصح ولكن فيها بطل ، فقال : « أريد الصحيح ولكن مع السرعة » بعد أن عمل امتحانا ومثالا فى قطعة من الأرض يظهر بها برهان الصحة والتفاوت .

وأسمى الوقت فأمرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس الآتى ، فحضروا كذلك واشتغلوا يومهم بالعمل الى آخر النهار ، ثم اختار من مهندسى الأقباط طائفة وطرد الآخرين .

الاثنين ١٤ منه (١٩ مارس ١٨٢١ م) :

سافر الى ناحية شرق اطفيج ، وأخذ من المهندسخانة كبيرها وصحبته سبعة عشر شخصا ، وكذلك أشخاصا من الافرنج المهندسين . وانتقصوا من القصة فى هذه المرة مقدار قبضة .

رجب

فى غرته (٤ ابريل ١٨٢١ م) :

سافر ممالك الباشا الى جهة أسيوط مثل العام الماضى ليكرتوا هناك حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر .

السبت ٢٣ منه (٢٦ مايو ١٨٢١ م) :

حضر ابراهيم باشا من ناحية شرق اطفيح .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢٩ مايو ١٨٢١ م) :

سافر بمن معه الى ناحية شرقية بلبس .

ربضان

في غرته (٢ يونية ١٨٢١ م) :

عنلت الرؤية في تلك الليلة كالعادة ، وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب . وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة بعد مضي أربع ساعات من الليل ، ولم يحصل فيه من الحوادث غير تغالي الأثمان وتعاليلها بسوء فعل السوق ، واطهار ردىء المأكولات واخفاء جيدها . وقد انقضى بخير .

شوال

٣ منه (٤ يولية ١٨٢١ م) :

حضرت هجالة من أراضى نجد ، وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال وهم : عمر بن عبدالعزيز وأولاده وأبناء عمه . وذلك أنهم لما رجعوا الى الدرعية بعد رحيل ابراهيم باشا وعساكره ، وكان معهم مشارى ابن سعود ، وقد كانوا حربوا في الدرعية بعد ما رحل عنها ابراهيم باشا ، وتركى بن عبد الله ابن أخى عبدالعزيز وولد عم سعود الأمشارى ، فانه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر — فى الحمراء — وهى قرية بين الجديدة وينبع البحر — وذهب الى الدرعية ، واجتمع عليه من فرجين قدمت العساكر ، وأخذوا فى تعميرها ، ورجع أكثر أهلها ، وقدموا عليهم مشارى ، ودعا الناس الى طاعته فأجابه الكثير منهم ، فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته . فلما بلغ الباشا ذلك ، جهز له عساكر ، رئيسها

حسين بيك ، فأوثقوا مشارى وأرسلوه الى مصر ، فمات فى الطريق . وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض ، المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة ، وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة . فنزل عليهم حسين بيك وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة ، وطلبوا الأمان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به ، فأعطاهم الأمان على أنفسهم ، فخرجوا له ... الا تركى فانه خرج من القلعة ليلا وهرب . وأما حسين بيك فانه قيد الجماعة وأرسلهم الى مصر فى الشهر المذكور . وهم الآن مقيمون بمصر بخطة الحنفى قريبا من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت .

ذوالقعدة

في غرته (٣١ يولية ١٨٢١ م) :

حضر ابراهيم باشا من مرحته بالشرقية بسبب قياس الأراضى والمساحة .

١٥ منه (١٤ اغسطس ١٨٢١ م) :

سافر الباشا الى الاسكندرية لداعى حركة الأروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ، ووقفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر ، وقطعهم الطريق على المسافرين ، واستئصالهم بالذبح والقتل ... حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من اسلامبول وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ومن بها أيضا من السفار والحجاج ، فقتلوهم ذبحا عن آخرهم ، ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجواريه .. وغير ذلك . وشاع ذلك بالنواحى ، وانقطعت السبل . فنزل الباشا الى الاسكندرية ، وشرع فى تشييل مراكب مساعدة للدونانمة السلطانية — وسيأتى تنمة هذه الحادثة — وبعد سفر الباشا ، سافر أيضا ابراهيم باشا الى ناحية قبلى قاصدا بلاد النوبة .

ذو الحجة

في غرته (٣٠ أغسطس ١٨٢١ م) :

خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤسائهم ، وفيهم
محييكم ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجيخانات
البارود واللمعجية وجميع اللوازم ، قاصدين بلاد
النوبة وما جاورها من بلاد السودان .

وفيه : سافر أيضا محمد كتحدا لاط المنفصل
عن الكتخدائية الى اسنا ، ليتلقى القادمين ويشيع
الذاهين .

وفيه : وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء
اسماعيل باشا على سنار بغير حرب ، ودخول أهلها
تحت الطاعة . فضربت لتلك الأخبار مدافع من
القلعة .

وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث ،
انقضى بعضها والبعض باق الى الآن .

فمنها : توقف زيادة النيل . وذلك أنه لم يستتم

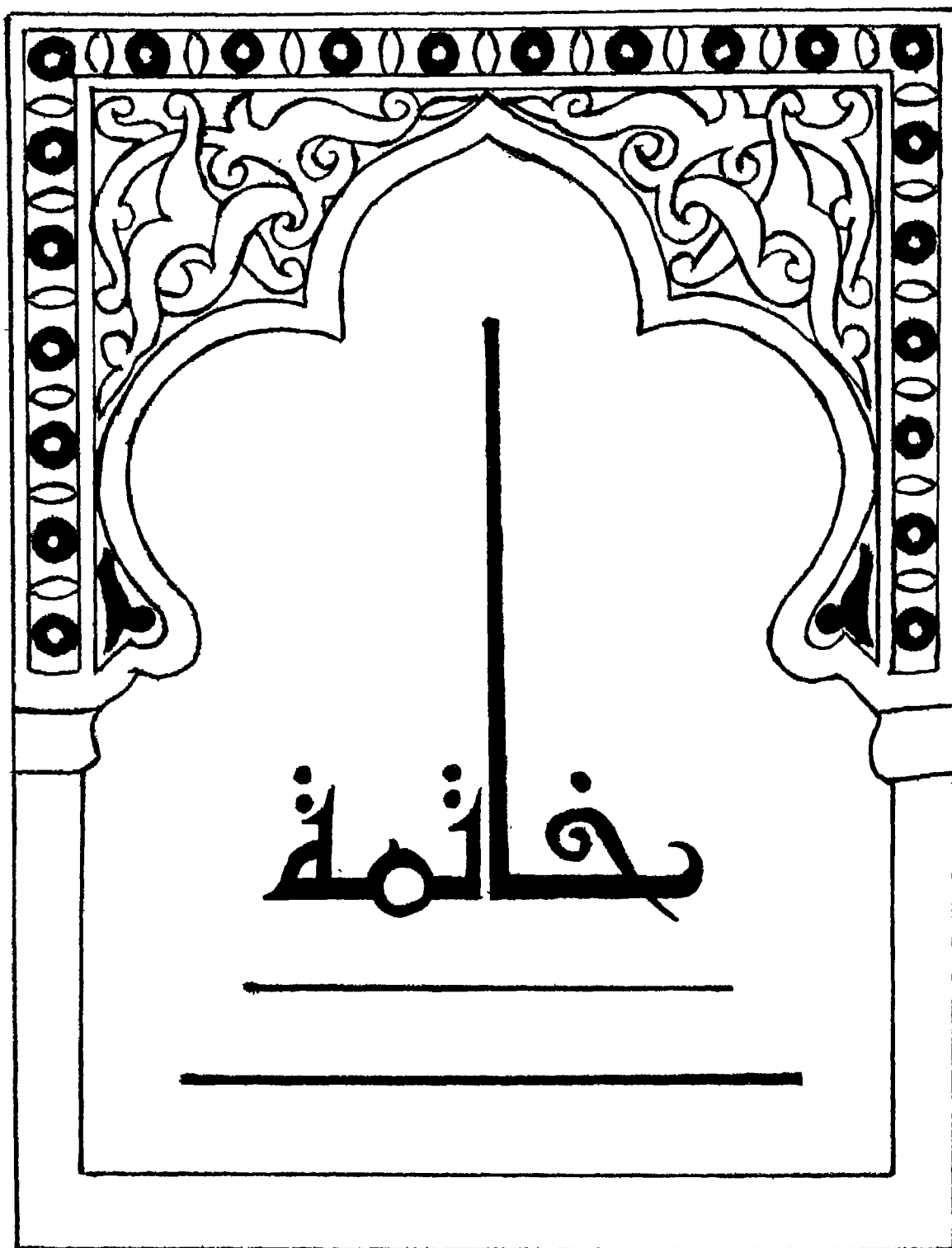
أذرع الوفاء الى ثامن عشر مسرى القبطى ، حتى
ضجر الناس ، وضج الفلاحون .

ومنها : أمر المعاملة التي زادت زيادة فاحشة ،
حتى بلغ البندقى ألفا رداً نصف ، والمجر
والفندقلى عشرين قرشا عنها ثمانمائة نصف ، وبلغ
صرف الريال الفرائسة أربعة عشر قرشا عنها
خمسائة نصف وستون نصفاً ... وقس على ذلك
باقي الأصناف .

ومنها : غلو الأثمان في جميع المبيعات من
ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الأردب
الى ألف وخمسمائة نصف ، والرطل السمن الى
خمسین نصفاً والى ستين نصفاً ، وفس على ذلك
وأما حادثة الأروام التي هي باقية الى الآن
وما وقع منهم من الفساد وقطع الطريق على
المسافرين ، واستيلائهم على كل من صادفوه من
مراكب المسلمين ، وخروجهم عن الذمة وعصيانهم
وما وقع معهم من الوقائع وما سينتهى حالهم اليه
فسيتم عليك ان شاء الله تعالى بكماله في الجزء
الآتى بعد ذلك .

والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب .

الى هنا انتهى ما نقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن بن
الشيخ حسن الجبرتي مؤرخ هذه المدة وما قبلها ، لغاية هذا التاريخ
سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ - ١٨٢١ م) .
وبعده توفي الشيخ ، ولم يكتب شيئاً . رحمه الله .



تاريخ حياة الجبerty

يقدم الأستاذ محمود الشرقاوى

شيخا للأزهر ، كثير من الفضل فى تربية حسن الجبerty ، وكذلك لجده لأبيه أكبر الفضل فى تهئية سبيله الى تلك المكانة الممتازة التى بلغها ، فقد كانت سيدة ذات ثراء ، لها بيت يشرف على النيل بربع الخرنوب . أقام معها فيه حسن فترة من الزمن يغدو منه ويروح الى الجامع الأزهر ومعه خادم . ثم احترق هذا المنزل واحترقت معه « أشياء كثيرة من المتاع والضيئى القديم » .

وانتقلت الجدة الى مصر ، وكان يذهب معها الى مكان لها بمصر العتيقة فى أيام النيل « بقصد النزهة » وهى التى أعانتها على طلب العلم ، وأنفقت عليه بسخاء . وكانت لها أملاك وعقارات ، ووقفت عليه منها وكالة بالصادقية وما حولها من الحوانيت ، وأخرى بالفورية ومرجوش ، ومنزلا بجوار المدرسة الآقبغاوية . ووقفت أيضا على وجوه البر .

وتزوجت جدته هذه ، بعد وفاة زوجها ، بالأمير على أغا الطورى ، وكان حاكما على قلاع الطور والسويس والمويلح ، وكذلك تزوج الشيخ حسن ابنة الأمير على أغا هذا .

ولما مات على أغا نصب الشيخ حسن مكانه فى حكم هذه القلاع . وكان هذا العمل غريبا عليه — وهو من العلماء — ولذلك لم يطل شغله له . فقد أرسل خادما له يسمى سليمانا الحصافى مشرفا على قلعة مويلح فقتل هناك ، فتكدر الشيخ وترك هذا العمل ، وأقبل على الاشتغال بالعلم والتفرغ له . وماتت زوجته ، بنت على أغا ، فتزوج بنت

ينتسب الجبerty وأسرته الى « جبرت » ، وهى اقليم الزيلع الاسلامى فى شمال بلاد الحبشة . وقد كتب الجبerty ، عند الكلام على وفاة والده ، فصلا عن وطنه وصفات أهله ، وما فيهم من الحنق والفظانة ، ولطافة الطباع ، وصفاء القلوب ، وما عند نسائهم من الصباحة والملاحة ، والفصاحة والسماحة ، وذكر فى نساء وطنه شعرا لطيفا .

نرح الجد السابع للجبerty ، واسمه عبد الرحمن ، من جبرت الى جدة فى أوائل القرن العاشر ، ثم الى مكة فجاور بها ، وحج مرارا ، ثم جاور بالمدينة سنتين ، ولقى من بالحرمين من كبار الشيوخ . ثم ارتحل الى مصر ، واستقر بها ، وتزوج وولد له وكبر شأنه ، واتصل بالعلماء حتى اختير شيخا لرواق الجبرت . وقد ظلت مشيخة الرواق ثلاثة قرون يتولاها أولاد الشيخ عبد الرحمن هذا حتى انتقلت عنهم بوفاة الجبerty . وتزوج الجد الخامس للجبerty ، الشيخ على ، زينب بنت الامام القاضى عبد الرحمن الجوينى ، فلما ماتت تركت لولدى الشيخ « أماكن جارية » ووقتها عليهما .

ومات أبو حسن ، والد الجبerty ، وعمره ست عشرة سنة ، وعبر ولده شهر واحد ، فكفلته جدته أم أبيه ، وتولت أمه تربيته وجعل وصيا عليه الشيخ محمد النشerty الذى اختاره شيخا للرواق كأسلافه .

وكانت ولادة الشيخ حسن فى سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨ م) . وللشيخ محمد النشerty ، وكان

رمضان جلبي بن يوسف المعروف بالخباب ، « وهم بيت مجد وثروة بيولاق ، ولهم أملاك وعقارات وأوقاف » . وكان رمضان جلبي هذا مع ثروته ، « انسانا حسنا رقيق الحاشية » ، يقول الشعر ويقتنى الكتب .

ومات رمضان جلبي في سنة ١١٣٩ ، وبقيت ابنته في عصمة الشيخ حسن حتى ماتت سنة ١١٨٢ عن ستين سنة . وكانت بنت رمضان جلبي هذه زوجا بارة بوالد الجبرتي مطيعة له ، تشتري له الجوارى الحسان ، من مالها ، وتزينهن بالحناء والملابس ، وتقدمهن اليه ، وتعتقد أن في ذلك مثوبة لها . وكان يتزوج عليها كثيرا من الحرائر ، ويشترى الجوارى ، فلا تتأثر بذلك ، ولا تتحرك عندها الغيرة .

وقد روى الجبرتي عن زوج أبيه هذه قصة غريبة ، خلاصتها أن زوجها عندما حج في سنة ١١٥٦ ، اجتمع به في مكة شيخ اسمه عمر الحلبي ، وأوصاه بشراء جارية بيضاء دون البلوغ ، وذكر له أوصافا يرغبها . فلما جاء الشيخ حسن من الحج ظل يبحث عن طلب صديقه حتى لقيه ، فلما اشترى الجارية وأدخلها عند زوجه وحان موعد رحيلها للشيخ عمر الحلبي ، قالت زوج الشيخ له : اني أحببت هذه الجارية ولا أقدر على فراقها ، وليس لي أولاد ، وقد جعلتها مثل ابنتي ، وبكت الجارية أيضا . ثم دفعت الزوج ثمن الجارية ليشتري به أخرى للشيخ الحلبي ثم أعتقت الجارية وعقدت لزوجه عليها ، وجهزتها وفرشت لها مكانا مستقلا ... وكانت لا تقدر على فراقها ساعة . وولدت الجارية لزوجه أولادا فزاد حب سيدتها لها . وبقيت هذه الجارية زوجا للشيخ حسن من سنة ١١٦٥ الى أن مرضت في سنة ١١٨٢ . فمرضت سسيديتها لمرضها ، وثقل عليهما المرض ، وقامت

الجارية تنظر الى مولاتها وهي في غيبوبة ودعت الله أن تموت قبلها . واستيقظت السيدة في آخر الليل ووضعت يدها على جسد جاريتها وضرتها النائمة بجوارها وأخذت تناديهما باسمها : زليخا زليخا ! فقالوا لها انها نائمة . فقالت : ان قلبي يحدثني أنها ماتت .

فلما تحقق لها ذلك جلست تبكي بحر بكاء . ثم استلقت على فراشها ، وماتت بعد جاريتها يوم واحد ! ويقول الجبرتي : « وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيت به ووعيته ، وكان سني اذ ذاك أربع عشرة سنة » .

والد الجبرتي

وكان الشيخ حسن الجبرتي عالما من أكبر علماء عصره في العلوم الشرعية والرياضة . تعلم الخط فأجاده ، والنقش على فصوص الخاتم فأحكمه ، وتعلم اللغة التركية — وهي لغة أهل السيادة والحكم — واللغة الفارسية فأجادهما ، « حتى أن كثيرا من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم ، لفصاحته في التكلم بلسانهم ولغتهم » ثم اشتغل بالعلوم الرياضية فأتقن منها الفلك ، والهندسة ، والحساب ، والجغرافيا ، والمساحة ، والأوقاف ، وحل الرموز ، وفتح الكنوز ، و « انتهت اليه الرئاسة في الصناعة ، وأذعنت له أهل المعرفة بالطاعة » .

ونزل القاهرة عالم متضلّع في الرياضة والحكمة والفلسفة — اسمه الشيخ حسام الدين الهندي — واستقر في مسجد بمصر القديمة ، فقصده الشيخ ، وأعجب كلاهما بصاحبه وأحبه . فلم يزل بالشيخ الهندي حتى نقله الى داره ، وأفرد له مكانا ، وأكرم نزله ، وأنفق عليه . وظل مقيما عنده حتى رحل الى بلاده .

وأخذ معارف الصوفية على الشيخ العارف عبد

الخالق بن وفاء ، وكانت له فيها قدم ، وسلك طريق السادة النقشبندية ، وحفظ القرآن في العاشرة . وقد تلقى الشيخ حسن عن كبار الشيوخ في عصره ، في مصر وغيرها . فمن شيوخه : الشيخ على الصعيدي ، وعلى أفندي الداغستاني ، والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد القشستالي القابلي ، والشيخ عبد اللطيف الشامي ، والشيخ عمر الحلبي ، والشيخ حسين عبد الشكور المكي ، وحسن أفندي قطة مسكين ، والشيخ مصطفى العيدروسي ، والشيخ محمد البنوفري ، وغيرهم كثير . وكان أول شيوخه — وهو في الثالثة عشرة — الشيخ حسن الشرنبلالي الصغير . وكذلك تلقى عن الشيخ كبار العلماء طبقة بعد طبقة . فمنهم الشيخ أحمد الراشدي ، والشيخ ابراهيم الحلبي ، والشيخ أحمد العروسي ، والشيخ محمد الصبان ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد النفراوي . وتلقى عنه عدد كبير من أهل الروم والشام والمغرب والحجاز والداغستان . وتلقى عنه بعض أمراء الممالك أيضا علوم الأدب والفقه ، فقد ذكر الجبرتي في ترجمة عثمان بك ذي الفقار أنه « قرأ على الشيخ الوالد تحفة الملوك في المذهب ، والمقامات الحريية ، وكتبها له بخطه الحسن في خمسين جزءا » .

وكان والد الجبرتي يدرس في الأزهر علوم الحكمة والهيئة والهندسة والتوقيت ، وهو آخر من درسها فيه . وكانت له ثلاثة بيوت ينتقل بينها : بيت في الإبرارية على شاطئ النيل ، وبيت في بولاق ، وآخر بالصنادقية بجوار الأزهر . فكان طلابه وتلامذته يقصدون إليه في بيته لتلقى الدرس . وكان يفضل أن يكون ذلك ببيت الصنادقية كي لا يشق عليهم . وكان بعض تلامذته هؤلاء يقيم في بيته طاعما كاسيا ليتعلم ويراجع ما يشاء في مكتبة الشيخ العامة ، التي جعلها مباحة مسيرة لمن يشاء

القراءة والمراجعة والاستفادة . وكان الصق هؤلاء به الشيخ محمد النفراوي ، والشيخ محمد الصبان ... فقد كانا بمنزلة أولاده لا يفارقاله الا وقت لقاء دروسهما . وكان اذا آتاه طالب فرح به ، وأقبل عليه ، ورغبه في طلب العلم ، وأكرمه ، وخصوصا اذا كان غريبا ، وربما دعاه للإقامة عنده ، كما فعل مع الشيخ حسام الدين الهندي ، وكما فعل مع الشيخ محمد الفلاني الكشناوي الذي قدم الى مصر ثم الى الحجاز ، فلما عاد منه أنزله عنده هو وزوجه وعبيده وجواريه ، وبقي مقيما عنده حتى أتم غالب مؤلفاته ، ومات وهو ضيف عليه . ومن التلاميذ من أقام في بيت الشيخ الجبرتي عشرين عاما « لا يتكلف الى شيء من أمر معاشه ، حتى غسل ثيابه ، من غير ملل ولا ضجر » ، وصار من جملة عيال الشيخ .

وكان الشيخ كذلك كبير القدر ، جليل المكانة ، واسع الثراء ، طيب العيش . له في كل بيت من بيوته الثلاثة : الممالك ، والعبيد ، والجواري البيض والسود ، وهو ينتقل بين هذه البيوت ، ومعه تلامذته وأصحابه ... لياسط أخصاء منهم ويمارحهم . فلم يكن ، ك بعض العلماء ، متعنتا مترمنا . كان يروح عن جلسائه من هؤلاء الخاصة بالمناسبات والنواذر والأدبيات والشعر والموالي والمجونيات والخطابات اللطيفة والنكات الطريفة ، ويذهب معهم الى مواطن النزهة ... يشتغلون بالعلم ومطارحة المسائل ، وأحيانا بالمباشطة والمفاكمة . وكان ، مع ذلك ، وقورا محتشما ، مهيبا محبوبا ، لا يعادى ولا يخاصم ، ولا يشتغل بأمور الدنيا ، متواضعا قنوعا ، مقبلا على الكبير والصغير على سجيته ، ولا يدعى علما ولا مشيخة ، ولا يرضى أن تقبل يده ، حتى من تلاميذه ، له منزلة كبيرة عند الأمراء والولاة والأعيان ، يزورهم ويوزرونه ، ويشفق به اليهم الناس فتتقضى حاجاتهم . وكان

من أصدقائه من ولاية مصر : على باشا الحكيم ، وراغب باشا ، وأحمد باشا كور — أى الأعور — ومن أمراء المماليك عثمان بك ذو الفقار ، حج معه ثلاث مرات من ماله الخاص ، ولم يقبل من عثمان بيك — وكان أميراً على الحج — سوى الهدايا . وأراد الأمير إبراهيم كتحدا أن يشتري له داراً واسعة أو يبنها ، بدلا من داره التى بالصادقية ، فلم يقبل ، وكذلك عبد الرحمن كتحدا . ولم يستطع أحدهما أن يجبره على ذلك لمكاته وفضله . وراسله سلطان تركيا ، السلطان مصطفى (١) وأرسل إليه الهدايا والصلوات والكتب ... وكانت لهذا السلطان معرفة وعناية بعلوم الرياضة والنجوم . وكذلك أهديت للشيخ الهدايا من ولاية تونس ، والجزائر ، وأكابر الدولة فى تركيا . يذكر الجبرتي ، فى حوادث شهر شوال من سنة ١١٨٢ ، أن على بيك الكبير أرسل هدية حافلة وخيولا مصرية ، الى السلطان ورجال الدولة ، وكتب مع هدته رسائل ، « والتمس من الشيخ الوالد أن يكتب له أيضا مكاتبات ، لما يعتقد من قبول كلامه وإشارته عندهم » . وقد طلب على بيك فى رسائله تلك عزل عثمان بيك العظيم من ولاية الشام . وكان على بيك الكبير صديقا للشيخ ، كبير الثقة فيه ، كثير المحبة له .

وفى ترجمة الأمير أحمد البارودى — وفيات سنة ١١٨٨ — أنه كان يزور الشيخ حسن الجبرتي فى بيته كل يوم جمعة ، وأنه التقى به مرة فى الطريق ، وهو راكب فى أبيته ، والشيخ راكب على بغلته ، فعندما رآه نزل عن جواده ، وقبل يده ، فأكبس الشيخ ذلك ، واستحى منه واستعظمه . والتمس من الأمير أن يقيد به بعض الطلبة ليقرئه شيئا من الفقه والدين ، فقيد به الشيخ عبد الرحمن

(١) تولى السلطنة سنة ١١٧١ ومات فى سنة ١١٨٧ (١٧٥٧ - ١٧٧٢ م) .

العرشى ، الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد . وكان الشيخ حسن محبا للكتب جماعا لها ، يذلل فى اقتنائها المال الكثير ، فكانت داره عامرة بالكتب النادرة وبعضها باللغة التركية والفارسية ، مثل الشاهنامة وتواريخ العجم (١) ، وفيها آلات فلكية وهندسية . وأفرد فى بيته مكانا خاصا جمع فيه الكتب المتداولة بين علماء عصره فى الفقه والحديث والتفسير والتوحيد والمنطق واللغة وغيرها ، فكان العلماء والطلاب يجيئون هذا المكان يأخذون ما يشاءون من الكتب بغير استئذان ، وكان منهم من يأخذ الكتاب ولا يردده ، ومنهم من يأخذ كتابا ويرد غيره ... والشيخ سمح لا يمنع . وكانت عنده أيضا « التشاوية والتساوير البديعة الصنعة ، الغريبة الشكل . وكذلك الآلات الفلكية من الكرات النحاس ، وآلات الارتفاع والميالات والأرصاد والأسطرلابات والأرباع والعدد الهندسية ، وأدوات غالب الصناعات ، مثل النجارين والخراطين والحديدات والسنكرية والمجلدات والنقاشين والصاغة والرسمين » ، وكان يجمع الحاذقين من أهل هذه الصناعات عنده ليتعلم منهم ويعلمهم ، حتى تعلم خدمه بعض هذه الصناعات فصاروا « يقطعون البلاط بالمناشير ويمسحونه بالماسح الحديد والمبارد ، ويهندسون اعتداله بالمسطر والقياسات بالبياكير ، ويرسنونه أيضا » .

ولما كثر عنده الراغبون فى تعلم هذه الصناعات جعل لهم معلمين يعلمونهم . كان الطالب من أبناء العرب يتقيد بالشيخ محمد النفراوى ، وإن كان من الأعاجم تقيد بمحمود أفندى النيش . وانصرف هو بعد ذلك الى دراسة الفقه والفتوى ، وكان

(٢) كان فى خزانة كتبه كتاب زيج الرامد السمرقندى باللغة الفارسية ، وكان يقول أنه ليس فى الدنيا من هذا الزيج سوى ثلاث نسخ ، ونسخته مكتوب عليها بخط رستم شاه أنها فبريت لدار سلطنة هراة ببلغى عشر ألف دينار .

اماما في مذهب أبي حنيفة ، وقد رسم بنفسه كثيرا من المنحرفات والمزاويل على الرخام والبلاط ولصبها في مساجد كثيرة ... كالأزهر ، والامام الشافعى ، وقوصون ، والأشرفية ، والسادات .

وتجاوزت شهرة الجبرتي حدود مصر والبلاد الاسلامية ، فحضر اليه طلاب من الافرنج — في سنة ١١٥٩ — ليتعلموا عنده علم الهندسة ، وأهدوا اليه من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة ، ثم « ذهبوا الى بلادهم ، ونشروا بها ذلك العلم ، وأخرجوه من القوة الى الفعل » . وصنعوا به طواحين الهواء ، وآلات جر الأثقال واستنباط المياه .

واشتغل الشيخ حسن الجبرتي أيضا بعلوم الطب ، وكان يضع خبرته في ذلك لخير الناس ونفعهم . كان الشيخ ابراهيم الصيحاتى الغزى ، مفتى الحنفية في غزة ، من تلاميذه في الأزهر . فلما عاد الى بلده كان يرسل الى شيخه في كل سنة « جانبا من اللوز المر في غلق ، مقدار عشرين رطلا ، فنخرج منه دهنه ونزقعه في الزجاج لنفع الناس في الدهن معالجات بعض الأمراض والجروح » .

وفي سنة ١١٧٢ كان فساد الموازين قد أصبح مشكلة كبرى للناس وللحكام في مصر ، فاشتغل الشيخ باصلاحها ، وأحضر الصنائع لذلك من الحدادين والسباكين ، وحرر المناقل الصنج ، ورسمها على أصولها وهندستها .

وأنفق في ذلك أموالا من عنده ، ثم أحضر كبار البانية والوزانين وعرفهم طريق الصواب ، وأصلحوا آلتهم ، واستمر العمل في ذلك أشهرا ، ثم ألف لهم في ذلك كتابا سماه « الدر الثمين في علم الموازين » .

وكان الشيخ أيضا يقول الشعر . وقد أورد الجبرتي من شعر أبيه شيئا قليلا : بمضه في النحو ،

وبعضه في ذكر من يدخل الجنة من الحيوان ، كناية صالح ، وعجل ابراهيم ، والحوت والبقرة وغيرها . ومنه شعر في نظم ساعات النهار ، وبعض نصائح طيبة . وكله شعر تافه ثقيل ، كسعر الفقهاء .

أما مؤلفاته — التى دونها ابنه عبد الرحمن — فهى تدل على ثقافته المتنوعة المختلفة . فمن ذلك كتبه : نزهة العين في زكاة المعدنين ، والأقوال المربعة عن أحوال الأشربة ، وكشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول من ذوى الأرحام ، وبلوغ الآمال في كيفية الاستقبال ، ومؤلفات أخرى في العروض ، وشرح الدر المختار ، ومناسك الحج ، وتقديدات على العصام والحفيد والمطول والمواقف والهداية ، وحاشية على شرح قاضى زاده على الجفمينى ، وبراهين هندسية شتى ، وغير ذلك .

ومع هذه المكانة المرموقة ، التى بلغها حسن الجبرتي ، وما كان له من جاه ومجد وعلم ، فقد كان متواضعا ، « يجلس في آخر المجلس على أى هيئة كان ، بعمامة أو بدونها ، ويلبس أى لباس ، ويتحزم ولو بكسار الجوخ ، أو خرقة أو شال كشميرى ، ولا ينام على فراش منهد ، بل كيفما اتفق . وكان أكثر نومه وهو جالس » . وكان شجاعا لا يحب الرياء ، يصوم ورجب وشعبان ورمضان ولا يقول انه صائم .

أراد الأمير يوسف الكبير أن يدخل مسجدا في عمارة بيته ، وسأل الشيخ أن يفتيه بهدمه وبناءه في مكان آخر ، فمنعه من ذلك .. فامتنع .

وكانت له في العلم والفتيا مكانة كبيرة . فانكب عليه الناس يستفتونه ، وتقرر في أذهانهم تحريه الحق ، حتى أن القضاة لا يثقون الا بفتواه . وكان كريما سمح النفس ، يكرم الضيف ، ويتلقف الوافد ، ويراعى الأقارب والأجانب ، بشوشا يخدم جلالة بنفسه .

قدم مصر الشيخ ابراهيم بن أبي البركات

العباسي المشهور بالسويدي ، في سنة ١١٧٥ ،
فأنزله الشيخ في بيته ، وصار ينتقل معه ومع
تلاميذه الى بولاق وغيرها من المتزهات ، ثم حل
بالسويدي مرض فأنزله بيته في بولاق على النيل ،
وقيد لخدمته جماعة من عبيده ، فكان كلما اختلى
بنفسه ، وهبت عليه نسبات النيل المنعشة ، أخذ
القلم وقش على جدران البيت وأخشابه قصائد
المدح في مضيئه العالم الكريم ، وفي وصف النيل
ورياضه وزهوره ، فكتب من ذلك عشرين قصيدة ،
ظلت منقوشة في أماكنها زمنا ثم اندرست .

وكان الشيخ محمد النفراوى قد بلغ النهاية في
العلوم الشرعية ، وأراد أن يتعلم الحكمة والرياضة ،
فأحضره والده للشيخ حسن في سنة ١١٧١ ، فرحب
به ، واغتبط بما رأى من حسن استعداده ، وأعطاه
مفتاح خزانة منزله ليضع فيها كتبه ومتاعه ،
واشتري له حمارا ، ورتب له مصروفا وكسوة .
وأرسل الشيخ أحمد الدمهوري خمسة أسئلة الى
على بيك الكبير وقال له : سل فيها العلماء الذين
يترددون عليك ان كانوا يزعمون أنهم علماء ،
فأعطاه على بيك للشيخ حسن . فكان لبقا حكيما
مترفعا حيث قال انها وان كانت من عويصات
المسائل يجب عنها ولدنا الشيخ محمد النفراوى .
فمكن — مع لباقة وحكمته وترفعه — لتلميذه أن
ينال شهرة ومكانة بين العلماء ، وعند على بيك .

وكانت تقال في الشيخ المدائح ، فكان ، تواضعا
منه ، قبلها وحيث قائلها ، ثم يمزقها . وكان ، مع
ثرائه العريض ، وما بلغ من مكانة في العلم ، وفي
الحياة ، يشتغل بالتجارة .

وهكذا عاش والد الجبرتي الى أن جاءت سنة
١١٧٩ فتوفي ابنه ، أبو الفلاح على ، أخو الجبرتي
لأبيه ، وكان عمره اثنتي عشرة سنة ، وكان الشيخ
قد أنجب من زوجاته وسرايره أكثر من أربعين

مولودا لم يعيش منهم سوى على هذا ، وعبد
الرحمن . فلما مات ابنه على ثقل عليه الحزن ،
وتوالت عليه الآلام والأمراض ، وترك بيوته على
النيل ، ولزم بيت الصنادقية ، وقلت حركته ، ولكنه
لم ينقطع عن الاملاء والافادة والتحقيق ، ولم يزل
كذلك حتى تعلق بالهيفة الصفراوية اثني عشر
يوما ، ثم مات عن سبع وسبعين سنة في يوم الثلاثاء
غرة صفر من سنة ١١٨٨ (أبريل سنة ١٧٧٤) ،
وصلى عليه في الأزهر بشهد حافل جدا ، ودفن
عند أسلافه بترية الصحراء ، بجوار الشمس
البابلي ، والخطيب الشرييني ، وقيلت فيه المراثي
الكثيرة من كبار شعراء العصر .

ذلك هو ، أبو التمداني ، نور الدين حسن
الجبرتي ، أبو عبد الرحمن .

عبد الرحمن الجبرتي

أما ابنه ، أبو العزم عبد الرحمن ، صاحب
عجائب الآثار ، فقد ولدته لحدى السراوى في سنة
١١٦٧ هـ (١٧٥٤ م) بالقاهرة . ولم أعرف أن
التاريخ ذكر لنا عن هذه الجارية شيئا : هل كانت
بيضاء أو سوداء ؟ ومن أى جنس أو بلد هي ؟
ولكني أعتقد أنها كانت بيضاء .

أرسله أبوه ، وهو طفل ، الى مدرسة السنائية ،
القريبة من منزلهم بالصنادقية ، ليحفظ فيها القرآن ،
فإذا عاد تلقى على أبيه وعلى بعض الشيوخ الذين
يترددون على بيته ، بعض العلوم . وأنهم حفظ
القرآن الكريم في سن الحادية عشرة ، ثم رغب
الشيخ عبد الرحمن للعريشي الى أبيه في أن يلحقه
برواق الشوام ، ليلقنه مذهب الحنفية ، فسلمه
اليه .

وبادر أبوه فزوجه وهو في الرابعة عشرة ، في
سنة ١١٨٢ . ولم يذكر لنا التاريخ أيضا عن هذه
الزوج شيئا .

وقد سجل شاعر العصر الشيخ عبد الله الأدكاوى

هذه الزيجة بقصيدة قدمها الى والد الجبرتي قال
في ختامها وبیت تاريخها :

هذا هناء محبك الـ داعي لكم بسمو قدرك
والحال قد أرخته شمس البها زفت لبدرک
وظل عبد الرحمن يتردد على حلقات الشيوخ في
الأزهر بعد ذلك ، ثم يمضي الى بيته فيتلقاه أبوه
متحدثا اليه في التاريخ وأحداث عصره ، فقد كان
أبوه محبا للقصص ، والأغاني ، ودارسا معه
ما يشتغل به الشيخ من علوم الفلك والرياضة
والحكمة . وكذلك كان زوار الشيخ من كبار
العلماء والشعراء والأمراء يلقاهم الجبرتي الصغير
فيتحدثون اليه ويحدثهم ، ويفيد من علمهم وأدبهم
وحسن توجيههم ، وتتمكن العلاقات بينه وبين
الأمراء منهم خاصة .

وبقى حاله كذلك حتى مات أبوه ، وهو في سن
الثانية والعشرين ، وترك له ثروة ضخمة ، مادية
وأدبية . ترك له من الثروة المادية بيوته في بولاق
والصنادقية ومصر القديمة ، وأرضا له بالقرب من
كفر الزيات في بلدة « ابيار » ، وأوقافا كبيرة على
مسجد بين رشيد والاسكندرية ، على بحيرة اذكو ،
تنظر عليها بعد أبيه ، كان أوقفها جده على في أيام
الملك الأشرف قايتباي ... وكان الملك الأشرف
يعتقد في هذا الجد اعتقادا كبيرا . وكذلك كان
الجبرتي شيخا على مقبرة الطحاوي بالقرافة .

وكان هذا الوقف « عدة أماكن وقيعان ،
وأنوال حياكة ، وبساتين ، ونخيل كثيرة » . وكان
يhte على النيل يرتفع عن مستوى الماء عشرين
درجة ، وذكر الجبرتي أنه أجرى عمارة في بيت
الصنادقية ، بدأها في سنة ١١٩١ ، وأتمها في السنة
الثانية . وأنشأ الشيخ مصطفى الصاوي في ذلك
قصيدة نقشها الجبرتي في مجلسه من البيت .
وقد جعل الجبرتي من بيته ذاك ، بهذه العمارة ،

قصرا أيقا ، فيه حديقة صغيرة ، وبئر ، ومسكن
للخدم والعبيد ، وأخرى للضيوف ، وحجرة متسعة
للمذاكرة مع الطلبة ، والتدريس . وأقام فيه أعمدة
من الرخام المختلف الألوان ، ونقش جدرانها بالخشب
المحفور ، والقيشاني الملون ، وثر في حجراته الآنية
الفاخرة ، والأرائك الثمينة ، وفرش أرضها
بالسجاجيد الغالية والطراريح الحربية ، ولبس
أبوابه بالصدف والنحاس البراق ، وعلق الثريات
من البلور ، وجعل فيه حجرة رحبة للكتب ، وأنفق
في هذه العمارة مالا كثيرا .

وسكن الجبرتي ، فترة من الزمن ، في بيت يطل
على بركة الرطلى . وكانت ، كما يقول ، « يسكنها
أهل الرفاهية من أهل البلد ، لطيب هوائها
واكتشاف الريح البحرى ، وليس في برها الآخر
سوى الأشجار والمزارع ، وتعبها المراكب
والسفائن » .

أما الثروة الأدبية التي خلفها له أبوه ، فهي تلك
المكانة المرموقة ، والمحبة التي ربطت بينه وبين
علماء عصره وأهل الحكم والثراء فيه ، وذلك المجد
الأدبي والعلمى الذى صار اليه اسم الجبرتي ،
واسم آبائه وأجداده من قبل ، وتلك الكنوز
العظيمة النادرة من الكتب ، التى أفنى أبوه في
جمعها مالا كثيرا وجهدا عظيما .

بقى الجبرتي ، بعد وفاة أبيه ، متصلا بالأزهر
وشيوخه ، يحضر دروسهم فيه ، ويوزرونه في بيته
كما كالوا يزورون أباه من قبل ، باحثين مدارسين .
فلما كبر الجبرتي وأجازته شيوخه أخذ يلقي دروسا
في الأزهر وفي بعض المساجد ، وفي بيته .

وقدم مصر ، في السنة التى ولد فيها الجبرتي ،
عالم كبير من اليمن ، هو السيد مرتضى الزبيدي ،
صاحب تاج العروس ، فلما تعرف اليه الجبرتي فيما
بعد ، أعجب به ولازمه وصادقه ، وأصبح من
المواظبين على دروسه مع طائفة كبيرة من اخوانه ،

الجبرتي ، والبكري ، والسرمي ، والأمير .. أحراراً .
وأمرهم الفرنسيون بأن « يكون نظرهم على
البلد » ، أي يكون لهم الاشراف على شئون
القاهرة .

وبعد انتهاء الحملة الفرنسية على مصر ،
ودخولها مرة أخرى في حكم الدولة العثمانية ، دون
حوادث هذه الفترة في كتاب سماه « مظهر التقديس
بذهاب دولة الفرنسيين » . وكان له من مكائده اذ
ذاك ، وعضوته في الديوان ، ومن علاقاته الخاصة ،
وصداقته الوطيدة للشيخ اسماعيل الخشاب ، كاتم
أسرار الديوان ، ما يمكنه من معرفة دقائق
الأسرار . وقد أهدى كتابه مظهر التقديس هذا الى
الوزير يوسف باشا ، فلما عاد الى اسطنبول عرضه
على السلطان سليم الثالث ، فأمر كبير أطبائه
مصطفى بهجت بنقله الى اللغة التركية ، ففرغ من
ذلك سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) ، وترجمه بعد ذلك
الى هذه اللغة أحمد أفندي عاصم سنة ١٨١٠ .

ويبدو مما كتبه الجبرتي في الفصول الأخيرة
من كتابه ، أنه كان يشكو الأسقام والمرض . يشير
الى ذلك في آخر حديثه عن سنة ١٢٢٥ حيث يذكر
« تشویش البال ، وهم العيال ، وتكدر الحال ،
وكثرة الاشتغال ، وضعف البدن ، وضيق العطن » .
ويذكر كثير من المؤرخين أن الجبرتي اشتغل في
أواخر حياته مؤقلاً للصلاة وهلالاً رمضان وشوال
في بلاط محمد علي ، ولم يذكر هو شيئاً من ذلك
في تاريخه . وبعض المؤرخين يقول ان الذي تولى
هذا العمل هو ابنه خليل .

وقد أصيب الجبرتي في آخر حياته بمرض قاسية ،
ففي صباح الثامن والعشرين من رمضان سنة ١٢٣٧
(١٩ يونيو ١٨٢٢ م) كان خليل عائداً من قصر محمد
علي في شبرا ، بعد صلاة الفجر ، فخرج عليه جماعة
أخذوا يضربونه حتى قضا عليه ، وخفقوه . ثم
ربطوه برجل حماره . فلما أصبح الصبح عرّوه

الذين تبوأوا ، فيما بعد ، مكان الصدارة العلمية
والأدبية في مصر ، فدرس لهم الزبيدي فصيح
ثعلب ، وفقه اللغة للثعالبي ، وأدب الكاتب لابن
قتيبة ، وسمعوا كثيراً من شرحه للقاموس ، كما
سمعوا في الأمالي والشمائل . ودرس الجبرتي علوم
الفقه ، ثم مال ميل أبيه لدراسة الفلك والحساب
والهندسة . ومال الى التصوف ، وكان من مريدي
الشيخ محمود الكردي .. يرافقه في ذلك الشيخ
عبد الله الشرقاوي . ودرس الطب وألف فيه .

وفي أواخر سنة ١١٩٥ تزوج الجبرتي مرة
أخرى ، ولم يقل لنا أين ذهبت زوجته الأولى . تزوج
ربيبة صديقه علي عبد الله درويش الرومي ، برغبة
منه . وكان الرومي هذا رجلاً يعمل عند المماليك ،
« حسن السميت ، نظيف الثياب ، وجيه الطلعة ،
مهيب الشكل ، سليم الطوية ، مقبول الروحانية ،
نيف على التسعين ولم يسقط له سن ، ويكسر
اللوزة بأسنانه » . وكان مثقفاً غزير الاطلاع .
وربيبة علي الرومي هذه هي التي أنجبت للجبرتي
ولده خليل ، ومات صهره هذا في سنة ١١٩٩ هـ .

وظل الجبرتي يفيد ويستفيد ، ويباشر شئونه
الخاصة ، ويراجع في مكتبة أبيه الحافلة ، حتى
جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ، في صفر من سنة
١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ، فترك القاهرة الى مزرعته
في « ابيار » ، ثم عاد اليها بعد قليل ، عندما أرسل
العلماء ، بإشارة نابليون ، اليه والى غيره ممن
هاجروا ، ليعودوا .

ولما ألف الجنرال منو ، قائد الجيش الفرنسي
بعد نابليون ، الديوان الثالث ، اختير الجبرتي
عضواً فيه ، وكان أعضاؤه تسعة .

ولما دخل العثمانيون القاهرة بقيادة يوسف
باشا ، لاختلاؤها من الفرنسيين ، وأخذ هؤلاء بعض
كبار الشيوخ من أعضاء الديوان رهائن ، بقي

صفاته وأخلاقه

كان الجبرتي ، كما رأينا ، قد ورث عن أبيه وعن أسرته مالا ومجدا ، وهو مع ذلك متواضع . يذكر — فيما سجله من مناقشات أعضاء الديوان أيام نابليون — أشياء يقول ان «بعض الأعضاء» رد بها على الوكيل فورييه ، ولكنه لا ينسب ذلك لنفسه ، ويكتب عن وطنه بروح الاعتزاز والفخر ، وعن أسرته ، ولكنه يخشى أن ينساق الى التفاخر فيستدرك قائلا ، انه يذكر ذلك «بقصد التعريف بالنسبة» . وعندما ذكر أعضاء الديوان عمى في اسمه فقال « وكتابه » . ولعله فعل ذلك عامدا ليجتاط لنفسه من غضب المصريين أو العثمانيين بعد عودتهم للقاهرة . وهو الى ذلك رجل خبير ، رقيق العاطفة ، نبيل الخلق ... ضاقت الحياة بصهره على درويش ، وتعطلت أسبابه ، فنقله وأسرته الى بيته ، وعاش معه حتى مات ، وتولى دفنه ، وأثنى عليه ثناء كبيرا ، وقال انه أفاد منه في التراجم التي ضمنها كتابه .

وكان عبد الرحمن رجلا سمحا ، يقدر الجبال ، متأنقا في حياته . وكان أصندقاؤه الخلف — كالشيخ حسن العطار والشيخ اسماعيل الخشاب — يدعونه الى مجالس الغناء حيث يقول ثانيهما :
يا سيدي وسندي ويا عريق المحتسد
يا راحتي ، وراحتي وساعدي ، وعضدي
أدعوك تأتي مسرعا ويا لذلك من يد
ثوم قصرا جامعا كل المعاني الشرد
نصني الى مزهر من أضحي فريد البله
وكان هو يلعبوهما أيضا الى منزله حيث يقطعان الليل في الحديث والسرور والمناذمة ، فيجولان في كل فن من الفنون ، « تارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتكدر الاخوان ، وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من صد وهجران ، ووصل واحسان » . ويلاحظ هنا أن الجبرتي يقول :

الناس ، ووجدوا على صدره دفاتر مكتوبة ، وأسطرلابا لرصد النجوم والكواكب .

وتناقل الناس ، والمؤرخون من بعدهم ، شائعات عن اشتراك سليمان أغا السلحدار ، ومحمد بيك الدفتردار ، صهر محمد علي ، في هذه المؤامرة ، وعن استئذان الدفتردار لمحمد علي في تدبيرها . وهي شائعات يذكرها المؤرخون ليفندوها . وقد وردت في دائرة المعارف الاسلامية على أنها صحيحة ، وأن الذي قتل هو الجبرتي نفسه (١) .

وقد أصيب الجبرتي بموت ابنه على هذه الصورة ، وهو بين المرض والكبر والضيق ، بنازلة شديدة حطمت حياته ، فترك الكتابة والتأليف ، وانقطع عن القراءة ، وألح عليه الحزن ، وأكثر من البكاء ، حتى ذهب بصره . وبقي في داره مريضا ، حزينا ، أعمى ، حتى مات في سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م) (٢) . وأعقب بنتا ، عاشت مغمورة من بعده ، وولدا ، أو ولدين ، على خلاف بين المؤرخين .

وبعد وفاته احترق منزله بالصناديقية ، واحترقت المكتبة العظيمة الحافلة التي تركها له أبوه ، والتي زاد عليها هو زيادة كبيرة . ويذكر بعض المؤرخين أن جزءا من تاريخ الجبرتي ، احترق أيضا . وكان يتضمن حوادث ما بعد سنة ١٢٣٦ ، ودفن الجبرتي مع أبيه ، ببستان العلماء .

(١) مادة « الجبرتي » ص ٢٧٩ من العدد الثامن ، المجلد السادس من الترجمة العربية . وفي مقدمة الترجمة الفرنسية لمجانب الآثار أيضا ان الذي قتل هو الجبرتي نفسه .

(٢) اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته . واكثرهم على انها كانت يوم ٢٨ رمضان سنة ١٢٢٧ ، ولكن المرحوم جودجي زيدان اثبت — في الجزء الرابع من تاريخ ادب اللغة العربية — انه عاش الى نصف ربيع الاول من سنة ١٢٤٠ ، كما حقق الاستاذ خليل شيبوب من طريق آخر — في كتابه « عبد الرحمن الجبرتي » — انه مات في هذا التاريخ الذي ذكرته . وذكر تلميذاه : البناني والخفراوي ، في نزهة الفكر ، انه عاش الى سنة ١٨٢٦ م .

« تارة يتشاكيان » ، « ويترفمان » ولا يقول :
تتشاكى ، وترنم ... وكان هذان الصديقان كثيرا
ما يبيتان عنده .

وعرف الخشاب فتى فرنسيا جميل الطلعة اسمه
ريج ، روى الجبرتي شيئا من غزله فيه .

ويذكر الجبرتي أنه لقي في طنطا شيخا اسمه
أحمد السناليجي الشافعي ، كانت له امرأة بارعة
الجمال ، وله منها ولد اسمه أحمد « كأنما أفرغ
في باب الجبال ، وأودع بعينه السحر الحلال » ،
ثم يذكره بأعجاب فيقول انه « حضر الى ، وسلم
على ، وآسنى بحسن ألفاظه ، وجذبني بسحر
ألفاظه » . ويقول الجبرتي في ترجمة بعض
أصدقائه انه « كان يحب الجمال » ، ثم يتبع ذلك
— وكأنه خشي التهمة — بأنه كان لا يترك الصلاة ،
أينما كان .

ومما يدل على رقة العاطفة أن الجبرتي يمدح
صديقه هذا بأنه كان يمر في الطريق يفرق الطعام
على الفقراء ، والأطفال ، و « الكلاب » .

وكانت فيه صفات العالم : كان يسهر الليل
يراعى مطالع النجوم ... ولما قامت ثورة القاهرة
على الفرنسيين ، أئلف العامة فيما أئلفوا أجهزة
علمية وفلكية ، فأبدى شديد أسفه على ذلك ،
وندد بجهل العامة وسفههم ، وحزن على فقد هذه
الأدوات التي لا تقدر بقيمة « عند من يعرف
صنعتها » . وعرض عليه رجل جزائري أن يشتري
كتاب زيج الراصد السمرقندي ، فأبى أن يبيعه
بأى ثمن . ولما علم أن الفرنسيين لديهم كتب ذات
قيمة ، زار الدار التي خصصوها لذلك ، وأبدى
اعجابه بها ، وذكر النظام الذي وضعوه للمطالعة
فيها ، وبعض الكتب التي رآها ، وأثنى على
نشاطهم العلمي ، ورغبتهم في البحث والمعرفة ،
واخلاصهم .

وكانت فيه شجاعة العالم أيضا ، فكبار المالك
أصدقائه وأصدقاء أبيه ، وكذلك كثير من الولاة
والسادة الحاكمين ، وكبار الشيوخ اما أساتذته
واما أصدقائه ، ومع ذلك لم يعف أحدا منهم من
النقد والمؤاخظة ، اذا وجد في صفاته أو سلوكه
ما يوجب النقد . وقد ذكر في مقدمة كتابه أنه لم
« يقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير ، أو طاعة وزير
أو أمير ، ولم يداهن فيه دولة بنفاق ، أو مدح أو
ذم مباين للأخلاق ، لميل نفساني ، أو غرض
جسماني » . وقد لازمته هذه الشجاعة فعلا في
جميع مادون من حوادث التاريخ التي سمعها أو
شاهدها . كما التزم أيضا أدق شروط الأمانة
العلمية ... شأن العلماء . فهو يدون وثائق الحلة
الفرنسية ، والشروط التي وضعت بين رجالها
ورجال الدولة العلية للانسحاب من مصر ، ثم
يقول انه قل ذلك بحروفه « وما فيه من خطأ أو
تحريف ، فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة
الفرنساوية باللغة العربية » .

وكذلك حديثه عن جماعة من علماء الآثار
الانجليز زاروا الهرم الأكبر وأبا الهول ، وآثار
الفراعنة في الصعيد ، ويسر لهم محمد على أن
يأخذوا من آثار مضر أشياء ذات قيمة شروها بثمان
بخس ، وأخرجوها من مصر .

وللجبرتي ملاحظات تدل على سلامة الفطرة .
من ذلك اعجابه بنابليون لأنه سافر من القاهرة الى
السويس « فلم يكن معه طباخ ، ولا فراش ، ولا
فرش ، ولا خيمة » ، وكان كل ما أخذه معه
« ثلاثة طيور حجاج محمرة ، ملفوفة في ورقة » .
وهي ملاحظة تدل على حبه للبساطة ، وهو
غنى مقتدر ، وبعده عن المظاهر ، ومعرفة لأقدار
الرجال من تصرفاتهم العادية التي قد يمر بها غيره
فلا يستنبط منها شيئا ، ولا تدله على فضيلة أو
خصيصة أو محمدة .

وفيه خلاصة دعوتهم ، ثم يعقب على ذلك بقوله : « ان كان كذلك فهذا ماندين الله به نحن أيضا ، وهو خلاصة لباب التوحيد » ، ثم يذكر بعض أمهات الكتب في مذهب السلف . وفي موضع آخر يقول : ان الوهابيين شرطوا على الركب الشامي ألا يجيء الى الحج بالمحمل والطبول ، فعاد الشاميون ولم يجحوا « ولم يتركوا مناكيرهم » . فالمحمل وطبوله ، في نظره ، منكر . وهو يلقي زعماء الوهابيين الذين حلوا بمصر أسرى أو مهاجرين ، ويتعرف اليهم ، ويصادقهم ، ويثنى على كبيرهم عبد العزيز ، ثناء خاصا . وتبدو فيما كتبه عن ذلك سلامة العقيدة والاخلاص . وقد يكون لموقفه العنيد من محمد على دخل في هذا الثناء .

وللجبرتي ، في إحدى صفحات الكتاب ، فحة صادقة من الفهم السديد لروح الدين ومن الاشتراكية العاقلة معا . فهو يذكر ما أخذه الوهابيون من الحجرة النبوية الكريمة عند فرارهم ، من التحف الكريمة ، والجواهر النادرة القيمة الغالية الثمن ، وأن بعض الناس عد ذلك من الكبائر . ثم يقول : ان هذه التحف والجواهر « وضعها خساف العقول من الأغنياء ، والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم ، اما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتى بعدهم ، أو لنوائب الزمان ، فتكون مدخرة ومحفظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء » . ثم يقول : ان أخذ هذه الذخائر ليس خروجا على الدين ، بل الخروج عليه هو كنز الأموال بحجرته — أي حجرة النبي — وحرمان الفقراء والمساكين وأهل العلم وأبناء السبيل الذين يموتون جوعا . وفي هذه الصفحة ينتقد الجبرتي ، انتقادا مرا ، بعض الحكام الذين يسرفون في أموال المسلمين

وكذلك ثناؤه على الفرنسيين ، لأنهم لم يكونوا يتجاوزون الرسوم التي فرضوها على الأقضية ، أو رسوم التسجيل ، ولأنهم لم يبادروا بقتل سليمان الحلبي عندما اغتال الجنرال كليبر ، بل حاكموه وسألوه وناقشوه وناقشوا الشهود . وأثنى عليهم لأشياء أخرى كثيرة . وهذا كله دليل على رجحان عقله وسداد تفكيره ، وبعده عن التعصب الضيق . كذلك أثنى على الأنجليز ، عندما وصف صديقه الألفي بأنه عندما سافر الى بلادهم « تهذبت أخلاقه ، بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن سياسة حكاهم ، وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم ، وعدلهم في رعيته — مع كثرهم — بحيث لا يوجد فيهم فقير ، ولا مستجد ، ولا ذو فاقة ، ولا محتاج » .

وهو رقيق العاطفة . ذكر أن محمدا عليا زوج بعض أولاده ، قد قدمت لأهم الهدايا من نساء المالك والسادة ، وكان بعضهن في ضيق من العيش ، فاستدب ليقدمن الهدية ، ولكن السيدة زوج محمد علي لم يرق في عينها بعض الهدايا ، وعابت على صاحباتها ذلك في المجلس ، وردتها ليقدمن خيرا منها . وقد آفاض الجبرتي في ذكر ألمه لما أصاب هؤلاء النسوة من الكرب والحجل ، وكسر خاطر ، وانكساف البال بعدما أصابهن وأصاب أزواجهن من قسوة محمد علي وظلمه .

ويبدو مما كتبه الجبرتي في مواضع كثيرة متفرقة من كتابه ، أنه كان حر الفكر ، سلفي العقيدة . فهو كثير النقد للبدع ، وما يصاحب موالد الأولياء ، ومدعى الولاية من الفسق والفجور ، والمغالاة في مدحهم والتوسل بهم ، ويقول ان في ذلك خروجا على الدين ، واتباعا للشهوات ، وأن الفرنسيين لم يبيحوا اقامتها ويحرضوا عليها الا لهذا السبب . ويسجل منشورا أرسله الوهابيون الى مصر ، بعد دخولهم مكة ،

التي أوتمنوا عليها . وينفقون النفقات الباهظة في
التفاخر والرفاهية ، ثم يتحايلون على تحصيل
المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات
والاستيلاء على الأموال بغير حق ، حتى افتقر
الرعايا .

وهذه النفحة الاشتراكية ، الانسانية ، هي التي
جعلت الجبرتي ، في موضع آخر ، يثنى على
الفرنسيين لأنهم لم يسخروا العمال الذين كانوا
يستخدمونهم لتمهيد الطرق في القاهرة ، وإقامة
المنشآت العامة ، بل كانوا يزيدونهم عن أجرهم
المعتاد ويرحونهم بعد الظهر ، ويستعينون بالآلات
القرية المأخذ ، السهلة التناول ، التي تريح
العامل وتعينه ، وتقلل من مجهوده ... كبريات
ثقل الأتربة . وكانت السخرة في أشق الأعمال شيئا
مألوفاً في ذلك الوقت . وكان موت الفلاحين
والعمال من الجهد والإرهاق شيئا مألوفاً أيضاً .
وقد مر في موضع من هذا الكتاب أنهم كانوا
يدفنون وفيهم رمق الحياة ، لأنهم عجزوا عن
مواصلة العمل وسقطوا من الأعياء .

ويبدو الجبرتي ، في مواضع أخرى متفرقة من
كتابه ، رجلاً ساذجاً ، مؤمناً بالكرامات والخرافات .
فهو يذكر رجلاً كانت الجن تخدمه وتطيعه فيما
يأمر ، ثم يقول : ان ذلك « لا يستبعد » . ويترجم
لرجل أبله كان يزعم أنه يكشف ما في ضمائر
الناس ، ولا يستبعد ذلك أيضاً . وعندما أمر محمد
على ، وواقفه في ذلك القاضي التركي ، بإجراء
الحجر الصحي ، وإقامة « الكرتيلة » احتياطاً من
الطاعون ، لاهما الجبرتي على ذلك ، وقال : ان
ذلك « من حبهم للدنيا » . ويذكر من كرامات
سیدی علی البیومی أن الجالس إليه كان « يرى
وجهه تارة كالوحيش ، وتارة كالعجل ، وتارة
كالغزال » . ولا غرابة في ذلك التناقض الظاهري .

فان الجبرتي ألف كتابه على فترات متباعدة من
الزمن . وكان في بعض ماسجل من هذه الروايات ،
متأثراً بالبيئة ، والصحبة ، واعتقاد الجماهير .
وللجبرتي في كتابه تعبيرات تدل على لباقة
وحسن أدب وتلطف ، من ذلك تعبيره الطريف عن
قاض جديد قدم مصر من اسلابول سنة ١٨١٦
بأنه « كان له مسيس من العلم » .

أما ذوقه الأدبي فنستطيع أن نعرفه من اختياره
للشعر ، وثنائه على ما يختار . فهو يختار مثلاً
لشاعر معاصر ، هو ابن الصلاحى هذه الأبيات ،
ويثنى عليها :

جزى الله أنفاس النسيم فانها
لتعلم سرا في النفوس لطيفا
أسرت الى الأغصان ، عند قدومنا ،
جديثاً ، فمدت للسبيلام كعقوفاً
وهزت ، سرورا بالتداني ، معاطفا

وأهدت لنا منها شذاً وقطوفاً
وهو يختار لهذا الشاعر نفسه قصيدة جيدة
طويلة ، أولها :

بشا على النائي الغريب جملاً من الخير العجيب
واستوقف الركبان ما بين الإراكية والكثيب
واستنشد القلب الذي قد ضاع من بين القلوب
سلبته ، يوم الدوجية ن ، طليعة الرشأ الربيب
والأبيات والقصيدة كلتاها شعر جيد ، اذا
قارناها بشعر ذلك العصر خاصة ، وليس كل
ما اختاره الجبرتي ، وخاصة من النثر ، جيداً ، يدل
على تذوق للشعر والنثر ، بل فيه شيء غير قليل
من التافه والثقيل ، الذي كان ذوق العصر يسيغه
ويألفه ويقبل عليه .

ومع احاطة الجبرتي بكثير من علوم عصره ،
واشغاله بغير ما كان الناس يشتغلون به ، من علوم
الحكمة والرياضة ، ومبعدة مداركه ، فإنه يسمى
البحر الأبيض المتوسط « البحر المحيط » .

شجاعا في الحق ، عندما تألب الأسياف على السيد عمر مكرم ، وكتبوا فيه ما كتبوا ، امتنع عن مسأيرتهم والشهادة معهم ، وانفرد بذلك دونهم ، فغضبوا منه ، وأكثروا من ذمه والكيد له حتى فصل من مشيخة الحنفية ... ولكنه لم يتراجع ، وأعاده محمد على مرة أخرى لمشيختها . وقد قبلها في المرة الأولى على كره . وكان الطحاوي هذا من أحب صحبة الجبرتي له وأقربهم لقلبه .

عجائب الآثار

يقول الجبرتي في مقدمة كتابه : « اني قد سوت أوراقا في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه ، وأوائل الثالث عشر الذي نحن فيه ، جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية ، وغالبها محن أدركناها ، وأمور شاهدناها ، واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ، ومن أفواه الشيخة تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمرء المتبرزين ، وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم ... فأجبت جمع شملها وتقييد شواردها في أوراق منسقة النظام ، مرتبة على السنين والأعوام » .

ويقول في موضع آخر انه كان يدون الحوادث في « طيارات » ، ثم يعود إليها بالتفصيل والشرح والافاضة . فهو يسجل في مذكراته الحوادث اليومية ، ثم يتوسع فيها . وقد سجل حوادث السنين الأولى رواية عن أبيه وعن شيوخه وأصدقائه الذين شهدوها ، أو سمعوها ، ورجع في ذلك أيضا الى سجلات الدولة من دفاتر الكتبة وغيرها ، وما نقش على حجارة القبور ، وذلك من أول القرن الى سبعين سنة منه ، ثم يقول ان « ما بعد السبعين الى التسعين أمور شاهدناها ثم فئسناها وتذكرناها ، ومنها الى وقتنا أمور تعقلناها وقيدناها وسطرناها » .

واشتغل الجبرتي ، مثل أبيه ، بالأمور العامة ... فأفاد الناس من علمه . فالموافين التي حررها أبوه ، عندما فشا فسادها ، وألف فيها كتابا . اشتغل ابنه باصلاحها مرة أخرى وتحريرها . ومعرفة بعلم الفلك ، جعلته يستخرج الطالع وحساب النجوم . وقد ذكر في بدء حديثه عن سنة ١٢٢١ - وهي السنة الأولى من حكم محمد على - حسابا للنجوم ، وانتقالات الشمس ، وأبراجها ، ومقارناتها ، وحساب الأهلة . ثم قال « وفي ذلك دليل على ثبات دولة القائم ، وتعب الرعية » . وقد ثبتت فعلا دولة محمد على ، وتعبت الرعية ... وصدق حساب الجبرتي وطالعه في الأمرين معا

ونستطيع ، بعد ذلك ، أن نعرف شيئا عن صفات الجبرتي وأخلاقه ، من معرفتنا لخاصة أصدقائه ، وهم الشيخ اسماعيل الخشاب ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ أحمد الطحاوي ، أما الأولان فقد ذكرنا طرفا من أخبارهما ، وظرفهما ، ومجالسهما في بيت الجبرتي ... تلك المجالس التي تمثل فيها بقول الشاعر :

في انقباض ، وحشمة ، فاذا

رأيت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيته

وقلت ما قلت ، غير محتشم

وقد توفي الخشاب في سنة ١٢٣٠ ، أي قبل وفاة الجبرتي بأكثر من عشر سنين ، وعاش العطار بعده ، ولكنه لم يشاركه في خصومة محمد على ، بل صادقه ، وتقرب اليه ، وألف من أجله كتابا في الرسائل أهداه اليه (١) . وتولى مشيخة الأزهر ، وكان شاعرا ، رحالة ، خبيرا بالحياة .

أما ثالثهم : الطحاوي ، فقد كان تركي الأصل ،

(١) رسائل العطار المطبوع في المطبعة العثمانية بالقاهرة سنة

وظاهر هذا الكلام أنه شاهد بنفسه ، وسجل ما شاهد ، ابتداء مما بعد السبعين من حوادث القرن الثانى عشر ، وذلك ما اعتقده وأقره أكثر مؤرخيه ، مع أن منه اذ ذاك كانت أربع سنين . وأعتقد من الاضطراب الظاهر فى العبارة أنه لا يقصد ذلك ، وربما أراد ما بعد التسعين ، لا السبعين .

وقد ذكر أن الذى دعاه لوضع هذا التاريخ هو السيد مرتضى الزبيدى ، صاحب تاج العروس ، حيث طلب مفتى دمشق ، السيد محمد خليل الراوى ، من الزبيدى وضع هذا التاريخ . فكلف به الجبرتى ، وكان يكتب ما يكتب ويقدمه للزبيدى . فلما مات هذا بالطاعون فى سنة ١٢٠٥ استولت زوجته على جميع ما خلفه بما فى ذلك كتبه ، وفيها ما قدمه له الجبرتى من تاريخه ، ثم تزوجت أرملته ، واستطاع الجبرتى أن يشتري منها ما خلفه السيد فوجد ضمنه أوراقه . وأرسل له مفتى دمشق بعد ذلك يستحثه على أن يتم كتابه فكان ذلك مشجعا جديدا له .

أما الطريقة التى اتبعها فى تدوين الكتاب ، فانها مع استيعابها ووفائها ، أبعدت بينه وبين أن يكون تاريخا منسقا متتابعا ، بل جعلته أشبه شئ بجريدة يومية أو أسبوعية ، تسجل الحوادث الواقعة ، بلا ترابط ولا توحيد أو تأليف ، فترى الرجل أو الحادثة تذكر فى مواضع متفرقة متباعدة من الكتاب حسبما تجيء به ، أو بها ، المناسبة ... لأمر وقع ، أو حادث جرى ، وذلك نتيجة طبيعية لسرد الجزئيات على الأيام . وهو يخلط بين الجليل والحقير من الحوادث خلطا ، قد يكون عجيبا ولكنه احدى نتائج الأمانة والحرص على الاستيعاب .

فهو ، مثلا ، فى حوادث شهر جمادى الآخرة من

سنة ١٢٢٢ يذكر حادثة شيخ من بنها يدعو الناس لمقاومة سلطة القاهرة ، ويفصل ما جرى له حتى قتل ، ثم يذكر خبر واقعة بين محمد على وشيخ دسوق ، ثم يجمع الى ذلك حادثة رجل من الدلاتية (١) كان يرمى دجاجة بحجر لتقع من سطح دار الى أخرى ، ليستحوذ عليها ... ا

أما ترتيب الكتاب فقد أشار فى مقدمته الى صفات الحاكم العادل . وذكر الحديث الذى رواه أبو هريرة « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلا وصيام نهارها » . وقال ان سبب هلاك الحاكم هو « اطراح ذوى الفضائل ، واصطناع ذوى الرذائل ، والاستخفاف بعظمة الناصح ، والاعتزاز بتزكية المادح » . ثم ذكر تاريخا مختصرا للملوك والدول التى حكمت مصر ، بعد ضعف الخلافة العباسية ، حتى الفتح العثماني . ولخص فى صفحتين حوادث السنين الخمس الأولى من القرن الثانى عشر . ثم أفرد حوادث كل سنة بعد ذلك ، مرتبة بترتيب وقوعها ، على الشهور والأيام . وفى الكتاب اشارة الى أنه كان يكتبه فى سنة =

١٢٢١ .

وقد جعل الجبرتى من كتابه « عجائب الآثار » سجلا حافلا ، جامعا ، دقيقا ، لحوادث السنين التى أرخ لها : لم يترك أمرا جليلا أو صغيرا رآه أو سمع به ، الا ذكره . يترجم للمماليك ، أمراء مصر ، ولشيوخ الأزهر والولاة والأشراف ، والعلماء ، والتجار ، وخفير باب زويلة ، والخطاطين ، والصناع ، والأولياء ، وخدام النعال بالمشهد الحسينى ، والشعراء ، والمجذوب الصاحى — وكان حمالا فى دمياط — ومدعى النبوة ، والمجانين . ويذكر أسعار الغلال واللحم والسمن واللبن والذهب والتبر والبن والحطب والفحم . ووقوع الطواعين والأوبئة ، وعمارات المساجد والبيوت

(١) احدى طوائف الجند من اكراد الشام .

والقنوات والترع والسدود . ويسجل في حوادث سنة ١١٩٠ ، دخول فيل صغير القاهرة ، من الهند ، ويفصل حادث الشيخ ضادومة ، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة . وقال في كل ذلك : « انى لم أخترع شيئا من تلقاء نفسى ، والله المطلع على أمرى وحدى » ، و « لا أكتب حادثة حتى أتأكد صحتها بالتواتر والاشتهار » .

وتبدو في النصف الأول من الكتاب العناية بتراجم الرجال وسير الممالك والعلماء وغيرهم ، وفي نصفه الأخير تبدو العناية أكثر بتسجيل الأحداث والوقائع .

وقد ذكر أنه سيعيد مراجعة كتابه . والظاهر أنه لم يتيسر له أن يفعل . لذلك جاء فيه ذكر بعض الحوادث مكررا ، وجاء فيه ما يدل على عدم التحرى . فهو يقول ، مثلا ، في ترجمة الشيخ سليمان الجيرمى انه ولد في سنة ١١٣١ ، ثم يقول انه تجاوز المائة ، وهو في الوقت نفسه ، يحدد تاريخ وفاته ببلية الاثنين ١٣ رمضان من سنة ١٢٢١ فهو بذلك لم يتجاوز المائة ، وانما عمر الى التسعين . وفي الكتاب أشياء غير قليلة من ذلك . ولو أنه راجع ما كتب ومحصه ، لما وقع في ذلك ومثله . وليس ذلك تنقيصا لقيمة الكتاب ، فقد أجمع المؤرخون على أنه مصدر من أوثق وأوفى وأهم المصادر التاريخية عن تلك الفترة . وخاصة فيما سجله عن حوادث عصره التى شاهدها بنفسه .

ومن أجود ما كتبه الجبرتي ، وأكثره أهمية ، اما سجل فيه حوادث الطبقة الأخيرة من الممالك ، وفترة احتلال الفرنسيين لمصر . وطبيعى أن يكون ذلك : فكبار الممالك أصدقاء والده ، وكبار الشيوخ الذين كانوا أعضاء في ديوان نابليون ، وكذلك كاتم سر الديوان اسماعيل الخشاب ...

أصدقاء له ، وهو نفسه كان من أعيان العلماء اذ ذاك ، وكان عضوا في الديوان الثالث .

ولكن أجود ما كتبه الجبرتي ، وأعظمه قيمة ، تلك الصفحات التى صور فيها حياة المجتمع المصرى أصق صورة وأبرعها وأقواها ، وتراجم العلماء والأمرء وكبار الرجال في عصره ، وفي هذا وذاك لا نجد للجبرتي نظيرا ولا ضربا بين المؤرخين في جميع العصور .

أما الفترة التى سجلها من عهد محمد على ، فتتسم بالاختصار وعدم الاستيعاب ، لأنه لم يكن من رجال محمد على ، ولا من المتصلين به أو برجاله . وهو نفسه يعتذر عن تقصيره في تسجيل حوادث القسم الأخير من كتابه « اذ لا يمكن استيفائها ، للتباعد عن مباشرة الأمور » . وهو في تسجيل عهد محمد على يترك بعض الشهور دون أن يذكر حادثا ما ، وبعضها يدون فيه سطورا قليلة ، أو حادثا فردا . ويخطأ في الرواية بأن يقول : « على ما بلغنا » ، أو « على ما قيل » ، وأشبه ذلك .

أسلوب الكتاب

أما أسلوب الجبرتي في كتابه فليس على نسق واحد ، وهذا طبعى ، ولكنه في عمومه يكاد أن يكون مصريا عاميا ، كثير الأغلاط . والتعابير المصرية الشعبية التى لا يزال كثير منها متداولها الى الآن ، يجدها القارئ في كثير منه . فهو يصف حريقا في « خطتنا بالصنادقية » فيقول : ان النار « رعت ووجت » ، ويقول : ان النيل « انهبط » يعنى انخفض مأؤه ، وأن سعر القمح « شطح » ، أى ارتفع ، و « ثارت كرشة » أى زحام وتدافع ، و « تحنجل في مشيه » ويذكر كلمة « قشسل » ، و « قشلان » بمعنى مفلس ، و « كثر العياط » ، و « زاد تنطيطهم » ، و « زرع له فوق السطوح » اذا مناه الأمانى الكاذبة ، و « رقرق » لذلك فلان أى مال اليه وتأثر به ، و « النفخة » بمعنى الغرور .

ونجد من التعابير المصرية ما لا نزال نسمعه الى اليوم مثل : « كل الوقايع زلاية » ، ومثل « قارب شيخة » ، فقد ذكر أنه نزل — في سنة ١١٧١ — مطر كثير ، سالت منه السيول ، وأعقبه الطاعون المسمى « بقارب شيخة الذى يأخذ المليح والمليحة » . ولجده يذكر « الكبة » وهو يريد الطاعون ، كما يفعل العامة الى الآن ، وأمثال ذلك . وهو لا يلتزم السجع ، ولكنه أحيانا يتفصح به في غير موضعه ... فيبدو ظرفيا مضحكا ، كذلك السجع الذى التزمه في وصف قوم فجأهم المطر وهم يسرون مكرهين في زفة عروس « فاختل نظامهم ، وابتلت ثيابهم ، وتكدرت طباعهم ، وانتقضت أوضاعهم ، وزادت وسائسهم ، وتلفت ملابسهم ، وهطل الغيث على الابريس والحريز ، والشالات الكرخانة والسليمى والكشمير ، وكثير من الناس من وقع بعد ما تزلزل ، وسار ثوبه من الوحل أبلق ، ومنهم من ترك الزفة ، وولى هاربا في عطفة ، يسح يديه في الحيط ، مما تلتخ بها من الرطيط » .

وهى صورة كما ترى ، مع طرافتها ، صادقة حية .

وقد اعتذر هو عن ضعف أسلوبه ، وتقصيره ، وأخطائه بقوله : « هذا مع اعترافى بقصور الباع ، وفتور الطباع ، في قوانين المعانى العربية ، ودواوين المثنى الأدبية » . وغير بعيد أن يتعمد الجبرتى شيئا من الالتواء والغموض ، مراعاة لبعض الاعتبارات والظروف .

وهذا لا يمنع أن يجد القارئ صفحات جيدة الأسلوب بين ثنايا الكتاب .

التاريخ بلا عاطفة

والجبرتى يكتب تاريخه ، ويسجل فيه أحداث مصر العظيمة التى شهداها أو سمعاها ، ولكنه لا يظهر أية عاطفة فيما يكتب ، فهو يلم الشوارد ،

ويدون ويقيّد ، ولكنه لا يلون بشعور ، ولا يصفى باحساس .

يسجل ، بأمانة وافاضة ، حوادث الحملة الفرنسية ، ومقاومة المصريين لجنود نابليون في صفحات طويلة . ولكن القارئ لا يستبين فيها أى لون من ألوان العاطفة . فهو لا يكتب تاريخ هذه الفترة العصبية الحافلة من تاريخ مصر بروح الوطنى المصرى واحساسه ، ولا بروح الرجل المسلم ، حيث كانت العاطفة الغالبة المسيطرة . بل هو في مواضع كثيرة لا يخفى اللوم وانضج من عنف القاهريين وشططهم في مقاومة الفرنسيين ، ويجعل ذلك من سخر العقل . وهو كذلك ، في ترجمة الألفى ، يطنب في مدحه ، ويشيد بفضائله ، ويذكر أنه سافر الى بلاد الانجليز مع خمسة عشر من رجاله ، وبقي ضيفا عليهم زمنا ، يطلب حمايتهم ويمكن لهم من احتلال مصر ، وغاب في هذه الرحلة سنة وشهرا وبعض أيام ، وعاد من بلادهم يحمل الهدايا الكثيرة الغالية . ثم يقول ان الألفى أيضا أرسل الى الانجليز يستنجدهم أن يعينوه على حرب محمد على واخراجه من مصر . ومع هذا وذاك لا يجد الجبرتى ، فيما أقدم عليه الألفى ، أى مبرر للومه ، ولا يشعر القارئ أنه أحس أى عاطفة من العواطف فيما أقدم عليه .

ويستطيع القارئ ، وهو يعجب ، أن يجد شيئا غير قليل من شذوذ العاطفة في تدوين الجبرتى لحوادث سنة ١٢٢٢ ودخول الانجليز الاسكندرية فيها (١) . فهو يكاد يتمنى لو أنهم استطاعوا أن يملكوا القطر كله ، ليساعدوا صديقهم وحليفهم ، الألفى ، ضد محمد على . وهو يذكر أميرا من المماليك اسمه عثمان بيك حسن ، سعى اليه الانجليز ليعينهم على بسط سلطانهم على مصر ليتمكنوا له واخوانه ، في زعمهم ، من حكمها دون

(١) في ليلة ٢١ مارس من سنة ١٨٠٧ م

محمد على . ولكن عثمان بيك هذا أجاب الانجليز بأنه هاجر وجاهد الفرنسيين ، وأنه لا يقبل أن يختم حياته بمساعدة الافرنج على اخوانه المسلمين .

ولعل القارىء يعتقد أن الجبرتى أعجب باخلاص عثمان بيك لدينه ، أو لوطنه ، وشكر موقفه هذا ، أو على الأقل ، سجل الحوادث بلا عاطفة ، كما هو غالب شأنه ... ولكن العجيب أن الجبرتى يصف عثمان بيك في موقفه المشرف هذا بأنه « يدعى الورع » ، ثم يقول بعد ذلك بقليل انه « كان ما أراداه المولى جل جلاله ، من تعسة الانجليز ، والقطر وأهله » .

فهو بذلك يشئ بسريرته ، ويظهر حزنه المكثوم لحبوط الحملة الانجليزية على مصر .

ولا نستطيع ، على وجه القطع واليقين ، أن نتهم الجبرتى — لهذا أو لغيره — في عاطفته الوطنية أو الدينية ، وهى العاطفة الغالبة التى كان يحسها الناس اذ ذاك ويعرفونها .

ولكننا نلاحظ ، الى جانب حديثه عن عثمان بيك حسن ، أن الجنرال منو اختاره عضوا فى الديوان الأخير الذى ألفه . وكان منو أشد القادة الفرنسيين قسوة ، وأبعدهم فى العنف والجبروت على أهل مصر ، ونلاحظ أيضا أن الفرنسيين قبضوا على أربعة من أعضاء هذا الديوان ، عندما قدمت الحملة الانجليزية التركية ، ولم يقبضوا على الباقين من هؤلاء الأعضاء ، بل تركوهم ليحكموا بهم أهل مصر . وكان الجبرتى من هؤلاء الذين تركوهم ، وخصصوا لكل واحد منهم خادما يقوم على خدمته ، كما نلاحظ أيضا أن الجبرتى ، وهو يتحدث عن الثورات التى قام بها أهل القاهرة ضد الفرنسيين ، كان كأنه يلوم زعماءها على عنادهم وصلابتهم ، ويتهم بعضهم بأنه من الأغرار الأفاقين . أما سواد الناس من القائمين بالثورة ، فكان يسبهم أحيانا

« بالزعر » وأحيانا « بالخرافيش » ، ويصفهم بأنهم « حشرات الحسنية » ، وزعر الحارات البرانية « أى الذين يسكنون خارج أسوار القاهرة وأبوابها .

وقد يكون لطبيعته من الاعتدال ، والبعد عن العنف ، مدخل فى شعوره هذا وفى حديثه عن الثورة والثائرين ، كما كان لها أثر فى رأيه وسلوكه مع الفرنسيين . وقد يكون حبه للعلم ، وتقديره لما شاهد عند علماء الحملة الفرنسية من الكتب والآلات الهندسية والفلكية ، وما رآه المصريون ، لأول مرة ، من مظاهر الحضارة العلمية ... قد يكون ذلك مما أوجد فى نفسه آصرة من التقدير والقربى — ولا أقول المحبة — بينه وبين الفرنسيين .

وقد ذكر الجبرتى أنه كان يكتب تاريخه فى سنة ١٢٢٠ ، ذكر ذلك مرة فى تدوينه لحوادث سنة ١١٨٦ ومرة أخرى فى حوادث سنة ١١٩٠ . وهو لم يكتبه كله فى ذلك الوقت طبعا ، بل كتبه على فترات طويلة متباعدة .

تداول الكتاب وطبعه وترجمته

كان تاريخ الجبرتى ، أو جزء منه على الأقل ، متداولاً ، أو معروفا لبعض الخاصة . فانه يذكر فى ترجمة الشيخ عبد الله الشرقاوى أنه ألف كتابا فى تراجم فقهاء الشافعية ، فنقل تراجم المتأخرين منهم « من تاريخنا هذا بالحرف الواحد » .

وقد بقى الكتاب محجوبا ، أو ممنوعا ، حتى أذن الخديو توفيق بطبعه ، فطبع أول مرة فى سنة ١٢٩٧ هـ ، بالمطبعة الأميرية . وطبع الجزءان الثالث والرابع ، وفيه بعض من تاريخ محمد على ، أولا ، ثم الأول والثانى .

وقد ذكر الجبرتى ، فى ختام كتابه ، أنه سيفصل بعض المسائل فيما « سيتلى عليك ان شاء الله تعالى بكماله فى الجزء الآتى بعد ذلك » . ولعل هذه الاشارة هى التى جعلت بعض المؤرخين يعتقد أنه

والاشادة بذكره . وتوجد من هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٥ تاريخ . وترجم « عجائب الآثار » الى اللغة الفرنسية ، ونشر في تسعة أجزاء ، تضمنتها ثلاثة مجلدات ، وطبع بالمطبعة الأميرية بين سنتي ١٨٨٨ و ١٨٩٦ م وفهم بعض المؤرخين أن هذا التراخي كان سببه ما كتبه الجبرتي عن محمد علي . وقام بهذه الترجمة أربعة ، هم : شفيق بيك منصور يكن ، وعبد العزيز كحيل بيك ، وجبرائيل تقولا كحيل بيك ، واسكندر عمون أفندي .

وذكر هؤلاء في مقدمتهم لهذه الترجمة الفرنسية أن نوبار باشا هو الذي أوحى اليهم بفكرتها ، وأن يعقوب أرتين باشا كان معنا لهم في القيام بالمشروع . وترجم « عجائب الآثار » أيضا الى اللغة الروسية منذ سنين قريبة .

وللجبرتي كتب أخرى ، هي ، « مختصر تذكرة داود الأنطاكي » (١) ، في الطب ، وكتاب عن ألف ليلة وليلة يرجح أنه فقد . وذكر بعض المؤرخين أنه ، عندما قتل ابنه خليل ، كان يشغل بوضع كتاب عن الثورة اليونانية ، ولم يتمه .

وقد ذكر « بروكلمان » أن الجبرتي ترجم كتاب « سلك الدرر ، في أعيان القرن الثاني عشر » للسيد محمد خليل المرادي . وأعتقد أن هذا خطأ ، منشأه أن مصحح المطبعة الأميرية التي طبع فيها سلك الدرر (٢) قال في ختام الجزء الثاني أنه قد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب سلك الدرر لمحمد خليل المرادي ، « الذي ترجمه الجبرتي » . والواقع أنه قصد أن الجبرتي ترجم للسيد خليل المرادي ، لا أنه ترجم كتابه . وقد سبقني الى تحقيق ذلك الأستاذ خليل شيبوب (٣)

- (١) توجد منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٠٤ ط ٠ .
(٢) طبع سلك الدرر في مطبعة بولاق الأميرية سنة ١٢٩١ هـ .
(٣) هامش ص ٦٠ من كتابه « عبد الرحمن الجبرتي » .

كتب جزءا خامسا ، أحرق أو أعدم ، لاشتماله على أشياء ضد محمد علي وحكمه (١) . ولكن الأرجح أن الجبرتي لم يكتب بعد ذلك شيئا . ووجدت بعض النسخ بخطه وفيها « أن هذا هو آخر الجزء الرابع وبعده توفي الشيخ . ولم يكتب شيئا » . وتكرر طبع الكتاب بعد ذلك ، منفردا ، وعلى هامش التاريخ الكامل ، لابن الأثير . ونشر القسم الذي كتبه الجبرتي عن الحملة الفرنسية مستقلا بعنوان « تاريخ الفرنسيين في مصر » ، نشرته جريدة « مصر » بالاسكندرية في سنة ١٨٧٨ . وقام بنشره الأديب اللبناني أديب أسحق .

وترجم هذا القسم الى اللغة الفرنسية ، ترجمه مترجم القنصلية الفرنسية بمصر ، المسيو كاردان ، وطبع في سنة وفاته ١٨٣٨ م ، أي بعد موت الجبرتي بثلاث عشرة سنة . وقد رأينا من قبل أن هذا الجزء نفسه ترجم الى اللغة التركية ، بأمر السلطان سليم الثالث ، وجعل عنوانه « انقاذ مصر من الفرنسيين » . وما لاشك فيه أن محمدا عليا عرف ما سجله الجبرتي عن سيئاته ومساوئ حكمه ، وأنه جزع لذلك واستاء منه أكثر استياءه . وقد أراد أن يرد على الجبرتي ، من طلبة ، غير مباشر ، فطلب الى شيخ الأزهر ، الشيخ محمد العروسي (١) ، أن يكلف أحد العلماء بتأليف كتاب عن تاريخه يعارض فيه الجبرتي . فكلف الشيخ خليل بن أحمد الرجبي الشافعي الذي وضع كتابا ملاء بمدح محمد علي

- (١) ذكر جورجى زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية - الجزء الرابع - أنه « يقال ان عجائب الآثار ، بعد طبعه ، صدره حكومة الخديوى وحذفت منه ماكتبه ضد محمد علي » . ولكنى لم أجد ما يؤيد هذه الرواية ، او يساعد عليها . ونحن نرى ان الجبرتي قد كتب عن محمد علي في حرية واسعة ، وتناول شخصه ، وأخلاقه ، وتصرفاته بأشياء كثيرة . وان هذا الذي كتبه موجود في الطبعة المتداولة .
لذلك ، ولأسباب أخرى ، استبعد هذا الذي رواه جورجى زيدان بصيغة التضعيف .
وتقول دائرة المعارف الإسلامية أيضا ان نسخة سابقة على طبعة المطبعة الأميرية سنة ١٢٩٧ هـ ، « سورت واعدت » .
(١) تولى الشيخة سنة ١٢٣٣ بعد الشيخ الثنواي .

مخطوطات «عجائب الآثار»

يوجد في دار الكتب المصرية من عجائب الآثار ثلاث عشرة نسخة مخطوطة ، منها أربع كاملة ، وباقيها أجزاء وكراسات ناقصة .

وأحدث هذه المخطوطات الكاملة كتب في سنة ١٢٨٩ بخط أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى الشاهد . وفي الصفحة الأخيرة من الجزء الرابع أنه نقل من خط المؤلف ، وأنه لم يكتب بعد ذلك شيئاً . وينتهي بنهاية سنة ١٢٣٦ كما تنتهي النسخ المطبوعة .

وتلى هذه النسخة في القدم نسخة أخرى ، كتب الجزءان الأولان منها بخط محمد أحمد الشافعي ، والثالث بخط أحمد يونس ، أبو التيسير ، في سنة ١٢٨٧ ، والجزء الرابع كتب في نهايته أنه تم في ربيع الثاني سنة ١٢٨٩ ولم يذكر اسم الكاتب .

ثم نلى هذه نسخة أخرى كتبت في سنة ١٢٧٢ . بخط الحاج محمد حسين أحمد مصباح الشافعي الأزهرى . وفي آخر الجزء الرابع منها فهرس بأسماء المتوفين من الأعلام . ولكنه لا ينتهي بنهاية ما سجله الجبرتي في تاريخه (سنة ١٢٣٦) بل يمتد بهذه الأسماء وتواريخ وفاة أصحابها إلى سنة ١٢٧٢ ، تاريخ كتابة المخطوط ، ويبدو أن الذى أكمل هذه التواريخ هو الشيخ مصباح ناسخ المخطوط .

وأقدم هذه النسخ المخطوطة تمت كتابتها في سنة ١٢٦٢ (١) -- أى بعد وفاة الجبرتي بأحدى وعشرين سنة -- ولم يذكر اسم كاتبها . وكان هذا المخطوط ملكاً للرحوم محمود سامى البارودى باشا . مكتوب في الصفحة الأولى لكل جزء منه ما يلى : « من كتب الفقير اليه تعالى محمود سامى الشهير بالبارودى » ، وتاريخ سنة ١٢٨٥ ، ثم ختم باسم « محمود سامى » .

(١) مخطوط رقم ٢٢٨٧ تالونج ٥

والسطور الأخيرة من هذا المخطوط تتفق تمام الاتفاق مع النسخ المطبوعة ، ثم تنتهى بهذه الكلمات : « تم لسنة ست وثلاثين . ونقل هذا من نسخة بخط الجبرتي في ٢٥ ذى الحجة سنة ١٢٦٢ » .

وهناك جزء ثان فقط ، لم يذكر اسم كاتبه ، وفي نهايته أنه تمت كتابته في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٦٢ . أيضاً . وعلى صفحته الأولى أن المرحوم على قهسى نجل رفاعة بيك رافع الطهطاوى طالعه كله سنة ١٢٧٨ .

وقد راجعت صفحات هذه المخطوطات الأربعة الكاملة ، وهذا الجزء الثانى الأخير ، وقابلت كثيراً من صفحاتها مع صفحات المطبعة الأميرية ، فلم أجد سوى قليل جداً من الخلافات اللفظية ، أو من تقديم أو تأخير لبعض كلمات مما لا يزيد معنى أو ينقصه أو يبدله . وعنت ، بصفة خاصة ، بالجزء الأخير من كل من المخطوطات الكاملة ، والصفحات الأخيرة منها بصفة أخص ، لعلى أجد ما يفيد وجود زيادة ليست في النسخ المطبوعة ، فلم أجد .

وفي المكتبة الأزهرية من «عجائب الآثار» مخطوطان : الأول بخط خليل إبراهيم المعجوز ، انتهى من نسخه سنة ١٢٨٩ ، وهو في ثلاثة مجلدات . والثانى بخط محمد بن أحمد بن موسى الشاهد الحنفى الأزهرى ، ولم يذكر تاريخ الانتهاء من نسخه ، وهو في أربعة مجلدات . وكلا المخطوطين منقول عن نسخة بخط الجبرتي . وكلاهما أيضاً ينتهى بنهاية واحدة هذا نصها : « وهذا آخر الجزء الثالث ، أو الرابع . وبعده توفى الشيخ ، ولم يكتب شيئاً » . وهو ما ختمت به طبعة المطبعة الأميرية ، وطبعة المطبعة الشرفية . وتنتهى الحوادث التى أرخها الجبرتي في هذين المخطوطين بنهاية سنة ١٢٣٦ ، كما في النسخ

المطبوعة ، وكما هو الحال في جميع النسخ الخطية التي ذكرتها .

وقد راجعت وقابلت هذين المخطوطين ، كما فعلت بالمخطوطات الخمسة في دار الكتب ، فكانت النتيجة هنا مثلها هناك .

وهذا كله يؤيد ما ذهبت إليه من عدم وجود قسم ، أو جزء ، لم ينشر ، أو نشر ثم صودر ، كما روى جورجى زيدان ، بصيغة التضعيف .

وفي دار الكتب المصرية فهرس مخطوط لعجائب الآثار من عمل المرحوم أحمد تيمور باشا . يشمل الحوادث ، وأسماء الأعلام ، والنقود . وفهرس آخر من عمل المرحوم توفيق اسكاروس يشمل أسماء العلماء المذكورين في الكتاب ، مرتبة على الحروف .

وفي المكتبة التيمورية مخطوط لعجائب الآثار كتب في سنة ١٢٨١ . ويوجد مخطوط آخر من هذا الكتاب في مكتبة السيد الكتانى بفاس ، لم أستطع أن أعرف عنه شيئا . ولعل بعض الباحثين ، ممن يعنون بمثل هذا ، يعرفنا به .

مخطوطات « مظهر التقديس »

أما مظهر التقديس ففي دار الكتب المصرية منه مخطوطان : المخطوط الأول منهما كتب في سنة ١٢٢٤ (١) قبل وفاة الجبرتي بسبع عشرة سنة ، وبعد أن أتم تأليفه بسبع سنين وخمسة أشهر ، حيث ذكر أنه أتم تأليفه في شعبان سنة ١٢١٦ . وفي الصفحة الأولى من هذا المخطوط أسماء خليل رفعت ناشا . وخسرو باشا ، وكان أحد ولاية مصر في فترة من هذا التاريخ (من ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ الى ١٤ المحرم سنة ١٢١٨) . المخطوط في ١٤٥ ورقة ، أى ٢٩٠ صفحة كبيرة والمخطوط الثانى من مظهر التقديس كتب في سنة ١٢٩٣ .

(١) مخطوط رقم ١٠١ م تاريخ .

وقد طالعت ، بامعان ، المخطوط الأول ، الأقدم ، من مظهر التقديس ، وقابلته بما كتب الجبرتي في تاريخه عن دخول الفرنسيين مصر ، واقابمتهم فيها ، وخروجهم منها ، وتأريخه للسينوات الثلاث التي أقاموها بها ، فخرجت من هذه المقابلة بالملاحظات التي أخصها فيما يلي :

يذكر الجبرتي اسم الشيخ حسن العطار علي أنه شريك في تأليف الكتاب ، فهو يقول في أوله ، انه ألف كتابه وضم إليه ما كتبه الشيخ حسن العطار من النثر والشعر . ثم يقول عند اختياره اسم الكتاب « وسميناه » مظهر التقديس . وهو عندما ذكر ذلك عن تاريخه قال « سميت » عجائب الآثار . وعندما يورد بعض الشعر يقول انه « لصاحبنا الآتى ذكره » أو لصاحبنا السابق ذكره ، بعد أن ذكر اسم الشيخ العطار .

ولحن نعرف أن الجبرتي لم يقل الشعر .

بدأ الكتاب ، بعد حمد الله ، بمدح الدولة العثمانية الخاقانية ، ثم ربط بين الظواهر السماوية ، كخسوف الشمس وحركات النجوم ، وبين الجوادث الأرضية ، وذكر بعد ذلك قدوم الفرنسيين مصر ودخولهم فيها . مع أن مصر لم يغلبها غالب ، حتى التتار الذين هزموا جند الأرض كله ، كثيرا ما قهرهم جند مصر القاهرة ، حتى لم تقم لهم بعد ذلك قائمة

ثم يلوم المماليك على تهاولهم في تحسين الثغور ، والعناية بعدة الحرب ورجالها . ويورد شعرا ، أعقده أنه للشيخ العطار هو :

انما هم هذه البلاد لأقوا

م حموها بالصنارم المسلول

وأرى دولة المماليك ما

لت لضروب اللذات ، بالتحصيل

واغتنوا عن تجريد سيف ورمح

بقوام لدن ، وطرف كحصيل

التشفي والسرور عند ذكر هزيمتهم أمام مراد بيك في بعض المواقع ، ويسميه الملاحين .

ثم هو لا يذكر في مظهر التقديس ، ما ذكره في عجائب الآثار ، من أنهم كانوا يأجرون العمال على ما يقومون به من اصلاح أو انشاء . في طرقات القاهرة ومرافقها ، وأنهم كانوا يعطونهم أكثر من الأجر المعتاد .

وكذلك يطوى زيارته مقر علماء الحملة الفرنسية ، وإطلاع على ما كان فيه من الكتب والصور والرسوم ، ومشاهدته عندهم التجارب الطبيعية والكيميائية . وإباحتهم لأهل مصر أن يزوروا مقر هؤلاء العلماء ، وأن يفيدوا منه . وهي قطعة كبيرة نجدها في عجائب الآثار ونقتدها في مظهر التقديس .

ويسقط أيضا من مظهر التقديس — في ختام شهر شوال من سنة ١٢١٣ — قطعة ضمنها في العجائب ، بعض الأعمال والانشاءات التي قام بها الفرنسيون في القاهرة .

وحذف منه كذلك قطعة من رسالة نابليون التي وجهها الى أهل مصر يعلن فيها عدم استيلائه على عكا ، وأثبت قطعة كبيرة من قصيدة السيد على الصيرفي ، نزيل عكا في ذلك الوقت ، لم تذكر في العجائب .

وقد تضمنت هذه القطعة من القصيدة مطاعن كثيرة في الفرنسيين ، وفي نابليون .

ونجد في مظهر التقديس تعليقا على هذه القصيدة ، وتقدرا لها ، لعله من وضع الشيخ العطار ، تحدث فيه عن العروض ، والترصيع ، والوتد ، والزحاف . الى غير ذلك من مصطلحات هذا الفن . ونجد ، بعد ذلك ، استندراكا على الشاعر لأنه مدح أحمد باشا الجزار ، حاكم عكا ، على بلائه في صد نابليون عنها ، ولم يمدح الوزير يوسف باشا على جهاده .

ويلومهم كذلك على سلوكهم مع أهل مصر ، ومصادرة أموالهم ، والقسوة عليهم . ثم يذكر السلطان سليماً الثالث وتداركه مصر بتخليصها من الفرنسيين . ويذكر صدره الأعظم يوسف باشا بأوصاف لا تكاد تنتهي من المدح والتفخيم والاشادة والتعظيم .

وتجيء بعد ذلك مقدمة موجزة في التاريخ ، منذ بدء الخليقة ، ونزول أبي الأنبياء آدم ، وتوارد الرسل لهداية الناس ، والرسالة المحمدية الخالدة ، وملخص في غاية الإيجاز للخلفاء الراشدين ، والدول الإسلامية المختلفة التي أعقبتهم ، وفتوحاتها ، وما جرى بعد ذلك من وقائع حتى دخل العثمانيون مصر .

ثم يبدأ بسرد حوادث الحملة الفرنسية من اليوم العاشر من المحرم سنة ١٢١٣ ، ومن هنا يبدأ في الاتفاق مع ما كتبه في عجائب الآثار ، ماعدا خلافاً يسيرة ، وتكرار لبعض الفقرات والجميل .

وبعد أن أورد الكتاب منشور نابليون الذي وجهه الى المصريين بعد دخوله الاسكندرية ، أخذ يناقش هذا المنشور ويعلق عليه ، ويفسره . وهذه أشياء لا توجد في عجائب الآثار .

وفي هذه المناقشة وهذا التفسير ، يحمل مظهر التقديس حملات قاسية على نابليون والفرنسيين . ولا تقتصر خصومة الجبرتي للفرنسيين في مظهر التقديس ، وعنفه عليهم ، على هذه المناقشة ، بل نجد الروح التي تسيطر عليه هنا مختلفة عن تلك التي كتب بها في عجائب الآثار . ونجد الطابع الذي يتميز به مظهر التقديس ، من هذه الناحية ، مغايراً الى حد بعيد لذلك الطابع الذي نجده في العجائب فهو ، في مظهر التقديس ، ينعتهم بأوصاف الجهل ، والنفاق ، والخداع ، والظلم ، والخروج على جميع الأديان . ويتمنى زوال دولتهم ، ويظهر

حرية وبراعة ، وعملا بقول من قال : الصرب خدعة !

ومن الزيادات التي تلفت النظر ، ما ذكر في مظهر التقديس (١) من أن نابليون عندما دخل عليه الشيخ السادات باستدعاء منه « صار — أى نابليون — يقبل يده تارة ، وركبته أخرى » .

وقد أسقط الجبرتي من مظهر التقديس ، ما سجله في العجائب ، من عدوان الجند العثماني على أهل القاهرة ، بعد عودتهم اليها . مع أنه يقول في العجائب وهو يصف عدوانهم على الناس ، وهم في ثورتهم على الفرنسيين ، ان أهل البلاد « تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيين على حالتهم التي كانوا عليها » .

كما يسقط رسالة عنيفة وجهها الشيخ السادات الى كتخدا الدولة ، يزجره فيها على عدوان جنده .

كذلك نجد في العجائب كثيرا من الآيات القرآنية الكريمة التي تخوف من عاقبة الظلم ، ثم لا نجد لها في مظهر التقديس ... كأنما خشي أن يفهم ذكرها على أنه تعريض بالعثمانيين . وكذلك لم يذكر الضرائب والمغارم التي فرضها الفرنسيون على علماء القاهرة وأعيانها ، جزاء اشتراكهم أو تحريضهم على الثورة ، ومناقشة كليبر لهم في ذلك وعند ذكره لمقتل الجنرال كليبر ، أسقط

السجل الذي أثبتته في العجائب عن مناقشة قاتله ، سليمان الحلبي ، ومحاكمته ، وأقوال الشهود ، والأحكام التي صدرت بأعدامه واعداد شركائه الثلاثة ، وأمر القائد العام الجديد ، الجنرال منو ، بتنفيذ هذه الأحكام ، ووصف هذا التنفيذ .

ومن الملاحظات الجديرة بالناية ، أنه عندما ذكر انشاء الديوان الثالث ، الذي أمر منو بتشكيله من العلماء وحدهم ، أسقط أسماء أعضائه

(١) ورقة ٢٢ .

ثم يدافع عن العثمانيين عندما يذكر نابليون في منشور له ، أن دولتهم في مصر قد دالت . ويقسو عليه في ذلك أشد القسوة .

وتحارب العثمانيون والفرنسيون في الاسكندرية ، فهزم الأولون ، وأسر قائدهم مصطفى باشا ، وكبير منهم هو عثمان خوجا ... فيذكر ذلك في العجائب ، ولكنه ، في مظهر التقديس ، يزيد عليه عزاءه للعثمانيين ، وتهوين الأمر عليهم .

ثم يسقط من مظهر التقديس ما يدل على ضعف العثمانيين ، أو فساد تدبيرهم ، بعد عقد الصلح مع الفرنسيين .

ومن الملاحظات الخاصة بالصياغة ، ولكنها ذات دلالة ، أنه عندما يذكر نابليون في عجائب الآثار ، يصفه بأنه « سارى عسكر » الفرنسيين ، أى قائدهم العام . وعندما يذكره في مظهر التقديس ، يقول « كبير الفرنسيين » . وكذلك يقول في عجائب الآثار ، عن معسكر العثمانيين « عرضى الوزير » ، وفي مظهر التقديس « عرضى هميون » أى المعسكر السلطاني .

وفي نص واحد نجده يذكر نابليون في عجائب الآثار باسم « بونا برته » وفي مظهر التقديس بقوله « اللعين » .

ومن لطائف هذه الفروق ، بين « عجائب الآثار » و « مظهر التقديس » ، أنه يذكر خروج الجيش العثماني الى الصالحية ، بعد فشل الصلح ، وابتداء الحرب بينهم وبين الفرنسيين ... يذكر ذلك في العجائب ، فيقول ان سببه ضعف هذا الجيش واشتغال جنده بجمع المال من البلاد ، وظلم الناس ومصادرتهم .

ويذكر ذلك ، في مظهر التقديس ، فيقول ان سببه الحرص على شروط الصلح وأنه كان حكمة

التسعة . وقد ذكرهم في العجائب وأشار الى نفسه فيهم بقوله « وكاتبه » .

وكذلك أسقط من مظهر التقديس الوصف الذى أثبتته في العجائب جلسة هذا الديوان الأولى . وكان ديجنت كبير الأطباء الفرنسيين ، ألف رسالة في علاج الجدري ، لعله أهداها الى الجبرتي . فوصفها في العجائب بأنها « لا بأس بها في بابها » . ولكنه في مظهر التقديس يسقط وصفه لها . وهو لا يذكر أيضا تخفيف الفرنسيين لبعض الاتاوات التى كان الوالى والمحتسب يفرضانها على أهل القاهرة . ولا يذكر خبر قدوم الانجليز الى أبى قير ، وحربهم الفرنسيين .

ونجد عند ذكره أبناء عودة العثمانيين للقاهرة شيئا غير قليل من الاختلاف والتغيير ، واسقاطا لحوادث اعتدى فيها جندهم على بعض البائعين من أهل القاهرة ... غصبوهم بضاعتهم ، فلما طولبوا بشمنها ، قتلوهم وقتلوا غيرهم ، حتى رجال الأمن والشرطة .

ثم نجد — بعد وصفه موكب الصدر الأعظم حين دخل القاهرة — قطعة أعتقد أنها من انشاء الشيخ العطار ، فيها ذكر لكبار العثمانيين الذين قدموا معه ، وفيها قصيدة للشيخ أيضا أولها :

انما العز في متون الجياد
مع بيض الظبا ، وسمر الصعاد
وهى ثلاثة وثلاثون بيتا . وفي هذه القطعة من النثر ، نجد كل اسم من أسماء هؤلاء القادمين ، مسبوقا بطوفان من ألقاب التعظيم والمدح والتفخيم .

وعندما استقر الأمر للعثمانيين ، فرضوا على تجار القاهرة مغارم ، ذكرها في العجائب ، وطواها في مظهر التقديس . كما طوى أخبارا أخرى عن بعض المماليك ، وعزل القاضى التركى ، وقتل بنت

السيد خليل البكرى ، ومشاجرات وقعت من الجند العثمانى على أهل القاهرة . كما أسقط اشتغال هؤلاء الجند بالبيع والشراء وتستر قاداتهم عليهم ، بل دفاعهم عنهم ، لأنهم ألقوا مصر من الفرنسيين ... ١

وفي الشهور الثلاثة الأخيرة من الكتاب ، نجد كثيرا من الأخبار قد حذف ، ونجد بدلا منها أبناء قدوم السادة من كبار العثمانيين ، مثل محمد أفندى شريف ، دفتر دار الدولة . ويذكر في قدومه شعرا ، وقدوم كئخداه — نائبه — عثمان أفندى ، وشمس الدين بيك ، أمير أخور (١) ، ومرجان أغا ، والقاضى مصطفى أفندى دباغ زاده . ولا يذكر ، بعد ذلك ، فى حوادث شهر ربيع الآخر سنة ١٢١٦ ، سوى عودة المحمل . ويسقط القرارات والأوامر التى أصدرتها الدولة بشأن الأموال والضرائب .

ونجد بعض حوادث هذه الشهور الثلاثة فى غير موضعها . ويذكر فى هذه الشهور بعض اعتداءات الجند العثمانى ، وكف الصدر الأعظم لهم عندما علم ذلك .

ثم يسجل كتابا ، نجده فى العجائب ، موجها من السلطان الى عرب البحيرة ، بأن يكفوا عن قطع الطريق ، والعدوان على الناس . وجوابا كتبه الشيخ اسماعيل الخشاب ، على لسان هؤلاء العرب ، بأنهم سيلزمون الطاعة . وهو موجه الى « الصدر الأعظم يوسف باشا ، بلغه الله من المراتات ما شا » . وتاريخ هذا الجواب اليوم الثانى والعشرون من شعبان سنة ١٢١٦ ، وبه تنتهى حوادث مظهر التقديس .

ونجد فى « مظهر التقديس » شيئا قليلا من التغيير والاختلاف عن « عجائب الآثار » ، ولكنه تغيير واختلاف قليل القدر والأهمية . كما نجد بعض الزيادات القليلة أيضا ، غير ما سجلنا من

(١) أمير المداود ، الموكل بملف الدواوين .

وبعد ذلك شعر في مدحه ، لا بأس به ، وفي
تهنته بشهر الصوم لا بأس به أيضا ، ويجيء ، بعد
الدعاء الكثير ، بيتا التأريخ :

سعد تاريخنا باقبال صدر
بمعالي ثنائه مسطور

فلهذا يقول بشرى ، أرخ
باجتناء السرور جاء الوزير
وقد تم تأليفه في نهاية شهر شعبان من سنة
١٢١٦ .

وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة في غرة
المحرم من سنة ١٢٢٤ .

ونستطيع بعد ذلك أن نسجل أن الفروق التي
نجدها في مظهر التقديس ، عن العجائب ، مردها
الى المناسبة التي ألفت فيها الكتاب .

فهو عندما دون ما كتب عن الفرنسيين في عجائب
الآثار ، كانوا ما يزالون يقيمون في مصر ، وهم
أصحاب الحول فيها والسلطان . فهو ، في هذه
الحالة ، تتخذ سبيل السلامة ، ويأخذ بالمدارة
والنقطة ، فلا يتعرض لهم بدم أو ملامة .

وهو ، في الوقت نفسه ، يترجم عما في ضميره
من تقدير لهم ، وعطف عليهم ، نلمسه في غير موضع
من العجائب ، ونذكره من صلاته بهم ، ولو أنه
حرص على سترها شيئا ما .

وهو عندما كتب — مع صديقه العطار —
« مظهر التقديس » ، كان الفرنسيون قد تركوا
مصر ، ولم يبق لهم فيها حول ولا سلطان ، بل
عاد السلطان فيها لخصومهم العثمانيين . ومظهر
التقديس يؤلف لصدر من صدور الدولة . عند
ذلك كتب الجبرتي والعطار ما كتبنا في مذمة
الفرنسيين ونابليون ، ووصفاهم بما وصلنا .

وما أسقطه من الكتاب أمور لا تهم الصدر
الأعظم ولا تهم الدولة .

قبل ، كزيادته مدح قائد الجيش التركي ، مصطفى
باشا ، الذي أسره الفرنسيون ، لمناسبة اخراجه من
الأسر ، ثم سفره بعد ذلك الى دمياط وموته فيها .
وزيادته تقييح الفرنسيين ، وسبهم في بعض
المناسبات ، ووصفه بعض كبارهم بأنه « كلب »
وزيادته قطعة من النثر والشعر للشيخ حسن
العطار ، وصف فيها بركة الفيل ، وذكر ما أصابها
من التخريب على يد الفرنسيين ، عند الثورة
عليهم

ومع أنه أسقط من سنتي ١٢١٣ و ١٢١٤ التراجم
التي سجلها في ختام كل سنة من العجائب ، لمن
ماتوا فيها . فقد ذكر ، في حوادث الشهور ، بعض
الوفيات ، ك وفاة ولدي الشيخ أحمد الجوهري
— محمد ، وعبد الفتاح — والأمير مراد بيك ،
والشيخ عبد القادر المغربي . وفي ختام سنة ١٢١٥
بترجم لمن ماتوا فيها ، ولكنه يسقط تراجم العلماء ،
ويسجل تراجم المماليك والأمراء .

ويجد كذلك قصيدة للشيخ حسن العطار في
مدح الشيخ عبد القادر المغربي .

وما عدا هذه الفروق ، نجد مظهر التقديس
متققا مع عجائب الآثار : في الحوادث ، والصياغة ،
والترتيب .

وفي نهاية مظهر التقديس خاتمة تتلخص في أنه
من الأوفق أن يجعل ختامه شهر رمضان ... تيمنا
به ، وإشارة الى أن وجود الصدر الأعظم ، الذي
ألف يرسمه الكتاب ، في الأيام ، كوجود شهر
الصيام في الأعوام ، يزيل الفساد ، ويكثر العبادة ،
وتنجبر به القلوب ، وتخلص النيات في كل مرغوب .
ولأن فيه ليلة القدر ، والصدر الأعظم شبيه بها في
أن الأمة المحمدية تترقب ظهوره من مدد متطاولة ،
ولأن قدومه مصر كقدوم العيد في نهاية شهر
رمضان .

العصر الذى أُرْضِهَ البحريّ

- ١ — عصر المماليك البحرية ، أو التركية .
- ٢ — عصر المماليك البرجية ، أو الشراكسة .
- ٣ — عصر المماليك العثمانيين ، أو البكوات .

المماليك البحرية (التركية)

سمى المماليك البحرية بهذا الاسم لأنهم ، فى مدة حكم الملك الصالح أيوب (٦٣٧ — ٦٤٧ هـ ١٢٤٠ — ١٢٤٩ م) ، ابتنى لهم دورا كبيرة ، ومعاقل متينة ، عند الروضة ، حيث يتفرع « بحر » النيل فرعين ، وحيث يسمى « البحر الكبير » . وليس الصالح أيوب أول من أوجد هذه الطائفة من المماليك ، ولا هو الذى أطلق عليها هذا الاسم — مع ما أجمع عليه المؤرخون من نسبة ذلك اليه . ذلك أنه كان لدى السلطان الكامل — وهو أبو الصالح أيوب وسلفه فى الحكم بمصر — طائفة من الأجناد اسمها « البحرية العادلية » ، نسبة الى أبيه السلطان العادل ، كما أن الفرفة التى أنشأها الصالح أيوب نفسه كانت تعرف باسم « البحرية الصالحية » ١ .

وجعل الصالح أيوب تلك الطائفة من المماليك حرسه الخاص ، وأسكنها قلعة الروضة من دون طوائف المماليك الأخرى . واستعملهم فى دفع الحملة الصليبية التى قدمت مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ٢ .

(١) الدكتور محمد مصطفى زيادة ، « بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر » — مجلة كلية الآداب ، المجلد الرابع ، الجزء الأول .
(٢) المصدر السابق »

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين ، وبعد فما هو ذا الكتاب الأخير من طبعة كتاب الشعب « المختار من تاريخ الجبرتي » الذى أسماه مؤلفه الشيخ عبد الرحمن الجبرتي « عجائب الآثار ، فى التراجم والأخبار » ، وعرض فيه تاريخ مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للهجرة (معظم السابع عشر ، والثامن عشر جميعه ، وأوائل التاسع عشر للميلاد) ، مع المامه الماما عاجلا بالفترة السابقة .

ومع أننا — للأمانة العلمية — قد أطلقنا على طبعة كتاب الشعب « المختار من تاريخ الجبرتي » ، فإن هذا لا ينطبق انطباقا كاملا إلا على الكتاتين الأولى والثانى ، أما فى الكتب السبعة التالية ، فإن اغفالنا سطرًا أو بعض سطر ، أو لفظًا واحدًا فى بعض الأحيان ، لم يكن إلا لضرورة فرضها الاختلاف بين روح عصرنا وروح العصر الذى وضع فيه الكتاب . وما أغفل نشره منذ بدء الحملة الفرنسية حتى آخر الكتاب لا يبلغ فى مجموعه سطورًا قليلة لم يكن من اغفالها مناص لما سبقت الإشارة اليه من دواعى وضرورات .

لمحة تاريخية

حكم المماليك مصر منذ منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، الى أن عدا عليها بونابرت فى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد . وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم عهد المماليك فى مصر الى ثلاثة عصور :

السلطان حسن (ثانية) ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م)
 المنصور بن المظفر حاجي ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م)
 الأشرف شعبان ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م)
 المنصور علاء الدين ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م)
 زين الدين حاجي ٧٨٣ هـ (١٣٨١ م)

المماليك البرجية (الشراكسة)

بدأ قيام طائفة المماليك البرجية في أيام السلطان
 قلاوون ، ثامن سلاطين دولة المماليك البحرية
 (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) .

وبدأت دولة المماليك البرجية — أو الشراكسة
 — بتولى السلطان الظاهر برقوق الشركسي
 (٧٨٤ — ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ — ١٣٩٨ م) .

وانفردت هذه الطائفة من المماليك بالانتساب
 الى أمة من الأمم . أما من عداها — منذ نشأة
 طائفة المماليك في أواخر الدولة العباسية ، الى أن
 دالت دولتهم بعد مذبحة القلعة في عهد محمد علي
 — فلم ينتسبوا الى جنس بعينه ، ولا انضموا الى
 أمة بذاتها ، بل كانوا خليطاً من بنى الأمم
 المختلفة يباعون ويشترون ، ويجلبهم النخاسون
 والقراصنة من حيث يقعون عليهم : تارة من التتر
 والمغول والشراكسة ومن اليهم من الشعوب التي
 تسكن شواطئ بحر قزوين ، وتارة من جزر بحر
 ايجة وسائر جزر البحر الأبيض المتوسط ، وتارة
 أخرى من اليونان وغيرها من البلاد الأوربية التي
 تشرف على البحر المذكور .

ويتجاوز المؤرخون كثيراً حين يطلقون اسم
 « المماليك » على سلاطين الشراكسة . فكل من
 تولوا السلطنة بعد برقوق لم يكونوا « مماليك »
 في يوم من الأيام ، بل انهم شبوا — في العز
 والامارة — أولياء عهد للسلطنة ، يتولاها الخلف
 منهم عن السلف .

ولما مات الملك الصالح (٦٤٧ هـ — ١٢٩٤ م) ،
 أخفت زوجه شجرة الدر موته ، ودبرت الأمور
 حتى حضر ابنه توران شاه وولى السلطنة ، ثم
 دبت الوحشة بينه وبين مماليك أبيه ، فتعصبوا
 عليه وقتلوه بفارسكور ، وقلدوا في السلطنة
 شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت . وشجرة الدر
 هي آخر الدولة الأيوبية .

وتولى السلطنة بعدها عز الدين أيبك التركماني ،
 وهو أول السلاطين من دولة المماليك البحرية أو
 التركية .

وسلاطين هذه الدولة هم :

عز الدين ايبك التركماني ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م)
 المنصور ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م)
 المظفر قطز ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م)
 الظاهر بيبرس ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)
 السعيد ناصر الدين ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م)
 العادل سلامش ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م)
 المنصور قلاوون ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م)
 الأشرف خليل ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م)
 الناصر محمد ٦٩٣ هـ (١٢٩٣ م)
 كتبغا العادل ٦٩٤ هـ (١٢٩٤ م)
 المنصور لاجين ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م)
 الناصر محمد (ثانية) ٦٩٨ هـ (١٢٩٩ م)
 المظفر ركن الدين الجاشنكير ٧٠٨ هـ (١٣٠٩ م)
 الناصر محمد (ثالثة) ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م)
 المنصور الرابع ٧٤١ هـ (١٣٤١ م)
 الأشرف كوجك ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م)
 الناصر شهاب الدين ٧٤٢ هـ (١٣٤٢ م)
 الصالح عماد الدين ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م)
 الكامل شعبان ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م)
 المظفر حاجي ٧٤٧ هـ (١٣٤٦ م)
 السلطان حسن ٧٤٨ هـ (١٣٤٦ م)
 الصالح صلاح الدين ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م)

وملاطين الممالك الشراكسة هم :

الظاهر برقوق	٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م)
الناصر فرج	٨٠١ هـ (١٣٩٩ م)
المنصور عبد العزيز	٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م)
الناصر فرج (ثانية)	٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م)
المستعين بالله	٨١٥ هـ (١٤١٢ م)
الشيخ المحمودى (المؤيد)	٨١٥ هـ (١٤١٢ م)
المظفر أحمد بن المحمودى	٨٢٤ هـ (١٤٢١ م)
الأشرف برسباى	٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م)
العزيز يوسف	٨٤١ هـ (١٤٣٨ م)
الظاهر جقمق	٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م)
المنصور عثمان	٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)
الأشرف اينال	٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)
المؤيد أحمد	٨٦٥ هـ (١٤٦١ م)
الظاهر خوشقدم	٨٦٥ هـ (١٤٦١ م)
الظاهر يلماى	٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م)
تيمور بغا الظاهرى	٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م)
الأشرف قايتباى	٨٧٢ هـ (١٤٦٨ م)
الناصر محمد بن قايتباى	٩٠١ هـ (١٤٩٦ م)
الظاهر قانصوه الأشرفى	٩٠٤ هـ (١٤٩٨ م)
الأشرف جنبلط	٩٠٥ هـ (١٥٠٠ م)
الغادر طومان باى	٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م)
قانصوه الغورى	٩٠٦ هـ (١٥٠١ م)
طوماى باى الثانى	٩٣٢ هـ (١٥١٦ م)

وكانت مصر طوال أيام هاتين الدولتين

— الممالك البحرية والشراكسة — دولة مستقلة ، لا تدفع جزية ولا خراجا لدولة أجنبية . وكان بمصر ، أحيانا ، خليفة عباسى ، يعيش فى كنف السلطان المملوكى ، فيضفى على حكمه صبغة شرعية ، غير أن هذا كان أمرا شكليا لا وزن له من الناحية العملية .

وفى عهد السلطان قانصوه الغورى عدا السلطان

سليم على الشرق ، فخرج الغورى للقائه عند مرج دابق قرب حلب . ولم يستطع العادى التركى انزال الهزيمة بالجيش المصرى الا بالغدر والخيانة ، ذلك أنه اتصل باثنين من أمراء الغورى الخونة — هما خير بك والغزالى — فخذلا مولاها ، وخانا بلادا أحسنت اليهما ، ومكنا سليما من أرض الشام ومصر .

وتولى بعد الغورى ، طومان باى ، فوقف لسليم يصد زحفه ، ولكنه تمكن منه بسلاح الغدر مرة أخرى ، وسلم الخونة طومان باى الى سليم ، فسجنه ، ثم أعدمه على باب زويلة .

العصر العثمانى ، والولاة الأتراك

وبموت طومان باى (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م) ، انتهت دولة الممالك الشراكسة . وباستسلام جيوشه ، أصبحت مصر ولاية عثمانية ، تؤدى الخراج لعاصمة امبراطورية آل عثمان — أو « الديار الرومية » كما يسميها الجبرتى ١

وكافأ السلطان سليم ، الخائن « خير بك » ، فأقامه نائبا عنه فى مصر ، أو « واليا » عليها ، أو « مندوبا ساميا » لتركيا . فكان أول « الولاة » أو « الباشوات » الذين تولى منهم فى ٢٨٨ عاما (بين ١٥١٧ و ١٨٠٥ م) مائة وأربعة وعشرون واليا ، متوسط بقاء الواحد منهم فى الولاية نحو العامين ، وكثيرا ما تولى منهم فى العام الواحد واليان ١

وهؤلاء الولاة العثمانيون هم ١ :

خير بك (ولقب بالباشا)	١٥١٧ م
مصطفى باشا	١٥٢٢ م
أحمد باشا	١٥٢٣ م
قاسم باشا	١٥٢٤ م

١ — رجعنا فى أسماء هؤلاء الولاة الى مصدرين عربيين ، أحدهما قديم ، والآخر حديث ، ومصدر أفرنجى فلم نجدنا متفقة تمام الاتفاق ، فإينسا بار جحها .

م ١٦٢٢	ابراهيم باشا	م ١٥٢٥	ابراهيم باشا
م ١٦٢٣	مصطفى باشا (ثانية)	م ١٥٢٧	سليمان باشا الخادم
م ١٦٢٧	پيرام باشا	م ١٥٣٨	داود باشا
م ١٦٢٩	محمد باشا	م ١٥٤٩	على باشا
م ١٦٣٠	موسى باشا	م ١٥٥٤	محمد باشا زاده
م ١٦٣١	حسن بيك (مؤقتا)	م ١٥٥٦	اسكندر باشا
م ١٦٣١	خليل باشا البستانجى	م ١٥٦١	على باشا الخادم
م ١٦٣٣	أحمد باشا الكورجى	م ١٥٦١	مصطفى باشا الثانى
م ١٦٣٦	حسين باشا	م ١٥٦٣	على باشا الصوفى
م ١٦٣٨	محمد باشا أحمد	م ١٥٦٦	محمود باشا
م ١٦٣٩	مصطفى باشا البستانجى	م ١٥٦٧	سنان باشا
م ١٦٤٠	مقصود باشا	م ١٥٧٣	جسين باشا
م ١٦٤٥	سفيان بيك (مؤقتا)	م ١٥٧٥	حسين باشا مسيح
م ١٦٤٥	أيوب باشا	م ١٥٨٠	حسن باشا الخادم
م ١٦٤٧	محمد باشا حيدر	م ١٥٨٣	ابراهيم باشا
م ١٦٤٨	أحمد باشا	م ١٥٨٤	سنان باشا الثانى
م ١٦٥١	عبد الرحمن باشا	م ١٥٨٥	عويس باشا
م ١٦٥٢	محمد باشا السلحدار	م ١٥٩١	أحمد باشا الخادم
م ١٦٥٦	عمر باشا	م ١٥٩٥	قورط باشا (أوكرد)
م ١٦٦٦	أحمد باشا	م ١٥٩٦	محمد باشا الشريف
م ١٦٦٧	ابراهيم باشا	م ١٥٩٨	خضر باشا
م ١٦٧٤	حسين باشا	م ١٦٠١	على باشا السلحدار
م ١٦٨٠	عثمان باشا	م ١٦٠٤	ابراهيم باشا
م ١٦٨٨	حسين باشا السلحدار	م ١٦٠٥	محمد باشا الكورجى (الخادم)
م ١٦٩٠	أحمد باشا	م ١٦٠٥	حسن باشا
م ١٦٩١	على باشا قليج	م ١٦٠٧	محمد باشا
م ١٦٩٦	اسماعيل باشا	م ١٦١٢	محمد باشا الصوفى
م ١٦٩٨	حسين باشا	م ١٦١٣	أحمد باشا الدفتردار
م ١٦٩٩	أحمد قره محمد باشا	م ١٦١٧	مصطفى باشا لطفى
م ١٧٠٤	محمد رامى باشا	م ١٦١٨	جعفر باشا
م ١٧٠٦	على مسلم باشا	م ١٦١٩	مصطفى باشا
م ١٧٠٧	حسين باشا كتخدا	م ١٦٢٢	محمد باشا
م ١٧٠٩	ابراهيم باشا القبودان		

م ١٧٧٠	أحمد باشا	م ١٧١٠	خليل باشا
م ١٧٧٠	قره خليل باشا	م ١٧١١	ولى باشا
م ١٧٧٤	مصطفى باشا النابلسى	م ١٧١٥	عابدين باشا
م ١٧٧٥	ابراهيم باشا عرب كيرلى	م ١٧١٧	على باشا الأزميزلى
م ١٧٧٦	محمد باشا عزت	م ١٧١٨	رجب باشا
م ١٧٧٨	اسماعيل باشا	م ١٧٢٠	محمد باشا الباشيمى
	ابراهيم باشا (مات قبل أن يتولى ، فظل		على باشا (لمدة شهرين خلال مدة
م ١٧٧٩	اسماعيل باشا فى الولاية)	م ١٧٢٥	حكم محمد باشا)
م ١٧٨١	محمد باشا مالك	م ١٧٢٩	باكير باشا
م ١٧٨٢	على باشا القصاب	م ١٧٢٩	عبد الله باشا الكبورلى
م ١٧٨٣	محمد باشا السلحدار	م ١٧٣٢	محمد باشا السلحدار
م ١٧٨٥	محمد باشا يكن	م ١٧٣٣	عثمان باشا الحلبي
م ١٧٨٧	عابدين باشا الشريف	م ١٧٣٥	باكير باشا (ثانية)
م ١٧٨٩	اسماعيل باشا الثونسى	م ١٧٣٦	مصطفى باشا
م ١٧٩١	محمد باشا عزت	م ١٧٣٩	سليمان باشا ابن العظم
م ١٧٩٤	صالح باشا القيصرلى	م ١٧٤٠	على باشا حكيم اوغلى
م ١٧٩٦	أبو بكر باشا الطرابلسى	م ١٧٤١	يحيى باشا
م ١٨٠١	خسرو باشا	م ١٧٤٣	محمد باشا اليدكشى
م ١٨٠٢	طاهر باشا	م ١٧٤٥	محمد راغب باشا
م ١٨٠٢	أحمد باشا	م ١٧٤٨	أحمد باشا كور وزير
م ١٨٠٣	على باشا الجزائرلى	م ١٧٥٠	شريف عبد الله باشا
م ١٨٠٤	خورشيد باشا	م ١٧٥٣	محمد أمين باشا
م ١٨٠٥	محمد على باشا	م ١٧٥٣	مصطفى باشا
	وكانت تركيا تحرص على بقاء نفوذ المماليك ،	م ١٧٥٦	على باشا حكيم أوغلى (ثانيا)
	الى جانب نفوذ الولاة : خوفا من استقلال أحد	م ١٧٥٨	محمد سعيد باشا
	ولائها بمصر .	م ١٧٥٩	مصطفى باشا
	وحين جاشت المطامع فى صدر محمد على وأراد	م ١٧٦١	أحمد كامل باشا
	الاستبداد بالأمر فى مصر ، والاستقلال عن تركيا ،	م ١٧٦٢	باكير باشا
	لم يجد مناصا من التخلص من المماليك ، فدبر لهم	م ١٧٦٢	حسن باشا
	مذبحة القلعة التى أفنى فيها منهم من أفنى ، وشرّد	م ١٧٦٥	حمزة باشا
	الباقين فى البلاد ، فلم تقم لهم من بعد ذلك اليوم	م ١٧٦٧	محمد راقم باشا
	قائمة .	م ١٧٦٨	محمد باشا الأورفلى

شرح لبعض المصطلحات الواردة في تاريخ الجبرتي

اشاير
الأعلام التي يحملها أصحاب الطرق الصوفية .
أغا بيت المال
صاحب بيت المال .
أغاسي
رتبة عسكرية تعادل « صاغ » .
أغا الطواشين
رئيس البوليس .
أغات تفكجية
له رئاسة الجند المسلحين .
أغات جمليان
جمليان : طائفة من الفرسان ، وأغات جمليان ،
رئيس الفرسان .
أغات مستحفظان
مدير السجلات .
أغات الانكشارية
أى قائد الجند الانكشارية ، وهم الطائفة من
الجند التى يطلق عليها أحيانا « الينكجيرية » .
أفندية
جمع أفندى فى التركية بمعنى صاحب ومالك
ومولى وسيد ، والرجل الرقيق الحاشية ، الدمث
الطباع ، والقارىء والكاتب بصفة عامة ، والعالم
ورب القلم ، وهو عنوان تعظيم فيقال : فلان باشا
أفندى أو فلان بيك أفندى وكانت تطلق على كتاب
ديوان الروزنامة . وكبير الأفندية هو الروزنامجى
والحاكم عليهم ، وخدمته تحصيل الأموال الأميرية
وصرفها فى مرتباتها المرتبة بموجب دفتر . وكان
الباشا يعينه بموافقة شيخ البلد والصناجق ورؤساء
الأوجاقات .

إعاديات
هى الأراضى البور أو غير المزروعة .
أتك
ذيل الثوب . ويقبل أتكه : أى ذيل ثوبه .
أراضى الاثر
الأرض التى يتوارثها الأبناء عن الآباء ولصاحبها
حق التصرف فيها بالبيع والشراء .
أرباب الدرك
رجال البوليس .
أرباب العكاكيز
أصحاب الطرق الصوفية .
أرض الشراقى
الأرض التى ينحسر عنها الماء وتبقى بلا زراعة
أروام
يقصد بهم الأتراك .
اسباهية
الخيالة . أطلقت على الأوجاقات الثلاثة :
جمليان ، وتفكشيان ، وجراكسة . ومهمتها
فى القاهرة : الاشراف التام على الباشا ورجاله
بواسطة كبراء الأوجاقات المقيمين فيها ، وفى الأقاليم
بواسطة من يقيم فى الأقاليم من رجال هذه
الأوجاقات وبخاصة الجوربجية .
استادار
إليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ
والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذى كان
يمشى بطلب السلطان فى السرحات والأسفار ،
وله الحكم فى غلمان السلطان وباب داره واليه
أمور الجاشنكيرية .

* استعنا فى كثير مما ورد فى هذا الجزء بمقال نشر فى عدد
مايو ١٩٣٦ من مجلة كلية الآداب للمؤرخ الكبير الأستاذ شفيق
فريال ، باذن كريم منه .

أكاديش

الخيول غير العربية .

الجي

مأخوذة من الفارسية « ايلجى » ومعناها سفير .

الضاشات

أتباع .

أمراء شين اغلى

وأحدهم : رئيس بضعة من الأمراء المماليك

أمير اخور

أمير المذاود الموكل بعلف الدواب .

أمير الحج

وظيفته مرافقة الحجاج وتوزيع الصدقات

والهدايا التي ترسل سنويا الى الحرمين الشريفين .

أمين الاحتساب

المستول الأول عن التموين والأسعار .

أمين البحرين

المشرف على الرسوم المفروضة على الغلال

الواردة على ساحلى بولاق ومصر العتيقة وله

الاشراف على السفن التي تسير في النيل

والبحيرات .

أمين الخردة

هو المشرف على جميع الرسوم المفروضة على

الملاهي وما إليها .

أمين الشون

وينتسب الى أوجاق الجاوشان . ويطلق عليه

أيضا « اسم أمين الأنبار » . يشرف على شون

الغلال الأميرية ، وقد كان الجزء الأكبر من أراضي

الصعيد يجبى ماله غلالا . وكانت له عوائد من

تقد وغلال على كل ملتزم يؤدى المال غلالا ، هذا

الى أنه كان مسموحا له بأن يستعمل عند صرف

الغلال من الشون لمستحقها كيلا أصغر من الكيل

الذى استعمله عند الاستلام من دافعى الضرائب ،

والفرق بين الكيلين له !

أمين الصرة

هو مندوب الباب العالى لتسليم الأموال السنوية

المفروضة على البلد .

انختار اغاسى

صاحب المفتاح .

انكشارية

هم الينكجerie أى الجند الجديد . وأغاة

الينكجerie ، أو رئيس وجاق الانكشارية ، هو

رئيس الجند فى مصر ، وهو بمثابة محافظ القاهرة

الآن .

اواسى

الأوسية ، أو « الوسية » ، هى ذلك الجزء من

حصة الالتزام الذى لا يوزع على الفلاحين ، بل

يزرعه الملتزم لحسابه . وكانت لا تدفع عنها

ضريبة بل يخصص ريعها للانفاق منه على

المسافرين والجند وموظفى الحكومة الذين ينزلون

ضيوفا على الملتزم .

أودة باشى

من ضباط الوجاقات ، وكانت تسميه العامة

(فى ذلك الوقت) « أبو طبق » لأنه كان يلبس

فوق رأسه لبادة سوداء كالقبعة ولها حافة تشبه

الطبق .

أوراق جامكية

مرتبات الجند وكانت تمنح لغيرهم كمرتبات

خيرية .

أوقاف الدشيشة

الدشيشة : طعام يتخذ من قمح مرضوض .

والدشيشة الكبرى ترجع الى عهد السلطان قايتباى .

والدشايش الأخرى ترجع الى العهد العثمانى .

باش

باش و « باشى » — التى ترد كثيرا فى بداية

بعض الألقاب المركبة أو نهايتها — لا علاقة لها

بلقب « باشا » . فهى لفظ تركى معناه رأس . وإذا

وردت فى الاستعمال العربى فى أول الكلمة ، كتبت

« باش » . وإذا وردت فى نهايتها ، كتبت « باشى »

وأحيانا تنطق « باشه » .

باشا

الباشا هو وكيل السلطان العثمانى فى مصر .

وكان مقره بالقلعة . وكان يعين لسنة واحدة قابلة للتجديد . ولكن بقاء بعض الباشوات مددا طويلة لتجديد مددهم ، وعزل بعضهم أو نقله قبل انقضاء العام ، جعل متوسط بقاء الواحد منهم في باشوية بمصر نحو سنتين .

ويجب ألا يخلط بين لقب « باشا مصر » ولقب « الوالى » ، فان الوالى فى ذلك العهد كان يطلق عادة على رجل وظيفته صيانة الأمن فى المدينة ، وما يتعلق بذلك ، فهو شبيه بحكمदार البوليس فى أيامنا .

باشا جاجرت

رئيس محردى دفاتر الأراضى .

باشجاويش

رتبة عسكرية ، قائد فرقة حربية . مع ملاحظة أن فى عهد محمد على أصبحت تطلق على كل رئيس مدنى أو عسكري حتى كانت تطلق على أوائل الطلبة فى المدارس .

برانى

زيادة خارجة عن المال الميرى المطلوب للسلطان عن الأراضى الزراعية .

بشلى

معاى ، رسول .

بصاصون

الحرس (الغفر) .

بطط

أوعية مصنوعة من الجلود لتملأ بالبارود .

بلانات

النساء اللاتى يقمن بخدمة النساء فى الحمامات العامة .

بلكات

الحاميات العثمانية وعددها ستة فى مصر .

بندقى جنزولى

كانت قيمته أكثر قليلا من مائة بارة والبارة ثلاثة مليات .

تطريدة

تجريدة أو حملة من العساكر .

تفكجى

الجندى من حملة الأسلحة النارية .

تمكينات

من أهم اصطلاحات ذلك العصر ، فلا بد من « تمكين » قديم أو جديد ، واقمى أو وهمى ، لاكتساب حق أو الالتفاف بحق .

جاووجان

حامية مهمتها جمع الضرائب .

جراكسة

حامية من حاميات البكوات المماليك الجراكسة .

جزية

الجزية هى ضريبة كانت مفروضة على الذكور البالغين من أهل الذمة من نصارى ويهود .

جفالك

جمع جفلك ، اسم يطلق على مقدار جسيم من الأطنان التى كانت تعطى للعائلة الخديوية .

جماكى

جماكى جمع جمكية أو جامكية . وهى كلمة فارسية تعنى أصلا المرتب يصرف لشراء الملابس . ثم أصبحت فى الاصطلاح العثمانى المملوكى تعنى مرتب الجنود .

جمرك البهادر

جمرك للبضائع الواردة الى السويس ، وهو فى الطريق بين القاهرة والسويس .

جوريجى

كان يطلق فى الاستعمال العثمانى على ضباط الانكشارية وعلى مختارى القرى المتقدمين فيها أو بعبارة أخرى على أعيان الجهات . وهى رتبة عسكرية تعادل اليوزباشى .

حرفوش

أحد أبناء البلد ، جمعها : حرافيش .

حق طريق

رسوم المرور .

حلوان

الحلوان هو الرسم الذى تتقاضاه الحكومة لنقل حق أو منفعة من شخص الى شخص آخر .

وقد تطلق « الخزنة » أيضا — أو « الصرة » — على المال الذى كان يرسل مع أمير الحج الى الحرمين . ولم تسلم هذه الخزنة أيضا من أيدي أمراء الممالك !

خشدش

أو خوشدش أو خجدش أو خوجشدش ، معرب اللفظ الفارسي خواجهتاش ومعناه الزميل فى الخدمة أو الزميل فى الرق . وخوش أى السرور والخشداشية فى اصطلاح عصر الممالك بمصر ، هم الممالك الذين نشأوا عند أستاذ واحد .

دفتر دار

كبير الشئون المالية . وكان عادة من الصناجق من أمراء الممالك المصريين وعليه ضبط الحسابات وحفظ الدفاتر والسجلات ولا ينفذ أمر بيع عقار الا بعد توقيعه عليه اشارة الى تسجيله فى دفاتره . وعليه الحضور فى كل ديوان لتحصيل الأموال الميرية بموجب دفتر الروزنامجى . وله عوائد على طرف الميرى وعلى طرف الباشا وعلى حلوان بلاد الأموات عن كل كيس حلوان ألف فضة ، وله فراوى على الباشا فى أربعة أوقات : حين قدومه وحين عزله ، وفى وقت تحصيل مال الصرة الشرفية ، وفى وقت تشهيل الخزنة ، وفروة على أمير الحج وقت التسليم (أى وقت تسليم أمير الحج الصرة) ويساعده جماعة من الموظفين ، ويشد أزره حرسه الخاص وأوجاق الانكشارية من الحامية العثمانية فى مصر .

دلاة

أو دولاتية : جمع ديلى ، وهى كلمة تركية معناها المجنون وأطلقت كلمة دلاة أو دلاتية (جند من أكراد سوريا) على هذا الجيش لشهرة رجاله بالتهور فى البسالة .

دونامة همايون

الأسطول العثماني .

فحلوان بلاد الأموات مثلا ، معناه أن حصص الالتزام التى يموت ملتزموها — فتصبح بذلك بلاد أموات — يستطيع ورثة هؤلاء الملتزمين نقلها الى أنفسهم بشرط تأدية الحلوان — فهو ، فى هذه الحالة ، بمثابة « رسم التسجيل » .

حمامجى اوغلى

الأغا المختص بالحمام .

خازندار

أمين الخزنة وظيفته حمل الخراج مسنويا الى الآستانة .

خاصكية

حرس الباشا .

خردة

رسوم مفروضة على الملاحى والنساء « العوالم » والحواء ومن يماثلهم .

خزنة أو خزينة

الخزانة أو الخزينة ، فى اصطلاحهم ، هى مقدار ما يبقى مما يجبى من مصر من ضرائب بعد انفاق كل ما قرر السلطان انفاقه ، ويرسل هذا الباقي لعاصمة الدولة .

ولم يكن ما تحويه « الخزنة » مبلغا ثابتا ، فان الحكومة العثمانية كانت تأمر أحيانا بأن تخصص منه نفقة اضافية . وأحيانا كان الباشا يخصم من الخزنة لتسديد عجز فى بعض الأبواب المقررة ، أو لمواجهة طلب استثنائي .

وكانت ترسل الى استانبول فى احتفال كبير .

وفى الأيام السابقة للفتح الفرنسى كانت أيدي الممالك قد بدأت تمتد الى مال الخزنة . ثم أصبحوا يرسلونها مرة ، ولا يرسلونها مرة أخرى ، على حسب أهوائهم ، معتذرين بمختلف الأعذار . وقال الجبرتى عن الخزنة التى أرسلت فى سنة ١١٨٠ هـ : « ... وهى آخر خزينة رأيناها سافرت الى اسلابول على الوضع القديم » .

ديوان

مجلس شورى الباشا . يتألف الديوان من ضباط الفرق (الوجاقلية) ، والدفتردار ، والخازندار والروزنامجى .

ولهذا الديوان سلطة كبيرة فى ادارة الحكومة لأن الباشا (الوالى) لا يستطيع أن يبرم أمرا الا بموافقة أعضائه ، وإذا وقع خلاف بينه وبينهم يؤجل البت فيه الى أن يرفع الى الأستانة . ولهم أن يطلبوا عزله . فكانت سلطة ديوان الفرق بمثابة رقابة واشراف على سلطة الوالى .

ديوان الهندى

وصحتها ديوان أفنديسى وهو سكرتير الديوان أو رئيس كتابه .

ديوان صغير

أو الديوان فقط ، ويتألف من كتخدا (نائب الباشا) والدفتردار والروزنامجى ومندوب عن كل وجاق والأغا (الرئيس) وكبار الضباط من وجاق المنفردة ووجاق الشاويشسية وينعقد كل يوم فى قصر الوالى وينظر فيما تحتاج اليه البلاد . وكان الباشا يبلغ أمره للديوان الكبير بوساطة كتخدائه (نائبه) وعليه تنفيذ قرارات الديوانين وكان يحضر جلساتها دون أن يشترك فى مداولاتها .

دزق

جمع رزقة . وهى الأرض التى كان ينعم بها السلاطين على بعض الناس يتصرفون فيها كيف شاءوا ، وهذه الأراضى معفاة من الضرائب ولذلك تسمى « أرض رزقة بلا مال » . وكانت ادارة الروزنامة تعطى المنعم عليه بمثل هذه الأراضى « تقسيطا » أو سندا للتمليك يخوله ملكها ملكا مطلقا ، مع حقه فى التصرف فيها .

رفع الظالم

استبعاد سبب الشكاوى .

رميلة

ميدان صلاح الدين بالقلعة ، والمعروف بالمنشية .

روزنامجى

وظيفته ادارة الخراج (ضرائب الإطيان أو أموال الميرى) وضبط حساباته .

روزنامة

فارسية الأصل معناها « الجرنال » أو التقويم . ويطلق اسم الروزنامة على مكتب الحسابات العامة لقيد الدخل والمنصرف ويعرف باسم « باش قلم » . أى المكتب الرئيسى و « ميزان » أو « ميزانية » . ويجرى به رسم الحالة المالية مرة فى كل عام أو ستة شهور فى « خلاصة اجمالية » مقدرة بالكيس .

دوك

(أو التأريخ) أى مساحة الأراضى ومراجعة مكلفاتها القديمة وفحص حاصلات الأراضى وتوزيعها وربط زمامها .

سارى عسكر

قائد القوات .

سدانزة

الرؤساء .

سرجشم

بكباشى .

سردار

نائب السلطنة : الذى فى يده سر الدار ، الذى يحل محل الباشا أثناء غيابه .

سفاشية

جنود الخيالة .

سلحدار

حافظ السلاح .

سماط

الوليمة : (العزومة) .

شنك

صواريخ ، أو مدافع تطلق للإبتهاج أو للتحية .

صرة

المال المرسل للحرمين أو الى الأستانة .

صناجق

الصنجق أو الصنخج أو الصنجاك كلمة تركية معناها العلم أو اللواء . وقد أصبحت تطلق على القسم من الولاية الكبيرة . ولا يزال مرادفها فى

العربية — وهو « اللواء » — يطلق على المعنى نفسه في بعض الأقطار العربية .

والصنّجق أيضا هو الحاكم على هذا الجزء من الولاية .

وقد تكون « الصنّجقية » أيضا مجرد رتبة ، دون أن يكون حاملها حاكما لصنّجقية . فرتبة « صنّجق طبلخانة » مثلا ، كانت تكسب صاحبها الحق في أن يدق له الطبل وغيره من الآلات الموسيقية عند قدومه ...

وكان عدد صنّاجق البلاد ، أول الأمر ، أربعة وعشرين . ثم احتفظت الدولة العثمانية لنفسها بالحق في إعطاء هذه الرتبة ، كما احتفظت بالحق في تعيين صنّاجق الشغور الثلاثة المهمة : الاسكندرية ودمياط والسويس .

أما التعيين للصنّجقيات الباقية فكان يحدث في مصر نفسها تبعا لقوة المتنافسين عليها . فكان صاحب النفوذ يسعى لجعل الصنّاجق من تابعيه أو مماليكه .

وكان على الصنّاجق « مال ميرى » يؤدونه للحكومة نظير وظائفهم .

صنّجقية

اقليم : مديرية .

ضربخانة

دار الضرب التي تسك فيها النقود .

ططرى

ساع : « حضر ططرى من الدولة وعلى يده مثال »

بمعنى حضر رسول أو ساع ويبدى رسالة .

عرضى

مأخوذة من التركية « أوردو » ومعناها الجيش

أو الفيلق وتؤدى معنى المعسكر .

عزبان

طائفة كانوا في الأصل من جند البحر من حملة

البنادق .

عوائد

لم يكن من الضروري أن تدفع الحكومة في

ذلك المهد للموظف مرتبا ثابتا شاملا كما هو الحال الآن ، بل ترتب له « عوائد » على أبواب مختلفة من دخل وظيفته ، أو تعطيه حق فرض رسوم يجبيها لنفسه على أصحاب المصالح الذين ينجز لهم عملا ، وهكذا . أو قد تدفع له مرتبا ، وتبيح له أن يضيف اليه « عوائد » تقررها له .

وكانت الحكومة اذ ذاك تفرض على بعض أصحاب المناصب أن يؤدوا لها مالا سنويا نظير تمتعهم بعوائد مناصبهم ، وهو ما كان يسمى « ميرى الوظائف » .

ولم تكن هذه « العوائد » مقصورة على صغار الموظفين ، بل ان « الباشا » نفسه كانت له عوائد ، منها مثلا : « أربعمئة فضة على كل فرق بن مستورد » . والفضة كانت مسكوكات دقيقة من الفضة أو النحاس يطلق على الواحدة منها « نصف » أو « نصف فضة » . و « الفرق » هو الرنيل الذى يسع نحو ثلاثة قناطير ونصف قنطار من البن .

غز

يقصد بهم الممالك .

فائض الالتزام

هو الفرق بين ما يدفعه الفلاح للملتزم وبين

ما يورده الملتزم لخزينة الروزنامة .

فردة

ضريبة استثنائية .

فرضة

ضريبة الرؤوس .

فرمان

الأمر العالى يصدر من السلطان .

قاضى

كان القاضى هو النائب عن السلطان في الأحكام

الشرعية ، وكان يحضر كل عام من استانبول الى

مصر . وكانت وظيفته أن يحكم بين الناس بالوجه

الشرعى ، وله الختم والعلامة على جميع التمكنينات

— مثل الحجج والتقارير وما إليها . وله عوائد معلومة على جميع وقاف مصر ، وعلى جميع التمكنات التي يقع فيها البيع والشراء .

وكان من تحت يده محاكم في مختلف الجهات ، بها قضاة ، وكل محكمة فيها سجل لل قيد ، ويعرض على القاضى التركى ما يقيد بالسجلات شهرا شهرا ، ويعلم عليه بالعلامة والختم . وكان لهؤلاء القضاة عوائد على الناس بحسب الوقائع والبيع والشراء ، والقاضى التركى له عوائد على القضاة المذكورين في كل شهر .

وبقى الأمر كذلك الى وقت الاحتلال الفرنسى حين عهد الفرنسيون الى عالم مصرى — هو الشيخ العريشى — رئاسة القضاء . وبعد جلاء الفرنسيين عاد الأمر الى ما كان عليه ، واستمر كذلك الى أن انقطعت علاقة مصر بتركيا في سنة ١٩١٤ عند قيام الحرب العالمية الأولى .

قابجية

سعاة .

قائم مقام

لقب شيخ البلد . وهو الاستعمال الاصطلاحي . وتستعمل قائم مقام أيضا في معناها الأصلى لكل من يقوم مقام أحد ما ، كقائم مقام الباشا مثلا لمن يقوم مقام الباشا عندما تكون الباشوية خالية .

قبودان

قائد البحرية .

قربانة

البندقية .

قشلة

المستشفى أو المصححة .

قلبى

غطاء للرأس من الفرو أو القطيفة كان يلبسه أهل القوقاز .

قلقى

مركز المسكر أو ما نسميه الآن « نقطة

البوليس » ويطلق على المخفر ، أو ضابطه ، أو أحد رجاله .

قليونجية

البحرية .

قناطيش

نوع من الملابس .

قنجة

مركب .

قواسة

الحرس .

قولانة

غطاء للرأس .

كاشف

هو بمثابة المدير اليوم اذا كان يحكم المديرية كلها وبمشابة وكيل المديرية أو مأمور المركز اذا كان يحكم جزءا منها .

وكلمة كاشف مأخوذة من فعل كشف ، لأن الأصل في وظيفة الكشاف أن يكشفوا أحوال المديرية . ولما اتسعت سلطتهم وصار اليهم الحكم وأخذوا المديرية التزاما بقى الاسم القديم ملازما لهم وصار الكاشف يحكم المديرية أو جزءا منها باسم البيك .

كبكية

جلبة الخيل فى المسير .

كتخدا

هو الوكيل عن الباشا ، ويعينه السلطان برتبة صنجق ويتغير بتغير الباشوات . وقد حرفة الاستعمال الى « كخيا » .

كتخدا مستحفظان

وكيل محافظة .

كخيا

محرفة من كلمة كتخدا (انظر كلمة كتخدا)

كمرنكة

الاختفاء خلف المتاريس .

كورنيتيلة

حجر صحى .

غيسى

٥٠٠ قرش من عملة ذلك العصر ، أو ٢٥ ألف نصف فقهه .

لك

مائة ألف فرنسا .

مال الحلوان

رسم تسجيل .

مال الكشوفية

هى نفقات الادارة المحلية .

مال حر

وهو مجموع ضريبة الخراج وضريبة الكشوفية والفائض ، وهو المقرر أصلا على الأطيان أو الضرائب القانونية ، يدفعها الفلاحون للملتزمين وهؤلاء يدفعون الميرى والكشوفية ، وما بقى فهو لهم

مال ميرى

أو « الميرى » فقط : ضريبة الخراج وهى المخصصة أصلا للسلطان . وضريبة الكشوفية وهى مخصصة للبيك أو الكاشف حاكم المديرية .

متفرقة

فى الأصل التركى القديم كانوا أصحاب نوع من الاقطاعات وخدمتهم حفظ القلاع الخارجة عن مضر من جهة الشرق مثل العرش وغيره . ومن جهة الشمال مثل الاسكندرية ودمياط وأبو قير ومن الوجه القبلى مثل أسوان وأبريم ..

محتسب

أو أمين الاحتساب : وظيفته مراقبة الأسواق والتفتيش على الباعة والتجار لمنع وقوع الغش فى المعاملات .

وكان المحتسب من الجاوشية — أى لم يكن من المتفقهين فى الدين كما هو الأصل فى الحسبة كما عرفها الصدر الأول من المسلمين .

محلول

من الاصطلاحات الهامة فى ذلك العهد ، تطلق على حصة الالتزام وعلى الوظيفة اذا مات صاحبها فيعاد منحها من جديد نظير الحلوان .

محملدارية

الادارة الحكومية المختصة بالمحصل (الآن دار الكسوة) .

مرابط

كثيرة الذبوع عند المغاربة ، وتطلق على الأولياء الصالحين والشيوخ المجاهدين وقد قامت لهم دولة بالغرب « دولة المرابطين » .

مزاريق

الرماح .

مشايخ البلد

العمد : وشيخ البلد لقب كان يعطى لكبير المماليك فى ذلك العصر فى ابان سطوتهم وهو بمثابة أمير قصر .

مشد

خدام (خفير) تحت يد قائمقام وهو الذى يحضر الفلاحين الى الديوان فى وقت طلب المال وعليه القيام فى سائر خدمة قائمقام .

مصالحات

دفع الناس بدل الشئ أموالا .

مضاف

زيادة ثانية على المال الميرى . وكان تحصيله على موسمين : صيفى وشتوى .

مضرب النشاب

مكان الرماية . وفى حى « جاردن سيتى » بالقاهرة شارع لا يزال يحمل هذا الاسم .

مكتوبجى

الذى يحمل الرسالة .

مكوس

ضريبة الجمارك .

ملتزمون

هم الملاك الذين يأخذون القرى « التزاما » ويتصرفون فيها تصرف المالك فى ملكه على أن يتكلفوا للحكومة بدفع نصيبها من الضرائب .

مملوك

اسم مفعول من ملك ، ومعناه المقتنى ملكا ، أى الرقيق . على أنه يجب التمييز بين هذا النوع من

الماليك الذين يتخذهم « أساتذتهم » جنداً ويؤنّون
خدمة المنازل الذين يسمون عبيداً .

مهاجرة

المهاجرة جمع مهتر . و « المهتر » في اللغة التركية
هو رجل الموسيقى . ويضرب المهاجرة النوبة
— أى يعزفون على آلاتهم الموسيقية — فى أوقات
معينة : كضرب النوبة عند شروق الشمس أو
غروبها مثلاً .

مهردار

حامل خاتم الباشا .

مهم

حفلة .

موسقو

أى الروس (موسكو) .

ميرى مال الكشوفية

هو ما يدفعه الكشاف للحكومة .

نجاب

حامل الخبر .

نقاير

طبل .

نوبة

يقال يضربون النوبة : أى يعزفون على الآلات
الموسيقية فى وقت معين .

والى

كان « والى » أو « الباشا » هو نائب السلطان
فى حكم البلاد ، فكان يمثله ويبلغ أوامره لرجال
الحكومة ويراقب تنفيذها وله الرئاسة على إيجاعاتها ،
على أن سلطته محدودة مقيدة ... ذلك أن السلطان
سليم خشى لبعد مصر عن مركز السلطنة أن يطمع
ولايتها الى الاستقلال بها والخروج على حكومة
الآستانة ، فجعل مدة والى سنة واحدة ، انتهى
ولايته بنهايتها ما لم يصدر فرمان بتجديدها .

أما اذا أطلق لفظ « والى » على حاكم أى جهة
من الجهات ، فكان يقصد به وظيفة قريبة من وظيفة
« الحكمدار » فى أيامنا . وقد كان بعاصمة القنار

حين دخول الفرنسيين ثلاثة « ولاية » : واحد
للقاهرة ، وآخر لبولاق ، وثالث لمصر العتيقة .
وكان الولاية الثلاثة تحت رئاسة أغا الانكشارية .
ثم أصبحت لوالى القاهرة رئاسة على زميله ، وكان
له — دونهما — مرتب ثابت فى الميزانية ، وكان
يقوم أيضاً بوظيفة حاجب الديوان ، وكان عليه
الاشراف على جرف الخليج الناصرى .

وجاقات

« الوجاق » فى الاستعمال العربى الدارج هو
الموقد . وقد كان يطلق « الوجاق » أو « الأوجاق »
على الطائفة من الجند . وكان يقال للجندى
« وجاقلى » ويجمع على « وجاقلية » .

وكانت طوائف الجند لذلك العهد مبيعة
« وجاقات » ، هى : المتفرقة ، وجاوشان ،
وجمليان ، وتفكشيان ، وجراكسة ، ومستحفطان ،
وعزبان (انظر كل لفظ فى موضعه من هذا
البيان) .

وكانت هذه الطوائف من الجند هى العنصر
الفعال فى حكومة مصر .

وقف

يشمل الأملاك المحبوسة أصلاً على المساجد
وأعمال البر والخير ، وقد انتشر الوقف فى العصر
العثمانى لأنه كان الوسيلة التى يأمن بها الملاك على
أملأهم من عسف الممالك ، فعمدوا الى الوقف
يحبسونه على جهة من جهات البر والاحسان
ويجعلون لأبنائهم أو من يوصون اليهم من ذوى
نسب أو صلة أو خدمة ، حق الانتفاع بالأرض
بعد وفاتهم فيجد الموقوف عليهم من ريعها غلة ثابتة
لا تمتد اليها مظامع الممالك بالسلب والاغتصاب .

يسقى

مكان الاعتقال .

ينكجربة

هم طائفة من الجند تسمى أحياناً بالانكشارية
(انظر انكشارية) .

بسم الله الرحمن الرحيم

■ ■ يشرف قطاع النشر والتسويق بمؤسسة « دار الشعب » للطباعة والنشر - أعرق دور الطباعة والنشر في مصر والوطن العربي - أن تقدم للقراء كرام نخبة مختارة من إصداراتها في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية الرفيعة المتميزة والابداع الأدبي والثقافي والعلمي والتاريخ المصري القديم والمعاصر. أمهات الكتب والتفاسير والأدب التربوي المصور للطفل وكل ما يهم القراء والأسرة المصرية والعربية والدارسين والمحققين والباحثين عن مصادر موثوقة تخدم الحياة. التقدم بزاد ثقافي تربوي وحضاري لا ينفذ .



مع تحيات قطاع النشر والتسويق



- | | |
|--------------------|----------------------------------|
| ■ تفسير الجلالين . | المصحف المفسر بالمقدمة .. |
| ■ تفسير الألوسی . | تفسير القرآن العظيم لابن كثير .. |
| ■ التيسير [خلاصة | تفسير القرطبي .. |
| تفسير ابن كثير] . | [الجامع لأحكام القرآن] |
| ■ صحيح البخارى . | الموطأ |
| ■ صحيح مسلم . | فتح المبدى .. |
| ■ [شرح النووى] . | [شرح مختصر الزبيدي |

- رياض الصالحين ..
- [من كلام سيد المرسلين] .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
- من أنباء الرسل .
- دائرة المعارف الإسلامية
- أدب الدنيا والدين .
- الزواجر عن اقتراف الكبائر .
- مكاشفة القلوب .
- يوميات العقاد .
- دلائل النبوة .
- [ومعجزات الرسول ﷺ] .
- مقدمة ابن خلدون .
- صفة الجنة وأهلها .
- [فى الكتاب والسنة] .
- التراث العربى الإسلامى .
- الإسلام ورعايته للطفولة
- تبويب آى القرآن الكريم .
- [من الناحية الموضوعية
- فضائل وآداب وأحكام القرآن الكريم .
- عبقریات العقاد
- الموسوعة الثقافية
- إحياء علوم الدين .
- العبادة .
- [أحكام .. وأسرار
- الأغسانى .
- [لأبى فرج الأصبهاني] .
- ألف ليلة وليلة .

- مع أسماء المصطفى
- شروق الإسلام .
- نسيمات إيمانية .
- الحب والشعر فى حياة ابن أبى ربيعة
- العقاد ومعاركه فى السياسة والأدب
- الإنتصارات العربية العظمى
- فى صدر الإسلام .
- تخطيط الموارد السياحية .
- جرائم تهريب النقد .
- فن التفصيل والحياسة .
- لك يا سيدتى ..
- أركان الإسلام .
- [فى خمسة كتب للإطفال] .
- عمرو فى مصر .
- روضة الأولاد والبنات .
- إرسم..ولون .
- الإسلام ورسوله فى فكر هؤلاء ..
- العربية فى الإعلام
- وأخطاؤها الشائعة .
- من آخر كلمات العقاد .
- التحديات التى تواجه العالم الإسلامى
- مكافحة الإرهاب .
- أبطال الكفاح الإسلامى المعاصر .
- القصص الدينى فى مسرح الحكيم .
- عودة الإبن الضال .
- فن تربية الطفل .
- الأساس فى تفصيل ملابس السيدات .
- راية الإسلام .
- تعلو عمان .
- حكايات الأصدقاء .
- ضحكك .. ولعب .. وجد

عزيزى القارئ
نرحب بك قارئاً ومتابعاً للإصدار لنا
المتعددة بكبرى مكتبات التوزيع بعولهم
محافظة جمهورية مصر العربية .. والوطن
العزى وزاد مكتبتنا بالتركز الرئيسى
لؤسسة دار الشعب .

٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة

مع تحيات

رئيس قطاع النشر والتوزيع

سلافندى

